



النأملات العرفانية

فضيلة الشيخ الدكتور مازن الشريف

حفظه الله تعالى



المجلد الأول

الدروس (1-40)

1445 هـ - 2023 م

مؤسسة المنارة العالمية
تونس



النأملات العرفانفة

فضفلة الشفخ الءكنور مازن الشرف

ءفظه الله ءعالف



المءلء الأول

الءروس (1-40)

1445 هـ - 2023 م

مؤسسة المنارة العالمية
ءونس

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إهداء

إلى الحضرة الإلهية العلية ذات الفضل كله وأوله وآخره

إلى حضرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم مجلى الكمالات والجمالات

ومن جنابه الشريف إلى إخوانه الأنبياء وإلى أهله المطهرين أصولاً وفروعاً وإلى أسلافهم من الأولياء الصالحين

وإلى حضرة سيدنا الخضر عليه السلام منبع هذه العلوم وإلى حضرة سيدي المعلم الدكتور مازن الشريف حفظه الله تعالى مجلي

هذه العلوم وإلى حضرة سيدنا الإمام المهدي عليه السلام متمم هذه العلوم

ثم إلى جميع عباد الله الصالحين المحبين المحبوبين وإلى أهلنا وأحبنا ومعلمينا وجميع المسلمين

وكل من في قلبه ذرة يقين

نهدي هذا العمل الفريد بفرادة محتواه وأهل مجلاه

أبناء المنارة المحمدية



فريق العمل



مصر	هالة شوقي
تونس	نور الزهراء
مصر	نوجا جمال
ليبيا	نهلة أبوزكري
المغرب	ماري العبرطة
الجزائر	علاء الدين بلعمري
الأردن	عبير مستريحي
الجزائر	عبدالمجيد كيحل
المغرب	عبدالله طيب
أمريكا	شيماء كامل
المغرب	سميرة كاشور
العراق	حوراء قاسم
كندا	محمود الحكم



المحتويات

1	إهداء
2	فريق العمل
3	المحتويات
22	المقدمة
25	مفاتيح الألوان
26	التأمل الأول: مدخل علمي نظري
26	مقدمة
27	أسباب صعوبة الطريق
28	تحطيم الحاجز المذهبي
29	التدبر والعرفان مهمان لفهم الدين
30	مُدارسات عرفانية
32	خاتمة
33	التأمل الثاني: في معرفة الله ﷻ - الجزء (1) -
33	مقدمة
34	المعرفة: المعاني والمعطيات
35	مفهوم الألوهية في فكر هذا الزمان

36	ظهور الموجة الإلحادية
37	إشكاليات حول مفهوم الألوهية
40	خطورة العقيدة التجسيمية
41	العلم بالله هو صراط العقل
42	العارفون بالله والعارفون عن الله
43	المدرسة التنزيهية
45	خاتمة
47	التأمل الثالث: في معرفة الله ﷻ - الجزء (2) -
47	مقدمة
47	أقسام المعرفة بالله
48	المنهج الوثني
50	معرفة الله مرتبطة بعلم الذات والصفات
50	نمطيات الفكر الضيق تؤدي إلى طريقين
54	خاتمة
56	التأمل الرابع: معرفة الله ﷻ والكتب الثلاثة - الجزء (1) -
56	مقدمة
57	طريق التَّعْرِفِ والمَعْرِفَةِ بالله في الله
57	1. الكون الأوّل هو الكون القرآني
62	2. الكتاب الثّاني: كتاب الكون
63	3. الكتاب الثالث: كتاب الإنسان
65	خاتمة
66	التأمل الخامس: معرفة الله ﷻ والكتب الثلاثة - الجزء (2) -
66	مقدمة
67	كتاب الكون
69	كل العلوم تدلّ على أنّ الله هو الحقّ
70	تركيب الانسان

71	من عجيب ما سمح الله للإنسان.....
72	نظر العادة ونظر العبادة
74	خاتمة.....
75	التأمل السادس: وحلّ شهر ربيع الثّور
75	مقدمة
76	معاني نورانية في خلق خير البرية.....
76	معاني نورانية في اسم خير البرية
77	حال التجلّي النبوي.....
78	ظهور العلامات الدالات على وعد الله.....
79	المولد غطاء الرحمة
80	خاتمة.....
81	التأمل السابع: الجهل بالله ﷻ - الجهل بذاته والجهل بصفاته -
81	مقدمة
82	مفهوم الجهل بالله.....
82	الجهل بذات الله.....
82	الجهل بالصفات
83	الجهل بآيات الله
84	ردّ على من أساء للذات المحمّدية.....
85	خاتمة.....
87	التأمل الثامن: عن التزكية ومعانيها - والفرق بين النَّازع والنَّازغ والواعز -
87	مقدمة
88	النوازع الدّاتية.....
88	النوازغ الشيطانية
90	النفس اللوّامة وقواها.....
92	حقيقة التزكية.....
93	المرحلة التزكوية المحمّدية.....
94	معنى الرّان.....

95	خاتمة
97	التأمل التاسع: القلب الرباني والعقل الرباني - وتجليات الروح وحرب النفس -
97	مقدمة
98	1- القلب الرباني
99	اختبار صدق المحبة
100	الحق لا يضره التمحيص
101	2- العقل الرباني
101	الدمج بين القلب الرباني والعقل الرباني
102	3- الروح
102	إعادة مختصرة للمراحل الثلاث
103	4- النفس
104	خاتمة
106	التأمل العاشر: الحجب الأثقف - والأعداء الأشدّ ضراوة -
106	مقدمة
107	مفهوم الشيطان
108	الشيطان النفسي
109	أنواع الشياطين الذاتية
110	حقيقة إبليس
111	الوسوسة
112	المسّ
113	التزيين
113	شياطين الإنس والجن
115	محاربة الشياطين النفسية
116	معركة الشياطين الإبليلية
117	خاتمة
118	التأمل الحادي عشر: الكشف والفيض بين الإلهام والإيهام
118	مقدمة

119	عطايا الله لم ولن تنقطع.....
120	فهوانيات الصوفية.....
121	الفتح والفهم.....
122	الفيض.....
122	الكشف.....
123	التجلي.....
123	الإشراق.....
124	الموصول بالموصول موصول.....
128	خاتمة.....
129	التأمل الثاني عشر: الطريق إلى الله بين الروح والنفس.....
129	مقدمة.....
130	نسيان الإنسان لحياته السابقة.....
131	التذكر.....
132	عائق النفس.....
133	محاربة النفس.....
135	العالم كله الآن مُبرمج شيطانياً.....
136	الباب مفتوح.....
137	خاتمة.....
139	التأمل الثالث عشر: علم المعية - معناها وأنواعها وشيء من أسرارها وأنوارها - ...
139	مقدمة.....
140	قصة عصا النفس وطوى السر.....
140	مدخل إلى علم المعية.....
142	المعية الربانية الكاملة الشاملة.....
142	المعية الخاصة.....
143	الذكر مفاتيح والوسائل أبواب.....
143	معية المضطر المحاصر.....
145	الأمة اليوم تحتاج استشعار المعية المخصوصة.....

146	المعية المحمدية
148	خاتمة
149	التأمل الرابع عشر: الانتظار والمنتظرين – ما لهم وما عليهم -
149	مقدمة
150	الاشتياق للحضرة
151	علاقة الإمام بالعصا
152	أحوال المنتظرين
153	لنتفق على ثوابت
155	دور المنتظرين
156	واجبات المنتظر
157	المهدي كائن غامض مطلسم
159	خاتمة
		التأمل الخامس عشر: الإله الفيزيائي والرد على الملاحدة - وشيء من علوم الإمام
160	المهدي وملاح شخصيته -
160	مقدمة
161	المبحث الفلسفي للإلحاد
162	توظيف الإلحاد بشكل جديد
163	العوالم المندغمة
165	محاربة النفس الإيماني
166	تأثير المدسوسات والخزعبلات
168	مأساة الإمام المهدي المنتظر
170	الرد على تايسون
172	تجلي القوى والقدرات المهدوية
173	خاتمة
176	التأمل السادس عشر: عن العارفين بالله والعارفين عن الله
176	مقدمة
177	قصة النسر والثور

178	معارف لا يعرفها إلا العارف بالله حقاً
179	ميزان التمييز
179	العارفين بالله والعارفين عن الله
181	كيف تعرف العارف من الدجال؟
183	علم المشكاة
185	الزوهريون
186	زيتونة لا شرقية ولا غربية
187	خاتمة
189	التأمل السابع عشر: آفة الجدل
189	مقدمة
190	آية ﴿حتى إذا جاءوك يجادلونك﴾
192	آية ﴿يجادلونك في الحق بعدما تبين كأنما يساقون إلى الموت وهم ينظرون﴾
193	العلم فضّاح والجهل مفضوح
194	آية ﴿وهم يجادلون في الله وهو شديد المحال﴾
196	آيتا ﴿الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان آتاهم﴾
197	من توكل وجد عجباً
198	أنا أبشر بعلوم وفهوم وأعطي أذواق
198	أجمل مناجاة للحبيب المصطفى
200	خاتمة
202	التأمل الثامن عشر: عن محمد أحدثكم - رحلة مع عظمة الذات المحمدية -
202	مقدمة
203	كيف نطيق كلاماً عنه
204	أبواب الكلام عن رسول الله
205	نورانية الأحرف الأحمدية
206	طهارة الأصول المحمدية
208	ميلاد الحبيب وحياته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ
210	ضمّة الغار

211	انتقال الذات العظيمة
212	خاتمة
213	التأمل التاسع عشر: إذا دلك عليك وعرفك نفسك، فقد دلك عليه فعرفته
213	مقدمة
214	سر ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾
215	السر الذي فيك
215	الخضر المنطوي فيك
216	لا تظننَّ أنَّ الطريق ميسر
217	طرق محاربة الشر
218	أعد نفسك ليأتيك الدليل الرباني
219	أنا أختار
220	خاتمة
222	التأمل العشرون: الصراط المستقيم
222	مقدمة
222	علم الصراط
223	الصراط المستقيم
224	قطاع الطرق
225	نكتة داخل الفاتحة
226	الواسطة ﴿أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾
227	باب الله الأعظم
229	أين أنت من رسول الله
229	المودة في القربى
231	حديث "أحبوا الله لما يغذوكم به من النعم"
232	محبة آل البيت فوق المذهب
233	خاتمة
235	التأمل الحادي والعشرون: جزكياهو بن دافيد وقصة مهدي بني إسرائيل
235	مقدمة

235	"رمضان مبارك" رغم كل شيء
236	السطحية وعدم المتابعة
237	نقدنا: للفساد والمفسدين
239	المهدي قضية انتصار
240	يعلمون أنّ دمارهم اقترب
241	ستزداد هذه اللعبة
243	إنّ الموعود منا وليس منهم
243	لن يتخلى عنه ربه
244	خاتمة
246	التأمل الثاني والعشرون: القدس أولاً وأخيراً
246	مقدمة
247	قصة عرس اللقاء الأول في جنة الطين (فلسطين) بين آدم وحواء عَلَيْهِمَا السَّلَام
248	القدس لها ارتباطات نبوية
249	القدس مجمع الأنبياء والملائكة وأرواح الصالحين السابقة واللاحقة
249	القدس بوابة المعراج وموضع الصلاة الأخيرة والصلاة العالمية
250	القدس محور العالم
251	نصائح لأحبابنا في بيت المقدس
254	خاتمة
256	التأمل الثالث والعشرون: أدب الصحبة
256	مقدمة
257	يحتاج السر سرّاً لفهمه
259	هل برئت أمة محمد ﷺ من ذلك؟
260	نحن على نهج المهدي عَلَيْهِ السَّلَام
262	نحب كل معتدل ونضرب كل دجال
264	مَيِّز الأمور بقلبك
265	مؤتمر العالم الإسلامي
266	نحن نحترم الجميع

267	محمديون قبل المذهبية، إنسانيون قبل الديانة
268	إلهامات الخواطر الربانية
269	لماذا نزاحم عَلِيًّا
270	خاتمة
272	التأمل الرابع والعشرون: فخلقت الخلق لأُعرف - نظرة في سر الإيجاد-
272	مقدّمة
273	حكمة الإيجاد
274	فخلقت الخلق لأُعرف
275	حكمة الخلق
276	المعشوق الأول والعاشق الأول
276	انعكاسات للأنوار
277	ميدان الصراع
278	لمحات من الحياة الأولى
278	السلالة المحمدية
279	ختام سرّ الإيجاد وقصة الوجود
280	من قصد بالحب لا يرجع إلا به
281	الأبواب
282	خاتمة
	التأمل الخامس والعشرون: المحمدية البيضاء - "معانيها وحقيقتها وضرورة الرجوع إليها" -
284	إليها
284	مقدّمة
285	التاريخ والمذاهب الإسلامية
288	نتيجة هذه البحوث
289	فقه الواقع
290	المحمدية البيضاء
291	ما الذي ينقصنا الآن؟
292	المحمدية البيضاء تجمع الجميع

293 على البشرية أن تجتمع معاً
294 كورونا أخلاقي
294 مؤتمر العالم الإسلامي الأول
295 الإسلام الذي نريد
297 المدرسة الزيتونية
298 ليست سجنًا
299 خاتمة
300 التأمل السادس والعشرون: دين الإبراهيمية - الحق الذي أريد به باطل -
300 منطلقات
302 مسارات الترويج للديانة الإبراهيمية
304 هؤلاء عدوّ
305 الهدف الأساسي من هذا المشروع
306 الإبراهيمية التي نقبل بها
307 الإبراهيمية الكاذبة
308 خاتمة
310 التأمل السابع والعشرون: كلام عن المولد تسمعه لأول مرة
310 مقدمة
312 رسول الله سيّد الخلق أجمعين
312 خلق حبيباً
313 السلالة التي اختارها الله لتكون منها النطفة المحمدية
315 حقيقة حادثة الفيل
316 الرسول ﷺ في الصبا
317 بعض الدس والتزييف للإقلال من مكانة وقدر رسول الله وأهل بيته
320 نفحة جلالية عن رسول الله ﷺ
321 مشهد الاحتفاء والإعلان الرباني بلحظة ميلاد النور ﷺ
322 أسوأ أيام إبليس بعد رجمه يوم رأى مولد رسول الله ﷺ
323 لماذا وكيف نُحب الحبيب الهادي ﷺ

325	خاتمة
	التأمل الثامن والعشرون: ﴿فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ﴾ - من دروس قصة سيدنا يونس ؑ -
326
326	مقدمة
327	قصة سيدنا يونس ؑ
328	بلوغ الغوثية في بطن الحوت
329	علاقة سيدنا يونس بتونس
329	الحوت المعنوي
330	أصحاب السرّ اليونسي
330	بطن الحوت مجال لمعرفة الله
331	خاتمة
333	التأمل التاسع والعشرون: أدب الاتّباع
333	المقدمة
334	الاتّباع في القرآن الكريم
335	القاعدة الأولى: أن تعرف من تتّبع
336	القاعدة الثانية: معرفة المنهج المتّبع
337	القاعدة الثالثة: معرفة نفسك
338	القاعدة الرابعة: أن تعرف كيف تتّبع
338	مراجعة النتائج
339	صنوف من القادة
340	عليك أن تميّز، عليك أن تعرف، عليك أن تفهم
341	تعالوا معاً نزرع فسيلة النخل المحمدي الرباني
342	خاتمة
343	التأمل الثلاثون: المحمدية البيضاء - المعنى والقصد والغاية -
343	مقدمة
344	أين الدين الذي جاء به الحبيب محمد في كل هذا
347	المذاهب الإسلامية

349	الراية التي يجب أن تكون أعلى هي راية رسول الله
350	الأعداء الثلاثة
352	خاتمة
354	التأمل الحادي والثلاثون: في رحاب الزهراء عَلَيْهَا السَّلَامُ
354	مقدمة
355	إشكاليات بحثية
356	الحياة الشريفة
358	أنس رسول الله ﷺ
358	بشارة لكل محب
359	كمال آل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ
360	سفينة النجاة
360	حرمان الأمة من أنوار آل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ
361	حادثة خلع الباب
362	الوفاة الشريفة
363	مكتبة السيدة فاطمة عَلَيْهَا السَّلَامُ
363	أين أحاديث آل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ؟
364	خاتمة
365	التأمل الثاني والثلاثون: الوعي بالنعمة
365	مقدمة
366	تذكر النعم في القرآن الكريم
366	التذكير والشكر/الجحود والكفر
367	نقف لحظة لنذكر نعم الله علينا
370	معوقات الوعي والإدراك والحمد والشكر
371	أعظم النعم
373	حمدلة عامة شاملة
374	خاتمة

375	التأمل الثالث والثلاثون: عن علي ؑ أحدثكم
375	مقدمة
376	مقام الإمام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ
377	بيان حق لأهل الحق
378	حب الإمام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ فوق المذاهب
379	آل البيت ليسوا فقط قضية مظلمة
380	في هذه الدائرة النورانية يولد الإمام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ
381	الإمتحان الحقيقي في حب علي وآل بيت النبي
382	ظلم الإمام لأنه جسّد الجلال المحمدي
383	المحمدية البيضاء
384	نستذكر الإمام في مولده
385	خاتمة
387	التأمل الرابع والثلاثون: التوحيد والنبوة والإمامة
387	مقدمة
388	باب التوحيد
389	المعنى الشرعي لاسم الله عَزَّوَجَلَّ
392	الألوهية والربوبية
393	باب النبوة
394	ما يلزم مقام النبوة
395	منهج البلاد التونسية التسنن مع حب آل البيت
396	رسول الله ختم الله به النبوات
397	باب الإمامة
398	ادّعاء المهدوية
399	راية المنارة
400	خاتمة
402	التأمل الخامس والثلاثون: بين الإسراء والإسراء

402	مقدمة
403	الإسراء بين تحليل إستراتيجي وتحليل عرفاني
404	الإسراء الأول إعلان النهاية
406	الإسراء الأول إسراء جمال
406	كتاب الملاحم
407	اليهود وسعيهم لتغيير القدر
408	الأنبياء وانهايار الحضارات
409	التدخل الملائكي وسلاح الجو الإلهي
411	المعادنة رغم اليقين
412	تقسيم الدور بين النبي والولي
413	التمكين لبني إسرائيل في هذا العالم
415	الإسراء الثاني
415	كلام إستراتيجي محض
417	الجانب العرفاني
419	خاتمة
420	التأمل السادس والثلاثون: كربلاء والفصل في عاشوراء
420	مقدمة
421	نؤطر الموضوع ليكون مرجعاً
422	هل محبة أهل البيت من خارج الدين؟
423	من هم أهل البيت؟
423	أهل النبي أحب إليك من أهلك
425	"الحسين مني وأنا من حسين"
425	لماذا لا نتكلم عن الصحابة؟
427	العاشر من محرّم
428	آلة أموية عملت عملها
429	إظهار الفرح في عاشوراء
430	السنة موالون لآل البيت

431	المزاحمات دمّرت الأمة
432	راجعوا التاريخ
434	كربلاء يوم فداء عظيم
435	خلاصة
436	خاتمة
438	التأمل السابع والثلاثون: أهل الله - من هم وكيف وصلوا -
438	مقدمة
439	أهل الله فنوا في حب الله
440	أهل الله هم المعيار
440	أهل الله يتحرّرون بالموت
441	أهل الله أهل الجمال
442	أهل الله طلب الأنبياء مقامهم
442	سيدنا محمد سيد أهل الله وإمامهم
443	ظهور سيد الأطهار من سلالة الأطهار
445	أهل الله جميعاً في تلك السفينة
445	الإحتفال بمولد رسول الله من سمات أهل الله
446	سيدنا محمد باب أهل الله إلى الله
447	لن تدخل من باب رسول الله وقلبك مزاحم لآل بيته
448	خاتمة
448	دعاء الختام
450	التأمل الثامن والثلاثون: التصوف والحضرة - بين التحقيق والتلفيق -
450	مقدمة
451	نتكلم عما نعرفه جيداً
452	التصوف بين العارفين والدجالين
453	تعريف التصوف
456	المراحل التاريخية للتصوف
456	1- المرحلة الأولى

457	2- المرحلة الثانية
458	3- المرحلة الثالثة
459	4- المرحلة الرابعة
460	رجال التصوف ليسوا أهل خمول بل أهل علم وجهاد ومواقف
463	الأحوال الروحانية تستوجب العلم بالله
464	الخلوة الحقيقية
466	الحضرة علم
468	حقيقة الاهتزاز
469	حقيقة الاسم الصدري
471	لماذا الإصرار على النشر؟
472	هذا بياني عن التصوف والحضرة
473	خاتمة
475	التأمل التاسع والثلاثون: صحبة العارفين
475	مقدمة
476	تعريف العارفين
476	العارفون بالله
477	العارفون عن الله
477	شروط العارف
478	1- الباب الرباني
478	2- الباب المحمدي الأحمدي
479	3- باب الإمام علي
480	4- باب أهل البيت
481	5- معرفة العارف للعارفين
482	الصفات التي يجب أن يتحلّى بها العارف
483	شروط صحبة العارفين
483	1- الشرط الأول: المعرفة
484	2- الشرط الثاني: التمييز والفهم

485 3- الشرط الثالث: الأدب
486 4- الشرط الرابع: الإيمان بالغيب والعمل بالواقع
486 5 - الشرط الختامي للعارف بالله أن يكون مهدياً
487 خاتمة
489 التأمل الأربعون: هذا فصل الكلام عن الإمام الحسين
489 مقدمة
489 مكانة آل البيت
491 الحسين مني وأنا من حسين
491 مشهد كربلاء
492 محبة الحسين لا تتعلق بمذهب
494 والله ليظهرنّ الحق ولو كره الكارهون
494 خاتمة
496 كلمة عن كربلاء
498 لماذا نذكر كربلاء
501 زيارة الأربعين

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله الواحد الأحد، الفرد الصمد، الذي يبقى بعد أن يفنى كل أحد، فينادي لمن الملك اليوم¹ ولا يُجيب أحد، والذي كان ولم يكن أحد، فعرف نفسه وتجلّى بنفسه وشهد لنفسه² قبل أن يكون أحد، ثم أحبّ أن يعرفه وأن يحبّه وأن يسبحه وأن يحمده أحد، فخلق أول الخلق وأعظم الخلق وأعرف الخلق وأحبّ الخلق وأقرب الخلق منه إليه سيدنا أحمد، فكان ذلك أعظم عطاء وأعظم نعمة يمنّ بها على أحد، ثم أحبّ كذلك أن يُعرّف به فيحبّه ويؤانسه ويعرفه من غيره أحد، فخلق منه له أخاه³ أقرب الخلق منه فليس بينه وبينه أحد⁴، وخلق منه له أيضاً بضعته⁵ وريحانته⁶ وطاووسه⁷ فليس قبلهم وليس معهم ولا يشابههم أحد، فسبحان الله الواحد الأحد، وصلى الله وسلم على سيدنا أحمد، وعلى آله مرآيا ذاته ومجلى صفاته من الأمد إلى الأبد.

ثم خلق الخلق الأقرب فالأقرب والأعظم فالأعظم، فكان ذو القرنين والخضر وكبار الملائكة والأنبياء وأصول سيدنا النبي وفروعه الأطهار المكرمين، الذين منهم كبار الأولياء الصالحين، سيدنا الجيلاني والرفاعي والبدوي والدسوقي والجشتي والأسمر وبقية الأقطاب العارفين، وخلق الكبار العظام من سائر الخلق والرواحين، فكانت دوائر وحضرات ودواوين، كلٌّ حسب سرّه ونوره وفيلقه المبين، ثم خلق لهم أعداء من المجرمين، فجعل هؤلاء في سجّين، وأسكن أولئك العظام في عليّين وما فوق عليّين. ثم خلق

¹ ﴿لَمَنَ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ آية قرآنية

² ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ آية قرآنية

³ "أنت أخي في الدنيا والآخرة" حديث نبوي وكذلك "محمد النبي أخي وصهري" أثر عن الإمام علي

⁴ "أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي" حديث نبوي

⁵ "فاطمة بضعة مني" حديث نبوي

⁶ "إن الحسن والحسين هما ريحانتي من الدنيا" حديث نبوي

⁷ "المهدي طاووس أهل الجنة" حديث نبوي

الدنيا وما فيها وجعل لها أجلاً مسمىً إلى حين، وأرسل إليها رحمته المهداة للعالمين، وأتبعه بأهل بيته الطيبين أسياد الصالحين، وختمهم المهدي الذي يجعل الدنيا بهجة للناظرين، بعد أن كانت فترة خراباً ومرتعاً للشياطين.

فالحمد لله الذي زرع في قلوبنا محبة الصالحين، وأركبنا سفينتهم التي من تعلّق بها نجا ومن تخلف عنها كان من الهالكين، والذين طلب اللحاق بهم والدخول في حضرتهم كبار الأنبياء الواصلين⁸، وصلى الله وسلم وبارك وعزز وأكرم وأنعم عليهم أجمعين، أهل التقى والنقا والإحسان واليقين، وجعلنا في قلوبهم وتحت أنظارهم ومن خدامهم إلى أبد الأبد.

التأملات العرفانية تأملات في الكون والملكوت والقرآن والإنسان، تحت بند أنّ كلّ ما خلق الله دالّ على الله، وكل العلوم والفنون موصلة في الحقيقة إليه:

الله في الخلق سرّ جلّ معناه
فانظر بقلبك تبصر كيف جلّاه
في كل شيء براه الله مقتدرًا
صوت يقول أنا قد صاغني الله⁹

فأعظم العلم العلم بالله عزّ وجلّ، وأعظم المعرفة ما قرّبت منه وذكّرت به وأوصلت إليه سبحانه وتعالى. لذلك، فإنّ من أهداف هذه الدروس أن تبيّن للسالكين معالم الطريق للسلوك إلى الله عزّ وجلّ وتوضّح لهم كيفية الوصول، مع التنبيه والتحذير من قضاة الطرق والأعياب النفس والشياطين، في زمن عمّ فيه الفساد والإفساد وكثّر فيه الطرق والأدعياء وصعب فيه الثبات والاهتداء.

ولا وصول من دون الأصول، فإن كان أعظم العلم العلم بالله، فإنّ ما بعده هو العلم بأقرب الخلق إلى الله. وهكذا فإنّ هذه الدروس من غاياتها أيضاً التعريف بحقيقة وعظمة مقام رسول الله عليه الصلاة والسلام وآل بيته الكرام وتبيان كمالهم وتزيين الدنيا بأنوارهم والدعوة إلى محبتهم وأتباع منهاجهم والتخلّق بأخلاقهم والتحقّق بأحوالهم، وكذلك الدفاع عن حضراتهم والذود عن سيّرتهم ومسيراتهم وتبرّثهم من كل نقیصة لا تليق بمقامهم. فيقوم الشيخ في هذه الدروس بالتركيز على تنقية التفسيرات القرآنية والسيرة النبوية والأحاديث والآثار وتصفيتها من كل دسّ ووضوع وتحريف وتزييف طرأ عليها عبر الزمان فتراكمت وصارت مسلّات بالرغم من أنها مخالفة للعقل والقلب السليم. وهذا جهد كبير وصعب لا يمكنه القيام به إلا من فتح الله على قلبه ولبّه، فانهالت عليه العلوم والفهوم العرفانية اللدنية، وتوالت وتالت عليه الاتّصالات والتواصلات الرّوحانية والرّوحانية، وفُتحت له خزنة الذاكرة القديمة الرّوحية، وهذا لا يكون طبعاً إلا لمن خصّه الله من رجاله ولمن ادّخره من جنوده، ولكل زمن رجال وجنود.

أما عملنا في هذا الكتاب فيتلخّص في تفريغ دروس التأملات العرفانية للشيخ الدكتور مازن الشريف حفظه الله تعالى، ثم تقسيمها وترتيبها وعنونة فقراتها مع تحديد الآيات والأحاديث والآثار والأشعار، بالإضافة إلى التركيز على الدقائق والمعطيات المهمة التي رأينا أنه من الضروري تسليط الضوء عليها، وكذلك استعمال الألوان حتى تكون المعلومات أوضح للقارئ ويسهل عليه فهم المحتوى العلمي لهذه الكنوز.

⁸ سيدنا يوسف ﴿تَوَفَّقْني مُسَلِّماً وَأَلْحِقْني بِالصَّالِحِينَ﴾، وسيدنا إبراهيم ﴿رَبِّ هَبْ لي حُكْماً وَأَلْحِقْني بِالصَّالِحِينَ﴾، وسيدنا سليمان ﴿وَأَدْخِلْني بِرَحْمَتِكَ في عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾
⁹ شعر الدكتور مازن الشريف

هذا ونرجو أن نكون قد وُفقنا في هذه العمل المتواضع لهذا المشروع العظيم، ونسأل الله عَزَّوَجَلَّ القبول بجاه فاطمة وأبيها وأمه وأمها وبعلمها وبنيتها والسر المستودع فيها، وأن ينال رضا واستحسان القارئ. نسأل الله عَزَّوَجَلَّ أن يكمل نقصنا وأن يوصل سرّها، فإننا نتبرأ من جهدنا ومن أثرتنا فيها ونعتمد على سرّ مجليها ومحليها.

ولا يفوتنا في هذا المقام أن نتقدّم بجزيل الشكر والتقدير والعرفان بالجميل للشيخ الدكتور مازن الشريف الحسيني الحسيني على كل ما قدّمه ويقدمه للإنسانية من علوم وفهوم تنير العقول وتطهر القلوب وتزكي النفوس وتسمو بالأرواح في عوالم الملكوت.

شكراً لكل من ساهم في إخراج هذا الكتاب إلى الوجود، بنشره ووضع بين أيدي القراء، بارك الله فيهم ونفعهم ونفع بهم، الشكر موصول لهم على كل جهودهم المبذولة في خدمة هذا العمل النافع والمفيد للإنسانية جمعاء، آملين أن يكون سبباً في إيصال هذه الدعوة الربانية المحمدية المهدوية، دعوة "المحمدية البيضاء" النقية، إلى كلّ نفس زكية.

وآخر دعوانا أن الحمد لله فوق ما حمد الحامدون، وشكر الشاكرون، وذكر آلاءه الذاكرون، حمداً لا يحصيه بيان، ولا يحيط به لسان. وصلى الله وسلّم وبارك على نبينا محمد وعلى آله الكرام الذين هم لكل فضيلة تاج ولكل رقيّ سراج، وبهم يهتدى في ظلام الليل الداج، ومعهم يُقوم كل اعوجاج ويُسلك في أقوم الفجاج.

فريق العمل



مفاتيح الألوان

عنوان:

مقدمة

آية:

﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ﴾

حديث:

"إن الله يرضى لرضاك ويغضب لغضبك"

شعر:

أكرم بفاطمة ومن سمّاها هي زوج حيدرة والسبطان ابناها

دس وتزييف:

"لا يأتيني الناس بأعمالهم وتأتوني بأنسابكم، اعملي فإني لا أغني عنك من الله شيئاً"

حقائق:

وكانت تُؤنس قلبه وتُسعد عينه، وكانت تُبهبج روحه، كانت هدية من الله .

دقائق:

شقيقتها روحاً وسراً

إقرارات أو حِكَم:

هؤلاء الثلّة لا يزاحمهم أحد، لأنهم الأدنى والأقرب إلى رسول الله،
وحديث الكساء وحديث المباهلة دليان قاطعان قطعان على ذلك
المقام العظيم .



التأمل الأول: مدخل علمي نظري

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله على سيدنا وإمامنا ونبينا محمد المبعوث رحمةً للعالمين وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين، ورضي الله عن أصحابه وسلاماً على الصالحين حيثما كانوا وحيثما تزلوا.

أحبابنا في الله السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته في موعدنا الأول ضمن التأملات العرفانية، والحقيقة أنّ فكرة هذه التأملات تندرج في مسار طويل سلكته ضمن التأمل والتدبر، آخذاً بالأمر الإلهي ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفُرْقَانَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ فكان من جنى ذلك شيء من الحكمة والمعرفة والعرفان، وتدرّج في تزكية تروم الإحسان، وإن كان الأمر منوطاً بمسافات شاسعة لا يدركها العبد الضعيف المُقِرُّ بذنبه وعيبه، ولكنها محاولات وقبسات من عبق حب للصالحين وزيارات لهم، ومن عبق تعلق بأستار المحبة الإلهية وصلوات على نبي الأمة الهادي البشير النذير، وكذا محبة لآل بيته ومحبة لصحبه ومحبة لأنبياء الله وخلق الله الطيبين. ووجد القلب في ذلك فسحةً، والعقل أيضاً، ليقول كَلَيْمَاتٍ مِمَّا دُونًا فِي كِتَابِ الدُّعَاءِ وَالشِّفَاءِ وَالتَّحْصِينِ وَالصَّلَوَاتِ، وكذلك كُتِبَ الْحِكْمَةُ (كتاب <<إشراقات>> و <<وصايا المعلم>>)، وكان قبل ذلك رحيل في أرض الله وتدوين لموسوعة <<البرهان>>، وغيرها من المجاميع العلمية التي كان فيها نظر عميق في كتاب الله.

أسباب صعوبة الطريق

والحقيقة التي يجب أن أعترف بها أن الدّرب كان شائكاً جداً، لسببين أساسيين:

1. السبب الأول يعود إلى **صعوبة تحقيق التاريخ والنظر التحقيقي الجاد** فيما بين يدينا من موروثٍ، سواءً من السنة النبوية، أو من تفاسير القرآن العظيم، أو من نظر في التاريخ نفسه، إذ يعترف كلّ منصف بوجود إسرائيليّاتٍ في التفسيرات القرآنية حالت بين المسلمين وبين عظمة هذا القرآن وهذا الكتاب العظيم. وهذه الإسرائيليّات مما جلب كعب الأخبار ووهب ابن منبه، في تفاسير القرآن وفي الروايات الإسرائيليّة التي دُسَّت دسّاً أو أُخِذَتْ بغير عنايةٍ وغير تمحيص، ولا يمنع من وجود خيرٍ كثيرٍ كبيرٍ فيما اجتهد سلفنا الصالح من علماء وأفذاذ هذه الأمة. وكذا إشكاليّات التاريخ إذ أنّ التاريخ كُتِبَ غالباً بأيدي الحكام وأذئاب الحكام، فزيّفوا الكثير من الحقائق، ودوّنوا الكثير من الأباطيل، ونسبوا بعض ذلك إلى رسول الله أو إلى أصحابه، وهذا أيضاً يحتاج نظراً وتحقيقاً على طريقة ابن خلدون.

2. والإشكالية الثانية تمثّلت في **رهانات الواقع**: إنّ الناظر في حال الأمة اليوم وحال إسلامها يجد أنّ الإسلام الذي نعيشه في واقعنا مصاب بالكثير من الأدواء المؤلمة والمؤسفة، لا أتكلّم عن الإسلام كما نزل وحياً من ربّ العالمين على رسول الله وكما طبّقه النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، بل أتكلّم عن نسخةٍ للإسلام جلاها المسلمون بتصرفاتهم فظلموا الإسلام الحقيقي بإضافة إسلامات أخرى ليست مُطابِقةً للنص الأصلي. فإسلام الأزارقة في البدايات (وهم من الخوارج) كان إسلاماً وهمٍ وقتلٍ، ومعلومٌ أنّ الإله نَفْسُهُ يُتَّخَذُ من دون الله الحقيقي آلهةً مزيفةً ﴿اتَّخَذَ إِلَهُهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللهُ عَلَى عِلْمٍ﴾. وكذا الإسلام، فإنّ تجلّيات الإسلام على الناس أجمعين من بعض المسلمين أساءت للدعوة للإسلام نفسه، فإذا كان بعض المسلمين مثلاً لا يحترمون الوقت وليس للوقت قيمةً عندهم، ولا للعمل والإتقان فيه، وإن كان كل ذلك من لبّ وجوهر الإسلام الذي حثّ على احترام الوقت والمواعيد وحثّ على الإتقان في كل شيء وأوصى رسول الله بذلك، ولكنّ بعض المسلمين يفترطون فينسب التفريط الذي يقوم به المسلمون إلى تفريطٍ في الإسلام نفسه.

ونفس الأمر إذا كان هنالك خُزعبلات منسوبةً للنبي يُظهر العلم بُطْلانَها، يتخذها أعداء هذا الدين للتشكيك في الدين نفسه، وهنا يُقال للشّباب: [عليك أن تختار بين العلم وبين الدّين] وهي مقاربةٌ ومفارقةٌ وضعوا فيها المسيحيين قبل ذلك، لأنّ الكنيسة قد أضافت وزيّفت وحرّفت من كلام السيد المسيح، وعندما خرج إليها غاليليو وكوبرنيكوس والعلماء، قاموا بقتل جاليلي وقاموا بحرق الكثير من العلماء والعالمات بحجة الشعوذة، ثم اندكّ كلّ ذلك بعد الثورة الفرنسية والثورة العلمية، ونتج عنه أن يخرج علمٌ مُلحدٌ وفلسفةٌ وضعيَّةٌ هدمت الدّين حتى قال ماركس أنّ "الدين أفيون الشعوب". وهذا يُطبّق اليوم على الدين الإسلامي، بحكم أنّ هذه الثورة الرقمية وهذه الكتب الرقمية جعلت المعلومات

لدى الجميع، ويُدْرَس بعضهم ما يوجد في الأحاديث من مسائل يظهر أنّ مَثَلَهَا مُزَيَّفٌ، فيُنسب ذلك إلى النبي ويُنسب ذلك إلى الله ويُنسب ذلك إلى الإسلام، وعلى ذلك يكون حُجَّةً لِلْمَلَا حِدَةٍ في إخراج شباب المسلمين من دينهم وتَرْهِيْدِهِمْ فيه.

ثم يَظْهَرُ على الجانب الثاني مَخْرَفُونَ، متطرّفون، واهمون، ناطقون بما لا يفهمون، وهؤلاء يُسيئون لِلدِّينِ أيضاً. من مظاهرهم ما ظهر من تنظيمات إرهابية، ومن قتلٍ وتفخيخٍ وتفجيرٍ، وتكفيرٍ لعموم المسلمين والإنسانية جمعاء، ومن اعتداء لا مبرّر له ولا موجب له بغير وجه حقّ على الآمنين من أبناء الأوطان مثل ما حدث للإيزيديين في العراق وفي غيرها، وكذا تكفير الصوفية كافةً، ولَيْسَ كان في الصوفية من يُسيء إليها من الداخل، ولعلنا نتكلّم عن ذلك في أحد تأملاتنا العرفانية. من أساء من أهل التصوف للتصوف ونطق باسمه كاذباً على أهل الله وعلى طريقتهم، وادّعى أنّ الطريقة والحقيقة غير الشريعة، وأنّ التصوف خروج عن الكتاب والسنة، ونطق بأنّ الله يحلّ فيه حُلُولَ شيء في شيء، كل هذا هَزْطَقَاتٌ لا تعني تصوف الأفضال والأقطاب الأوائل الذين بَتُوا دينهم على الفقه والكتاب والسنة وقالوا أنّ **من خرج عن الكتاب والسنة فهو ليس في طريقتنا بشيء**.

وكذا الذين يتكلمون بالخُرْعَبَلات ويتكلمون بالخرافات ويسئون إلى النبي الكريم الذي كان أعلم أهل وقته، وهو أعلم البشر من أول النشأة إلى آخرها، والذي أطلعه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى على غوامض وأسرار، بل أُسْرَى وَأَعْرَجَ به إلى قابِ قوسين فشاهد ورأى واطّلع وعلم وفهم، فكيف يُعقلُ أن يقول كلامٌ فيه جهل بالكون أو بالتكوين، أو يُثبِتُ الزمن ضده، أو يُثبِتُ العلم عكسه، أو يُبيِّنُ المنطق والقرآن نَفْسُهُ أنّ هذا الكلام باطل؟ **فكلّ ما خالف نص القرآن والمنطق والعلم يجب أن يُعاد النظر إليه إمّا تأويلاً وإمّا دحضاً بالكلية**، وكل هذا أسيء به أساساً لهذا الدِّين العظيم.

تحطيم الحاجز المذهبي

وأنا عندما أتكلّم عن عظمة هذا الدين، فلست في ذلك مادحاً بمجرد الانجراف الهوائي وانجراف الهوى والتعصّب والانتماء إلى هذا الدِّين، لأنّي ناقشتُ الكثير من أهل الأديان وسافرتُ في أرض الله، فحطّمتُ الحاجز المذهبيّ أولاً، لأنّ مذهبي لا يعني أن يكون سجنًا وقالبًا جامدًا يستنقص غيري من أهل المذاهب سواءً من مذاهب أهل السنة أو كان من أتباع مذهب آل البيت أو المذهب الإثنا عشري والجعفري أو الإباضية والزيدية. وكذا مَصَيِّنًا خارج ذلك إلى الأديان من مسيحية ويهودية وصابئة مندائية، وكذا بعض المدارس المسيحية كالمارونية والآشورية والأقباط، ثم بعض الديانات الأخرى مثل الديانة البوذية والهندوسية، والتي ولئن نقول نحن كمؤمنين موحدّين عنها أنّ فيها الكثير من الخروج والانزياح عن المعنى الحقيقي للتوحيد، ولكن يجد الباحث فيها بعض الحكمة ويجد في أهلها الكثير من التأمل والتدبر والمعاني التي بقيت من عقب الديانة الأولى التي نزلت والتي كانت بأنبياء ظهرها في تلك الأرض، ثم حرّف الشيطان وحرّف البشر والنسيان من ذلك قليلاً قليلاً، ولكنّ **الإنسان المسلم الواعي ينظر إلى الناس بنظرة فيها**

الكثير من الاطمئنان إلى الله وباللّٰه وفي الله وعلى الله، وبذلك يُحاوَر ويُناقش ويُحاوَلُ إثبات وجهة نظره دون تعصّبٍ ودون تكفيرٍ، بل إنّه ينظر إلى الآخر المختلف عنه في الدّين كأمّةٍ حواريٍّ وموعظةٍ ودعوةٍ، فلعلّه يدعو بدعوة تجد قُبُولاً، لأنّ الدّاعي إذا أساء الدعوة أثار ذلك في ما دعا إليه. وعليه، فإذا ظهر في أوروبا شخص يمسك خنجراً أو يمسك سلاحاً وهو يُكبّر وينطقُ باسم النبي، لن يُقال هذا الشخص في ذاته، بل يُنسب ذلك إلى الدّين كله، وهذا من مرامات ومقاصد الذين يُفعلون هذه المسائل.

التدبّر والعرفان مهمّان لفهم الدين

وعليه، فإنّ التأمل والتدبّر والعرفان والإحسان أمور مهمة جداً لكلّ من أراد أن يفهم هذا الدّين، لأنك إذا دخلت إلى هذا الدين بمجرد أتباع آبائك وأجدادك أخذته كما هو ضمن الموروث، وإذا أخذته كما هو ضمن الموروث ولم تدرسه، لم يتبيّن لك ما أضيف وما كان أصيلاً وما كان فيه إضافةٌ إثراءً أو إضافةٌ تحريف. فعلى سبيل المثال، لم يُنكر أحدٌ من علماء السلف مسألة التوسّل برسول الله، ولكنّ ابن تيمية، في تأثرٍ بمدركة القراء اليهودية، وفي قصة طويلة بيّنتها في أطروحة الدكتوراه عن التصوف الاستراتيجي، ظهر بفكرة إنكار التوسّل بالقطعية، وأنّ العلماء قبله بعضهم قال يجوز التوسّل برسول الله في حياته، وبعضهم قال بعد وفاته، ولكن لم يُحكم على المتوسّلين مثلاً بالشركية وبأنهم يعبدون من دون الله، وكذا من توسّل بالصالحين. فبدأت من تلك المرحلة تحريفات كبيرة جداً وعميقة جداً، ومن هذا أيضاً التّجسيم، بدأ بعض الحنابلة المتأثرين - كما قلت - ببعض الروايات التي صاغها مثلاً كعبُ الأحرار فيما دون، ومعلومٌ أنّ بني إسرائيل جسّموا الله وذكروا أنه استراح بعد أن خلق السماوات ووضع رجلاً فوق رجل، وأنّه بكّي بعد الطوفان حتى رَمَدَتْ عيناه وغيرها من المسائل، أخذ بعض الحنابلة على سبيل المثال (مع احترامنا للسادة الحنابلة وكان شيخنا الشيخ عبد القادر الجيلاني إماماً للحنابلة في وقته)، أخذ بعضهم ذلك، ثمّ أضاف إليه ابن تيمية الكثير من التجسيمات، حتى ذكر ابن بطوطة أنّه قال "ينزل الله من السماء إلى الأرض كنزولي من منبري"، ونزل درجتين! وهاج المسجد حينها وحدثت مشكلة كبيرة، ثمّ سُجن بإجماع علماء وقته، وهذا ملف يطول شرحه. وأخذت تلك العقائد التجسيمية والتكفيرية تتسرّب حتى تجددت بعد ذلك مع دعوة النجديّ ثم مع من أخذ منه ذلك الأمر. واليوم نجد مراجعات من أبناء هذه المدرسة السلفية الذين يُراجعون هذه المسائل، نحن نُسرُّ بذلك ونُريدُ أن نحاوَرهم في ذلك.

وكذا دخل على بعض الصّوفية خرافاتٌ وخرعبلاتٌ، من بينها الحلول في فهمه السقيم، ومن بينها وحدة الوجود، ومن بينها نسبة أمور إلى المشائخ فيها خروجٌ عن أصولِ الدّين نفسه، ومن بينها التركيز على الروحانيات الوهمية والمنامات وغيرها من المسائل والجفوة مع العلم والجفوة مع الفقه. وكذا أخذ بعض الفقهاء تصلّب شديد في مواجهة هذا التيار التركوي المهم، الذي انطلق منذ البعثة المحمّدية في نسخته المحمّدية، وانطلق منذ آدم في نسخته الآدمية عندما تلقّى ﴿مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ﴾، هذه التركيبة التي سُمّيت تصوّفاً بعد ذلك، قيل "أبو يوسف الصوفي" من أبناء القرن الثاني هو أوّل من تلقّب

بذلك، وقيل أنّ الحسن البصري ذكره والإمام مالك، وهذا أيضاً ملف للتحقيق. ولكنّ هذا التصوّف التّركوي أسىء إليه من بعض الجهلة والحمقى والمُتاجرِين بدماء أولياء الله، وهؤلاء أقاموا الحُجّة للمكفرين للتصوف وقالوا: "انظروا هؤلاء كيف يتصرفون ويفعلون، هؤلاء هم المشعوذون".

وكذا مثلاً في مذهب آل البيت أو أتباع آل البيت، وإن كنتُ أعتقد أنّ إطلاق مذهب "أتباع آل البيت" على الشيعة حصراً فيه تجنُّ أو بعض التجي، بحكم أنّ الإمام أبا حنيفة أخذ علمه من الإمام جعفر الصادق، وكذا الإمام مالك، وأنّ أتباع المدرسة السُّنية يُوالون آل البيت إلّا من شدّ منهم ومن كان على مدرسة يزيد ومن كان على مدرسة النواصب لآل البيت. ولكننا عندما قرأنا على علمائنا الزواتنة وعن علماء الأمة الأَخيار، الإمام الشافعي ماذا قال في محبتهم، إبراهيم الريحاني ماذا قال في محبتهم، وغيرهم من الأئمة والأعلام، وجدنا أنّهم يُوالون آل بيت النبي ويحبون آل بيت النبي، رغم أنّهم لم يُرگزوا على المسائل الخلافية في تدرجاتها منذ السقيفة إلى ما بعدها. ولكن أساء أيضاً إلى هذه المدرسة الموالية للإمام علي بعض المنسويين إليها، بالتطير وبكثرة اللعن وبنوع من الكراهية والحقد الذي لا يليق بأتباع مدرسة قامت على المحبة والفاء والتضحية والإيمان، وهذا يُدسُّ بطريقة مدروسة من بعض الدول للتشويه وإبعاد الناس عن محبة آل البيت ولتشويه محبّتهم، ولأنّ الأمر مدروسٌ بعناية يحتاج أن يُجاب عنه بعناية.

وفي هذا الإطار، يتقاطع المبحث الذي نحن فيه مع المباحث الإستراتيجية والإستشرافية والتحليلية، ويتقاطعان معاً ضمن سُمومٍ معرفي يُراد منه أن يُفكر المسلم وأن يتدبّر وأن يكون واعياً بواقعه فاهماً لماضيه مستشرفاً لمستقبله، وأن تكون لديه تلك النظرة والقدرة على الفهم وعلى العلم وعلى الأخذ بالأسباب المعرفية.

مُدارسات عرفانية

وسوف أناقش معكم فيما سيكون من دُروس إن شاء الله ومحاضرات، ولا أقيم نفسي مدرساً، إنّما أناجيكم وأتأجى معكم، ولعلّ بعضكم، والأکید أنّ الكثير يفوقني علماً وفهماً وقرباً من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ولا أُرِي نفسي، وأنا الذي كما قال السيد المسيح "الإنسان لا يملك إلا ذنوبه" لا أملك في الحقيقة إلا ما جمعت من ذنوب، وهو ما كتبت نفسي على سِجّلي، ولكنّ كل حسنة فهي من الله، وكل معرفة فهي من الله، وهذا الكلام الذي ننطقه به لولا نور ومحبة وسر من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لَمَا تَمَكَّنَ الإنسان من قوله، ولكنّ حامل الذهب ليس هو الذهب، وإن ظنّ أنه هو الذهب رحل فما آب، وسافر وذهب، لأنه يضيع بادّعاء أنّ السرّ الذي فيه هو ذاته، وهذا فتن به إبليس نفسه لأنه اغترّ بالسرّ الذي أودعه الله فيه بأنّ خلقه من نار وخلق آدم من طين. إنّما نحن نعلم أننا عباد، وأننا مهما علمنا فنحن لم نعلم إلا قليلاً قليلاً، وأننا مهما ترکّينا ومهما بذلنا ومهما سجدنا لله سبحانه وخضعنا، فلم نبلُغ نقطةً من بحر الكمال المحمّدي والنور الذي كان عليه، وكان عليه كذلك آله وأصحابه والأنبياء والصالحون والرّبّانيون قبل ذلك والصالحون

بعد ذلك، الَّذِينَ عَبَدُوا وَسَجَدُوا، وَعَلَى اللَّهِ بِالْمَحَبَةِ وَقَدُّوا، وَبِالْحَقِّ شَهِدُوا وَعَلَى الْحَقِّ شَهِدُوا، وَشَاهَدُوا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مَا شَاهَدُوا مِمَّا أَظْهَرُوا وَمِمَّا كَتَمُوا.

فهذه إذًا مُدَارَسَاتُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ فِي مَسْأَلَةِ عِرْفَانِيَّةٍ، وَبَعْضُ يَظُنُّ أَنَّ مِصْطَلَحَ الْعِرْفَانِ مِصْطَلَحٌ شِيعِيٌّ، هُوَ فِي الْأَصْلِ مِصْطَلَحٌ إِسْلَامِيٌّ، وَذَكَرَهُ الْكَثِيرُ مِنْ أَقْطَابِ التَّصَوُّفِ الَّذِينَ كَانُوا عَارِفِينَ عَنِ اللَّهِ وَعَارِفِينَ بِاللَّهِ، فَهَمَّ عَرَفُوا عَنِ اللَّهِ الْأَشْيَاءَ، وَعَرَفُوا عَنِ اللَّهِ الْمَعَارِفَ، وَعَرَفُوا بِاللَّهِ كُلَّ شَيْءٍ، وَعَرَفُوا اللَّهَ فِي النَّظَرِ فِي خَلْقِهِ، وَعَرَفُوا خَلْقَهُ بِسَرِّ عَنِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فَحَدَّثُوا عَنِ الْحَضْرَةِ، وَتَنَعَّمُوا بِالنَّظَرَةِ، وَكَسَتْ وَجُوهُهُمْ نُضْرَةً، فَكَانُوا شَاهِدِينَ بِالْحَقِّ وَشَاهِدِينَ عَلَى الْحَقِّ وَمَعَ الْحَقِّ يَدُورُونَ حَيْثُ دَارَ، وَهَمَّ مَعْقُودُونَ فِي سِلْسِلَةٍ مُتَّصِلَةٍ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ، وَهُوَ يُمَسِّكُهَا بِيَدِهِ وَيَهْتِزُّ قُلُوبَهُمْ كَهَزِّ السَّيِّدَةِ مَرْيَمَ لَجْدَعِ النَّخْلَةِ يُسَاقِطُ رُطْبًا طَرِيًّا، وَكَذَلِكَ هَذَا الْقَلْبُ الَّذِي يَهْتِزُّ بِالْمَحَبَةِ، وَإِنْ كَانَ الْجَدْعُ خَاوِيًّا وَإِنْ كَانَ هَذَا الْجَدْعُ مَيْتًا، وَلَكِنْ هَذِهِ الْمَحَبَةُ تَحْرِكُهُ، فَيَنْطِقُ كَلِمًا طَيِّبًا وَيَتَأَمَّلُ فِي الْمَعَانِي. فَالْعِرْفَانُ مَعْرِفَةٌ لِلَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وَقَدْ يَتَوَازَى مَعَ الْإِحْسَانِ كَمَا يُدْرِكُهُ قَلَّةٌ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ الَّذِينَ عَبَدُوا اللَّهَ كَأَنَّهُمْ يَرُونَهُ، فَإِنْ لَمْ يَكُونُوا يَرُونَهُ فَهُوَ يَرَاهُمْ، كَمَا كَانَ فِي نَصِّ السُّؤَالِ الْجَبْرَائِيلِيِّ لِسَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ عَنِ الْإِحْسَانِ وَالْجَوَابِ الْمَحْمُودِيِّ الَّذِي يَسْتَحِقُّ الْكَثِيرَ مِنَ الدِّرَاسَةِ، وَقَدْ قَالَ أَقْطَابُ التَّصَوُّفِ أَنَّ التَّصَوُّفَ فِي تَعْرِيفِهِ إِحْسَانٌ، وَإِنْ كَانَ أَوَّلُهُ تَرْكِيَّةً.

وليس هذه التأمّلات العرفانية في الحقيقة تأملات صوفية فقط، وإن كان التصوف عقبه بعض منها، ولعلّ البعض يشمئزّ من هذا اللفظ، ربما لسوء ما ظهر من بعض أدعياء التصوف، أو لسوء ما تشرب فيه من أدعياء التمسلف، وبين الضفتين هنالك تيهٌ وضياح. وكذلك سوف نناقش في مسائل عرفانية نجيب فيها على زعماء الإلحاد، وقد كنا أجبناهم من قبل في برنامج تلفزيوني وفي كتاب كتبناه عن ذلك. سنتكلم عن العلم والقرآن، نتكلم عن إعجاز العلم للقرآن الذي مازال إلى اليوم، عن إشارات في القرآن العظيم تبين أموراً بدأ العلم في تبيانها، مثل مقادير الزمن، مثل انبعاث المكان أو جسر أينشتاين-روزوين ﴿أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾ كيف انطوى المكان طيًّا، مثل نظرية الزمان والتفكك الزماني أو نسبة الزمان ونسبته في قصة العزيز الذي لم يتسنّه طعامه وتحول حماره إلى رميم ثم أراه الله آيته، وكثير من الكوامن التي اكتشفناها بمحض الفضل الإلهي، وكثير من أمور لم نجد لها في كتب من سبقنا ولكنها إشراق في القلب، وأنا على يقين أنّ الشمس الإلهية تشرق بأنوار جديدة مستمرة مستجدة في كل فترة، لا تخالف ما سبقها ولا تناقض ما لحقها، ولكنها تتكامل معه. فليس الإنسان بآية نبوة جديدة ولا آية بفهم أعظم من فهم رسول الله ومن فهم القرن الذي كان معه، ولكن الله يكشفُ فهو مآجد تليق بالزمان والمكان والعصر، فنحن في زمنٍ طغت فيه المعلومة وطغت فيه الأرقام وطغى فيه أيضاً الملاحظة يتكلمون أنهم طردوا الله من عوالم الفيزياء - كما قال ستيفن هوكينغ - كما طرده داروين وريتشارد دوكنز من عوالم البيولوجيا، وسنجيبهم بهدوء ونناقشهم بهدوء.

خاتمة

وعلى هدوء وسكينة وسلام سنرحلُ في هذه التأملات، هي مؤانسة أولى وتحية أولى إليكم، ضمن هذا الباب العرفاني المتدفق الفيّاض في قلبٍ يعشق الله ويحبّ رسوله وآل بيته ويحبّ أصحابه والصالحين، ويحبّ أنبياء الله وملائكته، ويحبّ كل خير عند الله سُبحانَهُ وتعالى ومن الله سُبحانَهُ وتعالى ويحبّ خلقه، وهذا منتهى ما يقدر عليه هذا العبد الضعيف الحقيق، الذي يعلم جيداً أنّه يأتي ببضاعة مزجاة في كل شيء، إلا قلباً نقياً يُلقى به في يَمِّ بحر الجمال والكمال إلقاء سيدنا موسى للعصا، فإذا بهذا العبد الذي عصى يكون حياً يسعى كما صارت العصا حياً تسعى، نسعى معكم إن شاء الله في هذه المؤانسات القادمة، فإلى الأسبوع القادم والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

الحاضرة بتاريخ: 14-09-2020



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

التأمل الثاني: في معرفة الله ﷻ - الجزء (1) -

مقدمة

الحمد لله الذي خلق الإنسان وعلمه، وناجى موسى وكلمه، ونجّى حبيبه محمداً وسلّمه، والصلاة والسلام على من صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، خير من هدى الناس وخير من علم، وأشرف من عن الله تكلم.

السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته، في هذه المحاضرة الأولى ممّا عزمنا على تسميته **بالتأملات العرفانية**، وكثراً فيما سلف (الأسبوع الماضي) أظننا هذه المحاضرات والتأملات ضمن أطرها المعرفية والعرفانية، والتي نروم من خلالها فتح بعض الآفاق في علوم العرفان، وشيء من العقيدة ومن التزكية ومن المعرفة، ضمن منطلق علمي يحاول أن يقترب أكثر فأكثر من نقاء المعرفة، من صفاء العرفان، ومن مقام الإحسان. وطبيعي أن هذه التأملات ربّما نمضي فيها أحياناً إلى مسائل نقدية في التاريخ والنصوص، ولئن كان ذلك مبحثاً محفوفاً بالمخاطر والأشواك وبالمواقف والمواقف المضادة، ولكن لعلنا نرسم بهدوءٍ منهجاً ييسر على من أراد الفهم أن يفهم.

ولا نروم من وراء ذلك أن كل من سيتابعنا أو أن كلّ النَّاس سوف تمضي خلف هذا النهج الفكري، إنّما نقدّم عُصارة وخُلاصة عملٍ بحثي طويل وخُلاصة تأليفاتٍ كثيرة، لا ندعي فيها الكمال ولكن نُوقن أنّ فيها شيئاً من التكامل ومن الجدية وأنها قابلةٌ للنقاش وللتطوير وللنقد، ومن ظهرت علينا حجته عدلنا إلى رأيه، وكذلك من ظهرت له حجتنا فليحاول أن يفهم رأينا، لا أن يعدل إليه ولكن أن يفهم وجهة النظر التي نقدّمها بإخلاصٍ ومحبةٍ وصدقٍ وبصفاء قلبٍ وطيب خاطر. نحن لا نقوم بهذا العمل من أجل أيّ غايةٍ إلا أنّنا نخدم هذا الدّين وأننا نُقارب مُقارباتٍ منطقيّةٍ عقلانيّةٍ في المعقول والمنقول، إذ لا أرى شخصياً أية إشكالية بين العقل والنقل، إذ أنّ العقل هو مقصد النقل، فلو لم يكن الإنسان عاقلاً ما

خاطبه الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** ولا بعث إليه الأنبياء. والجفوة التي أوجدها بعضهم بين المعقول والمنقول أو بين العقل والنقل هي جفوة وهمية، **إِنَّ رَفُضَ الْعَقْلِ هُوَ رَفُضٌ لِلنَّقْلِ**، بحكم أَنَّ الَّذِي أَتَى بِهَذَا الدِّينِ، الَّذِي أَوْصَلَ إِلَيْنَا هَذِهِ الرِّسَالَةَ، **كَانَ أَعْقَلَ الْعُقَلَاءِ**، ووجّه خطابه لمن يعقلون، فعقل عنه من يعقلون، وترك الجاهلون دينه وهديه ومضوا في آفاق أخرى، ولإن كان هؤلاء أيضاً لديهم عقول محددة في مساراتهم التجارية والحياتية ولكنها لم تكن عقولاً حقيقية، كانت ربما نوع من العقال، العقل يعني أيضاً التقييد، نوع من القيود نحو المادة، وسيطرت عليها النفس فصاروا يرون وهم لا يرون، يسمعون وهم لا يسمعون، ويفكرون ربما قليلاً ولكن لا يعقلون، لا يستطيعون أن يميّزوا، وهنا الفرق المصطلحي بين العقل واللّب في القرآن الكريم وبين مسائل كثيرة مثل القلب والفؤاد وغيرها، ربما تأتي مرةً لذكر هذه السياقات.

المحاضرة الأولى أردناها في موضوع يجب أن ننطلق منه، ولا يمكن لنا أن ننطلق في التأملات العرفانية دون أن نطرق هذا الباب، وهو باب **معرفة الله ﷻ**.

المعرفة: المعاني والمعطيات

وبدائية المعرفة لها معاني كثيرة، بعضها يتعلق بكل ما هو ثقافي فكري، المعرفة الإنسانية، المعارف البشرية، وهذه المعارف نتجت عن خبرات وامتزاج بين ثقافات وعلوم وتجارب، ولدت معارف محدّدة لدى شعبٍ ما لدى شخصٍ بعينه، هي مزيجٌ بين تجربته وعلمه وثقافته. والثقافة تمتدّ إلى آفاق كثيرة منها المادي، منها اللامادي، منها ما يتعلق بالعادات والتقاليد، منها ما يتعلق بما قرأ الإنسان، بما سافر واستكشف إلى غير ذلك، المبحث الثقافي مبحث طويل وعمق ومعقد، وهو مبحثٌ علميٌّ بحثيٌّ مهم. وكذلك التجربة، التجارب لديها قيمة، وأيضاً العلم، **والعلم هو نورٌ يقذفه الله**، نور من الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** في مفهومه الأوليِّ ومفهومه الأساسي، ولكن الإنسان يعتقد مثلاً أنّ العلم ناتج عن تراكم تجاربه وعن بحثه واستقصائه وغير ذلك من الأمور، أو من تنظيره أيضاً والتفكير النظري، وكلاهما بابان لعلم من العلوم، مرحلة من العلوم، هي مرحلة تستكشف الكون تستكشف الإنسان، ولكن هذه العلوم أصلها كله من عند الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**.

ولذلك ثلاث معطيات أساسية:

الأولى أنّ الله علّم الإنسان ما لم يعلم، فإذا رفض بعض البشر اليوم وجود الله وحقيقة أنّ الله علّم الإنسان، يمكن أن نناقشهم بمسألتين:

1. أن العالم قابل للتعقل والفهم، ولولا ذلك ما فهم وما نتج عن ذلك بحث وعلم، وأن العالم فيه تهيئة ما قبلية لإجراء هذه التجارب والاستكشافات والبحوث والقياسات الرياضية والفيزيائية والكيميائية وغيرها.

2. أن هذا الإنسان نفسه لولا أن وجدت لديه قابلية عقلية منطقية تحليلية تجريبية جدلية وتوقُّ للإستكشاف ورغبة في المعرفة، ما كان استطاع أن يكون له أي علم، ولا استطاع أن يتطور خطوة واحدة.

وهذه العلوم مرّت بمراحل تاريخية، مرّت بغوامض، فقَدَ الإنسان فيها الذاكرة فترات ثمّ استعادها أو استعاد شيئاً منها، ظهرت حضارات تطورت جداً ثمّ اختفت، وظهرت بعدها حضارات أخرى، حتى بلغنا هذه الحضارة التي فيها امتزاج بين جهود علماء المسلمين الأوائل الذين طوّروا الكثير من العلوم والمعارف في الطب والرياضيات والفيزياء والكيمياء وغيرها والهندسة وسواها، كالبوزجاني والرازي وابن الجَرَّار والخوارزمي وابن الهيثم وسواهم وابن سينا وابن رشد كذلك في مجال الفلسفة والفكر. وجانب ثاني أنهم أيضاً طوّروا بأجيال من العلماء تنطلق من ثورة كوبرنيكوس وغاليليو إلى ما بعد ذلك، نظريات نيوتن وفكر داروين وإنجيلز وغيرهم، حتى نصل إلى ثورة أينشتاين العلمية وما بعدها (النسبية وما بعدها). فهذه كلها إذاً مسائل تُناقش ويمكن أن نَطْرُقَ فيها أبواب كثيرة لفهم حقيقة هذه المعرفة وهذا العلم.

وعليه، فإنّ المعرفة نوعٌ من التَّحَقُّق، نوعٌ من التَّيَقُّن، نوعٌ من طرق باب الكُنْه والمعنى، نوعٌ من النزوع إلى الفهم. المعرفة في بداياتها نوع من النزوع إلى الفهم، لولا هذا النزوع وهذه الرغبة في الفهم وفي التَّعْرُف ما نتجت معرفة، ولذلك ﴿جَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾ يصبح هنالك معرفة بين شخص وآخر بعد عدم وجود معرفة مسبقة، يعني وجود تقاطعات معرفية حول جوانب من أزمنة مختلفة، قصص الأجداد، ماضي هذا الشخص، مجد ذاك الشخص، كيف عاش، أين انتقل، إلى غير ذلك.. هذه التقاطعات تُولِّدُ إذاً معارف معيّنة. وكذلك التقاطعات بين الأمم وبين الشعوب، حتى عبر اختلافات زمنية، التقاطعات التي حدثت بين الأمة الغربية وبين مستكشفاتنا الحضارية البابلية المصرية وغيرها، أدَّت إلى تطورات فهمية معيّنة، أنتروبولوجية معيّنة، أدَّت إلى نوع من المعارف والمعرفة التي وُظِّفت بطرق أو بأخرى.

مفهوم الألوهية في فكر هذا الزمان

الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الْيَوْمِ فِي عَصْرِنَا الْحَالِي كَمَصْطَلِحٍ، لا نتكلم عن ذات الله جل في علاه، ولكن مصطلح **الألوهية**، يشهد نقاشات حادة جداً، وهي على وتيرات ثلاث:

الوتيرة الأولى: الذين يعتقدون في وجود الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، هم في خلافٍ بين أهل الأديان حول هذا الإله، هل هو أبٌ وأمٌّ؟ أو أبٌ وأمٌّ وروح قدس؟ هل هنالك صلة قرابة؟ هل هنالك إلهان: إله نزل وإله بقي، أو تجلّت الألوهية الكبرى على ربِّ أصغر، هل ذلك بأيّ معنى من المعاني؟ هل أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مُجَسَّد

مُجَسَّم كما يوجد في التلمود والتّوراة؟ هل لديه جسد كما ادّعى أيضاً المجسّم من هذه الأمة (وما زالوا يدّعون)؟ هل يجلس في السماء على العرش؟ هل العرش كرسي أو نوع من المكان الموضوعي الذي يحتوي الله سُبحانه وتعالى فيجلس عليه جلوسنا على الكراسي؟ وهل هو في السماء انضواءً وانضماماً كما نحن في الأرض وفي المدينة وفي الغرفة، أم أنّ ذلك نوع من الجهل بالله سُبحانه وتعالى؟

وكذلك المسألة الثانية: تتعلق بما ادّعه بعض أدعياء المنهج الصوفي أو ادّعى عليهم آخرون من خارج مدرستهم، فهناك احتمالان، وهذا يحتاج إلى بحث وتحقيق وتدقيق، أنّ الله يحلُّ في الكون، وأنّ هنالك وحدة وجودٍ وحلولاً واتحاداً وتماهياً ويحلُّ في بعض خلقه، وهذا غير بعيدٍ عن دَعَاوى أخرى لدى ديانات كثيرة كالهندوسية وسواها، وأنّ كلّ شيء إله أو أنّ الربّ منضوٍ في كل شيء، كما بعض الأفكار البوذية، بعض أفكار عقيدة الشنتو، حول هذه الهَيولة التي تساءل فيها الفلاسفة الأوائل، كيف نُسج العالم، وهل يتصلُّ الربُّ أو الخالقُ بالعالم اتصالاً محسوساً ملموساً.

والمسألة الثالثة: وهي ظاهرة جداً في عصرنا الحالي وربّما تمثل طفرةً وتطوراً غير مسبوق، وإذا بحثنا في تاريخ الإلحاد لن نجد بهذه الضراوة الحالية، نجد أنّ بعضهم ادّعى الألوهية لنفسه مثلما فعل فرعون أو أراد أن يرى الربّ الحقيقي وأن يقابله ﴿فَأَوْقَدْ لِي يَا هَامَانَ عَلَى الطَّيْنِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى﴾ ولكن لا نجد هذه المناهج الإلحادية بهذه القوة، ولا نجد لها تاريخاً في الحقيقة، منذ المدرسة الوضعية ومنذ ربّما بعض ردّات الفعل على الكنيسة والتي قد جسّدها تحديداً ماركس في قوله أنّ "الدين أفيون الشعوب"، وظهرت الموجة الإلحادية في الإتحاد السوفييتي بشكل عنيف ودموي، وتمّ سحق المعتقدين وتدمير الكنائس والمساجد وغيرها ممّا فعله ستالين وقبله لينين. المهم أنّ هذه المسائل ظهرت بشكل أكبر اليوم ضمن من سُموا بفرسان الإلحاد الأربعة ويترأسهم دوكينز، وأنا تكلمت عنه كثيراً من قبل.

ظهور الموجة الإلحادية

وهذه الموجة الإلحادية في حالة زيادة، وظهرت خصوصاً أواخر سنة 2006 وبدأت في حملات قوية جداً، حتى أنهم صاروا يكتبون "لا وجود لإله" على الحافلات في لندن مثلاً، على سيارات الأجرة، في واجهات المباني، يخرجون في برامج، يُنتجون أفلاماً كثيرة. لم يقتصر الأمر على السلسلة التطورية الداروينية التي صارت وكأنها حتمية علمية وحقيقة مطلقة رغم تهافتها وتناقضاتها، الإنسان كان -لا أقول قرداً، ربّما البعض أو داروين لم يذكر أنّ الإنسان أصله قرد، ولكن إنجيلز ذكر ذلك فيما بعد- ويتكلمون عن أنّ نظرية خَلق آدم وحواء مجرد كذبة لا يُصدّقها العلم وأنّ هنالك أدلة تسلسلية، وهذا ربّما نناقشه في محاضرة أخرى، هل التشابه الجيني مثلاً بين الشمبانزي والإنسان إلى نسبة 90% يعني أنّ الإنسان والقرد لهما نفس الجد، أم أنّ الإنسان والقرد لهما نفس الخالق؟ وذلك الخالق خلق جعل بصمات جينية تشابهات جينية في الكروموزومات، تشابهات متقاربة إلى درجة عجيبة، ولكن الشمبانزي شمشانزي، والإنسان إنسان، وبينهما فروق عديدة في كلّ شيء !! فهل هذا يعني وجود بصمة خالق واحد استطاع

بهذه القدرة العظيمة أن يجعل ملتقيات نقاط التقاء في الكوامن الجينية في الحمض النووي، ولكن رغم ذلك أنتج ذلك كائنات مختلفان تماماً، هذا عاقلٌ وهذا غير عاقل، هذا ناطقٌ وهذا غير ناطق، هذا بَنَى حضارة وهذا لم يَبْنِ شيئاً يعيش في الغابات، وهذه الكمية الكبيرة من الأنواع والسلالات الحيوانية وكذلك من الأعراق البشرية المختلفة والحضارات وغيرها وانتشارها في هذا الكوكب. إذن الأمر في اعتقادي وفي اعتقاد من يؤمن بالله أن الأمر دليلٌ على وجود خالقٍ واحد، ولا يدل على وجود جدٍ مشترك لم يُعثر عليه ولن يُعثر عليه، إنما يأتون بمستحثاتٍ لكائناتٍ قديمة ما قبل آدمية وكائناتٍ أخرى ويقربون الجماجم ويجعلون سلسلة... ومن قال لك أن آدم هو أول نوع بشري؟! ﴿إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن طِينٍ﴾ يعني أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى نَوْعٌ مَّيْزُ كَائِنَاتٍ أُخْرَى مَا قَبْلَ بَشَرِيَّةٍ أَوْ شَبَهَ بَشَرِيَّةٍ أَوْ بَشَرِيَّةٍ قَبْلَ آدَمَ الَّذِي خَلَقَهُ مِنْ طِينٍ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ، فَنَحْنُ سَلَالَةُ آدَمِيَّةٍ، وَلَا يَعْنِي أَنَّ الْأَرْضَ وَأَنَّ الْكُونَ لَمْ تَكُنْ فِيهِ حَيَاتَاتٍ أُخْرَى وَكَائِنَاتٍ أُخْرَى ﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾. إذن الملاحظة أيضاً اشتغلوا وعملوا كثيراً على نفي الألوهية.

إشكاليات حول مفهوم الألوهية

أعيدُ ترتيب الأفكار حتى يتسنى فهمها ببساطة

1. الإشكالية الأولى حول الإله وطبيعته: هل هو مفردٌ أم متعدّدٌ؟ هل لديه شيءٌ منه من سلالته كما يُظنُّ؟ أو أنه نزل الكون إلهٌ وبقي فوق هذا العالم إلهٌ؟ (وهذا يخص المناقشة مع الفكر المسيحي). هل هو هذا الإله العظيم هل هو مجسّمٌ؟ [بكي الربُّ في طوفان نوح حتى رمدت عيناه.. بنى السماوات في ستة أيام وفي اليوم السابع استلقى على ظهره ووضع رجلاً فوق رجل] كما يوجد في التوراة ونقله البعض إلى الإسلام، واندس ذلك من عقيدة مدرسة الفراء اليهودية ومن غيرها في الفكر التيمي والفكر المُجسّم عموماً (ما قبله وما بعده).

2. وهل أن مسألة وحدة الوجود وتماهي الإله في المخلوق وغير ذلك، ما هي أطرها؟ هل فعلاً قال ذلك مثلاً ابنُ عربي أو عبد الغني النَّابُلُسي كما نُسب إليهما أم أنّهما بَرَاءٌ من ذلك؟ وهذا ناقشناه في أطروحة الدكتوراه وأثبتنا بالدليل العلمي أن ذلك نوعٌ مُعَمَّقٌ في الوضع والدس والتحريف، وهنالك كلام آخر يعني ذلك كلياً من أفواه هؤلاء العلماء العارفين بالله.

3. وختاماً مسألة الإلحاد: الذين يَنفُونَ وجود الخالق باستعمال العلم. وقال ستيفن هوكينج العقل الكبير في العلوم الكونية، للأسف ابتلي بمرضٍ في جسده، ولعله تمّ خداعه تمّ استغلاله، كان في بدايات كتبه معتقداً مؤمناً موقناً، ولكن فيما بعد ربما صُحِبته مع نيل ديغراس تايسون، هذا سنناقشه في الكتابات وكذلك ربّما في محاضرات نناقش فكره، صاحب نظرية أن "الربّ مجرد سدّ للثغرات وأن العلم يسدّ هذه الثغرات تماماً" وفي تصريح آخر بعد ظهور تصوير للسفن الفضائية في قناة CNN يقول أن "العلم يكتشف نطاقاً وكلّ مرة يظهر نطاقات أوسع من الجهل"،

وهو تناقضٌ تهافتٌ في كلامه. المهم أنّ هوكينج قال أنه "جاء دوري لِأُسَدِّ الضربة القاضية لِإِلَهِ وَأُظْرِدَهُ من عوالم الفيزياء، كما ظَرَدَهُ داروين من عالم البيولوجيا" وأخرج نظرية الأكوان المتوازية، وأنّ الكون يمكنه أن يخلق نفسه بفعل الجاذبية دون حاجة لِإِلَهِ.

إذن هذه المسائل مهمة جداً، وأرجو أنّ تقوموا ببعض البحوث فيها، وإن كنتُ كتبتُ عنها كثيراً، وهناك تجدون مادة علمية كبيرة على المواقع وعلى هذه الشبكات التي للأسف تُستغلُّ في الفساد ولا تُستغلُّ فيما ينفع الناس، غوغل صوّرت مئات الآلاف من الكتب بجميع لغات العالم وهذا غير مستثمر، ولكن تجد أنّ الناس اليوم يمضون إلى أمور أخرى تدمر عقولهم وتدمر أنفسهم.

1. في معرفة الله ضمن هذه التحديات الأساسية التي فيها التجسيم وفيها ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ إذاً فيه مسألة هل أنّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فَرْدٌ صَمَدٌ لم يلد ولم يولد أم لا؟ هل الله جسم هل هو في الكون هل هو جالسٌ في السماء على العرش؟ وكما قال التيمي: يمدّ رجليه ويُسمع له أَطِيطُ كَأَطِيطِ الرَّحْلِ الْجَدِيدِ وَيُنزِلُ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا بِذَاتِهِ، ونُسب لِابن أبي زيد القيرواني (مالك الأصغر) أيضاً قول كذلك "أَنَّهُ جَالِسٌ بِذَاتِهِ عَلَى الْعَرْشِ" وهذا أيضاً من الإفتراءات التي نُسبت لهذا العلامة الكبير التونسي الزيتوني القيرواني والذي كان ابن خالة محرز ابن خلف ولي تونس المعروف وكذلك أبي إسحاق أشبنياني الرجل الصالح الكبير المشتهر في بلاد إفريقيا.

المهم، والمسألة الموالية مسائل الوضع في هذه، إشكاليات الحلول ووحدة الوجود وغيرها، ثم مسألة الإلحادية التي تُهاجم بشراسة، والحقيقة **تُناقش بالعلم**.

وللأسف يعني مع إحترامنا لمشائخنا، فإنّ عدم التركيز على العلوم الكونية والبيولوجية، ودراسة كتب هؤلاء وفهم فكرهم ومناقشتهم من نفس الأبواب المعرفية، هذا شكّل نوعاً من القصور في الردود عليهم. فهؤلاء لا يُردّ عليهم مثلاً بأحاديث أو آياتٍ قرآنية، يجب أن ندحضهم علمياً من نفس الباب، ثم نأتي بعد ذلك بالحديث وبالآيات القرآنية. وقد استثمر هؤلاء كثيراً في الأحاديث الموضوعية، في الأحاديث التي نُسبت زوراً إلى رسول الله، والتي يظهر من مَتْنِهَا أَنَّهَا فاسدة أنّها باطلة دون مناقشة السند والجرح والتعديل ومسألة رجال هذا الحديث وُضِعْفُهُمْ وكذبهم وافتراؤهم أو صدقهم إلى غير ذلك (تسلسل الرواية)، إنّما يُنظر في المتن. فالمتن إذا خالف القرآن الكريم وخالف المنطق وخالف اكتشافات العلم، ولم يُستطع أن يُؤوّل مهما حاول الإنسان تأوّلَه، فهذا أمرٌ يجب أن يُعاد النظر فيه. مسائل في الكون، مسائل حول الشمس حول القمر، حول التاريخ، حول الحضارة، حول الإنسان، مسائل لا يمكن أن تكون صحيحةً، مسائل حتى حول الإله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، حول الملاحم، حول يوم القيامة، أنّ الله يضع رجله في النار وأنّه يكشف ساقه للأنبياء فيسجدون وأنّه يأتي للناس على غير شكله الأوّل ثم يغيّر شكله، هذه الأمور يعني لا أريد أن أخوض فيها، لأنّ البعض ربّما يجد أننا إذا شككنا في حديثٍ واحدٍ هدمنا كلّ الأحاديث، وهذا أيضاً غير صحيح، غير صحيح!! يجب أن تُناقش الأمور بهدوء وبتؤدّة وبعلم، وأن نعلم أنّ هؤلاء يُخرجون الناس ليس من المذهب بل من الدّين كلّهُ باستخدام الأباطيل والأراجيف والإسرائيليات التي نُسبت إلى رسول الله في كتب السنة، في كتب الحديث.

هذا مبحثٌ مهمٌ جداً وعلى غاية الأهمية، ومهما تهربنا منه فإنّ زمن الثورة المعلوماتية، توفر المعلومات لدى الجميع، عدم القدرة على تكميم الأفواه، عدم القدرة على السيطرة على المعلومة، تجعل الشباب يصطدم بهذه المسائل. وهؤلاء الملاحدة لديهم خُبراء ولديهم أشخاص على دراية عالية جداً يستثمرون في ذلك، فيثبتون بطلان دين كامل من خلال حديث مزيف يرفض البعض أن يتخلى عنه لأجل هذا الدّين ولأجل إنصاف هذا النبي العظيم الكريم الذي كان وما زال وسيبقى أعلم خلق الله باله وخلق الله، نبيّ عظيمٌ كريمٌ علّمه ربّه ولقّنه ولقّاه ورقّاه. وهذا النبي الحبيب سافر في رحلة الإسراء والمعراج التي إذا قرأناها (وإن شاء الله سنرجع إليها) نجد فلماً من أفلام الرّعب، وكأنّ الله أراد أن يرعبه، كلّها عذابات ومشاهد فظيعة، فظيعة جداً، حول عذابات الناس وحول الناس في جهنم وإلى غير ذلك. في حين أنها كانت رحلة مواساة بعد فقدته لعمه ولزوجه، رُكْنَيْهِ الأساسيين عمّه وزوجته التي آزرته، وعمّه الذي حماه وآزره وربّاه. بعد هذا الفقد في عام الحزن تأتي هذه الرحلة لرؤية أعاجيب الكون، لرؤية أعاجيب الخلق. أين ما رآه رسول الله من هذه الأعاجيب العظمى؟ أين ما رآه رسول الله من هذه الأكوان العظمى؟ أحدنا لو سافر بسفينة فضاء لرأى الأعاجيب في هذا الكون، مرصد هابل وكيببلر وغيرهم يرسلون إلينا صور غريبة جداً من هذا العالم البديع الجمال المتّسع الشاسع، وكلّ هذا في إطار سماء واحدة، فكيف بالسموات الأخرى؟ لا يُعقل أنّه يطرق جبريل الباب فيُستفتح له، أيّ باب هذا الذي يُطرق؟! هذه ثقب سوداء وعوالم ونجوم نيوترونية وطاقات جذب عالية وطاقات مَعْنَطَة وطاقات ضغط، حتى أنّ الأرض لو صُغِطت في نجم نيوتروني صارت بحجم سنتيمترين فقط. هذه الأمور وما بعدها وما بعدها وما بعدها للأفق الأعلى، هذه الجمالات والكمالات التي اطلع عليها الحبيب المصطفى حتى يصل إلى ما بعد سدرة المنتهى وما بعد ستر الكبرياء إلى قُرب عرش الرحمن، هذه الأمور لعلّه لم يحدث بها إلا قلّةً، وقال أنا فقط أُسري بي ثمّ عرج الله بي إلى السماوات، ولعلّه فصّل، ولكن ما يُوجد بين أيدينا هو فلم رُعب ولا يمكن أن نقبل أنّ هذا ما حدث حقيقةً مع رسول الله وأنّ الله فقط أراه هذه الأمور التي جاء محدراً. هو جاء مبشراً وجاء بالحب وجاء بالودّ من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وبالرحمة المهداة ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾. هذان قوسان أفتحهما، والمسائل كثيرة وربّما الوقت أخذنا.

2. فالمهم ما أردتُ قوله في باب معرفة الله أنّنا نواجه تحديات كبيرة تفرض علينا أن نعرف ماذا يقول الذين يُشككون في الألوهية أو الذين يجسّمون الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، الذين يتكلمون بتشدّقات. حتى بعض جهلة المتصوفة ظنّوا أنه فعلاً ابنُ عربي كان يعتقد في أنّ الله يتحد بالإنسان، أو أنّ أبا يزيد البسطامي لما قال "سبحاني ما أعظم شأنِي" أو أنّ الحلاج قال "ما في الجبة إلا الله" أنّه يعني ذاته، وهذا من باب كما دافع الجنيد عن أبي يزيد البسطامي قال: "مجنون ليلى عندما سألوه من أنت؟ قال أنا ليلى، قال هذا من باب وجده بالله"، وأيضاً الإمام الغزالي في كتابه <<مشكاة الأنوار>> وهو آخر كتاب ألفه وكتّنا كتبنا دراسةً عنه وكان في تفسير آية النور، تكلم أيضاً باستفاضة عن ذلك.

3. والمبحث الثالث هو الإطلاع على ما يقوله الملاحدة والرّدّ عليهم في مسألة تشكيك الناس والشباب خاصةً في وجود الإله، ومعلومٌ أنّ غاية الإلحاد ليست الشك في وجود الخالق، هم لا علاقة لهم، هم يعتقدون في وجود الخالق، دراسة نفسية أوروبية غربية أثبتت أنّ الملاحدة يخافون الله بشكلٍ كبير جداً، أنّهم وَضَعُوا لهم مجسّات، وعندما يُنطق اسم الإله، يُصابون

بالدُّعر الشديد. هم يعرفون حقاً، لا وجود لمخلوق لا يعرف أن للكون خالقاً. الإنسان إذا كان في بحر، تضع هندوسي وبوذي وملحد ومن جميع الديانات، وإذا جاءت عاصفة سيدعون الله الواحد الأحد **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، يقولون جميعاً "يا الله"، بعدها كلُّ يمضي، هذا يقول شيفا، وهذا يقول رام، وهذا يقول بوذا، كلُّ سيقول قول، والآخر سيقول لا وجود لإله، بعد أن يُنجِّيه الله من تلك العاصفة، وهذا ذُكر في القرآن الكريم.

خطورة العقيدة التجسيمية

فالمسألة إذاً مسألة مهمة جداً في عمقها المعرفي وفي عمقها الذي يُرام من خلاله فهم معطيات فرضها علينا الواقع، وفرض بذلك إشكاليات عسيرة جداً. لنتكلم عن الأمة الإسلامية: كل القتلة الذين يعملون وينشطون في المجموعات الإرهابية هم مجسّم في العقيدة، هم ليس فقط جسّموا الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** وتشرّبوا ذلك الفكر (وهو أصله فكر يهودي)، إنّما جسّموا الله ورسموه بصورةٍ حاقِدٍ، ناقِمٍ، لا يعرف الرحمة، ولا يجد الحبّ لقلبه باباً (إن جازت عبارة القلب)، ورسموا منتقماً، غاضباً، كارهاً، وهم أيديهِ وجُنوده، كما رسموا نبياً ضاحكاً قتالاً ذبّاحاً جاء للناس بالدَّبْح. لم يرسموا صورة الله الذي قال "من أتاني **كنتُ له الحبيب ومن جفاني كنتُ له الطبيب**" "ولا يزال عبدي يتقرب إليّ حتى أحبه" وآخر الحديث معروف، وكذلك نبياً رحمةً مهداة "إنّما أنا رحمةٌ مهداة"، ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ ، ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ إلى غير ذلك من السياقات التي تصوّر العظمة الإلهية. نعم الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** جبار منتقم، ولكن دورنا نحن كعبادٍ أو عبيد، دورنا أن نكون أبواب رحمة وأن ندعو بالرفق بالموعظة الحسنة. الله أمر نبيه موسى ونبيه هارون أن يُلْگمّا فرعون قولاً ليناً، أمر نبيّين عظيمين كريمين سيدنا موسى وسيدنا هارون **عَلَيْهِمَا السَّلَامُ** بأن يقولوا قولاً ليناً لفرعون الطاغية الأظغي في كتاب الله، ولعلّه الأظغي في التاريخ البشري، المدّعي الألوهية المفسد سقّاك الدّم، هذا المغتصب للنساء إلى غير ذلك، أمر الربُّ **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** من يعلم يقيناً أنّه لن يتوب ولن يؤمن وأنّه سيُهْلِكُه ويُغرّقه، بالكلام اللّين. فكيف لنا أن نتكلم مع المؤمنين والأمنين والمسالمين والذين لم يحاربونا بهذه القسوة، ونقلتهم ونذبّحهم ونفجر مزاراتهم وأضرحتهم ونفجّر مساجدهم إلى غير ذلك.

فالعقيدة التجسيمية خطيرة جداً، لأنّها تصوّرتُ لله، هو صنم ولكن ليس هُبل المحدود بالحجر الموجود في ركن ما من أركان البيت كما كانت قريش تفعل، إنّما هو هُبل آخر افتراضي: هُبل خارق لديه قدرات خارقة، جالس على كرسي يمدّ رجله، له ربما هيئة شاب أمرّد (كما ذُكر) ويجلس النبي بجانبه، وبعض الأحاديث الإسرائيلية كعب الأخبار ووهب ابن منبه أدخلوا إسرائيليات تُغذّي ذلك، إذا كان يضع رجله في النار على معنى الرجل، مهما طبعاً تأوله المتأولون فالحديث ظاهرٌ أنّ فيه إشكالية كبيرة جداً، وهو في اعتقادي باطل، ولذلك هذا أمر يُناقش. وإذا قال أحدهم هذا ليس متخصصاً في الحديث وكذا، أعتقد أنّ علينا أن نُعيد النظر، لأنّ الهجوم ليس على مذهب، والهجوم ليس على كتاب، الهجوم على مفهوم الألوهية في حد ذاته، ويُخرّجُ الشباب أفواجا من هذا الدّين، حُمى الإلحاد منذ سنة 2011 في العالم

العربي والإسلامي غير مسبوقه في تاريخه، جميع أرجاء العالم هنالك ملاحظة في كل مكان في هذا العالم الإسلامي.

العلم بالله هو صراط العقل

والإلحاد دائماً يكون مُزْفَقاً بالمخدرات ومُزْفَقاً بالشذوذ الجنسي بشكلٍ أساسي، لأنَّه إذا نزعنا وجود إله، وُجود ضمير يُمسك الناس، وُجود يوم آخر، صار انعتاق كَلِّي من الأخلاق. جميع التنظيمات التي تُرَوِّج للإلحاد خلفها تنظيمات تُرَوِّج للدعارة، تُرَوِّج للفساد، تُرَوِّج للشذوذ، ولديهم منظومات رقمية، ومنظومات صوتية، ومنظومات أفلام إلى غير ذلك، تمويل كبير جداً، وهي متصلة في بعض نواحيها بالإرهاب نفسه. تجد أنَّ بعض الإرهابيين كانوا ملاحظة وشواذ ومفسدين وغير ذلك، وهذا أعرفه كخَبْرٍ، وأعرفه كعاينة، وأعرف الكثير من القصص، حتى في أوروبا هنالك ملاحظة شباب تحوّلوا إلى التنظيمات الإرهابية، لأنه انتقال من شيطنة إلى شيطنةٍ أخرى، من انعتاقٍ من مفهوم وجود الخالق إلى انعتاقٍ من مفهوم وجود الإنسان، أي الرابطة الإنسانية بين الناس.

ولذلك فإنَّ في معرفة الله وربما نحن من مقدمة لأخرى للأسف، فإنَّ في معرفة الله ليس مبحثاً سهلاً ولا يسيراً. نعم المؤمن بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى سَيَجِيبُ بسهولة أنَّ الله هو خالق كل شيء، وأنَّ الله خلقتني وخلق كل شيء من حولي، ولكن تجد أنَّ هنالك إشكاليات لدى شباب مسلم يعتقد أنَّ الله جسم، وآخرون ربما يعتقدون بحلول الله في الأشياء، دون أن نوسِّع ذلك إلى المسائل الدينية، الأبحاث المقارنة في الديانات، وهذا مبحثٌ يطول أيضاً ولا يمكن أن نفضِّه بالكلمات، نحن نناقش الجميع ونناقش بهدوء، ولكن لا يمكن أن يُفَضَّ بالكلمات، لعلَّ الله إذا أظهر رجلاً من رجاله يُتَمَّ له الأمر ويجعل له القدرة والسطوة، يمكنه أن يُقنع وأن يفرض بشكل أو بآخر ببرهان جليٍّ قويٍّ واضحٍ دامغٍ أنَّه "لا إله إلا الله".

ومعلوم أنَّ معرفة الله متصلة بالعلم بالله، وقد ألفت في كتابي <<البرهان>> ضمن المقدمة في الجزء الأول، موسوعة البرهان وهي موسوعة هامة نرجو من الله أن يبسرَّ طبعها وإظهارها للناس، رسمنا وتكلّمنا عن العلم بالله، وتكلّمنا في منهج العلم بالله عن مسألة "اقرأ" ولماذا القراءة ﴿أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴾ وفيها التخصيص والتعميم إلى غير ذلك من الأمور. وأنَّ العلم بالله هو صراط العقل، وأنَّ كل علم لا يُؤدي إلى العلم بالله هو علمٌ ناقصٌ أو علمٌ فاسد، كل علم لا يُؤدي إلى العلم بالله علمٌ ناقصٌ أو فاسد. العلوم الكونية والفيزيائية كلها إذا اكتملت تُؤدي إلى معرفة الخالق، لذلك أحد علماء الفيزياء قال بأننا نقرب من اللاهوت الفيزيائي، إنَّ العلوم كانت تكشط على الطبيعة كشطاً والآن بقي جدار شفاف خلفه الرب، ويتكلمون عن الإله الذي نكتشفه فيزيائياً وعن مسائل في الكون ومسألة العقل الأسمى أو الذكاء الأسمى التي يناقشها الكثير أيضاً من العلماء، تبين أنَّ هذه العلوم لو أنها اكتملت ستؤدي حتماً إلى وجود خالقٍ. ولو أننا ناقشناهم في العلوم الكونية ولعلَّ هوكينج أصاب من حيث أخطأ، هو قال أنَّ "الكون لا يحتاج إلى خالقٍ إنما يخلق نفسه بالجاذبية"، لأنه عندما حاول الدمج والجمع بين القوة النووية الشديدة والضعيفة والكهرومغناطيسية مع قوة الثقالة لم يستطع، هو هذا حلمه نظرية

إم هذه كانت حلم حياته إلى يوم وفاته، وحتى أنشتاين حاول التساؤل حولها. ولكن ما سنكشفه مثلاً من خلال المعارف القلبية والعرفانية أنّ الأصل هو الجاذبية، المادة السوداء سابقة للإنفجار، وهذا إن شاء الله مفاجأة علمية سنكشفها في إطار كُتبتنا عن المسائل الكونية وعن مسألة خلق الكون وغير ذلك من الأمور. وللأسف الكتب كثيرة والتأليفات كثيرة وما في العقل والقلب والوجدان كثير، هي فيوضات من فيوضات، وكلها بذرة قطرة من رحمة أهداها الله سبحانه وتعالى من معين علمه الذي لا ينتهي ولا ينضب، ومن التدبّر في القرآن العظيم، ومن باب المحبّة وطرق أبواب الحبّ وأبواب محمّد وآل محمّد وأبواب الصالحين من أحبابه وأصحابه والسابقين واللاحقين.

العارفون بالله والعارفون عن الله

المهم أنّ هذه المسائل كلها تؤدي بالضرورة إلى فهوم كثيرة مكثّفة، تستطيع من خلالها أن تطمئن بعد هذه الفهوم إلى أنك ترسم منهاجاً في معرفة الله متصل بالعلم بالله ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ وهو أمر إلهي، العلم بالله يجب أن نعلم الله ثم نعلم عن الله، أن نعرف الله ثم نعرف عن الله، وقد قسّمت بين العرفانين في كتابي <<إشراقات>>:

• العارفون بالله عرفوا الله بالأشياء، فهم لا يرون إلا الله حيثما نظروا.

والعارفون عن الله عرفوا الأشياء بالله، فهم لا يرون إلا بالله حيثما نظروا.

ما معناه، أنّ العارفين بالله هم الذين تدبّروا ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ﴾.

النظر: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَىٰ الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾، آيات أفلا ينظرون كثيرة في القرآن العظيم ﴿أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ﴾، ﴿وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ إلى غير ذلك من الآيات... المهم أنّ هذه الآيات تدعو إلى النظر، فإذا نظرت في الخلق أيقنت بوجود الخالق.

• إذا نظر إليك الخالق عرفك بالخلق ومن بين ما يُعرفك به يُعرفك بنفسك

إذا عرفت نفسك ﴿سَرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ﴾، إذا عرفت نفسك عرفت روحك الحقيقية تذكرت قليلاً من مشهد ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ وإن شاء الله سنعود أيضاً لشرحها ﴿أَلَسْتُ﴾، ألسنتُ تعني وجود معرفة ماضوية بالله سبحانه وتعالى عند الذين سألهم، لم يظهروا فجأة ولم ينشأوا فجأة، إنّما هنالك قصة. ﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ﴾ لما خاطب موسى، ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ تعني وجود سابقة معرفية. إذا اقتربت من سرّ ﴿أَلَسْتُ﴾ فيك، في روحك، في وجدانك، وجدت معرفة تُقربك إلى ربك في فهم ذاتك، في فهم الكون من حولك، وكل هذا سيؤدي بك إلى معرفة أعمق بالله، إلى يقين أكبر بالله سبحانه وتعالى.

المدرسة التنزيهية

ولذلك كي نخترل ولكي نَحْلُصَ إِلَى خُلَاصَةٍ فِي هَذِهِ الْمَحَاضِرَةِ الْأُولَى وَالْجِزءِ الْأَوَّلِ مِنْهَا فِي مَعْرِفَةِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، نَقُولُ أَنَا نَوَاجِهَ تَحْدِيَاتٍ حَقِيقِيَّةٍ فِي مَعْرِفَةِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ، وَأَنَّ هَذِهِ التَّحْدِيَاتِ تَخْصُ شَبَابًا مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ، بَعْضُهُمْ جَسَمَ اللَّهِ، بَعْضُهُمْ ادَّعَى أَوْ ظَنَّ أَنَّ اللَّهَ يَحِلُّ فِي الْأَشْيَاءِ، بَعْضُهُمْ ظَنَّ أَنَّهُ أُرْسِلَ مِنَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، أَنَّهُ مُخْتَارٌ مِنَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وَنَجِدُ الْبَعْضَ يَدَّعِي الْمَهْدُودِيَّةَ، وَآخَرُونَ يَدَّعُونَ التُّبُوءَ، وَهَكَذَا مِنْ هَذِهِ اللُّوْثَاتِ، وَالْبَعْضُ الْآخَرَ تَحَيَّلَ عَلَيْهِ الْمُجَسِّمَةُ التَّكْفِيرِيُّونَ وَحَوَّلُوهُ إِلَى قَاتِلٍ، وَهُوَ يَعْتَقِدُ أَنَّهُ يَعْبُدُ رَبًّا جَالِسًا عَلَى الْعَرْشِ يَظُنُّهُ جُلُوسًا، وَأَنَّ اللَّهَ فِي السَّمَاءِ بِذَاتِهِ...

وكيف كان قبل السماء وهو الذي خلقها؟

وكيف يكون الخالق في ما خلق؟

ثم كيف يكون الخالق لكل كيف مكيفاً وكيف؟

كيف الذي أوجد الحَيْثَ يُحْيِيْثُ؟

كيف الذي أوجد الكَمَّ يُكَمِّمُ؟

كيف الذي أوجد الأَيْنَ يُأَيِّنُ؟

كيف الذي أوجد الوقتَ يُوقِّتُ؟

إلى غير ذلك...

هذه أسئلة يمكن أن نَطْرَحَهَا ضَمْنَ مُنَاقَشَةٍ، نَسْتَلْهِمُهَا طَبْعًا مِنَ الْمُعْتَقِدِ الْأَشْعَرِيِّ وَالْمَاتُورِيْدِيِّ، وَلَكِنْ نَرْجِعُ أَكْثَرَ إِلَى التَّنْزِيهِ لَدَى الْإِمَامِ عَلِيِّ، ثُمَّ التَّنْزِيهِ لَدَى سَيِّدِنَا رَسُولِ اللَّهِ، لِأَنَّ عَمِيْدَ الْمَدْرَسَةِ التَّنْزِيهِيَّةِ هُوَ الْإِمَامُ عَلِيُّ الَّذِي قَاتَلَ كَمَا قَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ "تُقَاتِلْ عَلَى تَأْوِيلِهِ كَمَا قَاتَلْتُ أَنَا عَلَى تَنْزِيلِهِ". فَهَذِهِ الْمَدْرَسَةُ التَّنْزِيهِيَّةُ إِذَا رَجَعْنَا، وَإِذَا أَضْفْنَا إِلَيْهَا بَعْضَ الْمُقَارَبَاتِ الْفَلَسْفِيَّةِ وَالْعِلْمِيَّةِ، نَصِلُ إِلَى هَذِهِ الْأَسْئَلَةِ: كَيْفَ لِخَالِقِ الْأَشْيَاءِ أَنْ يُشَابِهَهَا، أَوْ أَنْ يَحْتْوِيَهُ شَيْءٌ مِنْهَا؟! فِي نِهَآيَةِ الْمَطَافِ السَّمَآءِ مَهْمَا بَلَّغْتَ فِيهِ مَخْلُوقٍ، لَذَلِكَ قَلْنَا فِي كِتَابِ <إِشْرَاقَات> أَنَّ

- كل حجم مهما بلغ فهو حجم، وكل عدد مهما بلغ فهو عدد، وكل سرعة مهما بلغت فهي سرعة، وكل زمن مهما بلغ حتى الأبد عند الله مطوي.

لذَلِكَ يُورِدُ لَكَ مَشَاهِدَ مِنَ الْأَبْدِيَّةِ، كَيْفَ أَنَّ الْمُسْتَكْبِرِينَ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ يَتَعَاتَبُونَ فِي النَّارِ ﴿قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا﴾، كَيْفَ أَنَّ أَحَدَهُمْ كَانَ لَدَيْهِ قَرِينٌ ﴿فَاطَّلَعَ فَرَأَهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ﴾، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ. كَيْفَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ، كَيْفَ أَنَّهُمْ فِي شُغْلِ فَكَاهُونَ، كَيْفَ أَنَّهُمْ عَلَى الْأَرَائِكِ، وَيَذَكُرُ أَحْيَانًا مَشَاهِدَ خَاصَّةٍ وَأَحْيَانًا مَشَاهِدَ عَامَّةٍ، عَنِ أَصْحَابِ الْأَعْرَافِ...

هذه ليست تخمينات إلهية، هذه حقائق إلهية طُوِيَتْ معرفياً صوتاً وصوراً وكياناً وذاتاً وأبعاداً. هي حقيقة مُطلقة عرفها الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَاطَّلَعَ عليها، بل قَدَّرَهَا وَقَضَّاهَا وَأَحَاطَ بِهَا قَبْلَ أَنْ يُظَهِّرَهَا، أُمُورٌ يُبَدِّئُهَا وَلَا يُبْتَدِّئُهَا، حَاشَا عَلَى اللَّهِ الْبَدَاءَ.

فكيف بالذي يطوي كل هذا أن يُطَوَى في شيء من هذا؟ وهو الذي كان قبل ذلك ويبقى بعد ذلك، وهو الذي كان ولم يكن شيء ويبقى يوم يزول كل شيء، وهو الذي خلق كل شيء فلم يساوه من خلقه شيء ولم يَعِدْ به من خلقه شيء، ولم يكن كفوًّا له مما خلق شيء ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾. تعالی الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُظَنُّ بِهِ الظَّالِمُونَ وَعَمَّا يَتَوَهَّمُهُ الْوَاهِمُونَ، وتعالى عما يقول عنه الملحدون والجاحدون والمجسمون، وتعالى عما ينطق به السفهاء والجاهلون، هو الله الذي قال للشيء كن فيكون، كُنَّا قَبْلَ أَنْ نَكُونَ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا ذَوَاتًا وَصِفَاتًا أُخْرَى، ثُمَّ خَلَقْنَا قَبْلَ ذَلِكَ، فَرَكَّبَ وَسَوَّى وَعَدَّلَ وَأَرَادَ أُمُورًا كَثِيرَةً أَجْرَاهَا، أَجْرَى فِي هَذَا الْكَوْنِ مَا أَرَادَ، وَيُجْرَى فِي أَكْوَانٍ غَيْرِهِ مَا أَرَادَ، لَهُ عَوَالِمٌ وَيَخْلُقُ مَا يَشَاءُ، يَخْلُقُ تَعْنِي اسْتِمْرَارِيَّةَ الْخَلْقِ ﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾. وهو رغم ذلك لم يُشْغَلْ بشيء عن شيء، وَلَا حَبَسَهُ أَمْرٌ عَنِ أَمْرٍ، وَهُوَ الَّذِي يُحِيطُ بِكُلِّ شَيْءٍ، وَهُوَ الْقَرِيبُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ دُونَ مُدَانَاةِ الذَّاتِ، قَرِيبٌ بِعِلْمِهِ بِسَمْعِهِ بِبَصَرِهِ، عَلَى مَعْنَى السَّمْعِ وَالْبَصْرِ عِنْدَهُ، لَهُ يَدٌ عَلَى مَعْنَى الْيَدِ لَدَيْهِ، وَلَا مُشَابَهَةَ لِذَلِكَ فِي ظَنَّنَا بِالْيَدِ عِنْدَنَا، وَلَيْسَ كَمَا يَقُولُ الْبَعْضُ "لَهُ رَجُلٌ كَمَا لِلْبَعْضِ رَجُلٌ غَيْرَ أَنَّهُ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ" هَذِهِ هَرَطَقَةٌ، هَذَا كَلَامٌ فَارِعٌ، هَذِهِ سَفْسَاطِيَّةٌ، سَفْسَاطَةٌ. هُوَ لَدَيْهِ يَدٌ لِأَنَّهُ ذَكَرَ قَالَ ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾، وَلَكِنْ هَذِهِ الْيَدُ تَحْمِلُ مَعَانِي تَأْوِيلِيَّةَ كَثِيرَةً، أَنَّ قُدْرَةَ اللَّهِ فَوْقَ قُدْرَتِهِمْ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْمَعَانِي، لَا تَعْنِي مُطْلَقًا أَنَّهَا يَدٌ مِنْ بَابِ الْحَاسَةِ، وَأَنَّهُ مَحَايِثٌ، إِذَا كَانَ فِي السَّمَاءِ فَمِنْ حَوْلِهِ شَيْءٌ، فَتَعَالَى أَنْ يُحِيطَ بِهِ شَيْءٌ، بَلْ تَعَالَى أَنْ تُذَكِّرَهُ بِعَقُولِنَا، تَعَالَى أَنْ تُذَكِّرَهُ الْأَفْهَامُ أَوْ تَتَصَوَّرَهُ الْأَوْهَامُ، هَكَذَا قُلْنَا فِي أَحَدِ الْكُتُبِ، تَعَالَى سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَنِ ادِّرَاكِ الْأَفْهَامِ أَوْ تَصَوُّرِ الْأَوْهَامِ، وَكَذَا ذَكَرَ الْإِمَامُ مُحَمَّدُ الْبَاقِرُ بْنُ الْإِمَامِ عَلِيِّ زَيْنِ الْعَابِدِينَ عِنْدَمَا سُئِلَ: هَلْ رَأَيْتَ اللَّهَ؟ قَالَ "وَيَحْكُ أَوْ أَعْبُدُ مَا لَا أَرَاهُ؟ إِنَّمَا لَا تَرَاهُ الْعَيُونَ، وَلَكِنْ تَرَاهُ الْقُلُوبُ" إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ سِيَاقِ الْقِصَّةِ، وَذُكِرَتْ أَيْضًا وَنُسِبَتْ لِلْإِمَامِ جَعْفَرِ ابْنِهِ، يَعْنِي جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيِّ زَيْنِ الْعَابِدِينَ عَلَيْهِمْ جَمِيعًا السَّلَامُ وَعَلَى آبَائِهِمْ وَعَلَى ذُرِّيَّاتِهِمْ.

والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي بَابِ مَعْرِفَتِهِ وَالْعِرْفَانِ بِهِ، يَجِبُ أَنْ نَسْأَلَ بِعِلْمٍ وَبِتَوْدَةٍ وَبِهَدْوٍ، وَأَنْ نُرَكِّزَ عَلَى الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، ثُمَّ نُرَكِّزَ عَلَى تَنْقِيَةِ السُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ الْمُطَهَّرَةِ مِنْ كُلِّ مَا فِيهِ تَجَسُّيمٌ وَفِيهِ نَوْعٌ مِنَ التَّجَيُّيِّ الْمَعْرِفِيِّ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، نِسْبَةَ قَوْلٍ لَا يُمَكِّنُ أَنْ يَقُولَهُ عَنِ رَبِّهِ، وَهُوَ الْعَلِيمُ بِرَبِّهِ بِفَضْلِ رَبِّهِ. وَكَذَلِكَ يَجِبُ أَنْ نَضَعُ فِي أَذْهَانِنَا أَنَّنَا نُجِيبُ عَنْ هَذِهِ الْمَسَائِلِ الْعِلْمِيَّةِ بِهَدْوٍ، نُجِيبُ عَنْ هَذِهِ التَّحْدِيَّاتِ، الْمَجَسِّمَةِ سَنَقُولُ لَهُمْ: كَيْفَ يَكُونُ فِي الْكَوْنِ مِنْ خَلْقِ الْكَوْنِ؟ كَيْفَ يَكُونُ فِي السَّمَاءِ مِنْ خَلْقِ السَّمَاءِ؟ كَيْفَ يُشَابَهُ الْخَلْقُ مِنْ خَلْقِ الْخَلْقِ؟ هُوَ خَلَقَ عَلَى غَيْرِ مِثَالٍ، وَلَمْ يَخْلُقْ آدَمَ عَلَى شِبْهِهِ كَمَا تَذَكَّرُ هَذِهِ الْأَرَجَائِفُ وَالَّتِي أَصْلُهَا أَيْضًا مِنَ الْإِسْرَائِيلِيَّاتِ.

والملاحظة نقول لهم أن هذا الكون نفسه يفسر لكم وجود الخالق، وأنكم كل مرة ستصفون علمياً ومعرفياً من الكروموزومات ومن النكليوتيد وما دونها من تركيبة الإنسان والحمض النووي والحمض الريبوزي وغيرها من التركيبات والتشكيلات الجينية وسواها، وهذه الطُّفُرَاتِ والتطورات، وأسرار العقل، وأسرار الحواس، وأسرار الخلايا، وأسرار النفس التي لا تعلمون منها إلا قليلاً، وقد أخطأ فرويد في مسائل

كثيرة وكان محدوداً في فهمه، النَّفسُ أعظمُ من ذلك، برمجيات عظيمة مُتناضرة فيها الخير وفيها الشرّ، من الشَّخصية، من الدِّماغ، ممّا في الدماغ وعلاقة الدِّماغ بالمخ وعلاقتهما بالعقل وعلاقة العقل باللُّب وبالجوهر وبالفكر وبالوعي، وأنواع الوعي سَطْحِيّه وعميقه، العقل الباطن والعقل السطحي والعقل العميق، وغيرها من الأمور، حتّى تَصِلُوا إلى الروح الّتي لا تعلمون عنها شيئاً. وهذه عوالم في عوالم في عوالم في عوالم، من الدِّرة إلى المجرّة، عوالم في الإنسان، الإنسان كَوْنٌ كاملٌ. ثمّ الكون من حولكم، مِنْ أَدْنَى ما تمثله في فيزياء الكَمّ من ثورة، الجزيئات التحت ذرية الّتي تُكْتَشَفُ كلّ مرّة، كلُّ جزيء يظنُّون أنّهُ جُزء فُزدي لا يَتَجَزَأ، يُكْتَشَفُ أنّهُ يَتَجَزَأ وأنّ فيه أكواناً وعوالم. وهذه القوانين الفيزيائية المذهلة، القوانين الجامعة بين المتناظرات أو المتشابهات، القوة النووية الشديدة والضعيفة، وهذه الثّقالة العظيمة، وهذا الكون الشاسع الممتد الّذي ليس سوى ذرّة من خَلْقِ الله، وليس كلُّ ما نراه إلا السماء الدنيا، لأنّها مُزَيّنة بمصابيح، أي أنّها مُظلمة، وما فوق ذلك ممّا لم يكتشف العقل طبعاً الآن وربّما يُصدم يوم القيامة، وغير ذلك من المسائل الّتي سوف تُصَفَعُ يوماً بالملاحظة.

خاتمة

ولكن ختاماً، ألم يَظْلِمُ الكثير من شيوخ المسلمين والكثير من المُتَعَصِّبين والرافضين للنقد وللعقل والرافضين للمنطق، حتّى الّذين كَفَرُوا أعلام وأفذاذ الأمة في العلوم كلّها، فقط لأنّهم يظنُّون أنّهم يمتلكون الجَنَّةَ وأنّ لديهم الحقيقة المطلقة، ألم يَظْلِمُ الكثير ممّا من مشائخ هذه الأمة وعلمائها ومحدّثيها عندما رفضوا تنقية الأحاديث والرد على الشُّبهات، ودراسة ما يَفْعَلُهُ وما يقوم به وما يقوله الآخر المختلف الّذي يَرُومُ تدمير هذا الدِّين، وخاصّةً الملاحدة والمجسّمة والمتطرفون ومن يُسَيِّرُهُم، ألم يَظْلِمُوا هذا الدِّين ويَظْلِمُوا شباب الأمة برفضهم للمراجعات الفكرية والتعمق الفكري؟ ألم يظلم الكثير من المتصوفة التصوف النقي الحقيقي، بالترّهات والخُرْعَبلات الّتي يأتون بها دون نَظَرٍ إلى أسانيدٍ وإلى أقوال كبار الأقطاب الأوائل الّذين كانوا علماء وفقهاء ومحدثين وأصحاب علم ومعرفة؟

ألم نَظْلِمُ نحن كمسلمين على اختلاف مذاهبنا بتناحرنا وبتقاتلنا هذا المنهج الرّبّاني المحمّدي؟ ألم نَظْلِمُ بتركنا لمحمّد وآله ورُكْنِهِمْ جانباً واتّباع أعدائهم، واتّباع قَاتِلِيهِمْ، واتّباع ذلك بجفوة في القلب؟ ألم نَظْلِمُ أَنْفُسَنَا بأنّ الله حَرَمَ الأمة من تلك الأنوار المتسلسلة المتألّثة الّتي لا يَدُوقُهَا من لم يحبّ محمّداً وآله، لأنّهم سفينة النّجاة وباب حِطَّة كما ذكر المصطفى، ولأنّ حَبَّهم واجب؟ ألم نَظْلِمُ الصّالحين بهجرهم وهجر علومهم، حتّى أندكّت مقاماتهم بعد ذلك على أيدي المتطرفين؟ ألم تتهدّم تلك المقامات معنوياً عندما تحوّلت إلى أماكن فقط لمجرد السُّطح والأكل والمسائل الخزعبلاتية، إلا ما رحم ربُّك طبعاً مازالت بعض المقامات عامرة بالعلماء، الأسمرية خرّجت مليون حافظ، في بغداد مقام الشيخ عبد القادر، الإمام الرفاعي وسواهم، نعم هنالك. وكذلك هنالك علماء أفذاذ في الأمة إلى اليوم لديهم جهدٌ كبير، ولكن أنكّم بشكلٍ عام، أنكّم عموماً عن الّذين يتركون هذه المسائل، نعم في الأمة علماؤها وفي الأمة أفذاذها.

وختاماً فلسطين سترجع إلى حضنها الربّاني المحمّدي بأمر الله وإذن الله قريباً، وما يجري اليوم إنّما هو تدير مُحكم من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَنْ قَالَ ﴿وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا﴾، فسيظهر التّفير الذي كان يختفي، ويتمظّهر النّفير أكثر، ويتسوّر قومٌ لوط على لوط الباب ويقربون حتى يقول ﴿لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً﴾، ولكن من خلفه في لحظة ما هنالك من سيقول لهذه الأمة ولفلسطين ﴿إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ﴾، إنّنا قائم آل البيت لن يصلوا إليك، هذا إن شاء الله سنتابعه في المسلسل الدنيوي قريباً، لمن أراد أن يفتّح قلبه سيكون حتماً، كما أنّكم تُبصرون.

والحمد لله ربّ العالمين، وإلى الأسبوع القادم لنستأنف رحلتنا في معرفة الله، والتي أعتقد ستكون دروساً كثيرة، لعلكم تملّوها أو لا تملّوها، نسأل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَنْ لَا نَكُونَ قَدْ أَثْقَلْنَا عَلَيْكُمْ، وأنّنا ناجينا قلوبكم وأرواحكم وعقولكم، ولا نُفْصِدُ فِي كُلِّ حَالٍ إِلَّا خَيْرًا، ولا نُريد أن نتهجّم على أحد، إنّما نُريد أن نبين بشفقة بمحبة لهذه الأمة وللإنسان عموماً، لأنّ المنهج الربّاني منهج سعادة الإنسان، كلُّ إنسانٍ إلّا من أبي واتّبع الشيطان، وصلى الله وسلّم وبارك على سيدنا محمّد وعلى آله، والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

الحاضرة بتاريخ: 21-09-2020



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

التأمل الثالث: في معرفة الله ﷻ - الجزء (2) -

مقدمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، الحمد لله الَّذِي دَلَّ بِهِ عَلَيْهِ، وَهُدَى مِنْهُ إِلَيْهِ، وَالصَّلَاةَ وَالسَّلَامَ عَلَى أَشْرَفِ الدَّاعِينَ إِلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ، سَيِّدِنَا وَإِمَامِنَا مُحَمَّدٍ الصَّادِقِ الْأَمِينِ، وَعَلَى آلِهِ الطَّيِّبِينَ الظَّاهِرِينَ، وَرَضِيَ اللَّهُ عَنْ أَصْحَابِهِ الْمُؤْمِنِينَ الصَّادِقِينَ، الَّذِينَ امْتَدَّحَهُمْ رَبُّ الْعَالَمِينَ، وَكَانُوا عَارِفِينَ بِرَبِّهِمْ مِمَّا عَلَّمَهُمْ رَسُولُهُمْ، وَسَلَامَ عَلَى الصَّالِحِينَ الَّذِينَ عَرَفُوا اللَّهَ بِاللَّهِ، وَعَرَفَهُمُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِأَنْفُسِهِمْ.

السَّلَامَ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةَ اللَّهِ تَعَالَى وَبَرَكَاتِهِ، نَحْنُ بِحَمْدِ اللَّهِ ضَمِنَ هَذَا الْجُزْءَ الثَّانِي مِمَّا وَسَمَّنَاهُ وَسَمَّيْنَاهُ "فِي مَعْرِفَةِ اللَّهِ".

أقسام المعرفة بالله

والمعلومُ لَدَى كُلِّ مُؤْمِنٍ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ أَنَّ الْمَعْرِفَةَ بِاللَّهِ تَنْقَسِمُ إِلَى قَسْمَيْنِ مُتَنَاقِضَيْنِ تَمَامًا:

1. فَكُنْهُ ذَاتِ اللَّهِ لَا يُمْكِنُ لِلْعُقُولِ أَنْ تُدْرِكَهُ: الْمَعْرِفَةُ بِذَاتِهِ مِنْ بَابِ التَّفَكِيرِ الْعَقْلِيِّ، مِنْ بَابِ رَسْمِ ذَهْنِي، أَمْرٌ غَيْرُ مُمْكِنٍ، ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾، مَهْمَا خَطَرَ بِبَالِكَ فَاللَّهُ غَيْرُ ذَلِكَ.

2. أما صفاته فقد أطلعنا على شيء منها وجعل من تجليات تلك الصفات في الموجودات: جعل من كائنات جبروتية، من تجليات جبروتية في النجوم، في الكون، في بعض المخلوقات، نمطاً يكشف شيئاً ذرياً من جبروته العظيم، وجعل في الرحمات التي نراها، في الأمّ بابنها، في كلّ ما زرع من رحمة في الدّواب على أبنائها ويئنها، في رحمة السماء بالأرض، في رحمة القطر والندى، شيئاً ذرياً من رحمته. **كلّ ما نراه في هذا العالم هي أشياء ذرية صغيرة جداً من صفات الله سبحانه وتعالى.** فكلّ جبروتٍ مهما بلغ ذرياً أمام الجبروت الربّاني، كلّ رحمةٍ مهما بلغت هي شيء قليل جداً أدنى من الدّرة من رحمة الله سبحانه وتعالى. وكذا الجمال مثلاً، فكلّ جمالٍ مهما بدا ومهما كان، هو شيء ذريّ أو تحت ذريّ أمام الجمال الإلهي البديع سبحانه وتعالى.

ولكن مجالي صفاته على مخلوقاته ليست على نسقٍ واحد: تجلّي الرحمة الربّانية على الدّات المحمّدية ومن خلال الدّات المحمّدية، أعظم من تجليها بيننا جميعاً كبشر اليوم، بل بيننا جميعاً كبشر منذ سيدنا آدم، تجلّي عجيب جداً لا يمكن وصفه. وكذا تجليات الجمال على سيدنا يوسف (وعلى سيدنا رسول الله أيضاً طبعاً)، وتجليات مختلفة في مجالي مختلفة، وكلّ هذا شيء إن كان شيئاً أمام عظمة الله، **قد لا يكون شيئاً أمام عظمة الله بحكم أنّ التشبيئية نوع من المقارنة،** وحاشا أن نُقارن ربّنا وعظمة ربّنا سبحانه وتعالى أن يُقارن بأيّ شيء آخر، هذا من معاني الصّمدانية. الصّمد: الذي لا كُفُوَ له، الذي لا نظير له، لا شبيه له، لا يستطيع أيّ مخلوق أن يتصوّر ذاته، ولكن كلّ مخلوقٍ له أن ينظر في تجليات صفاته العظيمة.

إذن ضمن معرفة الله سبحانه وتعالى يرِدُ علم الدّات والصفّات، وهذه المعاني كان فيها رُود على الذين شَيئوا الله جلّ في علاه، وأعني المنهج الوثني.

المنهج الوثني

المنهج الوثني هو نمط من الفكر، وللأسف يستطيع المنهج الوثني أن يقفز في مناهج أخرى، أن يتحوّل من وثن حجري إلى وثن ذهني (إلى صنم ذهني)، أو إلى نوعيات أخرى من الوثنية التي تدّعي الفلسفة على سبيل المثال التي لا ترى إلّا تمجيد كلّ ما هو وثنني صنمي، ومن جانب آخر نقد ومحاولة هدم كل ما هو إلهي توحيدية. وعلى جانب آخر أيضاً قد يتحوّل بعض الأشخاص أو يحوّلون أنفسهم إلى أصنام إلى أوّثان يُراد بشكل أو بآخر أن يعبدَهُم النَّاس من دون الله، ففرعون وما بعد فرعون ومن بعد فرعون من فراعنة آخرين إلى هذه السّاعة لديهم هذه النّظرية، أظهرُها أو لم يُظهرُها، لعلّ فرعون الأوّل كان أصدَقَهُمْ (وهو كاذب) عندما قال أنا ربّكم الأعلى، اليوم ننظر في بعضهم بعض الحكام في العالم من الطّغاة يقول أنا ربّكم الأعلى ولكن بطريقةٍ أخرى، هو يُمجّد الله ولكن في حقيقة نفسه يرى نفسه في شيء من الألوهية شيء من هذه القوّة المطلقة.

المعنى الوثني من الطُّرُق التي دَحَّضَهُ القرآن العظيم بها، هي كَلَامٌ عن ذاتِ الله وكلامٌ عن صفاته، عن علمه، عن قُدْرَتِهِ، عن كلماته الَّتِي لو أَنَّ البحر كان مِدَاداً وكلُّ ما على الأرض من شجر أقلام ما نَفِدَتْ كلمات الله، وعن قدرته على أَنَّهُ يَزُودُ كلَّ دَابَّةٍ وَيَعْلَمُ مستقرَّها ومستودعها، وَأَنَّهُ لديه رِزْقُها، وَأَنَّهُ يُخْرِجُ الخَبءَ، وَأَنَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يَرَى ما لا يمكن لعقلٍ أن يحصره من تَشَتَّتِ هذا العالم، من أذناه إلى أكبره، ولا يشغله شيءٌ عن شيءٍ. هذه المعطيات كُلُّها كانت رِذْأً على هُبْلٍ، اللَّاتِ والعُرَى وهُبْلٌ ومن كان قبل ذلك، حَجْرٌ في مكانه، لعلَّهُ في زمن ما كانت الشياطين تستطيع أن تتكلم داخل جوف ذلك الصنم فتُعْطِي بعض المعلومات لشخصٍ ما فيُدْهَلُ، كما يفعلُ بعضُ الكهنة وبعضُ المُشْعُوذِينَ، لعلَّها، ولكن في الغالب هي لا تستطيع أن تفعل أيَّ شيءٍ. وحتى إن دخلت فيها هذه الشياطين أو هذه الطُّرُق الشَّيطَانِيَّة في الاستدراج فهي محدودة مَحْصُورَةٌ. ولكن أن يكون هُنَالِكَ إله، في كل مكان، من جانب صفاته، من جانب علمه، من جانب قدرته، أيُّ أَنَّهُ يرى كلَّ شيءٍ، فهذه ال "في" أيضاً خدعت كثيرين ممن جَسَمُوا الله، ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهُ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهُ﴾ مثلاً، فَظَنُّهَا البعض "في" أيُّ أَنَّهُ انْغَمَاسِيَّة، انْغَمَاسِيَّة بمعنيين: معنى حُلُولِي (يحلُّ في العالم)، ومعنى أَنَّهُم حَدُّوه في السماء السابعة وقالوا (الله في السماء) وَأَتَوْا بحديث الجارية وغيرها من الأمور معروفة لِمَنْ قَرَأَ ذلك الفكر، وكلاهما مُنْهَجان خاطئان تماماً. اللهُ في السماء أَيُّ أَنَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى إله في السماء أَيُّ قَادِرٌ على السماء، سَمِيعٌ بصيرٌ قريب، بمعنى القُربِ عِنْدَهُ لا بمعنى القُربِ عندنا، ليس بمعنى قُربٍ مسافةٍ إِنَّمَا قُربٌ على معنى الألوهية.

فالرُّدود القرآنية لمن يتدبَّر القرآن لمن يقرأ القرآن الكريم لمن يُريد أن يَطَّلِعَ على هذه المسائل سيجدُ إِنْهَاراً، يعني على سبيل المثال خذ آية ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ﴾ هذه آية مذهلة، الإنسان الَّذِي يَدْرُسُ اللُّغَةَ وَيَدْرُسُ المنطق وَيَدْرُسُ نمط التفكير، لو أَنَّ جميع من في الأرض مكثوا وعكفوا ألف عامٍ يَسْتَنْبِطُونَ، ما استطاعوا تخيل هذه الصورة!! يعني كصورة عجيبة جداً، لا يمكن تصوُّر أَنَّهُ لو أَنَّ كلَّ الأشجار أقلام، وأنَّ البحر أو بحار الأرض كُلُّها وبعدها مضاعفة، سبعة طبعاً لا تعني رقم سبعة، تعني مضاعفة لا نهائية، سبعة سبعة مليون سبعة مليار أيّاً كانت المضاعفات، لو أَنَّها أقلام والبحر مِدَاد، وأنَّ كلمات الله لا تنفذ.

فهذه المعطيات العظيمة هذه الصور العظيمة لا يمكن أن تكون إلا ربَّانية المصدر. فأنت تتخيل تتصوَّر المُشْرِك الَّذِي يعبدُ صنماً محدوداً به، يُفَكِّرُ أن هذا يَصْرُهُ وَيَنْفَعُهُ، كيف تأتي الصدمة الربَّانية وتكسر الصنم داخل العقل، لأنَّ الإشكالية ليست في الصنم الَّذِي يُعْبَدُ، بل في الصنم الَّذِي في الدَّهْنِ. وعليه عندما زال الصنم الحجري بقي الصنم الفكري، وهو أخطر، الصنم الحجري زال في فتح مكة، الأصنام الفكرية اندست وأعانها بنو إسرائيل بالإسرائيليات وتموضعت، ودخل بعض هذه الأصنام الفكرية في بعض التفاسير القرآنية (في بعض التفاسير)، في بعض الأحاديث وهكذا، ممَّا يُجَمِّدُ الفكر، ممَّا يحدُّ من العقل، ممَّا يجعلُ الإنسان جاهلاً برَبِّه وهو يظنُّ أَنَّهُ عارفٌ بالله.

معرفة الله مرتبطة بعلم الذات والصفات

فَبَابُ معرفة الله يجب أن يمرَّ حتماً ببابِ علم الذات والصفات، وبابِ فهم هذا العلم، وبابِ الإحاطة أو شيء من الإحاطة بخصائص تناول هذه المسائل، **أن الله عظيم الذات، عظيم الصفات، لا تُدرك العقول كنهه ذاته، وتستطيع الأبصار والبصائر أن ترى تجليات صفاته، وأنه سبحانه وتعالى يقوم أحياناً بمنهج يدخض فيه ادعاءات وافتراءات الذين يكذبون على الحق سبحانه وتعالى ويكذبون على الناس، وأن الأصنام التي كانت موجودة في جوف الكعبة ومن حولها لم تنته قصبها تماماً بل صارت أصناماً فكرية، وصار بعض الأشخاص مثلاً أصناماً أيضاً، ليس من باب أنهم يعبدونهم من دون الله، ولكن هذه الأصنام تحجبهم عن الله سبحانه وتعالى. عندما تقرأ لمكفر، لمُنفر، لخزعلاتي، لشخص يرفض العقل ويرفض المنطق ويدوس على كل تطور فكري، وعلى كل نهضة فكرية، وعلى كل ثورة فكرية، وعلى كل حقيقة، وعلى كل نقاء، وعلى كل محبة، وعلى كل ما يؤاخي بين المسلم وأخيه المسلم وبين الإنسان والإنسان، ويريد فقهاً قميئاً مريضاً مليئاً بالحق والكراهية، يريد رباً على شاكلة ظنه ووهمه مجسماً كارهاً للخلق ناقماً حاقداً، يريد نبياً ذابحاً، لا يرى الجماليات الربانية.. حتى القوة الربانية فيها جمال، حتى الجبروت جبروت عظيم وجميل، ليس خسيساً، وليس الله سبحانه وتعالى في ما صورت أنفسهم من ضيق وصورت عقولهم من ضيق، كما قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ لِلْأَعْرَابِيِّ "لقد ضيقت واسعاً"، عندما قال: اللهم ارحمني وارحم محمداً ولا ترحم بعدنا أحد.**

نمطيات الفكر الضيق تؤدي إلى طريقين

فنرى أن هذه النمطيات من الفكر هذه الطرق من الفكر هي طرق تأخذ الشاب المسلم خاصة إلى طريقين لا ثالث لهما (ولعل الثالث منطوي بينهما).

الطريق الأول: أن يقبل بالأصنام التي تسربت إلى بعض الأحاديث وإلى بعض التفاسير، وربما يأتي الوقت نذكر لكم سياقات من هذا نذكر لكم أمثلة، كي لا يكون الكلام معمولاً. بعض التفاسير بعض السياقات في الأحاديث، بعض القمص التي فيها جلاء لمناقضة القرآن والمنطق ومناقضة الشخصية المحمدية، فهذه المناهج وهذه الطرق كانت مدروسة وأشرف عليها مجموعة من الأختار على مدى سنوات، تبدأ بكعب الأخبار ووهب ابن منبه الذين أدخلوا الكثير من الإسرائيليات، وتنطلق حتى مدرسة القراء وحتى ابن الراوندي الذي دخل في الإسلام وأراد إفساده وهو يهودي ودخل في جميع المذاهب، تشيع وتسنن واعتزل وتصوف، وما دخل طريقاً إلا وأراد إفساده، ابن الراوندي شخصية خطيرة جداً أقرأوا عنها، شخصية على غاية الخطورة.

وهذا المنهج مستمر في الدعوشة، في إفساد طريقة التصوف على سبيل المثال بالخزعلات وبأشخاص مفسدون، وهؤلاء ظهروا على مر التاريخ بأشخاص أصحاب عقائد فاسدة، عندما تقرأ مثلاً في تاريخ

الإمام سُخُونُ تجد أنه ردَّ على أصحاب العقائد المُنحرفة، تجد ردود مثلاً ابن أبي زيد القيرواني (مالك الصغير) على كثير من أصحاب الدَّعَاوَى الفاسدة، ومراسلات وغير ذلك، فهذه المناهج كُلُّها مازالت.

واليوم في حالة ظُفْرَة في حالة ظهور قوي جداً، فالشاب الَّذِي يُحْمَلُ على هذه المَحَامِلِ وَالَّذِي يندرجُ في عقله أو يندرجُ مع عقله هذا الفساد العقائدي، يصل حتماً إلى جوانب تكفيرية أو جوانب تَنفِيرِيَّة، عندما يرى الإنسان على سبيل المثال شخصاً يدَّعي التَّصَوِّف وهو شخصٌ مليء بالثُّرَّهَات، بعيد عن منهج الحق، بعيد عن الدِّين، بعيد عن الفقه، بعيد عن السُّنَّة النَّبَوِيَّة، لا يَفْقَهُ في العلم شيئاً، فقط يُعْمِضُ عَيْنَيْهِ وَيُخْبِرُكَ بمنامات وغيرها، وليس لديه زادٌ في علم ولا زادٌ في فَضْل، فهذا سَيُفْسِدُ طريق القوم وسَيُفْسِدُ صُورَةَ القوم الَّذين كانوا عِبَاداً نُسَاكاً فقهاء عارفين مُحدِّثين أصحاب علم، أصحاب فهم، أصحاب نظرية اجتماعية، مقارنة اجتماعية، مقاربات سياسية وعسكرية، أثروا في جميع المجالات. أفزأوا سيرة الشَّيْخَيْن عبد القادر الجيلاني والإمام الرفاعي قَدَسَ اللهُ سرَّهما الشريف (لمن جاز له أن يفهم معنى هذه الكلمة)، رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا (لمن أراد أن يقول ذلك)، هذان العَلَمَانِ ما كان دَوْرُهُمَا في إعداد جيل صلاح الدِّين وجيل تحرير القُدْس وإعداد نور الدين زنكي، مع مجموعة من الصالحين والكبار الَّذين كانوا في زمن واحد، تبدأ بِعُقُولِ المنبجي وتلميذاه: 1- رسلان الدمشقي الَّذِي مَضَى إلى الشَّام وكانت زَاوِيَتُهُ تُدْرَسُ الفنون العسكرية، و2- الشَّيْخُ عُدَيْ بن مُسَافِرِ الَّذِي مضى إلى جبال هَكَار إلى الأكراد، ومعظم قادة وُجُودِ نور الدين زنكي (الأمير العادل) كانوا من تلاميذه، وكان نور الدين يَزُورُهُ وَيُزُورُ الشَّيْخَ رسلان أيضاً. وتجد من بلاد المَغْرِب الَّذِي أسس بعد أن تتلمذ على أبي يَعْرَى ثم صار مريداً للشَّيْخِ عبد القادر، أبو مَدِينِ شُعَيْبِ الغوث في مدينة بجاية، وَالَّذِي أسسَ جيشاً وحمل معه ثلاثين ألف ذاكراً إلى فتح القُدْس، وترك من بين تلاميذه أبو علي السُّنِّي، أبو علي الشَّيْخِ نَفْطَه، وعبد العزيز المَهْدَوِي الَّذِي أرسى مجالس العرفان في مدينة المرسى وقبل ذلك في المهدية، ثُمَّ تلميذه أبو سعيد الباجي، وهذه النُّخْبَة، وحياء بن عيسى الحرَّاني، وبَقَاءُ بن بَطُّو، ومجموعة كما قُلْتُ كبيرة مهمة جداً مُؤَثَّرَة. وكذلك تقرأون معركة المنصورة ودور الشَّيْخِ أبو الحسن الشَّاذلي وكيف أسرَّ لُؤَيْسَ التَّاسِعِ، ومعه مَكِينِ الدِّينِ الأسمري، وألْعَزِ ابن عبد السلام، والمُزَيْبِ أبو العباس، وابن عطاء الله السَّكَنْدَرِي، وهكذا هؤلاء المشايخ الكرام، حتى نصل إلى دور مشايخ السُّنُوسِيَّةِ والشَّيْخِ عمر المختار، الأمير عبد القادر الجزائري، الشَّيْخِ بُوَعَمَامَةَ، وثورة أولاد سيدي الشَّيْخِ أحفاد الشَّيْخِ عبد القادر بن مُحَمَّد، وهكذا للَّذِي يريد أن يبيِّن حقيقة التصوف وأدواره يستطيع أن يقرأ عن سِيرِ هؤلاء. فيأتي هذا المُسَيِّءِ، فهو لا يُسَيِّءُ فقط لنفسه يُسَيِّءُ لمنهج كامل.

الَّذِي يُريد أن يتكلم عن السُّلْفِ وعن السُّلْفِيَّةِ، السلف الصالح أهلُ إحسان وأهلُ خير وأهلُ معرفة بالله، فيأتي بمنهج تَكْفِيرِي تَنفِيرِي يُتَقَرَّرُ النَّاسُ من الدِّين ويجعلهم يَكْرَهُونَ هذا الدِّين، وهذا أيضاً مُخَطَّطٌ له مستدرجٌ له كثيرون. حتى في مجال شِيعَةَ أهل البيت، وإن كنتُ أرى أن التشيع لآل البيت حُبُّ آل البيت هو سِمَةٌ لَدَى الْمُتَنَصِّفِينَ من السُّنَّةِ ومن الشَّيْعَةِ،

فليشهد الثَّقَلَانِ أَبِي رَافِضِي

إِنْ كَانَ رَفُضاً حُبُّ آلِ مُحَمَّدٍ

كما قال الإمام الشَّافِعِي وهو من هو. المهم أنه إذا ظهر شخصٌ مليء بالحقد والكراهية، لَعَانَ شَتَّام، ليس لديه هم إلا اللعن والشتم، فهذا أيضاً يُسَيِّءُ إلى صورة عشاق آل بيت النبي. إذا ظهر شخص آخر مُظْهَرٌ،

يَفْلِقُ هَامَهُ، يَضْرِبُ رَأْسَهُ، يُعَدِّبُ جِسْمَهُ بِطَرِيقَةٍ دَخَلَتْ مِنْ مَنَاهِجِ الزُّرَادِشْتِيَّةِ وَمَنَاهِجِ المَارُوشِيَّةِ وَمَنَاهِجِ أَتَمَنْ مِنَ الهِنْدُوسِ، فَهَذَا أَيْضاً يُفْسِدُ الطَّرِيقَ.

على جميع إذا الطوائف والمذاهب الإسلامية ومشائخهم مراجعات، لأن هذا ليس فقط يُسيء إلى فِئَةٍ، بل يُسيء إلى صورة الإسلام عموماً. عندما نجد أن المسلم لا يحترم الوقت، لا يحترم المواعيد، ليس لديه انضباط في عمله، ليس لديه إتقان، هل عرف الله من لا يتقن عمله؟! من عرف الله عرف أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بَدِيعٌ، وَأَنَّ اللهَ أَتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ وَأَتَقَنَ صَنْعَ كُلِّ شَيْءٍ، وَيُرِيدُكَ أَنْ تَكُونَ رَبَّانِي الصِّفَاتِ أَنْ تَتَجَلَّى صِفَاتِ الرُّبُوبِيَّةِ عَلَيْكَ، أَنْ تَكُونَ رَحْمَانِيًّا ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ على سبيل المثال، فهذا إذا فرع أول.

الفرع الأول هو أن تجهيل الناس بحقيقة الله وزرع هذه الأصنام الفكرية تؤدي إلى التكفير وإلى الخزعبلات، وتضيق أعمار مُريدين وشباب يأخذون من شيخ ما وهو مُرَقَّةٌ، يعيش في الرفاه، أُسْرَتُهُ فِي الرَّفَاهِ، يُلْقِي بِهِمْ فِي الجَحِيمِ هُنَا وَهُنَا، وَيُلْقِي بِهِمْ فِي جَحِيمِينَ: جَحِيمِ الدُّنْيَا وَجَحِيمِ الآخِرَةِ، يَفْتُلُونَ وَهُمْ جَاهِلُونَ، ثُمَّ يُبْعَثُونَ وَقَدْ ظَنُّوا أَنَّهُمْ أَحْسَنُوا صَنْعاً وَلَكِنْ يَجِدُونَ أَنَّهُمْ أَفْسَدُوا صَنْعاً وَأَسَاءُوا كَثِيراً.

المنهج الثاني سيؤدي إلى النفور من الدين، يقول لك الشاب: إذا كان في الدين هذه الأصنام المعرفية، هذه الأفكار الفاسدة، هذه الأحاديث التي تتجلى منها بشكل واضح مظاهر البطلان ومظاهر الإفك والتزوير والإساءة لرسول الله والإساءة للقرآن العظيم، التي تحجب عن القرآن العظيم وعن معانيه وعن أسرارهِ وعن غوامِضِهِ التي لا تنتهي، ولا يمكن لعالم ولا يمكن لكاظم أو باحث أن يحيط بذلك، لا تنتهي عجائب هذا الكتاب الذي سماه رسول الله [مَادُّةُ الرِّحْمَنِ]، لا تنتهي، ومهما كتبت وبحثت وما أخذت من قواعد العلوم الحديثة، فيزياء الكم، نظريات آينشتاين، غيرها، ستجد في القرآن -إن لم تجد علوماً واضحة- إشارات مُذهلة. والعلماء يذهلون بها لو أنهم فهموا معاني هذه الإشارات، ومعاني هذه الإشارات في الكون، في الذات في الإنسان، في التركيب، في الأبعاد، في العوالم، في الأزمنة، في الحقائق في غيرها، ممَّا لا يمكن حسره، لأنَّ القرآن العظيم مجمعٌ لمجماع كلمات الله، فيه سرٌّ من أسرار كلمات الله، لو أنَّ ما في الأرض من شجر أقلام والبحر يمدُّه من ورائه سبعة أبحرٍ، ما استطاع الناس أن يحصروا ما في القرآن من عظمة ما في القرآن من أسرار ونور.

ولكن يأتي تفسير من التفسيرات الإسرائيلية ويضرب عمق العلاقة بين قارئ القرآن وبين القرآن، لأنَّ الأمر الإلهي ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾، هؤلاء بعضهم وبعض من دسّ يضعون الأقفال على القلوب، ويضعون الأقفال على العقول، ويضعون الحواجز بين المتدبر وبين كتاب الله. فهذا سيمضي للإلحاد، يقول لك "أنا أفضل العلم". وهذه الموجة الإلحادية عندما ظهرت مثلاً في الغرب "أصدق العلم وأكذب الدين"، عندما أخذت الكنيسة وأخذ بعض متطرفيها يزيّفون من كلام السيد المسيح، وكان قبل ذلك بعض من بني إسرائيل زيّفوا كلام الأنبياء وزيّفوا التوراة، عندما ظهر غاليليو مثلاً وقال لهم أن مجرّة دَرَبُ التَّبَانَةِ هي مجرّة نجوم وليست خيوط من الضوء، وأن الأرض ليست على قَرْنِ ثور، وغير ذلك وليست على حوت، قتلوه. ولكن هل يستطيعون قتل ما يريد الله إظهاره؟! ﴿سَأْرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ﴾، فلم يستطيعوا، فاعتدروا بعد 600 سنة من غاليليو.

وهكذا نحن نُعاني من نفس الشيء، إلى اليوم هُنَالِكَ من يرفض حقائق في الأرض، حقائق في الكون، ويقول لك لا هذه بدعة وهذا ضلال وهذا كُفر وهذا فُجور، ويأتيك ببعض التأويلات السَّمجَة والأحاديث الموضوعية وَيَضَعُهَا أمامك، وحتى يُسَفِّهَ هذا الدِّين ويريد أن يُسَفِّهَ أحلام النَّاس، وفي النَّهاية الشباب يقول لك: "أنا أختار العلم". وهكذا تجد بعض المُهَرِّطِيقِينَ، وحتى في بلدي تونس، أدعياء التَّفَلُّسُف، وكِبَار أدعياء كِبَار الفلاسفة، فيلسوف تونس الأول، وفيلسوف تونس الثاني، يقول لك مثلاً أن "السَّعادة ليست للمؤمن، بل هي للوثني"، وأنه "لو أنَّ الفلسفة تَهْزِمُ الموت لَتَزَعَّتْ الدِّين"، وهذا كلام فارغ ونَرْدُ عليه فلسفياً أيضاً، كلام فارغ، مجرد هَرَطَقَات تُزَيِّنُ الإلحاد، قُلَّهَا وأنت على دينك، قل أنا مُلْحِد أنا أو من بالشذوذ أو من بالإلحاد، مُفْسِد، قَدِمْتُ لهدم هذه المبادئ والأديان، لا تقل لي الديانات الإبراهيمية موضوعة، وأنا أو من ربِّما بالربِّ قَبْلَ الديانات الإبراهيمية، هذه كَلَّهَا خُرْعَبَلَات نعرف من أين أتت ونعرف من قالها قبلكم، ويردُّ عليهم. وكل زمن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يُظْهِرُ من رِجَالِهِ من يُجِيبُونَ عن هذه المسائل، ومن يُفْجِمُونَ أصحاب هذه الدَّعَاوي سواءً بالفلسفة بالمنطق بالعلم بالفيزياء بالجينات بما تريد، الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في كل فترة له رِجَالُهُ الَّذِي ذكر عنهم الإمام علي قال "حدثهم في عقولهم وناجهم في قلوبهم"، أو قالها سيدنا رسول الله "كان في الأمم من قبلكم مُحَدِّثُونَ يلقون الذكر وما هم بأنبياء"، مُحَدِّثُونَ أي لديهم هذه التَّوْرَانِيَّة الرِّبَّانِيَّة لِتَجْلِيَةِ الحقائق.

وهذا قوسٌ نَفْتَحُهُ، وسوف نذُكْرُهُ ونجْلِيهِ في محاضرات نُخَصِّصُهَا في الرَّد على هذه المسائل، إن من باب الفكر والفلسفة والإستراتيجية، أو من باب العرفان وباب الدِّين وباب العقيدة. فهذه الأمور أعتقد في زمن ثورة المعلومات، في زمن توفُّر المعلومات لدى الجميع، تستطيع أن تدخل تحصل على المَدَوْنَة كُلَّهَا وتقرأ وتجد ما فيها، وتجد الرُّدود تجد النَّاس كيف تَرُدُّ. ومشكلة مثلاً في مسألة الرُّدود عن الحديث أنه الَّذِي في جانب الحديث يقول لك "هؤلاء جميعاً قرآنيون أو مُهَرِّطُقُونَ"، ولا يَرُدُّ رَدّاً علمياً مقنعاً. لا، يجب أن تَرُدَّ علمياً ويجب أن تعرف أن الدَّسَّ موجود وأنه لم يقل أحد أن هَ أَبْرَأَ بِشَكْلِ كَلِّي وأنه اختار بشكل كَلِّي، هي اجتهادات. ثَمَّة أحاديث ظَاهِرٌ في متنها أنها حقيقية، لأنها تُجَسِّدُ الشخصية المحمَّدية، لها تلاؤم مع القرآن العظيم، لها أخلاقيات، وثَمَّة أخرى ظَاهِرٌ بُظْلَانُهَا ولو أنَّ سندها يكون يعني سلسلة من الذهب كما يُظَنُّ، ولكن ثَمَّة خُدَعٌ داخلية يجب أن يُتَنَبَّهَ إليها، وهذه أعتقد معركة طويلة المدى، ربِّما قصيرة المدى لو أظهر الله ما أراد إظهاره، ولكن نحن نُشِيرُ إليها إشارةً، ونمضي ونُكْمَلُ في مسيرتنا العلمية.

خاتمة

ختاماً، إن معرفة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يجب أن تُنْقَى من كلِّ الأصنام الفكرية أو الأصنام التاريخية، أي أنك يجب أن تتعامل مع هذا النص العظيم، مع هذا القرآن العظيم، ومع الأحاديث النبوية الشريفة بروحانية عارفة بالله، لأن معرفة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى نور في القلب. لا يعني ذلك أنك ستأتي بفقهِ جديد أو بمذهب جديد، هذا لا نقوله، لا يعني ذلك أنك تستغني عن سلفك، وتستغني عن علماء الأمة، وعن صحابة رسول الله وعن آل بيته، لا، هذا ليس صحيح. الذين يأتون بدعوة، نحن نأخذ مباشرة نمضي نقفز إلى رسول الله، لا، أنت تتدرج في منظومة فقهية ومدارس ولديها علماء وأقطاب، وفهموا مسائل كثيرة أكثر منّا، ربّما نحن في مسائل التكوين مثلاً لدينا فهمنا، ولكن هم فهموا مسائل كثيرة أكثر منّا، وأكد أنهم أقرب إلى رسول الله، إلى المعين الصافي، إلى المنبع النقي، وأننا مدينون لهم، وأنهم سابقون بالإيمان والإسلام، ولولاهم ما وصلنا هذا الدين العظيم.

فَمَعْرِفَةُ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى تُنْقَى بهذا الشكل، وبتلك الطريقة يمكن أن نصل إلى أبواب علم الذات والصفات وإلى معرفة أكبر بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، سنكمل في سِرِّ أَعْوَارِهَا وفي فهم بعض معطياتها في المحاضرة والمحاضرات القادمة، حتى نُقَدِّم صورةً لسبيلٍ نحو معرفة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لا يَشُوْبُهُ شوب، ليس فيه تجسيم، وليس فيه خوف من أن تَسْقُطَ في الإلحاديات وتَسْقُطَ في الهزطقات، وبعضهم يقول لك مثلاً: نُؤْمِنُ أَنَّ اللَّهَ موجود، ولكن بعد أن خلق الكون ابتعد عنه، آخرون قالوا: لا، الخالق موجود ولكن الديانات باطلة، الأنبياء كذبوا، أو الديانات الإبراهيمية تحديداً كاذبة، وهذا الذي يقول أن السعادة مُزْتَبِطَةٌ بالوثن: أولاً الوثن هو نوع من الإيمان، الوثنية إيمان الوثني يُؤْمِنُ، ثم من نشر السعادة أكثر من الدين (على اختلاف الديانات)؟! انظر إلى الإحتفالات لدى الهنود والبوذيين، إلى السعادة والفرح وهم يمجّدون آلهتهم، وهي في الأصل كانت أفراحاً ربّانية مع أنبياء، ولذلك لمّا جاء مُعِينُ الدِّينِ الجِشْتِي إلى الهند أسس فن القوالي وامتدح الربّ العظيم بقصائد رائعة، أو أقرأوا لأمير خسرو مثلاً، نحن لدينا أعيادنا لدينا فرحنا لدينا أملنا في الجنة إلى غير ذلك، فهذا موضوع إن شاء الله نردُّ عليه في محاضراتٍ أخرى.

أعتذر أيّ تأخرت عليكم اليوم لسبب خارج عن إرادتي، وإن شاء الله في المحاضرات القادمة نتكلم عن سُبُلِ أعظم وأقرب وأعمق في معرفة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

إن معرفة الله نور يقذف في القلب صحيح وأيضاً فيها تدبّر ونظر في الكون ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، فيها أيضاً اطلاع على المدونة، ورجوع إلى سلفنا، إلى علمائنا، إلى فقهاءنا، إلى ساداتنا، إلى ساداتنا آل البيت، إلى الصالحين، إلى صحابة رسول الله، إلى المنبع المحمّدي العظيم إلى سيدنا رسول الله، إلى القرآن العظيم. وهذه مسيرة علمية ومسيرة فكرية مهمة، ولكن المهم الإنسان يقرر أن يبدأ، وأن يبدأ في رغبة في مزيد معرفة الله، لأنك إذا عرفت الله أكثر عرفت نفسك أكثر وعرفت الخلق أكثر وعرفت كل شيء أكثر، كلما اقتربت من معرفة ربّك أكبر وأدق وأجلى، كلما كان علمك بكل شيء أجلى، كلما اقتربت من منبع كل علم من مصدر كل حكمة، كلما أعطاك علماً وحكمة، وستجد حتى ذلك ليلاً ونهاراً ينساب في قلبك انسياباً ويتهمر في وجدانك انهمازاً، ليلاً ونهاراً، سرّاً وجَهَاراً، وتجد من ذلك نوراً وتجد هدياً وتجد أسراراً، وتجد فكراً وفقهاً وأنواراً، وتجد أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى جعل قلبك لأنواره مزاراً، وأفلح من أحب وأفلح

من زار، وأفلح من بأجنحة الحبِّ إلى ربِّه طار، وأفلح من على هُدي المصطفى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ سار، والحمد لله الَّذِي قَدَّرَ الأَقْدَارَ، وَأَنْزَلَ الأَمْطَارَ، وَالَّذِي أَجْرَى كُلَّ شَيْءٍ عَلَى مَا أَرَادَ وَاخْتَارَ، وَالصَّلَاةَ وَالسَّلَامَ عَلَى نَبِيِّ اللهِ، الَّذِي أُخْتِيرَ فِي أَبَدِيَّةٍ وَأَزَلِيَّةٍ السَّعَادَةَ نَبِيًّا مُصْطَفَى مَخْتَارًا، وَعَلَى آلِهِ شَمُوسًا وَأَقْمَارًا، وَالسَّلَامَ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةَ اللهِ تَعَالَى وَبَرَكَاتِهِ.

المحاضرة بتاريخ: 28-09-2020



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

التأمل الرابع: معرفة الله ﷻ والكتب الثلاثة - الجزء (1) -

مقدمة

بسم الله جلّ في علاه، والصلاة والسلام على سيدي ومولاي رسول الله، وعلى آله ومن والاهم ووالاه، اللهم صلّ وسلّم وبارك على سيدنا ومولانا ونبينا وإمامنا محمد عدد العدد الذي يعدّ العادون وعدد ما لا يعدّون وعدد ما بين قافٍ ونون، صلّ عليه كما تصلّي عليه، وكما يُصلّي على نفسه، وكما يُصلّي عليه ملائكتك العابدون وأنبيائك المرسلون وأولياؤك الصالحون وخلقتك المجتوبون، وسلّم تسليمًا كثيرًا.

أحبابنا في الله، السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته، نمضي معكم قُدماً في سلسلة محاضرات في معرفة الله ضمن تأملاتنا العرفانية، ونناقش اليوم تحت عنوان "معرفة الله والكتب الثلاثة: القرآن، الكون، والإنسان"، وهي كتب كتبها الله سُبحانه وتعالى هي من كلمات الله.

القرآن كلام الرحمن، مائدتُهُ التي لا يمكن أن يُحصَى ما فيها من خيرٍ، مَعِينٌ لا يَنْصَبُ، لا ينتهي العلماء إلى أقاصي ما فيه من سرٍّ وعلمٍ وحكمةٍ وقُصَلٍ ومُثَلٍّ وأخلاق.

والكون كتاب الله الذي خَلَقَهُ وَبَرَأَهُ وَقَطَرَهُ وجعله آيةً، وجعل فيه ظواهر وبواطن ومعاني ومباني، وجعل فيه كوامن وأسراراً وطاقات، من الدَّرَّةِ وما أدنى إلى المجرَّةِ وما أعلى، منضوداً منظوماً مرتّباً مُسلسلاً عجيباً، ورُغم ذلك العجب العجَاب بسيطاً للنّاظر إليه من حيث قُدْرته على الفهم، فيه آليات وقوانين، من نووية إلى مغناطيسية كهربية إلى ثقالة إلى ما لم يعلم العلماء إلى اليوم، وما زال العقل البشري يكتشف ويكتشف ويكتشف ولم يبلغ إلّا قطرةً من محيطٍ عظيم.

والإنسان أيضاً كَوْنُ خلقه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَأودع فيه أكواناً من سرّه، نفخاً من روحه، آياتٍ من عنده. ولذلك إنَّ الذي يريد أن يقصد طريق التَّعْرِفِ والمعرفة بالله في الله عليه أن يسلك في اعتقادي الأكوان الثلاثة.

طريق التَّعْرِفِ والمَعْرِفَةِ بالله في الله

1. الكَوْنُ الأوَّل هو الكون القرآني

شخصياً منذ عشرين عام، بدأت في تأليف كتب معيَّنها القرآن العظيم، بدايةً من موسوعة البرهان. وكَمَا غُصْتُ أكثر، كلما وجدتُ أن ما عَرَفْتُهُ وما علمتُهُ أكثر ضالَّةً ممَّا كنتُ أظنُّ، وأنَّ ما لم أعرفه ولم أفهمه ولم أكتشفه أعظم وأكبر ممَّا كنتُ أظنُّ. ولذلك **فإنَّ النَّازِر في الكتاب العظيم يحتاج إلى الدِّعاء والصَّراعة إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أن يفتح على قلبه وبصيرته**، وكنتُ أشرتُ من قبل أن بعض الإسرائيليات والتَّفاسير السَّقيمة تقف حاجزاً بين القارئ للقرآن المتدبِّر فيه وبين حقيقة معانيه، لأنَّ التدبِّر في القرآن الكريم أمرٌ إلهي ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾. والأقفال قد تكون ربانية أنَّ الله يحول بين المرء وقلبه، وقد تكون أيضاً شيطانية بيد بشرية ممَّا يُوضع من تزييفات وممَّا يُوضع من حسر للمعاني العظيمة في تفسيرات سقيمة. ومن ينظر مثلاً إلى تفسير حول الكون وأنَّ السَّماء بعيدة خمسمائة سنة فقط إلى غير ذلك، هذا ربَّما لم يكن من الإسرائيليات، أو أخذ منه بعضهم بحسن نية بحكم أن الكون كان مجهولاً في الفترة الأولى، ولكن ثَمَّة أمورٌ يبدو للقارئ أنَّها موضوعٌ مكذوبةٌ، كألَّذي شهد من أهل زليخة قالوا هو رضيعٌ أنطقه الله وهذا غير صحيح تماماً وله أبعاد وغايات ومقاصد، قد نُخصَّص لها نظراً مع الراهب الذي أنطق أيضاً الرضيع، وكلاهما استهدف السيدة العذراء والسيد المسيح، إذ لم ينطق أحد غير المسيح في المهدي، ولهذا أسرار كبيرة جداً، ولكنَّ أرادوا دائماً أن يجعلوا في الأمر شُبُهَةً الرِّنا، حتَّى يُثبِت بنو إسرائيل الرِّنا على السيدة مريم حاشاها من ذلك، وعلى سيدنا المسيح استنقاصاً، والسيد المسيح نبِّي كريمٌ، روحٌ من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وكلمةٌ منه وعليه أزكى الصلاة والسلام.

القرآن العظيم له مفاتيح معنوية، لفظية، قلبية، روحانية. القرآن العظيم ليس ذلك الكتاب الذي تتلوه وتقرأه وتختمه، ربَّما في رمضان البعض يباري في أن يختم القرآن أكثر من مرة، ليس ذلك فقط هو القرآن العظيم. القرآن العظيم هو ما كتب الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وأودع في هذا المصحف، ولكن فيه معاني وبواطن هي من القرآن تتمة في القرآن، أي أنَّ القرآن يحمل هذه المعاني في مدلولاته، هذه الرسائل الرِّبانية التي هي من مقاصد القرآن العظيم. فالَّذي يقرأ القرآن العظيم وينحصر في دقَّتِي قراءته وما يقرأه فيه من آيات، ثم لا يتدبَّر ولا يُؤثِّر ذلك على نفسه وروحه وقلبه وعقله، قد ظلم القرآن العظيم، ﴿إِنَّ قَوِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾ هجران القرآن أنك لا تدرك أن هذا القرآن العظيم ليس فقط مجرد نصٍّ كما يتعامل معه المستشرقون ومن ساندهم من المدارس العربية الذين يريدون هدم هذا الكتاب ويحاولون عبثاً ذلك وإظهار أنه مُتَهافت وأَنَّهُ مُتَنَاقِض، ولكنَّ القرآن كلام الرحمن نزل بأعظم مَلَكٍ على أعظم إنسان، وفيه من الجمال والجلال والكمال ما لا يحصى. القرآن إذا وقفت أمام آيةٍ فتدبَّر، واعلم من قالها ومن نَزَلَ بها

وعلى من نَزَلَتْ، أَيُّ أَدْنٍ سَمِعَتْ، وَأَيُّ قَلْبٍ حَوَى، وَأَيُّ صَدْرٍ اِحْتَوَى، وَفِي أَيِّ رُوحٍ ذَلِكَ النُّورِ اسْتَوَى، وكيف بعد ذلك كان حقاً ولم ينطق ناطقه عن هوى، ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾، والنَّجْمُ إِذَا هَوَى، ما ضل نبيُّنا في ذلك وما غوى. فلذلك **أشرف لسانٍ، وأصدق جنانٍ، وأعظم بيانٍ، صدَّرَ بهذا القرآن من الصدر النبوي الشريف، إلى لسانه الشريف، إلى الآذان الشريفة للصحابة رضوان الله عليهم الذين أخذوه ونقلوه، وبذلك انتقل إلينا عبر أسانيد من رجال الله وأهل القرآن.**

القرآن العظيم إذًا، لا نعني بقولنا أنه ليس فقط ذلك المسطور في الكتاب أن هنالك نصاً آخر، ولكن ليس الحدُّ اللفظي هو الذي يحدُّ ذلك الكتاب، ليس حدُّ فهمك للفظ، فاللفظ يحمل معانٍ. قد تجد للفظ معنى ظاهراً وهو الباطن، أنك تقيم الصلاة وتؤدي الزكاة، معنى واضح، ولكن قد يحمل معانٍ باطنية عن حقيقة تلك الزكاة وحالك في تلك الصلاة وأنواعها وأحوال الخشوع فيها ودرجات أهلها ومراتبها. وقد يحوي كلاماً فيه ظاهرٌ وباطنٌ، بمعنى أن ظاهره قد يكون ممّا يفهم النَّاسُ في ظاهر اللفظ في ذلك الزمن، وباطنة ممّا يبحث العلماء فيه بعد ذلك:

- ﴿أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾: ظاهر القصة أنه قام بالأمر بسرعة، باطنه: هذه علوم كونية زمانية، هذا ما حيرَ كبار علماء فيزياء الكم اليوم، هذا ما حيرَ صاحب النسبية ونظريتها حول انبعاث المكان والزمان، وهذه أمورٌ عظيمةٌ جدت حقيقةً، وهذه أسرارٌ وانطواءاتٌ في الكون نفسه، وهي أمورٌ عجيبةٌ ممكن أن تتمثَّلَها تخيلاً ولكن لا يمكن أن نتصوَّرها على عين التدقيق.

- ﴿أَفْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ لماذا أقطار، ما معنى القطر؟ لماذا ذُكرت النُّجوم وشبَّهت بالمصابيح؟ الذي يقرأه أولاً يمضي في ذهنه أن هنالك بيت يُتَّخَذُ له مصباح وأنَّ النُّجوم كالمصابيح تُضيء علينا هذا العالم في الليل. أمَّا الذي يتعمَّق في الكون يجد أن المادة السوداء المحيطة بالكون تجعله كوناً مُغْتَمًا بشكلٍ كليٍّ، وأنَّ النُّجوم تضيء داخله، وهي مصابيح عظيمة كبيرة الحجم بما لا يتخيل العقل، لم يتصوَّر سلفنا الصالح أحجام النُّجوم على سبيل المثال. إذًا هذه من المعاني.

- قصة الخضر مع موسى فيها ظواهر وبواطن، كيف عرف أن السفينة لمساكين يعملون في البحر؟ وما علاقة ذلك بأصحاب القدرات التخاطرية والعقول الخارقة؟ ما السرُّ في قتلِهِ للغلام؟ ما علاقة ذلك بقصة الحياة قبل الحياة؟ ﴿أَمَتْنَا اثْنَتَيْنِ وَأَخْيَبْتَنَا اثْنَتَيْنِ﴾، ﴿وَكُنْتُمْ أََمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ﴾ ثمَّ يُمَيِّتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾. ما علاقة ذلك بـ ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾؟ بذلك المجمع الذي كان والذي شهدنا فيه جميعاً لله بالوحدانية، ولم نذكر من ذلك اليوم شيئاً، كئنا غير هذه الكائنات، كئنا أرواحاً كئنا أمراً آخر. إذًا هل عرف الخضر أن ذلك الغلام كان كافراً في زمن ﴿أَلَسْتُ﴾ فقتله وهو لم يُكَلِّف بعد؟ كيف عرف المخبوء تحت الأرض؟ إذًا عرف:

-
- 1. الممتدّ جغرافياً: السفينة لمن ومن هو الملك إلى غير ذلك.
- 2. عرف المخبوء في الروح والقدر والمستقبل.
- 3. وعرف المخبوء تحت الأرض وعرف أنّ هُنَالِكَ من سيستخرج ذلك الكنز بعد فترة من الزمان.

إذا هذه معانٍ وهذه معانٍ.

❖ قصة العزير أيضاً، ما معنى لم يتسنّه؟ كيف توقّف الزمن؟ هل هي حادثة فقط تحدث للعزير أم هنالك جيبٌ زمنيّ يُنعدم فيه الزمن كما انعدم الزمن في قصة جلب عرش بلقيس وانعدمت المسافة، جسر آينشتاين-روروين كما يُسمّى، انبعاث المكان انطواءه كما تُدلّل على ذلك النظرية النسبية. إذا هل هنالك بُعدٌ ينعدم فيه الزمن فلا يتسنّه فيه شيء؟ وعليه نقول أنّ **جسد رسول الله لم يتسنّه، وأنّ الخضر لا يتسنّه، وأنّ الملائكة لا تتسنّه، وأنّ الناس في الجنة لا يتسنّهون، وأنّ عوالم الأبد لا تتسنّه، أيّ ليس فيها زمنٌ بالمعنى الذي نعيشه اليوم.** الطعام لم يتسنّه بقي كما هو، والحمار تحوّل إلى رميم، والعزير شعر بالزمن مائة عام كأنها يوم.

❖ أهل الكهف ثلاث مئة سنة ونيّف كأنها يوم وليلة، هل يعني ذلك تباطؤاً للزمن، تسارعاً للزمن؟ ما الذي يُؤدّيه ذلك إذا درسناه وفق نظريات فيزياء الكمّ وعلوم الزمان إلى غير ذلك؟

فهذا لم يكن للسلف الصالح علم فيه، كان النبي يعلمه وزيادة، ولكن لم يكن لسلفنا علمٌ بذلك، لأنّها علوم كُشِفَتْ فيما بعد ﴿سَأْرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ﴾ أو ﴿سَأْرِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونَ﴾. إذن هذه آيات ظهرت، النبي علّمها عرّفها عرّفه الله بها، لعلّه عرّف بعض أصحابه ببعضها، وأظنّه عرّف الإمام عليّ أكثر من سواه بحكم الصلّة والقربة "أنت مّي بمنزلة هارون"، ولكن بقيت أمور مطوية في صدور الصالحين من أهل الكشف والتجليات.

وجاء الزمان الذي ربّما تُكشّف فيه، وهذا كان جهدي في موسوعة البرهان، هو أنّ أُثبِت إعجاز القرآن للعلم وليس الإعجاز العلمي للقرآن، بحثٌ في موسوعة البرهان عن إعجاز القرآن للعلم وليس الإعجاز العلمي للقرآن الكريم. الإعجاز العلمي للقرآن الكريم أن يكون القرآن مرجعاً نرجع إليه، يكتشف الغرب اكتشافات ونقول هذه موجودة عندنا في قرآننا، ولكن ما اجتهدت فيه أنّ أُبَيّن أنّ القرآن عن طريق الإشارات القرآنية والمكونات القرآنية في مسائل معينة يُعجز العلم وسيُعجزه دائماً، وأجبنا عن أسئلة محيرة للعلماء حول المادة السوداء، حول الكون، حول التركيب، حول الإنسان، حول العوالم، إلى غيرها، قرآبة الخمسمائة علم، والبعض الذين مكّأهم من قراءة البرهان يعرفون جيداً عمّا نتكلم، ويوماً ما يُيسّر الله أنّ ننشر جميع ما دوّنناه في ذلك... ولا أعتقده اجتهاداً، إنّما هو ما يفتح الله لعبده من باب تفضّله، ليس أنّ العبد يستحقّ ذلك، ولكن الله أراد ففعل، وهو نوع من الإلهامات القلبية التي لا تنتهي

أبدأً على قلوب عباد الله، والتي في كلِّ زمنٍ هنالك معنىً جديدٌ يظهر، وسرٌّ جديدٌ يبهر، وهكذا سيف جديد من الله يُشهر، وهكذا وهكذا، لا نُبوّة بعد رسول الله، لا وحي يُوحى من جبرائيل على مخلوق بعده، ولكن هنالك **لطائفٌ قلبية ممتدة بالسلسلة إلى الذات المحمّدية والسرِّ الأحمدي**، وهذا فضلُ الله كما ذكرنا، ويستمرُّ وسوف يستمر، وسيأتي ما هو أعظم وما هو أكبر، وهكذا، حتّى تقوم الساعة أو ما قبلها بقليل، أي ما قبل أن يتوفى الله الطيبين جميعاً، ويبقى فقط شرارُ الخلق يتهارجون تهارج الحُمُر "لا يحلّون **حلالاً ولا يحرمون حراماً**" كما ورد في الحديث النبوي الشريف.

إذن القسم الأوّل الذي تكلمنا عنه هو قسم الكتاب الأوّل، الكون الأوّل: القرآن العظيم.

القرآن العظيم معجزٌ للعلم، عظيمٌ لأهل الفهم، مُرقيٌ لأهل الذوق، يعطي بياناً، ويُعطي فصاحةً، ويهبُ ثباتاً، وهو باب للكرامات وباب للخير لمن تدبّر في معانيه، ولمن عكف على فهمه، واستعان طبعاً بالتفسير والكُتب وفهم اللُّغة العربية، ولكن جعل الله له نبراساً في قلبه يهديه لبيّن له هذا مَوْضُوعٌ في التَّفاسير وهذا صحيح، وليعلم حينها أنّ القرآن العظيم هو ذلك الكتاب الذي نزلّه الله، ولكن **فيه أكوان داخل أكوان**: إذا كانت الذرّة فيها عوالم هيكَزونات وكواركز وغيرها مما هو أدنى وما هو أدنى، وكلّ مرّة يكتشفون أنّ العنصر الذي ظنّوه غير متجزّئ هو متجزّئ وهكذا، فما بالك بكلمات الربّ العظيم، بكلمات الله، بكلام الله؟! هذا كلام ربّ العالمين وفيه من الأسرار والأنوار ما يُدهش وما يُذهل.

هنالك ظاهرٌ لإقامة الشريعة، لمسألة المواريث، أحكام واضحة ظاهرة جلية، وأخرى تحتاج إلى التأويل، ولكن هنالك من القَصص، وهنالك من المعاني ما فيها أسرار. لماذا ذكر الله قري بعينها؟ فرعون، عاد، ذكر مثلاً ثمود إلى غير ذلك، هل لأجل مجرّد ذكرهم أم كما أقولُ في كثيرٍ من كتبي، مثل كتاب **<<فاعتبروا>>** أنّ ذلك **لأنّ الأُمَّة الأخيرة المعدودة التي سيُصيّبها ما أصابهم، ستجتمع فيها خطايا كلّ تلك الأقوام**. ما فعل قوم نوح، وما فعل قوم لوط، وما فعل قوم عاد، وما فعل قوم ثمود، وما فعلت المُؤتفكات، وما فعل قوم تُبّع، وما فعل الضّالون المُضِلُّون وهكذا، وما فعل فرعون، يجتمع فرعون الثاني مع ثمود الثانية مع عاد الثانية مع قوم لوط جُدُّ أكثر قوّة وأكثر عدداً، قارن قوم لوط الجُدُّ بقوم لوط الأوّلين، نادٍ صغير فيه مجموعة صغيرة ما الذي يُعتَبَرُ أمام ما يجري اليوم؟ قارن قوة فرعون الأوّل مع فرعون هذا العصر، لا وجود لمقارنة! هو مسكين لا يمتلك لا أسلحة نووية ولا أساطيل ولا غير ذلك. وعليه، فكما أنّ العقاب الأوّل كان بتلك القوّة، سيكون العقاب الموالي أضعافاً **﴿وَلَيْسَ أَخْرَجْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِلَى أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ﴾**. هذا العذاب المُوجَل سيكون في وقت مُعيّن (أراه قريباً بالعلامات الدّالة)، وبذلك سيكون فيه أضعاف ما كان في الأوّلين، بحكم أنّ فساد هؤلاء أضعاف ما كان في الأوّلين.

هذه معانٍ لعلك تسمعها لأوّل مرة، وأنا واثق أنّك تسمعها لأوّل مرّة من هذا الإخراج وهذا المَنحى وهذه الرّواية، ولكني أقول لك: هذا ثمرُ التدبّر في كتاب الله. هذه الدّات البشرية التي تتكلم أمامك الآن، لولا هذا الجلوس مع القرآن العظيم، والضّراعة لله، والتوسّل إليه بأسباب التوسّل إليه بالأبواب إليه، بالأقرب فالأقرب، والأمثل فالأمثل، والدُّخول تحت جناح محمّد وآل بيته، والدُّخول تحت جناح أصحاب النبي الصّادقين المؤمنين الخُلص، والصّالحين الصّادقين المؤمنين الكمّل الخُلص، ولولا ذلك ما بلغنا من هذا ولا ذرّة. وكلُّ ذلك لا يكون إلاّ باستجابة من العظيم الحليم الرحيم الحكيم، الذي يُلقني ويُرفّي، و **"على**

قَدَرِ التَّرَقِّي يَكُونُ التَّلَقِّي"، و "التَّجَلِّي عَلَى الْمُجَلِّي وَمَا عَلَيْكَ سَوَى التَّحَلِّي"، كما ذكرنا في كتاب <<إشراقات>> الَّذِي نُنَشِرُهُ بَيْنَكُمْ قَرِيبًا.

الكتاب الأوَّل هو القرآن العظيم، ومهما تكلمنا عن القرآن العظيم فلن نوفيه حقَّه ولا قدره، وهو بابٌ في معرفة الله، مُتَحَدِّثٌ فِيهِ اللهُ عَنْ نَفْسِهِ، **وَلَا يُمْكِنُ أَنْ يَتَكَلَّمَ مُتَكَلِّمٌ عَنِ الدَّاتِ الإِلَهِيَّةِ أَفْضَلَ مِنَ الدَّاتِ الإِلَهِيَّةِ نَفْسِهَا**، فالله تحدَّث عن ذاته وعن عظيم صفاته بكلامٍ عظيمٍ مُنْسَجَمٍ عَرَبِيٍّ مَبِينٍ، يُذْهِلُ فُصْحَاءَ الْعَرَبِ وَفُصْحَاءَ الْإِنْسَانِيَّةِ وَالْإِنْسِ وَالْجَنِّ وَالْمَلَائِكَةِ. ثُمَّ كَانَ أَنَّ ذَلِكَ الْكَلَامَ وَالْبَيَانَ الرَّبَّانِي نَزَلَ عَلَى أَشْرَفِ النَّاسِ وَخَيْرِهِمْ، وَأَفْصَحِهِمْ لِسَانًا، وَأَثْبَتَهُمْ جَنَانًا، وَأَعْظَمَهُمْ رُكْنًا وَمَقَامًا عِنْدَ اللهِ وَوَسِيلَةً وَجَاهًا عِنْدَ رَبِّهِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، وَالَّذِي عَبَّرَ عَنْ ذَلِكَ بَعْدَ ذَلِكَ بِتَفَاصِيلٍ أُخْرَى، مِنْ كَلَامِهِ فِي سُنَّتِهِ، مِنْ هُدْيِهِ، وَذَلِكَ مُوَصُولٌ بِالْقُرْآنِ لِأَنَّهُ وَحْيٌ يُوحَى أَيْضًا. فَلِذَلِكَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى جَمَعَ قُرْآنَهُ، وَفَصَّلَ بَيَانَهُ، وَأَظْهَرَ فِرْقَانَهُ، وَرَسُولُ اللهِ أَوْصَلَ إِلَى النَّاسِ ذَلِكَ وَأَدَّى الْأَمَانَةَ وَبَلَّغَ الرِّسَالَةَ. هَذَا بَحْرَانٌ مِنْ بَحَارِ الْعِزَّةِ، بَحْرٌ خَالِقٍ هُوَ الْأَعْظَمُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وَبَحْرٌ مَخْلُوقٍ هُوَ أَعْظَمُ الْخَلْقِ، وَنَحْنُ فِي تِلْكَ الْبَحَارِ، نَسِيرُ مَتَوَسِّلِينَ بِأَصْحَابِ الْأَنْوَارِ وَالْأَسْرَارِ، وَلَعَلْنَا نَذُوقُ مِنْ ذَلِكَ حَلَاوَةَ طَاعَةٍ، كَمَا أَذَاقْنَا أَنْفُسَنَا الْأَمَّارَةَ مِنْ قَبْلِ حَلَاوَاتِ الْمَعْصِيَةِ.

القرآن العظيم إذاً بحرٌ كاملٌ، نورٌ عظيمٌ يعرِّفك بالله. إذا قرأت القرآن فاقرأه بتمعنٍ واعلم أن ذلك الكتاب هو كتبٌ في داخل كتاب، كل آية تفسيرها بمجلدات، وتجد التفسير كثيرة ومجلدات كثيرة، وفسره مفسرون وعلماء، بعضهم من باب العقيدة، بعضهم من باب العلم الإشاري، بعضهم من باب اللغة العربية وغير ذلك، ومهما فعلوا وقد بدَّلوا الكثير وجزى الله خيراً من فسروا القرآن وأحسنوا تفسيره، ولكن يبقى الأمر فيه الكثير من الأمور.

وأرجو أن يذوق قَلْبُكَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا، عِنْدَمَا يَتَذَوَّقُ الْقَلْبُ الْمَعَانِي الْقُرْآنِيَّةَ سَيَسْتَشْعُرُ بِالْقُرْبِ الإِلَهِيِّ، وَهَذَا مِنْ مَقَاصِدِ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ أَنْ تَشْعُرَ بِقُرْبِ اللهِ.

2. الكتاب الثاني: كتاب الكون

الكون الثاني أو الكتاب الثاني هو كتاب الكون ﴿أَوْلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ﴾، طبعاً هذا النَّظَرُ إلى ملكوت السموات والأرض وإلى ما خلق الله من شيء، نظرٌ تحقيقي تدقيقي. بعد أن تقرأ القرآن العظيم (وبعضهم أتى من قبل أن يقرأه تأمل في الكون فأمن)، إذا ما قرأت الكون بحُسن قراءةٍ، البعض يقرأ الكون، اليوم علماء كونيّات لكنَّ معظمهم ملاحدة، لماذا؟ لأنهم قرأوه مع وجود حجاب على قلوبهم وعقولهم، قرأوا الكونَ ولكنَّ لم يفهموا لغة الكون، بعضهم فهمَ قال أنَّ التَّمَطُّظَ الكوني لو أنَّه تأخر أعشار أجزاء من الثانية أو تسارع أجزاء من الثانية لانطمس هذا الكون، إمَّا أنَّه ينفلت أو يَنْطَمَس، ينسحق، فمن الَّذي قدَّر ذلك؟ هنا خرجوا بنظرية العقل الأسمى أو التَّصميم الذِّكي، والَّذي أرادوا تدريسه في الولايات المتحدة الأمريكية ورفض الملاحدة ذلك وكسبوا القضية في المحكمة ويحاربون بكلِّ شكل هذه النظرية. صانع الساعات الَّذي يصنع الساعات بدقة، هذا ضُربَ مثلاً على ذلك، وردَّ عليه أحد زعماء الإلحاد ب "صانع الساعات الأعمى"، أنَّه صانع ساعات عشوائي.

وهذا الكون ليس فيه عَمَى، إِنَّمَا عَمَى القلوب، وَعَمَى العقول. الكون دقيق جداً، الكون كيف نشأ، وحتَّى علماء النَّشأة الَّذين يتكلمون عن المُفْرَدَةِ الَّتِي كان منها الكون والَّتِي كانت بحجم لا يمكن تصوُّر صغره في نقطة من اللّازمان واللامكان، وإن كنتُ أنا في كُتبي إن شاء الله أنشرها، تكلمتُ أنَّها كانت في زمان ومكان. الكون وُلِدَ مثل المَوَلُودِينِ من البشر، في ظلمات ثلاث، المادَّة سابقة لخلق الكون، المادَّة السوداء، هي الجاذبية صاحبة الثقلَة صاحبة القوة المؤثرة الأكبر في الكون، لا يمكن أن يتمتَّظ الكون داخل وعاءٍ أكبر منه ويسبقه زماناً، ثمَّ يكون ذلك الوعاء ناتجاً عن الانفجار الأوَّل.

المهم أنَّ هذا الانفجار الَّذي تمَّ بهذه ما سمَّوها بالمُفْرَدَةِ الَّتِي مضت في سرعة مليون مليون مرَّة بسرعة الضَّوء، وقيل ذلك لا يتكرر، بلى هو يتكرر، هو نظامٌ من التَّسارعات أكبر من سرعة الضَّوء. التَّواصل الشَّبكي أو التَّواصل الشَّبكي، آينشتاين سمَّاه التَّواصل الشَّبكي رَفَضَهُ، أو التَّشابك الكمي بين الإلكترونيات: إذا اختار أحدهما أن يدور في مِعْزَلٍ على اليسار اختار الآخر ضدهُ مهما كانت المسافة بينهما، هذا يفوق سرعة الضَّوء، آينشتاين رفضه. ولكنَّ بعد ذلك أُثبِت، كارل ساجان ومعه مجموعة كبيرة جداً من العلماء، الَّذين تكلموا عن الكون وتكلموا عن عوالم الكم وعن عوالم الكون وسوى ذلك، تكلموا عن أزمنة الكون، تكلموا عن تحويل عمر الكون إلى أيام وإلى سنة وكيف يكون تفصيل ذلك، وغيرهم، كما يمكن أن نُحاضر في هذه المجالات بدقة كبيرة، من حيث قراءة ما كتبوا، وبدقة أكبر من حيث نَقْدُ ذلك، ومن حيث إيضاح أمورٍ لم يفهموها في هذه المسائل. الكون انطلق بسرعات كبيرة جداً وتحوَّل من هذا الهباء المنثور إلى كونٍ تراه مُنتظَم، بعد انفجار ينتظم. وترى هذا العالم الكبير المليء بالكواكب، الَّذي كلَّ مرَّة يَكْتَشِفون مجرَّات، وأكوان، وثقوب سوداء، ونجوم نيوترونية، ومادَّة سوداء كبيرة جداً وفيها ضغط مادي كبير للغاية، لو ضُغِطت الأرض إلى نجم نيوتروني لصارت بحجم سنتيمترات صغيرة.

هذه المسافات الكبيرة هي من ملكوت السموات والأرض، وهذه ملكوت سماء واحدة، والدليل على ذلك أنَّه حيثُما وُجِدَت الظلمة هي سماء دنيا ﴿وَلَقَدْ رَئَيْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحٍ﴾. حيثما كان هذا العالم مظلماً فهو سماء دنيا، وما فوقها سموات مشرقات بالنور، فإذا ما كان بعد القيامة نُزعت المادَّة السوداء

فأشرفت الأرض بنور ربها ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ﴾. والأرض هنا تعني كل كوكبٍ ضلبي، أو كل كوكبٍ غير الأقمار وغير النجوم وغير الشمس، النجوم والشمس هما واحدٌ لكن ثمة اختلافاتٌ بينهما جزئية (نتكلم عن النص القرآني في التفريق بين نجم وشمس). المهم أن هذه الكواكب وهذه العوالم لا تعني فقط كوكب الأرض، النظرة الأرضية نعم هي فقط كوكب الأرض، ولكن الله عندما يقول السماوات والأرض يعني كل كوكب. وقد كانت الحياة أسبق من هذه الحياة الأرضية الآدمية، هنالك حياة أطول، والله يخلق ما يشاء ﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾، لا يمكن أن نحد الأمر في آدم فقط عَلَيْهِ السَّلَامُ وذريته أو في الجن فقط، الله خلق ما لا يخصي من عقولنا نحن وما لا نستطيع تصوُّره، وسيكتشف العلماء ممّا يجدون في بعض الكواكب القريبة آثار حضاراتٍ، ولعلهم اكتشفوا ذلك، وأنا واثقٌ أنهم فعلوا ويخفون ويكتمون ويخافون ممّا وجدوا ويصرون على إحادهم.

الكون كتاب عظيم لإكتشاف ومعرفة أن هذا الكون كُتِبَ بِلُغَةٍ مَفَادُهَا "لا إله إلا الله". كل الكون مكتوب بلغة واضحة جلية، من ذراته إلى ما أدنى إلى المجرات والكواكب وهذه الثقالة العجيبة والمدارات وغير ذلك من أسرار، بلغة مفادها برمز مفاده: "لا إله إلا الله"، أو لعله يتجاوز ذلك إلى "الله الله الله"، وكأن الكون كله تجاوز مسألة النفي والإثبات، هذه لنا نحن الذين قيل لنا أن هُنَالِكَ إله آخر، أو الذين قالوا هنالك إله آخر فأورد الله نصَّ ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾، الذين اقتربوا قالوا كما قال سيدنا يونس ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ﴾، والذين وردوا من بحر العزة قالوا ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾. فكلها معانٍ لها أسرارها، لذلك في القرآن تجد ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾، تجد ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ﴾، وتجد ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾، وهذا الكون مكتوب بذلك.

3. الكتاب الثالث: كتاب الإنسان

الإنسان كذلك كتاب، وأعتقد أنه ربّما المحاضرة اليوم غير متوازنة من حيث المنهجية، بحكم أنني ركزت وقتاً أكبر على القرآن العظيم وتركت الكون والإنسان، ولكن لعلنا في الأسبوع القادم نستمر ونكمل.

الإنسان أيضاً فيه ما فيه ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾، الإنسان يحتوي ضمن هذا التكوين والتركيب على بَيِّنَات الخالق منذ تكوين النشأة الأولى في رحم الأم، ثم بعد ذلك في هذا التسلسل حتى يصل جنيناً مكتملاً، حتى يأتي إلى الدنيا. إذا ولد لك ولد رأيت كيف أن الله صنعه خلقه في بطن الأم، الآن نستطيع أن نرى ذلك في الصورة، يمكن بالأشعة أن يُرى ذلك، الله أمام عينيك أمام عيني العالم يخلق مخلوقاً.

وكذلك ترى نفسك أنت كنت في ذلك ولا تذكر، وكما أنك لا تذكر كيف كنت في بطن أمك ولا حياتك لثلاث أو أربع سنوات، لا تذكر أيضاً أنه كانت لك حياة قبل ذلك. قبل هذه الدنيا في مقام ﴿أَلَسْتُ﴾ أنت شهدت على نفسك وعلى الناس أنه "لا إله إلا الله"، أن هذا الله ربك، ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى﴾، نعم كنتا هُنَالِكَ. تخيل كل البشرية مجتمعة، من أولها إلى آخرها، كل الأبطال الذين تقرأ عنهم، كل القِصَص التي تقرأها من التاريخ، كل الشخصيات.. كانت مجتمعة في مشهد واحد، في مجمع واحد، في مكان واحد، بدواتها المُدرِكة العارفة، لو كانت ذواتاً أُدْشِنت، الزوايا الموضوعية حول أنهم أُخرجوا في يد آدم كالدر،

كالدَّر بعين الناظر لا بعين المتَّظور، كل الكون بعين الله كالدَّر، وإذا نظرتَ من عالٍ إلى ملعب كرة قدم فيه مليون شخص لو فرضنا سيبدون لك كالدَّر، وإلا لن تستطيع أن تراهم، ولو كنت بينهم لن تراهم جميعاً، سترى فقط من حولك أربعة خمسة أشخاص.

إذن هذا معنى يُدركُ، وكتبتُ فيه ولم أنشره بعد، ربّما في كتابي الأخير حول <<قصة الخلق>> وفي كتاب <<الترقيم المُعلّم من كلام المُعلّم>>، ولكن إن شاء الله لعلَّ الله ييسرُ أن أنشر ذلك. فهذا مشهد كان قبل هذه الدّنيا، وكان بعد خلق آدم، عندما عرّف الله سيدنا آدم بذريته جميعاً، في مشهدٍ واحد، في مجلسٍ واحد عرفهم جميعاً. ولما طلب من الملائكة أن يسمّوهم ولم يسمّوهم، المعنى أن الملائكة تعرف الأسماء الأولى مثل سيدنا محمد اسمه أحمد، تعرف اسم الشخص المجرد على هيئة أخرى على ذات أخرى قديمة، بعضها علوي، بعضها سفلي، بعضها وسطي. لا يمكن أن تتخيل أن شارون وأن فرعون كانوا يعيشون في زمنٍ قبل الدّنيوي بنفس العالم مع سيدنا رسول الله ومع أصحاب المقامات العليا، أبداً إطلاقاً، أو كانوا نفس الدّوات متشابهة من نفس الطبيعة ونفس التركيبة: هذا نوراني وهذا ظلماني، هذا كان في سجين والآخر كان في أعلى عليين أو في عوالم عليا وهكذا. رسول الله كان روحاً عظيمةً ربّانيةً ملكوتيةً جبروتيةً رحمانيةً، لا يمكن أن ندركها بعقولنا، ولكن تلك كانت الدّات. المهم هذه التّفحة الأولى، هذه السابقة القديمة، قالت الملائكة نعرف أسماءهم المجردة "فلان". ولكنَّ الله قال لآدم: ﴿أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ﴾، آدم سينبئهم بماذا؟ لنفترض أنك أنت المعني: الاسم، اسم الأب، الجد... وهكذا إلى سيدنا آدم، يُسمّى كل واحدٍ باسمه الذي سيُسمّى به في الدّنيا وبأسماء سُلالة أجداده، ولكنَّ الأعجب أن الأجداد واقفين، ﴿ظُهُورِهِمْ﴾: أي حسب فترات ظُهُورِهِمْ، أي وُضِعُوا حسب الزّمن الذي سينزلون فيه الأرض، تسلسلياً لا مقامياً، لو مقامياً رسول الله دائماً في المقام الأول، ولكنَّ وُضِعُوا حسب ما سيكون. وعليه، ليس الإنبَاء بالأسماء فحسب، بل يقصص الحياة، وكأنَّ سيدنا آدم قرأ من عند ربّه رواية ذرية آدم بقصصهم، أنت إذا وقفت فوق بناية ونظرت إلى السيارات تمرّ، حاول بعقلك أن تعرف قصة كل سائقٍ منهم من أين أتى وإلى أين يمضي فقط، مشهد خمس دقائق لن تستطيع، فهذا من باب تبيان العظمة.

أما الروايات الأخرى التي تقرأونها، فهذه ندخضها بالحجّة والبرهان لم يقلها رسول الله، بعضها مأخوذ من إسرائيليّات، وبعضها من أراجيف والتخيّلات والتهيينات وليست صحيحة أبداً، وضعه في يده ورآه ولداً يضيء قال هذا داوود قال أعطه من عمري.. فهذا كله أنا أوكد لكم وعن علم وعن بيّنة أنه كلام غير صحيح، ونستطيع أن نناقش وأن نُجادل فيه من أراد أن يُجادلَ ومن أراد أن يُناقشَ بالقرآن وبالعلم وبما يُكشِفُ للقلب.

ونحنُ في هذه المعاني لا نأتي بدينٍ جديد، لا نقول أن نبياً بعد النبي، أو أنَّ لله أولاداً أو أنَّ لله شركاء، "إلا إله إلا الله مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ". ولكنَّ نقول ثمة معانٍ ظلمت كما ظلمت شخصيات في التاريخ، كما ظلمت حقائق، ومن هذه المعاني ما أوردنا لكم الآن.

خاتمة

أعتقد أنّ الكلام يقف عند هذا الحدّ، وأننا لنا في الإنسان تدبّراتٍ أخرى، ولعلنا نستأنف إن شاء الله في الأسبوع القادم حول هذه الكتب الثلاثة. ورجائي أنّي أقدم هذه الدروس محبةً لله ورسوله، لا أدعي علماً، **ولكنّي على يقين أنّ الله أوقد في قلبي شعلةً، يتأجج من أوارها ويظهر من بخورها ما لا أستطيع كتمانها وحبسه، وإن كنتُ حَبَسْتُ من ذلك شيئاً فلأجلٍ مسمّى، ولكن الآن نبدأ هذه المسيرة ربّما تستغرق سنوات لإيصال بعض هذه الرسائل وبعض هذه المعاني التي يُبني عليها. لا نُقدّم لك قرآناً لكن نُقدّم لك برهاناً وبياناً فيه حقيقةٌ وذوقٌ وأدبٌ، في بساطٍ من المعاني الجميلة، مُعلّفٍ بمبانٍ جميلة، نسوقه بألفاظٍ جميلة، لغايةٍ نبيلةٍ، ولا نرجو من ذلك من ورائه جزاءً ولا شكوراً من أحدٍ، ولا نَفْرَحُ بمدحٍ مادحٍ ولا نَحْزَنُ بِقَدْحٍ قادحٍ، من مدحٍ وشكرٍ فجزاه الله خير، وهذا من حُسن أدبه وأخلاقه، ومن قدحٍ ومن مضى أبعد من ذلك فشتّم، فهذا لا يضرنا من أمره شيئاً. إذا كان الحبل بالله موصولاً، والرجاء عند الله مقبولاً، فلن يضرنا من يقول، ولن يضرنا من يتهجم ومن يسخر ومن يعاند، ونُرَدُّ على كلّ حسب المقام وحسب المقال.**

والصلاة والسلام على نبيّ الكمال والجمال والجلال، والحمد لله ذي الجلال، على كلّ أمرٍ وعلى كل حال، ونسأل الله لطفاً سريعاً وأن لا يأخذنا بما يفعل السفهاء من حولنا، وألاً يُعذبنا بذنوبنا، بل أن يُعَدِّبَ شَيَاطِينَنَا بالعفو عَنَّا، والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

المحاضرة بتاريخ: 5-10-2020



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

التأمل الخامس: معرفة الله ﷻ والكتب الثلاثة - الجزء (2) -

مقدمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، الحمد لله رب العالمين، أرحم الراحمين، أحسن الخالقين، الذي دلَّ على وجود ذاته في الكون والتكوين، واهب القدرة والتسخير والتمكن، والصلاة والسلام على الصادق الهادي الأمين رحمة الله للعالمين، وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين، ورضي الله عن صحابته الغر الميامين وعلينا معهم برحمتك يا أرحم الراحمين.

السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته، نستمر معكم في هذه الرحلة الروحانية الرحمانية العلمية التدرجية التأملية التي نروم من خلالها إيقاد بعض الشموع العرفانية في القلوب التي تحبُّ الله ورسوله وتؤمِّلُ بذلك أن قد أحبَّها الله ورسوله من قبل، **فإنَّ المخلوق لا يسبق خالقه، وإنَّك لن تسبق الله في الحب ولن تسبق رسول الله في ذلك، فلو لم يحبَّك الله ما أحببتَه، ولو لم يحبك رسوله ما أحببتَه.** ونحن على قرب مسافةٍ من ذكرى المولد النبوي الشريف، ذكرى مولد النور، موعد السرور والحبور، ومشهدٍ للسرِّ والحضور، لسيدنا محمد نبي الرحمة، وباب التَّعمة وشافعنا يوم نُجمَعُ عند ربنا في موعدٍ لا ريب فيه.

كنا تكلمنا آنفاً في المحاضرات والدروس السابقة عن معرفة الله، وتكلمنا الأسبوع الفارط عن معرفة الله والكتب الثلاثة: القرآن العظيم والكون العظيم والإنسان الذي انطوى فيه من الله سرُّ عظيم، وقلنا أننا ظلمنا المسألة بحكم أنَّ القرآن فقط يحتاج إلى محاضرات ومحاضرات ودروس كثيرة، وكذلك النظر في الكون هذا الكتاب الرباني المفتوح المشروح، الذي يُنبئُ على سرِّ خالق المادة والروح، الحي القيوم السَّبوح، والذي يراه باباً لمعرفة الله كلُّ عبدٍ موهوب ممنوح، أما المحجوب المسلوب الذي لا يمتلك ذلك السرِّ الموهوب فإنه لن يرى إلا مادةً، فمادةً تحتها فمادةً فوقها، فيُخصِّبها عقله ويضبطها علمه وضمُّه، ولعله في ذلك يوافق تجرُّبهُ عليه ما كان من قبل من نظريات العلماء، أو يُضيفُ إليها، أو ينقدها، ويجرب ويتفكر وينظر ويكتب الكتب ويقدم المحاضرات ويوسع دائرة المعرفة في هذا الكون، ولكن ذلك الحجاب يمنعه من حقيقة جلية واضحة، أنه "لا إله إلا الله".

كتاب الكون

الكون مكتوب بلغة، كلّ ذي قلبٍ وذي لبٍّ وذي بصيرٍ وذي بصيرةٍ وذي معرفةٍ وذي إنصافٍ ينظر في هذا الكون المعقّد المبسّط، الذي قال عنه آينشتاين ذلك الذي سُرخ له وبُسِط له شيء من العلم ممّا علّم الله الإنسان ما لم يعلم، قال "إنّ أكثر الأشياء غرابةً في الكون أنّه قابلٌ للتعلُّق"، قابلٌ للنظر العلمي والرياضي والكيميائي والفيزيائي، مكتوب بلغة يمكن للعلماء دراستها وإحصاءها أو إحصاء شيء منها، وهذه اللّغة الرياضية والفيزيائية والكيميائية ولغة المدارات والقوانين والثّقالة والنوويات الشّديدة والضعيفة، واللّغة الكهرومغناطيسية ولغات الطّاقات في هذا الكون، ولغات الأجرام السّماوية وغيرها ممّا تمكّن الإنسان عن طريق بعض المراصد كيبيلار وهابل وغيرها من رؤيته أو من التّنظير له، كلّها كُتبت بلغة أمكن الله للعقل البشري قراءة شيء منها. ولكنّ هذا القارئ الذي قرأ هذا الكتاب الكوني العظيم وحجّب عن معرفة ربّه، لم ينفعه علمه، فعلمه ناقصٌ، لأنّ كلّ علمٍ لا يوصل صاحبه إلى معرفة الله علم ناقص أو علم فاسد، إمّا أنّه علمٌ منقوصٌ فيه نقصٌ كبيرٌ من حيث بداياته، أي منطلقه ومنشئه، فالعلم الذي ينشأ من قلبٍ مُلحد، وهذه أزمة العلم الغربي المعاصر أنّه نشأ على ردّة فعلٍ ضد الكنيسة، الفلسفة الوضعية وما بعد الفلسفة التنويرية، وهذه المدارس التي أخذت صبغات اجتماعية سياسية عبر الماركسية، وهذه المدارس التي أخذت صبغات علمية إحادية دُعمت بالمنهج الدارويني الذي افترى فيه على داروين نفسه، لم يقل أنّ الإنسان أصله قرد بل قاله غيره كما بيّنا في محاضراتٍ سابقة، ولكنّه أفحّم إقحاماً في هذا الأمر حتّى يُزهنّ على أنّ الإنسان تطوري، وضمن النظرية التطورية أُدخِلت الأفكار الإلحادية، وهؤلاء الملاحدة قالوا أنّ الكون أتى بمحض مصادفةٍ بتطورات عشوائية، وأفحّم بعد ذلك ستيفن هوكينج في هذا المجال وقال أنّ "الكون يحتاج فقط للجاذبية ليوجد نفسه"، وهو في مأزقٍ في الحقيقة لأنّ الجاذبية التي أوجدت الكون تحتاج إلى مُوجد. وهكذا كلّما أوجدت لهذا الوجود دون مُوجد الوجود "الله سبحانه وتعالى"، سيحتاج ذلك المُوجد إلى مُوجد، الله هو الذي أوجد ولم يُوجد أحد. وبهذه النظرية المتبعية المنطقية لا بد من وجود مُوجد أسبق لم يوجد أحد، هكذا بالمنطق، ولكنّ أنّ يكون النُشوء هكذا، تتخيّل أنّ غرفةً ما فجأةً ظهرت ثم تطوّرت وأصبح فيها أثاث، وتطوّر الكرسي فصار طاولة، وتطورت الطاولة فصارت شيئاً آخر، هكذا بالمصادفات، وهذا البيت المؤثث بدقّة وبعناية وكلّ شيءٍ فيه قد وضع بدقّةٍ شديدةٍ بحيث أنّه لو وُضع يميناً أو شمالاً بميلليمترات فقط لُدْمَر ذلك البيت، فكيف يكون مصادفة، يحتمل وجود مهندس وهذا المهندس لديه رؤية هندسية ووجود مهندس ديكور وغير ذلك، ومُؤثّث له، وساهرٍ على العناية به وعلى الحفاظ على نظامه...

الكون هو بيت ربّاني، كلّ أثاث هذا الكون من كواكب ومجرات وأجرام موضوعٌ بعناية، يتحرك بدقّةٍ شديدةٍ جداً، يتوسّع في نظامٍ على غاية الدقّة، بتسارعٍ على غاية الدقّة، لديه مدارات محددة، هذه المدارات دقيقة للغاية، فيه تفاعلات كيميائية وتفاعلات ذرية وتحت ذرية على غاية الدقّة، القوى الموجودة فيه دقيقة جداً رغم صغرهما، بين القوّة النووية الضعيفة والشّديدة والكهرومغناطيسية إلى الثّقالة مجال شاسع مجهول من قبَل العلماء، وهذا المجال فيه قوى أخرى منضوية منطوية داخله، وكذلك قوّة هذه الثّقوب السوداء وهذه النّجوم النيوترونية والنّجوم الهيكزونية التي يحتملون وجودها والتي يكون فيها ضغط المادة عالي بشكل لا يُصدّق حتّى أنّ الأرض قد تتحوّل إلى حجم ذرّة إذا صُغِطت

ضمن هذا النطاق، وإذا اُخْتُمِلَ ضغطها ضمن نجم نيوتروني تتحوّل إلى بضع سنتيمترات، ثمّ المادة السوداء المَهْوَلَة التي تُحيط بالكون في أطرافه والطاقة السوداء التي تمثّل 80% من هذا الكون ولكن غير منظورة، يموت فيها الضوء ينعدم فيها الضوء والزمان وغير ذلك.. هذا الكون بكلّ هذا الترتيب، هذه الأرض بما فيها وما أوجد الله فيها من تناغمات، هذه الألوان هذه الأصوات والذبذبات والإشعاعات وغيرها من قوى ومن أنماط ومن قوانين دقيقة أيضاً في عوالم الفيزياء، من حسابات رياضية مذهلة في دقّتها، من إحصائيات دقيقة جداً - وكلّ ما عَلِمْنَا ذرّة من بحر هذا العلم الربّاني - كلّ هذا كيف يُعَقَلُ أن يكون مجرد مصادفة عشوائية ليس لها من وضعها، من أودَعَ فيها ما أودَعَ فيها !!

إنّ هذا الكلام الذي يُرَوِّج اليوم باسم العلم هو الدّجل ذاته، وكلُّ من غَطَّى عليه بفلسفة، أو غَطَّى عليه بِسَفْسَطَةٍ، أو غَطَّى عليه بأساطير وحُزَعِبَلات وبرامج وسواها، إنّما يُرَوِّج للوهم. الفلسفة في منشئها فِكْرٌ وتدبّرٌ وحكمة، أين الحكمة في أن نرى هذا الكون مجرد نسيج من العشوائيات المظلمة العمياء؟ أو صانع ساعات أعمى كما ذكر صاحب كتاب <<وهم الإله>> دوكنز هذا الذي يَتَرَعَّمُ اليوم الإلحاد، ورددنا عليه في كثير من البرامج وكثير من المقالات وفي كتاب مخصص لهذا <<الإلحاد بين الحقيقة والوهم>>.

إنّ الكون كتابٌ لله، كتاب يشهد أن "لا إله إلا الله"، هذا الصوت المُدَوِّي الذي تستطيع أن تستمع إليه في كلّ شيء، إذا أصغت السمع جيداً إذا نظرت جيداً إذا تأملت جيداً، سترى هذه الدلالات الواضحة الجلية عن أنّه "لا إله إلا الله" وأنّ الله خَلَقَ السَّمَاوَاتِ والأرض بالحق، وأنّ الله قادرٌ على أن يخلق مثل ذلك، وأنّ الله الذي خلق كلّ شيء سيُنْهِي ما خَلَقَهُ في يومٍ محدّد في موعد محدّد، ثمّ يُعيدُه إعادةً جديدةً تُشْرِقُ فيه الأرض بنور ربّها وتُبدّلُ الأرض غير الأرض والسماوات، حيث تُصبح أبديةً بعد أن كانت مبرمجة على الفناء. بَرَمَجَةُ الفناء مُودَعَةٌ في ما أدنى من الدّرة، في الهيكزونات في الكواركات وهذه التسميات الغربية حول هذه الأمور -تمتينا أنّ العلماء المسلمين سمّوها بأسماء أخرى، ولكن لنقل أنّ اللّغة بريئة من التّاطق بها، وكلّ لغة هي من عند الله، ولعلّ الله أراد أن يُظهرها بتلك الأسماء - المهم أنّ هذه العوالم الصّغرى الدنيا التّحت ذرّة الذي يَدْرُسُها اليوم علماء الكم وعلماء فيزياء الكم والذين مثل ماكس بلانك وغيرهم الذين يدرسون هذه الخصائص، إنّما يتكلمون عن عوالم حتمية الإنسحاق. العلماء الذين نظّروا ودرسوا نظرية الانفجار العظيم قالوا "لا بد من انسحاق عظيم"، أنّ الكون الذي يتمطّط ستغلب يوماً جاذبيته طاقته فينطوي إلى الخلف، وحينها ينسحق انسحاقاً عظيماً جداً، وهو يوم القيامة الذي نؤمن أنّه يومٌ قادم.

كل العلوم تدلّ على أنّ الله هو الحقّ

إنّ العلوم الفيزيائية، والعلوم الكونية، والعلوم الطبيعية، والعلوم الرياضية والكيميائية، لمن ينظر إليها نظرة منصفة إيمانية، سيجدها تدلّ على أنّ الله هو الحقّ بأشكال أكثر إظهاراً وإبهاراً، حتّى قال أحد العلماء "إنّ العلوم كانت تكتسب على الطّبيعة كشطاً، واليوم بقي جدارٌ شفاف خلفه الربّ"، وقال آخر "نحن دخلنا مرحلة اللاهوت الفيزيائي، لأنّ العلوم الفيزيائية قاربت مسافةً قريبةً جداً من العلوم اللاهوتية"، ورغم رفض الملاحظة لذلك، فهناك الكثير من العلماء المنصفين الذين تكلموا عن هذه المسألة. إنّ اللاهوت الفيزيائي (كما عبّر عنه) برهانٌ ودليلٌ على أنّ هذه العلوم موصلةٌ بالضرورة إلى التيقن لدى الجميع، بما لا يذرُ مجالاً للشك، من أنّ الله حقّ. وعليه، سوف نتكلم لا فقط عن الحقيقة الرّبانية أو حقيقة وجود الله إيماناً وعرفانياً وإحسانياً، إنّما سنتكلم عن الحقائق: كونياً، وفيزيائياً، وكيميائياً، ورياضياً، ضمن نطاقاتٍ وحدودٍ معيّنة، بحكم أنّ النّطاق الرّوحانيّ أوسع، **فما يعرفه القلب في شهوده لربه أوسع كثيراً ممّا سيعرفه العقل، لأنّ العقل حجابُهُ أوسع.** العقل محدود المدارك رغم كل ما يدركه، والمادة محدودة أيضاً، ولكن هذا لا يمنع من قولنا أنّ القادم سيثبت ويظهر أنّ الله حقيقة فيزيائية وحقيقة كونية، وأنّ الخالق جلّ في علاه ليس مجرد وهم ولا مجرد هلوسة جماعية لدى المؤمنين كما يدعي زعماء الإلحاد، إنّما هو الحقّ، وهذا تحقيقٌ لقوله جلّ في علاه **﴿سُرِّيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾**. آيات الأفاق تجلّى منها الكثير، في قفزة علمية معرفية غير مسبوقّة في هذا التاريخ البشري المدوّن، وفي اعتقادي أنّ هنالك قفزات أعلى في التاريخ البشري الذي لم يتمكن العلم الحديث والمعاصر والتاريخ الحديث والمعاصر من تدوينه، هنالك ألغازٌ في حضارات سومر وأكاد وآشور، وحضارة بابل القديمة ومصر القديمة، والأنكا والمايا والأزتك وحضارات أطلنتس وما كان قبلها وما كان قبلها، وهذا مبحث واسعٌ طويل، بل لعلّ الحضارات قبل آدم كانت آيةً أعظم وأكبر، وهذا له سياقاته ضمن كتابنا **"قصة الخلق"**، نوردها لكم للنظر وللنقاش إن شاء الله في أجل قريب.

﴿سُرِّيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ﴾ بدأت آيات الأفاق تظهر وتُبهر عندما بدأ بعض العلماء المسلمين في اختراع المِرْقَب، ثم بعد ذلك جاء دور غاليليو، ثم بعد ذلك جاءت أدوات أخرى، حتّى وُجِدَ هذا المِرْصَدُ هابل، وحتّى وُجِدَت المجاهر (المكبرّات) التي تُكَبِّرُ العوالم المجهرية والتي استطاعت أن تُري الإنسان عوالم لم يكن يراها، لم يكن الإنسان يستطيع أن يرى تلك العوالم المجهرية سواءً في الموجودات الكائنات الصغيرة الدُّنيا التي لا تُرى بالعين أو ما في الإنسان. **﴿سُرِّيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ﴾** كما ظهر وبهر، **﴿وَفِي أَنْفُسِهِمْ﴾** هذا الإنسان ينطوي فيه من سرّ الله ما ينطوي، أعاجيب كثيرة، وكنا في البرهان عندما تكلمنا عن علم الإنسان تحدّثنا عن تركيب هذا الإنسان **﴿الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَبَّكَ﴾** هذا التركيب، هذا الإنسان كائن مركّب.

تركيب الانسان

أولاً الإنسان جسد وجسم وبدن، وكنا قلنا ضمن البرهان أنّ نظرية عامة (إحدى القواعد التي بنينا عليها الموسوعة): أنّ الله إذا أبدل كلمة مكان كلمة في القرآن العظيم فقد أبدل شيئاً من المعنى، إذا غيّر الكلمة فقد غيّر شيئاً من المعنى، إمّا كلياً أو جزئياً، مثل الجنّة والجانّ والجنّ، لا بد من وجود اختلافاتٍ نوعيةٍ أو اختلافاتٍ ما بين هذه المسائل، فقلنا أنّ الجانّ خلّقوا قبلاً وأنّ الجنّ بعدهم وأنّ الجنّة تشمل جميع كائنات ذلك العالم (كلّ الكائنات المُجتنّة)، والمهم هذا يُطرح للنقاش، ربّما مرةً أخرى نناقش هذه المسائل.

قلنا أنّ الجسد هو الهيكل الخارجي لهذا الإنسان ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَداً ثُمَّ أَنَابَ﴾ ، ﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ عَجَلاً جَسَداً لَهُ خُوارٌ﴾ ، ﴿وَمَا جَعَلْنَا لَهُمْ جَسَداً لَّا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ﴾ دائماً الجسد يرمز للهيكلية، أمّا الجسم فيرمز لمحتوى الجسد، فنحن نتجسّد في هذا العالم بشكلٍ متشابه، ونَتَجَسَّم فيه بشكلٍ مختلف: الأحجام، نوعية الجسد، قوته، يعني نحيل أم غير نحيل إلى غير ذلك، لذلك ﴿تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ﴾ في وصف المنافقين، لم يقل أجسادهم بل أجسامهم. والبدن قلنا أنّه الهيكل الأثري أو الجسد الموازي ﴿نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ﴾ كما جاء في أمر فرعون، وذكرنا أنّ هذا البدن علمٌ كبير جداً وأنه مُوازٍ للجسد كما يتكلم عنه العلماء الخاصون بهذه المسائل في الإسقاط النجمي وغيرها، وإنّ كنا نهذبها تهذيباً ولا نأخذها كما هي، بحكم أنّها معارف نبوية بقيت عند بعض البشر ثم حُرّف منها ما حُرّف وأضيفت إليها إضافات خرجت بها عن المعنى التّوحيدي والمعنى الإلهي.

المهم أنّ هذا الإنسان فيه هذه التركيبة، فيه هذه الروح والنفس (وهي أنفس)، وفيه الشّخصية، وفيه القوة العصبية والقوة التّفسية، وفيه تركيبات جينية، وفيه من سرّ الله أكوان وأكوان وأكوان، فيه هذا الفكر وهذا الإحساس وهذا اللّب وهذا الجوهر، وفيه الرّوح من نفخ الله، وفيه أسرارٌ عديدةٌ جداً اكتشف العلم منها قليلاً وما زال يكتشف منها.

وهذا الإنسان أيضاً برهانٌ على وجود خالقه، والقرآن العظيم تكلم عن أن ينظر الإنسان كيف كان، ممّا خلقه الله، كيف طوّره خلقاً بعد خلق ثمّ أخرجه إلى هذه الدّنيا وهو لا يعلم شيئاً، ثمّ بعد ذلك بدأ يعلمه، ثمّ ﴿مِنْكُمْ مَنْ يُتَوَقَّى وَمِنْكُمْ مَنْ يَرُدُّ إِلَى أَرْدَالِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئاً﴾. وهكذا سيرة ومسيرة، رحلةٌ رغم طولها قصيرة، رغم قصرها طويلة، إذا نظرنا إليها تجزئياً فهي رحلةٌ مسافّةٌ من الحياة تغيّرت وتناقصت عبر الأزمنة من زمن نوح وما قبله إلى اليوم، تغيّرت هذا العمر تغير الحجم ولكن الأذى صار أكبر، الإنسان اليوم أطفئ لعله من الإنسان من قبل.

المهم أنّ هذا الإنسان أنت أيها الإنسان آيةٌ ظاهرةٌ جليةٌ لوجود الله.

من عجيب ما سمح الله للإنسان

لكن الأعجب في الإنسان أنّ الله مكن له هذه الآلية الجدلية، أي أنّ الذي خلقه سمح له بأن يشكّ في وجوده، بل جعل بعض خلقه أعداءً له، وهذا من عجيب قدرة الله. أنت عندما تنظر إلى مصنع للسيارات، من المحال أن يُظهر سيارةً ليس عليها بصمة المصنع، أو أي منتج من منتجات الأرض يجب أن يكون عليه بصمة من صنعه، ﴿فَانظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ﴾ الآثار، الله سبحانه وتعالى له بصمة على جميع من خلق وفي جميع من خلق، وهذا له نظر عميق جداً ومبحث طويل جداً، له أثر يدل على وجوده. ولكنّ الله سبحانه وتعالى منح الإنسان خاصيةً فيها فتنة، أنّ بعض البشر يرفض، أي أنّ المصنوع يرفض شارة المصنع، يتمرد، وهذا المتمرد في أثناء رفضه هو بين مقامين :

1. إمام مقام ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ مقام العزير، أي أنّ بعض البشر ينسى ﴿وَلَقَدْ عَاهَدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِن قَبْلِ فَنسِيهِ وَلَمْ نجدْ لَهُ عَزْمًا﴾ هذا النسيان، هذا الناتج عن جهل، الناتج عن بُعد عن زمن الأنبياء، الفترات التي تعيشها الشعوب دون وجود نبي، هم يُحاسبون على العرف، ترجع قلوبهم إلى الله في حالات الاضطراب الشديد أو في حالات من يهدي الله ممن أراد.
2. ولكن المخيف والخطير هو الذي يكون عن يقين بوجود الله ولكن استكباراً في الأرض ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾.

والذين يعلون في عصرنا الحالي كثر، ويجرون خلفهم خلقاً كثيراً. الشباب المسلم اليوم يجرونه بلذيد كلام مُمنطقي مغلف بالعلم: "أنتك أيها الإنسان حرٌّ وعليك أن تهدم أصنام الدين، وأنتك حرٌّ، عليك أن تُحطّم هذه الحدود الدينية وهذه النظرة السخيفة إلى الوجود، الوجود علمياً وجوداً قادماً من صدفة عشوائية تطوّرت من فوضى، وكان غباراً كونيّ كبير بعد انفجار مُفردةٍ حجمها أدنى من حجم الذرة ما لا يُحصى، وتحركت بسرعة مليون مليون مرة سرعة الضوء، وأنّ ذلك حدث مرة ولن يحدث بعدها أبداً، وأنّ الكون تطوّر بعد ذلك حتى كانت نجوم وأكوان وكانت مجرات وكانت هذه الكائنات، وأنّ هذه الكائنات التي ظهرت أيضاً ويُسمى الانفجار العظيمي مثلاً عندما ظهرت منذ مئتي مليون سنة الثدييات فجأةً وظهرت أنواع من الورد والكائنات فجأةً، وهذا يحيرهم ولكن يرفضونه. كان هنالك سلسلة من التطور من أحادي الخلية، إلى صاحب خليات، إلى كائن أعمى في أعماق البحار، ثم اشتاق إلى الشمس فصعد إلى أعلى، فلما رأى الضوء احتاج إلى عين فطوّر عيناً، والآخر احتاج إلى جناح فطوّر جناحاً، ثم طوّر كل طير نفسه حسبما يريد، وطوّر لونه وطوّر لون جناحه وطوّر لون نغمته ونغمة زقزقته وشدوه، وطوّر نوع بيضه، وطوّر نوعية الهجرة التي يهاجرها، ونظاماً كاملاً للسفر والعودة إلى نفس المكان، بل بعض الطيور عندما يهاجر (وهو يتشابه بشكل كبير)، بعد عام الذكر يعرف الأنثى، والنّاظر لا يستطيع أن يميّز بين هذه المخلوقات الجميلة، واكتشفت طيور أخرى سموها طيور الجنة لها جمال غريب وعجيب. وهذه الكائنات يُضاف إليها غيرها من المخلوقات الأرضية وما كان قبلها من زمن من قبل زمن سيدنا آدم من الديناصورات وسواها، كل هذه الكائنات مصادفات عشوائية طوّرت نفسها بنفسها، هي التي وضعت البرنامج، وهي التي اختارت النوع، اختار الدلفين أن يكون دلفيناً وأن يكون له نظام سونار عجيب جداً أقوى من أيّ نظام في الغوّاصات، واختارت الحيتان أن يكون لها نظام آخر في الرؤية والاستشعار، واختار الخفاش أن

يكون حُقَاشاً، واختار التَّمْر أن يكون حيواناً نبيلاً، واختار الأسد أن يكون ملك الغابة، واختار الفيل حجمه، واختارت النملة منظومتها ومعيشتها في هذه المنازل التَّحت أرضية التي تضم مئات الملايين، واختارت النَّحْلَة أن تكون نحلةً وأن تصنع ذلك العسل العجيب..."

هذا كله يُجَرِّ إليه الشَّبَاب بهذه الخزعبلات التي يستطيع كل ذي قلبٍ ولبٍ أن يتبين أنها مزيفة.

نظر العادة ونظر العبادة

الكون كتاب الله المفتوح المَشْرُوح الذي مُنِح لنا لنتدبَّر فيه ﴿أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أن ننظر، تلك الدَّعوة الرِّبَانِيَّة بالنَّظَر دعوة عجيبة. ﴿إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾: العربي والناقة رفيقان متصلان دائماً، يقول له الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: انظر إلى هذه الرَّاحِلَة، إلى هذه العيس، إلى هذه الإبل، انظر إليها وتدبَّر فيها، كيف خُلِقَتْ، كيف صُمِّمَتْ، كيف تصبر على ظمئها، كيف شكلها، كيف شكل الخفين، وكيف بُزِمِجَتْ لتكون سفينةً للصحراء، العربي الذي ينظر والذي يتلقَّى هذه الآيَة -تخيّل في زمن الجاهلية- هو ينظر كل يوم إلى النَّاقَة، يراها راحلته، عندما يسافر رفيقته في السفر، إذا رحلت حبيبته وطمعتْ شكا إليها بعدها واستفزَّها في رحلة يشكو فيها مخاطرها ويكتب فيها الشَّعر، وعندما يؤلمه الحنين يشكو لتلك النَّاقَة، وإذا عطش شرب من عُبُوقِهَا، وإذا جاع لعلَّه نحرها فطعم منها، ولعلَّه وجد من مائها في سنامها، ولعلَّه تشافى بلحمها، ثم لعلَّه استعمل وبرها في لباسه وخِيَمِهِ، هذا الذي يعرف هذا الكائن جيداً لا يعرف عنه شيئاً!! الأمر شبيه بعضا موسى ﴿مَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى﴾ هو يعرف عصاه، لكن اتَّضح أنه لا يعرف عنها شيئاً، هو يهشُّ بها على غنمه، هو يرافقها يومياً، ولكن انطوى سرّ الأفعى في العصا، فلما رآها فرَّ منها. نفس الأمر: النَّظَر إلى النَّاقَة عند أولئك في الجاهلية كان نظر عادية، ونظر العادة يكسر في عين النَّاطِر سرّ المنظور إليه، وبذلك يُنسى الخالق بالنَّظَر إلى ذلك المخلوق نظرةً اعتيادية، قال لهم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ لا بنظر العادة بل بنظر العبادة، بنظر الشَّهادة، بنظر الشَّهادة لله بالحقّ. عندما تنظر إلى السَّحْب اليوم وترى البرق وتسمع صوت الرعد المدوّي، نظر العادة لن يرى في ذلك شيئاً، والعلماء الماديين يفسِّرون لك السَّحاب أنه مجرد أمور بسيطة، تبخّر مياه كتلة باردة وأخرى ساخنة، بسيط جداً لا شيء في الكون مدهش، وهذا من جرائم العلم المادي الملحد الجاحد. الكون كلّه مدهش، الكون كلّه عجيب، في كلِّ خلقٍ جديدٍ في كلِّ ماءٍ منهمرٍ في كلِّ حفيف ريحٍ على شجرٍ، إذْهال ربّاني، في كلِّ ذيل طاووس إذْهال ربّاني، قال داروين "إنّ نظري إلى ذيل الطاووس يشعرنى بالغثيان" لأنه يناقض التطور العشوائي.

المهم أنّ النَّظَر بعين العادة نظر يوصل للبحر، قال لهم الله: انظروا بعين جديدة. أنت تخيّل معي أنّ إنساناً لم يرَ من قبل السَّحاب وراه لأول مرة، لعلَّه خاف منه، لعلَّه فرَّ منه، لعلَّه ذُهل منه، ولكن عندما يتعوّد على ذلك سينسى الأمر. لو كانت الملائكة تظهر للبشر فبعد شهر واحد سيتعوّدون على ذلك ثم يرمونهم بالحجارة، وهكذا. النَّاس تعتاد على الأمر مباشرةً بسرعة، الذي ركب الطَّائرة أوّل مرّة (توفيق

الحكيم لديه قصة جميلة حول الركوب على الطائرة لأول مرة وكيف شعر حينها بالغثيان وأذهل ممّا رآه)، لو أتينا بشخصٍ من القرن الخامس هجري وأركبناه الطائرة اليوم أيضاً سوف يذهل، لو أتينا به ينظر إلى السيارات وهذه الإلكترونيات وغيرها سوف يذهل، لأنّه نظر إليها بغير عين العادة. أمّا اليوم تصبح أمراً عادياً وكأنّه ملك عام، وكأنّه أمرٌ أخذناه هكذا نحن خلقناه، فتصبح الطائرات تحمل الفجرة ويُمارس فيها ما يُمارس فيها مثلاً من أمور أخرى، من طائرات تقصف بالقنابل النّووية، وطائرات تُقلّ مجرمين إرهابيين فسقة وغير ذلك من أمور، تصبح أيضاً الآليات هذه الإعلاميات وغيرها والتكنولوجيات مسلّطة على الإنسان، مسلّطة للإفساد ولنشر هذه الرذائل، لأنّ الإنسان دخل في عين العادة.

ولذلك من المهم جداً في مسارنا لمعرفة الله أنّ نكسر عين العادة وأنّ ننظر بعين الشهادة والعبادة. ننظر إلى الكون والإنسان بعين العبادة، بعين العابد لله، وبعين الشاهد لله، سترك أموراً لم تكن عين العادة تسمح لك برؤيتها. ستري في هذا الكون وستبصر في ذاتك من عظيم آيات الله وعظيم فضله، بل في كلّ نفس تتنفسه، في كلّ عضو من أعضاء جسمك وكيف يعمل وكيف آلياته وتنسيقه، والذي يشعر به المريض -عافكم الله- عندما يُصاب بعضو ويرى أنّ هذا العضو معقد جداً وأنّه مهم جداً وإن كان لم يكن يشعر بقيمته، ولو حاول البشر صناعته لوجدوا أعجوبة، يعني يحلمون هم دائماً بصناعة السايبورغ أو هذا الإنسان الآلي أو التّصف آلي، ولكن ذلك طمعهم وطموحهم. في الحقيقة الإنسان لا يمكن للإنسان أن يصنع إنساناً، الإنسان آية إلهية، آلة دموية متحركة من دم، آدم: آية أو آلة من دم. هذه الآلة هذه الآليات التي فيه هذه الغرائب والعجائب، هو كون داخل الكون.

وعليه، نظرنا إلى العالم والإنسان يجب أن يكون نظر عبادة وشهادة لا نظراً بعين العادة بعين تجرد وتعاند وتكفر وتجعل ذلك الجمال العظيم محافاً وتجعل تلك العظمة الربّانية تبدو هزيلة، **لجهل الناظر لا لوجود ذلك الشيء وتلك الصفة حقيقةً فيما خلق الله**. كلّ ما خلق الله من ذرّة ومجرّة، من خلية إلى كائن إلى مكوّن، إلى كينونة، إلى كيان، إلى تكوين، إلى كل ما خلق وكوّن ب "كن"، كلّ عظيم عن عظيم. فالعظيم خلق كوناً عظيماً، عظيماً بسرّ الله فيه، وعظيماً بما أودع فيه، وعظيم بما يديه وما يخفيه، وعظيم عظمة كلمات الملاحظة لن تنفيه أبداً ولن تستطيع أبداً أن تغير منه شيئاً.

خاتمة

سبحان الذي خلق الخلق ووهب الرزق، سبحان الواحد الأحد الفرد الصمد القاهر فوق عباده، اللهم علّمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علّمتنا، وأرنا آياتك في الوجود والشهود حتى نراك في كلّ ما خلقت، وحتى نشهد لك بالوحدانية في كلّ ما خلقت، وحتى نكون ممّن ارتضيت ممّن خلقت، وحتى نلقاك وأنت عتّا راضٍ في يوم لا ريب فيه، وحتى نُبعث مع سيّد الوجود وإمام أهل الشهود، خير عبدٍ لأعظم معبود، سيدنا محمّد النّبي المحمود، باب السعود ومعراج الصّعود، إمامنا وهادينا، أن نكون معه، وأن نكون ضمن خدّمه ومن جيرانه، وأن نكون ممّن ينظر إلى وجهه الطّيب الصّبوح الجميل، وأن نتنعم بذلك، فتلك جنتنا التي هي أعظم من كلّ جنة، لأنّ الله جمّل وكمل رسوله محمّداً بجمالٍ تشناقٍ إليه الجنّة، وجعلهُ بابها وجعلهُ أجمل من فيها. فالحمد لله على ذلك وإلى لقاء آخر، السّلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

الحاضرة بتاريخ: 12-10-2020



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

التأمل السادس: وحلّ شهر ربيع النور

مقدمة

الحمد لله الذي جلّ جلاله، وعظّم نواله، وتجلّى للعارفين كماله، وانجلى على العاشقين جماله. والصلاة والسلام على من كان مولده نوراً، وبهجةً وحبوراً، وفرحاً للمؤمنين وسروراً، صلّى على الذي باركت ميلاده، وباركت ذاته وصفاته، وباركت نفسه وحسّه وعقله وظاهره وباطنه، وباركت جسمه وروحه، وباركت ممشاه إليك، ومسراه إليك، وباركت سجوده وركوعه، وباركت صلاته وخشوعه، وباركت يقينه وخضوعه، وباركت ابتسامه ودموعه، وباركت أمّه وأباه، وباركت زوجه وذريّته وصحبه وأمّته، ونزلت عليه خير كتاب، يهدي إلى سبيل الهدى والصواب، نبّيّ الثّقى، خير من اتقى، أعظم من ارتقى، الذي لقّيته ورقّيته ومن كلّ سوء وقّيته، سيدنا وإمامنا ونبيّنا محمّد.

أحبابنا في الله السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته، كان من المفروض أن يكون هذا الدرس ضمن التأمّلات العرفانية يوم الاثنين ولكن لله ما أراد ولم نقدر على ذلك، وهي مؤانسة مولدية، فكما تعلمون حلّ شهر النور والسرور والفرح والحبور، ربيع الأنور الأعزّ، شهر الحبيب المصطفى، شهر المولد العظيم، الذي تحقّق فيه الوعد وتجدد فيه العهد، والذي نوّزت فيه البلد، بخير والدٍ وخير من ولد، سيدنا محمّد أحمد الهادي البشير النذير، وسراجك المنير، رحمتك للعالمين، إمام الأنبياء والمرسلين، ومعراج الصالحين، وطريق أهل اليقين، وسبيل الموقنين المخلصين المخبّتين.

معاني نورانية في خلق خير البرية

سيدنا وإمامنا محمد، كان هذا شهره، وكان يحبّ هذا الشهر، وكان يصوم الإثنين مستبشراً بيومٍ وُلد فيه، واحتفى بهذا اليوم. إذا نظرت بعين القلب، كلّ من أحبّ الله احتفى بحبيب الله، سيدنا رسول الله احتفى كلّ شيءٍ بميلاده، لأنّ يوم الميلاد يوم مولد النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ليس يوماً عادياً، ولم يكن حمل أمّه الشريفة الظاهرة السيدة آمنة بنت وهب، ولا النطفة الزكية التي كانت في أبيه عبد الله عَيْهَمَا السَّلَام، لم يكن ذلك يوماً عادياً، لم تكن تلك الأيام كسائر أيّام النَّاس، أيّام لا تتكرر، ولم يولد مثل رسول الله أبداً، ولم تحمل مثل من حملته أنثى أخرى، لم تحمل أمّ مثلما حملت السيدة آمنة، ولم يُشرف أبٌ مثلما شُرف السيد عبد الله، ولم ترّ الأرض ولم تسمع، ولم تبصر الشمس ولا النجوم، ولم تعرف السموات والأرض أشرف ولا أظهر ولا أعظم ولا أكرم ولا أحبّ إلى الله من رسول الله، ولم ينجلي من رحمت الله وبركاته على خلقه مثلما انجلي في رسوله الذي جعله رحمةً للعالمين. ولم يكن ذلك اليوم إلا يوماً مشهوداً من أيّام الله، يوماً عظيماً كريماً، أنجز الله فيه وعداً وبشارةً من روحه المسيح عيسى بن مريم كلمة الله إذ بشر برسول يأتي من بعده اسمه أحمد، وأنجز وعداً نطق به إبراهيم وإسماعيل ودعاءً إذ يرفعان البيت ويسألان الله أن يرسل في الأميين من يعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم، وبشارة سيدنا عيسى وسيدنا إسماعيل تحققت وانتظرها الآباء طوراً بعد طور، حتى إذا ما ولد قال عبد المطلب لأبي طالب: "إِنِّي أَظَنَّ أَنَّ وَلَدِي هَذَا هُوَ النَّبِيُّ الْمُنْتَظَرُ". وأبيضُ يُستسقى الغمام بوجهه: استسقى برسول الله رضيعاً فسُقِيَ النَّاس.

يوم ميلاده ظهر نورٌ بهر الأرض والسموات، وقالت السيدة آمنة: "رَأَيْتُ نُورًا طَلَعَ مِنِّي أَضَاءً بَيْنَ الْمَشْرِقَيْنِ وَالْمَغْرِبَيْنِ"، هذا النور هو رسول الله. وعلى ذلك قياس حالك ومالك وصدق مقالك: إنك إن أحببت النبي، أحببت أيّامه وأحببت يوماً وُلد فيه، أمّا الذين مرضت قلوبهم وغلبت عليهم ذنوبهم، كلّ محجوبٍ مسلوب، يرى ذلك اليوم والاحتفال فيه بدعة وشراً وسوء، ويغضب ويتمعّر وجهه، وتراه مشمئزاً مكفهاً عبوساً قمطيرياً، وهذا حاله يحاكي حال من كان في ذلك اليوم مشمئزاً عبوساً قمطيرياً، أن وُلد عدوّه الأكبر وأكثر من سيتعبه ويخرسه ويظهر بطلانه، وهو إبليس اللعين. فالذي قلبه على قلب إبليس التعيس، سيكون ذلك حاله، من غضبٍ وأزورارٍ ومن دعوةٍ للنّاس أن لا يحتفلوا بهذا المولد العظيم.

معاني نورانية في اسم خير البرية

أمّا الذي عرف الله وعرفه الله، فلا بد أن يُعرّفه الله بأحب خلق الله لله، بأقربهم إلى مولاه، بصراطه الذي هدى به إليه، وبدليله الذي دلّ به عليه، بسيدنا النبي الذي باركه وبارك والديه، وبارك آباءه وأجداده، وتقلّب في الأصلاب المطهرة والأرحام المطهرة، مضغّة نورانية ونطفة رحمانية، وكان قبل ذلك روحاً غلياً عظمي، أحمديّ المقام، مستويّاً في ألف الاستواء وحاء الاحتواء ودالّ الديمومة التي ارتسمت في اسمه سبحانه الأحد، أحد: ألف استواءٍ وحاء احتواءٍ ودالّ ديمومة. ثمّ أمر الله بسرّ الميم والماء وسرّ

﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾، وسرّ (من عند الله)، وسرّ (من الله)، وسرّه في ميمه التي استوت بين ألف الاستواء وحاء الاحتواء ودال الديمومة عليها فتوحات، أحمد.

فلما أن جاء الزمان ودنا الأوان، انطوت ألف الاستواء في بطن أمه الزهراء الطيبة النقية، فكانت ميماً، فُضِّمَ بضمّة أمّه وضمّة أبيه، ثم كانت الحاء التي فيها جلبُ الأعلى إلى الأدنى (جلب المعجزات السماوية إلى الأرض)، ثم كانت ميمٌ عليها شدة، ميمان متّصلان (مكة والمدينة، مولده مبعثه مماته مسراه معراجاه)، ميمٌ فيها ألف ميم، وعلى الميم شدة، والشدة شدة يعيشها، فيصبر في الطائف على رمي الحجر، ويمضي بعد أن ترك الإمام علي في فراشه، ويلقى من قومه ما يلقي حتّى يحاصر في الشعب، ثم يلقي من قومه ما يلقي حتّى يُطعن ويُجرّح في أحد، وحتّى تُكسر رُباعيته. وهكذا تمضي الميمان، وفوق الشدة فتحة، والفتحة فتح ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾، ثم تأتي دال الديمومة ومعناها ارتفاع الأدنى إلى الأعلى (من الظلمات إلى النور، من الجاهلية إلى الإسلام، من الضّر والشرّ إلى الخير والسرّ، من بُعد البركات والرحمات إلى كون من البركات والرحمات، من جهل وجهلوت وظلموت إلى علم وعرفان وإيمان وإحسان). فهذا بعض ما كتبنا في كتاب <<المعاني اللطيفية للحروف والكلمات>> وهو ممّا شرح الله به الصدر، ووقانا به المكر والغدر، من علوم أسرار الحروف ومعانيها، وأسرار ما فيها وتجلياتها ومبانيها، وما كان ممّا يبيديها الله وممّا يخفيها سبحانه وتعالى، في سرّ أحد وأحمد ومحمد.

حال التجلي النبوي

والكلام في حال التجلي النبوي اتصال بالسلسلة المتسلسلة المتأصلة التي اتّصل أدناها بأعلاها، فأنا أدناها وعند الحبيب أعلاها، نسباً منسوباً وحسباً محسوباً، جعله الله بركةً وخيراً في ذرية نبي الرحمة، وأحفاده وأولاده من ذرية السبطين "إِنَّ اللَّهَ جَعَلَ كُلَّ نَسَبٍ وَحَسَبٍ مَقْطُوعًا إِلَّا حَسَبِي وَنَسَبِي"، فذلك بعض ممّا شرف الله به ذرية المصطفى في شيء ممّا شرف الله به نبيه وآل بيت نبيه، ما لا يماري فيه إلا جاهل، ولا يُبغضه إلا منافق، ولا يحاول دحضه إلا عاجز، جبان نفسٍ ضعيف قلب، تسلّط عليه الشياطين تستفرّه من هنا وهناك، وما سعى إلا في سبيل الهلاك، ولم ير من الأمر شيئاً، إنّما هو عمى قلبٍ وعمى بصيرة.

إنّ الحبيب المصطفى نورٌ من عند الله، وسرٌّ من نور الله، إنسانٌ لا كالإنسان، وبشرٌ لا كالبشر، بشرٌ في قانون الحياة أنّه بشرٌ مثلهم، ولكنّ التور الذي فيه، والسرّ الذي يحتويه، وما يأتيه من ربّه وما يُلقَى إليه وما يُنزّل عليه، رفعه إلى مقامٍ أعظم من مقامات الملائكة، فلَقاه ربّه بعد أن وقاه، وعلمه ورّكاه، وهدى به بعد أن هداه، وعلمه السرّ وحقيقته ومعناه، وأفهمه محتواه، فهو رسول الله، وهو نبي الله، وهو رحمة الله، وهو حبيب الله، وهو عبد الله، وهو الذي كان بالله في الله على الله، متوكلاً على مولاه، وهو الأدنى إلى ربّه، وهو الذي فاز بتمام حُبّه، وهو إمام أهل المحبّة وساقبها، وهو صاحب الأسرار، وهو معالج الأنفس وراقبها.

نحن عندما نتكلّم عن رسول الله، نتكلّم بجوامع قلوبنا، ونتكلّم بأسرارٍ في أنفسنا، ونتكلّم بمحبّة غامرة، نراها عند الله لنا شافعة، وللبلاء والضّر والوباء دافعة، ونراها خالصة لوجه الله مُخلصة نافعة، ونسأل الله أن نكون تحت جناح رسول الله، الجناح الأخضر الأنور، وتحت جناح أمّه وأبيه وأعمامه وآبائه وذريته وأزواجه وأبنائه وأولاده، ونسأل الله أن نُحظى من أمداده، ونسأل الله سُبحانه وتعالى أن ينفعنا بمولده، وبنور مولده، وبسرّ مواعده. ونحن على العهد دائماً، في كلّ مولدٍ تأتينا التّفحات والبركات، وتتجلّى علينا من المعاني الباذخات، فنكتب من الشعر أبياتاً وأبيات، ونصلي على سيد الكائنات، وإمام الموجودات، شريف الدّات والصفّات، ونصلي على الآل فهم لذاته خير مرآة، ونسلم على أصحاب رسول الله الشّمخ السّادات، ونسلم على الصّالحين أهل الأمداد والأذواق والرّيات، ونسأل الله تحقيق الغايات ومحو السيئات ورفعة الدّرجات، وأن نُحشّر عنده في يومٍ لا محالة آت، فندخل الجنات دون عتابٍ ولا حسابٍ ودون أن نُعرض عُرض الدّين حكم عليهم بعدله فأهلكهم، بل عرض الدّين رحمهم فأدخلهم الجنّة برحمته، ودلّهم عليه برحمته، وكنفهم تحت لواء نبيّ رحمته، والدّاعي إلى رحمته، باب خيره وباب نوره وباب سرّه سيدنا محمّد.

ظهور العلامات الدالات على وعد الله

أيها الأحباب في الله، قد أتاكم شهرٌ مبارك، شهرٌ يأتيكم وأنتم فيما ترون من بلاء، وقد تحقّق من عند الله أمرٌ خلفه أمرٌ، خلفه أمرٌ آخر، ظاهره فيه عذابٌ وباطنه فيه رحمة، أيامٌ ضُرّ، أيّامٌ عجاف، كسنين يوسف في السّبع اللّائي ذكرهنّ في الرّؤيا التي رآها الملك ﴿سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعَ عِجَافٍ﴾، فهي عِجَافٌ فيها ما ظهر من وباءٍ وبلاء، وما سيظهر سيكون أشدّ وأشدّ وأشدّ، أعواماً، ثمّ يأتي بعد ذلك عامٌ فيه يُعاثّ النَّاسُ، وذلك العام قادمٌ وقريب.

وفي هذه الأيام الّتي تكثُر فيها الجريمة، الّتي تطغى فيها كلّ نفسٍ سقيمة، تتكلّم بهُجرٍ وفُحشٍ وحُبثٍ الكلام كلّ ذاتٍ عقيمة، وتَسُودُ كلّ رُوِيضَةٍ لثيمة، ويبدو وكأنّه لم يعد للعلم والفهم والخير قيمة، وأنت تنظر إلى هذا، وترى البلاء الّذي تسلّل، والّذي فرّق النَّاسَ في ديارهم، وفرّق النَّاسَ في مدنهم، وألجم تلك المدن وأغلقها، وحنّدقها، وكاد أن حرقها، وتنظر فترى حتّى المساجد غلّقت أو كادت، وتفرّق النَّاسُ، وأغلق باب السّلام، ومُنِع الطّواف حول الكعبة، هذه علاماتٌ دالاتٌ على ميقاتٍ آت، وعلاماتٌ ظاهراتٌ جليّات، لمن نظر بسرّ الدّات، لمن استطاع أن يرى من خلف كل هذا الغبار والدّخان والكثافة، شيئاً شقافاً رحمانياً، ولكنه مسبوقةً بقبضةٍ قهرية. وسلّط الله شياطين الإنس بأموّرٍ وشياطين الجنّ بأخرى، فتعالّت أصواتها، وظهرت فيما ظهرت به من جرمٍ وإرهابٍ وتفخيخٍ وإحاديّ وشذوذٍ وفسادٍ وفسقٍ وفجورٍ وجورٍ وسوءٍ أمور، وكلّ هذا مكتوبٌ عند الله ظاهرٌ جليٌّ لأهل العرفان الّذين عرّفهم الله بالأشياء وعرفوا الأشياء بالله.

المولد غطاء الرحمة

ولكنّ المولد غطاء رحمة، وليس لكم ولا لنا إلّا كما قال سيدنا نوح لابنه ﴿لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ﴾، ليس لنا إلّا الرّحمة الرّبّانية، وليس لنا إلّا باب الصّراعة ﴿فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا﴾، وليس لنا إلّا باب الشّفاة والدّخول تحت لواء رسول الله الرّحمة المهداة. نحن الذين غلبت علينا ذنوبنا، وتكاثرت عيوبنا، وأظلمت أو كادت قلوبنا، نحن الذين أتعبتنا الحياة، وأتعبتنا الشّياطين، وأتينا بجوارحنا ما أتينا، وظلمنا أنفسنا، وتلقّفنا الحوت مرّة بعد مرّة، ودعونا في الظّلمات ﴿أَنْ لَّا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ فأخرجنا فردّنا فرجعنا إلى ما كنّا فيه من ذنبٍ وعيب، ونحن الذين مُسْتَضْعَفُونَ، ونحن الذين مُحَاصِرُونَ، ونحن نرى الخيانات من حولنا، ونرى قضية القدس تُضَيِّعُ، ونرى قضية الحقّ تُمَيِّعُ، ونرى الشّام تُحَرِّقُ بعد أن هاجمها الإرهاب، ونرى العراق وما جرى فيه، وننظر إلى أرض ليبيا عبد السلام الأسمر وما يجري فيها، وننظر إلى الكِنانة كيف يُخَنَقُ نيلها، وكيف يكاد أن يأتي عليها من الإجمام الذي يحيط بها والذي يتسلّل فيها ما يأتي، وننظر إلى سوداننا سودان الصّالحين، ونأمل في أرض إفريقية أرض الأولياء وما يجري فيها وعليها، وننظر إلى هذا العالم كيف يتفاقم وضعه، ليس لنا بعد ربّنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى إِلَّا الْجَنَابَ النَّبَوِيَّ.

وإنّ الله لا يقبل من يأتي من غير طريق محمّد، وإنّ الله لن يقبل من يأتي من خارج طريق رسول الله. الذين قالوا لا نريد النّبّي، ولا جاه النّبّي، ولا وسيلة النّبّي، "مات لا يضُرُّ ولا ينفع"، الذين يريدون أن يأتوا إلى الله بذواتهم، خابت ذواتهم، وتعتست أوقاتهم، وأظلمت حياتهم، ودُنّست صفاتهم، لأنه لا يردُّ على الله أحدٌ إلّا من باب محمّد ابن عبد الله وابن آمنة، صاحب النّفس الكريمة، من أنجبت آمنة وأرضعته حلّيمة، بتلك العهود الرّبّانية والمواثيق القديمة، إننا نأتي الله من باب محمّد. ولا يُؤْتِي إِلَى رَسُولِ اللَّهِ إِلَّا مِنْ بَابِ آلِ بَيْتِهِ، وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ، إِنَّهُ أَبُؤُ مَوْلُودِ بَوَالِدٍ وَوَالِدَةٍ، إِنْ كُنْتَ بَارًا بِأَمِّكَ، وَأَمْرُ اللَّهِ بِالْبَرِّ بِالْوَالِدِينَ، فَكَيْفَ بَابِرٍ مَخْلُوقٍ وَأَعْطَفَ مَخْلُوقٍ وَأَرْحَمَ مَخْلُوقٍ وَأَحَنَّ مَخْلُوقٍ؟! إِنَّهُ النَّبِيُّ الْبَارُّ بِالْوَالِدِيهِ، وَقَدْ حُرِّمَ مِنْهُمَا فِي الدُّنْيَا، وَهُمَا مَعَهُ فِي بَرَزَخِ الْعَالَمِينَ، وَهُوَ بِهِمْ رُوؤُفٌ رَحِيمٌ، كَيْفَ وَهُوَ بِالْأُمَّةِ كُلِّهَا رُوؤُفٌ رَحِيمٌ. فَأُمُّهُ بَابٌ إِلَيْهِ أَدْنَى، وَأَبُوهُ بَابٌ إِلَيْهِ، وَأَبَاؤُهُ أَبْوَابٌ إِلَيْهِ، وَزَهْرَاؤُهُ بَابٌ إِلَيْهِ، وَوَصِيَّهُ الْإِمَامَ عَلِيَّ بَابٌ إِلَيْهِ، وَأَوْلَادُهُ وَبَنَاتُهُ أَبْوَابٌ إِلَيْهِ، وَالسَّبَطَانُ أَبْوَابٌ إِلَيْهِ، وَالْمَرْتَضُونَ الثَّابِتُونَ الرَّاسِخُونَ مِنْ أَصْحَابِهِ أَبْوَابٌ إِلَيْهِ، وَالصَّالِحُونَ وَالْأَقْطَابُ وَالْأَوْتَادُ وَأَهْلُ الْأَبْدَالِ أَبْوَابٌ إِلَيْهِ، وَنَحْنُ نَمْضِي إِلَى رَسُولِ اللَّهِ مِنْ كُلِّ بَابٍ نَجِدُهُ، لِنَتَوَسَّلَ بِذَاتِهِ الْعَظِيمَةِ فِي هَذِهِ الْفِتْرَةِ الصَّعْبَةِ الْمَزْدَحْمَةِ بِالْوَيْلِ وَالشَّرِّ.

إننا يا رسول الله نجدد العهد، بالفرح بميلادك والبشّر به، واثقون ثقةً يقينيةً أنّك بأمر الله تسمع، وأنك بفضل الله حيٌّ، وكما الشّهداء أحياء، فكيف وأنت سيد الشّهداء. وقد نهى الله أن نقول عن الشّهداء أموات ﴿بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ﴾، ﴿أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾. فنحن على يقين أنّك حي بتلك الحياة البرزخية، وأنك أنت الذي تسمع من يُصلي عليك وتردُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، نعلم أنّك تسمعنا، صلّى الله عليك يا سيدنا ويا حبيبنا ويا إمامنا ويا مولانا يا رسول الله، تشفّعنا بك عند ربّنا فاشفع فينا واشفع بنا، تشفّعنا بك وتوسّلنا بك، وأنت الذي كنت تقول وأنت تخرج من بيتك إلى منبرك "اللّهم بممشاي إليك وبالسّائلين عليك"، كيف وأنت سيّد السّائلين تطلب وتوسّل بالسّائلين، فنحن نتوسّل الله بك أيها

النبي الطيب الكريم، وأعمارنا بإذن الله في حبّك، وحياتنا موهوبة لك، ونحن في ذلك لا نقول طمعاً في هذه ولا خوفاً من تلك

نُحِبُّكَ حَبِّينَ حَبِّ الْهَوَى وَحَبّاً لِأَنَّكَ أَهْلٌ لِدَاكَ

فأنت يا رسول الله أولى وربّك، بكلّ حبّ وبكلّ قربٍ وبكلّ دعاءٍ وبكلّ صلاةٍ، ونحن خُدامك تراب أقدامك، وإننا من أبنائك، وإننا متوسّلون بك في رفع هذا الوباء والبلاء، والثّبات حتّى يُظهر الله من ذريتك من وعد ومن وعدت "يَمَلَأُ الْأَرْضَ عَدْلًا بَعْدَ أَنْ مُلِئَتْ ظُلْمًا وَجَوْرًا"، وإنّه لموعدٌ قريب.

خاتمة

صلّ اللهم وسلّم وبارك على سيدنا محمّد نبيك الهادي الحبيب، واجعلنا اللهم ممن قبلت صلواته، وممن رزّقت ذاته، وممن أنرت بنورك حياته، واجعلنا اللهم بك واثقين، لك مُحِبِّينَ، على عهدك وعلى وعدك مخلصين صادقين مصدّقين، وابعثنا اللهم مع الصّديقين، واجعل معنا أولياءك الصّالحين، واجعل معنا أحبابك أهل اليقين، ولا تجعلنا من المُبلسين اليائسين القانتين، ولا تجعلنا مع الكافرين، اللهم نعوذ بك من الشرّ والأشرار، والفجور والفجّار، ومن النّار وأصحاب النّار، ونسألك اللهم مدد نبيك المختار، وآل بيته الأخيار، والصّحابة الأطهار، والأولياء الصّالحين أهل الأذواق والأمداد والأسرار، يا نوراً يا نور الأنوار، صلّ اللهم وبارك على سيدنا محمّد، والسّلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

الحاضرة بتاريخ: 21-10-2020



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

التأمل السابع: الجهل بالله ﷺ - الجهل بذاته والجهل بصفاته -

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله الذي هدى بسيدنا محمدٍ قلوب المؤمنين ورقى به فهوم العارفين وأرسله رحمةً للعالمين، والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا وإمامنا وهادينا محمد الذي بعثه ربه عن حكمةٍ وبيّنةٍ وسابقٍ تقديرٍ، ليكون محبوبه الذي أظهره في الأرض وحبّبه الذي كان قد خزن سرّه في السماء وبشّر به الأنبياء وجعله معراجاً للأصفياء وسبيلاً للأولياء وداعياً إلى صراطه المستقيم، سيدنا رسول الله، الإنسان الكامل، النبي الرسول، الذي جمع الله فيه ما لم يجمع في سواه، وسلامٌ ورضوانٌ وصلاةٌ على آله، وسلامٌ ورضوانٌ على أصحابه، وسلامٌ ورضوانٌ على الصالحين وعلينا في أحبابه، بحمد الله وبفضله وبشكره. والذي يُريد أن يتكلم في مقام الذات المحمّدية يشعر الحقيقة بالرهبة ويشعر بشيء من الإحساس الذي يضغط على القلب، لأنك تتكلم عن نبيّ عظيم، كما عُصت أكثر في سيرته، وكلما أدمت أكثر الصلاة عليه، شُعرت بهذه العظمة المخبوءة المكنوزة التي تكتشف كل يومٍ منها، والتي كل يومٍ وكل حينٍ تجد من أنوار وبركات هذا النبي الكريم على ذاتك وعلى حياتك.

الإخوة والأخوات في الله، اليوم أردنا أن نتكلم عن الجهل بالله، والحقيقة أنه موضوع قد نُوسّع فيه في المحاضرات اللاحقة، هو موضوعٌ مهم جداً، بحكم أن العلم بالداء هو من أساسيات العلم بالدواء، يجب أن نفهم ما هو الجهل كي نتمكن من فهم أعمق للعلم، كذلك يجب أن نفهم ما هو الشرّ كي نفهم أكثر الخير، هكذا نُعرف الأشياء بأضدادها، ربّما كي نشكل صورة أجلى عن العلم بالله والمعرفة بالله وهذا الطريق العرفاني يجب أن نُعرّج على الجهل بالله والجاهلين بالله.

مفهوم الجهل بالله

طبيعي أنّ الجهل بالله مصيبة، مصيبة كبيرة إذا ابتلي مخلوق بالجهل بخالقه، إذا ابتلي عابد أو عبد بالجهل بمن يعبده. الكثيرون في هذه الدنيا الذين مرّوا على هذه الحياة (نتكلم خاصة عن النشأة الآدمية) جهلوا من يعبدون، عبّد هذا بقرّاً وآخر حجراً وغير ذلك من المتاهات التي حادت بهم عن الصراط السوي المستقيم، بعث شيطانيّ يمتزج فيه دور شياطين الجنّ بشياطين البشر بالأبالسة بإبليس اللعين الذي كان منذ البداية معلناً أنّه سيحاول أن يحدّد بعدد كبيرٍ من ذرية آدم عن الصراط المستقيم، إلاّ عباد الله المخلصين.

الجهل بالله قد يتّخصّص في ذهني -عندما نظرتُ في هذه المسألة- في نقاطٍ محددة، صحيح أنّ هذه النقاط ربّما لا تُلخّص كلّ المسألة، ولكيّي أختزل اختزالاً، فأقول أنّ الجهل بالله فيه: **الجهل بذاته، والجهل بصفاته، والجهل بآياته، والجهل بأسبابه ووسائله والأسباب التي جعلها إليه، أنّ الله سبحانه وتعالى جعل أسباباً ووسائل إلى الله، من جهلها فهو يجهل أيضاً أمراً عظيماً من أمور الله.**

الجهل بذات الله

الجهل بالذات الإلهية، لعلّ الإنسان الذي ينظر بعينه الإيمانية وبقلبه يستغرب ذلك

**أَوْعَجِباً كَيْفَ يُعْصَى الْإِلَهَ أَوْ كَيْفَ يَجِدُهُ الْجَاهِدُ
وَفِي كُلِّ شَيْءٍ لَهُ آيَةٌ تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ وَاحِدٌ**

هُنَالِكَ حَيْرَةٌ تلمس قلب المؤمن: كيف يكفر أحدٌ بالله وقد تجلّت آيات الله وظهر أنّ الحقّ الله سبحانه وتعالى حقٌّ وأنّ كلّ شيء يدل عليه؟! الجهل بذات الله فيه معانٍ كثيرة، من بينها الذي يفعله الذين يُجسّمون الذات الإلهية، هؤلاء جهلوا الله سبحانه وتعالى، من شبّه الخالق بشيءٍ ممّا خلق أو بمخلوقٍ ممّا خلق، فقد جهل بالخالق جلّ في علاه. إذن هذه المعاني كلّها مُحاطةٌ بالكثير ممّا يُبحث فيه ويُبحث في شأنه حول الجاهلين بالذات الإلهية.

الجهل بالصفات

المسألة الموالية هي الجهل بالصفات، الذين يجهلون الصفات ويتعمّدون الجهل، ما معناه أنّ الله سبحانه وتعالى تجلّى بالرحمة على الناس، فالذين يجهلون سرّ هذه الرحمة يُجلّون الدّين بالقسوة وبالعنف وبالقتل وبالتدمير والتخريب والتفجير، وهذا حاشا أن يكون دالاً على الصفات الرّبّانية. المؤمن الحقّ هو الذي يُحاول أن يتّصف بالصفات الرّبّانية، خاصة الصفات الجمالية، الصفات الجلالية لها إطارها، ولكن غالباً "الرّاحمون يرحمهم الرّحمن" ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا﴾ هكذا يلحقون بالصّفة الرّحمانية ويصيرون عباداً للرّحمن.

الجهل بآيات الله

إذن الجهل بالله فيه جهلٌ بذاته، وهو شيءٌ في الحقيقة يُتعب صاحبه ويمضي به في مسارات ربّما تأخذه بعيداً عن حقيقة هذا الإيمان وهذه المعرفة، وفيه أيضاً جهلٌ بالآيات أي أنّ الكون يحوي آياتٍ ربّانية كلّها تتكلم عن مُنشئها، من **طبيعة الصّانع أن يجعل بصمته فيما صنع**. كلّ مصانع الدّنيا، كلّ فنّانٍ نحّاتٍ، كلّ مخرّجٍ، كلّ من يقوم بعملٍ فنيٍّ، طبيعيٍّ أنّه سيجعل اسمه ويُريد أن يظهر اسمه على عمله، لأنّه أبدع ذلك أو صنع ذلك، فكيف الخالق لا يجعل بصمةً جليّةً واضحةً تُثبت أنّ ذلك المخلوق، أنّ الكون أو الدّرة أو البشر أو الحيوان أو العوالم كلّها تدلُّ عليه؟! هذا منطقيٌّ جداً، يجب أن يُنظر إليه من باب المنطق الظاهر للأشياء، الذي نعيشه نحن، لأنّ هذه الصّفة سبحانه الله، الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَوْدَعَ** فينا شيئاً من هذا السرِّ، أنّنا إذا صنعنا شيئاً أو ابتكرنا شيئاً نفرحُ به، نسعدُ به، نحرضُ عليه، ونجعل بصمتنا عليه، والذي ينسب شيئاً ليس له يُتهم بالسّرقة، السّرقة الفكرية، أو السّطو على مشروع لشخصٍ آخر، أو مصنعٍ لمصنوع، وهذا فيه الكثير من الإشكاليات.

إذن آيات الله جليّةً في كونه على أنّ الله هو الخالق، الله هو الأحد **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**. وهذا كلّهُ إذا أُحيط بالجهل ترونه جلياً فيما يفعل أدعياء العلم المادي الذين لا يجدون في الكون ما يُشير إلى المُكوّن، لا يجدون في الموجود ما يُشير إلى الموجد، لا يرون في هذا العالم ما يُثبت وجود مُنشئٍ هذا العالم. هنا السّؤال: هل هم لا يرون فعلاً؟ أم يدعون أنهم لا يرون؟ هذا يُناقش. أنا في اعتقادي حسب ما قرأت واطّلت، معظمهم -إن لم يكونوا جميعاً- موقنون ويكذبون **﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ﴾** فالظلم والعلو، جحدوا بها واستيقنتها أنفسهم، النّفس مستيقنةٌ ولكنهم يجحدون، وهم في ذلك يسلكون سبيل من سبقهم من المعاندين والجاحدين.

إذن الجهل بالله هو ملف علمي يجب أن يُنظر فيه أن يُدرس، وفي التاريخ الإنساني شواهد ومشاهد كثيرة من هؤلاء الجاهلين بالله، وواقعنا يعجُّ بهم، الذين يكذبون على الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، الذين جهلوا ذاته وجعلوا صفاته، الذين جهلوا آياته، والذين جهلوا بالأسباب التي جعلها. **الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لديه أسباب ﴿يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾ له وسائل، لأنّه فضّل بعض النّاس وبعض الخلق على بعض درجات، وجعل شُفعاء، وأرسل رسول الله رحمة للعالمين، ﴿جَاءُوكَ فَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾**. هذه الأسباب والوسائل، رسول الله كان يقول **"اللهم بممشاي إليك وبالسّائلين عليك"** هو خير من يتوسل به ويتوسل بمن دونه، وأمر الصّحابة إذا جاء أويس القرني أن يطلبوا منه الدعاء، وجاءه الأعمى وقال **"قل: اللهم إني أسألك بعبدك محمد، يا محمد إني أسأل الله بك"**، وجاء الأعرابي بعد ذلك في عام الرّمادة وجاء إلى قبره وقال: **"يا رسول الله أغث أمتك"**، فأتاه في المنام وقال **"سأغث أمتي"**، ولم يُنكر عليه أحد من الصّحابة ذلك. أنكر التّوسل من ابن تيمية ومن بعده من أخذ عنه هذا المنهج، وهذه الإشكاليات التي تُثار حول هذه الوسائل، وسائل أهل الله والصّالحين، هي من الجهل بالله، لأنّ هذه الوسائل من جعلها؟ الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** هو الذي جعلها، هو الذي أوجدها، هو الذي فضّل عباده، هو الذي فضّل مقام سيدنا رسول الله وخصّه بهذه الآيّة وبهذه العناية. ولذلك نرى

أنّ الجاهلين بهذه الوسائل أيضاً، جهلوا الطريق إلى الله، وجهلوا سبيل الله، وجهلوا ذات الله وصفاته الله وآيات الله، لأنّ سيدنا رسول الله آية عظمى من آيات الله، ومجلى لذاته وصفاته.

ومن هذا الباب المختزل الذي أردتُ فقط أن أثير بعض نقاطه، لعلكم تُفصلون فيها ببحوثٍ، بقراءةٍ، بمطالعاتٍ، أو لعلنا نُفصل فيها في الأسبوع القادم ويكون كلامنا أكثر تفصيلاً، المهم أنّنا نعوذُ بالله من الجهل به، جهلاً بذاته كان أو جهلاً بصفاته أو بآياته أو بأسبابه ووسائله، ونحن نتوسل إليه بما فرض من وسائل ونعلم أنّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى -صحيح لا وجود لواسطة بين العبد وربّه في باب أنّه يدعو الله فيستجيبُ له- ولكنّ الوسائل الرّبّانية مجعولة من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، لأنّه سيدنا آدم كان وسيلاً لله، رفض إبليس تلك الوسيلة، والأنبياء جميعاً كانوا وسائل لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، لذلك رسول الله يقول: "آل بيتي سفينة النّجاة، من تعلّق بها نجا ومن تخلف عنها هلك"، من تعلّق بها على معاصيه، ومن تخلف عنها على عبادته وادّعائه، إبليس عبد الله طويلاً طويلاً، لكن لأجل سجدة لإدم أُظرد من رحمة الله. هذا يجب أن يتأمل فيه، الذي يرفض الوسائل الرّبّانية كأنّه يرفض أمراً عظيماً لله، يرفض أمراً أمر به الله.

ردُّ على من أساء للذات المحمّدية

فيما يتعلق (بِعجالة): في كلّ مرّة يخرج لنا رئيس أو يخرج لنا رسّام كاركثير أو مخرج سينما، ويريد أن يُسيء للذات المحمّدية. وطبعاً المحاولات في هذا الإطار محاولات مستمرة، والقرآن الكريم بيّن أنّ هنالك أقواماً من المشركين ومن كان قبلهم يستهزئون بالمؤمنين، ويستهزئون بالأنبياء، وتعلمون ما فعل كفار قريش والكثير منهم برسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، في أوّل أيام البعثة وبعد ذلك، حاربوه آذوه، وضعوا على رأسه الأذى والتراب وغير ذلك من الأمور، وكانوا يتخذونه والمؤمنين هزواً. الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى دعى إلى الرّدة الفعلية في اعتقادي، ليس ردة الفعل، رسول الله بنى حضارةً، بنى مدينةً، بنى فكراً، بنى رجالاً، أسس لمنظومة كانت الرّدود فعالة ولم تكن رّدود فعل. ما معناه أنه هذا يرسم رسم كاركثيري، يأتي آخر متعصب فيقوم بقطع رأس أحدهم ويقول "أنا أنصر رسول الله"، أنت تُسيء إلى رسول الله !!

وعليه الأمة اليوم مطالبة، ما أكثر ما يُطلب من الأمة، للأسف نحن كمن يصرخ في وادٍ. المهم من باب الفكر، من باب ما ينبغي أن يكون، المُسيئون لن يتوقفوا حتى يُظهر الله حُجّته في الأرض، ويُقَهروا بالقهر ﴿يَوْمَ نَبِطِشُ الْبَطِشَةَ الْكُبْرَى﴾. الرّدود على هذه الإساءات تكون بمزيد محبة رسول الله، بمزيد اتباع منهجه، بمزيد حبّ آل بيته، بمزيد الصّلاة عليه، بمزيد تزيين الدنيا بنور محمد، بالإبداع، بالفعل الثّقافي والحضاري، وليس بالدّبح، وليس بأن نكون في أسوأ حالاتنا الحضارية، وليس بأن نكون في أردى وأخبث الأحوال كما نرى الكثير من أبناء هذه الأمة، نرى مشاهد تُؤلم: أمّ ترمي أولادها من جسر، جرائم قتل غريبة عجيبة، ثم يقولوا "هذا ينتمي لأمة رسول الله". رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ رسم طريقاً إلى الله، طريقاً من التور والخير والجهاد والحكمة، جهاد أساساً جهاد النّفس وتركيتها وتطويرها، تطوير العقل، أوّل ما سمع من سيدنا جبرائيل اقرأ، القراءة والمطالعة والثّقافة والإبداع وتطوير الذّات والفعل الحضاري

الإيجابي. لا أقول أن المسلمين في العالم لا يفعلون ذلك، نعم هنالك نماذج كثيرة في دول الغرب، بنّت الدول الغربية، وأسهمت في بنائها وتُسهم اليوم، ولدينا علماء في جميع المجالات من أبناء الأمة الإسلامية، أشخاصٌ ورجالٌ ونساء استحقوا الإحترام، ولنا أيضاً في عالمنا الإسلامي والعربي وفي تاريخنا كذلك، ولذلك يجب أن نُبرهن عن طريق ذواتنا عن عظمة الذات المحمدية، كما فعل أهل الله الذين ذهبوا إلى الهند وإندونيسيا وغيرها، عندما رأى الناس أخلاقهم أحبّوهم فأحبوا رسول الله فآمنوا بالله وأحبّوا الله.

خاتمة

هذا مختزلٌ أردت أن أقوله، لم أبغي أن أطيل كثيراً بحكم أن لديّ محاضرة بعد هنيهةٍ مع ملتقى الثقلين ومركز الثقلين حول الإسلام والإسلاموفوبيا وأوسّع فيها الكلام الذي ذكرته الآن، هنالك حالة إسلاموفوبيا ما أسبابها؟ ما الذي يراهن عليه أعداء هذا الدين؟ ما الذي يريدونه؟ كيف نستطيع أن نواجه هذه المسائل؟ وهذا يجب أن يُفكك ويُدرس علمياً. الأمة الإسلامية ليست بخير اليوم، وطالما كان فيها أدواء وكان فيها أهوال، وطالما وظّف اللاعبون بمشاعر الناس وظّفوا الدين بشكلٍ سيء وقتلوا الناس، وهذا معروف اقرأوا التاريخ تجدونه، ولكن لا يمنع وجود شموع مضيئة، وجود نماذج رائعة، وجود أسوة حسنة، وجود قدوات، وما أحوج الشباب والأطفال خاصةً اليوم إلى القدوة الحسنة المحمدية، ما أحوجنا إلى الإسلام المحمدي النقي، الذي لا يتمزق بالطائفية، ولا يتناحر بالمذهبية، ولا يكون فيهم مُنبتٌ كارهٌ لِدِينِهِ، ولا يكون فيه متعصّبٌ مُكرهٌ لِدِينِ الله، ومسيءٌ لرسول الله، أن نُجسّد الذات المحمدية على قدر استطاعتنا، لأننا لا ندرك عظمة تلك الذات حقيقةً، ولا نُقدّر حقيقةً، ورسول الله حفظه ربّه، وهو سيد الخلق، هو خير وُلدٍ آدم.

ولذلك رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ هو أغناه ربُّه ولا يُخشى على الذات المحمدية، ولا على الدين الإسلامي النير الحقيقي من الذوبان أبداً، ولأنّ حاول هذا أو ذاك أن يشوّه وطال أمد الإنتظار، ولكننا نرى فجراً قريباً، ونستمرُّ وندعو دائماً إلى منهجٍ معتدلٍ وسطٍ، بين البغضاء التي تُبغض الدين من خارجٍ، ربّما لمشهدٍ يُسبب البغضاء من الدّاخل، المتعنّتون وهؤلاء التكفيريون يُسيئون لرسول الله دون أن يشعر بعضهم، قد يكون متحمساً ويُرمج، ويُراد منه أن يكون سبباً لمزيد الإساءة. الذي قام بقتل المعلم: في أيّ شيءٍ نصر النبي؟ هل قام الصحابة من قبل عندما يُسيء أحدهم إلى رسول الله بقطع رأسه والتسبب في حربٍ لم يحن أوانها بعد؟ هل قام أحدهم مثلاً بضرب صنم من الأصنام التي بقيت في الكعبة وحولها حتى الفتح؟ لو أراد رسول الله لأمرهم بذلك. لم يكن الإشكال في الصنم، الصنم سيزول، أنت كن محمدياً. عندما نُجِتَ التّحت المحمدي نُقش نُقشاً، نُقش رسول الله "لا إله إلا الله محمد رسول الله" في قلوب الصحابة، إن ذلك الصنم بعد ذلك. فعلينا أن نعيد هذا النّقش، نعيد هذه الكتابة، أن نقرأ كثيراً عن هذا النبي، أن نفهم أكثر شخصيته، أن نفهم أكثر هذا التّور الذي جعله الله معه، ثم نُجَلّي ذلك على قدر الإستطاعة، لا يمكن أن تجلّي مرآة صغيرة ضوء الشّمس كاملاً، لكن شُعاعٌ يكفي لِينير ظلمة الطّريق، وكلّما كانت الظلمة أكبر، كان للشّعاع ولو كان خافتاً أثرٌ أكبر. وهذه ظلمةٌ مُطْبِقةٌ، هي ظلمةٌ من الأحقاد، ظلمة

من الجرائم والبُعد عن طرق الله، والتعنتات والإسفافات، وعبث الملحدين والفاسقين، ولكننا راسخون ثابتون ومحمديون، نُؤمن بالخير الإنساني لكل إنسان، نُؤمن باللحمة بين أبناء الأمة كل أبناء الأمة، ونؤمن بغدٍ أفضل، ولإن بدا لعين الناظر بعين العقل فقط أنّ الغد فيه شؤمٌ وفيه لؤمٌ وفيه سوءٌ كثير، ولكننا نُؤمن أنّ الله وَعَدَّ وَعَدًّا وأنّ الله متمّ وعده.

نعتذر عن هذا الإختزال ونعتذر عن كلّ تقصير وعن تأخرنا في الموعد، وإلى الأسبوع القادم. لو كان لدى أحدكم سؤال فليكتبه ويتفضل بكتابته. ونحاور قلوبكم ونناجي عقولكم ونريد لكم أن ترتقوا معنا، وأن نرتقي بكم إلى فهمٍ أكبر وإلى مسافةٍ أقرب، السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

الحاضرة بتاريخ: 2020-10-26



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

التأمل الثامن: عن التزكية ومعانيها - والفرق بين النازع والنازع والواعز -

مقدمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، وصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدِ النَّبِيِّ الْأَسْعَدِ الْكَرِيمِ، بِالْمُؤْمِنِينَ رُؤُوفٍ رَحِيمٍ، اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ كَمَا يَنْبَغِي لِسَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ كَمَا يُسَعِدُ قَلْبَ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، وَارْضَ اللَّهُمَّ عَنْ أَصْحَابِهِ وَسَلَامٌ عَلَى أَحِبَابِهِ الَّذِينَ اشْتَقُوا إِلَيْهِمْ ثُمَّ اشْتَقُوا إِلَيْهِ.

أحبابنا في الله السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته لهذا الموعد الجديد مع التأملات العرفانية، وفي موعدنا هذا وبعد رحلتنا في بعض أبواب معرفة الله، وبعض الرؤى التي يجب أن يراها المؤمن في كون الله وفي كتاب الله وفي ذاته مما يُعَرِّفُهُ بِرَبِّهِ، وبعض حقِّ لرسول الله علينا أن نقوله عن مولده وعن ذاته العظيمة الكريمة، نحن اليوم نتكلم عن منهج معرفة الله من خلال التربية النفسية والروحية، أي عن قيمة التزكية في معرفة الله ثم تجليات ذلك على معرفة ذات رسول الله وعلى معرفة الخلق والكون، كل ذلك ضمن المنهج التزكوي.

دعوة سيدنا إبراهيم وإسماعيل إذ يرفعان البيت أن يبعث الله في أحفادهما من ﴿يَعْلَمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ﴾ فقدّمنا الكتاب والحكمة على التزكية، ولكن الله جلّ في علاه عندما منّ على المؤمنين بأن بعث فيهم من أنفسهم رسولا قدّم التزكية ﴿يُزَكِّيهِمْ وَيَعْلَمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾، وأثبت الواقع التاريخي أنّ التزكية قد سبقت، ولعلّ تأخيرها لدى سيدنا إبراهيم وإسماعيل هو تأخيرٌ تدريجي أي أنها الأعلى قيمة فأخّرت، ولعلّ تقديمها عند الرّبِّ سبحانه وتعالى عندما منّ على المؤمنين تبياناً للمنهج التنفيذي الذي لقّنه وأوحى به إلى نبيه، فالفترة المكية بالأساس كانت فترة خاصة بالتزكية والتّهذيب.

النوازع الذاتية

إِنَّ النَّفْسَ الْإِنْسَانِيَةَ مَحْكُومَةٌ بِنَوَازِعٍ وَنَوَازِعٍ ﴿وَإِنَّمَا يَنْزِعَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ﴾ ﴿وَمَا أَبْرَأُ نَفْسِي﴾ إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ ﴿. فالتَّوَاذِعُ ذاتية من شهوات الإنسان ومما فيه من كوامن الشر ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾، هذه الكوامن لها تعبيرات عصبية وطاقية وفي التصرفات والشخصية والأفعال والأقوال والأعمال، وهذه التَّمْظَهَرَاتُ لها أشكال شتى: نازعٌ للغضب الأعمى المضللّ المخلّ، ونازعٌ للشهوة ومزيد الإشتهاء في كلِّ ما تشتهي الأنفس، وقد أحلَّ الله لها أن تشتهي ولكنها تبتغيه حراماً، لأنَّ طاقة النَّفْسِ الأَمَّارَةُ تنجذب إلى نوعها فهي لا تطمئن إلى حلال ولا تُحبُّ شراب زُلالٍ إنّما تحبُّ كلَّ ما فيه ضلال، وكلَّ ما فيه ضلال يجذبها إليه بقوة كبيرة، لذلك تحبُّ الشَّهَوَاتِ المحرَّمة ولا تشبع منها أبداً، كما ذكرتُ في قصيدة:

كَمْ بِالْمَعَاصِي أُرِدُّ إِظْفَاءَ شَهْوَتِهَا أَعْمَى الْبَصِيرَةَ أَظْفِي النَّارَ بِالْحَطْبِ

فهي تستمر وتستمر وتستمر في هذا المنهج، لها نوازع، هذه النوازع ترى فيها تحقُّق ذاتها، تحقُّق وجودها في هذه المناطق الخاصة بكلِّ الرغبات وبكلِّ التَّزَعَاتِ الخاصة بالانتقام، الغضب الأعمى، الجبن أيضاً، يجذبها للأسفل، العجز الكسل الدناءة الخبث... كلِّ هذه هي عُبُوتٌ ناسفة مخبوءة مضغوطة أكثر من ضغط الحمض النووي داخل الخلية، هذه مضغوطة داخل خلايا النَّفْسِ الأَمَّارَةِ بالسُّوءِ، هي مشحونة بجميع المساوي، ولكن حسب التفاعلات الذاتية والتربية وتأثير المجتمع والتجارب تتجلى أنواعٌ منها، فيظهر على أحدهم البخل وفساد الطَّبَاعِ أكثر من غيره، ويظهر على آخر الغضب والتَّهَوُّر والتَّسَرُّع والحرق، ويظهر على سواه الشَّهَوَانِيَّةُ أو الشره أو حبُّ الجاه وحبُّ السُّلْطَةِ أو حبُّ الغرور والعناد والجحود. وهذا يتعلَّق في علاقة الذات بذاتها والذات بما حولها ثمَّ يصل إلى العلاقة بالله، فالجحود هو نوع من نزعة التَّأَلُّهِ وادِّعَاءِ الألوهية التي ضربت فرعون في ذاته مثلاً وتمظهرت عليه، هذه كلُّها نوازع نفسية.

النوازع الشيطانية

أما النازع، وأنا كنت في موسوعة البرهان فضلت طويلاً ضمن علم الإنسان وعلوم نفسه، وأعتقد جازماً أنَّه من يتلَّع على ذلك سيجد أنَّ ما قاله يونغ وفرويد وما قاله مدرسة التحليل النفسي هو مُجَرَّد ظنَّيات ولا تلمس الحقيقة في شيء، إنّما هو ظنُّ (الهوى والأنا الأعلى والأنا)، ولكن ما فضَّلناه انطلاقاً من القرآن الكريم أكبرُ علماً ونفعاً وحكمةً وأكثر تعقيداً وشساعةً ودقة.

المهم أنَّ التَّوَاذِعَ الخارجية تأتي أساساً من الشَّيْطَانِ، والشَّيْطَانِ لديه أبواق، هنالك بشر هم أبواق للشَّيْطَانِ هم ممثلون تجاريون للشركة الإبليسية، هؤلاء يقومون بعمل وظيفي لدى إبليس (بوعيههم أو دون وعيهم). مثلاً الخمر في قواريرها قد تُنَزَعُ النَّفْسُ إلى رغبة في ذلك ليس حباً في الخمر بل حباً في المعصية، الأنفس الأَمَّارَةُ بالسُّوءِ تُحبُّ أن تعصي ربَّها، مُبرَّجَةً، هي في برمجة هكذا، ألهمها أي برمجةها،

من بين معاني الإلهام البرمجة. فهي تحبُّ ذلك لأجل المعصية وليس حباً في الخمر، الخمر تفسُّها هي أكثرها علاقة ظنية وهمية، مثل السجائر في نفس الإطار هي علاقة نمطية، يغلب عليها العلاقة العصبية التوهمية، أنك تتوهم أو تعتقد أو تظن -ويؤثر ذلك في جانبك العصبي والنفسي- أنها تؤثر تُضيف تُنقص تحدُّ من غضب تُعطي خيال تُعبّر عنك إلى غير ذلك.. هذه **علاقات نمطية**، أي علاقات ليست مبنية على حقيقة إنما مبنية على علاقة متوهمة ولكن يُعتقد أنها صحيحة. الخمر إذاً في أوانيها النفس تنزع إلى ذلك أو لكل أنواع الشهوات، ولكن النازغ الشيطاني قد يرسل مجموعة فاسدة من البشر إلى هذا الشاب الذي تنازعه نفسه في ذلك (ولعلَّ صوت نفسه اللوامة أيضاً تلومه)، فيقوون، مثل محامين للقوة الشيطانية في الإنسان، يدعمون تلك النفس الأمارة بالسوء بما ينزغونه بما يُلقونه بما ينفثونه في نفس هذا وفي أذن هذا الإنسان، فيميل حينها ويشط ويضي. ولذلك في القرآن الكريم عندما يتكلم المستضعفون مع الذين استكبروا وهم في النار ﴿وَقَالَ الَّذِينَ الَّذِينَ اسْتُضِعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ ﴿وَمَكْرُوا مَكْرًا كِبَارًا﴾ ﴿وَقَدْ مَكْرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ﴾ ﴿وَمَكْرُوا مَكْرًا وَمَكْرًا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ آيات المكر في القرآن الكريم. إذن هذا النازغ يُساعد هذا النازع، بينهما نقطة بين العين وبين الغين، وكأنه النازع مازال بإمكانه أن يبصر، ولكن النازغ هو أقوى ﴿وَأَمَّا يَتَزَعَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ﴾.

وكذلك في جميع المسائل، هنالك شياطين الإنس، وهنالك شياطين الجنّ النَّفَّاثون في العقد الذين ينفثون **حتى في العقد النفسية** وينفثون في العقد الخاصة بالطباع السيئة، وكأنها معقودة في داخل الإنسان، وهذه ليست فقط عن السحر إنما أنا أرى أنها عن عقد في ذات الإنسان، عقد السحر هذه لا تأتي دائماً، يعني كم عدد الذين يُسحرون يومياً؟ ولكن عقد النفس هي أشدّ ﴿وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ﴾. والشياطين هي إناث أو مخنثات ﴿إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنَاثًا وَإِنْ يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَرِيدًا﴾ إذا هم ينفثون في هذه العقد النفسية.

بين النازع والنازغ هنالك حرب شديدة ضارية، هنالك من ينوبون عن الشيطان من عالم البشر من حول الإنسان، يمتلكون طاقات كبيرة يجذبون الإنسان نحو الهاوية بطرائق شتى. وحتى هذه الوسائط الافتراضية قوت هذه النازغات وجعلت لها قوّة تأثيرية وسمعية بصرية وتخديرية أكبر، وهذا يصل بالإنسان إلى أنواع الدعارات والفسادات والإفسادات وصولاً إلى القتل والإجرام وغير ذلك، كل ذلك من بؤر الشر. وأنا دونت في موسوعة البرهان علماً سمّيته **علم الشر**، لأنّ الشرّ قوّة خلقها الله وتبرأ منها وامتنح بها بعضاً من خلقه، ويُدرّس علمياً، يجب أن يُفكك ما هي آلياته، ما هو الشيطان، ما هو فكر إبليس، كيف كان يعتقد إبليس، أنا سمّيت توحيد التكفيريين **بالتوحيد الإبلسي** الذي يُعاند الله ويرفض وسيلة الله، أنّ إبليس قال لربه: أنا أعرف أحسن منك كيف أعبدك، أنا لا أسجد إلا لك !! وربما قال للملائكة: إن سجدت فاسجد لله، وإن عبدت فاعبد الله، لا وجود لوسائط، ما هذا آدم الذي خُلق منذ لحظات نسجد له؟! هو يؤمن بالله ولكنه يُعاند الله ﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾. هذا نفس الشّيء، اليوم البعض (وعبر التاريخ) يُعاندون: تُريد الله دون محمّد، تُريد الله دون الإمام عليّ، تُريد الله دون آل البيت، تُريد الله دون الأولياء الصّالحين، الذين فضّلهم الله عليهم يرفضون هذا التفضيل ويرفضون هذه الوسائل، وإن كان سيد خلق الله يقول وهو يمشي من بيته إلى منبره "اللهم بممشاي إليك وبالسائلين عليك" هو يتوسّل بمن هم دونه، فكيف نحن لا نتوسّل به؟!

النفس اللوامة وقواها

المهم بين هذه النَّوازغ والنَّوازع تأتي الضَّفة الثانية، الضَّفة الثانية هي ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ ضفة تقواها. إذا هنالك أيضاً كامن أو كون كامنٌ يعني فلَكَيْنِ متضادين، مثل الإشارة التي رواها أحد أنبياء الله ثم دُونَتْ عند الطَّاوِيين، الطَّاوية تعني باللُّغة العربية "المهديون"، أو "المهتدون" في بلاد الصَّين، وتلك الإشارة الينغ يانغ ☯ التي تعني الإيجابي والسَّليبي، وفي الإيجابي نقطة سلبية وفي السَّليبي نقطة إيجابية، رمز شهير جداً ومعروف، المهم لعلَّ ذلك يُعبَّر عن هذه الكوامن التَّفسية وهذه التَّقاط الدَّاتية.

هنالك فَلَكَ النَّفس الأُمارة وداخلها صوت ضعيف من صوت الصَّمير الإنساني، وهنالك النَّفس اللوامة وصوتها أقوى ولها قوَّة كبيرة جداً في الإنسان، ولكن قد تنامُ وقد تصمت، في حين النَّفس الأُمارة لا تصمت إلا لدى الكَمَل من خلق الله، الأنبياء لا تكون فيهم، والكَمَل من الصَّالحين تُنزع منهم، أمَّا بقية النَّاس فيبقى صوت تلك النَّفس الأُمارة دائماً إلى الوفاة. وأمَّا الَّذِينَ لديهم النَّفس اللوامة فإذا غلب عليهم السَّرُّ نُزعت منهم فيصير حينها شيطان إنسي، وأنا أتكلّم هنا من موسوعة البرهان ممَّا فتح الله علينا به من معرفة. المهم أنَّ هذه النَّفس اللوامة تلوم الإنسان باطراد، وخلفها مخزن كامل هو بين العقل الباطن والروح، والنَّفس معقَّدة جداً لها وُجودات متعلقة بطاقات الإنسان وهَيُولاته الطَّاقية، متعلقة أيضاً بعقله الباطن وبعوالم وعيه وإدراكه، وإن شاء الله نُخصص دروساً في هذا الإطار أو في إطارات أخرى حول هذه المعارف التي وسَّعنا فيها البحث طويلاً ممَّا شرح الله به الصِّدر ووقانا أهل المكر والغدر.

فهذه النَّفس اللوامة تلوم ومن خلفها كوامن من التقوى من الفضائل من الخصال الحميدة والجيدة، والإنسان أحياناً يَغلبُ عليه شيءٌ من النَّفس الأُمارة وشيءٌ من النَّفس اللوامة، فتجده مثلاً فيه من فضائل الكرم من فضائل الجود وتجد فيه من رذائل التسرُّع في الغضب أو بعض الحُمق أو غيرها، أو تجده من جوانب له دمعَةٌ سريعةٌ إذا ذُكر الله أمامه ويحبُّ النَّاس، ولكن تَغلبُ عليه نزعات أخرى تأخذه إلى أمور محرَّمة ويصارع نفسه. وكلُّنا إنسانٌ في نهاية المطاف، نحن نُصارع هذه النَّفس ونصارع هذه الأشياء، والله أرادنا كذلك لنستغفره ونتوب إليه ﴿وَمَنْ يَعْفِرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ﴾.

إذن النَّفس اللوامة ومن خَلَفَهَا هذه القوى لديها أيضاً قوى داخلية وأخرى خارجية:

1. فالقوة الدّاخلية: لديها صوت، وهذا الصّوت هو صوت الضّمير الإنساني، وَاِعْزُ من ضمير، لنا إذاً "نازغٌ" و "واعزٌ". فالنازع تنزع النّفس إلى أمور سيئة، والوازع يَعِزُّ الإنسان أي يَعِظُهُ وَيَبِيْتُ في رَوْعِهِ أن لا يمضي إلى ذلك. فوازع الضمير يظل مستمراً، لذلك الإنسان يُحاسب أيضاً، لا تغلب عليه نفسه بمعنى أنه مخدّر كلياً، يبقى ذلك الصوت في داخله يقول له: أنت الآن مخطئ أنت تمضي الآن في طريق خاطئ. البعض قد يُحارب ضميره وقد يقتله وقد يذبحه ثمّ يجده صباحاً يرتدي حلته البيضاء -إن جازت العبارة- بشكل قَصِيصِي ويقف أمامه لِيُذَكِّرَهُ مجدداً، وأنا كتبتُ قِصَّةً في هذا المعنى أنّ هذا الرجل كلّمَا قُتِلَ وجدوه صباحاً لِيُذَكِّرَهُمْ. فهو الضّمير في داخلك هو صوت ربّاني يُذَكِّرُكَ، وفيه ومن خلفه الفطرة ﴿فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾.

هذه إذاً طاقات جبليّة في الإنسان جَعَلِيَّة في الإنسان، والفطرة السّليمة القويمة موجودة في جميع البشر، وفيها صوت الضّمير صوت الوعي الإيجابي صوت الرّوح النّورانية وصوت الملائكة صوت القرين النّوراني الدّاتي.

والوسواس والنّازغ هو صوت القرين السّيء صوت القرين الشّيطاني ﴿وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ﴾ و ﴿تَوَزُّؤُهُمْ أَرْأَى﴾ كما ذكر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وقال أحدهم ﴿إِنِّي كَأَن لِّي قَرِينٌ﴾ وأنا كتبتُ أيضاً في موسوعة البرهان عن علم القرين وأنواع القرناء وطبائعهم وطبقاتهم وغيرها من الأمور المهمة والتي يجهلها معظم النّاس للأسف رغم تَنصِيصِ القرآن عنها.

فالصّوت الدّاخلِي الواعِز الدّاخلِي وَاِعْزُ الضّمير يمثّل صوت روحاني نقي راقِي، يدفع الإنسان نحو التميّز والتخلّص من هذا النّازع نحو الشّرّ وذلك النّازغ الذي يَنفُثُ فيه سمّه.

وعليه، فالذي يمضي نحو صوت الشّرّ ﴿دَسَاهَا﴾ والذي يسمع صوت الخير ويمضي فيه فقد ﴿زَكَّاهَا﴾ وهنا تأتي التّركيبة.

2. القوى الخارجيّة كثيرة: كلّ طاقةٍ إيجابية، كل قوى الطّبيعة النّيّرة، شروق الشّمس أو منظر البحر أو خريز المياه أو خُضْرَةُ الأرض، من لم يحركه العود وأوتاره والربيع وأزهاره، فهو فاسد المزاج ليس له علاج، كما ذكر الشيخ الرئيس ابن سينا. كلّ الأمور الرّاقية، فنون الدّفاع الرّياضة التّعبد الأذكار.. كلّها سبل مختلفة، والبشرية مَظْهَرَتْ ذلك مَظْهَرَاتٍ مختلفة، والأنبياء السّابقون مَظْهَرُوا ذلك بِمَظْهَرَاتٍ مختلفة بقيت آثارها في شعوب الأرض، كلّ ذلك للرّقي بالإنسان.

فنون الدّفاع تقوم على مبدأ الفضيلة، وفلسفة أفلاطون تكلمت عن الفضيلة أيضاً، والأديان تكلمت عن المثل الفُضلى وعن الفضائل، ورسول الله قال "إنما بُعثت لأتمم مكارم الأخلاق" فمكارم الأخلاق ضمنها كلّ الفضائل الأخلاقية السّامية التي تسمو بالإنسان في ذاته وفي حياته.

حقيقة التركيبية

وعليه، فهناك هذا الوازع الضميري وهناك أصوات نورانية مقابلة للأصوات الظلماوية، والإنسان في هذا الصراع ﴿وَتَبْلُوكُمْ بِالسَّيِّئِ وَالْخَيْرِ فِئْتَةً﴾ هو مُبْتَلَى، هو في هذه البلاءات، ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ﴾ أو كما ذكر لسيدنا موسى ﴿وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا﴾. كل ابن آدم سَيُبْتَلَى لا محالة، ولكن أكبر معركة هي الداتية وأكبر عدو هو الشيطان الداخلي ﴿وَمَا أَبْرَأُ نَفْسِي ۚ إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾ عندما يَحْضِصُ الحق، وعلينا أن نتدارك ذلك قبل الوفاة ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۚ كَلَّا ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾.

فالإنسان عليه أن يعمل حتى ينتصر انتصاراً كُتُباً، لا تهتم عدد الهزائم التي هُزمت فيها مع نفسك ومع شياطينك، الذي يهم هو يوم الانتصار الكامل الذي تسحق فيه جيوش الخير في داخلك جيوش الشر وترفع راية "لا إله إلا الله محمد رسول الله" نقيّةً محمّديّةً غرّاء بيضاء ليس فيها دهماء وليس فيها لأواء وليس فيها فتنة صمّاء، هي التقاء المحمّدي، ليس فيها تمزق مذهبي ولا تعصب ولا عناد ولا إفراط ولا تفريط ولا اثبتات ولا كره للدين ولا كره باسم الدين ولا قتل للدين ولا قتل باسم الدين، هذا كله هو منهج تزكوي.

رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ بهدي من ربه، وفي القرآن كثير من ذلك، حتى وسم أصحاب هذه الدرجة الرفيعة من التركيبية بعباد الرحمن، فنسبهم إلى رحمانيته، وهو اسم ذاته المتصل بذاته، كما أن "الله" اسم ذاته، ف"الرحمن" اسم ذاته المتصل بذاته، و"الرحيم" اسم ذاته المتصل بخلقه، كما ذكرنا في غير كتاب من كُتُبنا وخاصة كتاب <<الفاتحة في أحكام الفاتحة>> وكتاب <<المعاني اللطيفية للكلمات>> وغيرها مما فتح الله به من شروحاتنا للقرآن الكريم التي لم ننشرها بعد، المهم أنه نَسَبَهُ إليهم، ونَسَبَ كذلك الملائكة ﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاءً أَشْهَدُوا خَلْقَهُمْ ۖ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ﴾ وكذلك ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾، هؤلاء ﴿الَّذِينَ يَبِيئُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا﴾ ﴿الَّذَاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ﴾ ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ﴾ التفكير حالة ذهنية تحتاج إلى صفاء نفسي.

وعليه فالتركيبية هي انتصار جيوش الخير وواعز الضمير والأصوات التورانية وأصوات الملائكة التي تُلقَى من رُوح الله ومن نور الله في الإنسان على أصوات الظلام أصوات الشيطان الذي قال ﴿لَأُحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا﴾ والذي قال له الله ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾ والذي أمره بأن يفعل ما استطاعه من أجل الإغواء، والقلة القليلة الصامدة في وجه هذا الشر هي التي تقاومه بالتركيبية.

المرحلة التزكوية المحمدية

لذلك صحابة رسول الله في المرحلة المكية مرحلة البلاء والجوع والجوع في شعب أبي طالب، تلك الفترة الصعبة العسيرة التي كانت امتحاناً وكانت شبيهة بما يفعله النُّسَّاك، كان تنسُّكاً في الله، كان تصفيةً للجسم وللنفس وخلصاً من أسر الدنيا، ما عاشه سيدنا بلال على سبيل المثال تحت الصخرة كان تزكيةً قاسيةً جداً، فدائية سيدنا علي للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ كان تزكية كبيرة، ما فعله عمه أبو طالب وزوجه خديجة عَلَيْهِمَا السَّلَام، وأنصصُ على "عَلَيْهِمَا السَّلَامُ" لأنَّ البعض يتبع قول الأمويين وقول كارهي آل البيت في أبي طالب أنه "جمرتان يغلي منهما الرأس"، وتجدون رواية أن "امراًة من بغايا بني إسرائيل قد سقت كلباً فدخلت به الجنة"، وبقيت على بَعَائِهَا، أما الذي سقى النَّبِيَّ وَأَنَامَهُ على لحمه ووقاه، وكان يقول لابنه طالب في قصائده يا بني يا طالب احمِه واحفظه، وكان يقول:

ولقد علمت بأنّ دين محمد هو خير أديان البرية دينا

وأبيض يُستسقى الغمام بوجهه

والذي حدّثه أبوه أنّ ابن أخيه هذا هو النَّبِيَّ المنتظر، والذي شهد كرامات النَّبِيَّ وحدّثه راهب نجران وراهب بحيرا أنّه نبي ورهبان الشّام وقالوا احمِه من يهود وكان يحميه من يهود، بل ويأمر الإمام عليّ صغيراً أن ينام في فراشه، وأمر جعفر بأن يصلي خلفه، والذي حماه والذي وقاه والذي سقاه والذي أشهر سيفه مراراً مدافعاً عنه حتى قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أنّ قريش ما مسّته بشيء يؤذيه إلا بعد أن توفي أبو طالب "كم وجدنا فراقك يا عم". هذا الرّجل العظيم تأتي المرويات الكاذبة عن أنّه في النَّار، وحاشا ربّ العالمين أن يجعل والدي النَّبِيَّ الَّذِينَ شَرَفَهُمَا بأن يكونا أبوي سيد الخلق أبوي النَّبِيَّ، ومن أبرُّ برسول الله؟! يطمع عُصاة الأمة في الجنة ويجعلون يأساً محيطاً بأمّ النَّبِيَّ وبأبيه وبعمه، "سألت عن والديّ فقيل لا تسأل عنهما فإنّهما في النَّار" هذا كلّهُ موضوعٌ مدسوسٌ مكذوبٌ وهذا ليس سياقه.

المهم أنّ المرحلة التزكوية المحمدية القرآنية الرّبّانية، هذا النَّقش الرّبّاني باليد المحمدية على قلوب الصّحابة، هذا النّور المصطفويّ النَّبويّ الرّبّانيّ القرآنيّ الإيمانيّ الإحسانيّ، الَّذِي نُقِشَ نُقْشاً على قلوب أصحاب رسول الله "لا إله إلا الله محمد رسول الله" على حقيقتها المحمدية الجليلة النَّقِيَّة، هذا هو النَّقش الَّذِي تَمَّت وراثته لدى الصّالحين وخاصةً بدايةً لدى أهل بيت النَّبِيَّ، هو نقشٌ عظيمٌ تجلّى في تصرفاتهم تجلّى في هبهات منّا الدّلة تجلّى في الكرامة تجلّى في الحبّ تجلّى في كلّ المعاني الجميلة والتّبيلة والرّاقية، هي تزكية لولاها ما كان للدين من وجودٍ، فالدين دون تزكية جسدٌ بلا رأس أو جسدٌ بلا روح.

هذه التزكية لها مناهج فصلنا فيها في أطروحة الدكتوراه عن التّصوف، وقد جئنا الآن إلى مصطلح مهم وهو التّصوف.

مصطلح التصوف

التصوف في نهاية المطاف هو هذا الجانب التركوي، هذه التركيبة التي جاء بها رسول الله والأنبياء من قبله:

- التركيبة التي تلقاها آدم من ربه ﴿فَتَلَقَىٰ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ﴾
- التركيبة التي كانت في منهج الأنبياء جميعاً والذين طلبوا التركيبة في مواقف شتى
- أن أيوب ﴿نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾ هذا مرحلة ألم، تزكية بالوجع، مثلما يُرْكِي الحديد من الصّدأ بالنّار
- وآخر في لحظة ظلمة في بطن الحوت ﴿أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾
- وآخر في مثل النّعاج التي ذكرها الملكان لسيدنا داوود ﴿يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ﴾
- أو إلقاء جسد على كرسي سليمان ثم تاب، وهي ليست قصة عفرية سرق خاتمه وكان يُمنع فقط من نسائه وصار سليمان يتسوّل، هذه إسرائيليّات سُرِّبَت إلى السنّة وهو كذب، كما أنّه أتى مائة امرأة وقال تنجب كلّ واحدة منها بطلاً، أيضاً هذا كلام غير صحيح وغير سليم.

معنى الرّان

لماذا أقول هذا؟ لأنك عندما تعمل على منهج التركيبة النفسية يصعد ذلك إلى قلبك فيُنقى القلب من الكراهيات، من دخان هذه النفس. النفس عندما تخرج منها هذه التوازغ والتوازع يصعد منها كالدخان نحو القلب يُران على القلب ﴿بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ أو ﴿عَلَىٰ قُلُوبٍ أَفْقَالَهَا﴾، هذا الرّان ينتج من هذه النفس، مركزها الطّاقى الأساسي هو في محور البطن الذي يهتم به الصّينيون كثيراً في جانب الطّب، ويسمّيه اليابانيون بالهارة (وهذا سياق آخر يتبع فنون الدفاع وفنون الطّاقة). المهم أنّ هذا المركز هو مركز النفس الأمّارة، وهذه النفس الأمّارة يصعد منها هذه الطّاقة إلى القلب، تُغلف القلب تُعمي الفؤاد وهو القلب الخاص بالبدن الطّاقى وليست بالجسم المادي، وبعد ذلك يصعد ذلك بقوة إلى الدّهن وإلى العقل فيخدره، وتُخدر الحواس ويصبح الإنسان وكأنّه مُسيطر عليه، وهنا يأتي دور الشيطان إمّا أن يمسه مساً ﴿يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ﴾ أو يتلبّسه تلبّساً فيُصبح يجري في دمه ويجري منه مجرى الدّم في العروق، وحينها يصل إلى مستويات من الخبث والدّناءة حتى ينقلب شيطاناً ويفقد الصّبغة الإنسانيّة كما قال ربّنا ﴿مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾ أو ﴿شَيَاطِينِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوجِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا﴾.

خاتمة

وعليه، فإن منهج التزكية منهج مهم جداً، وهذا الذي اختصت به الزوايا الصوفية، وهذا الذي يراه الإنسان في معابد فنون الدفاع عبر العالم ومعابد التأمل، ولإن نسي أولئك القوم أن بوذا نبي وأن كيريشنا نبي نسوا ذلك، ربما الشيطان زيّف لهم وقال لهم هم آلهة، وهنالك تزييفات حتى في ما بعدهم، ولكن بقيت الأخلاق والمعاملات.

لدى المسلمين نحن نذكر جيداً أنّ رسول الله هو نبينا وأنّ الله هو ربنا الواحد، ولكننا ضيعنا كثيراً من أخلاقيات ذلك النبي، من الإسلام المحمّدي النقي، تمرّقنا وتشرذمنا مذاهب وطوائف ودخل فينا الدّخّن، وسيطر الحشويّة كثيراً وتكلم الرّؤيضة كما ذكر، تكلم الذين لا يفقهون في الدين شيئاً ومُرّقت الأمة وشُرذمت وتُعّعت وتراها اليوم في أذبال الرّكب الحضاري، وهذا لأنّها أمة لم تتزكى بما زكى الله به نبيّه وما زكى به النبي أصحابه وآل بيته خاصةً وما تزكى به الصّالحون.

وعليه، فنحن اليوم نطلق دعوةً لتزكية ذاتية منها يُشعّ ذلك على المجتمع ككلّ، ما أوجنا إلى أنفسٍ يُزكّيها الهدي الرّبّاني القرآني المحمّدي، ما أوجنا إلى قلوب امتلأت بالرحمة والمحبة وإلى عقول نورها الله. وهذا طبعاً لا يكون مشاعاً بين الناس وإن بدا ذلك ﴿وإن نطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله﴾ ﴿وإن كثيراً من الناس لفاسقون﴾، ولكي أقول أنّ ذلك مسعى ندين به إلى الله سبحانه وتعالى ونمضي به للقي ربنا جلّ وعلا، نحن نحارب بضرارة الساموراي، بضرارة حمزوية علوية واستماتة جعفرية وبسماحة حسنية وإبائه حسيني وبصبر زيني وبجلاء روح وكبرياء فاطمي وبسرّ محمّدي وبأنوار عيسوية موسوية إبراهيمية نبوية إلى سيدنا آدم، بأنوار ملائكية بكلّ هذا المجمع، ولعلي أقول أيضاً بأنوار وأمداد وبركات جيلانية ورفاعية وبدوية ودسوقية وجشتية وشاذلية وأسمرية وتيجانية، ومن طرائق أهل الله جميعاً الذين سلكوا سبلاً إلى الله سبحانه وتعالى وأخذوا صفوة الناس إليه، لم يكونوا أهل بدعة ولا أهل شرك ولم يكونوا أهل خنوع ولا خضوع، أصلحوا في أنفسهم بالتزكية.

وتذكر المصادر عن مجاهدات هؤلاء السادة وكيف جاهدوا أنفسهم طويلاً طويلاً حتى انتصروا عليها فنصرهم الله وكسر أعداءهم وأظهر راياتهم وحقق غاياتهم ورفع في الآفاق راياتهم، فهم سادة في الأرض وسادة في السماء، كمل الأخلاق والأنفس، ونحن على هداهم سائرين ونحن على آثارهم في ذلك الخير، ونسأل الله أن يمدنا ممّا أمدهم به وأن يزيدنا علماً وتزكيةً وأن يُزكيّ أنفسنا ﴿ألم تر إلى الذين يُزكّون أنفسهم بل الله يُزكي من يشاء﴾ ﴿ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من أحد أبداً﴾ فنحن لن نتزكى بذواتنا وإن نسب الله الفعل إلينا ﴿قد أفلح من رگاها﴾ ولكن بالإذن الإلهي، من عنده الإذن والمتابعة المحايثة المستمرة "لا تكلي نفسي طرفة عين ولا أدنى من ذلك"، بالمناجاة والتضرّع والإستغفار ﴿استغفروا ربكم إنه كان غفّاراً﴾، وأنّ الله سبحانه وتعالى يرحمنا ﴿قال يا قوم لم تستعجلون بالسيئة قبل الحسنة لولا تستعفرون الله لعلكم ترحمون﴾ وصايا الأنبياء. عندما تقرؤون القرآن اقرأوه بجوامع قلوبكم ولا تقرأوا كأنها أخبار ماضية، إنّما هي تهكمكم وتهمّ كلّ واحد منا.

وإن كان العالم لا يُصغي إلى هذا، ولو أصغى إليه شخص فقط، أنا أقول دائماً حتى في برامجي التلفزيونية في مجالات مكافحة الإرهاب أو مجالات الفكر:

• أنا أسمع الله تعالى أساساً ولا أبالي سمع الآخرون أو لم يسمعوا

من أهدى إليّ وردة شكر الله له فقد عرّفتني قيمة نفسه، ومن طعنني بخنجرٍ فقد عرّفتني قيمة نفسي، وسينقلبُ الطّعن على طاعنه والمكر على من مكره ويجعل الله لنا مخرجاً. والحمد لله ربّ العالمين وإلى لقاء آخر والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

المحاضرة بتاريخ: 9-11-2020



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

التأمل التاسع: القلب الرباني والعقل الرباني - وتجليات الروح وحرب النفس -

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين الذي أكرمنا وشرفنا ببعثة سيدنا محمد النبي الهادي الأمين، وصلى الله على سيد المرسلين وخاتم النبيين وأشرف خلق الله أجمعين سيدنا محمد وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين الغر الميامين، ورضي الله عن أصحابه الصابرين الصادقين المجاهدين، وسلاماً على أهل الله الصالحين في كل مكان وفي كل حين.

أحبابنا في الله السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته، إلى موعد جديد من تأملاتنا العرفانية التي نودّ منها أن نعرف ربنا أكثر وأن نعرف رسولنا أكثر وأن ندرك الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِأرواح عاشقة وبعقول واثقة وقلوب وامقة، وهذا الدمج بين المعرفة الروحية والمعرفة العقلية والمعرفة القلبية هو دمج ضروري، إذ أنّ المؤمن يحتاج إلى إيمان قلبي فيه بيناتٌ من ربه، أنّ الله يشرّحُ لذلك صدر من يشاء ويهدي إلى ذلك قلب من يشاء ويفتحُ بذلك على قلب من أراد ومن شاء، فمن أحبهم الله أحبوه ومن دعاهم لبوا دعوته ومن أرادهم أرادوه، حتى إذا بلغوا مقام إذا أرادوا أرادوا أقسم عليه أبّره، فتلك صدور شرحها سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وقلوب لقّاهها ولقّنها وعلمها وأدّبها وأكرمها بحبّه وحبّ أحبّاه فهي تُحبّ به وتكره فيه، فهم عشاق الله الذين لا يُحبّون إلا محبوبيه ولا يبغضون إلا فيه.

وهذا باب عظيم نسأل الله خيره وذخره، أن نُحبّ الله ونُحبّ أحبّاه وأن لا نُبغضَ إلا في الله، وأن يكون ذلك البغض خارج أكوان قلوبنا، فقلوبنا لا تحمل الضغائن إنما هي قلوب ملآنة حبّاً ولهانة ظمأى إلى لقيا ربّها، ومن كان يؤمن بالله فإنّ ذلك الوعد حق وإنّ تلك اللقيا حقيقة.

1- القلب الرباني

هذا الإيمان القلبي إيمان مهم، لطائف، أنس بالله، ذكر له، تلقية وتنقية وتزكية. التنقية عمل نفسي قلبي أي أن الإنسان يُزكى ويُنقى قلبه من كل دنس، القلب الذي يملأه الكبر ليس قلباً ربانياً، القلب الحاسد لا يمكن أن يكون قلباً ربانياً، قلب إبليس كان قلباً حاسداً، قلب فرعون كان قلباً مستكبراً. القلب المُبغض لخلق الله لا يمكن أن يكون قلباً ربانياً حتى وإن تزيّياً بزّي الدين وتكلم بلسان الصالحين، فالذين يُقتلون الناس بغير حقّ قلوبهم كارهة ليس فيها مجال لمحبة أو قبس من نور، فهذا فعل زور وليس من صلاح الأمور.

إنما القلب المُزكى بالله الذي رفع الله عنه تلك الحُجب لا يمكن أن يحسد أحداً من الخلق إطلاقاً، وعلى اختلاف المقامات الدنيوية. القلب الرباني إذا كان صاحبه فقيراً لا يحسد غنياً، وإذا كان صاحبه في حال من الفقر لا يحسد أهل الوجد، ولا ينظر للآخرين نظرة استكبار إن كان ممتلكاً لشيء، ولا ينظر إليهم نظرة احتقار إن كان أرفع بنسبة أو بشيء، ولا ينظر إليهم نظرة حسد إن وجد عندهم شيئاً وافتقد لذلك الشيء، فهو قلبٌ ليس سجيناً لأي شيء إنما أعتقه الله من سجن كل شيء وأفرده إليه قبل وبعد كل شيء.

هذا هو القلب الرباني القلب المنحوت بالمحبة، وهذا القلب الذي أدرك من محبة الله ما أدرك، وشرب منها ما شرب، وذاق من خمرها ما ذاق، هذا القلب لا يمكن إلا أن ينجلي عليه سرُّ رباني لباب لا يمكن أن يصل واصل إلى ربه إلا به وهو باب النبي محمد. فالقلب الرباني هو قلب محمدي بالضرورة، هو قلبٌ موصل بقلب رسول الله، يخفق فيه رسول الله ويخفق في صدر رسول الله، هو قلب متصل. والقلوب عوالم ﴿اللَّهُ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ﴾، والله يهدي قلب من يشاء، ﴿أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ الله ينزع الأقفال عن من يشاء. فالقلب الرباني المُزكى الذي ترقى والذي أثر على النفس فهذبها وسحبها معه إلى لذة الطاعة بعد أن حاولته دهرًا لتسحبه معها إلى لذة المعصية. النفس التي تتبع القلب الرباني تجد لذتها وتجد صبوتها وتمام صوابتها وتجد مناهها ورضاها في طاعة ربها ومولاها، أما النفس التي تغلب على قلب صاحبها تسحبه فلا يجد لذة إلا في المنكرات ويمضي خلفها حتى يقع في دنس مما ذكرت، أعلى ذلك الجحود والكبر، وأدناه ما يكون من لَمَمٍ وما يكون من هوى.

اختبار صدق المحبة

القلب الرباني قلب محمّدي بالأساس، قلبٌ يُحبّ رسول الله. ومُصدّق محبّة رسول الله: معرفة رسول الله وقدره وقيمته ومقامه وجاهه ووسيلته، فمن ادّعى حبّ النبي وأنكر له الوسيلة والجاه والمقام وأنكر له مدد النفحات التي تأتي من روحه النورانية الحية ومدد الرحمت ومدد الصلوات والبركات والخيرات فهذا قلبٌ لم يعرفه ولم يُحبّه.

وهناك امتحان عسير على الذين يدّعون هذه المحبة أن يجتازوه، امتحانٌ صعب، كان أول من امْتَحِنُوا فيه أصحاب النبي "من كنت مولاه فهذا علي مولاه، اللهم وال من ولاة وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله" "أحبّوا الله لما يغذوكم به من النعم، وأحبّوني لحبّ الله، وأحبّوا آل بيتي لحبي" "آل بيتي سفينة النجاة من تعلق بها نجا ومن تخلف عنها هلك". اختبار المحبة الربانية هي المحبة المحمّدية وهذه فتنة المشركين، واختبار المحبة المحمّدية هي محبة علي وآل البيت أجمعين، وهذا امْتَحِنَتْ فيه الأمة كلها من الصحابة إلى يوم القيامة، والنص المحمّدي واضح (من ولاة ومن عاداه من نصره من خذله).

ولذلك نبينا وضّح هذا المنهج وربط السلسلة بحيث لا تنفصل، لا يُمكن أن تقول أحبّ الله ولا أحبّ رسوله، ولا يُمكن أن تحبّ رسوله وأنت تنتقص وتستنقص من قيمته، وأنت تراه مات وانقطع ولا يضر ولا ينفع، وأن تدّعي أنك تقفز إلى الله مباشرة متجاوزاً رسول، وأنت تظن أنك تبلغ بعملك، وأنّ "عصا بعضهم (كما ذكر) خير من رسول الله وأنفع" هذا كله باطل في باطل. وكذلك لا يُمكن أن تُحبّ رسول الله دون أن تحبّ آل بيته، لا يمكن أن تحبّ رسول الله وأن تكره علياً وتلعنه في المنابر، لا يُمكن أن تحبّ رسول الله وأن تُغضب التي قال رسول الله عنها "إنّ الله يغضب لغضبك ويرضى لرضائك"، لا يُمكن أن تحبّ رسول الله وأن تقتل سيد شباب أهل الجنة الحسن، ولا يمكن أن تحبّ رسول الله وأن تقتل من قال عنه جده "الحسين مني وأنا من حسين، أحبّ الله من أحبّ حسيناً" وهكذا تباعاً.

يتصل بذلك أمر آخر منطوي في مقام آل البيت وهو حبّ الصالحين. الذي يكره الصالحين والذي ينبش قبورهم ويُدَمِّر مقاماتهم، والذي يكره ذكرهم والذي لا يتبع أثرهم، والذي يستعلي ويظن أنه خير منهم ويمضي علواً في الأرض، هذا أيضاً ليس قلباً ربانياً. القلب الرباني يوقرّ الذين أمر الله بتوقيرهم ويحترم الذين رفع الله ذكرهم ويحبّ الذين أحبّهم ربّهم حتى ولّاهم فكانوا عباد الرحمن وكانوا أولياء الله. القلب الرباني عامرٌ بحبّ أهل الله، القلب الرباني مُشعٌ بمحبة خلق الله.

فالقلب الرباني المحمّدي المصطفوي الذي فيه تجلّيات محبة الآل والصالحين يُمطر غيثاً نافعاً، فهو يُحبّ الخلق لأنّ الخلق مجلى للخالق، يُحبّ الشجر يحبّ العصفور يُحبّ نهر الماء، لا يُفسد في الأرض من بعد إصلاحها، لا يُفسد الحرث والنسل، لا يُبغض خلق الله، لا يُبغض ذرية جده آدم، لا يقف مع الظالمين ضد المظلومين، ولا يُحبّ الظالمين ولكن يُحبّ الخير ويسعى فيه برحمة وموعظة ورفق وخير وأدب جم.

الحق لا يضره التمحيص

إذن هذه كُلية قلبية، هذا عمل قلبيّ تحتاجه أيها المؤمن في حياتك، تحتاجه أدباً وتحتاجه عبادةً، ويأخذ هذا مسارات زمنية كثيرة. إذ أنك كيف تحبّ من لا تعرف؟ عليك إذاً أن تتعرف على ربّك أكثر، في كتابه القرآن العظيم، في النظر في هذا الكون، في التدبّر في التأمل.. أيعقل أن تعيش حياتك ولم تتفكر لحظةً في ملكوت السماوات والأرض ولم تذكر الله قائماً وقاعداً؟! أيعقل أن تكون صلّاتك جسداً بلا رأس، لا تدبر فيها ولا تمعّن ولا خشوع ولا خضوع ولا دموع؟! أيعقل أن تعيش في كون لا تعرف أدلّة وجود خالقه فيه وانطواء البراهين داخله؟! أيعقل أنك تتبع أجدادك دون بيّنة كما اتّبع الذين عبدوا الأصنام أجدادهم دون بيّنة؟! نعم جزى الله خيراً من أوصل إلينا هذا الدين، ونحن ورثناه كابراً عن كابر ونُحِبُّ آبائنا وندعو لهم ولا نُبغضُ أحداً من سلفنا الصالح، إنما عندما تصل الراية إليك تأملها فإنّ الحق لا يضره التمحيص والتدبر.

وإنك عندما تتأمل وتتدبر في الأمور يبين لك الأصلي من المزيّف، والمدنس من المقدس. وحينها لا يتلاعب بك المتلاعبون الذين يقولون لك أنّ ربّك جسد محتويّ في سماء، جالس من جهة على كرسي، إلى غير ذلك من الهرطقات. ولا يسحبك من قلبك وعقلك ووعيك الذين يقولون لك: إنّ الكون أثبت أنه لا إله وإنّ البيولوجيا أثبتت أنه لا إله وإنّ الإله مجرد خرافة وإنّ الديانات الإبراهيمية مجرد خزعبلات. ولا يسحبك خلفه شيوخ الدجل الذين باعوا دينهم والذين كان همّهم ملء بطونهم وما دون ذلك، والذين هم أحذية للسلطين، والذين هم كدّابون فسقة دجالون، وسماسرة الدم وأصحاب فتاوى النعمة والكره، ولا الشاطحون الدجالون باسم الروحانية وباسم القطبية وباسم الغوثية وهم لا يبلغ أحدهم أن يكون حصاةً تحت قدم ولي أو قطب، همّهم تجميع المريدين وتجميع الأموال وسرقة الدين والدنيا معاً.

عندما يكون قلبك ربّانياً حقاً سوف تعرف ربّك حقاً، وعندما تعرف ربّك حقاً بهذا التدبر والتأمل، إعرف نبيك جيداً واعلم أيّ قدر قدره وأيّ جاه جاهه وأيّ وسيلة وسيلته وأيّ مقام عند هذا النبي، أدرس أخلاقه أدرس سيرته. وعندما يتجلّى عليك نوره ستعرف المزيّف الذي دُسّ في سيرته، وستعرف المزيّف الذي دُسّ في سنّته، وستعرف ما دُسّ في أقواله وأفعاله مما لا يلائم طبيعته ومما لا يلائم سجيّته ومما لا يلائم مقامه، وتعلم جيداً حينها حقائق آل بيته وتعلم من أبوه ومن أمه ومن عمه أبو طالب ومن وصيّيه ومن ابنته ومن زوجته، وهكذا تعرفه جيداً، وستعرف أصحابه جيداً لأنك عرفتّه، وما عرفتّه إلا بعد أن عرّفك فعرّفك بأمر ربّك.

وبعد هذا المقام هم في محبة آل البيت ما استطعت، هم في محبة الصالحين ما استطعت، طرّ معهم إن كنت منهم، طرّ حولهم إن كنت راعياً لهم أو خادماً عندهم، طرّ بهم إن كنت مُراداً لديهم أو سير خلف ركبهم أو حاول أن تمتدحهم، فلعلّ الله يعفو عنك بنظرة منهم، فإنما هي نظرة واحدة ممن شرح الله صدره وممن أقسم أن يكون عينه التي ينظر بها وسمعه الذي يسمع به ولسانه الذي ينطق به وممن لا يردّ الله لهم طلباً "إذا أضع أحدكم سبيله فليقل يا أهل الله أغيثوا" "أبدال الشام بهم تمطرون وبهم تُغاثون" "اللهم بممشاي إليك وبالسائلين عليك" كما قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ. فالوسيلة حقّ والجاه حقّ والتوسل حقّ، وما أنكره إلا قلب ليس فيه من الربّانية شيء، ولئن حفظ القرآن والسنة وكتب

الكتب فذلك لا يُعني شيئاً، إنّ الله لن ينظر إلى تلك الكتب ولا إلى تلك الشردقات والتشددات إنما ينظر إلى القلب ماذا فيه وما الذي يحتويه.

هذه خلاصة قلبية، العارف بالله قلبه ربّاني باختصار، محتوى على محبة ربّانية عظيمة، وفيها تفصيلات محمّدية ثمّ آل بيت مصطفىوية ثمّ للصالحين والأقطاب والباقية ولكل ولي وولية، ثمّ لخلق الله أجمعين بالكلية.

2- العقل الرباني

بعد ذلك تأتي مدارج عقلية تدبّرية تأملية تفكرية ذاتية واجبة، معناها أنّ القلب الربّاني يشعّ على عقل ربّاني، **والعقل الربّاني تأتيه العلوم وتتجلّى عليه الفهوم**. وهذا يحتاج إلى عمل كبير في بناء مطار تلك الطائرة الربّانية حتى تحطّ في العقل، عمل على توسيع المدارك وتقوية الوعي وتحفيزه وعلى صقل العقل بمطالعة الكتب الجيدة والأدب الجيد وإكثار القراءة والتأمّل والتأليف والتصنيف، ومع ذلك فوجه قلبه بعده تحته من حوله: وقوف عند باب العطاء حتى يكشف الغطاء وحتى تتدلّى إليك المعاني من مكان رفيع من أفق رفيع من سرّ منيع من ربّ بديع حتى تعرف أموراً ما كنت تعرفها، وينطق لسانك حينها بين هذا القلب الربّاني وذلك العقل النوراني الربّاني بعلوم وفهوم ومنطق فيه آيات للمتوسمين.

الدمج بين القلب الرباني والعقل الرباني

بعد هذا تأتي الروح والروح تدمج بينهما، الروح التي تُضيء على نفس اطمأنت برّبها وعلى قلب سكن بحبّ ربّه، وعلى عقل تنور بفهم ربّاني وعلم ربّاني وحكمة إلهية، وعلى عقل فيه من أنوار سيدنا رسول الله الذي نور الله لبه وفؤاده وعقله، عقل تُناجيه أنوار ربّانية. والإمام علي تكلم عن قوم ناجاهم الله في أفكارهم وحدّثهم، وهذه المناجاة تعني أنّ كل خاطرة رحمانية كل فكرة إيجابية هي لطائف ربّانية، هذه المناجاة لا تعني نزول وحي بطريقة سيدنا جبرائيل لا تعني نبوة، بل تعني أنّ اللطائف الربّانية لا تنقطع ولا تمتنع أبداً، وأنّ الله يُلقّي ويُزكّي من أراد قلباً ونفساً وصدراً وعقلاً أيضاً، وأنّ هذه الفهوم هي بين القلب والعقل، ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ يعني أنّ العقل الناظر فقط دون قلب: عاجز.

المزج بين النور العقلي والنور القلبي مع طريق مسوّى من النفس المطمئنة التي نُزعت أشواكها والتي قُتلت أفاعيها وحوصرت وأحرقت شياطينها يؤدي إلى مجالي عظيمة وإلى معاني عظيمة وإلى علوم لها قيمة. فإنّ العلوم دون نور الله علوم عقيمة، وإنها أمور غير نافعة وعديمة، من حيث أنّ العلم مهما بلغ بصاحبه وكان عقله ظلماً وقلبه ظلماً وبنفسه شرّانية غلبت عليه الشياطين، سيجد في سرّ الذرة وما اكتشف منها، وفي سرّ الكون وما رأى منه، وفي سرّ الخلايا وأسرار المخلوقات، براهين من شيطان نفسه على أنه لا إله، فخاب حين ذلك مسعاه، وفتن من الناس من فتن وقد فتنه قبل ذلك الله وأضلّه على

علم واتخذ إلهه هواه. هذا يحتاج إلى تفصيل كبير لأن أصحاب هذه العقول الشيطانية في كل مكان في عالمتنا، صنعوا الفيروسات خنقوا الأرض قتلوا الطبيعة أبادوا الكثير من الحيوانات فانقرضت، دمروا الأشجار وأحرقوا الغابات، لوثوا الأنهار ألقوا المواد الغذائية الكثيرة التي تُنقذ الناس من المجاعات في البحار، صنعوا القنابل النووية وألقوها على الأبرياء في هيروشيما وناكازاكي، صنعوا الحروب ويصنعونها ﴿وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ﴾ ﴿وَقَدْ مَكَرُوا مَكَرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكَرُهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ﴾.

3- الروح

بعد هذا يكون الكلام عن الروح إذًا، والروح غامضة بطبعها، الروح من أمر الله. ولكن للروح مجال وإن كنا لا نراها، نشعر بها، مثل الهواء لا نراه ولكننا لا نعيش دون أن نتنفسه. ولذلك هذه الروح هي هواء للعقل وضوء للقلب ونور للنفس وقوة للجسم وشحن للذات، هي تشحن هذه الذات وتجعلها قوية تمضي بعزم وصبر ودأب، وتتجلى الأخلاق الكمالية الرحمانية المحمّدية على الذات المروحنة، وهنا باب للوصال مع الروح المحمّدي مع الروح الأحمدي مع هذا السرّ الذي يعرفه من ذاقه، ولو حدّثنا عنه من لم يذقه فلن يفقه منه شيئاً.

إعادة مختصرة للمراحل الثلاث

إذن باختصار شديد ما أردنا قوله أنّ معرفة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى هِي نتاج هذه الثلاثية وبينها رابعة لها دور:

1. القلب أن يكون مصقولاً ربانياً
2. والعقل أن يكون أيضاً مصقولاً ربانياً
3. والروح (وأصلها رباني) أن تتجلى على هذا الإنسان على هذه الذات، فيفنى قبل أن يفنى ويموت قبل أن يموت "الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا، فموتوا قبل تموتوا"، يموت شغفاً وحباً وعشفاً وينقطع عن العالم وهو فيه ولكن لا يقطع العالم، بمعنى أنه في خلوة داخل الجلوة، أنه مع الله دائماً ولكنه أيضاً ينفع الناس ويخدمهم دائماً ويصبر على أذاهم. وهذا دمج عجيب إذ أنّ الرباني ليس معتزلاً في كهف، ولو اعتزل فترةً ليُجاهد نفسه لكنه راجع إلى العالم يُعلّم من استطاع وينفع ما استطاع.

الدمج بين العقل والقلب يكون معه هذا الروح أو هذه الروح، ويجوز أن نسميه هذا أو هذه، ولكل معنى ومجلى. هذا الروح وهذه الروح وهذا السرّ له أنواره وله خصائصه. فتكون المعارف القلبية العقلية الروحية عند الذات المزكاة الربانية تكون أجلى وأحلى وأغلى، وهذا عملٌ يحتاج عمراً إلا أن يختزل الله الزمان ويجذبك إليه جذبةً كما جذب صاحب سليمان إليه عرش بلقيس، أو يختزل الزمان اختزالاً فلا

يتسنّه كطعام العزير، وهذا باب آخر بين المراد والمريد، المريد يصعد جبل الجلال والكمال والجمال مع مربّب يُربّيّه من المشائخ، والمراد تجذبه الحضرة إليها فيصعدُ الجبل سريعاً ويقف على قمّته ولكنه بعد ذلك قد يُلقى إلى أسفله كي يُعاود الصعود مجدداً فيكون حينها مُريداً ومُراداً في ذات الوقت.

4- النفس

الروح والقلب والعقل والعمل على هذه التزكية لهم رابعة، وهذه الرابعة هي النفس. النفس بين أمرين أمانة بالسوء أو لؤامة: الأمانة بالسوء لا تنفك تأمرك بالسوء، واللؤامة لا تنفك تلومك، فإذا هُذبت الأمانة وعُقلنت اللؤامة أقبلتا معاً فاتحدتا في ذاتك فكانتا نفساً مطمئنةً في الدنيا قبل أن تكون مطمئنة بالوفاة. وهذه النفس المطمئنة نفسٌ لا تفزع من الدنيا وهولها، نفسٌ لا تطمُع فيما بين أيدي الناس، نفس لا تأمر صاحبها إلا في خير. وهذا أمرٌ ترويضٌ أعنى وحوش الأرض أهون منه، ليس أعسر ولا أصعب ولا أشدّ من ترويض النفس، وليس أعسر ولا أشدّ ولا أصعب من تهذيبها، وليس أشدّ من الحرب التي يخوضها جيش فجورها وجيش تقواها. فالتقوى وما فيها من جيوش الكرم والمروءة والخير، والفجور وما فيه من جيوش الحسد والجحود والفسادات كلها والشهوات كلها، يتقاتلان معاً، وهذا شيطان يؤزّ النفس الأمانة وذلك ضمير وروحاني من خلف النفس اللؤامة يُنير للإنسان الطريق.

ولكني أقول لك: في كل حرب هنالك قرار اتخاذ الحرب، الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى قَالَ فِي سِيَاق كَلَامِ زَلِيخَةَ ﴿وَمَا أَبْرَأُ نَفْسِي، إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾ وقال أيضاً ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾ ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾. القرار هو قرار حرب، أن تُعلن في لحظتك هذه وتقول: أعلنت الحرب بأن أكون ممّن زكّاه لا ممن دسّاه، أعلنت الحرب بجيوش الخير التي في داخلي على الشر الذي في داخلي. قد تستغرق هذه الحرب عشرين ثلاثين أربعين سنة وقد تستغرق عمرك كله وقد لا تستغرق إلا ليلة واحدة هذا ما يكون من أمر الله، ولكن مهما كانت هزائمك كثيرةً ضدّ هذا الشر فالخير أن تُحاربه. أما أن ينتصر فيك ويوهمك أنك منتصر أو أن لا تنظر إلى هذا الشر الذي فيك وتنتظر حتى ينفجر في لحظة ضعف أو غضب أو غيره ثم تبهت وتقول أين كان هذا الشر مُختبئاً في، فهذا أمر ليس من الحكمة بمكان.

إذا كان قلبك ربّانياً أو يُريد أن يكون، إذا كان عقلك ربّانياً أو يُريد أن يكون، إذا كانت روحك تُريد أن تتحرر وتُريد أنت أن تُحررها، فعليك بالنفس، عليك أن تُعلن الحرب على كل شر فيك وعليك أن تتبرأ من كل فعل سوء فعلته في حياتك، هذا غير الإستغفار لله والذي يجب أن يكون دائماً، ولكن هذا موقف ذاتي هذا رد فعلي وليس رد فعل. يجب أن تنطلق في هذه الحرب مع نفسك من محاربة شرّها الظاهري إلى الباطني إلى ما هو أدقّ، وهذا كما قلتُ لك ليس عملاً سهلاً. الأنبياء مكملون بالله هم كَمَلٌ معصومون، والكَمَل من صالح أمة رسول الله والأمم من قبله كملهم الله بعد مجاهدة، نحن الناقصون نحتاج إلى حرب طويلة جداً وإلى مدد إلهي نوراني حتى ننتصر، خاصةً في زمن للشيطان اليوم آليات أكثر، للنفس اليوم تقنيات أكبر، والشياطين يؤزّ بعضهم أزا فيعضد بعضهم بعضاً، وهؤلاء لهم نوابهم ولهم ممثلوهم

في هذه الدنيا ولهم تقنيات عديدة يجد الإنسان نفسه مُتخَطِّفًا. ولكني أوجه هذا الكلام للراغبين في صعود الجبل، أما الذين يمشون في الحفر أما الذين يُريدون أن يتمتعوا بالسقوط وأن يلتدوا بذلك الوقوع فذلك شأنهم نسأل الله أن يهدي عباده إليه.

خاتمة

هذه رسالة إذًا عرفانية رحمانية قد تبدو لك في كلماتها مجرد كلمات مزخرفة منمقة لا خير فيها ولا معنى لها، وقد تبدو مبالغًا، وقد تبدو إيحاءً مني أي بلغت ما ذكرته وأنا لم أبلغ من ذلك شيئاً إنما أعلنها أمامك أيضاً أي معلن الحرب وأني محارب لهذه النفس ما استطعت وأني ماضٍ بأن أرتقي إلى مستوى جديد وإلى قمة أخرى (كما ذكرت في مقالي الذي نشرته) يراها قلبي ولا تراها عيني، وتُدركها روحي ولا يُدركها عقلي، حتى يأتي اليوم الذي ترى عيني ما رأى قلبي ويُدرك عقلي ما أدركت روحي، ولكن هذا دُرْبَةٌ طويلة. أُضيفُ إليها مسائل ثلاث تكون ختاماً:

1. الأولى: آدم الصلاة على النبي محمّد

حتى تفوز بسرّ جمالها

آدم الصلاة على النبي وآله

(كما ارتجلت في فجر هذا اليوم). آدم الصلاة على الحبيب محمّد مع ذكر الله طويلاً طويلاً في كل مقام ومع ذكره ذكر المُحب وذكر الراغب في أن يكون له عنده مقام وذكر المناجي. وأدم الصلاة على محمّد وعلى آل محمّد وأقبل إلى ربك من باب رسول الله وأقبل إلى رسول الله من باب آل بيته وأقبل إلى آل البيت من أبواب الصالحين، ولا تُفرّق بين الصالحين ولا تُنافس بينهم كلهم خير وكلهم سادة، وأقبل بعد ذلك بمحبّة خلق الله وانزع من قلبك البغضاء هذا أولاً.

2. ثانياً: الصلاة ثم الصلاة ثم الصلاة، ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ مهما كان المرض الذي فيك، الذي كان في القلب أو العقل أو النفس، فاعلم أنّ إدامة الصلاة التي تجدها النفس مرّةً ويجدها الجسد أحياناً عسيرةً وقد لا يُدرك العقل من سرّها إلا قليلاً، أمرٌ يُغيّر الطباع ﴿الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ﴾. وإن شاء الله نعطيك درساً فيما فسّرنا في كتابنا <<كتاب الصلاة>> من "صلى واصل وصل اتصل وُصل"، هذه معاني تحتاج إلى إطالة وفيها معاني كثيرة وآيات عديدة تبين معناها من مقامات الصلاة.

3. والأخيرة درّب جسمك، لا تكن كسولاً، درّب جسدك. الجسد الخامل هو جسد في قلب غير كامل، لا يمكن أن تصل بقلبك وعقلك وروحك وأن تغلب نفسك وأنت كسول ولا تتحرك. حاول أن تُدرّب حسب حالتك الجسمية أيّاً كانت الحالة، إذا كنت قادراً على الأقل تحرك قليلاً امش قليلاً انظر إلى خضرة الأرض قليلاً استمع إلى خرير الماء قليلاً استمع إلى زقزقة عصفور قليلاً، حاول أن تُحرّك جسمك قليلاً قليلاً، أو إن كنت شاباً يافعاً فلديك رياضة أو فن دفاعي

تتعلمه، هذا مهم جداً. من لم يستطع فالصلاة فيها ما فيها من فوائد الحركة ومن أسرار الحركة والبركة، لا حركة بلا بركة "تأذنت البركة أن لا تأتي بغير حركة" كما قلت في كتاب <إشراقات>.

أنا إن شاء الله مستمرٌّ إذاً في هذه الحرب وأرجو أن ينصرني وأن ينصركم الله، فإن أعتى أعداءنا يسكن فينا، ليس هنالك عدو للإنسان في هذا العالم -مهما حسبت من أعدائك- أشدّ من نفسك التي بين جنبيك، وإن انتصرت عليها فليس في الأرض من عدو يقدر عليك حتى لو قدر عليك في الظاهر، الإمام الحسين قُتِلَ وهذا ظاهره العسكري هُزِمَ ولكنه في الحقيقة انتصر لأنه كان منتصراً على خوفه منتصراً على نفسه منتصراً على الدنيا أذلّها كما أذلّها أبوه وجده من قبل.

نسأل الله أن يجعلنا في ركبهم وأن يجعلنا من ترابهم، وإني واضحٌ وجهي وخدي للتراب لأرجلهم الكريمة، فعسى أن يشملوني بنظرتهم وعسى أن يشملني الصالحون بذلك، وبذلك ألقى ربي لا بعمل ولا بأمر فعلته، وكنت من قبل أمام الكعبة قد برئت من كل خير أفعله وأهديته لمن أهديته واعترفت بذنوبي وأقبلت داعياً: "اللهم إني أتبرأ من حسناتي كلها وأعترف بذنوبي كلها وآت إليك بلا حسنات، فإن رحمتي فما أحتاجها وإن عدلت فيّ فما أحتاجها، يا من نجاتي في رحمته وهلاكي في عدله". نسأل الله رحمة دائمة، ونظرة مشتاقة هائمة، ونفساً عن شر الدنيا صائمة، والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

الحاضرة بتاريخ: 16-11-2020



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

التأمل العاشر: الحجب الأكنف - والأعداء الأشدّ ضراوة -

مقدمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، الحمد لله ربّ العالمين، وصلى الله على سيدنا محمّد النبي الكريم بالمؤمنين رؤوف رحيم. السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته ضمن هذا الموعد الجديد مع تأملاتنا العرفانية. الحقيقة أنّ موضوع اليوم موضوع مهم جداً وعلى غاية القيمة بحكم أنه موضوع محدّد لصراعنا المستمر وصراعنا الكبير والخطير مع العوالم التي تحجبنا عن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

معلوم أنّ الإنسان في سيره في طريقه العرفاني يواجه تحديات جمّاً، يواجه حُجُباً يواجه أعداء يمنعونه من الوصول إلى تلك الطمأنينة والسكينة وإلى ذلك المقام الذي يكون به متوافقاً مع قلبه وعقله متفقاً مع نفسه متفكّهُ هي معه، في سبيل الوصول إلى معرفة ربانية وإلى انعكاسات ذلك على ذاته وحياته. الإنسان يواجه هذه الإشكاليات، وهذا مُبرّأً منه ومعصوم منه الأنبياء بحكم أنهم لديهم هذه النورانيات الإلهية رغم أنّ الله يمتحنهم بامتحانات شتى ولكن لهم مقام خاص، كذلك الذين بلغوا درجات كمالية كبيرة من الصالحين يصلون إلى مستويات لا يواجهون فيها هذه الحجب ويُجاوزونها ويتعدون عنها كثيراً.

مفهوم الشيطان

وعليه، فإنّ الكلام اليوم سيكون عن الشياطين، والحقيقة أني أفردتُ فصلاً في كتابي موسوعة <<البرهان>> عن ما سمّيته **علم الشر**. ما يعني ذلك؟ يعني أنّ السالك لطريق الخير عليه أن يدرس الخير وأن يفهم أيضاً ما هو الشر وما الذي يمثله من قوة من طاقة من آليات، حتى يستطيع أن يُكوّن استراتيجيا للتعامل معه، مثل الطبيب الذي من علمه بالطب أنه يعلم الجسد ووظائفه وأنه يعلم شيئاً عن الدواء، وكذلك أنه يعلم عن الداء: مما يتكوّن هذا الداء، هل هو فايروسي هل هو علة، هل هو عطب هل هو خلل، هل هو جرثومي بكتيري إلى غير ذلك.. فالمعرفة بالشر من باب الوقاية منه. والله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي كِتَابِهِ الْعَظِيمِ** ثم نبيّه الكريم بيّن سُبُلًا للعوامل الشريرة التي تريد نشر الفساد في الأرض وإيذاء الإنسان وجعله يطعن نفسه بيده، بحكم أنّ كل عمل سيء يقوم به الإنسان هو في الحقيقة يظلم به نفسه ﴿وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾.

الشياطين كائنات خلقها الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، هذا الفهم العام أنّ الشيطان هو الذي كُفّ ووكل بالنزغ والوسواس على بني الإنسان وعلى الثقلين، ولكن لي تفصيلاً في ذلك، هذا تفصيلي الذاتي في هذه المسألة منبعه قرآني ومنبعه أيضاً تجربة طويلة في حرب هذه العوالم التي تقبع في ذاتنا والتي تختفي فيها أو التي تُحيط بها، وهذا من باب المجاهدات التي يجب على الإنسان أن يقوم بها بحكم أننا لسنا كَمَلًا، لا ندعي أننا كَمَل، لا ندعي أننا ملائكة، لا ندعي أننا لم نقترف ذنباً لم نأتِ بخطأ لم نقم بزلل لم نقم بشيء مما يخرج عن المنهج الذي رسمه الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** لنا، نحن نُصارع أنفسنا والله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** تَوَابٍ رَحِيمٍ، نُخْطئ ثم نحاول أن نقف من جديد، نُذنب ثم نتوب، نأتي بالسيئة ثم نحاول أن نُتبعها بالحسنة حتى تمحها، ونرجو من الله أن يُبدّل سيئاتنا إلى حسنات.

هذا نحن هذا هو الإنسان، الإنسان الذي يدعي أنه خَلَصَ من كل ذلك هذا بلغ مرتبة الكمال، إما أنه حقاً بلغها وإما أنه يتوهّم ذلك. في الحالتين المعركة بالنسبة إلينا الذين نشعر بهذا النقص في ذاتنا، الذين نريد حقيقةً أن نصل إلى مقامات من الصفاء والنقاء من الرُّقي و **"على قدر الترقى يكون التلقي"** كما بينت في موسوعة البرهان ثم في كتاب <<إشراقات>> عن مدارج السالكين إلى الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، وهذا شيء من العلوم العرفانية، **الأخذ بالمعارف عن الله والأخذ بالمعارف التي تُلقَى قلبياً**. وهذه المعارف والإشراقات والفتوحات والفيوضات تحتاج إلى السير في طريق شائك وعر. وطبيعي لست وحدك في هذا العالم، الشيطان عندما يتفطن أنك بدأت في هذا الطريق سيشتد عليك الحرب بجميع أنواعها وأشكالها: من مناماتك والكوابيس التي تضايقك، إلى حرب حولك، إلى أذية ممن ربما تُحب أو ممن تكره أو ممن يكرهونك، إلى غيرها من السبل. الشيطان ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾، عدوّ، إنّ الشيطان للإنسان عدو مبين.

إذن ماذا نعني بالشيطان؟ في نهاية المطاف الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** حدّثنا عن هذه الشياطين، لكن ثمة أمور تتجاوز الفهم العادي الذي يُلخّص الأمر في شيطان يوسوس وكأنّ إبليس هو الوحيد الذي يقوم بذلك ولا نفهم تراتبية ما عنده من مجموعات ومن جنود إلى غير ذلك ﴿وَجُنُودٌ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ﴾.

الشیطان النفسي

إذن سنبدأ ضمن أنواع الشياطين بما سمّيته **الشياطين النفسية**، وهذا للذين يعرفون عن فنون الدفاع الذين يعرفون عن التريّض عن جوانب من التصوف: أكبر عدو للإنسان يسكن في داخله، بحكم أنه على سبيل المثال إذا كنت تتقاتل مع مجموعة تمسك في أيديها أسلحة، أخطر عدو تواجهه هو الذي يمسك بالسلاح الأقرب إليك، هو الأقرب إليك مسافةً يُمكن أن يؤذيك، الأبعد يكون أقل خطورة، نتكلم عن فرضية قتال بالسيوف ليس بعمليات القنص. المهم أنه كل ما كان أقرب كل ما كان أشدّ خطورة، فما بالك بالذي يوجد داخلك؟!

هذا الشيطان النفسي أو سمّيته الشيطان النفسي هو موسوم بصفات تجعلنا بيسر نقول عنه شيطان نفسي أو شيطان ذاتي أو شيطان داخلي. الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** عندما ذكر بيان زليخة عندما حصح الحق ماذا قالت؟ قالت ﴿ **وَمَا أَبْرَأُ نَفْسِي ۚ إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ** ﴾ في سورة سيدنا يوسف، أمارة بالسوء. الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** عندما يُبين ذلك في هذه الآية 53 من سورة يوسف، هو **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** **يَتَّبِعِي** **هَذَا الْكَلَامَ**، أي أنه يُثبت صحة ذلك، هو ليس فقط يورده، إنما عندما أورده في بيان توبة زليخة والتي قالت ﴿ **إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ** ﴾، فالله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** أنزل ذلك في كتابه ليُخبرنا جميعاً من ملفوظ زليخة أنّ النفس أمارة. **أَمَّارَةٌ: فَعَالَةٌ، فَعَالَةٌ تُجَاوِزُ الْفِعْلَ لَيْسَتْ فَقَطْ فَاعِلَةٌ**، الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** ﴿ **فَعَالٌ لِّمَا يُرِيدُ** ﴾ مطلق الفعلية، أمارة (صيغة فعّال) تجاوز الفاعل العادي. إذاً هي تأمر بالسوء ولديها إصرار ولديها قوة على ذلك **بوعي مستقل ذاتي**، هذا هو الخطير في المسألة.

علماء النفس طبعاً تكلموا عن الأنا والهو والأنا الأعلى، ما أحدثكم به هو فهم أدقّ وفهم أرقّ من ذلك عن علوم النفس وعن عوالم النفس وعن أنواعها ﴿ **وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا** ﴾، تجد ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ** ﴾، تجد ﴿ **وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ** ﴾، وتجد النفس اللوامة، وتجد هذه الأمارة بالسوء، وكثيرون من أهل العرفان من علماء الأمة كتبوا عن أنواع النفس وغير ذلك، ولنا في ذلك نظر خاص قد ننشره قد نُحاضر فيه بينكم في مرة قادمة.

وعليه، فهذه الأمارة بالسوء إذاً لديها هذه القدرة الذاتية، وإذا أخذنا هذا اللفظ على أنها تأمر بالسوء يُمكن لبعضهم أن يقول لي: هذا ليس من باب أنها شيطان، من باب أنها فيها فجور، ولكن للشيطان فعل مميّز هو فعل الوسوسة. الوسوسة هي قوة شيطانية قوة إحياء قوة مَغْنَطَة قوة تنويم للإنسان وتزيين له لأمر معيّنة من الباطل. وهذه الصفة التي جعلها الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** في هذا الشيطان عامّةً عندما تجاوز هذا المعنى إلى معنى الشيطان الإبليسي، الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** ذكر ﴿ **وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلْمُ مَا تُوسُّوسُ بِهِ نَفْسُهُ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ** ﴾ سورة ق الآية 16، وعليه: توسوس، أمارة بالسوء وتوسوس للإنسان. إذاً هذا الشيطان الداخلي من فرط قوته أنّ رسول الله جعل جهاد هذه النفس هو الجهاد الأكبر، وأنّ مجاهدة العدو الخارجي جهاد أصغر، بحكم أنه **لا يؤذيك العدو الخارجي بقدر ما تؤذيك نفسك**.

عندما كان سيدنا بلال منتصراً على نفسه وهو تحت الصخرة وكان يقول "أحد..أحد.."، كان منتصراً في الحقيقة، ولم يكن عدوّه يؤذي منه إلا جانب الجسماني، ولكنّ روحه لم تُكسر، الروح التي تُكسر هي

الأذى الأشدّ من كسر الأجساد. فهذه الأمة اليوم روحها مكسورة، معنوياتها محطّمة، وإن كانت تمتلك من الثروات ما لا يمتلكه العالم كله، وإن كانت وإن كانت هذا باب آخر.. سيدنا بلال يُمثّل تلك الروح التي لم تنكسر، والذي جاوز شيطان نفسه وقهره وهزمه بتعليم محمّدي نبويّ بهذا النقش المحمّدي على قلب سيدنا بلال رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وصلى الله على سيدنا محمّد وعلى آله وسلام ورضوان على أصحابه.

إذن الشيطان الذاتي لديه جيوش وجنود، كل رذيلة كل فعل خبيث كل هذه الفسادات الداخلية والخواطر الفاسدة وغيرها هي مطارات للشياطين الخارجية ومحطّات إرسال ومحطّات استقبال للوسواس الشيطاني وأنواعه، وهي جنود لهذه النفس الأمّارة. وعلى المضادّ من ذلك هنالك نفس لوّامة لديها جنود أيضاً من مكارم الأخلاق ومن المروءات الذاتية الأخلاقية. العرب جمعوا مساوئ الأخلاق في الدناءة وجمعوا مكارم الأخلاق في المروءة، فالكرم والشجاعة وغيرها من المسائل هذه جنود لهذه النفس الخيرة، أما النفس السفلية الشيطانية فلها جنودها منها هذه الفسادات وهذه الرغبات.

أنواع الشياطين الذاتية

وأنا قسّمت أنواع هذه الشياطين الذاتية الأخطر وهي:

- شيطان الرغبة، الرغبة العمياء، الرغبة الحمراء، الرغبة المجنونة، هذه الشهوات التي لا تشبع.
- شيطان الغضب الأعمى الأسود وهو شيطان يُدمّر وينفجر في الإنسان ويُحطّم ما بناه في سنوات في لحظات من أذى اللفظ أو أذى الفعل والتصرف.
- شيطان الشره الذي لا يشبع من مال ولا من طعام ولا من منصب ولا من مكسب ولا من شيء، ويظل هكذا كأنه دوّامة رملية لا تشبع مما تأكله ومما تأخذه في جوفها.
- شيطان الجبن والفرع، والذي يكون ذا رُجافٍ كرجاف العظام، ويكون مرتجفاً مرتعداً عاجزاً خائفاً غير قادر على أي فعل وعلى أية مواجهة. حتى في مواجهته لنفسه هو جبان أمام شهواته، هو جبان أمام خوفه، هو جبان أمام العالم أمام أعدائه، منبطح لهم مقبّلٌ لنعال الظلمة، وهكذا أيضاً شيطان ذاتي مريد حقير موضوع في داخل الإنسان يجعله وضعياً يجعله خسيساً.
- والشيطان الآخر الذي هو أيضاً أساسي في هذه المعركة هو شيطان الكسل وشيطان العجز وشيطان التخلي عن الواجبات الإنسانية وشيطان الوهم والتخيّلات وأحلام اليقظة.

هذه الشياطين يجب مواجهتها في الداخل ولها جنودها في داخل الإنسان، تأمل وصفاء مع نفسك ستجد أنّ هذه الشياطين موجودة بنسب، وكل إنسان تتمظهر عليه بنسب مختلفة. أحدهم يتمظهر عليه أكثر شيطان الغضب الأعمى سريع الغضب انفجاري ثم يندم بعد ذلك، الآخر يجد هذا الشره، والآخر يجد هذا الكسل الذي يجذبه إلى الخلف أو هذه أحلام اليقظة التي يستغرق فيها يومه أو شيطان الغضب أو شيطان الرغبات أو شيطان الجبن الذي يجعله يرجف رُجافاً كما ذكرت.

وأنتكم هنا عن شياطين ذاتية داخلية وأسلحتها هي كل مساوئ الأخلاق، وعدوها مكارم الاخلاق، هي تستهدف مكارم الأخلاق في الإنسان، تتغذى مما حولها وتحاول أن تكون أقوى كل يوم، وهكذا كالأعشاب الضارة الطفيلية في ذات الإنسان، تصعد حتى تلمس قلبه بالحسد على سبيل المثال، إذا دخل القلب الحسد فهذا القلب صار أعمى تماماً، إلى العقل بالوهم والجهل، وإلى الجسد بأنواع الأمراض، الكسل يؤدي إلى الأمراض، الإفراط في الطعام يؤدي إلى الأمراض، إلى غيرها من الأمور.. ولها علاقات بالأعصاب: عندما تستطيع التحكم في أعصاب الإنسان تستطيع أن تحرقها عن طريق سعرات الغضب الزائدة المفرطة التي تؤدي إلى أمراض عصبية أو ذهانية وغيرها مما يتشابك فيما بعضه بما سمّيته **علم الربط**. هنالك ربط بين المسائل، عندما نعوص في هذا الأمر نجد أن في دواخلنا جيوش مدرّعات دبابات أسلحة سفلية تُقاتلنا تدفعنا نحو الأسفل ونحو الأسوأ ونحو الأردأ. ولكن كل ذلك مُعلّفٌ بوهم اللذة، عندما يغضب الغاضبُ ويُشعلُ سيجارةً ويشربُ خمراً ويكسر الكأس ويضربُ الآخرين ويسبّهم ويذكر مساوئهم يشعر بلذة، لذة مسمومة. عندما يمضي نحو الوهم عندما يقضي يومه في أحلام اليقظة وهو عاجز فاشل يشعر أيضاً بنوع من اللذة. ولولا هذه اللذائذ الوهمية ما استطاعت هذه الأنفس أن تُزَيّن ذلك للإنسان، ولها علاقة بالشياطين الإبلسية.

حقيقة إبليس

الشياطين الإبلسية هي خلاصة من إبليس إلى ذريته (إلى الذين أتوا من صلبه)، هو كان جنياً تمّ مسخه تمّ تحويله مثلما مُسخ بعض البشر قردة أو خنازير، لم يبقوا بشراً، الشيطان كان من الجن كان ناري مُسخ طاقة دخانية لزجة (إذا جازت العبارة في مجال علم الطاقة). المهم هذه الطاقة اللزجة متخفية ﴿إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْهُمْ﴾ وأبى إبليس واستكبر ﴿إِلَّا إِنْ لَيْسَ أَبِي أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ﴾ الحجر الآية 31، أبى أن يسجد لجدنا أبينا آدم، وحينها تحدّى الله سبحانه وتعالى ﴿لَأَخْتَبِنَكَ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا﴾ ويبيّن كيف أنه سيأتيهم عن أيماهم وعن شمائلهم، والله سبحانه وتعالى أنذرهم وجعل له نظرة وقال له ﴿وَاسْتَفْزِرْ مِنْ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ﴾ وافعل ما تستطيع وجهنم موعدكم أجمعين، هذا باختصار القصة.

إبليس هو شيطان كان جنياً، كانت حياة قبل هذه الحياة الآدمية كان هنالك عوالم كانت هنالك كائنات كثيرة، وهذا أحد المنظرين ﴿إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ﴾ هنالك مُنظرون سواه، يأجوج ومأجوج على سبيل المثال من المنظرين، هذا **علم المنظرين** علم كبير جداً وشاسع ليس فقط إبليس. أعطي هذه الفسحة من الزمان وهي فسحة صغيرة مقارنةً بعمر الكون، فسحة يعني عشرات الآلاف من السنوات، ويكون فيها سيناريو أخير ختامي لهذا الوجود الفاني الوجود المحدود بزمن الفناء، وبعده يكون وجود آخر هو الوجود الأبدي، وما بينهما من قصص ومن أشياء يطول شرحها من برازخها ومن ما يكون من أمرها عند الله سبحانه وتعالى وما أشار إليه في كتابه أو أشار إليه نبيّه في الثابت والصحيح من سنّته، رغم تسرّب بعض الخزعبلات الإسرائيلية التي شوّهت المعاني، ولكن يُمكن لصاحب البصيرة أن ينفذ إلى الحق مُستهدياً بالقرآن العظيم لأنّ كلام الحبيب صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ لا يُخالف القرآن في شيء.

الشياطين الإبلية هي من رحم ومن ذاتية هذا الشيطان الأول إبليس الذي يُشرف عليهم، ولديهم قدرات ﴿إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنَاثًا وَإِنْ يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَرِيدًا﴾ شيطان متمرد له تمرد كبير على ربه، والله سبحانه وتعالى أعطاه هذه النظرة. بدأ مع الأب والأُم مع أمنا حواء وأبونا آدم عَلَيْهِمَا السَّلَامُ ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَى﴾، فبدأت القصة بالنزول ﴿قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ﴾.

الوسوسة

وهذا الشيطان يوسوس في صدور الناس ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ مَلِكِ النَّاسِ إِلَهِ النَّاسِ مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ﴾ يخنس يختفي في حيزٍ بُعدي آخر، أو يدخل في أجساد البشر ويوسوس في الصدور، مكان الوسوسة الصدور، ﴿وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ﴾، الصدر هو جهاز البث الذي يبث من خلاله هذا الشيطان وسوسته، أي يُرسل ذبذبات تؤثر في العقل تؤثر في النفس.

وأين تقع تلك الذبذبة أين تسقط أمطار الشر تلك؟! تسقط في الأرض النفسية، فيتفاعل الشيطان النفسي مع الشيطان الإبلية ويتعاضدا حتى يستطيعا معاً أن يهزما ذلك الإنسان، أن يهزما قلبه وأن يهزما عقله ووعيه وأن يهزما ذاته، في النهاية يحملانه إلى الدرك الأسفل وهو يرى نفسه ينتصر ويرتفع إلى أعلى ارتفاع فرعون الذي طلب أن يرتفع أن يُبنى له على الطين طلب من هامان ذلك حتى يطلع على إله موسى. هذه هي اللعبة وتكرر على جميع البشر إلا الأنبياء لهم أمور أخرى وحكمهم خاص.

وعلى ذلك، الشيطان يستخدم الوسوسة هذه القوة الإيهامية، قوة تشابه ما يُسمى عند مقاتلي النينجا بالجنجتسو، نوع من التنويم نوع من التنويم الإيحائي التنويم الذي يُفقد الإنسان إحساسه ويُفقد الإنسان إيمانه "لا يزني الزاني وهو مؤمن" إلى غير ذلك من المعاني المحمدية، أي أنه يخرج من طور وعي عادي إلى طور وعي آخر أدنى بهيمي غرائزي حيواني. عندما يكون الإنسان في حال الغضب حينها يكون في حالة ذاته العادية، تُسيطر عليه هذه النفس هذا الشيطان النفسي متحدداً مع الشيطان الإبلية.

الوسواس لا يتطلب الولوج داخل الإنسان مثل البث الإذاعي، لا يتطلب سماع الإذاعة أن تكون داخل المؤسسة الإذاعة نفسها.

المسّ

أما المسّ (وهي طريقة أخرى يستخدمها الشيطان) فهو دخول في الجسم "إنّ الشيطان يجري في الإنسان مجرى الدم في العروق" كما ذكر الحبيب صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وهذا ذكره الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى في بيانه عن المُرابين ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ﴾. وهذا بُعد كامل كبير فيه الكثير من المعاني وفيه الكثير من الحق ومن الدّجل، يعني ليس كل من لديه مسّ جني أو لديه مسّ شيطاني هو حقيقةً لديه مسّ، هنالك من يدعون يوهمونك أنّ فيك هذا الأمر ويقومون بصرع الإنسان ويتصرف تصرفات غريبة من وقع تأثير ذلك المُعالج إما جاهلاً أو قاصداً، وهنالك من لديه هذه الأمور حقيقةً، وهذا يطول فيه البيان ضمن العلوم العلاجية التي يرومها الكثيرون من علاج أنواع هذه الأشياء التي يُسببها السحر وتسببها العين والأذى والنفس وغيرها.

وهذا حقيقيٌّ ولكن يُوظف، كثيراً ما يكون وهمياً وكثيراً ما يكون إسقاطاً وهمياً لتبرير الفشل وتبرير أمور كثيرة، يجب أن يُماز بين الحقّ والباطل في هذه الأمور وأن يُقاس ذلك بعلم وبيّنة وفهم للقرآن وعلوم القرآن وخواص الآيات في الشفاء وفي غير ذلك من نزع الأذى. وهذا باب دخله الكثير من الدجالون فصمتنا عنه، لأنه صار فيه الكثير من الخبث والكثير من الفوضى والكثير من الضجيج الذي ليس فيه أي حق، إنما سرقةً لأموال الناس ونهبٌ لأعمارهم، سواءً ممن يستخدمونه ضمن المدارس السلفية أو غيرهم، فكلاهما -إلا ما رحم الله- كلاهما فيهما الكثير من الدسّ والكثير من الخداع أو أنهم مخدوعون دون أن يشعروا. حتى الذين يقومون بالرقى عن طريق التلفزيونات ويفتح الناس قوارير المياه أو يقومون برقى جماعية وغيرها من الأمور التي رأيناها وسمعناها وفيها الكثير من الجهل وعدم الفهم لهذه العوالم وكيفيات تأثيرها وأنها عوالم موازية وأنّ لديها وجود مادي موازي وأنها تنفذ في عالمنا وأنّ لديها قوانين وأنّ حولها أمور عديدة جداً وضوابط كثيرة جداً، وأنّ العلاج بالقرآن أو بأي نوع من هذه الطاقات يحتاج إلى إذن ويحتاج إلى وهب إلهي من الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى وليس فقط دورة تكوينية، ليس مثل العلاج بالطاقة الحيوية هذا مسألة جسمانية، أما النورانيات القرآنية والروحانيات هذه موضوع عويص ولا أنصح أحداً بدخوله لأنه سوف يتوه فيه، ويقلّ العالم والناصح ولا يجد إلا مسارات من الجهل. وحتى بعض الصوفية للأسف دخلوا في هذه الخزعبلات والتمتاهات ولم يكن لهم علم السابقين من الأقطاب ولا حتى علوم من فتح الله عليهم في وقتنا، ولا يخلو وقت من أهل فتح وعلم وخير.

1. القوة الأولى إذاً هي قوة الوسواس وهي قوة قد تكون على مسافة، تأثير في الفكر إيغار في الصدر
2. النوازغ ﴿وَأَمَّا يَنْزِعَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ﴾، والنزغ أدنى من الوسواس أحياناً وأحياناً أعلى منه حسب الحالة النفسية والروحية.

التزيين

3. وهنالك التزيين ﴿زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ﴾، وهذا التزيين يُزيّن الشيطان للناس بعض الأمور ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤْزُهُمْ أَزًّا﴾.

هنالك مهمّات ربانية ولكن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يجعل بعض المهمّات عند ملائكته وبعضها يجعلها عند الشياطين لحكمته في خلقه، هو لم يخلق الشياطين عبثاً ولم يجعل هذه القصة عبثاً، رغم كل ما تراه من فوضى وما تراه من عبثية من عدمية في هذا الوجود، كل شيء دقيق ومنسق ولديه تنسيقات أشدّ مما تجده في ألوان ذيل الطاووس، هذا من باب التسليم لله في حكمته وأنّ كل شيء يجري في ملكوته بعلمه وبقدرته. والتزيين الشيطاني هذا ﴿تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ﴾ هذه الآيّة تُبيّن قوة التزيين، وقوة التزيين هي أن يجعل الباطل يبدو كأنه الحق وأن يجعل الشيء البشع يبدو شيئاً جميلاً، والبعض أصيبوا بذلك: تجده يُشاهد مشاهد من جرائم داعشية على سبيل المثال ويلتدّد بذلك القتل والذبح، والذي يفعله يكون قد تحوّل من مرتبة إنسية إلى مرتبة شيطانية.

شياطين الإنس والجن

إذن نبدأ بالترتيب:

- الأول الشياطين النفسية.
- ثم الشياطين الإبلسية وهي إبليس وذريته.
- هنالك مرتبة أخرى في آية من آيات القرآن العظيم -وكل آيات القرآن عظيمة- شياطين الإنس والجن، هؤلاء الذين ﴿يُوجِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرَفَ الْقَوْلِ غُرُورًا﴾ أو ﴿مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾

يقول قائل: كيف يكون إنسياً وهو شيطان؟ الذي تغلب عليه النزعة الشيطانية ويتخلّص قلبه منه، يحول الله بينه وبين قلبه الحقيقي النوراني، والروح النورانية التي فيه تنطفئ ويتحوّل إلى روح ظلماوية شريرة فاسدة، ويطغى عليه الشيطان وتغلبه جيوش الشياطين النفسية والإبلسية، يتحوّل إلى شيطان إنس، مثل فرعون مثل أبي جهل مثل النمروذ مثل كثير ممن يعيشون في وقتنا ومن كان قبلهم.. شياطين إنس خرجوا من مرتبة الإنسانية إلى المرتبة الشيطانية، بقي الإطار الخارجي إنسانياً هو إنسان في شكله، ولكنه شيطان في باطنه. مثلما أنّ رسول هو إنسان في شكله بشر مثلهم ولكنه في باطنه أعلى من الملائكة، لا يمكن أن نصنّف الروح المحمّدي، روح عظيمة عُليا "محمّدي"، يكفي أن نقول روح محمّدي وكفى. وعليه فإنّ الصالحين بلغوا مراتب حتى صار الإطار العام بشري ولكنهم كَمَل من الداخل، مروحنون، لهم مراتب عالية.

وأما الذين وقعوا في هذا البئر الشيطاني: أصبح الإطار الخارجي إنسياً، ولكنهم من الداخل شياطين بالكامل، شيطان إنس، شيطان بشري. وهؤلاء وظائفهم الإفساد ونشر الفساد، وإذا التقى الإنسان واحداً

منهم لن يدعوه إلا إلى رذيلة أو إلى فساد، ينشرونه، ولديهم اليوم إمكانيات أكبر في نشره عبر هذه المرايا، مرايا التلفزيونات والأفلام والمسلسلات وغير ذلك من مواقع ومن أمور كثيرة جداً. وحتى في حياتك قد تلتقي بمن لديه اللوثة الشيطانية، لوثة شيطان إنسي، قد لا يكون تحوّل كلياً إلى شيطان إنس ولكنه لن يدعوك إلا إلى شيء فاسد ولن يعطي في قلبك إلا الإحساس الفاسد الكريه، لن تجد منه إلا ملفظاً بديئاً وكلاماً سيئاً، هو قد لا يكون وصل إلى المرتبة الشيطانية كلياً، ولكنه يسير فيها، يسلك في الطرق السفلية الشيطانية.

وقد يتمنطق بمنطق الرهبانيين: الذين قتلوا الإمام الحسين ثم بعد ذلك خطبوا وحمدوا الله، قال لهم حينها الرجل الصادق "تقتلون أبناء الأنبياء وتكلمون بألسنة الصديقين"، قال قائلهم: الحمد لله الذي قتل الحسين ابن علي، الظالم ابن الظالم هكذا. وعليه، فإنّ هنالك من يتمنطقون يتكلمون بالآيات القرآنية وترى على كلامهم كلاماً عجباً ﴿وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ﴾ كما ذكر الله سبحانه وتعالى في وصف المنافقين ولكنّ قلوبهم سفلية شيطانية وذواتهم كذلك.

وشياطين الجن كذلك هم الكفرة الفجرة من هذا العالم، الذين كانوا طرائق قديماً، وأنه فيهم الصالحون وفيهم المؤمنون وفيهم المقسطون، هي عوالم عجيبة كبيرة كثيرة يتوه فيها الكثير من بني البشر في الأوهام وفي غيرها من الأمور. مجهولٌ هذا العالم إلا على قلة ممن شرح الله صدورهم وأراهم شيئاً من ذلك، ولسنا مكلفين به ولكن مكلفون فقط بالوقاية الذاتية والنفسية، ف "كل عين عين وكل نفس نفس"، وهذا نشره مرةً أخرى.

هذه الكائنات تؤذي الإنسان وتحاول أن تحاربه إذا وجدت أنه يريد الوصول إلى طريق الحق سبحانه وتعالى، تحاصره. ويتعاون الشيطان الإنسي بالشيطان الجني ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْبَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ﴾ هذا لا يشعر به الناس، ﴿وَإِذَا حَلَّوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ﴾ لا يشعر به الناس عادةً، ولكن هذا يحدث ويحصل بطرائق، إما من باب اتفاق الوسواس مع الوسواس حتى تتحوّل قناة تواصلية، الوسواس أن يوسوس الشيطان فقط، ولكن هذه الحالة أنهم ﴿يُوجِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرَفَ الْقَوْلِ غُرُورًا﴾ يتحوّل الأمر إلى إرسال وإعادة رسالة، بثّ مشترك، وهذا يصل البعض ممن يصلون إلى هذه المراتب السفلية التي يصلونها من خلال الوقوع في الأمور الشيطانية.

محاربة الشياطين النفسية

والإنسان الذي يُريد أن يصل إلى معرفة الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَلَيْهِ** أولاً أن يبدأ في حرب الشياطين الذاتية النفسية، هذه معركتك اليومية. وأفضل سلاح فيما جربناه:

1. هو إكثار الذكر لله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** وخاصة أسماء معينة وأذكار معينة.

2. وكذلك إكثار الصلاة على الحبيب **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ** بشكل كبير لأنَّ فيها شفاء للقلوب وللنفس.

3. ثم الصلوات وخاصة صلاة الفجر لها أثر عجيب جداً في إجماع وإخراس والحدّ من طاقات هذه النفس.

وهذا مُمارسة لدى الذين يُمارسون فنون الدفاع والتأمل من قبل، وكأنّ الأنبياء الذين كانوا من قبل تركوا لهم هذه الوصايا وهذه الفنون، التأمل الصباحي عند ممارسي اليوغا وغيرها. ولكن نحن المسلمون لدينا هذه الصلاة صلاة الفجر والصبح لها سرها، ويا حبّذا يكون معها بعد ذلك رياضة وتأمل.

ولكل صلاة من الصلوات الأخرى خصائصها طبعاً كما ذكرت:

- صلّ الفجر تُوقى الهجر
- صلّ صبحك تجد ربحك
- صلّ ظهرك يُسند ظهرك
- صلّ عصرك تُسدّ عصرك
- صلّ المغرب كي لا تغرب
- صلّ العشاء وافعل ما يشاء

بعضهم يقول "افعل ما تشاء"، لا، صلّ العشاء وافعل ما يشاء الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** ﴿قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا﴾
﴿وَالَّذِينَ يَدْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾ ﴿وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ﴾.

4. هذه أساسيات، بعد ذلك ﴿كُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ عليك أن تكون مع الأشخاص الإيجابيين الجيدين الذين يعطونك أملاً ويعطونك معاني حميدة، يؤثرون فيك تأثير إيجابي.

5. اجتنب شياطين الإنس والذين لديهم لوثة شيطان الإنس، تكتشفه بسهولة: الذي يكثر اللعن والشتم، الذي تجده منجرفاً في تيارات الفساد، سريع غضب، كثير شكوى تدمر، لا يرضى بحكم الله إلى غير ذلك من الأمور الكثيرة جداً.

6. واتقي شياطين الجن بآيات معيّنة في القرآن: الإخلاص على سبيل المثال، المعوذتان، آية الكرسي آية النور، قراءة القرآن تدبره، تحصين نفسك كل ليلة كل يوم وتُحصن أحبابك وأهلك وترقيهم، سأنزل إن شاء الله بعض طرائق الرُّقى، وتجدون فيما كتب سلفنا من الصالحين أيضاً خيراً كثيراً وبعض الأوراد وبعض الأحزاب خاصةً حزب البحر وحزب اللطف للإمام الشاذلي وغيرهم من الصالحين كل الصالحين تيجان على رؤوسنا. ومع التنقية ومع التصفية ومع أخذ ما يلائمك، لا أقول لك اقرأ سورة يس ألف مرة أو خمسين مرة أو البقرة مائة مرة، هذا الذين يفعلونه يُكفون أنفسهم رهقاً، الذي جلب عرش بلقيس جلبيه في أقل من ثانية ولم يحتج إلى أن يُكرر سورة يس أو يختم القرآن ألف مرة. النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ عندما غادر قال "يس" فقط، وهكذا، يعني الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى إِذَا أَعْطَاكَ فَقَدْ أَعْطَاكَ، لَا تُكَلِّفْ نَفْسَكَ مَا لَا تُطِيقُ وَلَا تَجْعَلْ نَفْسَكَ فِي مَقَامٍ دُونَ مَقَامِكَ**. إذا قرأت عن الشيخ عبد القادر أنه يقوم بكذا بكذا، هذا يتحمّله هو ولا تتحمّله أنت.

7. وعليك أن تبغني أو تجد طريقاً إلى الله وتجد من يُدربك على ذلك، ويا حبذا تجد شيخاً يُريك الطريق الحقيقي إلى الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، وما أعزّ وما أندر الشيوخ الربانيين في هذا الزمان المليء بالضلالات والمليء بالمضلّين والمضلّين.

معركة الشياطين الإبليلية

والمعركة مع الشياطين الإبليلية تقوم بالتعوذ **﴿وَأَمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ﴾** بالتعوذ بالله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** من هذه الشياطين **وبأن لا توافقهم وبأن تُصارع ذنوبك وتصارع نفسك**. عليك أن تعي بذاتك، أنت لست كاملاً أنت فيك نقص كبير **﴿وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾** **﴿خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ﴾**. ولكن **فيك أمور كونية رحمانية رهيبة، أنت كون داخل الكون عليك**، عليك أن تجلس مع قادة جيوش الخير الذين فيك، قادة جيوش الخير الذين في داخلك عليك أن تجلس معهم، وأن تجلس مع قلبك قليلاً، أن تجلس مع عقلك قليلاً، عن طريق التدبر والقراءة وتصفية قلبك من الأحقاد، وهذا عمل مؤلم ومُتعب ومُكلف ويومي، كما قلت: **"الذين يلمعون أحذيتهم كل يوم ولا يلمعون قلوبهم ولو مرة في العام"**. ولا تنظر إلى حال الناس عموماً، لا تقول لك نفسك: الناس كلهم انجرفوا ماذا تفعل أنت ماذا تريد أنت؟! إذا كنت تريد مرتبة عالية، فاسع إلى تلك المرتبة العالية والطريق مفتوح **﴿وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾**.

خاتمة

نسأل الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى أننا أفدناكم ببعض هذه الأفكار، والحقيقة أنها أكثر من هذا وأنها أعمق من هذا، ولكن أعطيناكم منها ما يُمكن أن يكون ميسراً مبسّطاً دون كثير غوص. وكذلك نسأل الله لنا ولكم أن نتصر على الشياطين النفسية والإبليسية وأن يُجَنِّبنا شر شياطين الجن والإنس وأذاهم وكيدهم وحقد أنفسهم وقلوبهم وما فيهم من مرض، وأن يُجَنِّبنا البلاء والوباء، وأن يصرف عنا شر القضاء، وأن يجعلنا في عينه، وأن يأخذنا بلطفه ورحمته إلى خير وأعز ما يشاء، وصلى الله على سيدنا سيد الأنبياء وعلى إمام الرسل والأولياء، والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

المحاضرة بتاريخ: 7-12-2020



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

التأمل الحادي عشر: الكشف والفيض بين الإلهام والإيهام

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين، ورضي الله عن أصحابه وسلام على الصالحين وعلى أحبائه وعلى الرجال الواقفين ببابه، وسلام إلى حضرة جنابه سلام محبة من عبد يسأل الله جل في علاه أن تكون المحبة أعظم وأهم ما في كتابه يوم يلقاه، فيا طيب عبد كان من أحباب رسول الله ويا بشرى عبد أخلص النية لله والمحبة له ولنبيه وآل بيت نبيه وللصالحين أجمعين وللخلق الذين فيهم نفحة الخير.

السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته في موعد جديد مع التأملات العرفانية والتي نواصل فيها سيرنا وسلوكنا إلى الله جل في علاه، نتلمس بين المعنى والمعنى طريقاً إليه **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى "أنت المقصود في كل حال والمُشار إليه بكل معنى"** كما قال العارف بالله الكبير إبراهيم ابن الأدهم. فنحن نقصد سعياً بما في قلوبنا من محبة رغم سلاسل الذنوب والعيوب والتقصير والخطايا والزلل والخلل، ورغم كل هذه القيود النفسية والجاذبات السفلية وحالة العالم الفوضوية وهذه الأحوال المجتمعية التي نحن فيها والتي تطنغي عليها طاقات سلبية، رغم كل ذلك نحن نقصد نيماً نصلو (أي نسرع السير) نحو الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، عبر أبوابه وعبر حق معرفته وعبر الوسائل التي جعلها منه له. **ومن لم يؤمن بالوسيلة فما له من حيلة**، إذ أنّ الذي جهلها جائب الحق، والله لن يدخل أحد على ربه إلا من باب رسول الله محمد، من ذلك الباب الذي دخل فيه السابقون ويعبر منه اللاحقون.

موضوع اليوم على غاية الأهمية وخاصة أنّ الواقع يفرض الكلام عنه وهو عن الفيض والكشف والفتح بين الإلهام والإيهام.

عطايا الله لم ولن تنقطع

معلوم أنّ الله جل في علاه يفتح على قلب من يشاء ﴿وَمَنْ يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ﴾ وأنّ لله رجلاً ﴿يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ وأنّ الله سبحانه وتعالى له عبادة صالحون ومخلصون، وأنّ كلمته الطيبة كشجرة طيبة تُعطي أكلها كل حين بإذن ربها وأنّ هذا غير منقطع ولا ممتنع من زمان ولا مكان ولا عصر ولا مصر ولا فئة من الناس، يمنح الله ما شاء لمن يشاء ويفتح الله بما شاء على من يشاء، فله تمام القدرة ومطلق الإرادة والمشية في ذلك، ولذلك علامات بيّنات وأخر مخفيات يطويها بأمره ويخفيها بستره ويضمّنها في سره أو يظهرها ببرهانه ويجعلها دالة على قدرته وعلى عظيم عطائه المدهش الذي إذا أعطى أدهش سبحانه وتعالى.

الحبيب محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ قال غير مرة "كان في الأمم من قبلكم محدّثون" للحديث روايات متعددة مختلفة من بينها "يُلَقُّونَ الذِّكْرَ وَمَا هُمْ بِأَنْبِيَاءَ" وهي كثيرة كما قلت، وفيها أيضاً روايات "سيكون في أمّتي محدّثين" و "سيكون من بعدي محدّثين". وهذا المقام بين مقام المحدّثين في الأول والذي يكونون في ما بعد هو مقام عظيم مقام عجيب، ما معنى المحدّثين الذين يُلَقُّونَ الذِّكْرَ وليسوا بأنبياء؟! هنا باب إلهام باب فيض باب كشف باب فتح، ليسوا أنبياء لا يأتيهم سيدنا جبرائيل عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بالرسالة وليس لديهم ختم النبوة ولا حتم تبليغها هم ليسوا أنبياء، ومعلوم أنه في الأمم السابقة كانت الأنبياء تترا لكن بعد النبوة المحمدية كل دعيّ لذلك حفر لنفسه حفرة في النار، كل من ادّعى النبوة وأنه يأتيه وحى جبرائيلي هذا إنسان مفترٍ أو مريض. ولكن باب هذا الفتح باب هذا الإلهام باب هذا الفيض هذا باب فيه خصوصية لمن اختصهم الله بذلك.

أنا قلت في قراءةٍ لحديث أنّ "في الأمم من قبلكم محدّثون يُلَقُّونَ الذِّكْرَ وَمَا هُمْ بِأَنْبِيَاءَ" أو "في الأمم قبلكم محدّثون" إن جاز في الأمم التي من قبل فكيف بالأمة المحمدية وهي أشرف أمة ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾؟! وإن جاز في أشرف أمة فكيف بمن هم أشرف من في هذه الأمة وأعني آل بيت النبي وسلالته الطاهرة. وعليه، يكون باباً للفهوانيات العجيبة التي تكلم بها السادة الصوفية يقولون "حدّثني قلبي عن ربي"، ولهم في ذلك قصص عجيبة وقصص كثيرة جداً من بينها فهوانيات النفرتي.

فهوانيات الصوفية

والنفتري ظهر بعد قتل الحلاج وكانت فترة صمت، فترة صوفية صعبة بعد تلك الفاجعة التي لم يُشف منها أهل التصوف ربما إلا عن طريق الإمام الغزالي، ثم بعد ذلك الشيخان الكبيران الإمام عبد القادر الجيلاني والإمام الرفاعي قدس الله سرهما الشريف والرعيلى الذي كان معهما. النفترى فى فهوانياته فى موافقه ومخاطباته التى دُونها بعد ذلك وجمعها من قصاصات سبط النفترى، له كلمات عظيمة عجيبة، مرةً يقول استوقفنى فقال لى مرةً يقول خاطبنى فقال لى، من بينها "إذا اتسعت الرؤية ضاقت العبارة" هذا لفظٌ شهير جداً كلمة شهيرة وخاصة فى فترة حدائث الشعر وبعض الفلاسفة أخذوها عميقة عظيمة "العبارة ستر" وأيضاً "أنا أولى بالغضب فلماذا تغضب" وغير ذلك كثير يُمكن أن تبحثوا فى المواقع عن مخاطبات النفترى وموافقه ستجدونها. وكلها يروىها عن ربه، إذاً هو ليس نبياً ولكنه فاه تكلم نطق بفيض أفاضه الله على قلبه. الحديث النبوي "من خلا لله أربعين يوماً نوره الله قلبه" أو كما قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وسلم فى سياق الحديث، هؤلاء لهم خلوات ولهم مشاهدات وفيوضات يفتح الله بها على قلوبهم.

وكذلك من أشهر فهوانيات ما كان لدى الشيخ عبد القادر الجيلاني قدس الله سره الشريف، وكلمة قدس الله سره الشريف لأنه موهوبٌ بسرّ وهذا السرّ مقدّس، إذا كان الوادي مقدّس وادي طوى وإذا كان البيت المحرم البيت الحرام مقدّس فالإنسان له قداسة أيضاً "دم المسلم أعظم حرمة من بيت الله الحرام" كما ذكر الحبيب المصطفى، وهؤلاء الأركياء الأوفياء الأصفياء الأولياء النجباء المخلصين الخُصّ الكُمل طبعاً لهم قداسة سرّ، سرّ مقدّس رباني، وهذه القداسة الربانية الرحمانية الإيمانية القرآنية الفيوضية المتصلة بالذات المصطفوية هي قداسة حقيقية وليست متوهمة ولا متخيّلة ولا مدعاة. المهم أنّ سيدي عبد القادر الجيلاني له من فهوانياته العظيمة ما ألقى الله فى قلبه "يا غوث الأعظم، قل لأحبّابك وأصحابك من أراد صحبتي فعليه بالفقر ثم الفقر ثم الفقر عن الفقر، فإذا تمّ لهم ذلك فما ثمة إلا أنا". ومن عجائب قصصه أنّ ابنه الشيخ عبد الرزاق طلب منه أن يعطى درساً مكانه وخطب طويلاً لم يُحرّك فى الناس ساكناً، حتى هاج المسجد وتحرك الناس وسألوا وطلبوا أن يتكلم الشيخ فوقف وقال "إيش بيكم يا هوش" أو "ما بكم" فبكى الناس من أثر ذلك، ثم تكلم ما شاء له الله وأبكى عيونهم وهزّ قلوبهم ورجّ أرواحهم وحرّك وجدانهم وسواكنهم وكوامنهم، وبعد ذلك سأله ابنه المؤدب الولى الصالح العارف بالله أيضاً سأله: ما لى تكلمتُ فلم أُحرك لهم ساكناً وتحدّثت أنت فحرّكت قلوبهم؟! قال: "يا بني، أنت المتحدّث عنك وأنا المتحدّث عن غيري"، هذا المفتوح عليه هو متحدّث عن غيره، هو متحدّث عن الحضرة الإلهية وعن الحضرة المحمدية وعن هذه الحضرات الروحانية. وهذا من مقامات الإحسان الذى يعبد الله كأنه يراه وإن لم يكن يراه فالله يراه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، هذا يفتح الله به على قلب من يشاء.

الفتح والفهم

هذه مقدمة ومدخل معرفي في هذا الباب، والباب طويل والكلام كثير فيه وشواهد عديده ولا أريد أن أطيل بكم في هذا المقام من ذكر هذه القصص، ولكني أقول فقط أنّ الفيض والفتح والكشف والإشراق والتجلي مصطلحات خلفها علوم غوامض كثيرة. كنت في موسوعة البرهان دونت باباً ضمن علم الكشف والتجلي، فدونت عن الفيض والكشف والتجلي والفتح والإشراق، وأقول لكم مختصرات عن ذلك.

أولاً الفتح هو أن يفتح الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ إِلَهَامًا وَحَالًا وَمَقَالًا وَتَصْرِيْفًا وَتَشْرِيْفًا عَلَىٰ عَبْدٍ مِنْ عِبَادِهِ**. هذا أظهره لدى آل البيت بحكم هذا السرّ النبوي هذه الجينات المحمدية هذا الموروث المحمدي هذا النور المحمدي الساري في سلالة وفي نسله وفي ذريته، هذا غير منقطع ولا ممتنع، ولكن له خصوصيات يظهر في أحد أكثر من آخر من السادة والأشراف. وهذا متصل في الزمان والمكان مبعوث في الزمان والمكان، معظم الأولياء الصالحين وكل الأقطاب طبعاً المصترفون هم من سلالة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ، مبعوثون في الأرض كلها لحكمة عظيمة، حتى يظهر ختم هؤلاء الأولياء وكبيرهم وقطب الولاية الكبرى والقطب الأكبر مثلما أنّ الشيخ عبد القادر الجيلاني هو القطب الأعظم والغوث الأعظم، يظهر هذا الذي مرتبته أعلى من ذلك وهو الإمام المهدي عَلَيْهِ السَّلَامُ وهذا أيضاً له سياقاته.

المهم أنّ الفتح هو أن يفتح الله على قلب عبد من عباده وأن يهبه الفهم ﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ﴾. اليوم في مكالمة طيبة لطيفة مع أحد أعلام بلاد الشام الشيخ الحبيب القريب حسام الدين فرفور، وذكر فهم أهل الله لمعاني وخواص القرآن العظيم مثل ﴿وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ﴾ قال أنّ الصالحون قالوا أنّ التوفيق نادرٌ لندرة ذكره في القرآن العظيم وحديثي بشيء من فيوضات والده الولي العارف الكبير، المهم أنّ هذا المعنى أيضاً في الفهم هو معنى نادر في القرآن الكريم لفظٌ نادرٌ، مما يعني أنّ الفهم أيضاً نادرٌ، كما قال الإمام علي "هو الفهم يؤتاه الرجل منا".

الفهم ليس كالعلم، العلم تجميع معلومات والعلم يُمكن أن يكون معارف شتى، يمكن أن يكون من كتب، يُمكن أن يكون صحيحاً أو خاطئاً بالمعنى المصطلحي للفظ العلم. لا أتكلم عن علم الله أو العلم بالله كأشرف علم لدى المخلوقات ولي فيه محاضرات وكتبت عنه كثيراً في <<البرهان>> أو عن العلوم الكونية والتكوينية وغيرها. **الفهم هو دقة في جلاء المعاني ووضوح فيها**، وهذا من فتوحات الله أيضاً على أذهان وقلوب عباده، والذهن والقلب والعقل وباطنه وظاهره متصلون جميعاً مع أسرار تكوينية في الإنسان موصولة بروحه موصولة بجنانه موصولة بنفسه بشخصيته بأبعاد كثيرة في ما دونّه ما سمّيناه علم الإنسان هذا المفرد الجمع، هذا المركب ﴿فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾ مركب عجيب فيه تكوين غريب، لعلنا مرة في رحلتنا العرفانية نخوض أيضاً في بعض ما فتح الله على قلوبنا من ذلك.

الفيض

الفيض فيما بيّناه هو أن تفيض العلوم والمعارف على قلب وذهن وعقل عبد من عباد الله، فتفيض أنهاراً، فهو يتكلم في أمر فيجد نفسه يفيض عليه من معارف لم تكن من قبل في معرفته ولكن كأنه يعرفها من قبل، مثل الذي يستعيد الذاكرة، ﴿وَدَكَّرْ﴾ هنالك تذكر روحاني يتم مع العقل الإنشائي والعقل الاستقرائي معاً، فيكون ذلك عبر قناة الفكر وعبر قناة اللغة والتعبير والأسلوبية، يسري ذلك سلساً فيبدو للسامع أنّ هذا يعرف هذا الكلام من قبل وأنه قرأه ولكن في الحقيقة هو لم يكن يعرفه من قبل إنما فُتِحَ له أو فاض عليه ذلك فيضاً بتلك اللحظة.

الفيوضات شتى كثيرة، والفيوضات أنواعها عديدة جداً من مجالي عظمة الله وعلمه، وفيوضات الله على قلوب عباده تكون في الشعر تكون في الحكمة تكون في فهم الدين في الفقه في غير ذلك.. تكون للذي قرأ ودرس ومحصّ ولحصّ واجتهد، وتكون أيضاً لمن كان يرمى الأغنام ولم يدرس في ظاهر الأمر ولكن الله يفتح عليه. فعلى سبيل المثال سيدي عبدالعزيز الدباغ في ظاهر الأمر لم يقرأ لم يكن ممن أخذ عن المشائخ لكن فتح الله عليه فتوحات وعلوم عظيمة، أيضاً الشيخ علي الخواص شيخ الإمام الشعراي أيضاً كان في ظاهر الأمر أمياً، وكذلك اللغز المحيّر شمس التبريزي الذي أتى إلى فقيه قونيا واحد من أكبر الفقهاء وهو جلال الدين الرومي وصنع منه وحوّله من فقيه عادي إلى عارف بالله إلى شاعر إلى عاشق كبير إلى واحد من أعظم شعراء الإنسانية في كامل تاريخها. والقصص في هذا الباب كثيرة، فالفتوحات الإلهية والفيوضات الإلهية لا تُحصَر، ولا يمكن حصرها لا في عمر يفيض الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَيُفِيد سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بالمعارف على الصبي وعلى الشيخ وغير ذلك، الإمام العز بن عبد السلام أخذ العلم كبيراً ثم فتح الله عليه وأفاض عليه بالتقائه بالإمام أبي الحسن الشاذلي وخبرهما معروف ومعلوم عند أهل العلم.

فهذه الفتوحات والفيوضات لا تكون بشخص يقول لك مثلاً "لدي فيض في أنّ صلاة العصر عشر ركعات" هذا لا يكون، الفيض مضبوط منضبط هو زيادة خير في الفهم والعلم والعمق، **ويجب أن يكون موصولاً بالروح الأحمدية المحمدية** بما لا شك فيه، ولا يكون هذا الفيض حقيقياً إلا على محب لله ومُحِب لرسوله وداخل تحت جناح آل بيت النبي وتحت جناح الصالحين، لا يكون هذا لمعاند وجاحد وناصب وغير ذلك من المسائل ولو بدا في هرطقة الكلام أنه صاحب فيض من كثرة ما يؤلف ويُصنّف ويتشدد ويتكلم، ولكن في الحقيقة لا يكون ذلك حقيقياً إلا على قلب استوت فيه المحبة الرحمانية والمحبة المحمدية وشروطها ومن أعظمها محبة آل البيت، محبة الصالحين، محبة الناس، الإخلاص الرحمة الرأفة إلى غير ذلك... هذا أولاً، الفيض هو فيض علوم ومعارف شتى.

الكشف

أما الكشف فيمكن أن يكون لمن لا يفهم ما الذي يراه، يُكشف له، يرى أموراً غامضة ﴿أَفَسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ﴾، يرى أموراً مما غمض مما خفي على الناس، يُكشف له أمور عديدة. وهذه الكشوفات

لها مجالٍ ولها مراتب ولها الكثير من الأبواب ولها الكثير من البلاءات أيضاً والمحن وفيها صعوبات عديدة فيها خلوات ربما. وهنالك كشوفات تأتي هكذا أيضاً سلطانية (إذا أعطى أدهش) سلطانية، لم يكن هذا الرجل مريداً لم يسلك في طريق لم يكن يسعى مع الشيخ لم يكن يطلب ذلك أصلاً، لكن الله أرادهُ فهو مُرادٌ، وذكر ذلك ابن عطاء الله السكندري عن المُراد والمُريد وعن الحضرة التي كما أنها تُخطب تُخطب وغيرها، وفضلنا ذلك أيضاً في كتاب <<إشراقات>> و <<وصايا المعلم>> ضمن سلسلة المشكاة.

المهم أنّ هذا الكشف هو فتح باب من أبواب الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، نظرٌ من خلال نافذة يفتحها الله من خلال روزنة كما اللفظ للشيخ عبد القادر الجيلاني، فتح باب فتح نافذة ويرى الرأي فيها ما شاء له ربه أن يراه. هذا كشف، يكشف الله، سواءً في المنام أو في اليقظة، هي كشوفات شتى وكثيرة.

التجلي

إذن الفيض هو فيض علم وفهم، والكشف قوة رؤية، وبعدها يكون مقام للتجلي. التجلي هو جمع بين كشف وفيض أي أنه يرى ويفهم، تتجلى له الأمور فهو يُفاض عليه علماً وفهماً وأيضاً يُكشف له. ولكن قد يكون صاحب الفيض لا يُكشف له أي يكون الأمر معنوياً، وقد يكون صاحب الكشف دون فيض أي يُكشف له ما لا يفهمه، قد لا يفهمه إلا بعد سنوات طويلة، يُكشف له أمر يراه بعينه يراه بعين قلبه وعين رأسه سواءً ولا يفهمه إلا بعد فترة من الزمن عندما يكون جاهزاً عندما تكون لديه المعارف المناسبة، وهذه قصة طويلة يطول شرحها.

التجلي إذاً هو دمج بينهما، تجليات ربانية عديدة على قلوب وعقول عباده وأرواحهم.

الإشراق

أما الإشراق هو كمال الحال، هو استواء، هو فيه فيوضات وكشوفات وتجليات مجتمعة معاً، يكون إشراقاً عاماً تاماً كاملاً. التجليات قد تكون حينية بين حين وحين، أما الذي بلغ مقام الإشراق سيكون دائماً في هذه الحال من التجليات والفيوض والفتوح، وهذا مثلاً مقام بلغه الشيخ عبد القادر الجيلاني كان مرةً صامتاً يغمض عينيه ومعه تلاميذه فقال أحدهم في قلبه "لو أنّ الشيخ يفتح عينيه ويحدّثنا" ففتح عينيه الشيخ ونظر إليه وقال: "كلامي حديث لكم وصمتي حديث لكم"، هذا مقام عظيم عجيب. والذي يُريد أن يأخذ زاويةً موازية: الذين يبلغون من التريّض الروحاني مقامات عالية جداً في فنون الدفاع على سبيل المثال، يصلون إلى شيءٍ يشابه ذلك، أصله نعم هو ذلك ولكن بحكم أنّ العقيدة تغيّرت هو يُشابهه، لأنّ أسلم العقائد وأسلم عقيدة فوق ظهر هذه الأرض هي العقيدة الإسلامية المحمدية النقية قبل أن تتشظى تشظيات مختلفة، ولكن بقي الخط النقي والخيط النقي الحمد لله موجود وثابت ويبقى كذلك إلى يوم القيامة، عليه رجال حُلّص ممن علمهم الله وآتاهم من ذلك سبباً.

الإشراق إذ هو باب أعظم باب أكمل باب أتمّ، وهذه كلها فيها أبواب إلهامية ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ﴾ أو ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ﴾ هي إلهامات هي بثّ رباني مضادها الوسوسة، الوسوسة هو بثّ شيطاني. الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يَبِثُ فِي الرُّوحِ يُلْقِي فِي الرُّوحِ، وهو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ دَائِمًا قَيُّومٌ عَلَىٰ خَلْقِهِ، ومن أبواب القيومية أنه يبث هذه المعاني الجميلة، كل خير يأتيك فمن الله وكل شر يأتيك فمن نفسك ومن شيطانها، هذا ثابت، الله يلقي في قلبك في روعك كل حين وكل لحظة، هو ليس الأمر منقطع ولا ممتنع. ليس الأمر أنه رُفِعَ الوحي ووقف قلم الوحي السماوي بسيدنا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عندما انتقل إلى الرفيق الأعلى انتهى وحي السماء الجبرائيلي، لا يعني ذلك أن ذلك ينقطع به المدد الإلهي وينقطع به الإلهام الرباني والخواطر الربانية والرؤى أيضاً بعض مبشرات النبوة.

فهذا من باب التبيان، المعاني كما قلت عميقة وطويلة وكثيرة.

الموصول بالموصول موصول

كتبْتُ مرة، وطبعاً لفظ "كتبْتُ" هذا لفظ فيه خدعة كبيرة بحكم أن اللفظ يستقر في القلب فيقرأه العقل فيلقي به إلى الوعي يلقي به الوعي إلى اللسان أو اليد فتكتبه فينجلي ذلك بلسان عربي مبين، ولكن في الحقيقة كل ذلك فضل الله ولا فضل لنا في شيء أبداً، ولكنه فضله وأنا مقرّ بذلك ومقامي تحت نعل محمد وآل محمد والصالحين هذا هو المقام لا أرفع من ذلك رأسي أبداً. المهم أيّ ذكرت أن "الموصول بالموصول موصول، ومعرفة المفتوح عليه فتح، ويحتاج السر سرّاً لفهمه" بمعنى: الموصول، إذا أخذت جهاز صلة كأنك تشحن جهازاً ما وصلته بالطاقة بالكهرباء فصار موصولاً، فالموصول بالموصول موصول، إذا وصلت بموصول فقد وصلت وإذا وصلت بموصول فقد وصلت ثم اتصلت ثم وصلت.

وهذا فضلناه في معنى الصلاة: "صلّى واصل وصل اتصل وُصل"، ولكل معنى وآية: صلي، ثم واصل ﴿عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ﴾، اتصل ﴿وَيَخْرُونَ لِلأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾، وصل، وُصل. فلا يرجع المصلي في الحقيقة إلا وقد وصل واتصل ووصل وصار لله واصلاً وصار عن نفسه فاصلاً يفصل نفسه عن نفسه، يفصل نفسه النيرة عن نفسه الشيطانية. هذا مقام صعب لا ندعي أننا بلغناه، ربما أحياناً نشمّ عبقه قليلاً ولكنه مقام عسير والنفسُ تأباه، تركب جموحها وجنونها، وهذا أكثر ما يكون في صلاة الفجر وصلاة الصبح خاصة مع الخشوع الكامل ستشعر بذلك في بعض السجودات بعض الأحوال أنك صليت واصلت وكان الزمن يُختزل وأنت وصلت فاتصلت فوصلت. فإذا وصلت فتثمر حقول نفسك وروحك ﴿وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾ تهتز نفسك بعد أن همدت وتربي وتنبث من كل زوج بهيج حالاً ومقالاً وجمالاً ووصالاً ودلالاً على الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، كما قلت مرة:

وليلي عندنا تبغي الوصالا

سوانا يدعي وصلأ بليلى

وليلي عندنا احترقت جمالا

سوانا يكتوي بجمال ليلي

المهم هذا من مقام الخمرة ولها معانٍ، المهم أنّ "الموصول بالموصول موصول" إذا كنت موصولاً بموصولٍ فقد وُصِلت. وعليه، فإنّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بَيَّنَّ ذلك أنه مثلاً على سبيل المثال ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾ عندما جاءوك صار وصل بموصول، هو موصول بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فاستغفروا الله واستغفر لهم ذلك الموصول، فحينها صاروا موصولين بالله فغفر الله لهم. هذا علم الوسيلة، الوسيلة علم، إبليس ظن أنه موصول مباشرة عن طريق العبادة، قال له الله: لا، أنت لم تصلني مباشرة، وإن كنت أخطبك مباشرة، ولكن ادخل من خلال آدم. فلما رفض فُصِلَ مُنِعَ ﴿فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ﴾ بين الرحيم والرحيم نقطة، نقطة الحسد.

المهم، الذين يدخلون إلى الله هم الآن لا يرونه، لم يعبدوا الله كما عبد إبليس سبعين ألف عام أو أكثر (عام من أعوامهم ليس من أعوامنا الأرضية)، إن كان فعلاً سبعين ألف سنة ربما سبعين ترمز للكثرة فقط، ولم يُكلموا الله مباشرة ولم يُكشف لهم، لو كُشِفَ عنهم واحد من مليار من ستر لجُتُوا لفقدوا عقولهم، محجوبون بالكلمية. والأعمار قصيرة وأيام العبادة قليلة والذنوب عديدة، ويُريد أن يدخل على الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مباشرة، هذا العمى وهذا الغرور وهذا العتوّ، ولكن لا يُمكن إلا أن تكون عبر موصول وعبر الوسيلة المحمدية.

الحديث النبوي العظيم "آل بيتي سفينة النجاة" أو "مثل آل بيتي فيكم كسفينة نوح" أو "مثل آل بيتي فيكم كباب حطة" أو "أحبوا الله لما يغذوكم به من النعم وأحبوني بحب الله وأحبوا آل بيتي لحبي" هذا أيضاً ضمن ما قلناه "الموصول بالموصول موصول". كي تكون موصولاً بالله عليك أن تكون موصولاً برسوله، وكي تكون موصولاً برسوله عليك أن تكون موصولاً بآل بيته، كي تكون موصولاً بآل البيت عليك أن تكون موصولاً بالصالحين الذين هم خدام لآل البيت، وهكذا لها صلوات كثيرة. وكذلك ما معنى سفينة النجاة؟! هو باب وصل باب صلة إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، لا يكون الدخول على الملوك هكذا دون باب ودون حُجَاب.

أما إذا قال لك بعضهم ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ فأيضاً هم لم يخرجوا من ذلك، هذه (الكاف) التي ستتعلمهم ولا يفقهون سرها ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ﴾، لم يقل النص (وإذا سأل عبادي عني) في المطلق، ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ﴾ أنت يا محمد، إذا آمنوا بك، إذا أتوا من تحت جناحك من تحت بابك، وأنا أقول من تحت نعلك أنا أدخل من تحت النعل ولا أدخل من تحت الباب فأنا أدنى من ذلك مقاماً.. فهم حينها ﴿فَأِنِّي قَرِيبٌ﴾. أما المعاندون الجاحدون المنافقون الذين يكرهونه ويكرهون آل بيته أو ينتقصون من مقامه، هؤلاء إذا سألوه فهو ليس منهم بقريب، هو قريب من باب هيمنته وسلطانه ﴿وَتَنَحَّنُ أَقْرَبَ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾، ولكن قرب الحب قرب الأُنس قرب الدلال هذا هم محجوبون عنه، فقط ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ﴾.

يقول لك قائل: رسول الله متوفي منتقل كيف نسأله؟! ﴿وَفِيكُمْ رَسُولُهُ﴾ هذه ظرفية دائمة مكانية دائمة، رسول الله فينا دائماً، ما دام ينبض حبه فيك فهو فيك، ما دمت تذكره وتصلي عليه، وما يُدريك لعل الروح تتدلى وتتجلى فتتنظر ملياً وتتملى وتقول قول عبد الغني النابلسي:

لا تغطي يا حبيبي

دع جمال الوجه يظهر

هذا بابٌ جربوه، لن نتكلم لكم فيه ولكن جربوه، جربوا وسوف تعرفون إن شاء الله.

الوهم

القسم الآخر هو قسم الوهم، بحكم أنه اليوم خاصةً في هذا الزمان أطنان من الترهات، جيوش من الكذبة، من أصحاب الفتح والكشف والفيض والتجلي، ملقني الاسم الأعظم، أصحاب علوم الخضر، أصحاب الكشوفات والأمداد، بعضهم حتى وصل أنه هو المهدي المنتظر نفسه، هذا في اليمن والآخر في العراق هذا يماني، ويكتبون الرسائل ويتكلمون وهكذا، وآخر قطب الأقطاب والآخر غوث الأغواث والآخر محرّك الكون بيده كما تحرك المرأة القدر بأداة تحريك ذلك، وغير ذلك من الترهات.. لأنّ بين الكشف الرباني والكشف الشيطاني هنالك أبواب، الشيطان لن يترك باباً لا يدخله، هنالك كثيرون واهمون.

ومن بين الطرق التي تعرف بها، طيب أنت صاحب كشف خضري، أين العلوم التي لُقنتها؟! في المعقول والمنقول، في فهم الكون إذا كنت صاحب كشف ستكون أفهم في الكون من ستيفن هوكينج وأينشتاين وستكون أفهم بعوالم الذرة من علمائها، يعني ماكس بلانك أو غيره ستكون أنت أكثر فهماً منهم، وسوف تقف أمام الملاحظة وأمام هذه الأمواج. إذا كنت صاحب سرّ صوفي ستفهم أحوال أهل الله وأقوالهم، إذا كنت صاحب فتح في القرآن أرنا فتحك في القرآن.

وإذا قال أنّ هذا علمٌ لا يفهمه إلا من بلغ مقامنا قلنا له إنّ رسول الله بلغ مقاماً لن تحلم ولن تتصور ولن تتخيل ولن تتوهم هذا المقام الذي بلغه الحبيب بفضل ربه عليه ولكنه تكلم، والإمام علي قال "تكلم كي نعرفك". الرب العظيم الذي لا يُمكن لأحدٍ من خلقه أن يتخيل حقيقة ذاته وكنهه مقامه تكلم في كتابه العظيم وتكلم في قلوب العارفين، تكلم من خلال مجالي جمال الألفاظ التي ساقوها، وتكلم بذاته في قرآنه. فمن أنت حتى تصمت؟! إذن أنت دجال دعيّ كذاب. نعم هنالك علوم تُكتم صحيح، مليارات العلوم تُكتم، هي لحظة كشف بألف سنة تعليم وتدرّيس كما ذكرت مرّةً، ولكن على الأقل أعطنا بعضاً من ذلك، أين حبك للنبي؟ أين حبك لآل بيته؟ أين دمعتك على قتيل كربلاء؟ أين غيرتك على أهل فلسطين؟ أين إحساسك بالأطفال في اليمن الموجهين المألومين؟ أين ألم النبي في قلبك؟ أين ربطه الحجر على بطنه من الجوع يا من تربط على رأسك الحجر من الجهل؟ أنت هبل متحرك، هكذا لو جاز لنا نخاطبه مباشرة مع احترامي لكم.

فهناك دجالون أفاقون، المهدي حتى من قال "أنا المهدي" ولو كان هو فهو ليس هو، أي لم يتحوّل بعد. هنالك كائن صغير اسمه الدعسقة مثلاً هذه تعيش زمناً كائن ثم تتحوّل بعد ذلك بعد أن تموت أكثر من مرة، تقريباً عشرين سنة تموت وتُبعث يعني يتوقف قلبها وترجع من جديد، هي لا تموت تماماً ولكن يتوقف القلب تجمد، ولكن بعد ذلك تتحول إلى طائر إلى فراشة. فهذا، النظرية السنية في المهدي الذي يولد والذي يظهر، سيتحوّل من إلى. وعليه، إذا كان هذا الذي في اليمن مهدياً حقيقياً: أنصف أهل اليمن.

المهدي الحقيقي عندما يظهر يتزلزل العالم وتتغير نواميس وتظهر أمور ولها علاقة بكثير من المسائل التي لا نريد أن نتكلم فيها، المهم أنه حدث كوني رهيب تكلم عنه الأنبياء من قبل.

فهؤلاء الدجالون الأفاقون الكذبة لا يخدعونكم، هم يسرقون أموالكم ويسرقون أحلامكم. وأشبه الصوفية أيضاً الذين يُبغضون النبي وآل بيته، بعضهم ناصبي ظاهر النفاق ظاهر الكره لآل البيت ويدعي أنه مستمسك بطريقة أهل الله، آخر يتاجر بدماء أهل الله يتاجر بجوعهم ودموعهم، كما ذكرت في رؤياي عن الشيخ الخديم يعني "هذا المال جوعي ودموعي"، جاعوا وبكوا وسجدوا وتألّموا ليكون بعد ذلك أتباعهم في بحبوحة من العيش. كالذين يزورون كربلاء ويأكلون ويشربون بعد أن قُطعت يدا أبي الفضل العباس عَلَيْهِ السَّلَامُ لأجل شربة ماء، بعد أن استشهد الإمام الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ وهو ظمئاً ظمأً جائعاً وغير ذلك ومن تحته أنهار الأرض تتمنى أن يشرب منها، واليوم يجدُ الزائر خيراً كثيراً وماءً نميماً. وعندما أذكر هذا الأمر لا يتممّر إلا وجه من في نفسه لوثة النصب، إذا تكلمنا عن ابن فاطمة وابن علي وابن بنت رسول الله فلا يتضايق إلا الناصبي، أما السني الحقيقي الرباني الموالي فهذا يُسعدُه ويُبهجه، وأما الشيعة فمعلوم حالهم، ونسأل الله أن ينجي الجميع من أهل الإيهام والكذب.

ويتسلل هؤلاء في الشيعة والسنة وهي ظاهرة خطيرة جداً ومن ورائها مخابرات تعمل على ذلك، تجدهم في الصوفية يدعون لك أنهم يُفسّرون لك المنامات لهم قنوات تلفازية بعضهم، تجدهم يدعون أنهم أصحاب مدد وكشف وأنهم يعرفون المهدي وربما ينوبون عنه، تجدهم يدعون الولاية ويدعون الكمال ويدعون الحال وتلقين الاسم وغير ذلك، هؤلاء يجب أن تحذر منهم. تجدهم في الشيعة أيضاً وتجدهم في غيرهم، ولا نتكلم عن الأمم الأخرى، أمة المسلمين مبتلاة بهؤلاء. تجد الدجالين تجد الذين يبيعونك الوهم ويخبرونك أنهم يُعالجون الأسحار ولديهم قدرات وغير ذلك، هم لا يفعلون من ذلك شيئاً.

أما أدعياء المهدوية أو سفياني أو يماني أو غير ذلك فهذا نخصص له باب آخر، فهؤلاء دجالون فسقة كذبة، الأمر أكبر من أن تدركه عقولهم، كما قال الإمام علي "إِنَّ أَمْرَنَا صَعْبٌ مُسْتَصْعَبٌ" صعب جداً ويعسر. إذا كانت وكالة الفضاء الأمريكية بكل ما عندها والمخابرات الأمريكية وغيرها لا يستطيعون فهم معشار هذا الأمر، لم يفهموا السفن ولا لماذا تقف في مكانها ولم يفهموا ظواهر كونية تحدث الآن ولا علاقة نيبيرو بالأمر بأية الدخان وغيرها من الأمور كثيرة.

وأنا أعلم يقيناً أنّ هنالك الكثير ممن يتحدثون في هذه المسائل، بعضهم من أهل العلم، وأردّ التحية بالتحية للدكتور محمد عيسى داوود الحسيني الحسيني جزاكم الله خيراً على تحيتي وأحيتيكم وتابعوه وله علم وفهم وفيض وفتح من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ولكن الكثيرون الآخرون دجالون أفاقون، ونصمت عند هذا الحد فهذا هو المباح، ونحن كأننا في مشهد صياح الديك في قصة شهريار، إذن نحن الآن نقف عند هذا الحد.

خاتمة

المهم أنّ الفتوحات حقيقية ولكن ليس كل من يوهمك أنه مفتوح عليه هو مفتوح عليه، لذلك قلت "معرفة المفتوح عليه فتح" أن تعرف أنّ هذا العبد فتح الله عليه حقيقةً وإن كان صامتاً، والآخر لم يفتح الله عليه (أتكلم أنا عن العلم القلبي) فهذا فتح إلهي عظيم. و"السر يحتاج سر لفهمه" هذا أيضاً يعني **جهاز الترجمة**، أنا أكلمك بالعربية لو ليس لديك مترجم في عقلك يُترجم لك العربية لن تفهم ذلك، فلو أنني كلّمت يابانياً أو كنت أتكلّم باليابانية لن تفهمني إذا كنت تتكلم اللسان العربي. هذا أيضاً باب المترجم في العقل والروح واللب، والذي يترجم الآيات، على سبيل المثال الكفار يرون معجزة فلا يفهمون منها أنّ الله حق، اليوم كثير من علماء الكونيات معظمهم علماء البيولوجيا ملاحدة لأنّ جهاز الترجمة لم يُترجم لهم "لا إله إلا الله محمد رسول الله"، وآخرون فهموا ولقّنهم الله مما شاء.

إلى اللقاء إذاً إن شاء الله الأسبوع القادم. ونحن نسعى ضمن مقامنا تحت قدم رسول الله وتحت أقدام آل بيته ونعالهم وتحت نعال الصالحين ويسرنا أن نكون غبار أقدامهم ولعل ذلك شرف أكبر منا فغبار أقدامهم مقدّس ليس فيه دنس، ولكننا نحاول أن نجتهد في ذلك ما استطعنا، ونسأل الله سبحانه وتعالى أن يكرمنا بذلك كما ألحقنا بالنسب المحمدي أن يلحقنا بالنسبة المحمدية.

إن شاء الله سوف نكمل هذه المسيرة ما بقي فينا نفس، في انتظار التغيّرات القادمة وفي انتظار تحوّل الدعسقة إلى فراشة أو الكائن الصغير المطوي في نقطة من نقاط الماء الآسن إلى صقر وتنين عظيم كما كان في أصله ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَشْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبَسُونَ﴾ وسرّها لن يكشف الآن، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الحاضرة بتاريخ: 14-12-2020



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

التأمل الثاني عشر: الطريق إلى الله بين الروح والنفس

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأسعد الكريم وسلام على المحبين لله ورسوله، وصلاة وسلام دائمين طيبين على سيد الثقلين جد الحسن والحسين سيدنا وإمامنا وحبیبنا ومولانا محمد وعلى الآل الأطهار مصابيح الخير مجالي الأقدار، الذين بحبهم ينجلي الكدر وبحبهم يرضى سيد البشر وبحبهم يرضى ربنا الرحمن كما شاء وكما قضى وكما أمر. وارض اللهم عن صحابة رسول الله الذين أيدوا وساندوا وجاهدوا وصبروا وكانوا من آيات الله في عباده خير صحب لخير نبي، وسلام على عباد الله الصالحين الذين أصلحهم ربهم فكانوا ممن أنعم الله عليهم وكانوا بنعمة من الله عارفين لله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**.

أحبابنا في الله السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته، هذا موعد جديد مع رحلتنا ضمن التأملات العرفانية. والحقيقة أن موضوع اليوم يسير ضمن المسار الذي رسمناه منذ البداية في هذه الرحلة، وهو مسار التأمل والتدبر في معانٍ من هذا الكتاب ومعانٍ من ثلاثة كتب كنت قد تكلمت عنها: القرآن العظيم، والكون العظيم، والإنسان العظيم أيضاً وإن كان خُلِقَ ضعيفاً لكن فيه من سر الله ما هو عظيم جداً. وهذا التعظيم رباني حتى أنّ الله نسب الكيد **﴿إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾** ضمن منطوق مخلوق من مخلوقاته ولكنه أقرّ ذلك. فالعظمة لها معانٍ ومجالٍ ولا تتعلق كلها بإطار واحد، الإنسان هذا الكون الصغير داخل الكون فيه أسرار عظيمة عجيبة، **اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَوْدَع فِيهِ مِنْ سِرِهِ وَمِنْ أَمْرِهِ وَمِنْ نَوْرِهِ وَأَوْدَع فِيهِ أَيْضاً مِنْ أَسْرَارِ كَائِنَاتٍ كَثِيرَةٍ**، فهو مزيج من كثير من الأسرار ومزيج كثير من التعقيدات التركيبية التي ربما لم تكن في غيره من الكائنات وكانت فيه، ليكون ختاماً لهذه الخلقيات التي خلقها الله، ويكون آدم ختاماً وقصة آدم وذريته تكون ختاماً لملحمة وقصة، أعتقد جازماً وأؤمن أنها أقدم من وجود سيدنا آدم بكثير من الأزمنة (على حسب معايير تزميننا ونظرنا للزمن الكوني أو الزمن ما قبل الكوني).

المعرفة بالله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** والطريق إلى الله جل في علاه هي رحلة فيها الكثير من المشقة والكثير من التعب، وليس التعب لأن معرفة الله تُتعب، معرفة الله بالعكس تُثلج الصدر معرفة الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** تُسعد صاحبها، ولكن هذه التركيبة هذه العجينة الإنسانية البشرية فيها أمور تجعل الرحلة شاقة وصعبة.

نسيان الإنسان لحياته السابقة

أولاً نسيان الإنسان لحياته السابقة لهذه الدنيا، أي أنّ مشهدية **﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾** التي شهدتها كل البشرية من سيدنا آدم الذي كان شاهداً عليها بحكم أنهم ذريته إلى آخر مولود يولد في هذه الدنيا، هؤلاء جميعاً جُمِعوا في مشهد واحد وسألهم الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** **﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾**، و **﴿أَلَسْتُ﴾** تعني سابق معرفة، فسألهم "أأست بربكم" وقالوا "بلى"، وهذا يعني وجود حياة سابقة وخبرات وتحصيل معرفي وفهم لغوي وفهم للمعاني إلى غير ذلك. صحيح أنّ الله كلمهم على ما أراد الله من معنى ولكنهم فهموا ذلك ضمن نمط لغوي أو تركيبي أو تواصللي لا نعرف كيف كان، ولكن أجابوا أيضاً تواصللياً بلى، وفي تلك الآيات بيان عجيب وقصة عجيبة.

الإنسان كائن منتقل كائن كان كائناً آخر روحاً **﴿خَلْقًا آخَرَ﴾** ثم جاء إلى هذه الدنيا ونسي كل ذلك. إذن هنالك معرفة مخزونة مكنونة، وهذه المعرفة هي معرفة روحانية سرية ربانية، أولاً تتعلق بالذوات الأولى ما نسميها **الذوات الأولى والحياة السابقة**، ثم النفخة الروحانية في سيدنا آدم **النفخة الربانية هذه أيضاً تحوي علوماً وأسراراً** لأنها من لدن الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، ليس تشبيهاً ولا تجزئياً ولا تبضعاً لم يكن في آدم بضع من الله أو شيء من الله بمعنى تشيء الله في ذاته، ولكن شيء من الله بمعنى خلق الله بمعنى روح رباني سر رباني من الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، لأنّ الله لا يتجزأ ليس الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** ضمن بعض ما يصفه الجاهلون به، لا يجلس في كرسي ولا على عرش وليس منضوياً في السماء الدنيا وليس له يد ولا رجل بمعنى تشبيهاً للخلق، إنما له ما أراد على ما أراد بالمعنى الذي أراد الذي نقرّه ونمرّه، نُمرُّ المعنى لله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** ونقرّ ما ذكر الله عن نفسه، وهذا معروف ومبسوط في علم العقيدة.

هذه النفخة الروحانية هذا السر الروحاني في الإنسان يبقى مطلسماً عند معظم البشر، وأكد الكثيرون منا ومنكم يشعر أنّ هنالك أموراً يجهلها عن نفسه، هنالك أسرار وأنوار وأحوال ولحظات صفاء مع الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** لحظات سجود وبكاء ترى فيها ولياً كاملاً في داخلك كائناً آخر سر نوراني يسكن في أعماقك. أحياناً تحلم أنك تطير بشكل مستمر وكأنّ روحك تريد أن تطير فعلاً أن ترجع إلى ذلك العالم المطلق النوراني الذي كانت فيه. وكثير من المرائي والرؤى والأحلام هي حقيقة تواصليات روحية لأنّ الروح تخاطبك من خلال ذلك قد تقول لك: لقد تعبت من حالة الطين، لقد تعبت من بُعدك عن نفسك عن حقيقة إلى غير ذلك...

هذا النسيان مؤلم، وأنبياء الله يُذكرهم الله، باستثناء سيدنا عيسى المسيح كان يتذكر ولم يمرّ بمرحلة فقدان الذاكرة، كأمه منذ اللحظة الأولى لولادته **﴿فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا﴾** ثم كأم قومه، هذا موضوع آخر.

ولكن عادةً الأنبياء أرواحهم متحرّرة متذكّرة، وإن تنسى قليلاً أو فترة من الزمن ولكنها سرعان ما تسترجع كامل قواها، فتنجلي قواهم الروحانية النورانية الربانية في ذواتهم الإنسانية، فهم ذوات إنسانية مطهّرة مشرّفة معزّزة مكرّمة وذوات نورانية أيضاً عالية المقام تندمجان معاً في كتلة إنسانية واحدة وتُبهرُ العالم بما يُظهر الله على أيدي هؤلاء الصفوة من خلقه من معجزات ومن آيات، وسيدهم وإمامهم سيدنا رسول الله مجمع بحري النور والسر، بحري الكائن الروحاني الأحمدى والكائن المادي المحمدي الإنساني، فهو في السماء أحمد وفي الأرض محمد، وفي هذا معانٍ ومجالٍ وأسرار كثيرة جداً وعديدة جداً وبيتوه فيها العاقل ويتعب الناقل.

وذوات أيضاً المقدّسين أصحاب السر النوراني وُزّات الأنبياء والمُقرَّبون منهم أيضاً ذوات نورانية عظيمة كذوات أئمة آل البيت أو ذوات السادة الصحابة أو ذوات السادة الصالحين الأكبر، هؤلاء أيضاً لهم أسرارهم ولهم أحوالهم. وعندما ننظر في مجاهدات الصالحين نجد أنهم يرتفعون ويسمون حتى يتشربوا هذه المعاني النورانية التي تفتح لهم بوابات الروح فيتذكرون. وربما في الأمم الأخرى أيضاً هنالك الكثير من المعطيات بحكم أنّ العلم رباني في كل أحواله وإن كان الشيطان يُغيّر فيه، نجد عند أفلاطون هذه الحقيقة وكذلك سقراط وأرسطو هذه المدرسة المشائية الأفلاطونية المثالية فيها كلامٌ عن أنّ "المعرفة تذكر والجهل نسيان" وأنّ العلم هو مودّع مكنون مخزون في الروح، حتى علماء العقل يحتارون من بعض حالات البشر الذين يتكلمون لغات لا يعرفونها أو يدخلون في أحوال عجيبة، وهؤلاء دائماً تُفسّر إما من جانب روحاني فاسد أنّ ذلك قوى الجن وغيرها أو أنها تُفسّر من باب تناسخ الأرواح وغير ذلك، وهذا كله خاطئ، إنما أحياناً كثيرة تكون الأمور من باب الروح، دون الكلام عن مسائل أخرى وهذا ليس مجالها.

التذكر

العائق الأساسي إذاً الأول هو أنك تنسى كثيراً، وعليه كان الذكر هو ليس فقط ذكر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، الذكر: التذكير ﴿فَدَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ﴾. التذكير أي أنك تدعوه إلى أن يتذكر شيئاً مما تعرف روحه، فكل إنسان وكل مخلوق في روحه مودّع "لا إله إلا الله" أو "الله خالقه"، ما معناه أنه أي مؤسسة أو مصنع عندما يصنع شيئاً هو يُصرّ على براءة اختراعه وعلى حقه في ما صنع: تجد داخل السيارة أو غيرها ستجد ترقيماً خاصاً تجد بصمة خاصة منطوية منضوية بخلاف ما يظهر لأسرار هذه الصنعة عددها إلى غير ذلك... وهذا نفسه في الإنسان، في كل كائن في كل مخلوق في كل ذرة في كل مجرة في داخلها بصمة ربانية تُبيّن أنّ الله هو الخالق، وهذه الإنسان عندما يدخل أعماق نفسه سواءً كان كافراً أو مؤمناً سيجد أنّ الله هو الخالق.

ولذلك عندما يُصابُ بعض الناس ببلاء شديد في عاصفة في البحر أو في غيرها أو زلزال سيقول "يا رب" "يا الله"، والملحد والزرادشتي والبوذي والهندوسي وكل هؤلاء، الذي يعتقد في آلهة الذي يعبد الشمس الذي يعبد النار والذي يعبد البقر والحجر، كلهم في تلك اللحظة عندما تزلزل أركانهم تفتح بوابات فيهم وينطق الحق فيهم فيقولون "يا رب" الله الواحد الأحد الفرد الصمد، فإذا تجاوزوا تلك المحنة يرجع كلُّ

إلى ما كان عليه. وهذا موجود أيضاً في القرآن الكريم ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ﴾ فالإنسان يدعو الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى (أو كما قال الله جل في علاه)، وهذه بدايةً لوجود حقائق وكوامن روحانية تُثبت أن الله خالق هذا الكون وهذا الإنسان.

وعليه، كيف نستطيع أن نستجلب شيئاً مما تعرفه هذه الروح؟! هذا يحتاج إلى تصفية وتنقية وتزكية روحية وقلبية وعقلية وعمل وجهد كبير جداً في العبادات والأوراد والأذكار، والأمر ليست سهلة ولكن يمكن أن نتدرج في هذه المعارف والمصاف حتى نصل إلى الشرب من عين الذات، أي أن فيك عيناً (نعباً) ربانياً مودعاً فيك من سر الله، وهذا لو عرفته عرفت الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، إذا أراد أن يدلّك عليه ذلك عليك أي ذلك على ذاتك الأولى على شرك على نورك على الذي أودع فيك، ففي ذلك المودع سرّ الذي أودع سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وهذا علم لمن يذوقه ولمن يستطيع أن يسبر أغواره.

عائق النفس

العائق الثاني في معرفة الله هي النفس، وأعتقد أنها الخصم الأعنف والأشد. والنفس أنفس ليست نفساً واحدة، ثمة نفس ذاتية جبلية تولد مع الإنسان، وثمة نفس أخرى أمارة بالسوء مبرمجة، وهذه تودع في الإنسان وتولد معه، ولكن النفس الذاتية هي نفس بيضاء تتطور بالوقت والنفس الأمارة نفس سوداء مظلمة مبرمجة على الشر الكامل فيها جميع المساوئ الأخلاقية جميع الرغبات الفاسدة وفيها كل العيوب وكل الفسادات وكل الرغبات وكل هذه الأشياء، وفيها مجاميع التفاعلات القوى الشيطانية وفيها أماكن الوسوسة والنزغ والطائف الشيطاني وغيرها من الأمور. هذه كامن خطير جداً في الإنسان يكون موازياً (مقابلاً) لنفسه اللوامة التي فيها الخير كله وفيها اللوم والعتاب وفيها الترغيب والترهيب، الترغيب في رضوان الله والترهيب من عذابه. وهي إذا غلبت على الإنسان أيضاً نحل جسمه وظهر سقمه وصار باكياً ذواياً ذابلاً، وهذا عاشه بعض الصالحين الذين لم يتحمّلوا هذه القوة وكانوا يُسمّون بالملامتية الذين يلومون أنفسهم بشكل كبير. والموازنة بينهما تكون عندما تغلب النفس اللوامة وتندمج مع النفس الذاتية وتتحوّلان معاً في انصهار شبه نووي، نفسي نووي نفسي ذري نفسي في نواة النفس أعني بذلك، تتحوّل إلى مطمئنة، تطمئن وتسكن ولا تلوم بشكل يؤدي إلى التلف والإرهاق ولكنها مستقرّة. وهذا ليس بالعمل السهل واليسير هذا صعب جداً لأنّ النفس الأمارة كائن خطير للغاية صاحب قدرات قتالية عالية (إذا جازت العبارة)، لأنك تقطع لها رأساً ينبت رأس آخر، كأفعى هيذرا في الأساطير ذات الرؤوس السبعة.

فهذه هي النفس صعبة جداً في قتالها، وفيها الكثير من الشر، وفيها قوة أساسية وهي الظمأ. وتحدثت الفلسفة البوذية عن مصطلح الظمأ أو سمّوه فريشنا بلغتهم، أي أنها تظمأ دائماً إلى الشر وتعيد البرمجة من جديد: كلما سقاها صاحبها تعطش من جديد، كمن يلقي بالماء في صحراء واسعة جافة، كلما شرب هذا الذي تدمن نفسه الخمر على سبيل المثال وتستمره وتستعذبه كلما أحس بتلك النشوة في ليلة من ليالي حياته، في الغد يرجع الأمر وكأنه لم يذق من ذلك شيئاً يرجع ذلك الظمأ، كلما قامر مقامر بماله أو

مضى أحد في أنواع الفسادات المختلفة، هذه النفس لا تشبع. بينما النفس النورانية اللوامة ثم المطمئنة هي قانعة وهي في حالة سكون في حالة هدوء في حالة طمأنينة، صحيح **لا تشبع من أنوار الله وأسراره** لكن ليست في حالة الظمأ الفزعي ذلك الظمأ المجنون ذلك الحال من الانجذاب السفلي. أما النفس الأمانة بالسوء فهي لا يمكن أن تقع إلا في سيء أكثر من السيء الذي كان قبله ولا تشبع إطلاقاً، من المحال على هذا النوع من الأنفس أن يستقرّ بصاحبه أو أن يتركه يستقرّ.

محاربة النفس

من فتح جبهة الحرب مع هذه النفس ستحاربه بكل ما أوتيت من قوة لأنها مسألة بقاء، ومن الأسرار التي يمكن أن نقولها لكم أن النفس التي تُبعث يوم القيامة مع الإنسان هي النفس الذاتية ﴿وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ﴾ ذاتك النفس الذاتية. النفس الأمانة بالسوء تُعدم بالموت والنفس اللوامة أيضاً تنتهي بموت هذا الإنسان. فإما أن تكون مطمئنة ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً﴾ أو أن تكون نفس خبيثة فاجرة فاسدة، وهذا يعني أن النفس الذاتية ذابت فيها النفس الأمانة وتحوّل هذا الإنسان إلى إنسان شيطاني أو شيطان بشري ﴿شَيَاطِينِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ﴾، وهكذا يردُّ بنفسه ﴿وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ يردُّ بهذه النفس أو يوردها إلى عذابات لا يمكن تصوّرها.

ولذلك النفس الأمانة فرصتها هي الدنيا، لن تذوق بعد الدنيا شيئاً، سواءً اتّحدت بالنفس الذاتية وصارت خبيثة أي انتقلت من مستوى إلى مستوى فذابت نهائياً وانتهت ذاتيتها المنفصلة وهكذا مضت إلى العذاب، أو أنها أبيدت وقُتلت ونُزعت من هذا الإنسان وصارت نفسه مطمئنة أي نزع الله منه هذه النفس الأمانة (مع استثناء الأنبياء وكُمل خلق الله هؤلاء لا تكون لديهم هذه النفس الأمانة ولا يكون لديهم هذا القرين السفلي). ولكن النفس الأمانة لدى عموم البشر مرتبطة بالقرين السفلي والنفس اللوامة مرتبطة بالقرين العلوي القرين النوراني الملائكي، وهذا من بيان رسول الله أن هنالك قرناء لكل إنسان، المهم هذا **علم القرين** سنفرد لكم فيه مبحثاً.

ولكن هذه النفس الأمانة قوية للغاية وشديدة البأس في حربها خاصة إذا وجدت قلباً هيناً واهناً ضعيفاً وجدت شخصية ضعيفة مهتزة، فتسحبها وتجربها وتمرّغها في الوحل ما استطاعت، ومن خلفها شياطين يؤزّونها أراً يدعمونها بما أوتوا من قوة النزغ والوسواس والتزيين والتزييف والكذب والنفخ، ولديها مثل البخور الفاسد الذي يحترق داخل الإنسان ويتصاعد إلى اللسان في كلام الغضب والكلام الفاسد، يتصاعد إلى النظر في كل نظر فاسد، إلى الأذن في كل سمع فاسد ولا تسمح له بأن يسمع الحق وهكذا.

والمقابل هو هذه النفس النورانية يخرج بخورها النوراني الطيب الزكي ﴿وَهُدُوا إِلَىٰ الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ﴾ يقولون كلاماً طيباً، وكذلك ﴿يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ ﴿يَقُولُوا أَلَيْهَا هِيَ أَحْسَنُ﴾، أذنهم واعية كما ذكر القرآن الكريم... حتى يصلوا إلى مستوى عالٍ جداً وهو اتحاد النفس هذه الطيبة النفس المطمئنة مع الروح مع النورانية الروحانية مع انفتاح بوابات العقل الباطن وبوابات

العقول والذواكر داخل الإنسان، هي مجموعة كبيرة من الذواكر: من الذاكرة اللدنية القديمة التي سجّلت قصة ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾، إلى الذاكرة الجينية التي تتصل بآدم وكل سلالة الأجداد الذين مرّ بهم كله مسجل في ذات الإنسان، إلى الذاكرة الفردية التي تبدأ مع تكوّن هذه النطفة في بطن الأم، إلى الذاكرة المكتسبة والذاكرة القديمة التي تتواصل حتى سن الرابعة والذاكرة المكتسبة هذه تُفعل بشكل مباشر في سن الثالثة والنصف أو الرابعة وهكذا حتى أنك الآن تعيش بذواكرتك المكتسبة أساساً، لو أنك تتصل بالذاكرة اللدنية والقديمة سوف تتكلم جميع اللغات، وهكذا الناس الذين ينتقلون من هذه الدنيا يستعيدون تلك الذاكرة يتكلمون جميع اللغات يفهمون كل شيء يذكرون كل شيء. وعندما تنتهي هذه الأنفس اللوامة الأمانة بالسوء يوم القيامة تجد أنّ الكفار يعترفون بذنوبهم وأنهم يتكلمون بهدوء وأنهم مسلمون ويقولون ربنا آمنا ويؤكّم بعضهم بعضاً ويعترفون بالحق، حتى إبليس يقول ﴿إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعَدَّ الْحَقَّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ﴾.

هذه من الأسرار التي نحدثكم بها وليست في الكتب، هذه من كتاب القلب لم نأخذها من كتاب آخر، إنما استنفحنا نورها وسرها من كتاب الله من الغوص في بحاره، وهذا فضل الله سبحانه وتعالى ليس لدينا فضل في شيء من ذلك، وهذا أيضاً بالتجربة والمواجهة لأننا نتكلم كمقاتلين ميدانيين لهذه النفس ولهذه العوالم السفلية التي تسحبنا نحو الأسفل، نحن نحاربهم وحاربناهم ومستمرّون في حربهم، نستعدّ لأمر عظيم نستبشر به خيراً ويحتاج منا أن تكون كل مؤسسات الذات خاضعة لحكم الروح وحكم القلب المنور وحكم العقل المنور وحكم النفس المطمئنة وهذا ليس بالأمر السهل فالمشاغبات تستمر، وهناك جيوب وفلول لهذه الشرور النفسية يجب القضاء عليها نهائياً حتى يبقى الأمر نورانياً ساكناً ضمن حدود هذه الذاتية، كل إنسان له حد في ذاته لتحمل الأنوار والأسرار ليس الجميع متساوياً في ذلك، لكن المهم قاتل وحارب وجرب هذه الحرب، لا تعش حياتك دون حرب.

الله سبحانه وتعالى ذكر أنه ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾ الذي دسّاهها سمح لشرّها بأن ينتشر ويستشري، والذي زكّاهها حارب شرّها وأظهر خيرها، وهذا ليس بالعمل السهل. صحيح أنّ ﴿اللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ﴾ أي يأتيك الإذن الفرمان الرباني، ولكن هنالك عمل ستقوم به أنت، ستكون مراداً لأنّ الله أرادك أن تتوب وأرادك أن تكون عبداً من عباده الصالحين ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ وهذا إلى ذلك، وستكون مُريداً أيضاً لأنّ عليك أن تُزكي نفسك وعليك أن تعمل وأن تسهر وعليك أن تعكف على محاربة هذا الشيطان ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾، ولا يعني فقط شيطان إبليس وذرية إبليس ومن كان معهم من مردة الجن ومن فسقة البشر، إنما شيطانك الذاتي هو الأخطر، شيطان نفسك هذا يجب أن تتخذه - ﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾ تتخذ أي تأخذ بقوة ﴿يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ﴾ - تتخذ هذه النفس الأمانة عدواً بشكل واضح وإعلان حرب حقيقي وليس من باب إعلانات الحرب الوهمية. أنت ستحارب هذه النفس فتقصفها بمدافع الأنوار وترجمها براجمات الأذكار وتقف في أبواب الاستغفار ﴿وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ﴾ وتطلب حربها والنصر عليها أثناء الليل وأطراف النهار وتكثر من الصلاة على نبيك المختار وتكثر من ذكر ربك الواحد الفرد الصمد القهار وتضيف إلى ذلك محبة آل البيت هم سر الأسرار ونور الأنوار ومشكاتها وحقيقتها ذاتها، تضيف إلى ذلك محبة الأنبياء محبة الملائكة محبة الصحابة محبة الصالحين محبة الخلق أجمعين الطيبين، وتقاتل كمقاتل كساموراي رباني تُمسك سيف قلبك تُشهره لا تردّه إلى غمده أبداً، تسجد طالباً من الله المدد، وستعلم أيّ حرب دخلت. هي حرب عنيفة

جداً، سٌحاربك في رؤاك في أحلامك، سٌحاربك في حياتك، تبحث فيك عن لحظة ضعف لحظة غضب شديد جداً تقول فيها أسوأ ما يُقال، انفجار الغام داخلية، تبحث عن لحظة ضعف لحظة وهن لحظة رجوع إلى الذاكرة الماضية وأخطائك تجرّك بها ويقول لك شيطانك: أنت لن تكون رجلاً من رجال الله لأنك فعلت كذا وكذا وكأنه هو الذي يغفر وليس الله الذي يغفر. الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يَغْفِر لِمَن يَشَاءُ، وإن شاء الله أحدثكم عن معنى الإصر ﴿وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا﴾ ﴿وَأَخَذْتُمْ عَلَيَّ دَلِيمًا إِصْرِي﴾ الإصر أي الذنب الذي لا يُمحي، أنت لست في هذا المقام إن شاء الله أنت يمكن أن يجعل الله كل سيئاتك حسنات يُبدّل ذلك كما وعد.

العالم كله الآن مُبرمج شيطانياً

والطريق إلى الله طريق مفتوح، فهذا الطريق رغم صعوبته رغم العائقين الأساسيين: نسيانك لما تعرف روحك، وكذلك وجود جيش شيطاني أنت تجهله. ولا تعتقد أنك إذا صليت ركعتين إذا صمت قليلاً إذا قرأت بعض القرآن أنك انتصرت على هذه النفس، هذا المارد خطير جداً جداً، يجب أن تدعم نفسك بأن تكون مع الصادقين، بأن تزور الصالحين، بأن تجلس في الأماكن الإيجابية مع أصحاب الطاقات الإيجابية، تتجنب المشاهد المؤذية.

وأقول لك بكل صراحة العالم كله الآن هذا الكوكب مُبرمج شيطانياً بأمر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وبإذنه، ولكن الآن في آخر أيام الشيطنة آخر أيام إبليس نفسه. قبل أن يظهر الوعد الحق وعد الآخرة في السنوات القادمة سوف يقصف الشيطان هذا العالم معنوياً وبنوياً بما أوتي من قوة. المشهدية التي تراها في الإعلام من فساد يبلغ حد السخف، من أناس وكأنهم مخدّرون منومون فاقدو عقول، ما ستشعر به أحياناً من كآبة في صدرك أو من نوازع شر من وساوس قهرية شيطانية، هذا كلّ شيء من القصف. الحرب حولك حقيقية والحرب في داخلك حقيقية، ومن لم يشعر بذلك فإنّ المشلول لا يشعر بوخز الإبرة ولا بيكيّ الجمره، هذا يعني أنّ الشخص مشلول، إذا كان لا يشعر بشيء ولا يشعر بهذه الحرب فهو إما في شلل أو في عمى أو أنه تمّ مسخه كغيره وصار يستعذب الباطل ويجد الحق مُراً.

فالإنسان يميل لما يكون متلائماً معه، قانون الملاءمة اشتغلت عليه كثيراً في موسوعة البرهان وفي غيرها ضمن المبحث الطبي وضمن المبحث الفقهي وضمن مباحث كثيرة، هو قانون خطير للغاية، الملاءمة كلاً يتلاءم مع كلّ ﴿الطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ﴾ مثلاً في القرآن الكريم. الملاءمة أنّ الإنسان الذي تطغى عليه الطاقات السفلية لا يستعذب إلا ما هو سفلي، إذا أتيت للذي في داخله قوة الحرام قوة النفس الشيطانية بماء حلال عذب سيجده مُراً، وإذا جثته بماء فاسد بماء مسروق سيجده عذباً، نفس الشيء إذا أكل طعاماً حلالاً لن يجده عذباً وسيستعذب الطعام الذي تمّ السطو عليه. وهكذا تجد الذين أصيبوا بظماً هذه الأنفس السفلية مهما كسبوا من مال يريدون مزيداً منه وهم سوف يموتون ويتركونه ولن يُنفقوا منه شيئاً، مهما فعل من شر مهما أخذ من جاه مهما أفسد سيجد نفسه ظمآنًا لأن يستمرّ في ذلك. ولولا

قوة الظمأ التي سلّطت على إبليس لكان إبليس قد تاب منذ اليوم الأول، كيف وهو الذي رأى عذاب الله وهو الذي يعرف الله حق المعرفة يستمرّ إلى الآن في حربه ضد من؟ ضد خالقه!! أليس هذا من العمى؟! ولكن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يُرمج يُرمي ويستطيع جل في علاه أن يتحكم في هذه الكائنات وأن يمنعها من التوبة ويمنعها من مجرد لحظة نظر.

فالذين تراهم اليوم في المشهد الإعلامي خاصة، أعني في بعض مشاهد الإعلام وفي بعض الأفلام والسينما والمسلسلات والمواقع وغير ذلك ممّن أصيبوا بلوثات العنف والقتل والدم أو لوثات الإجرام أو لوثات التعهير ونشر الفسادات، هؤلاء مصابون بهذه اللوثات وأنت لست معنياً بهم، سيأتيهم من أمر الله من يبعثه الله بالقوة المطلقة الكاملة يؤتية من كل شيء سبباً، يجمع فيه بين قوى ذي القرنين وعلم الخضر وسر الدم المحمدي. وهذا قادمٌ بقوة لا يستطيعون التحكم فيها ولا يستطيعون فهمها ولن يستطيعوا مواجهتها، سواءً في قوة في ذاته لأنه في ذاته قوي جداً أو قوة ما أعطاه الله من أسلحة ويراها البشر ويُصوِّرها ولا يفقهون من أمرها شيئاً، هذا باب نتركه إلى وقته.

الباب مفتوح

ولكني أقول لك بكل بساطة: إذا أردت أن تكون رجلاً من رجال الله، إذا أردت أن تكوني وليةً لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فالطريق إلى الله مفتوح. وكما قلت مرةً من نفحةٍ وردتني بين سيدي حمزة وبين روضة جدي وسيدي ومولاي رسول الله في المدينة المباركة:

• باب القبول مفتوح لمن عرف كيف يدخل

فالباب مفتوح والذنب إن شاء الله ممسوح والدخول مسموح والعدو مطروح، وكل ذلك بسر خالق الملائكة والروح، الحي القيوم القدوس السبوح، سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الذي هدى إليه أنبياءه وهدى إليه أوليائه وأصفياه. فالله جل في علاه وجلّت قدرته يفتح لنا ولكم من أبواب الخير وأبواب الصلاح ويُعيننا على هذه الحرب التي نُعلنها أمامه على كل بذرة شر فينا، على كل نبتة فاسدة في حدائق أنفسنا، على كل أفعى سامة تنفثُ سمّها في أعماقنا، على كل ما استجلب لنا الذنوب من قبل، على كل أخطائنا وخطايانا، على كل مساوئنا على كل عيوبنا، على كل مسيرة حياة فيها الكثير من السوء والكثير من الذنب والكثير من العيب والجهل والكثير من الخبط والمس والدس الشيطاني، على كثير من الجهل بالله، على الكثير من التفريط والتفويت في جنب الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، على كثير مما ضيّعنا من السجود الطيب ومما ضيّعنا من حقيقة الصيام والقيام، على كثير مما ضيّعنا وفرّطنا في جنب الرحمن سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، على كثير مما يسوؤنا أن يكون في سجلنا فيطلع عليه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ... ولكننا نمتشق سيوف القلوب ونقف عند باب ربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى كي نتوب ونسأله محو الذنوب ونأتي إليه من طريق نبيّه المحبوب الحبيب المرغوب الموهوب ونستعيد بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى من كل سالٍ ومن كل مسلوب ومن كل حاجب ومن كل

محبوب، نريد أن نكون مع الله في الله في سبيل الله، وهذا عليه نعيش أنفاسنا نفساً نفساً حتى نلقى ربنا.

سوف نقاتل هذه النفس وسوف نقاتل هذه المعاني السفلية وسوف نقاتل بالأنوار والأسرار والأذكار وبالمعنى والمعاني والاعتبار، بكثير من النثر ومن الأشعار، بكثير من العلم والادّكار أو الذكر ﴿فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ بكثير من ذلك. المعاني السيئة التي من حولنا لا نملك نحن قوة ذي القرنين حتى نُصلح العالم أو نصّحّه، ولكن نملك أن نُصلح أنفسنا، إذا صححنا وأصلحنا أنفسنا واستعدنا واستمدنا فإننا إن شاء الله سنكون في نظرة من الله. هي نظرة واحدة تُغيّر الأحوال وتُغيّر الأقوال وتُغيّر الأفعال وتمحو ما كان مما صنع الشيطان وعات وجال وتمحو ما كان مما في أعناقنا وفي أعماقنا، ونكون بعون الله من الرجال رجال الله جل في علاه، ورجال الله تشمل الرجال والنساء طبعاً ﴿رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾.

خاتمة

وعلى ذلك نلقى ربنا للأنفاس الأخيرة ونقف كما وقف سيدي عبد القادر الجيلاني في لحظة وفاته وقال: "أنا لا أخاف من الموت، أنا لا أخاف من ملك الموت، أنا لا أخاف من أي شيء". هذه الشجاعة يؤتاها أهل الله ويؤتاها الصالحون الذين يعلمون أنهم ماضون إلى رب كريم إلى حياة خير من حياتهم إلى وجود خير من هذا الوجود. وهذه الشجاعة القلبية تمنحك اليقين تمنحك التسليم تمنحك الإرادة حتى تصفّل من ذات نفسك فإنّ السيف حديد معدّب، السيف حديد كان سماوياً سقط في الأرض وأنزله الله بأمره فيه قوة وبأس شديد، ثم بعد زمن تغيّر شكله وعلاه الصدا وجاءته النفس الأمّارة وجاءته الشياطين وقد تدوسه الأرجل، ولكن يوماً ما تأتيه يد القدرة تُلقيه في تنور في نار من الألم والمجاهدة والمكابدة والمعاناة، وسيحتار ويظن أنّ ذلك الصدا جزء من جسمه وأنّ ذلك الشكل شكله وينسى حياته الأولى فوق الكونية، ولكن تلك اليد بمطرقة وسندان تضربه مرةً بالجلال مرةً بالجمال مرةً بالكمال مرةً بالغيبة مرةً بالحضور مرةً بالجدبة مرةً بالحال، هكذا هكذا هكذا حتى يستوي سيفاً من سيوف الله يُشهره الله بأمره بيدي من أيديهِ جل في علاه، ولذلك موعد قريب كما ذكرت لكم. فالسيف - كما قلتُ مرةً - حديد معدّب، وإذا أشهرت سيفك وأردت أن تُعيده فغمده الوحيد هو صدرك، إذا أعلنت هذه الحرب على نفسك وعلى شياطينها انشغل بذلك ودع الناس ودع الالتباس ولا تلتفت فالملتفت مخذول، لم يلتفت سيدنا لوط لأنه أمر بعدم الالتفات.

توكل على الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَيْقُنْ بِهِ أَرْجُ مِنْ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَنْ يُعْطِيكَ الْقُوَّةَ وَأَنْ يُعْطِيكَ الصِّحَّةَ وَالْعَزِيمَةَ حتى تكون مع الذين صدقوا والذين أصلحهم الله وكانوا من الصالحين. وهذا باب فيه يتنافس المتنافسون، فنافس قدر ما تستطيع وحاول قدر ما تستطيع وليكن معك من محبة الله ورسوله وآل بيته وأصحابه والصالحين عون في ذلك، وسيجعل الله معك من ملائكته ومن أنوار عزته ما يسمو بك.

ومن سمع هذا المقال فليعلم أنّ الله أسعدهُ بسماعه وإن كان من يسمعهُ قليل، فكما ذكرتُ يحتاج هذا الزلال إلى أبناء حلال يسمعونه ويشربونه أما أبناء الحرام وبناته فلهم مشربهم ولهم غديرهم الآسن المتعفن الذي يبدو برّاقاً لذيذاً من خُدع الشيطان لهم، ونحن لا نأتي الأمور بأعداد البشر بل بأمداد رب البشر والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الحاضرة بتاريخ: 28-12-2020



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

التأمل الثالث عشر: علم المعية - معناها وأنواعها وشيء من أسرارها وأنوارها -

مقدمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وصلّى الله على سيدنا محمد نبي الرحمة والهدى والخير ما رفرّف الطير وأدلج مُدلج إليه بسير، اللهم صل وسلم وبارك وعزز وأكرم وأنعم وتكرم على سيدنا وحبينا ومولانا وقرّة عيوننا محمد وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين وارضَ اللهم عن أصحابه الذين أيّدوه ونصروه وسلام على عباد الله الصالحين وسلام علينا معهم برحمة منك يا رب العالمين.

أحبابنا في الله السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته، أهلاً بكم لموعد جديد في هذه التأملات العرفانية، أن نعرف الله أكثر، أن نقرب منه وهو منا قريب، وأن نفهم بعض المعاني والنفحات التي أتقاسمها معكم من تجربة من تجارب خلقه، فنحن من خلقه وله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ مَجَالٍ وَثَمَّةٌ **مسائل تحتاج إلى تجربة** وإلى دُرْبَةٍ وليست فقط مما يُقرأ ومما يُدرس عنه، لأنّ الأحوال التي ذاقها العارفون ذاقوها وجزّبوها ثم تكلموا عنها، والذي يقرأ لهم دون أن يطبّق وأن يحثّ السير في أن يكون في ركبهم أو أن يجول في رحابهم أو أن يقف على أعتابهم أو أن يكون منهم أو فيهم أو معهم أو حولهم خادماً لا نادماً، **والذي يكون لهم خادماً لن يكون أبداً نادماً...** هذا يحتاج إلى وقت بين التخلّي والتحلّي والتجليّ والتملّي:

1. أن تتخلّى لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ تسليماً ﴿وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾
2. أن تتحلّى بصفات حميدة مما يعني أن تنزع أشواك ذاتك وأن تجعل الأرض القفر التي فيك أرضاً صالحة لزراعة الأنوار والثمار الطيبة
3. وبعد ذلك يكون عليك من التجلي ما يكون
4. ومن التملّي: النظر المليّ إلى مشهد الجمال، ما ألدّ لذّة الوصال وما أجمل مشهد الجمال.. الجمال مشهده جميل وهو جميل وهو جمال في جمال.

قصة عصا النفس وطوى السر

أنت عندما تكون في هذا الطي في هذا السر في هذا الحال، لنفرض أنّ ذاتك هي العصا وأنّ فيك شيطان عصى وتخسّب كتلك العصا، وأنتك تُستخدم من قِبل نفسك من قِبل شياطينها فترة من الزمان تهشّ على غنم الوهم وتسعى في متاهات عديدة من متاهات الحياة، نحن لسنا كتملاً، الأنبياء كتمل نحن خدام الكمل. وعندما يأتي الموعد ويُليقك الله في طوى السر الذي فيك الذي ينطوي فيك، هنا سوف ينكشف لك فرعون نفسك المتمرد الذي يقول لك "أنا ربك الأعلى" ويريد أن يحكمك، ويُلقى فيك أيضاً أو يستيقظ فيك موسى قلبك، نجّى الله وكليمه، الله الذي لم يسعه أرضه ولا سماؤه ووسعه قلب عبده المؤمن. ويوم يبلغ الأمر ما يبلغه عندما تكون في طوى السر وعندما تُلقى أمام شجرة نار العشق والمحبة في ليلٍ من ليالي الدنيا المدلهمة، في ليل بلاء في شدة في محنة في لحظة فرار إلى الله، حينها سوف ينجلي الحق جلّ وعلا في ذاتك عليك، يعرّفك بك ثم يعرّفك به لأنك إذا عرفتك عرفته، فيقول لك ﴿إِنِّي أَنَا رَبُّكَ﴾.

هامان نفسك وفرعونها سوف يوقدان على الطين وسوف يحاولان أن يعدّبا ذاتك بماضي ذاتك (بذنوبك بخطاياك)، سيحاولان أن يمنعاك عن ذلك الأمر العظيم الذي في داخلك. وعندما يبلغ أمرك أشده حينها يمكن لك أن تضرب بعصا ذاتك بيد موسى قلبك البحر الذي في ذاتك، برزخ البحرين بين الروح والجسم بين الوعي واللاوعي بين عوالم مطوية مخفية في داخلك، وحينها ستغرق فرعون نفسك وجنده وقارونه وهامانه وينتهي الأمر، وحينها تبدأ في أحوال التجلي والتجلي والتخلي والتخلي.

مدخل إلى علم المعية

هذه نفحات، وكما قلنا مرة في محاضرة أنّ "بني إسرائيل نصرّوا فرعون نفوسهم على موسى قلوبهم"، فرّوا من فرعون ولكن في داخلهم كان فرعون آخر لم يغرق في البحر ولم ينجو. وضمن هذه القصة كانت مشهدية ﴿إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾، وضمن هذه المشهدية يكون الكلام الذي نرومه اليوم عن "المعية".

المعية هي الصُحبة هي الرفقة هي القُرب، والمعية أشكال وأنواع: أنت معك وقد تكون ضدك، وقد يكون قلبك معك أو ضدك، وقد تكون نفسك معك أو ضدك، وقد يكون الناس معك في رأي وضدك في آخر، قد تكون الأيام تطاوعك وهي معك وقد تكون ضدك أيضاً.. بلاءات يُسر وعُسر، وهكذا هي الحياة. ومعية مع طرف تعني أن تكون ضد الآخر، فالذي مع الشيطان هو ضد الرحمن والذي مع الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى هُوَ ضد أعداء الله والذي مع القضية ضد أعدائها.. وهكذا يمكن أن نوسع الإطار في مسألة المعية فلسفياً ومنطقياً وعقائدياً إلى آفاق يطول شرحها.

علم المعية من العلوم التي دوّنتها في موسوعة البرهان سنة 2006، وهذا العلم علم جليل وجميل في اعتقادي، وأسمي في قلوبنا هكذا "علم المعية" ونعني به أساساً معية الله: إن كان الله معك فمن عليك وإن كان عليك فمن معك !! هذه المعية يستشعر بها الإنسان في أوقات كثيرة: في لحظات القرب والسجود، في لحظات البلاء والاضطرار، في لحظات الأُنس بالله جل في علاه، في لحظات الخلوة، في أيام

الجلوة، في أوقات الخير، في لحظات التقوى الذي يتقي يستشعر معية الله... المعية تصل إلى مستويات عجيبة وعظيمة، أولها الخشية القلبية، وأعلىها الإحسان "أن تعبه كأنك تراه فإن لم تكن تراه فهو يراك"، هذه معية صدقية عظيمة، وبينهما أبواب ومعانٍ. وفي موسوعة البرهان دوّنت عن أصناف المعية وأنواعها وفق الآيات القرآنية.

وأقول أيضاً أنّ هذه العلوم التي نطلق عليها أسماء وأنّ هذه المعارف أعود وأكرر ليست اجتهاداً ولا ثمرة بحث ولا جهد ولا فضل للإنسان فيها بشيء، إنما مما يكشف الباري جل في علاه على قلب عباده بمحض فضله لا لفضل لذلك العبد، حتى يفهم الإنسان إطاره ويعرف نفسه، نحن غبار قديمي رسول الله بل غبار قدمه أقدس وأجمل وأجل وأعلى وأعلى وأحلى. نحن نقبل -أنا شخصياً أتكلّم عن نفسي- يشرفني لو كنت غباراً مرّ على كتفي النبي أو على كتفي الإمام علي أو هؤلاء السادة أهل البيت أو تحت أقدامهم أو سيفاً قاتل به صاحب كربلاء أو أن أكون تريباً للإمام الحسن، هؤلاء أحبهم وهؤلاء كلما استشعرت هذه المعية معهم وكلما كنت معهم وكلما كنت مع من يحبهم وكلما كنت في خدمتهم بحال القلب وحال الشوق وحال العشق **ستجد أنّ الله معك وستجد أنهم معك من قبل أن تستشعر ذلك ومن قبل أن تعلمه، فلو لم يكونوا معك ما استشعرت أنسهم وما رغبت في قربهم ولا هُديت إلى حُبهم**، فمحببتهم هداية ربانية وعناية عظيمة لمن ذاقها وجربها وفهمها. والذين يفهمون هم أهل الإسلام المحمدي النقي الذين لم يتشردموا بمذهبية ولم يُمزقوا بطائفية ولم يخدعهم هذا ولا ذاك، هؤلاء يفهمون أنّ هذا الدين قوامه { لا إله إلا الله محمد رسول الله } مشمولة فيها أهل بيت رسول الله، وضمن ذلك يكون الصالحون. وعندما نتكلّم عن الصالحين الصحابة من الصالحين، ودليلي على ذلك أنّ أنبياء الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** مثل سيدنا يوسف وسيدنا سليمان قالوا **﴿وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾**، أنبياء طلبوا هذا المقام! فالجميع ضمن الصالحين ومن بينهم الأولياء والأقطاب والأبدال والأوتاد والنقباء والنجباء والأصحاب أصحاب الرسل الخالص الكمل، ومن كان في زمن الفترة ومن كان قبلهم، ومن كان قبل النشأة الآدمية أيضاً ممن خلق الله مما لم يُعلّم عموم البشر إنما علّم ذلك بعض خواصهم.

وعليه، فإنّ علم المعية يُعنى بفهم هذه المعية الربانية وصنوفها وما ينجرّ عنها وما يكون من أحوالها وما يستتبع ذلك من أحوال الذي يستشعر تلك المعية ومن أقواله ومن دلائل حاله، أي أنّ **الذي هو في حال المعية الربانية سوف ينجلي عليه الأمر حالاً ومقالاً، عملاً وفعلاً**. وهذه المعية عظيمة لها أسرار لها أنوار لها بركات، كل ما نقدّمه إليكم شذرات، نريدكم أن تتعرفوا بأنفسكم باستئناس ذلك وبالنظر إلى ذلك وبالفرار إلى الله وبحتمية الحرب مع النفس وكسر شوكتها والبراءة من الذنوب السابقة والتوبة عنها والرغبة في أن تُنافس مع المتنافسين في المقامات العلية العلوية الدرية السنية، لأنّ مقاماً واحداً فيه مجاميع مقامات داخلية ممنوع عنك ومن ادّعاه فقد كفر وهلك وأهلك نفسه وهو *مقام النبوة*، من قال "أنا نبي بعد رسول الله" هذا هلك هذا مدّع كذاب دجال أشر، غير ذلك نافس في ذلك حاول واسعى، إما أن تكون منهم أو تكون معهم أو تكون خادهم، كما تعلمون **الذي كان باسطاً ذراعيه بالصيد في قصة أهل الكهف رُفع قدره بهم فما بالك بالإنسان الذي يتشوّف ويتشرف بهذه المقامات وهذه الأنوار والبركات** ويسعى في ذلك بالأعمال الصالحات.

المعية الربانية الكاملة الشاملة

وعليه، فالمعية أصناف وصنوف وأنواع، وأنا أقدم لكم بعض معانيها، من بين ذلك مثلاً قوله جل في علاه ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾. هذه المعية هي معية كاملة شاملة تشمل كل شيء، حتى الآيات التي وردت فيها آيات تبين سلطان الله جل في علاه على ملكوته وأنه يُشرف على خلقه إشرافاً كاملاً، أنه اللطيف الخبير، أنه السميع البصير، أنه الحي القيوم، أنه العليم، أنه الذي أحاط بكل شيء علماً وأحصى كل شيء عدداً.. هذا في مكامن هذه الآيات إرجعوا إليها. ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ معية شاملة كاملة، هو أقرب إلينا من حبل الوريد ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ﴾ ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾. والإنسان -سبحان الله- ربنا جل في علاه جعل فيه براهين على تلك المعية، في داخله هنالك قنوات استشعار تستشعر هذه المعية العامة التي من بين معانيها أنه لطيف بكل عبادته، أنه رحيم بجميع عبادته، وأنه حتى الذين نقم عليهم يؤتيهم رزقهم ويمدّهم وله في ذلك حكمة ﴿وَمَا كَانَ عِظَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾، له حكمة وله علم في ذلك وله سابق مشيئة، ولكنها معية عامة شاملة بالسمع والنظر والقدرة والبصر والإحاطة والقرب على معاني القرب الربانية التي نستشعرها قلباً ونجهلها عقلاً.

فهذه معية شاملة، ولها أدلة وآيات أخرى مثل ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا﴾ فالنجوى التي تكون بين اثنين أو أدنى من ذلك أو أكثر إلا وهو معهم.. فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي حَالِ النَجْوَى فِي حَالِ الْخَلْوَةِ فِي حَالِ الْكَلَامِ بَيْنِ الذَّاتِ وَذَاتِهَا فِي حَالِ اجْتِمَاعِ النَّاسِ يَتَنَاجُونَ بَيْنَ بَعْضِهِمْ، بَعْضُهُمْ يَتَأَمَّرُ بَعْضُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ هَكَذَا كَمَا تَجِدُونَ فِي الْقُرْآنِ ﴿وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ﴾ على سبيل المثال أو ﴿لَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ هؤلاء جميعاً الله جل في علاه معهم.

• هي إذاً معية عامة أو معية شاملة شملت كل شيء.

المعية الخاصة

ولكن ضمن هذه المعية ثمة معية قُرب ومعية خصوصية، وهذه المعية الخاصة هي المطمح هي درجة أعلى في المعية، لأنّ المعية الأولى الشاملة هي معية إحاطة، الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مع الخلق وأمره في الخلق مُنْقَذٌ نَاجِزٌ وَهُوَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى سَمِيعٌ بَصِيرٌ عَلِيمٌ خَبِيرٌ، هذا معلوم بالضرورة عند كل معتقد في الله. ولكن المعية الخصوصية هي إضافة للذين هم أقرب إليه نجياً، للنبي والولي والصفى والمحبوب والمرغوب والمطلوب والمراد الذي حظي بالنظرة وشملته الحضرة بما أرادت من أنس ومن قدس. وعلى سبيل المثال عندما كانا النبيان الكريمان العظيمان موسى وهارون عَلَيْهِمَا السَّلَامُ يخشيان من بطشة فرعون (بين ضفرين هي خشية إنسانية) ﴿لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى﴾ إني معكما هذه معية خاصة، هذه معية قُرب. وهذه المعية الخاصة حظوة خاصة يختص بها الله جل في علاه من شاء من عبادته، هذه المعية للذين عرفوا الله حقاً، للذين عبدوه صدقاً، للذين طلبوا قُربه وأنسه عبر المفاتيح والأبواب.

الذكر مفاتيح والوسائل أبواب

له سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أَبْوَابٌ وله مفاتيح، الذكر مفاتيح والوسائل أبواب.

- الذكر مفتاح: لا إله إلا الله.. سبحان الله.. الحمد لله.. لا إله إلا الله والله أكبر.. مفتاح من المفاتيح، الآيات القرآنية مفاتيح والعبادات.
- ولكن الوسائل أبواب وهذه الأبواب أبواب عظيمة، من أتى بمفتاح دون باب لن يستطيع أن يفلح، ومن أتى الباب دون مفتاح لن يستطيع أن يفلح.
- فالباب الأعظم الأكبر الذي لا يمكن لمخلوق أن يدخل على الله من دونه هو الباب النبوي باب محمد صلى الله عليه وعلى آله ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾. فالله جل في علاه هو الذي أراد وشاء وقدر وقضى وحكم وشرع وسنّ أن يكون الباب الأعظم إليه "محمد" صلى الله عليه وعلى آله.

كل الأدعياء والحمقى وأصحاب الظن بالله وأصحاب قلة الأدب مع رسول الله هؤلاء مُبْعَدُونَ لهم مقام الحيلولة. الذي يقول لك "لا أحتاج إلى النبي" "هذا مات وانقضى دوره" إلى غير ذلك، والذي لا يفرح برسول الله ولا ينشغل برسول الله ولا يحب رسول الله، هذا محجوب. أنى يأتي باب الله جل في علاه!! أنى يدخل على الحضرة الربانية دون رسول الله سيد الكائنات وإمام المخلوقات وخاتم النبوات والرسالات سيد جميع الخلق الذي هو محمد وأحمد نبينا الرحمة المهداة!!

والباب إلى رسول الله أهل بيته، والباب إلى أهل بيته الصالحون، والباب إلى الصالحين أسرار وأنوار ومقامات وأذكار وأحوال. ولكل مفاتيح ولكل باب مفتاحه، أبواب لها مفاتيح كبرى وعظمى تجرّبها فتعرفها، وتصل إلى هذه الأنوار فتعرفها، ومن ذاق عرف ومن جرّب عرف، هنالك تجربة يجب أن تجربها في هذا الإطار. هذه المعية الخاصة هي معية عظمى معية عظيمة.

معية المضطر المحاصر

وهنالك معية أقرب وهي المعية التي يستشعرها المضطر المحاصر، معية مخصصة. ﴿إِنِّي مَعَكُمْ أَسْمَعُ وَأَرَى﴾ معية خاصة، وهنالك معية مخصصة داخل تلك المعية الخاصة، ثمة المعية العامة ﴿مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ ﴿إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ﴾، وثمة معية خاصة ﴿إِنِّي مَعَكُمْ أَسْمَعُ وَأَرَى﴾، وثمة معية مخصصة مقامها أعلى ومجلاها أعلى وثمنها أغلى، هذه يشعر بها الإنسان عندما يحاط به، عندما ترى أصحاب القضية والحق محاصرين وترى أنهم مستضعفون، المشهد الكربلائي أو مشهد حنين أو المشاهد الأخرى التي يتخلى فيها المتخاذلون ويهجم فيها الفاسقون ويهجم فيها المجرمون، المشهد الفلسطيني الآن على سبيل المثال ومشهد هذا الشعب الكريم العظيم الذي يشعر أنّ كثير من أشقائه يتخلّون عنه، أو مشهد حتى ذاتك وأنت مضطر وأنت لا تجد من الناس من يحميك، مثل مشهد هذا الوباء الذي نزل البشر أكثر ما آذاهم وقتلهم شعورهم أنهم وحدهم ألا أحد معه، تخلى عنه الصديق والقريب ولم تجد

الدولة دواءً ولم يجد مكاناً في مستشفى، أصابه الهلع والفرع، قتله ذلك أكثر مما قتله المرض نفسه. أما الذين يستشعرون معية الله فهم هادئون هائنون.

هل هذا المشهد له علاقة بالقرآن العظيم؟ هو المشهد الذي انطلقنا به في قصة سيدنا موسى وفرعون: **إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿١٠٦﴾ قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿١٠٧﴾**. عندما مضى بنو إسرائيل إلى البحر وخلفهم فرعون بجيشه وبهذه العدة وهذه القوة، وهذا المشهد لفرعون بجيشه مع المستضعفين ومع هادٍ يهديهم من عند الله مشهد يتكرر.. هذا البحر مشهد يتكرر.. هذا الحصار مشهد يتكرر.. هذا الإحساس بالفرع لدى هؤلاء المستضعفين مشهد يتكرر.. قالوا حينها **﴿إِنَّا لَمُدْرِكُونَ﴾**، خافوا وصار هنالك فرع شديد وحصار شديد وبلغت القلوب الحناجر وهذا البحر أمامهم وهذا العدو وراءهم، وفرعون طبيعي أنه سيشعر كما يشعر الذين معه من حوله بالزهو والقوة، بالخطورة، بمزيد من القوة والخطورة والشعور أنه لا قادر عليهم، مثل عاد عتوا واستكبروا وقالوا من أشد منا قوة، هكذا سيقولون: من أشد منا قوة؟! هذا حال فرعون، كحال قوم لوط عندما حاصروه وقالوا من أشد منا قوة بالحال لا بالمقال، وهكذا سيشعر لوط أيضاً وهو مُحاصر، ولكن الله قريب ومعيتة قريبة وأنسه عظيم. الملائكة قالوا لسيدنا لوط **﴿إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ﴾** "لن"، وهذه ال "لن" لها علم، أنا لي كتاب في بعض معاني الحروف في القرآن الكريم مثل "علم لن" و "علم إلا" و "علم الواو" وغير ذلك، إن شاء الله في العمر بقية حتى ننشر بينكم ما أفاض الله على القلب بمحض فضله وبركة حبه وحب نبيه وأنا وضعنا الرأس تحت قدم النبي وتحت أقدام أهل البيت السيدة الزهراء والسيدة آمنة والسيدة خديجة وسيدنا الإمام علي وأسيادنا جميعاً وسيدنا أبو طالب وسيدنا حمزة. وأنا أنصص مجدداً لمن يصدّقني: أبو طالب إمام عظيم ورجل عظيم، كلا وكلا وكلا أن يسمح الله ويشرفه بخدمة رسول الله وأن يربّيه وأن يضع لحمه على لحمه لمن كتب له الشقاء أو أن تنجبه شقية في النار أو أن ينجبه شقي في النار، هذه ترهات إبرؤوا إلى الله منها. مهما حدّثكم محدّثون ومهما أتوا بأسانيد ومهما حدّثكم.. **كل ذو لب وذو قلب سيعلم أنّ ذلك باطل وأنّ الله جل في علاه ضمن الشفاعة لأمة الحبيب، فكيف بالأدنى والأقرب؟!**

المهم أنّ هذه بركات الوقوف بأعتاب الحسين وأعتاب هؤلاء السادة أهل البيت الذين نحبههم ونلقى الله على حبهم أحب من أحب وكره من كره، ومن كره فلياتٍ للبحر أو ليضرب هامه في أي صخرة يجدها قريبة منه، وسمّها على أي مذهب تريد وعلى أي منهج تريد نحن نشهد أن لا إله إلا الله وأنّ محمداً رسول الله، وإن كنا نفخر بمدّرتنا وأصالتنا وزيتونتنا ونفخر بانتمائنا إلى هذا الطريق وإلى هذا السبيل، ونؤاخي إخوتنا في الدين وإخواننا ونظراءنا في الإنسانية كما قال الإمام علي **"الناس اثنان: أخ لك في الدين أو نظير لك في الخلق"**.

إذن هذا المشهد، المشهد الذي كان فيه قوم موسى محاصرين وفرعون بزهو، هذا البحر معلوم أنه بحر لا يمكن اجتيازه، لا وجود لأي مناص، حتى "التكتيك الاستراتيجي" (إذا جازت العبارة) وأنا كنت كتبت نصاً عن هذا مقالاً جَمِيراً عن هذا ضمن كتابي **<<فاعتبروا>>**، كيف أننا افترضنا وتصوّرنا -ولعلنا كوشفنا- أنّ قائد جيش فرعون وهو يبيّن له الخطة العسكرية يقول له: "لم يبقَ لهم إلا أن ينشقّ لهم البحر" بسخرية!! ولكنّ صاحب البحر يشقّ البحر، خالق البحر يشقّه، الذي خلق هذا العالم يستطيع أن يغيّر هذا العالم في لحظات ولكن في الميقات المحدد.

عاش فرعون ما كان له أن يعيش، ما قُدِّر له، وطغى بما كتب الله عليه من طغيان، ولا يكون في ملك الله إلا ما يشاء ولكن في الموعد ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ ﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ﴾ ولهذه الأمة ولهذه الحضارة أيضاً أجلاً وأجلهم قريب، أحر عنهم العذاب لأمة معدودة. فذلك الطغيان سواء طال على طول حياة فرعون أو على طول الفترة بين رسول الله والمهدي عَلَيْهِ السَّلَامُ، الأمر سيان، هي مقادير أرادها. وما يكون من ذلك أنهم يستحيون نساءهم ويذبحون أبناءهم أو ما كان من تقتيل ذرية النبي وتقتيل الطيبين ومآسي كربلاء والحررة وفخ وما كان بعد ذلك إلى هذه الساعة كل ذلك لأن الله أراد الدنيا دار امتحان، ولكن لا يعني أنه عجز ولا يعني أن ذلك لا ينتهي، لا يعني أن ذلك البحر لن ينشق، سينشق البحر كما شقّه أولاً، ولكل بحر معنى ووجهة.

إذن هذا فرعون يحاصر سيدنا موسى وهؤلاء قومه في حالة الفزع في حالة الخوف ﴿إِنَّا لَمُدْرِكُونَ﴾ يقيناً أنهم مُدْرِكُونَ، وبالمعنى الإستراتيجي أيضاً بالمعنى العادي العسكري نعم هم مُدْرِكُونَ ونعم سوف يتم تقتيلهم، ولكن كان لسيدنا موسى كلمة عجيبة عظيمة أنه قال لهم ﴿كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ هذه "معي" تزن بالأرض والسموات، هذه المعية هذا اليقين، لو أنه قال "إن معنا ربنا سيهدينا" لانقلب حال بني إسرائيل حالاً آخر وما ضلّ منهم من أحد، ولكنه كان يعلم أو كان الله يُنطقه بالحق، كان الله معه ولم يكن معهم. ولكن في الحقيقة بالمعنى الشامل للمعية كان الله معهم جميعاً ومع فرعون نفسه، معه بمعنى أنه كان يراه ويسمعه وكان قادراً عليه وكان أقرب إليه من حبل الوريد. ولكن بمعنى الخصوصية للمعية: لم يكن الله مع بني إسرائيل حينها، ولم يكن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مع فرعون بل كان عليه، وسيكتشف سيدنا موسى أنه كان على معظم بني إسرائيل أيضاً لأنهم ضلّوا وفجروا واتخذوا العجل بعد ذلك.

الأمة اليوم تحتاج استشعار المعية المخصوصة

ف ﴿إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ تعني معية خصوصية، الأمة اليوم تحتاج إلى هذا اليقين الموسوي، الأمة كلها تحتاج إليه. في المشهد الكربلائي عندما كان ابن فاطمة عليه وعليها وعلى رسولنا الصلاة والسلام وعلى سيدنا الإمام علي وسيدنا الإمام الحسن وعلى الذرية الصلاة والسلام كان يستشعر تلك المعية ولكن البحر لم ينشق حينها لأن الله أراد أن يراه شهيداً، ولكن الأمر مع حفيدهم القائم سيكون مختلفاً ستكون معية جبروت ومعية عظمى ومعية تُذهل كل عقل وكل خير عسكري وكل صاحب أرقام صناعية وكل متجسس، بقدرة القادر الذي شقّ البحر أولاً فأغرق فرعون ويشقّ البحر ثانياً فيغرق أحفاد الذين نجّاهم من فرعون فكانوا أسوأ من فرعون. للأسف، نجّى الله من فرعون حينها سيدنا موسى ونجّى قومه ولكنهم غرقوا في بحر الظلمات وابتعدوا عن أنس الذات واتبعوا طريق الملذات وتركوا الصلوات واتبعوا الشهوات وقد لقوا غيياً وتيهاً.. هؤلاء لأن فرعون قلوبهم وفرعون نفوسهم كان أقوى من موسى قلوبهم لأن فرعون نفوسهم أهلكتهم فلم يطوهم اليم كما طوى فرعون وجيشه ولكنهم هلكوا. وكذا الذين سينافقون بعد ذلك بعد المهدي سوف يأتيهم دجال يدجل عليهم ويجتث نفوسهم منهم فيجتث قلوبهم منهم ويتركهم في حال الخواء في حال العدم في حال ربما يوماً ما سنحدثكم عنه كما ذكر رسول

الله "يتهارجون تهاج الحمر لا يحلون حلالاً ولا يحرمون حراماً وعليهم تقوم الساعة" وأضيف: وهم مسوخ، في حال غير بشري.

المهم أنّ هذه المعية التي نتكلم عنها هي معية مخصصة، وهذه المعية يجب أن نشعر بها اليوم. عليك أن تشعر بهذه المعية الخاصة والمخصصة لأننا في حال بلاء، تحتاج هذه المعية في مواجهة الوباء وما بعده، تسعة آيات عظيماً كما كان لفرعون الأول، لأننا الآن نحن في زمان فرعون الأخير. وتحتاج هذه المعية فيما سيأتي بعد، لأنه لن ينقذك إلا الله. معية في حربك لنفسك، معية أمام جيوش من الشر المنهال عليك من كل صوب، تفتح هاتفك القناة التلفزيونية جهاز التلفزة الأفلام في كل مكان هنالك شياطين تبث سمومها وتنفخ في كل مكان وفي كل شيء.

تحتاج هذه المعية النورانية الربانية الإيمانية الإيقانية الإحسانية العرفانية في كل لحظة وفي كل حين، تحتاجها من كورونا إلى نبيرو، وتحتاجها إلى ظهور الذي سيظهره الله رغماً عن أنوف الذين يرفضون والذين يلحدون والذين يجحدون والذين يمكرون والذين يُنصبون والذين يتمشّدون بما لا يعلمون، ورغماً عن أنف كل دعيّ بأمر ليس له، لأنّ ذلك **الظهور يَكسر ظهور ويجبر ظهور** ويوم عظيم فيه زلزلة كونية ربانية فيه تجليات جبرائيلية فيه أمور عظيمة فيه نصرّة محمدية حيدرية حمزوية حسنية حسينية فاطمية، أمور عظيمة، وأضيف أنها جعفرية وأنها رفاعية وجيلانية وشاذلية وهكذا أسمرية كما أردتم من مفاتيح الصالحين أو من مفاتيح الأنبياء والمرسلين أو من مفاتيح أهل البيت أجمعين، سيجمع الله ذلك كذلك وهو قادر على ذلك، وكل محب ناج وكل مبغض هالك، سبحان الذي بيده الممالك، سبحان الذي علّمنا المسالك، سبحان الذي خلق رضوان وما عند رضوان وخلق مالكا وما عند مالك.

والحمد لله الذي شرفنا بهذا المنهج وهذا المنهاج وصلى الله على نبي التاج والمعراج، وإن شاء الله تكونوا جميعاً في هذه المعية الخاصة المخصصة المنصّصة المنصّصة من الله جل في علاه للذين اتقوه والذين أحبه والذين يؤمنون به والذين علموا المفاتيح للذكر والأوراد والشكر والحمد والتفكير والتدبر والإحساس بأنس الله جل في علاه، والذين أيضاً عرفوا الأبواب والوسائل المؤدية إلى رضوان الله جل في علاه فإنّ الله لا يؤتي هكذا إنما يجب أن تأتي أبواب الله بأدب وأن تدخل على كل باب بمفتاح مناسب وأن تأتي بالحب والذل والطاعة والخشوع.

المعية المحمدية

وبين يدي رب العالمين أنوار وأسرار، ولا يدخل أحد إلى باب الحضرة الربانية دون هذا السر والمعية المحمدية، ولعلنا في لاحق إن شاء الله نحدثكم عن المعية المحمدية أيضاً، فلرسول الله معيات وله من ربه ربه عند ربه تجليات ربانية محمدية، هذه معاني أخرى. لأنّ رسول الله له معية على سبيل المثال عامة لكل مصلّ، عندما تقول "السلام عليك أيها النبي الكريم" *عليك* تُقال للشاهد الحاضر الناظر القريب: شاهد يشهد وحاضر وناظر وقريب يجب أن يسمعك وأنت تقول له السلام عليك.

لذلك إن شاء الله سأنشرها بينكم، أواخر وآخر التجليات والتدليات القلبية ما دؤنته منذ حين عن الصلاة:

الصلاة صلوات، زُلفى وميقات، بابها "الله أكبر"، ومفتاحها "السلام عليك أيها النبي الكريم"

- ❖ الصلاة صلوات، صلة أنس وصلة قرب وصلة حب وصلة دنو وصلة خضوع وخشوع وعبادة وطاعة وإناابة وتوبة وتذلل، هي صلوات عديدة.
- ❖ زلفى لأنك تتزلف إلى الله تتقرب إليه ومنه معنى المزدلفة.
- ❖ وميقات ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا﴾ لها مواقيت معينة محدّدة.
- ❖ وبابها "الله أكبر" لأنّ "الله أكبر" هي كلمة عظيمة، عندما تقولها -وأنا كان لي محاضرة بعنوان "الله أكبر" - أكبر من كل ما تعلم وأكبر من كل ما لا تعلم، أكبر من عدوك أكبر من قوى الطغيان أكبر من نفسك أكبر من ذنوبك أكبر من كل شيء. لو جئت بقراب الأرض خطايا لأتاك بقرابها مغفرة، وهو عند ظن عبده به...
- ❖ ومفتاحها "السلام عليك" وهل يقول السلام عليك حقاً الذين يظنون أنه ميت في قبر وأنه لم يعد له من جاه ولا من وسيلة والذين لا يحتفلون بمولده، الذين لا يفرحون به كي يفرح بهم، الذين لا يحبون أهل بيته، الذين يغضبون إذا سمعوا ذكر أهل البيت، الذين يناصبونهم العدا، الذين يشتمون في قتلهم، الذين يوالون قاتليهم وكرهيههم ومبغضيههم، الذين يستنقصون من قدره الشريف... هل هؤلاء حقاً يقولون "السلام عليك"، وهل يرد عليهم السلام؟!

هنالك مقام ﴿إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾ وهنالك مقام ﴿لَوْ جَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾ ((استغفروا الله واستغفر لهم الرسول)). ثمّة قوم عليهم إصر لا يُمحي ذنبهم، وثمة آخرون والله مهما كانت ذنوبهم وعيوبهم فإنّ الله يمحوها ببركة هذا النبي الحبيب الذي له أيضاً معية، فإذا سلّمت عليه في هذه الصلاة أجابك وقال "وعليكم السلام"، وهذا لمن يجربه سيجربه !!! بعضهم يبلغ المقام أن يسمعه قلباً وبعضهم يبلغ به المقام أن يسمعه بأذن رأسه، ثم هنالك من يراه قلباً أو مناماً ومن يراه بعين رأسه إذا انعكست عين القلب وعين الروح على عين الجسد ﴿أَلَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ وهذا باب آخر لا أريد أن أزيد فيه.

وكذا هنالك معية الصلاة على النبي إذا صلّيت عليه ردّ عليك الصلاة "ما من أحد يصلي علي إلا رد الله عليّ روحي" وإذا قسناها بعدد المصلّين فالروح مردودة دائماً.

وهنالك ذلك الأنس العظيم بالمعية الربانية المحمدية، وهذه المعية الربانية المحمدية مثلاً في الصلاة على رسول الله "ما من أحد يصلي علي إلا صلى الله بها عليه عشراً". طيب أنت تقول اللهم صل وسلم وبارك وعزز وأنعم وأكرم على سيدي ومولاي وحبيبي ونبيي وسيدي وإمامي محمد وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين، الله يصلي عليك في نفس اللحظة والملائكة أيضاً يؤمنون ويستغفرون للذين في الأرض، وكذلك النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يجيبك ويجيبك أهل بيته. عندما تقول "الصلاة والسلام عليك يا رسول الله" فأنت لم تأتي بدعاً من الأمر لأنك تسلّم عليه في صلواتك.. فبابها الله أكبر ومفتاحها السلام عليك أيها النبي الكريم، هذه تصلح أن تكون محاضرة أخرى.

خاتمة

نسأل الله جل في علاه أن يتقبّل منا وأن يعفو عنا وهو الذي ستر القبيح وأظهر الجميل ولم يؤاخذ بالجريرة ولم يهتك الستر، وهو الذي جل في علاه تكرم وأفاض وأغدق وأنعم وأجزل وتحنّ وجاد ورأف وعطف فكان هذا الكلام وكانت هذه المعاني على ما فيها من المباني وما فيها من البيان وما فيها من العرفان، وهي كلها من ثمر هذه المحبة من عظيم فضله ولا فضل لنا في ذلك في شيء أبداً قطعاً مطلقاً، إنما نحن خدم نسأل الله أن لا تزلّ بنا القدم وأن لا تأتي وادي الندم وأن يعفو عنا ويطهرنا كيوم خلقنا من عدم، والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

الحاضرة بتاريخ: 4-01-2021



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

التأمل الرابع عشر: الانتظار والمنتظرين - ما لهم وما عليهم -

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين الغر الميامين، وسلاماً على عباد الله الصالحين من الصحابة والتابعين وأهل الله أجمعين من السابقين واللاحقين وممن اختار الله واجتبي إلى يوم الدين.

أحبابنا في الله السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته، أولاً أعتذر عن هذا التأخير لأن بعض الأجهزة أحياناً يصعب عليها الحمل، وكأنها تفقه أننا نتكلم كلاماً فيه قول ثقيل. والقلب الذي هو مناط هذا العمل هو أيضاً أحياناً يتعب، وكذا العاشق عندما ينتظر، المشتاق عندما يجلس منتظراً وقد يطول به هذا الإنتظار، قد يطول زمن الإنتظار، ولذلك أنا مرة كتبت "أن الثانية الشوقية بألف سنة وأن الألف سنة عشقية
بثانية".

- العاشق لا يشعر بالزمن عندما يكون في حال الوصل، لا يتسنه زمنه، كطعام العزير.
- والمشتاق: يَسْتَنْقِلُ كل ثانية تمر ويشعر أن كل ثانية أبد.

وكنتُ ذكرتُ في قصة "النور الأخير":

- قال لها: ألم تعلمي أنّ حياة هؤلاء وأولئك هي رمشة واحدة من عينيك الجميلتين.
- قالت: ولكنّ ثانية اشتياق أطول من الأبد.

وعليه، فإنّ زمن الإنتظار قد طال طويلاً وكثيراً على المشتاقين، أما الموتى الذين هم موتى وهم لا يشعرون فهؤلاء لم تشتق قلوبهم ولم يرض عنهم الذي كان أولى أن يكون محبوبهم وهو محبوبهم، لو عرفوه لأحبوه.

الاشتياق للحضرة

وكذا منتظري الرحمة الإلهية والهدية الربانية هؤلاء يذوقون لوعة الإشتياق، وكما قال الرواس الإمام
رَضِيَ اللهُ عَنْهُ الحسيني:

لو زُمتنا يوم الفراقِ ذواهِلاً لعَلِمْتَ كيف إلى الحِمامِ نُساقُ

حتى يقول: الله هذا الشأن كيف يطاق!

فهو شأن صعب وشأن قاسي وفيه ما فيه، قلوب المشتاقين إلى الله (من كان يرجو لقاء الله) يجدون الحياة مرحلةً طويلةً من الفراق، الصالحون يشتاقون إلى اللُّقيا، يشتاقون إلى الوفاة، كما قلت مرة: "الصالحون إذا ماتوا تحرروا"، وكما قال الإمام علي "الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا، فموتوا قبل أن تموتوا".

وأيضاً إنّ المشتاقين لحضرة رسول الله الذين يعشقونه ويحبونه ويعرفون مقامه، وليس أولئك العميان عميان القلوب الذين يقولون لقد مضى وانتهى دوره ولم يعد له من مكان ونحن أفقه وأعلم وأكثر وعياً من الصحابة ومن أهل البيت ومن كبار الصالحين، وكلما ذكرت لهم اسماً يقولون لك "من هذا؟! نحن رجالٌ وهم رجال" .. بل: هم رجال والمعاندون عميان وأقزام، وأن لزمانهم أن ينتهي.

وكذا المشتاقون إلى حضرات الأئمة والمشتاقون إلى أهل الله كلُّ له نجواه، كذا الذين تجلّت عليهم الحضرة الربانية أو المحمدية، الذين نظروا كما قال عبدالغني النابلسي:

دع جمال الوجه يظهر لا تغطي يا حبيبي

أو كما قال ابن الفارض:

أوميضُ بَرَقِ بِالْأَبْرِيقِ لَاحٍ أم في رُيا نجدِ أرى مصباحا
أم تلك ليلي العامرية أسفرت ليلاً فصيرت المساء صباحا

وليلي في قصائدهم تعني الحضرة، والعشاق لهم شأن ولهم سر ولهم حال.

وهذا الإشتياق وهذا الإنتظار يشمل أيضاً حضرة الإمام عَلَيْهِ السَّلَامُ القائم الذي يقوم مقام جدّه رسول الله ومقام أبيه علي ومقام أمه فاطمة ومقام أبويه ووالديه الحسن والحسين ومقام الأئمة ليأخذ حقهم وينصفهم في الدنيا كما سينصفهم ربهم -وقد أنصفهم- في الآخرة، أنصفهم الآن في البرازخ العليا التي هم فيها، وينصفهم يوم القيامة بأن يقتص من ظالمهم وأن يُظهر الحق وينصره ويسكنهم فراديس جناته خالدين فيها ويجعل خلود الجحيم لأعدائهم. وكذلك يكون قائماً للحق قائماً بأمر الله خليفة لله ورسوله الذي هو هدية الله إلى رسول الله لذلك هو مَهْدِيٌّ، مَهْدِيٌّ أي أهده الله ومَهْدِيٌّ أي هداه الله، فهو بين الإهداء والهداية، وهذا أمر لله جل في علاه.

علاقة الإمام بالعصا

لو أننا عرضنا العِصِيَّ زمن راعٍ كان يرعى مع مجموعة رعاة وكان قد اشترط أن يكون ذلك لعشرة أعوام لحكمة الذي أعطاه العصا، وهو يَعْرِفُهُ وَيَعْرِفُهَا وَالْآخِرُ لَا يَعْرِفُ لَا نَفْسَهُ وَلَا الْعَصَا الَّتِي بَيْنَ يَدَيْهِ، لو عرضنا العِصِيَّ لكانت كلها متشابهة في ظاهرها، عِصِيٌّ كَثِيرَةٌ كَسِيرَةٌ، كُسِرَتْ مِنْ شَجَرَتِهَا وَجَفَّ فِيهَا مَاءُ الْحَيَاةِ، تَسَاقَطَ وَرْقُهَا وَلَمْ يَظْهَرِ مِنْهَا ثَمَرٌ وَصَارَتْ مَتَكًا لِرَاعِيهَا يَهْشَقُ بِهَا عَلَى أَغْنَامِهِ وَلَهُ فِيهَا مَآرِبٌ أُخْرَى، لو عُرضت هذه العِصِيَّ لكانت كلها سواء ولظهر في المظهر الناسوتي كل الرعاة أيضاً سواء متشابهون، هذا الذي فرّ من مصر إلى مدين والذي وجد فتاتين تزدودان، والذي أقبلت عليه إحداهنّ تمشي على استحياء، والذي قال ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾، هذا الراعي الذي ألقته أمه في اليمّ. واليم فيما علّمنا من يجلس في قلوبنا معلماً: يَمٌّ مِثْلُ أُمَّ، أُمَّ النَّاسِ أَي قَادِهِمْ إِلَى اللَّهِ، وَيَمٌّ الْمَاءُ أَي هُوَ نَهْرٌ يَلْتَقِي بِبَحْرٍ، فَكُلُّ نَهْرٍ يَتَّصِلُ بِبَحْرٍ هُوَ الْيَمُّ، يُلْقِيهِ الْيَمُّ إِلَى الشَّاطِئِ. فالذي أُلْقِيَ فِي هَذَا التَّابُوتِ مُسَلِّمًا ضَعِيفًا، وَتَرَبَّى عِنْدَ فِرْعَوْنَ فِي قَصْرِهِ، وَكَانَ لَا بَدَّ أَنْ يَكُونَ عِنْدَ فِرْعَوْنَ وَأَنْ يَكُونَ فِي ذَلِكَ الْمَكَانِ قَلْبَ رُؤُومٍ رَحِيمٍ يَحِبُّهُ ﴿وَالْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾، هذا الذي أخطأ خطأً تقديرياً -وهو المعصوم- فقتل غير عامدٍ ولا قاصدٍ ثم قال لربه ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ﴾ وهكذا تعامل المحبوب بالمحسوب، تعامل الحب: مباشرة إغفر لي فيغفر له، أما المساكين من أمثالنا فعلينا أن نتوسل طويلاً وكثيراً.

اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَكْرَمُ هَذَا الرَّاعِي، وَالَّذِي سَيُذَكَّرُ فِي كِتَابِ رَاعٍ آخَرَ كَانَ يَرعى الْأَغْنَامَ عَلَى قَرَارِيضَ فِي شِعَابِ مَكَّةَ، وَالَّذِي كَانَ يَقُولُ لِرَجُلٍ يَرْتَعِدُ "لَسْتُ بِمَلِكٍ وَلَا جَبَّارٍ إِنِّي ابْنُ امْرَأَةٍ كَانَتْ تَأْكُلُ الْقَدِيدَ وَقَدْ رَعَيْتِ الْأَغْنَامَ عَلَى قَرَارِيضَ"، وَرعى فِي بَادِيَةِ بَنِي سَعْدٍ عِنْدَمَا أَنْتَ بِهَ الْمَرْضِعَةُ فَأَيْنَعَتْ شَاتِهَا وَشَرَبُوا مِنْ لَبَنِهَا وَأَغْدَقَتْ الْأَرْضُ إِغْدَاقًا وَكَثُرَ الْقَطِيعُ، وَكَانَ أَجْمَلُ طِفْلِ رَأْتَهُ السَّمَاءُ وَأَجْمَلُ طِفْلِ رَأْتَهُ الْأَرْضُ، ذَلِكَ الْيَتِيمُ الَّذِي حُرِمَ الْأُمَّ وَالْأَبَّ وَالْجَدَّ وَرِيَّاهُ الْعَمَّ الْكَرِيمَ الطَّيِّبَ، فَهُوَ رَاعٍ أَيْضًا وَالَّذِي قَالَ: "كَلِّمُوا رَاعٍ وَكَلِّمُوا مَسْئُولَ عَن رَعِيَّتِهِ" وَقَالَ: "مَا مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا وَرعى الْغَنَمَ وَقَدْ رَعَيْتَهَا عَلَى قَرَارِيضَ" أَي مَجْمُوعَاتٍ كَبِيرَةٍ.

إِذْ نَ رَاعِيْنَا الْأَوَّلَ الَّذِي سَيَتَعَلَّقُ بِهِ الْوَعْدُ الَّذِي سَيُحَقِّقُهُ الْقَائِمُ الرَّاعِي الْآخِرُ، لو عُرضت عَصَاتِهِ لكانت ككُلِّ الْعِصِيَّ، وَلَوْ عُرضَ نَاسُوتُهُ عَلَى بَقِيَّةِ النَّاسُوتِ لكانَ شَبِيهًا بغيره، وَلَكِنَّ سِرَّ اللَّاهُوتِ الَّذِي كَانَ فِيهِ وَسِرَّ اللَّاهُوتِ الَّذِي كَانَ فِي عِصَاهُ مُخْتَلَفٌ، فَهُوَ مَوْعُودٌ مُنْتَظَرٌ نَبِيٌّ فِرْعَوْنَ أَنَّهُ سَوْفَ يَقْضِي عَلَيْهِ فَسَعَى فِرْعَوْنَ لِقَتْلِ كُلِّ طِفْلٍ وَلَكِنَّهُ رَبَّاهُ عِنْدَهُ، وَكَذَا فِرْعَوْنَ الزَّمَنِ الْآخِرِ يُنَبِّؤُ أَنَّ هُنَالِكَ مَنْ سَيَقْضِي عَلَيْهِ فَيَسْعَى لِلْقَتْلِ أَوِ التَّشْوِيهِ أَوِ الْمَسْخِ فِي الْأَخْلَاقِ وَفِي غَيْرِهِ، وَلَكِنَّ الَّذِي يَجِدُّ اللَّهُ بِهِ سِرَّ الرَّاعِيَيْنِ الْأَوَّلِينَ يَرَبِّي عِنْدَهُ أَيْضًا. وَكَذَا النَّاسُوتُ لِلنَّاسُوتِ، سَيُسْكِنُ اللَّهُ سِرَّ اللَّاهُوتِ فِي نَاسُوتٍ أَيْضًا يَبْدُو كغيره، وَلِئِنْ كَانَ الْإِشْرَاقُ لِأَهْلِ التَّحَقُّقِ بَادِيًا وَالحَالِ وَالْمَقَامِ ظَاهِرًا.

وَكَذَلِكَ تَلِكُ الْعِصَا الَّتِي لَا يَأْبَى أَمْرُهَا وَسِرُّهَا إِلَّا قَلْبُ مَنْ عِصَاهُ، وَقَدْ تَخَشَّبَتْ وَتَيَبَّبَتْ وَهَشَّتْ عَلَى الْغَنَمِ وَتَعَوَّدَتْ الذَّلَّ وَوَضَعَتْ وَجْهَهَا عَلَى التَّرَابِ، وَكَانَتْ تَعْضُدُ نَبِيًّا وَهُوَ لَا يَعْلَمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ، بَلْ لَعَلَّهَا كَانَتْ تَوَاسِيَهُ فِي الْأَعْوَامِ الْمَحْتُومَةِ، وَسِوَاءَ عِنْدَ اللَّهِ عَشْرَةَ أَعْوَامٍ قَالَهَا شَعِيبٌ (وَلَمْ يَفْعَلْ ذَلِكَ مِنْ تَلْقَاءِ نَفْسِهِ) أَوْ أَرْبَعَةَ عَشْرَةَ قَرْنًا، نَفْسُ الشَّيْءِ، كُلُّ الزَّمَنِ عِنْدَ اللَّهِ مَنْطُوبٌ: فَهَذِهِ الْعِصَا فِي وَادِي طُوى تُلْقَى بِهَا ثَعْبَانٌ

عظيم وأفعى ثم تصبح هي بها قوةً عظيمةً تُحَقِّق الآيات ويبهت لها فرعون ثم تُغرقه في اليم ثم تُضرب على الحجر فينبع الماء.

سوف يُضرب اليم مجدداً وسيغرق فرعون الثاني، وما هو على الله بعزيز، مهما ظهر من قوته، فرعون الذي يحكم العالم الآن ويضرب الناس بالأمراض والأوبئة ويفسد أخلاقهم، الذي يتحدى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، سيغرقه صاحب اليم بسر عبدي من عباده ناسوته كالناس ولاهوته من سر رب الناس. وكذا يكون فيه سر العصا: **يُلْقَى فِي الْحَضْرَةِ فِي لَيْلَةٍ مَوْعُودَةٍ، تَخْرُجُ أَفْعَى الرُّوحِ ثَعْبَانٍ عَظِيمٍ مَهِيْبٍ، وَيَجْتَمِعُ السَّرُّ فِي السَّرِّ وَيَسْتَقِيمُ الْأَمْرُ.**

وعليه، فإنَّ الأمر محتوم محسوم مكتوب من عند الله جَلَّ في علاه لا يُبَدِّلُهُ شَيْءٌ وَلَا يُغَيِّرُهُ شَيْءٌ، وما كان الله ليعجزه شيء في الأرض ولا في السماء ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾. وهي قيامة قبل القيامة، عِلْمٌ لِلسَّاعَةِ وَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ، وهذا العِلْمُ صاحب العِلْمِ الذي يُعَلِّمُهُ اللَّهُ وَيُجَلِّي عَلَيْهِ أَسْمَاءَهُ وَسِرِّ ذَاتِهِ وَصِفَاتِهِ، وَيُدْمِجُ فِيهِ سِرَّ اللّاهُوتِ فِي النَّاسُوتِ، وَيَجْعَلُ لَهُ الْحُكْمَ فِي الْمَلَكُوتِ بِأَمْرِ صَاحِبِ الْمَلَكُوتِ، وَيُؤْتِيهِ رَايَةَ الْجَبْرُوتِ وَقُوَّةَ الْجَبْرُوتِ، وَيُؤْتِيهِ أَيْضاً عَيْنَ الرَّحْمُوتِ، وَيَجْعَلُ لَهُ سِرّاً مِنْ سِرِّ الَّذِي هُوَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ، فَاللَّهُ جَلَّ فِي عِلَاةٍ يُسْمِعُ مِنْهُ الصَّوْتِ وَيَجْعَلُهُ عَلَى هِدَايَةِ قَبْلِ الْفُوتِ وَيَرْحَمُهُ قَبْلَ الْمَوْتِ وَعِنْدَ الْمَوْتِ وَبَعْدَ الْمَوْتِ، فَسَلَامٌ عَلَيْهِ كَمَا كَانَ وَكَمَا سَيَكُونُ وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا.

أحوال المنتظرين

الآن نترك صاحب العصا وعصاه، ونترك شر إبليس وقد استكبر على ربه وعصاه، ونترك الأمر يتم... ماذا نفعل نحن؟! نحن الذين إذا نظرنا إلى ناسوتنا وإلى ذنوبنا نحن أيضاً عَصِيٌّ أُخْرَى قَدْ عَصَتْ، تَخَشَّبَتْ تَيَبَّسَتْ قُطِعَتْ مِنْ أَشْجَارِهَا لَمْ يَخْرُجْ مِنْهَا ثَمْرٌ، وَاللَّهُ جَلَّ فِي عِلَاةٍ يَرْحَمُنَا كَمَا رَحِمَ مَنْ أَرَادَ. المنتظرون لهذه الطائفة الربانية ربما جلسوا يتعاركون ويتخاصمون: طائفة لونها أبيض لونها أحمر، تأتي من قِبَلِ الْمَشْرِقِ تَأْتِي مِنْ قِبَلِ الْمَغْرِبِ، رُغْمَ أَنَّ الْعِلْمَ الْحَقَّ أَنَّهُ كَمَا كَانَ الْمُحَمَّدُ فِي سِرِّ النَّخْلَةِ فَإِنَّ الْمُحَمَّدِيَّ فِي سِرِّ الزَيْتُونَةِ لَا شَرْقِيَّةَ وَلَا غَرْبِيَّةَ، وَلَكِنْ نَتْرِكُ هَذَا.

هذا الزمن الإنتطاري في مرحلته الأخيرة والذي مهّد له الصالحون ومهّد له الأنبياء لتكون دولة الله القائمة بسر الله دائمة، ولتتهناً به كل نفس بعشق الله هائمة وعن السوى صائمة، هذا الأمر اقترب كثيراً وتعدّد أيامه عدداً، ومخابرات العالم وأنظمته وشره وصهاينته الذين لديهم في كتبهم في التوراة بالتحقيق والتدقيق والعام واليوم والسنة، هؤلاء جميعاً يبحثون ولا يستطيعون، ينظرون ولا يرون، هؤلاء الذين نجّاهم الله مع موسى وهم شرذمة قليلة مستضعفون في الأرض كانوا أسوأ من فرعون: غرق فرعون في بحر الماء وغرقوا في بحر الظلمات ولم يخرج منها إلا من أراد الله وقليل ما هم، قِلَّةٌ نَجَتْ حَتَّى قَالَ مُوسَى أَنَّهُ لَا يَمْلِكُ إِلَّا نَفْسَهُ وَأَخَاهُ. قِلَّةٌ قَلِيلَةٌ مِنْ أَنْبِيَاءٍ وَصَالِحِينَ وَمِنْ ذُرِّيَّاتِهِمْ إِلَى الْيَوْمِ، لَا يَمْنَعُ أَنْ يَوْجَدَ فِيهِمْ صَالِحُونَ طَيِّبُونَ وَسَيَكُونُونَ مَعَ قَائِمِ آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا تَكُونُ الْأَرْضُ كُلُّهَا بِمَنْ يَعْبُدُ الْحَجَرَ وَمَنْ يَعْبُدُ الشَّجَرَ

ومن يعبد ما أفضى به جهله وما أفضى به تلاعب الأزمنة والأيام وتلاعب الشياطين ومخاتلة البشر. كل قلب طيب سوف يُستدعى لهذا العرس الرباني، لأنّ الله طيب يحب الطيب والله رب الطيبين وهو العدل جلّ في علاه، كل نَسمة طيبة. وكل قلب مُستكبرٍ مهما استخفى وتخفّى بالدين، بإدعاء التمسلف، أو التصوف، أو التسنن، أو التشيع، أو بإدعاء ما أراد، سوف يُقصف قصفاً بقوة الله.

وعليه، عَوْض أن نختلف: هل أنه ابن الإمام الحسن العسكري أم أنه آخر، هل ولد وغاب منذ زمنٍ أو ولد وغاب منذ فترة قريبة، هل غاب لاهوتاً في ناسوت أم غاب ذاتاً وصفات واختفى؟! هذا مجال لا يُجاب عنه، إنما إذا عرفنا الإجابة لا نُلزم بها من أيقنوا أنّ الحجة القائم هو من عرفوا، المهم أنّ الجميع ينتظر. وأنا في قناعتي الشخصية، عندما يأتي صاحب الأمر بإذن ربه فليُقل، سِينادي جبرائيل: "إِنَّ فُلانَ ابنِ فُلانِ وابنِ فُلانةِ ثم يسمي أجداده إلى رسول الله، هو صاحبكم الذي انطوى اسمه في سر الزمان"، فحينها على الجميع أن يُسلم، وأنا أعلم في قلبي أنّ الكثيرين سوف يعاندون ويجحدون. ولكن أياً من كان فنحن سنحب فيه أجداده ونحب فيه رسول الله ونحب فيه ربه الذي بعثه بهذا السر، أما هذا الخلاف فهو خلاف عقيم.

لنتفق على ثوابت

لنتفق إذاً على ثوابت:

- لا إله إلا الله ثابتة
- محمد رسول الله ثابتة
- مقام أهل البيت ثابت
- مقامات أحباب الله ثابتة، من أصحاب رسول الله الخُلص الكُمَّل الميامين ومن الصالحين الخُلص الكُمَّل الميامين من الشهداء والمجتبين
- ووجود إمام سوف ينقذ هذه الدنيا ثابت وإن تمكّن بعضهم من نزع الأحاديث من أسانيدها وتقزيمها وضربها، وبعضهم كتب كتباً ليثبت أنه لا وجود لهذا المهدي، كل الأحاديث موضوعة مزيفة ولا مهدي إلا عيسى. طيب سأقول له ببساطة:

هنالك آيات في القرآن

﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيَبُتُّرُوا مَا عَلُوا تَنْبِيْرًا﴾

﴿وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْكُنُوا الْأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيْفًا﴾

﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾

﴿وَفِي السَّمَاءِ رُزْقُكُمْ وَمَا تُوْعَدُونَ﴾

﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزُّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾

﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾

﴿يُرِيدُونَ لِيُظْفِقُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾

﴿وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾

عدد كبير من الآيات تشير إلى رحمة في الدنيا قبل القيامة، طيب الذي سيقود هذه المرحلة من سيكون؟

إنّ الأمة الإسلامية لو اجتهدت في العلم والتكنولوجيا وتخلّصت من اللصوص وتخلّصت من الظلم وتخلّصت من أهواء ماضيها والوضع والدسّ وما فعل الكذبة والفسقة والظلمة والمجرمين واشتغلت ألف عام، لن تلحق بركب الحضارة الغربية التي تتأمر عليها وتستعمر أرضها وتهتك أرضها وتمنع فرضها وتستعمر قدس أقداسها وتحاصر كل شي فيها وتبلى الناس ولديهم أسلحة نووية وغيرها.

ولذلك هذه لا بدّ أن تكون **غارة ربانية**. وعليه، فإنّ هذه الغارة الربانية الضرية النوعية الإلهية يجب أن تكون عليها **قيادة ربانية**، ولن تكون هذه القيادة الربانية من نسل يزيد بن معاوية، ولن تكون شخصاً قداماً من آخر أصقاع الأرض، ولن تكون مخلوقاً فضائياً Thanos في أفلام الخيال مثل أفلام Marvel. سيكون من ذرية النبي الخاتم وسيكون من ذرية أهل البيت، **وسيكون ذلك تتويجاً ربانياً لنضالات محمدية وجراحات حمزوية جعفرية، وآلام فاطمية طالبية، وما كان قبل ذلك من شأن خديجة وآمنة وعبدالمطلب وعبدالله وهاشم، وما كان من شأن سيدنا الإمام علي وسيدنا الحسن وإستشهاده وسيدنا الحسين وكربلائه** وما فيها من أهوال يشيب لها الولدان، ثم ما كان بعد ذلك في الحرة ثم ما كان بعد ذلك في فح التي أبيد فيها من سلالة النبي الكثير حتى نجا قلة منهم (جدنا المولى إدريس الأكبر)، وما كان بعد ذلك حتى صبرا وشاتيلا وحتى ناكازاكي وهيروشيما والحروب.. وكل ذلك سيأتي بأمر الله من يقيم قسطاس الله في الدنيا كما يقيم الله ذلك القسطاس في الدنيا وفي الآخرة.

سمّ هذا الرجل من شئت، اختر إسماً يليق بقلبك، وأنكر كل الأحاديث، هل تستطيع أن تنكر القرآن؟! فإن أنكرته فإنك جاحد، وإنك من قبل ذلك جاحد لأنك أنكرت أحاديث متواترة، تواترت وتواترت وتواترت ونُقلت بسلاسل الذهب.

دور المنتظرين

وعليه، فإنَّ المنتظرين دورهم عظيم. دورهم أولاً في نشر البشري السارة، وليس هذا من باب التواكل ولا من باب الخزعبلات والأحلام، ولكننا نؤمن أنَّ الله يُحيي الموتى وأنَّ كل هذه الأرض بما فيها من قبور تُبعث، وأنَّ الله خلقنا ولم تكن شيئاً وخلق العالم ولم يكن شيئاً، وأنَّ الله قدير قادر، وأنَّ الله لا يمنعه أحد عن أمر، وأنَّ الله لا يُعجلُ بأمره ولا يُؤجلُ أمره، وأنه إذا جاءت الساعة الموعودة المحتومة فإنَّ الله فاعل أمره، وأنَّ الله مُدبِّر الأمر، وأنَّ الله هو الذي أهلك عاداً الأولى وثمود فما أبقى، وأنَّ الله هو الذي أغرق فرعون، وأنَّ الله هو الذي ضرب كل طاعٍ، وأنَّ الأنبياء لم يكن دورهم فعل ذلك، ولذلك فإنَّ الأنبياء ذكروا، وكلهم بشروا بمُحمَّدٍ والمحمدي.

ولذلك بين النخلة والزيتونة، بين النخل الجنوي المدني وبين زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار، فيها مشكاة والمشكاة فيها مصباح والمصباح في زجاجة، **زجاجة ناسوت فيها سر لاهوت**، هذا الأمر الذي لا أريد أن أفصله، إنَّ ذلك يقييني، وإنه أمر الله وإرادة الله وقدرة الله وفعل الله، وإنها مقامات رسول الله حتى يعرف الناس مقامات هذا النبي العظيم، حتى تشهد الدنيا كلها أن لا إله إلا الله وأنَّ محمداً رسول الله، ويُبطن في ذلك أنَّ عيسى رسول الله وأنَّ موسى رسول الله، وأنَّ الأنبياء كلهم إخوة وأنَّ بني البشر كلهم إخوة إلا من أبي واتبع سبل الشياطين، وأنَّ الله مُتمَّ أمره وأنَّ الله مُنجز وعده، وأنَّ الله محقق لرسوله ما بشره به في الدنيا قبل الآخرة.

من الذي يمنع ذلك، ومن يستطيع أن يوقفه، وهل قوة البشر كلها إلا قطرة أمام قدرة -لا أقول أقل- ولكن قدرة أي جندي من جنود الله الرفيعين؟! فليس فيهم أدنى وليس فيهم أقل بل فيهم أعلى ومن أعلى، الملائكة ليس فيهم أدنى، أعلى ثم أعلى منه، هكذا حتى نصل إلى مقام العالين جبريل وإخوته وبعض ممن نطوي ذكرهم.

لذلك أيها الأحباب زمن الإنتظار لن يطول طويلاً، دونه بلاءات كثيرة ودونه فتنة تديرها شياطين البشر، وهم يعرفون وهي حرب عقائدية، يُفسدون ينشرون الشذوذ والإلحاد والفساد والإرهاب والقتل والأمراض، يدمرون هذا الكوكب الذي يتنَّ يببسون كائناته، ولكنَّ الله جلَّ في علاه غالب على أمره وسوف يُظهر أمره.

إن كنت تسمع هذا الكلام وتعيه وتوقن به، فإنك ستنظر لنفسك نظرتين: **نظرتك الناسوتية** إلى العصا وما تعلم من مسيرتها وهي على الأرض تخط، فكم مسَّت من شيء سيء وكم مسَّت من شيء جيد، تحتاج إلى تطهير. ولكن الذي لا تراه هي الأفعى المقيمة داخل العصا، هو **سر اللاهوت** الذي في قلبك، ذلك الذي يأتيك بأصوات: نُب إلى الله، فم واذكر الله، صلَّ على رسول الله، أحبَّ الله، يُلقي في قلبك الرأفة بخلق الله، بأتيك بتلك الدمعة، يأتيك بتلك السجدة، يأتيك بتلك الرأفة، ذلك الصوت الذي يأتي إلى قلب الأم لترأف بوليدها، إلى قلب الأب ليرأف بابنه، ذلك الصوت الذي يأتي إلى قلب المولود ليرأف بوالده، ذلك الصوت الذي يأتي إلى قلوب الخيرين ليفعلوا الخير ويزدادوا خيراً، ذلك الصوت الذي هو صوت رباني لأنَّ الله يحول بين المرء وقلبه.. وعليه، فالله قريب من كل قلب، **فكما يحول فإنَّ سره إلى كل قلب طيب يؤول ولا يزول**، وذلك من نور وسرِّ ربنا **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** الذي يُحَيِّر العقول، وذلك من مجالي

ومقامات سيدنا الإمام الرسول، وآل بيته ولا سيما مولاتي البتول، التي انتقلت إلى ربها بدمعة حزن ودمعة بُشرى، اللهم صلّ على فاطمة وأبيها وبعلمها وبينها والسر المستودع فيها، والمهدي هو السر المستودع فيها.

ولذلك المنتظرون عليهم واجبات: تبشير الناس بهذا السر وهذا النور، وأنا أثني على عمل أخي الحبيب العلامة الدكتور محمد عيسى داوود والإعلامي اللامع محمد عيسى إبراهيم فيما يقومون به في هذا البرنامج الرائع "خارج الحدود" وهو خارج حدود التوقع وخارج حدود الشر، إنّ العالم الآن يستحکم فيه الشر ولكنّ الله غالب على الأمر. وكذا أثني على كل محب وكل داع بالحق على اختلاف المذاهب بل على اختلاف الديانات. وكذا أحيي أحبتي في منبر النور ومنابر النور التي جعلناها منابر إن شاء الله يكون فيها الخير والنفع، وكذا كل من يتابعني الآن وكل من يظن بنا خيراً.

إنا إذا تكلمنا ما تكلمنا، إنما ذلك النور وذلك السر وذلك اللاهوت يخترق هذا الناسوت فينطق بما ليس من مقامه وبما ليس مما يدّعيه لنفسه. نحن غبار نعل رسول الله وغبار أقدام السادة أهل البيت، غبار نعل فاطمة ونعل عليّ وغبار نعل الحسن والحسين، وغبار أقدام الصالحين جميعاً، نتشرف بأنّ أقدامهم فوق رؤوسنا وعلى وجوهنا وأن نكون تراب أرجلهم، نتشرف وتتكرم ونعتز أن نكون تراب رجل رسول الله ولو لثانيتين. ومن أبي واستكبر وطاول المقام فما له من مقام، وسوف يقضي عليه الإمام أو رب الإمام، هنا أو هناك. كل من طاول مقام رسول الله ومقامات أهل البيت السامقة العظيمة الشامخة ومقامات الصالحين، فمصيره معروف معلوم وهو محجوب مذموم ومسكين محروم.

واجبات المنتظر

لذلك المنتظر عليه أن ينتظر ولكن بالعمل: رَقِّ نفسك، رَقِّ قلبك، دَرِّب جسمك إن استطعت، إقرأ جيداً، إملأ قلبك حباً لا كراهية، دعك من الصراعات المذهبية ستنتهي كل المذاهب وكل الأديان إلا "لا إله إلا الله محمد رسول الله" على معناها المحمدي النقي الأصيل الذي لم يشبه شوبّ والذي ليس فيه دَسُّ داسّ ولا وضع واضع ولا تلاعب إسرائيليات ولا تلاعب حكام ظالمين ولا خيانات ولا تأمرات ولا شيء من ذلك، على المَحجة البيضاء المحمدية الحقيقية العلوية الربانية الرحمانية الحقيقية، "من كنت مولاه فهذا علي مولاه"، وهذه ولاية علي تتم بأمر الله بالمهدي الذي يقول "إنه أبي" وكذا يقول "إنه أخي"، فهما في عالم الروح من شجرة واحدة كالتوأم وهما في شجرة الدنيا هذا من نسل ذاك، وهذا سرٌّ آخر.

المنتظر عليه أن لا ينتظر جالساً في بيته، كل نجاح تحقّقه في حياتك هو إنجاز لهذا المشروع الرباني، كل تفضن لمؤامرات شياطين البشر هو نجاح لهذا المشروع الرباني، كل صلاة تصلّيها على رسول الله هو نجاح لهذا المشروع الرباني، كل ذكر تذكره لله، كل صلاة فجر هي ضربٌ للشيطان وضربٌ لأعداء الإنسان، كما جلست متوسلاً لله أن يلطف بالناس، ويكون مثلك كأمثلة الصالحين كمثال معروف الكرخي عندما رأى تلاميذه مجموعة من الشباب يسكرون ويرقصون ويضحكون قرب دجلة فقالوا "يا شيخ أدع عليهم"

قال: "اللهم كما أسعدتهم في الدنيا أسعدهم في الآخرة" فقالوا "سألناك أن تدعو عليهم فإذا أنت تدعو لهم" قال: "إذا أسعدهم في الآخرة أصلحهم في الدنيا ولم يضرهم من ذلك شيء"، فسمع الشباب بذلك فأتوا وتابوا على يديه. فلنكن بهذا المثال بهذا النموذج.

لا تنظروا إلى الذنوب وانظروا إلى القلوب، وكذا قالت الروح الخضراء لهذا القلب:

- "أنتم تنظرون بأعين الذنوب ونحن ننظر بأعين القلوب"
- "الناظر بعين القلب سالب والناظر بعين الذنب مسلوب، الناظر بعين القلب حاجب والناظر بعين الذنب محجوب"

إنَّ الله يغفر الذنوب لمن أراد ولو أتيت به بقرابها خطايا "أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه إذا ذكرني، ولو أتاني بقراب الأرض خطايا لأتيت به بقرابها مغفرة".

عليكم أن تتصلوا بسلاسل النور الربانية المحمدية، بسلاسل أهل البيت الفوق مذهبية، إذا قلنا آل البيت لا تصفوا ذلك مذهبياً، ومن أبي واستكبر فهو مريض قلب لا تسمعوا له ولا تسمعوا منه، واحذروا أدياء المهدوية.

المهدي كائن غامض مطلسم

المهدي كائن غامض مطلسم، حوى من سر ربه قوى جبروتية لا يمكنكم تخيلها، وعلوماً وفهوماً، ينطق بكل لغة ويعرف سر كل شخص ويستطيع أن يعرف السلالة كلها، له من الله ما له من الله، والله ما علوم أينشتاين و Max Planck و Stephen Hawking وكل هؤلاء العلماء إلا ذرة من قطرة من بحره. فأَيّ دعيّ اليوم يتكلم ويتمشّدق ويقول لك أنتظر الإصلاح، المهدي لن يُعرّف على نفسه إلا لِقلة في الزمن الأول، هنالك من يعرفه بنور الله وهنالك من يعرفه بالصحبة، وهو منحجب عن ذلك لأنه في قلبه غصّة على أهل البيت، هذا الحكم الذي كان بالدم والذي دفع ثمنه الحسين من دمه، أنتم لا تعرفون ما الذي جرى لإبن فاطمة يومها وكيف اهتزت الأرض والسماء لأجل ذلك، لا تعرفون ذلك الصبر كيف أن الله أراد أن يرى الحسين شهيدا.

لذلك عندما رأى سيدنا إبراهيم في الرؤيا أنه يقتل ابنه (همم بذبحه)، كان المعنى الحقيقي أن بعض ذريتك يقتل بعضهم، وكانت الإشارة: ﴿قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي﴾، فكان الجواب: ﴿قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ فكان من ذريته قتلة ظالمون، ومن ذريته صفوة ممن ورثوا إمامة إبراهيم. ولذلك كان ذبح إسماعيل قدراً يُطبّق على أحد ذرية إسماعيل، ولا يفتدى نبي إلا بنبي أو ابن نبي، لا يُفتدى بكبش، الكبش مجرد رمز، عيد الأضحى مجرد رمز، الكبش الحقيقي هو الحسين بن علي، الذبح العظيم ﴿وَقَدَّيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ﴾، هل كبش يساوي نَفَسَ نبي، وهل يساوي ذبحاً عظيماً؟! لذلك قالت السيدة زينب الصابرة عَلَيْهَا السَّلَامُ وهي تقف على جسد أخيها المُسَجَّى: "اللهم تقبل منا هذا الذبح العظيم"، "ما رأيت إلا جميلاً". وقال الحسين ليلتها: "لو شاء ربي لقاتلتهم بهؤلاء"، قبل أن تتكلم كتب السفن وقبل

أن تتكلم كتب العلم وقبل أن يقول الكتاب اليوم واللجان اليوم ذلك، كان ذلك مشهد حسيني، لأنّ الحسين يعلم أنّ تلك المجموعة الربانية التي ضريت صاحب الفيل وضريت قبل ذلك لم يأت أوانها بعد، وأنّ الله أحبّ أن يراه شهيداً، أراد أن يُظهر لملائكته حال عشاقه الحقيقيين، وكأني بكل ملك تمنى ذلك، أراد أن يُري حور العين ما هو أجمل من حور العين: صبر الحسين، أراد أن يُري رسول الله عظمة سره في ولده وذريته حتى الأطفال والنساء.

وهذا الأمر سيكون في قلب هذا الإمام وفي عقله، لا تظنوا أنه يفرح بالدنيا والدنيا كلها لا تساوي عند الله جناح بعوضة، إنما حق يقام بسر هذا الإمام.

فأين أذعيا المهدوية ومن هذا الذوق من هذا الفهم؟! الذين تشريت عقولهم الوهم، وأتوا في الباطل بكل سهم، وليس فيهم برٌّ ولا تقِيٌّ ولا شهيم، هؤلاء سيُسحقون بالمعنى اليوم ويُسحقون بالمبنى غداً، وسيتمنى كلُّ منهم أنه لم يقل ذلك ولم يدع ما ليس له ولم ينتحل ما دفع محمد من دمعه وصبره وحزنه على عمه أبي طالب وعلى امرأته وحبيبته وأم ولده وحُبابتِه خديجة بعد حصار الشعب، وما ابتلي به في الطائف وما كان من فراق أمه وأبيه، وما كان بعد ذلك من جدع أنف عمه "أما حمزة فلا بواكي له"، وقطع يدي جعفره، وعلمه بما سيكون وتأمّر المتأمرين عليه في حياته وبعد ذلك، وهو الذي قال "إِنَّ مِنْ أُمَّتِي مَنْ يَقْتُلُ وَلَدِي" و "سيلقى آل بيتي بعدي بلاءً شديداً وعنثاً كبيراً"، كان يرى السبايا إلى دمشق وكان يرى الدموع والدماء وجاءه ملك القتل، وهذه أحاديث.

لذلك هذا النبي الكريم وهؤلاء الآل الكرام، وهذه الأمة المُبتلاة، وهذه الأرض التي تنسّ والتي انقرض الكثير منها ومن حيواناتها، ولكنّ الله جعل خزينةً مما اطلع عليه Richard Byrd في رحلته قبل عملية الوثب العالي سنة خمسة وأربعين، قارة جنوبية فيها ما فيها مما يعيد الله به كل حيوانات هذه الأرض التي انقرضت، ولكن هذا باب آخر، لله الأمر كله.

وعليه كي لا أطيل عليكم، إن كنت تنتظر، فابن المطار في قلبك، يجعل قلبك مطار هذه الطائرة، اذكر الله ذكراً كثيراً واطلب الله أن يلطف بك، أطلبوا اللطف لأنّ البلاء شديد ولأنّ الشياطين في حالة هيجان شديد جداً تُحرق وتُخرّب وتضرب، كما ترون الرئيس المتخلي في أمريكا هو رمز للشيطان، الشيطان الآن في حالة إحتقان: إختار الله الخليفة الجديد، والسيف الذي كان حديداً نورانياً وأنزله الله بعلمه ﴿وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ﴾ والذي نسي نفسه وصار قطعة حديد وعلاها صدأ فأعيد بمطرقة القدر وسندان التجارب في أوار نار العشق. فمن شاء أن يرى أنه ذلك الطفل محمد بن الحسن العسكري عليه وعلى أبيه وأجداده السلام هو القائم القادم فله ذلك، ومن شاء أن يراه وُلِدَ في وقته وأنّ الله يُصلحه ويُبدّله ويعيده فله ذلك، من أراد أن يراه كاملاً من ولادته إلى وفاته فله ذلك فهو كامل الروح والحال، ومن أراد أنه يمرّ بتجربة ناسوتية فيها تجارب وخبرات مختلفة ثم يُكمله الله ويُزكّيه فله ذلك. في المجمل والملخص سوف يكون وسوف يظهر بين الركن والمقام، ويكون ذلك بإعلان جبرائيلي وسيكون فيه آيات عظيمة.

خاتمة

إلى ذلك الوقت القريب إن شاء الله دورنا أن ننشر البشرى وأن نقول "قم زين الدنيا بنور محمد"، وأن نسأل الله أن يدلنا علينا. إذا دَلَّكَ اللهُ عليكِ دَلَّكَ اللهُ عليه وعليهم وجعلك دليلاً لغيرك، فإِسْأَلِ اللهُ أن يدلَّكَ اللهُ عليكِ، إعرف من أنت. وأن تعرف من أنت، فقمه ذلك أن تعرف أنك عبدٌ ثم أنك خادم، عبدٌ لله وخادمٌ لرسوله. فإذا استوت فيك العبودية الحقيقية والخدمة الحقيقية مهما طال زمن الانتظار، تنتظر وتطوّر نفسك، تدرّب نفسك، تُعدُّ قلبك، وتطمع في ذلك المقام. ناسف فدونك سقف النبوة: كل من ادّعى النبوة فهو دجال، ودونك سقف الإمام أيضاً: كل من ادّعه فهو دجال، ولن يقول عن نفسه أنا فلان حتى يقول جبريل، حتى لو تيّقن الناس من ذلك، إلا لقلّة من خُلصه هذا موضوع آخر.

وعليه، نسأل الله الثبات في هذا الإنتظار ونسأل الله أن نلقاه وهو راضٍ عنا، وأن لا يبتلينا بما ابتلى به غيرنا، وأن يرحم شامنا وعراقنا ويمننا وأرض ليبيا، وأن ينقذ هذه البلاد إفريقية، أرض الزيتونة جامع الزيتونة، والزيتونة لها سرها بين سيدي علي بن زياد والإمام مالك والإمام جعفر الصادق، هكذا بسلسلة الذهب، وهي سلسلة كانت في مشهد الإمام الرضا في مرو وهو ماضٍ إلى نيسابور: سمعت أبي يقول (يذكر عن آباءه) سمعت أبي موسى الكاظم يقول سمعت أبي جعفر الصادق يقول سمعت أبي محمد الباقر يقول سمعت أبي علي زين العابدين يقول سمعت أبي الحسين يقول سمعت أبي علي يقول سمعت رسول الله يقول سمعت جبريل يقول سمعت الله يقول "لا إله إلا الله حصني ومن دخل حصني أمن عذابي" ثم إذا مضى الركب قال: "بشروطها، وأنا من شروطها"، لأنّ من شروط "لا إله إلا الله" الحقيقية أن تؤمن برسول الله ومقامه وأن تحب آل بيته وأن تحب الصالحين جميعاً.

ختام هذه الكلمة المرؤحنة هو دعاء لكم جميعاً أن تكونوا ممن يشهد هذا المشهد العظيم ويكون له فيه دور. وإلى ذلك اليوم الذي يُبَيَّنُّ على كل قنوات الدنيا وقنوات الآخرة ويكون يوماً مشهوداً معلوماً مُرتَقِباً يقينياً، هنالك عمل علمي ومعرفي وأكاديمي، وعمل روحاني وقلبي وجسمي أيضاً، تدريبات الجسد والنفس والعقل والقلب والروح، ترقّي المعرفة "وعلى قدر الترقّي يكون التلقّي" كما ذكرنا في كتاب <<إشراقات>> و"التجلي على المجلي وما عليك سوى التخلي"، عليك أن تتخلى عن كثير من عنادك، تخلى حتى عن ذلك اليأس من رحمة الله، لأنك إذا اكتفيت بالنظر إلى الذنب سوف تشعر بذلك الضيق، إعلم أنّ لك ربّ كريم ونبيّ بالمؤمنين رؤوف رحيم.

وصلى الله وبارك على جدي ومولاي وسيدي وإمامي محمد وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين الذين نحن غبار أرجلهم وأقدامهم نُقَبِّلُ تلك الأرجل والأيدي الطيبة، ونسأل الله أن يبعثنا تحت لوائهم وأن يجعلنا مع قائمهم وأن لا يحرمنا نظرة إلى وجهه يكون كل حور الجنة وكل الجنة محض نقطة أمام ذلك الجمال، إننا نعشق الخالق ويعشقنا ما خلق.. والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

الحاضرة بتاريخ: 18-01-2021



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

التأمل الخامس عشر: الإله الفيزيائي والرد على الملاحدة

- وشيء من علوم الإمام المهدي وملاح شخصيته -

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد نبي الهدى ونور المدى، خير من دعا إلى الله وخير من هدى، الذي جاهد في الله وما ضاع سعيه سدى، أحببنا في الله السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. بالصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد وبالرضوان على أصحاب سيدنا رسول الله وبالسلام على الصالحين أهل الله وخاصة الله وأهل قربه وودّه والأنس به نستفتح هذه التأملات والتي سنخصصها عرفانياً لمصطلح أشتغل عليه منذ سنوات وهو ما سمّيته "الإله الفيزيائي". وهذه الكلمة تعني أنّ الله جل في علاه وهو إله الكون هو الإله الذي خلق الكون هو الإله الحق، يجاوز المعنى مباحث العقيدة والشريعة وعلم الكلام والتصوف والفقهاء إلى العلوم كلها، بمعنى أنّ أهل الإيمان والإسلام المؤمنين بهذا الإله الواحد أن يعملوا على نشر هذه المعارف ولكن **بمواجهة التحديات العلمية والرد عليها من قبيلها**، أن يُجاب عن كل طرح وعن كل إشكال من قبيل ذلك الإشكال.

وعلى سبيل المثال فإنّ الإلحاد اليوم يعمل ويشتغل على مبحثين أساسيين، وثمة مبحث ثالث يُنسب نسبة أشتغل عليه فترة ثم تُرك.

المبحث الفلسفي للإلحاد

المبحث الأول هو المبحث الفلسفي. منذ الفلسفة الوضعية (كانط) وبعد ذلك عندما ظهرت الشيوعية والإشترابية وكارل ماركس أنّ الدين أفيون الشعوب، هذه ردة الفعل التي أخذها فلاسفة التنوير ومن جاء بعدهم بسبب ضغط الكنيسة وقتلها للعلماء وتقتيلها لهم وقتلها للعالمات، ومعروفة القصص الكثيرة مثل عالمة الإسكندرية التي أُحرقت حية وقتل غاليليو وغير ذلك من الأمور، واتهامهم بالسحر الهرطقة، وكذلك رفض كل المكتشفات حول الكون وحول الحقائق والتي كان فيها تحريفات في بعض الكتب التي نُسبت كذباً وزوراً لله جل في علاه وإلى السيد المسيح، وهذا سبب وتسبب في شرح عميق لدى المجتمع الغربي أنّ الدين يرمز للتخلف يرمز لتسلط رجل الدين يرمز للإقطاعية...

وعليه، تمّ التخلّص من هذا ومضى المجتمع الغربي نحو اللاتكنية (وليس فقط العلمانية)، اللاتكنية هي العلمانية الفرنسية التي تعني الحرب ضد الدين تعني القطع كلياً مع الدين ليس فقط الفصل بين الدين والسياسة وهو مصطلح علماني، ولكن الفصل بين الحياة ككل وبين السياسة. وهذه المدرسة أثرت في دول كثيرة عربية في مراحل ما مثل تونس بعد الاستقلال كان لديها شيء من هذا التوجه، وكان على سبيل المثال مسعدي هو كاتب كبير ولكنه كان يُصاب بالغثيان إذا رأى اسم جامع الزيتونة أو باباً عليه مثل هذه المسائل وإن كان بعد ذلك غير وندم عن ذلك وفق ما قرأناه عنه.

المهم أنه هذه الإشكاليات بدأت إذاً بطرح فلسفي حول الوجود وردة فعل غربية عقلية عقلانية عن كثير من التصرفات التي كانت تمارسها الكنيسة وكثير من الموضوعات والمدسوسات: أنّ مجرة درب التبانة مجرد نقاط من الضوء، أنّ الأرض معلقة إلى غير ذلك... جاء نيوتن ووضع الثابت الكوني ونظر إلى الكون، جاءت ثورة اقتصادية وعلمية ومعرفية في القرن التاسع عشر، دخل العالم في حروب واستعملت أسلحة جديدة، ثم جاءت نظريات أخرى: نسبية أينشتاين حول الكون ونظريته والتي غيرت الكثير، ثم ماكس بلانك وكارل ساغان وهذه المجموعة من علماء الكم الذين أيضاً أعطوا بُعداً آخر، ستيفن هوكينج الذي أيضاً أعطى بُعداً آخر، ولكن للأسف بعد الاستعمال الفلسفي للإلحاد. هذا يمكن أن يناقشه علماء اللاهوت والفقهاء، بحكم أنّ الفلسفة قريبة منطقياً جدلياً فيها شيء من علم الكلام فيها شيء من الحكمة فيها شيء من الجدل فيها شيء من مقارعة الحجة بالحجة فيها رجوع إلى ما كان في دولة الإغريق من قبل حول أصل الكون الهيولة أو إن كانت الماء أو إن كانت الهواء وما كان يعيشه أفلاطون وسقراط وأرسطو وما كان من كان قبلهم من الفلاسفة الأوائل.

ولذلك أعتقد أنه لا إشكال في النقاش الفلسفي، إذا وجدت ملحداً لديه نقاش فلسفي هذا يمكن أن يكون نقاشاً ثرياً.

توظيف الإلحاد بشكل جديد

ولكن عندما تمّ توظيف الإلحاد بشكل جديد بقفزة نوعية بدأت بعد هزيمة الصهاينة في حرب تموز، ويمكن لمن لديه بعض النّفس الإستراتيجي أن يفهم لماذا هذه الإنطلاقة وإظهار من سُمّوا بـ "فرسان الإلحاد الأربعة". في أواخر الشهر الحادي عشر من سنة 2006 بعد هزيمة الصهاينة، إنطلقت حملة الإلحاد الجديد، تزعمها تشارلز دوكنز صاحب كتاب <<وهم الإله>> والذي عملت مؤسسات صهيونية كبيرة ليكون أكثر الكتب مبيعاً، كان أكثر كتاب مبيعاً وظهر في العالم ككل، وظهرت برامج وثائقية وتمّ توظيف الداروينية. حتى عندما وُجِّهوا بمسألة التصميم الدقيق قال دوكنز أنه "تصميم أعمى"، وبدأ يشتغل على ذلك مع دانيال دينيت وسام هاريس، هذه المجموعة سُمّوا فرسان الإلحاد الأربعة أخذاً من الإنجيل "فرسان القيامة الأربعة". وصاروا حتى يكترون الحافلات في لندن على سبيل المثال ويكتبون عليها "لا وجود لإله"، رفعوا قضية على كلمة "نحن نثق في الإله" الموجودة على الدولار ولكنهم خسروا ذلك، رفعوا قضايا على كل مدرسة تريد تعليم التصميم الدقيق أنّ هنالك تصميماً مثل صانع الساعات الدقيق، وهنالك صراع كان بين برهان والاس وبرهان داروين في مسألة النشوء والتطور. المهم أنهم أخذوا جانب دارويني وأضافوا إليه، داروين لم يقل أنّ الإنسان أصله قرد، هم أخذوا هذا الأمر وضاعفوه وفعلوا أفلام ووثائقيات حتى صار الأمر حتمياً، يعني حتى في مدارسنا: الإنسان كان قرداً وكان يبحث عن النار وتطور وتطور، وكان قمة رقيته هذه الكائنات المريضة الملوثة التي تمارس كل أنواع الشر والشذوذ والفساد!! هي قمة رقي كونية، نشأة إنفجار عظيم نجوم أولى ثم بعد ذلك نجوم ثانية ثم بعد ذلك مجرات وغير ذلك من أمور وكواكب نارية صهارية ونيازك وغير ذلك، نشوء حياة عجيبة جداً، كيف بدأت نشأة الحياة من الذرات والإلكترونات الغير حية إلى الخلايا الحية، قفزة غير ممكنة غير معقولة، وبعد ذلك الإنفجار الكميثيري (كما سُمّي) أي منذ مائتي مليون سنة ظهور عدد كبير جداً مهول من الثدييات ومن أنواع النباتات ومن أنواع الزهور وغيرها والأشجار، تغيّرات كبيرة جداً حدثت من أحجام الديناصورات وأشكالها إلى ما ترون اليوم، من أحجام النمر القديمة إلى ما ترونه اليوم، وجدوا مستحاثات لمن يشبهوا البشر، ربطوا الأمور بسلسلة وهمية مخادعة، عندما إنسان Neanderthalensis هذا لم يجدوه أخذ أحدهم نحت جمجمة قرد وأخذ جائزة من ملكة بريطانيا، ثم اكتُشف أنّ لديه في بيته مقبرة كاملة لجماجم القروود وسُحب منه ذلك الوسام، يعني أخذ وسام نبيلاً جداً!!! هذه اللعب كلها صارت كأنها حتمية.

وكان تتويجه مع هؤلاء المجموعة التي تُسمّى فرسان الإلحاد الأربعة، أنصح بقراءة كتابي فيه إن شاء الله سأشره كاملاً بينكم، فيه ردود علمية على كل نقطة ذكروها. ركز دوكنز على مسألة البيولوجيا ومسألة أنّ الإنسان في تصميمه الجيني في جيناته في تركيبه في كل شيء هو كائن متطور من وجود عبثي وتطور أعمى قاسي يأخذ فقط بعض الكائنات والبقية يقوم بإعدامها، وأنه مرة في محاضرة قال عندما سُئل عن مسألة بداية الكون قال "فجأة حدثت المعجزة، لا نعرف كيف ولكن فجأة من اللاشيء أتى هذا الوجود دون شيء، تطور وصار فيه هذه الكائنات"، مثل أن نقول أنّ هنالك منزلاً وفجأة ظهر أثاث في ذلك البيت، فجأة تطورت الطاولة صارت كرسي، يتطور الكرسي صار شاشة تلفاز، وُضعت فيه البرامج التلفزيونية ورُتبت فجأة وبمصادفة عمياء، ثم وُجدت برامج الفيسبوك فجأة، والبث المباشر وكاميرا وضوء وأديسون وكله هذا ونيكولا تسلا كل هؤلاء العلماء فجأة، وبعد ذلك جئت أنا أجلس بينكم هنا وأنكلم ويُبثّ هذا

الأمر أيضاً بصدفة وبنظم معقدة جداً في البث وفي تصميم الأرض كيف هي مصممة حتى يتم البث إلى غير ذلك... صدفة. هل يصدق هذا عاقل؟!

إذن هم يستحقون بعقول الناس ويروجون لهذه المسائل، ولكن نقطة قوتهم الأكبر أنهم أوقعوا رجلاً مهماً جداً في الفيزياء النظرية والكونية وهو ستيفن هوكينج، وهذا الرجل كان معروف أن لديه إعاقة شديدة جداً وآلام كان يعيشها وربما ذلك من أسباب وقوعه، حتى أنه قال: "لقد طرد داروين الإله من عالم البيولوجيا، وجاء دوري لأسد الضربة القاضية وأطرده من عالم الفيزياء الكونية". وبسؤاله: كيف ذلك؟! قال: الحل بسيط، الكون يستطيع أن يوجد نفسه من تلقاء نفسه دون حاجة لخالق عبر الجاذبية. طيب نسأله: **ومن خلق الجاذبية؟!** من أوجدها من فعلها من طورها من أحدثها؟! هل أنك إن جعلت أرقاماً، كتبت مثلاً 100 ألف طائر و50 ألف سمكة ثم وضعت هذه الورقة على طاولة، تخرج تلك الكائنات أمامك؟! إذن هل أن كتابة بعض الحسابات، هو اشتغل على نظرية M يعني نظرية كل شيء وجمع بين القوة النووية الشديدة والضعيفة والكهرومغناطيسية ولكن عجز عن دمج الثقالة أو الجاذبية، ولم يفهم المادة السوداء ولن يفهمها، ولعله الآن بعد أن توفي أكيد هو يعرف الحقيقة وهو في عالم يقول فيه أهله **﴿قَالَ رَبِّ ازْجِعُونِ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ﴾** **﴿كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾** والله عليم بقلوب خلقه.

العوالم المندغمة

المهم أن وجود هذا العالم الكبير في صفوف الملاحدة شكّل لهم قوة كبيرة، شكّل لهم زخماً ودفعاً بحكم أن لديه سُمعة كبيرة، رغم أن نظرياته متهافة مثلاً: الأكوان المتوازية لم يفهمها لم يفهم **الاندماج البُعدي** الذي كتبت عنه في **<<البرهان>>** كيف أن العوالم تندغم في بعضها دون تماثل مثل اندغام الماء مع الضوء دون أن تبطل فوتونات الضوء دون أن تتكهرب الماء، ولكن إذا حرّكنا الماء بسرعة صار كهرباء وإذا حولنا تلك الفوتونات إلى نوع من الأشعة سببت غليان الماء، وهذا سمّيته **"التفاعل البُعدي"** أو السببي، وكلمة "سبب" في القرآن تعني بُعد، **﴿أَتَّبِعْ سَبَبًا﴾** أي قفز بُعدياً، وكلمات أيضاً كثيرة في القرآن شرحناها. ومن بين أدلة ذلك المعقبات **﴿مَنْ بَيْنَ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾** أين تراهم؟ أين هي الملائكة الآن؟! هي في بُعد آخر موازي لكن مندغم، ولا تتصادم مع الشياطين **﴿إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾**.

هذا علم الحمد لله شرح الله قلوبنا لذلك منذ 2006، ولم نشرحه ولم نوصله للناس بحكم أن الوقت لم يكن بعد، وسنبداً في شرحه. وله علاقات بأطلانتيكوس وبالأهرامات وتوظيفها وأمور كثيرة تصل إلى قناة الزمان والمكان وبرمودا وما يحدث فيها، بحر الشيطان وما يحدث فيه، خروج غواصة روسية من محيط إلى محيط في دقائق، طائرة من إسبانيا كيف فعلت ذلك... وهذه راجعوا كتب **<<أغرب من الخيال>>** للدكتور راجي عنایت وهو رجل موثوق وما كتبه كان صحيحاً ودقيقاً ويمكن تتبع المصادر التي أتت منها، ولكن الدول الغربية تُغلق وتُحجم. ويدخل في هذا القفز البُعدي لدى السفن الفضائية وإمكاناتها، كيف

تقفز في الماء ثم تغادر إلى غير ذلك، ويدخل فيه أيضاً التباطؤ، ويدخل فيه علم الزمن وما حدث لطعام العزيز، يدخل فيه جلب عرش بلقيس من قبل الخضر عَلَيْهِ السَّلَامُ وإن كان قيل أنه آصف ابن بلخيا وهو لم يكن اسمه آصف هو ظهر فجأة.

وكذلك يدخل فيه مسائل أخرى ما سُمِّي جسر أينشتاين-روزوين أو الثقوب الدودية، يدخل فيه بحث كبير حول الثقوب السوداء والنجوم النيوترونية وحول أيضاً إلكترونات كيف تتحرك كيف تنسق الدوران المغزلي الذي يجب أن يكون ثنائياً يميناً ويساراً وكيف أنه إذا اختار إلكترون مداراً مغزلياً معيناً يختار الثاني مداراً معاكساً له ولو كان بينهما مسافة الكون، هذا سُمِّي التواصل الشبكي ولكن أينشتاين رفضه وقال هو تواصل شبكي أو تشابك شبكي، وإن كان يُسَمَّى التشابك الكمي. **والإلكترون عندما لا يُنظر يكون في كل مكان** (كما تقول نظرية فيزياء الكم) **فإذا نُظر اتخذ مكاناً**-وهذا أيضاً من الحقائق- **فما بالك بالذي يرى كل شيء وهو يتحكم في كل شيء؟! لأنّ النظرية تقول أنه من تمكّن من رؤية كل إلكترونات هذا الوجود يستطيع أن يتحكم في طبيعة الوجود في نسيجه. وأيضاً في مسائل الزمكان ومسائل انبعاث المكان وانطوائه الذي تكلم عنه أينشتاين وناقضه في ذلك نيكولا تسلا وكلاهما أصاب في جانب، وتجربة K9 التي أرادوا أن يحولوا سفينة من مكان إلى آخر ولكن حدثت مصيبة لهم، لم يفهموا النقل البعدي أنّ **البوابة تنفتح** وليس المادة تتحوّل إلى طاقة ثم تعود إلى مادة، ولو كان ذلك هو يحدث للملائكة وبعض أصحاب القدرات التشكّلية، لكن المادة الثابتة الصلبة توضع في قناة. وهذا يدخل في إطاره الإسراء والمعراج، الإسراء بذات رسول الله لم يتحوّل إلى طاقة بقي على حاله، أدخل بوابات تحافظ عليه ضمن تسارعات كبيرة جداً يمكن أن نحدّثكم عن بعضها وهي أضعاف أضعاف المليارات المرات سرعة الضوء. وكذلك إذا الملائكة قاموا بالانتقال البُعدي يتحوّلون شكلاً لأنّ لديهم القدرة على ذلك، يتمثلون ﴿فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾ أو جاء إلى سيدنا إبراهيم في شكل وتسوّروا على سيدنا داوود المحراب في شكل آخر وجاء إلى رسول الله يكلمه عن الإيمان والإحسان والإسلام في شكل آخر ورُبِّي في شكل دحية الكلبي إلى غير ذلك...**

إذن أنا أتيتكم بمعلومات كثيرة جداً والأکید أنها تحتاج كلها إلى شروحات، ولكننا نلّم إماماً ونقدّم نقاط تحفيزية للعقول حتى نهَيّ أنفسنا لمرحلة سيكون كلامي هذا مثلما يصف أحد البدائيين القمر أو يصف طائرة تمر فوق رأسه. هذا الكلام مقارنة بعلوم الإمام المهدي عَلَيْهِ السَّلَامُ هو كلام بدائي جداً رغم أنه يبدو كلاماً كبيراً.

محااربة النفس الإيماني

بالنسبة للمسألة الأولى في الإلحاد هي الفلسفة، الثانية وظّفوا علوم بيولوجيا، الثالثة وظّفوا الفيزياء الكونية، وأوقعوا ستيفن هوكينج، ولكن هنالك من هو أخطر منه وهو الذي أوقعه وكان يصادقه وهو نيل ديغراس تايسون. وهذا الرجل لديه مهمة هو مكلف بمهمة، أخذ الماجستير من هارفرد ونصحه كارل ساغان أن يدرس الدكتوراة أيضاً في هارفرد لكنه ذهب إلى كولومبيا وأخذ دكتوراة في الفيزياء الكونية، عُيّن باحثاً في المتحف الأمريكي للآثار والعلوم الطبيعية وأُعطي إدارة القبة السماوية التي أنشئت ربما خصيصاً له، وأُعطي برامج تلفزيونية كثيرة (ناشيونال جيوغرافيك وغيرها) برامج خلاصة مصممة D3، مصممة بتصميمات رائعة جداً، وهذه البرامج التي أُسندت له، ودُعِمَ بمال كبير وهو مُقَرَّب من الكونغرس. وهو في الخلية التي يعمل فيها على سبيل المثال فوكوياما صاحب نظرية نهاية التاريخ والإنسان الأخير، كيسنجر، برنارد لويس، مجموعة كبيرة جداً تضم حتى ديفيد كوبرفيلد وكريس أنجل وديفيد بلين وهؤلاء السحرة الكبار الذين يظهرون في الإعلام، تضمّ تشكيلة كبيرة جداً في تنسيقية بين منظمة الزوايا التسعة ومنظمة العين ومنظمات أخرى لا نريد أن نفصل فيها، منظمات شيطانية من عبدة الشيطان، معهم في التنسيق أيضاً بيل غيتس في جوانب من عمله ومعهم مسألة كورونا ومسألة تصميم الفيروسات والحرب البيولوجية القادمة إلى غير ذلك...

المهم أنّ تايسون له كلمة وأحببت أن أجيبه هنا، وإن كنت أحبته في كتابي وإن شاء الله يوماً ما سيترجم له ويقرأ، وأسأل الله أن يطيل حياته وحياء هؤلاء جميعاً الذين أصلاً وصلوا إلى قيام مسرحيات سخرية من الإله، مثل دوكنز هذا، أسأل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَنْ يطيل أعمارهم قليلاً فقط قبل 2030 حتى يأتيهم صاحب الزمان الذي سوف يكون له معهم عمل حتى يعلم الكل أنه لا إله إلا الله وأنّ محمد رسول الله، ولكن سيجيبهم من أبواب علومهم وفهومهم وبيتهم، ثم بعد ذلك يكون له معهم شأن، وذلك شأنهم. المهم أنه قال كلمة، وهذه الكلمة ما قالها حتى فرعون، وأعتقد أنها كلمة مُهلِكة، قالها مرة في فيديو قال أنّ "الإله هو مجرد سدّ للثغرات" بمعنى أنّ الله جل في علاه في نظره لم يكن سوى سدّ ثغرات بشر جهلة كانوا يجهلون الحقائق فسمّوا كل شيء يجهلونه أنه من الله أو أنه الإله، قال أنّ "الناس لم يكونوا يعرفون كيف يأتي المطر فقالوا الإله يأتي بالمطر، واليوم نحن نعرف تفصيلاً كيف يأتي المطر بل نستطيع أن نصنع المطر" وصنعوا قنابل تتحكم بالطقس في حرب فيتنام وهي من أسلحة نيكولا تسلا التي سرقوها، وصنعوا حتى أسلحة زلازل وكثير من زلازل أندونيسيا وغيرها بعضها زلازل طبيعية وبعضها زلازل غير طبيعية خاصة الزلازل الذي ضرب من العراق إلى إيران إلى كردستان هذا لم يكن طبيعياً، يستعملون حفارات النفط، يستعملون قنابل هكزونية قنابل تستخدم القفزة الهكزونية أو تستخدم عناصر تحت ذرية كثيرة الذبذبة، وهذا مما يكتمونه، ومن شرح الله قلبه يوصل إليه هذه المعرفة.

المهم أنّ هذه الكلمة أنّ "الإله سدّ ثغرات"، أنّ الناس كانوا لا يعرفون كيف يأتي الأطفال فقالوا الله يأتي بالأطفال الله يخلق الأطفال، اليوم نستطيع أن نصنّع الأطفال، نتحكم في الجينات في لون العين لون الشعر، لدينا هندسة جينية متطورة جداً، هذا هذا هذا... ثم قال "أنا أعتذر وآسف من المؤمنين ولكن ثبت علمياً بما لا يمكن أن يُدحض أنه لا وجود لإله، وأنّ هذا الإله مجرد سدّ للثغرات، والعلم يُسقط هذا الإله تبعاً ولم يبقَ شيء حتى لهذا الإله إلا بعض المسافات الصغيرة جداً جداً والتي في السنوات

القليلة القادمة سنكشفها كلها حول الكون والذرات والعالم وكل شيء، وحينها سينكشف أنه لا وجود لإله". هذا الغرور هذا العلوّ والعتوّ، وأنا سبحان الله كنت أنظر مبتسماً إلى ما يقوله لأني أعلم يقيناً أنه سوف يعيش حتى يشهد المشهد، وأعلم أنّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَجَابَ أمثاله في آيات كثيرة ﴿حُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ ۗ سَأَرِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ﴾ ﴿سَرَّيْهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ ﴿لَنْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ﴾، بل آية أخرى وهي طلسمية ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبَسُونَ﴾ هذه أيضاً سوف يعلمون تحققها في شخصية القائم الذي أدمج فيه ما لم يُدمج في غيره قطعاً لا في سابقة ولا في لاحقة.

المهم أنّ هذه الكلمة لتايسون سبّبت مع مجموعة الملاحدة الذين يعملون على هذا المجال فرسان الإلحاد الأربعة ومجموعاتهم في حالة جنون كبيرة جداً يحاربون كل نفس إيماني في العالم، هم ليسوا يهاجمون فقط المسلمين، وإن كان سام هاريس قال "نريد أن نضرب المسلمين بالقنبلة النووية ونرتاح منهم نتخلص منهم"، ولهم محاضرات حتى تايسون له محاضرات يسخر من الإمام الغزالي عندما رفض الرياضيات إلى غير ذلك من الأمور.. وأعتقد أنهم لديهم نظرية، يعني هذا تشارلز دوكنز تكلم قال "إذا كانت اليوم ققط صغيرة قليلة العدد، لكن مواءها سوف ينتشر".

تأثير المدسوسات والخزعبلات

هم ينسّقون مع الإرهاب بحكم أنّ الإرهاب يؤدي إلى ردّات فعل مباشرة خروج من الدين، ينسّقون مع شيوخ التكفير وإن كانوا شيوخ التكفير لا يفهمون ذلك هم حمقى مجرد بيادق، ولكن إذا خرج شيخ متخلّف وقال لك "الأرض لا يمكن أن تدور، لو كانت تدور لوقفت الطائرة في الفضاء وجاءت إليها الصين"، ويعملون أيضاً على الموضوع في الكتب، المدسوس، لديهم عملاء يُخرجون لكم كل مدسوس في كتب السنة وفي غيرها مما ينافر العقل وينافر المنطق ويناقض القرآن ويناقض مكتشفات العلم، لأنّ القرآن أو السنة الحقيقية لا يمكن أن يكتشف العلم اكتشافاً إلا وتكون منطوية فيه. "عندما صعدت إلى السماء رأيت الأرض كحلقة في صحراء" هذا كلام حق ولكن أنّ "الشمس تسجد عند العرش ثم ترجع" وهذا الكلام، هذا غير صحيح، المهم هذا موضوع آخر.

يوظّفون هذه الإستخدامات وهذا الدس بحكم أنهم أشرفوا عليه، بنو إسرائيل كانوا أهل كتاب لم يتركوا خطبة جمعية للنبي ولا كلمة إلا دونوها، لديهم هذه الكتب ويستخرجها المهدي منهم وهي الكتب الأصحّ، ونحن بقينا مائتي سنة ثم بدأت الروايات وكان فيها الكثير من الدس لأنّ اللعبة كانت منذ البداية، أنتم لا تعلمون مثلاً أنّ النبي حاولوا قتله مرات كثيرة في هرشا وفي غيرها، هذه اللعبة التي أثبتتها القرآن الكريم، ولكن لا نريد أن نشخصنها إنما نريد أن نقول أنّ الأمر كان بين الإسرائيليين: بين المسرى المحمدي (كما ذكرت في مقالي اليوم) وبين المسرى المهدي سيكون هناك نُظرة، والنُظرة من أنظره أي أعطاه مهلة ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ إِلَىٰ يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ﴾، وبين يوم يبعثون والوقت المعلوم ثمة سر، والمُنظرون أيضاً فيها سر لأنه هنالك أكثر من مُنظر واحد، وهذا أيضاً فيه أسرار وطلسمات كثيرة جداً. هذه الكلمة التي قالها شجعتهم..

بعد 2011 بعد ما سُمّي بالربيع العربي قووا كثيراً في نسق دعمهم. صارت في الحجاز منظمات إحادية قوية جداً، في العراق حتى في الأماكن المقدسة في العراق هنالك الكثير من الإلحاد، دخلوا في الطيف الشيعي في الطيف السني، استدرجوا حتى بعض أذعياء التصوف وأذعياء التمسلف وأخذوهم وبدأوا يلعبون.. ويدعمهم كذلك الخزعلاتيون: خزعلاتي سني، خزعلاتي صوفي، خزعلاتي سلفي تلي، خزعلاتي يدعي التصوف وهو لا يفقه شيء ويقول لك أنا قطب الوقت وهو قط المقت وهم ققط مقت وليسوا أقطاب وقت ولا يعرفون شيء وليس لديهم علم، همهم بعض المال بعض المريدات بعض المريدين بعض الغرور، هذه حقيقة!! لا علمهم الخضر لا أطلّ عليهم الشيخ عبد القادر لا وقّع لهم الرفاعي لا أتاهم الشاذلي لا زارهم التيجاني لا البدوي لا الدسوقي، من شيخك من أعطاك من أولاك؟! وإن أعطوك عطراً فسيفوح، إن علموك فنبئنا: من هما اللذان تسوّرا السور على المحراب على داوود ما اسمهما؟! من الذي أرسل الهدهد إلى ملكة سبأ ودلّه عليها؟ كيف يعرف الهدهد الخبء **قانون الخبء** قانون الظهور والإنطواء وهو قانون كوني رهيب جداً، كل ثانية نحن نظهر ونختفي، بمعنى أننا نعيش على 0-1/1-0 في هذا الوجود وهو وجود فيه ظهور وانطواء، كل لحظة تمر هي لحظة طُويت وكل لحظة جاءت هي لحظة ظهرت، وهكذا وهكذا إلى أبد الأبدين.. من الذي علمه؟! كيف تكلم؟ ماذا قالت النملة؟ هل هي نملة بشرية، إذا مررت بجانب نملة تقول لك يا فلان أعرفك أم نملة في عالم آخر لها نطقها ولها منطقها؟ وما معنى ﴿أَنْطَقْنَا اللهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾؟ من هما اللذان أتيا إلى القرية وعُزّزا بثالث، من كان الثالث وما اسم هؤلاء الإثنان وأين كانت تلك القرية ولماذا أتى ذلك الرجل؟ وسوف نجيبكم عن هذا إن شاء الله تفصيلاً. ولكني أسألهم: هل تعرفون هذه المسائل؟! إذاً لماذا تدجّلون على الناس؟! ما قصة 99 نعجة والنعجة وما السر في كلمة أكفلنيها؟ ما علاقة ذلك بأنّ زكريا كفل مريم وأنهم تخصصوا أيهم يكفل مريم، وما علاقة ذلك بذي الكفل؟ إلى غير ذلك من الأمور.. ورُوجت قصة إسرائيلية أنه أراد زوجة قائد له رآها تستحمّ، هذا كلام فارغ هذا نبي كريم هذا نبي كامل الأخلاق، هو عنتر بن شداد لم يكن نبي ويقول:

حتى يوارى جارتى مأواها

وأغضّ طرفي إن بدت لي جارتى

فكيف بسيدنا داوود الذي جعله الله خليفة في أرضه؟

المهم هؤلاء الأذعياء أيضاً يخدمون هذا الأمر.

وأعتقد أنه نيل ديغراس تايسون أشهدني الله ذللاً له، وأنا في كتابي عن السفن الفضائية كثيراً ما كتبت بسخرية عن مشهد -سبحان الله- رأيته، وهو بعد الفيديو الذي قال فيه: "إنّ العلم فسّر كل شيء وإنّ الإله إله سدّ ثغرات، ولم يبقَ لهذا الإله (بنظره وزعمه) إلا بعض النقاط التي لم يفكّها العلم بعد ولكنها تُفكّ تبعاً"، أتي به عندما نشر مركز ((إلى النجوم للثقافة والعلوم والفنون)) والذي أسّسه عازف جاز سابق وأتى بغونزاليس وقد كان رئيس لجنة الكونغرس الخاصة بالسفن الفضائية ميزانيتها 20 مليون دولار، وأتى بتايلور الطيار الذي صوّر أحد السفن الفضائية سنة 2014، وأتى بمجموعة كبيرة جداً هذا إن شاء الله أنشره -وأنا توقفت عن نشر كتابي عمداً ولكن سوف أعيد نشر هذا الكتاب الخطير والذي نفسّر فيه ما يُسمح من تفسير هذه المسائل- المهم أنه في هذا الموقع نُشرت لأول مرة مقاطع فيديو بشكل صادم، وإن كان هو Project Blue Book هذا مشروع الكتاب الأزرق بدأ يعمل من الثلاثينات خاصة بعد ما سُمّي معركة لوس أنجلوس سنة 37 وظهر هذه السفن فوق الولايات المتحدة الأمريكية تحديداً البنتاغون والبيت الأبيض، سنة 52 أيضاً في أمريكا، ثم في مناورات ماين براس وهي كانت أقوى مناورات في تاريخ الناتو بعد الحرب العالمية الثانية وخاصة مشاهدة توب كليف ورسالة تشرشل حول هذه المسائل، إلى فريق عمل الصحن الطائر وما كُشف بعد ذلك ما كشفه الصحفي ديفيد كلارك وهو قد كان أمين الأرشيفات، وسُمح سنة 2011 بكشف كل الأرشيفات من سنة 1908 إلى 2011 وأيضاً أنا رجعت إليها تفصيلاً وتدقيقاً وتمحيصاً.

مأساة الإمام المهدي المنتظر

المسألة ليست لعباً، الذي يريد أن يتحوّل، أنا أقول ملاحظة للشباب الذي يرى أنه المهدي المنتظر: نعم كن أنت المهدي المنتظر. المنتظر المهدي ماذا يعني؟ يعني كائن بشري يترقّى ويجاهد ويجاهد، يتحول مثل حديد إلى سيف، ثمّة ملحمة. بغضّ النظر الذين قالوا إنه ابن الإمام العسكري وخاصمو الإمام جعفر الزكي وأتهم بأنه جعفر الكذاب هذا موضوع آخر، ولكن على جميع الفرضيات: هذا كائن يتطور يترقى. أم أنك أنت تتبع الخزعبلات تظن أنك سوف تُبعث وتأتيك سفينة ويأتيك ملك يحملك على جناحيه يأتيك جبريل ويحوّلك إلى كائن آخر.. هذا غير صحيح، عليك أن تترقى! مهدي اليمن هذا الأحمق الذي ينادي ويظن أنّ هنالك بيعات وهو ببيع الآن من قبل بعض المخدّرين، هذا يعمل مع المخابرات الصهيونية وهي التي توظّفه وتموّله وتُشرف عليه، وعلى يماني العراق وعلى غيره، هؤلاء دجالون كذابون.

الشباب الذي يُصاب بهذا المرض، نعم الشخصية المهذوية شخصية مبهرة، كل الناس تطمح أن تكون معه، كل الناس يطمحون أن يكون هو، وتأتيك الهواتف بعضهم في الصوفية بعضهم خارجها.. الأمر لا يُقضى هكذا، ثمّة تحققات. وأنا واثق وكأني أعرف أنّ الشخص الحقيقي رافض للمسألة ويتمنى أن يُولّأها غيره ويفرّ منها، أنا لو كان لي أن أعرفه لعرفت ذلك بالقلب، لأنّ الأمر ليس هيناً، لا تظنوا الأمر هيناً. هذا الرجل الذي سيخرج بعد أن قُتل من آل بيت النبي من قُتل، بعد أن جاع أبو طالب واستشهد ثم استشهدت السيدة خديجة، بعد أن أودي النبي وضرب بالحجر في الطائف، بعد أن جُدع أنف حمزة وأكل

كبدته، بعد أن قُطعت يدا جعفر، بعد أن سُمّم ابن النبي إبراهيم، بعد أن سُمّم النبي، بعد أن كان ما كان، بعد أن توفيت السيدة فاطمة حزينة، بعد أن قُتل الإمام علي، بعد أن سُمّم الحسن، بعد فاجعة كربلاء وذلك التقتيل المُزّ، بعد الحرة، بعد فخر وقتل محمد النفس الزكية، بعد قتل العباسيين لأبناء الحسن ابن علي، وبعد وبعد وبعد وبعده ناكازاكي وهيروشيما وصبرا وشاتيل وجنين وقانا والعامرية وغيرها وغيرها.. ثم يأتي بعد ذلك وروحه تعرف كل ذلك وممنوعة من التحرك، فأَيّ ألم سيكون في صدر هذا الرجل؟!!!

الذين يظنون أنّ المسألة المهدوية مسألة تجارة، وهذه: أنت حلّت فيك روح السيدة مريم، وتلك حلّت فيها روح فلانة، وهذه زوجته وتلك خطيبته.. والله الذي لا إله غيره، سواء كان ما كان، كان ابن الحسن العسكري أو كان يولد في وقته، وأنا أعتقد أنه يولد في وقته، وفي الأشراف أرحام مطهرة وأصلاّب مطهرة وفحول ورجال ينجبونه في زمنه، لا يعوزهم ذلك، وهذا النسب متّصل لا يحتاج الأمر إلى هذا الأمر، ولكني أحترم آراء الآخرين، ولعلي مخطئ وهم مصيبون أو لعلني مصيب وهم مخطئون، وإذا ظهر الأمر وقال "أنا فلان" نتبعه كلنا. إن كان ابن الإمام الحسن العسكري فنعله فوق رأسي ويجب أن يكون نعله فوق رؤوس كل أهل السنة، وإن كان رجلاً آخر فنعله فوق رؤوس الشيعة كلهم وكل البشرية، لأنه ممثل الله وممثل رسول الله.

وكل البشرية تحت نعل المصطفى ومن أبي فإنه لن يدخل على الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى من باب محمد بل من تحت نعل محمد، ومن يرفض ذلك من أدياء التمسلف هؤلاء الحمقى الذين شاهدوا الفيديو الخاص بي في الولاية وأنا رأيت رؤيا، نحن أبناؤه كيف لا نراه؟ سيدي أبو الحسن الشاذلي قال: "لو غاب عني رسول الله ساعة من زمان لما اعتبرت نفسي من المسلمين"، أنا لست أبا الحسن الشاذلي، رأيتته مرة أو مرتين أو ألف مرة هذا لا يعني أحداً، إن كذبتُ فقد حملتُ نفسي إلى نار جهنم وإن صدقتُ فلماذا الآخر يغضب؟! ولكن ما أغضبهم ليس أنني رأيت رؤيا، وشيوخهم يرون الرؤى كذباً ويتكلمون أنّ النبي قال لهم "إنّ الأمة غرقت في البدعة والشرك وتركوا الإسلام" وهكذا مسائل، بل رأى بعضهم من أشهرهم رأوا الملائكة وجبريل ينزل وبیده راية خضراء يدعم الدواعش الذين يقتلون أهلنا في الشام ويقتلون أهلنا في العراق ويُعالج جرحاهم في تل أبيب، هؤلاء الكذبة الفسقة الدجالون!! ولكن ما أغضبهم أننا قلنا: "يا لثارات الحسين"، نعم يا لثارات الحسين!! لا يعني ذلك أننا سوف نقوم بمحاكم تفتيش، لكن "يا لثارات الحسين" تعني يا لثارات أهل قانا وأهل جنين والمشرددين، يا لثارات قتلى ناكازاكي وهيروشيما، قتلى المذابح، يا لثارات كل مظلوم، يا لثارات كل متآلم من هابيل إلى يوم القيامة، هذا هو المعنى. لما نقول سيف ذو الفقار: "لافتي إلا علي ولا سيف إلا ذو الفقار" ضربة علي يوم الخندق بعمل أمي إلى يوم القيامة وبعمل الثقلين في المصادر السنية، ومن يدعون أنهم علماء حديث فليراجعوا، ونحن نعرف الحديث ونعرف كلام جدنا من غيره، وكان سيدي سليم أحد كبار الصالحين والد سيدي عبد السلام الأسمر كان يقول إذا نظر إلى أحدهم يقرأ القرآن: لقد أخطأت في آية أو في كلمة، لأنّ النور انقطع وانطفأ قليلاً، هذه بصائر قلوب.

المهم أنّ هذه المسائل سوف تظهر رغماً عن أنوف من يجحدون بها، نتكلم عن يقين وعن علم وعن معرفة وعن تدقيق، ونصمت منذ 20 عام وما تكلم متكلم بإذن نفسه، عندما تؤمر تكلم عندما لا تؤمر فاصمت. الذين يرون أنهم المهدي: رِقُّ نفسك صديقي، تدرب جيداً، تعلم لغات، درب جسمك، كن

واقعيًا، انجح. المهدي لن يكون شخصاً فاشلاً تحوّل إلى إمام ناجح، سيكون شخصاً ناجحاً ويتحول إلى إمام ناجح، ويكون ملحمة حياة تألم وتعذب وتشرد إلى غير ذلك.. يجب أن تكون هذه الملحمة، يجب أن يذوق آلام لا يذوقها إلا الكبار، يجب أن ينحت مجراه كما قلت مرة: "النهر العظيم يشق مجراه في الصخر"، يجب أن يُبنى من حوله السدود ويفجرها، أن تكون فيه طاقات كبيرة جداً ولكن الله يفجرها، وأن يغلب الشيطان في عقر دار الشيطان وفي ذات نفسه، قبل أن يقتله في عالمه يجب أن يقتله في ذات نفسه، ثم بعد ذلك الله يصلحه في ليلة الإسراء هذا فعل الله وينفخ الله من قوته فيه ويعطيه، هذا أمر الله والله لا يُعجزه شيء. ولو كان ذلك بعد دقائق قليلة، علينا أن نكمل عملنا الواقعي، أن نبني المطار، نهتمّ بعملنا. ومن كان هو مختاراً فسوف يُختار، ولعله كما قلت: كل الناس يرغبون فيها إلا هذا الرجل لا. ولعل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى جَعَلْنَا اللَّهُ مِنْ خَدَامِهِ وَخَدَامِ تَرَابِ نَعْلِهِ، ولا أمّي نفسي حتى أن أكون ممهداً، أنا فقط نائر عطر وداع إلى خير وداع إلى علم وإلى يقظة وثورة فكر.

الرد على تايسون

نرجع إلى تايسون، عندما نُشر الفيديو الخاص بالسفن الفضائية أتت قناة CNN وحاوروه وكان جوابه هو التالي: أنا أوّمن أنها سفن، بحكم أنّ الكونغرس اعترف وترامب اعترف بذلك (أو تكلم بشكل مضطرب) وسبب ظهور تلك الفيديوهات هو صراع ترامب مع المخابرات الأمريكية، ربما بايدن سوف يغيّر ذلك بالتعيينات التي عينها ومعظمهم من اليهود ولها مسائل أخرى ناقشها في صفحة المفكر وليس في هذه الصفحة. المهم أنه عندما سُئل عن هذه السفن قال: "هي لا تنتمي لفضائيين، من رأى فضائياً فليأتني به". طبعاً هم يبظنون الآن مستقبلاً أن يقولوا أنها من بشر أتوا من المستقبل، لذلك نظّروا للسفر في الزمن منذ أينشتاين أنهم بشر أتوا من المستقبل -وهناك مسلسلات وأفلام كثيرة جداً- ليطمئنوا أننا لن نستخدم الأسلحة الذرية فنبيدهم فلا يولدون، نظرية تثير السخرية لكنهم يزرعون في عقول البشر.

ولذلك قال: "ليس هنالك فضائيين ولم نتأكد من وجودهم"، ثم قال كلمة عجيبة، قال: "إنّ العلم يعمل ضمن نطاق، وكلما اتسع نطاق العلم اكتُشف نطاق جهل أكبر، وأكبر بشكل كبير جداً" وأنا إن شاء الله أنزل لكم الفيديوهات. ألم تقل منذ سنوات أنّ الله إله سد ثغرات وأنّ كل شيء كشفه العلم أيها الدجال الأحمق الوضيع الصغير؟! (ليتها تُترجم له بالإنكليزية وتُرسل إليه). المهم أنّ هذا الرجل المدّعي عندما قال ذلك، ولا نقول هذا حماسة، عندما نقول دجال فهو دجال، عندما نقول وضيع فهو وضيع، نحن لا نسبّه نحن نصفه بالوصف الذي هو فيه، والمؤمن ليس بلعان ولا شتّام، ولكنّ الله عندما يصف الفاجرين ويقول ﴿عُتِلُّ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٌ﴾ هو يصف حقيقة لم يكن يشتمه لم يكن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى منفعلاً، إنما يردّ ردّاً فعلياً كما سمّيته في علم التنمية البشرية أضفت فرعاً اسمه الردّ الفعلي لا رد الفعل.

المهم أنه قال أنّ "العلم كلما اكتشف نطاقاً وجد نطاق أوسع من الجهل" وقد صدق في ذلك وهو كذاب. أما كلامه أنّ "الإله سد ثغرات" هذا كلام فارغ. والله جل في علاه جلى الحقائق الفيزيائية حتى قال أحد علماء كبار الفيزياء وهو من آخذي جائزة نوبل: "إنّ العلوم كانت تكشط على الطبيعة كشطاً، واليوم بقي ستار شفاف من خلفه الإله". علماء في الرياضيات قاموا بحسابات الحركة الكونية وجدوا إبهاراً في الدقة،

لو تأخر أو زاد واحد على آلاف من الثانية لانطمس الكون أو تلاشى، قاموا بحسابات في التصميم الأول لجميع الأشكال وجدوه تصميمياً واحداً، وهذا ما سمّيته **البصمة الإلهية ﴿فَانظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾** آثار ربانية.

لذلك حتى شعراً قلت مرة:

الله في الخلق سر جلّ معناه
في كل شيء براه الله مقتدراً
فانظر بقلبك تبصر كيف جلاه
صوت يقول أنا قد صاغني الله

كل شيء مثبت، كل العلوم اليوم الكيميائية وفيزياء الكم والرياضية والحسابات الفيزيائية الكونية مثبتة لوجود قوة عظمى. حتى علوم الطاقة وجدوا طاقات تتجدد من تلقاء نفسها لا تحتاج لغيرها وتجدد كل الطاقات، اكتشفوا نجومًا وأحجاماً غريبة جداً، الضغط الموجود في النجوم النيوترونية لو أنّ الأرض تُحوّل إلى نجم نيوتروني لكانت بحجم سنتيمترين فقط، لو تحوّلت إلى نجم هكزوني أو أدنى من ذلك ستكون بحجم الذرة، ما هذه القوة؟! المادة السوداء وأنا أيضاً كتبت عنها وأنا أجبت عن سؤال المادة السوداء والثقالة وعلاقتها بالجاذبية التي تتحكم في هذا العالم لأنها وجدت قبلها قبل الانفجار العظيم بحكم أنّ الله خلق فخلق في ظلمات ثلاث، وهذا في كتابي **<الرقيم المعلم من كلام المعلم>** والذي أحياه وهو معلّم في قلبي وفي روحي، وتتناجى الروح مع الروح بسر القدوس السبوح.

ولذلك أعتقد أيضاً أنّ تحقق العلوم الفيزيائية والمنطقية والرياضية والكيميائية تحقق مستمر ضمن بند الآية **﴿سَرَّيْهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾** نحن اليوم في مراحل من "حتى" في بداية الحاء، ولكن تمام حتى سيكون مفاجئاً، تأتيهم بغتة. ولذلك يجب أن تبلغ الحضارة هذا العتو والعلو، ولكن كل مرة يصدمهم بسفينة فضاء، يصدمهم بحقائق من هنا بحقائق من هناك، إكتشاف في الذرة، إكتشاف في المجرة، إكتشاف في الخلايا، الحمض النووي في هذا الجسم موجود داخل الخلية داخل جزيء منها، والخلية إذا كتبنا حرف باء تحت في النقطة هنالك مائتي ألف خلية، وهذا حجمه 1.6 متر، مدغوم مكتوب في خمسين مليون نيكليوتيد تقريباً، مكتوب بأربع حروف من حروف البروتينات ولكن بنظام تسلسلي غير قابل للاختزال، مثل ا ب ج قوة ألف، لا، إنما يتغيّر، وكل كائن هكذا هو مختلف بين جميع الكائنات، مليارات الخلايا داخل الجسم، إلى غير ذلك من حقائق في الإنسان في أعصابه في خلاياه في ذراته في نفسه في عقله في روحه في علاقة الروح بالجسد بالجسم بالبدن، البدن والجسم والجسد ليسوا واحداً، القرآن إذا غير كلمة فهو يقصدها، إذا قال **﴿وَالْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِ جَسَدًا﴾** أو **﴿وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا لَّا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ﴾** **﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ﴾** **﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ﴾** فلكل معنى حددها في موسوعة البرهان منذ 2006.

تجلي القوى والقدرات المهدوية

وكذلك هذا الإنسان معجزة إلهية بما انطوى فيه وما ظهر فيه، فيه قوى خارقة ولكن مخفية مطوية، عقل بيتر هرکوس الخارق أو كيم بيك الخارق أو عيون زرقاء اليمامة أو قوى عنتره كلها مخبوءة في الإنسان. الإنسان الآدمي الأول وتجليه الأعظم في القدرات الذاتية والروحانية سيكون مع المهدي عَلَيْهِ السَّلَامُ لِأَنَّ التجلي عند سيدنا علي كان ضمن إطار المباراة بالسيف رغم أنه كان تجلياً عظيماً عملاقاً ولكن الإمام علي واجه قومه بالسيف فأعطاه الله ذو الفقار رفع باب خير، المهدي سيواجه أساطيل وأسلحة نووية يجب أن تنطوي فيه قوى تواجه ذلك ويكون أشبه برفع جبرائيل لقرى سدوم وعمورية وقلبها بالأرض، الآن الأرض كلها صارت سدوم وعمورية منشور فيها الشذوذ. لذلك سيكون تجلي عظيم جداً تجلي جلالي رباني رحماني، ولن تكون قوة هذا الإمام في أسلحة له وإن كان سيتمظهر له أسلحة كثيرة، ولكن **قوته في ذاته بحكم تجلي الأسماء والصفات.**

تخيّل مخلوقاً يتجلى عليه اسم الله القدير أو القادر أو القهار أو العليم أو السميع أو القيوم أو المنتقم، أي قوة تكون فيه في ذراته في نسيجه؟! ولكنها جزء صغير من قوة سيدنا محمد الحقيقية المخفية ومن قوة سيدنا علي الحقيقية المخفية وإن كان أراها توأماً وكأنهما توائم سبحان الله في العالم الروحاني، وكذلك جزءاً من القوة التي كان يمكن أن تتمظهر على سيدنا الحسين والذي قال **"لو شاء ربي لقاتلتهم بهؤلاء"** ونزلت ملائكة من السماء، جزء صغير من ذلك، إنما أولئك أراد الله أن يري بهم الصبر والقدرة على التحمل وجمال المعنى وكمال الأخلاق وجمال الذات وحسن السيرة والمسيرة والسريرة وهذا النور المحمدي الأغزر وهذا المقام العظيم. وكذا الأنبياء كلُّ بمقامه وكلُّ بسره، جلى على سيدنا المسيح ما جلى وجلى على سيدنا موسى ما جلى، وكل التجليات تكون عند الوريث المهدي الذي يجلي الله له قدرات العصا وقدرات السيد المسيح، وإن كان له مع السيد المسيح شأن وله مع كثير من المرفوعين مثل إدريس وإلياس والخضر وذو القرنين شؤون، وهم أبطال قصص كثيرة في سورة يس وفي قصة سيدنا داوود وغير ذلك من الأسرار والأنوار. المهم أنه سوف يحقق مصطلح **"الإله الفيزيائي"** والذي سيكون فيه مجالي، وينتقل المستوى الإلهي أو العلوم الإلهية من مستويات روحانية إلى مستويات أعلى في جوانب المادية والعمق المادي، يُفصّل الأمر تفصيلاً ويُفسّر تفسيراً وتكون علوم وتكون تطوّرات تكنولوجية رهيبه جداً، تُظهِر الأرض من هذا التلوّث، حتى اقتراب نبييرو سيكون له معنى لأنّ هنالك تفاعل كيماوي بين الدخان الذي سيأتي ينظف الأرض، وتكون هناك استخدام للثقوب البعدية وغيرها للتخلص من أمور كثيرة.

الذي يشاهدني الآن إن كان مؤمن القلب فسيعلم أنّ الله على كل شيء قدير وأنه عندما قال ﴿سَأُرِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ﴾ فهو يعني ما يقول جل في علاه، وأنه حتى لو فرضنا أنّ هنالك أمراً موضوعاً في السنة أنّ كل أحاديث المهدي موضوعة، لا يمكن أن ننكر ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعَدُ الْآخِرَةِ﴾ وهذا إن شاء الله ستكون محاضرتي حول شخصية المخلص إن شاء الله نحاول هذا الأسبوع نفصّل بعض الحقائق. المهم حتى لو أنكروا ما أنكروا فهنالك أمر إلهي هنالك قيادة ربانية للدخول بيت المقدس ﴿وَلِيَتَّبِعُوا مَا عَلَّمُوا

تَثْبِيرًا، وكل العالم يتبع ما علا هؤلاء، ولذلك **يكون تثبير عالمي لكرة الأرض كلها ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾** أيضاً إظهار كامل. وبذلك ستكون أمور عظمى لها قائد، النبي سمّاه المهدي، إن لم يعجبكم الاسم اختاروا اسماً يعجبكم وسمّوه به، لكن حتماً لن يكون مهدي اليمن المزيف ولا أدياء هؤلاء ولا أدياء القطبية المزيفة قطط المقت وليسوا أقطاب الوقت، لكن سيكون سر رباني محمدي له مجالي علوية فاطمية حسنية حسينية حمزوية جعفرية زينبية، له مجالي إبراهيمية موسوية عيسوية إلى نوحية آدمية، له مجالي جيلانية (رغم أنف من يكره الشيخ عبد القادر) رفاعية دسوقية بدوية جشتية تيجانية شاذلية إلى غير ذلك، له مجالي كل الذين مهّدوا وعبروا، لهم مجالي في فنون الدفاع مجالي عظيمة جداً، في العلوم في الهندسة في المعمار، مسألة التابوت هذه إن شاء الله نفسرها في المحاضرة القادمة، إن الله على كل شيء قدير.

وأنا أحدثكم من هذه النظرة في مقام سر الحضرة، ونحدّث بما يُسمح للقلب أن يبوح به، ولكن من لا يصدّق ذلك فاعتبرني قاصّاً جيداً، روائياً متميّزاً، وإن كنت قاصّاً جيداً في الحقيقة وأكتب الرواية جيداً وكلها مطلّسة أيضاً، ولكن اصبر معنا قليلاً. البرنامج سيتمّ بثه وعلى جميع القنوات في جميع مجالات البث في جميع الأشياء على مرأى ومشهد العالم كله. ودعكم من روايات "يأتيه شخص يقول له أين راية جدك وأين كذا" لا أحد يجرو أن يتكلم مع هذا الإمام عندما يُعيّن ومعه جبرائيل عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، هذا حكي فارغ. ودعكم من أنه "يباع وهو خجل وهو لا يريد"، هذا كائن سوف يعلمون سره، حتى في الأفلام السينمائية الكثيرة التي تعبّر عنه من حيث لم يريدوا أو من حيث أرادوا، وأفلام كثيرة تعبّر حتى صور متحركة كثيرة، لأن الله يبتّ سره في كل شيء، حتى يُظهره فينتبه الناس حينها أنهم كانوا يقادون إلى الحق وهم يظنون أنهم يلعبون، والله قادر وقد مكر بهم مكرّاً عظيماً وما هم بشاعرين بذلك، حتى يأتيهم أمر الله ﴿أَنِّي أَمُرُ اللَّهَ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾.

خاتمة

الهمة الهمة لخلاص الأمة وكشف الغمة وإكثار الدعاء والسجود والصلاة وذكر الله والتسبيح له والصلاة على المصطفى وتخليص النفس من شوائبها ومن أمراضها ومن كل الأمور. وإن شاء الله كلُّ يحاول أن يعالج نفسه: من كان في الطريق الصوفي دع عنك كل خزعبلات وأشياخ الوهم، من كان في الطريق السلفي السلف الصالح أهل إيمان وإحسان وحب لا أهل تدمير ولا تكفير ولا أهل شتم ولعن وقذف وكانوا أهل علم وكانوا أهل فهم، لم يقل أحد منهم أن الله يجلس على العرش جلوس الإنسان على كرسي ولم يكفر بعضهم بعضاً، أنت تتبع حينها السلف الطالح الذي قتل الحسين ابن علي، فذلك شأنك وذلك مجمعك وذلك حال قلبك. ولا يكره كلامنا إلا من كان له هذا المرض، ولا يبغضنا إلا منافق فاسد النسب كما ذكر جدنا المصطفى عن آل بيته ويشمل ذرياتهم.

ونسأل الله جل في علاه لكل إنسان، إن كنت شيعياً توالي آل البيت خذ أخلاقهم طبق أخلاقهم، دعك من السب والشتم واللعن الذي يمارسه بعض الحمقى الممولين وبعض المخبرات وبعض أفلامهم وبعض قصصهم، دعك من أحكام أيضاً مدسوسة: من قال لك أنّ الإمام جعفر الصادق يكره أبا حنيفة؟ أبو حنيفة النعمان إمام عظيم استشهد لأنه دعم محمد النفس الزكية ودعم الإمام زيد ثم سُمّم بعد ذلك، وحتى قصة المناظرة هذه قصة مفبركة أنه ناظر عند الخليفة، إنما سأله بأدب وكان مجبراً على ذلك ولم يكن ينافقه كان يحبه وكان تلميذه، وكذلك الإمام مالك كان يقف إذا جاء الإمام جعفر. الإمام جعفر هو شيخنا أهل السنة وشيخ الشيعة أيضاً وإمامهم وإمامنا رغم عن أنف من يأبى، لكن لندع هذه المسائل ونجتمع حول أمر نلتقي فيه لنرد على هؤلاء السفهاء أدعياء الإلحاد والشذوذ والتكفير وغير ذلك.

وأقول لكم ختاماً: إنّ من يشاهدنا اليوم ويشاهدنا الآن ويسمع هذا الكلام وهذا البيان قد يظن بي ظناً، وقد يرى أنني أتكلم من باب أي صاحب مقام وصاحب صلاح وصاحب تقوى وصاحب سر، إنما أنا مرآة صفا ظاهرها وخلفها سواد من ذنوب من أمور، ولكن ذلك الصفاء وتلك الرقة مع ذلك السواد عكس شعاع شمس عظمة وأمداد عظيمة، من باب المحبة من باب وضع الخد على التراب لهذا النبي العظيم، من باب سر دمه الذي هو **السر النبوي هو أقوى من السر النووي** هذا الشعاع. وعندما تكون في هذا الحال:

فقال لنوبتي المختار: قولي
فقال: بقوتي الشمخاء صولي
فقال: بباع النجم طولي
فقال: على ضماني لن تحولي
فقال: بعزمي الفعال جولي
فقال: ونور وجهي لن تزولي!
فقال: تبحبجي وخذي طبولي
فقال: إليك من قلبي نقولي
فقال: عليك منسدل قبولي
وقال: أأنت عني في ذهولي
لنصرك دائماً تجلى نصولي
فقال لها: أمنت من الأفول

وكنت أروم كتم الشأن مني
فقلت إنني عرجاء عجز
فقلت نابني قصر- بطبعي
فقلت: أختشي- تحويل حالي
فقلت: رجل راحلتي ضليع
فقلت: خفت يقرعني زوال
فقلت: دق طبل الغير ضجا
فقلت: قام للأغيار نقل
فقلت: في الأنام لهم قبول
وهز بكفه كتفي عتاباً
تحقق بي فإنك نور عيني
ولاحت ضمن هذا الطي شمسي

القصيدة الشهيرة للإمام الرواس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

فنحن في هذا المقام إنما ننوب نيابة، وإنما هي أحوال قلبية علمية عقلية روحانية فيزيائية أيضاً كنا تكلمنا فيها وعرفانية ذوقية، مصطلح العرفان طبعاً قديم من بين من أظهره الشيخ عبد العزيز المهدي، ثم انتقل من القرن الثاني عشر ميلادي إلى القرن السابع عشر عند الملا صدرا في المدرسة الشيعية، ولكن المهم أنه مصطلح جامع وله معانٍ وعلائق بالتصوف.

ونسأل الله لنا ولكم الثبات والخلاص واليقين وأن نكون من أهل البيعة الحق وأن نكون من أهل الدخول إلى ذلك البيت العظيم بيت المقدس الحبيب الذي نحبيه ونحبي أهله ونحبي أحببنا فيه، ونحن معكم بلاد إفريقيا بلاد السر بلاد الصالحين بلاد الخير، هذا المغرب الكبير أرض الأولياء أرض حديث الصوف وكذلك كنانة مصر وما فيها وحجازنا وعراقنا وشامنا ويمنا وكل أصقاع هذه الأرض المباركة، نسأل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَنْ يعيننا ويفتح لنا، والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

الحاضرة بتاريخ: 25-01-2021



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

التأمل السادس عشر: عن العارفين بالله والعارفين عن الله

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله الذي خلق الخلق ليُعرف، وأحوج الناس إليه ليُدعى، وأخفى الغيب ليُرَجى، وجعل كل ما خلق في كَفِّ رحمته، وأحاطه بسر جبروته في ملكوته، الحمد لله الذي دل به عليه وهدى منه إليه، وصلى الله على سيدنا محمد العارف بربه، الذي عَرَفَ ربه وعرف ربه وعَرَفَهُ ربه به وأدناه إليه في مسرى ومعراج ومساري ومعاريج، إسراء ومعراج، ومعاريج شتى وكثيرة في رؤاه وفي حياته وفي كل لُقيا بينه وبين جبرائيل كان عارفاً بالله معرّفاً بالله وعارفاً عن الله، صلى الله عليه وعلى آله العارفين الكَمَل الأتقياء الأتقياء، أصحاب السر والنور والوفاء، وعلى الصالحين أهل الصفة والصف والصفاء، وعلينا معهم برحمتك يا رب الأرض ويا رب السماء.

أحبابنا في الله متابعينا الكرام إخوتنا وأخواتنا السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته. موعد جديد معكم نلقاكم فيه على شوق وعلى محبة وعلى تذكير بأيام الله وعلى تبليغ ولو لآية عن رسول الله، نناجي في ذلك عقولكم ونكلم قلوبكم ونحدّث أرواحكم، وقد ثبت لدينا قوة اليقين وصفاء النية وصدق العزم مع إنحناء سنابل القلب الملائة، حباً تقديساً وإجلالاً لأسيادها لأصحاب الحقل وأصحاب الزرع وأصحاب السنبلة الذين غرسوا محبتهم فينا والذين نحن استمرار لهم، ذرية لهم وخدم لهم وامتداد لهم وإشراقات من إشراقاتهم. فنحن مرايا ولعل سائل المرأة يسألها: إنك شمس عظيمة، إني أرى منك ضوءاً مبهرًا، فتقول: لا، بل أنا مرآة بلّورة صفا ظاهرها وخلفها سواد الذنوب، رقت وشقت حتى عكست شمساً وأقماراً، وهذه المرآة النقية هي مرآة القلب، كلما نقيت قلبك كلما لقاك الله.

السلام عليكم أيها الأحباب، موضوع اليوم موضوع ذوقى بامتياز، وإن كان فيه أطراف علم وأطراف منطق وأطراف تصوف وأطراف عرفان وشيء من العقيدة، ولكني سأبسطه بسطاً.

قصة النسر والثور

السبب الأول لطرق هذا الموضوع أنّ الذين يطرقونه وهم كثير معظمهم لا يعرفون عما يتكلمون. لي قصة جميلة طريفة عن نسر فقد الذاكرة وحسب أنه دجاجة (كان يعيش في قنّ الدجاج)، وكان الديك الذي هو ملك ذلك القنّ يحذر الدجاجات من الطيران وأنّ أجمل حياة في القنّ، كل شيء متوفر، وحتى إن تمّ ذبح دجاجة أو دجاجتين فبقية القطيع في أمان، وأنه هو أعظم طائر في العالم، وأنه هو الذي يوقظ الناس بصياحه، وكان يحذّرهم من النسور وطائفة النسور التي تجرّأت على تحديّ السماء. هذا النسر عندما شعر في دمه بحنين يهزّه إلى أنه ليس دجاجة وخرج وسافر بحثاً عن حقيقة ذاته، عندها مضى في الغابة حتى وجد في أجمة تحت شجرة خضراء كائناً له قرنان ضخماً يشرب من عصير قصب الغابة، فسأله: إنّ لديّ حنيناً للسماء للطيران، قال له: نعم أنت نسر ولكنك تعاني من رهاب الطيران، وأنا جرّبت ذلك وأعرفه، وعندما تنطلق من قمة الجبل وتلتفت بجناحيك عن اليمين وعن اليسار تشعر بهذه الرهبة، وحدّثه عن قوانين الطيران وقال له: أنا رئيس النادي العالمي للطيران. وكان هنالك عصفور صغير يحلّق قربه ثم أتاه ووشوش في أذنه وقال له: هل تعرف من ذاك؟ ذاك شثريّة. شثريّة هو الذي كان مع الأسد في قصة كليلة ودمنة، ذلك ثور، ولكن لأنّ النسور اختفت صار ذلك الثور هو معلّم الطيران يحدث عن أمور لم يعيشها ولم يذوقها ولم يجربها.

وهذا ما يقوم به أدعياء المهدوية والقطبية والولاية والعرفان، الذين يزورون أنهم عارفون بالله وأنهم عرفوا الله وأنهم عرفوا عن الله وأنهم أصحاب الخضر وأنهم أصحاب الكشوفات والفتوحات، وهذا على مدار التاريخ كان موجوداً. وواجه الصالحون الأكابر الكمل أهل الله هؤلاء الخبثاء واجهوهم وفضحوهم وكشفوهم وكانوا لهم بالمرصاد، من أمثال القطب الكبير سيدي عبد القادر الجيلاني أو الإمام الرفاعي أو الإمام الشاذلي أو الشيخ عبد السلام الأسمر وغير هؤلاء من السادة الأكارم الكبار. وفي وقتنا اليوم عندما صار التواصل ممكناً عبر هذه الوسائط وصارت تجارة مربحة، خرج علينا الكثير من أقطاب الوقت، كل هذا قطب وقت وهو قط مقت ممقوت من الله ممقوت من رسوله، مجرد قط بائس قط مزابل يبحث في مزابل القلوب عن قلب يصطاده وعن نفس مسكينة يرتع فيها يكذب عليها يأخذ أموالهم ويأخذهم إلى الأوهام، يحدثهم أنه يعرف القلم يوصلهم إلى العرش وأنه مكاشف، أو يدّعي أنه صامت لأنه عرف أموراً لو نطق بها لجنّ من حوله، فيتكلم عنه نائبه المحيطون به الذين يروّجون ويتقاسمون الغنيمة... بينهم بعض الجهلة وبعض العاجزين أو بعض المخدوعين ولكن في نهاية المطاف كما قال الإمام علي: "تكلم كي نعرفك".

معارف لا يعرفها إلا العارف بالله حقاً

إن كنت عارفاً بالله حدّثنا عن النملة التي كلّمت سليمان ما شأنها؟! إن أتاك الخضر فاسأله ما شأن الخصمين الذين تسوّرا على داوود المحراب، ما اسمهما، ما العلاقة بينهما وبين صاحبي يس؟! ومن الذي هو الثالث الذي عُرّز به وأي قرية كانت تلك وأين أتى ذلك الرجل الذي كان في أقصى المدينة لماذا أتى؟ من الذي أهلكهم بالصيحة من صاحب الصيحة؟! حدّثنا عن حمار العزير كيف كان قبل أن يموت وكيف تحوّل إلى عظام، كيف تسنّه الطعام، ما كان اسم ذلك الطعام، ما كان مع العزير من طعام لحماره؟ من ذا رأى من قوم خرجوا وهم ألوف حذر الموت وقال لهم الله موتوا فماتوا، كيف أحياهم الله أمامه؟ من الذي ناداه وقال ﴿فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَ آيَةً لِّلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَىٰ الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا﴾؟

لماذا في أهل الكهف مرةً تجد ضمير المخاطبة "أنتم" ﴿فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ﴾، ومرة تجدها "نحن" ﴿رَبَّنَا آتِنَا﴾، ومرة يقول لهم ﴿فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ﴾؟ من الذي كان معهم، من ثامنهم غير كلبهم، كانوا ثمانية وكانوا في الحقيقة سبعة، من هذا الثامن الذي كان معهم؟ ما علاقة ذلك بالرجل الذي أتى من أقصى المدينة يسعى ليحدّر موسى من قوم يقتلونهم؟ ما علاقة ذلك بالسامري، بمجمع البحرين؟ من الذي أرسل الهدهد ليلتقي بملكة سبأ ليراهها ويطلع على ما لم يطلع عليه نبي؟ ما علاقة الجسد الذي ألقى على كرسي سليمان بدابة الأرض تاكل منسأته؟ كيف جلب عرش بلقيس، بأي سرعة بأي تسارع؟ قصص كثيرة جداً...

لماذا ذو القرنين كلّمه الله بضمير التخيير ﴿إِمَّا أَنْ تُعَدِّبَ وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا﴾؟ لماذا كلّم الله ب "نحن" ولم يكلم الله ب "نحن" في القرآن سواه؟ لماذا ثلاثة قصص للخضر ثلاثة قصص لذي القرنين؟ ما العلاقة بين ذي القرنين والخضر والمهدي؟ وأين أخفي المهدي في ذلك الكهف؟ هل كهفه اسم أم اسمه كهف؟ إلى غير ذلك من الأشياء العديدة والتي ما سألت عنها سؤالاً إلا وأنا أعرفه، فلا أسأل عما لا أعرف، كثير مما لا أعرف لكن هذا الذي قلته أعرفه جيداً كما أعرف يدي.

لا أدعي أنني عارف ولكنني أعرف العارفين وأشتمّ عبقهم وأتبع أثرهم وأقبل الأرض تحت أقدامهم وأجلس على أعتابهم وأقف بأبوابهم وأرجو أن أكون من أحبّابهم، وأنا في الحضرة من خطّابهم، وأرجو أن أكون مع جنابهم، وأرجو أن يدلي عليّ ويجلّي عليّ من حجابهم، وأرجو أن يكشف عليّ من نورهم وهداهم وصوابهم، وأرجو أن أعيش في ركبهم وفي رحابهم، وأرجو أن أدوق من شرابهم، أنا بهذا أتلو من كتابهم، وهذه السجعية ليست محفوظة إنما ملحوظة، وليس المحفوظ كالمحفوظ، ولا يؤتي هذا إلا محفوظ، بعين الله محفوظ، أما المدحوض المرفوض المبعوض فهذا مسلوب غير موهوب.

ميزان التمييز

لذلك سادتي وأحبتي غاية هذه التأملات العرفانية أن يكون لديك **ميزان تميّز به**: إن كنت صوفياً تتّبع بعض المشائخ، إن كنت سلفياً تظن أنك على نهج السلف، إن كنت شيعياً تظن أنك على نهج أهل البيت، إن كنت سنياً مالكياً أشعرياً ماتريدياً شافعيّاً حنبليّاً حنفيّاً زيديّاً إباضيّاً كن ما تريد. هذا يُوّجّه لكل مسلم، بل فيه كلام ينفع حتى غير أبناء هذا الدين، لأنّ ذلك فيه شيء من يقين.

ولذلك فأنا أقول لكم أنّ ما سأذكره في التأملات والمحاضرات فيه نفع وفيه ميزان ومعيار، من ادّعى اتّباع السلف، سنريك منهج السلف، ثمّ قس على ذلك. من ادّعى أنه يتّبع أهل البيت مذهبهم، سنريك شيئاً من نفع ذلك. من ادّعى أنه على التسنن، وادّعى لا تعني أنه كذب إنما ظن في نفسه، وهذا برهان، لذلك قلنا في كتاب **<<إشراقات>>**:

• إذا جاءك أمر فمحصّه، فإنّ الحق لا يضرّه التمحيص

الحق كلما محصته كلما ظهر لك أنه حق، الذهب إذا وضعته في النار أو اختبرته فهو ذهب، أما نحاس مغلف بالذهب هذا يبدو لك حينها.

إذا كنت صوفياً أياً كانت الطريقة أيضاً هذا ميزان، ولك بعد أن تسمعي أن تقيمي. قد تقول لك نفسك: من هذا الذي يدعي هذا، أهو أعلم من أشياخنا؟! أنا أجهل من أشياخك، ولكنّ لي شيئاً في قلبي لعله يبيّن لك شيئاً. فخذ ما ينفعك ودع ما لا ينفعك، وخذ ما وافق فكرك وما قسته وزنته بعقلك. وغير ذلك لا أقول لك أنا نبي مرسل ولا أقول لك عندي وحي منزل، أنا تحت نعل النبي المرسل وأنا خادم الوحي المنزل.

العارفين بالله والعارفين عن الله

ولذلك نبدأ في مسألة العارفين بالله والعارفين عن الله. قلنا في كتاب "إشراقات":

العارفون بالله عرفوا الله بالأشياء، فهم لا يرون إلا الله حيثما نظروا

والعارفون عن الله عرفوا الأشياء بالله، فهم لا يرون إلا بالله حيثما نظروا

العارفون بالله عرفوا الله بالأشياء، أي نظروا في ملك الله فعرفوا أنّ الله حقّ. العارفون بالله تأملوا وتفكروا وتدبّروا ﴿يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ يتدبّرون ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾ يتفكّرون في أنفسهم، يتفكّرون في خلق السماوات والأرض، فتبيّن لهم، كما ذكرت في قصيدة:

فانظر بقلبك تبصر— كيف جلّاه
صوت يقول أنا قد صاغني الله

الله في الخلق سرّ جلّ معناه
في كل شيء براه الله مقتدرًا

فكل شيء فيه صوت رباني رحماني يُنبئ عن خالقه وعن صاحبه وعن صانعه، وهذا من بديع الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

أما العارفون عن الله فهؤلاء الله جل في علاه عرّفهم بالأشياء، ينظرون إلى كل شيء بنور من الله، وهؤلاء ينطبق عليهم قول الحديث القدسي: "وما يزال عبدي يتقرب إليّ حتى أحبه، فإن أحبته كنت عينه التي ينظر بها ولسانه الذي ينطق به" فهذا يصبح الله عينه ولسانه وقلبه وروحه، يصبح عينه ليست على التجسيم أو التبويض أو الحلول أو الاتحاد أو وحدة الوجود، إنما على المعنى الرباني بالقرب والعلم والقدرة والتمكين والتسخير والجعل والتعليم والتأديب والتلقي والتلقين، وكل ذلك من فضل الله يؤتيه من يشاء إن الله ذو الفضل العظيم.

بين العارف بالله والعارف عن الله هنالك العارف الكامل الذي عرف بالله وعرف عن الله، فصارت كل معرفته تدور في رحي الربوبية، فهو يعرف عن الله ويعرف بالله. لذلك الخضر عَلَيْهِ السَّلَامُ كان عارفاً عن الله، وموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ كان عارفاً بالله، فموسى العارف بالله عرفه الله بنفسه ﴿إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ﴾ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى﴾ عرفه بعصاه عرفه الله بنفسه وقال له: يا موسى أنا ربك وأنا اخترتك واجتبيتك. ولذلك عندما تعرّف سيدنا موسى بالله وعرف الله وصار عارفاً بالله، عرف غيره: فعرف فرعون فكفر، وعرف قومه فاتبعوه ثم كفروا، وهكذا لم يبق معه إلا أخوه ويوشع بن نون وقليل ممن آمن. وهذا عارف عظيم على شرع وعلى دين ولكنه التقى الخضر، الخضر عارف عن الله، إضافة إلى أنه عارف بالله فهو عارف عنه، لا يحتاج إلى مواقيت ووادي طوى وخلع النعلين، هو عارف مباشر بسرعة بشكل مستمر

1. خرق السفينة: الله عرفه ما في السفينة وأمرها وما خلفها من ملك إلى غير ذلك

2. قتل الغلام: عرف عن الله من سر الغلام

3. وأقام الجدار: عرف عن الله من شأن الجدار

ثم قال في النهاية، قبلها: ﴿فَأَرَدْتُ﴾ و ﴿فَأَرَدْنَا﴾ و ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ﴾ وهذه تدرجات في العرفان، فثمة عرفان ذاتي وثمة عرفان ديواني روحاني وثمة عرفان رباني، وهذا فصل طويل جداً. وهذا غير العرفان النظري والعرفان التطبيقي عند الإخوة الشيعة، وإن كان علم العرفان في الأصل عند أقطاب الصوفية من أمثال الشيخ عبد العزيز المهدي تلميذ أبي مدين شعيب وشيخ أبي سعيد الباجي والذي كان صديقاً لابن عربي ولقنه كثيراً من علم العرفان، كان له مجالس في القرن الخامس للهجرة (الثاني عشر للميلاد) اسمها مجالس العرفان في مدينة المرسى بتونس الحاضرة تونس العاصمة. فهذا عرفان ختمه وأقفله الخضر بقوله ﴿وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي﴾، فأنت يا موسى العارف بالله تعرف عن الله في مواقيت، وأنا الخضر أعرف عن الله دائماً علاقة مستمرة بث غير منقطع، وهذا هو الفرق وهو فرق جوهري.

لذلك قلت من قبل أنه:

• الموصول بالموصول موصول، ومعرفة المفتوح عليه فتح، ويحتاج السر سرّاً لفهمه

سر سيدنا موسى العارف بالله احتاج سرّاً مقابلاً عند قومه ليفهموا عليه، فلم يكن لديهم لم يكونوا عارفين في الله كانوا جاهلين بالله. ولذلك كل ما رأوه من كرامة من معجزات من انشقاق البحر أوصلهم إلى العجل

﴿وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ﴾ كانت عملية العجل عملية ربانية مُحكمة ﴿فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ﴾، وهذه العملية الربانية المُحكمة لإظهار خبثهم وسوء طويتهم وأنّ فرعون الذي في نفوسهم أقوى من موسى الذي لم يكن في قلوبهم، فلم تكن لهم علاقة بالله.

ولما التقى الخضر عَلَيْهِ السَّلَامُ كان للخضر سر آخر، سر العارف عن الله، فلم يستطع صاحب سر العارف بالله أن يتصل بسر العارف عن الله فيفهم عنه، لذلك أعجم عليه الأمر ولم يفقه منه، إنما أخذه بظاهر شريعته. ولذلك قلنا: "الفقهاء اتبعوا العبارة، والعارفون اتبعوا الإشارة، وقد ضاقت العبارة واتسعت الإشارة" الإشارات أوسع كثيراً من العبارة.

كيف تعرف العارف من الدجال؟

ولذلك فإنّ مسألة العارفين بالله والعارفين عن الله من المسائل المهمة جداً. كيف تعرف عارفاً بالله أو عن الله من عارف دجال أو عارف شيطاني من أصحاب التنجيم من أصحاب ادّعاء القدرات.

1. أول قاعدة: **سلامة التوحيد**. لا يعرف الله مجسّم، لا يعرف الله جاهل بالله ولا يعرف الله دعيّ على الله، لا يعرف الله من لم يوقّر الله، لا يعرف الله من لم يتلو كتاب الله، لا يعرف الله من لم يُخبت لله، من لم ينور الله وجهه وذاته وصفاته.
2. ثانياً: **معرفة قدر رسول الله**. لا يعرف الله من لا يوقّر النبي العظيم، لا يعرف الله من لم يكن مقامه تحت قدم رسول الله، لا يعرف الله من لا يحب رسول الله، لا يعرف الله من يمدح نفسه أو شيخه ويذكر شيخه أكثر من ذكره لرسول الله أو يذكره مريدوه أكثر من ذكرهم لرسول الله، هذا جاهل بالله وهؤلاء ادّعاء على الله.
3. لا يعرف الله من لا يوقّر ويحب ويوالي آل بيت رسول الله، أياً كان مذهبه وأياً كان مشربه، من لا يحب علياً فهو منافق، من لا يحب فاطمة فهو منافق، من لا يحب الحسن والحسين ولا يبكي على مُصابه الذي بكى عليه رسول الله بالأسبقية قبل القتل بالجسم في مقام المحمدية، وبكى عليه عند القتل بالروح في مقام الأحمديّة، لا يعرف الله من لم يعرف مقام آل البيت.
4. لا يعرف الله من لا يعرف الصالحين ولا يحب الأنبياء والمرسلين، لا يعرف الله من لم يعرف مقام الشيخ عبد القادر.
5. لا يعرف الله من لا يعرف الخير ولا يعرف الكرم قلبه والسخاء يده

6. لا يعرف الله من لم يوّظد مع العلم وشائج ولم يكن من معين الحكمة ناهلاً، لا يعرف الله من لم يكن له فهم وكان صريع الوهم، لا يعرف الله من يجلي الله على بيانه ويقوي من برهانه ويعطيه من قوة سلطانه.

البيان العرفاني بيان جلي، بيان يعطيه الله لكل ولي، يعطيه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لكل قلب من الأغيار خلي، يُعطيه الله لمن أحبّ محمداً وفاطمة وعلي، هذا يجب أن يفهم. إذا وجدت ناصبي، إذا وجدت دعياً، إذا وجدت ناطقاً بأشياء مُعجمة مُبهمة بلغات يدعي أنها سريرية وطلسمات وكلام فارغ ولا يميّز بين الحديث الموضوع والحديث الصحيح دون نظر للرجال والجرح والتعديل، من قلب المتن: يعرف هل هذا نور فم رسول الله في هذا الكلام وصدره وروحه وبيانه أم لا؟ هل زيد حرف أم زيدت كلمة أم زيدت جملة أم هو ملقق كله؟! العارف بالله يعرفه، كما عرف الخضر السفينة ولم يخطئ رمية فيها، كما عرف الخبيئة في الأرض ولم يخطئ رمية فيها.

7. العارف بالله يقتل الباطل كقتل الخضر للغلام، يستلّ رأس الباطل، يجعل رأس ذنبه تحت قدم توبته.

8. العارف بالله مكثّر للبكاء، كثير مناجاة، مصلّ للفجر خائف من الهجر، مصلّ للصبح طالب للربح، مصلّ للظهر طالب لسند الظهر، مصلّ للعصر طالب أن يكون من جند صاحب العصر، مصلّ للمغرب طالباً من الله الغفران حين حياته تغرب، مصلّ للعشاء فاعل لما يشاء رب الأرض ورب السماء.

9. واحذروا العارفين الدجالين وأدعياء العرفان والعلم وأدعياء الخضرية. الذي يأتيه الخضر، ثمة قاعدة مهمة جداً: "الحظة كشف بألف عام تعليم"، أي أنك ترى هذا الرجل الخضري وكأنما عمره مليار مليار سنة ضوئية، لأنّ الخضر يُسرّع الأمور بشكل رهيب جداً في العلوم. أما هذا الذي يدعي من هنا ويدعي من هناك ويأخذ جملة من هنا وكلامه لا يلمس قلبك. العارف الخضري هو الذي يعلم أضعاف أضعاف ما يعلم علماء الكون بكل أجهزتهم، لأنّ القلب أعظم "ما وسعني أرضي ولا سمائي ووسعني قلب عبدي المؤمن" القلب يكون أعظم، السر النبوي أقوى من السلاح النووي، النووي مادة كونية ولكن هذا الذي سرى به جبرائيل وعرج إلى ربه إلى ما فوق سدرة المنتهى. لكن يُخصّب السر النبوي، عندما يتمّ التخصيب النبوي الكامل عند القائم عَلَيْهِ السَّلَامُ فحينها سترون أنّ كل الأسلحة مجرد لا شيء، مجرد دمي مجرد عبث وعشوائيات لا تساوي عند الله شيئاً ولا يقدرّون أمام قدرة الله على ذلك.

ولذلك هذا نصحي لكم، ولا يعني ذلك أنّ المتحدث واصف لنفسه إنما واصف للحق، ليست المسألة شخصية ذاتية بل هي مسألة في لب القضية، وعلى هذا يكون كلامنا في هذا.

10. العارفون بالله والعارفون عن الله هؤلاء أدلاء على الله، أدلاء بين يدي الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وهم أعزاء عند الله، هؤلاء تجد كما قلت اليوم في وصايا المعلم:

• يا بني كن في عين نفسك حقيراً وفي عين الله كبيراً، رُبّ كبير في عين نفسه حقير في عين ربه

كثير يرى نفسه عظيماً وهو لا شيء، العمامة طولها خمسين متر والعقل حجمه سنتمتران ولا وجود لقلب في صدره، لم يجلس يوماً بينه وبين يدي ربه باكياً، لم يبكٍ لما بكى له نبيه ولمصاب آل بيت نبيه، إذا قلت له آل البيت قفز من مكانه وفي عينيه الغضب وقال: هذا رافضي رافضي خارجي فاسد المذهب والعقيدة مشكك فيه مطعون فيه، أما إن حدثته عن وحشي وعن يزيد وعن أبي يزيد وجدة يزيد وجد يزيد وهل من مزيد حينها سوف يطرب ويبدأ في النشيد والرقص وأكل الثريد، هؤلاء هم حمقى. بعض أدياء التصوف يحب أكل الثريد ويحب فارغ النشيد ويبحث عن ألف ألف مريد وهو لغير الله يريد، ليس له شيء وليس له علم وليس له فهم وليس له سند، لم يشرب من كوؤس الأشياخ، ولم يلتقِ الذي هو أخضر والزمان شاخ، هذا الذي شاب في ظاهره، شيخ كبير في باطنه، هكذا سوف ترون المهدي عندما يرجعه الله من مسراه شاب الظاهر شيخ الباطن، روح قديم في جسد جديد.

علم المشكاة

أما الزوهرين هذه كثر الكلام عنها سنخصص لها محاضرة أخرى. الزوهرى من الطاقة الزهرية وهي نوع من الطاقات، أنا دوتت في البرهان عن أنواع الطاقات، قمت ببحث معمق ودكتوراه في هذا المجال، وإن كانت كلمة دكتوراه في الحقيقة هي فقط كلمة أكاديمية لا تعني التمكن من العلم، ولكنها تهتم الناس في إطار علمي أكاديمي لذلك هي مهمة أيضاً. أقول أنّ الزوهرى هذا، من هذه الطاقة هي ما بعد البنفسجية، تبدأ الطاقات من البيضاء والحمراء والصفراء وهكذا، هذا علم نطرحه عليكم اسمه "علم المشكاة" فيه خصائص الأنوار وخصائص الظلمات.

على سبيل المثال النور الأخضر نور الحب، وهذا لباس آل البيت وهذا الوشاح الأخضر هو رمز لحب آل البيت، القبة الخضراء فوق ضريح المصطفى هي نورها أخضر لونها أخضر، اللون الأخضر لون جبرائيل. جبرائيل لباسه الرسمي ولباس جنده، ولذلك الجيوش معظمها لباسها أخضر، هكذا دون أن يشعر الناس يجدون أنفسهم يمضون في ذلك. فالأخضر على تدرجات، كل فيلق على تدرج من تدرجات اللون الأخضر وهي كثيرة جداً، وكلما كان أعمق كلما كانت القيادة أعلى، كلما اقترب اللون إلى الأسود كلما كان أعلى في درجات القيادة، وكلما كان أكثر قرباً من الأبيض كلما لا أقول أدنى لكن في مرتبة أقل، لأنه ليس في الملائكة أدنى كلهم عالٍ فأعلى فأعلى. والشياطين دانٍ فأدنى فأدنى، سافل فأسفل فأسفل فأسفل، الملائكة عظيم علي فأعلى فأعلى، هكذا المعيار في علم المشكاة. هذا نور أخضر نور الحب، ولذلك راية الشيخ عبد القادر الجيلاني هي راية جبريلية، روحانيته خضراء جبرائيلية.

الأزرق إسرائيلي وهو رمز القوة والمنعة والحماية والإحاطة، لون السماء لون البحر، هو لون منيع لون عسكري قيادي قوي جداً، لون رياحي.

والأصفر هو لون الحفاظة لون الدقة لون الحساب، هو لون نور ميكائيل، ولذا تجدون هذا الأصفر في الزهور تجدون الأصفر في الصحراء إلى غيرها.

والأحمر هو لون مالك لون النار لون الفتك، وكذلك تجد الذين يلبسون اللباس الأحمر لديهم قوة غضب شديدة، مثل التونسيين الشاشية الحمراء إلى غير ذلك، الريشة الحمراء عند سيدنا حمزة، هذه قوة نارية.

اللون الأبيض بتدرجاته هو لون رضواني لون الجنة لون السلام.
والأسود هو لون عزرائيل.

والبنفسجي هو لون ذو القرنين، والزهري هو لون الخضر، ويتبادل اللونان يعني أحياناً يكون اللون الخضري بنفسجي وذو القرنين الزهري، هذا يسمى "الأقنوم" هذا عالم آخر بُعد آخر.

المهم أنه يقابل ذلك الظلمات: هناك الظلام الأبيض وهو ظلام الخديعة، الظلام الأخضر وهو ظلام الكراهية، الظلام الأحمر هو ظلام الشهوات والقتل، لذلك تجدون أنه في ليلة حمراء بلباس أحمر بشراب أحمر وسُفك الدم الأحمر، عندما يكون الإنسان غاضباً يشتهي رؤية اللون الأحمر يمزق عروقه ليرى ذلك اللون، تحمرّ عيناه، هذه قوة الظلام الأحمر. وكذلك هنالك الظلام الأسود ظلام القتل والموت وراية داعش، حتى في العينين يصبح هنالك سواد لا توجد تلك اللمعة في العينين. والأصفر هو خاص بالبطر والغبى والثراء لذلك يرمز لتكنيز الذهب وتخزينه.

ولكل نور جعل الله عكسه نوعاً من الطاقات الظلمانية ولها ألوان، لذلك لا تعجب من قول "نور أسود" و "ظلام أبيض" وهو ظلام الخديعة وهو نوع من الجن والشياطين يأتون للإنسان يقولون له: أنت شيخ عظيم أنت أتاك الأنبياء ويخدعونك ويأخذونه للهاوية. الذي سلط عليه الأسود وهو خاص بنوع من مرده العالم السفلي فهو يكون قاتلاً مجرمًا، الذي لديه طاقة الظلام الأحمر يكون شهوانياً جداً.

والإنسان تتصارع فيه هذه القوى، فصاحب الطاقة الزهرية أو الزوهري هو لديه أرقى نوع. وهذا النوع يحبه السفليون يستنفذونه منه ويُسلطون عليه أنواع الظلمات خاصة الظلام الأحمر في المنامات، ويستنزفون طاقاته الجسدية والليبيدية وغيرها، وهكذا وهكذا حتى لا أطيل عليكم، فهنالك زوهريين. الزوهريون هم قادرون أن يكونوا خضريين، ويمكن أن يكون منهم أيضاً شياطين إنس، يعني ليس كل صاحب تلك الطاقة هو في الحقيقة نقي روح، الأمر متعلق بالروح والروح لها ألوان وطاقات أخرى، النفس لها ألوان وطاقات أخرى. النفس الأمانة بالسوء مثلاً إذا كانت كذابة خداعة تكون طاقتها رمادية، الرمادية ترمز للنفاق، هو لون منافق لون فيه الكثير من التناقض وغير ذلك كثير. الطاقة الصفراء إذا سيطرت على الجسم هي طاقة في جانبها السلبي مدمرة لذلك يصفّر المريض، وهي في جانبها الإيجابي يكون الشخص ذكياً جداً وصاحب إمكانيات عقلية حسابية كبيرة، وخاصة المصابين بأمراض التوحد أو المنغوليين من أمثال كيم بيك أو الذين يتعرضون لبعض الحوادث من أمثال بيتر هوركوس.

إذن هذا علم المشكاة دونه في البرهان منذ 2006 ولم ننشره إلا الآن بينكم وإلا القلة الذين قرأوه، ولن تجدوا هذا في أي كتاب آخر، قد تجدون مقاربات مع ابن عربي ولكن لم نأخذ من أحد منهم، لأنّ هذه صفحة جديدة من صفحات العرفان يُجليها ربها بمواقيتها. وهذا علم كبير صممتنا عنه وما حدّثناكم إلا عن قطرة منه حتى يُجلي قائم آل البيت منه ما يُجلي ويظهره كله لأنّ لديه علاقة أيضاً بالأسلحة، لديه علاقة بالسفن، لديه علاقة بالتحكم في الطاقات، لديه علاقة بالحضارات القديمة الفرعونية والأثنا والمايا والأزتكت وأتلانتس وحضارات أرجون النبي في الهند وبوذا وغير ذلك. وعليه، يمكن أن تلاحظ أنّ التيبب يلبسون لباساً وردياً والوردي هو لون في لون فيه الجوانب الفنية والثقافية، وهو لون موسيقي لون جنّوي. وكذلك تجدون أنّ الشاولين يلبسون الأصفر ويتدرّجون حينها يغيّرون، الكاراتيه يلبسون الأبيض، الدراويش في الصوفية، كلُّ له لون.. وهذا كله أسرار متعلقة بحضارات قديمة، وهذا كله يُجمع

في ذيل طاووس عظيم هو الطاووس المهدي لذلك قال سيدنا رسول الله ﷺ "المهدي طاووس أهل الجنة".

الزوهريون

فهذا باب أيضاً للزوهريين، إذا كنت تشعر أنك زوهري هنالك ملحمة ستعيشها، عادة الزوهريين يعيشون مآسي صعبة جداً، يعيشون خيبات عاطفية قاسية، تكون لديهم شهوات شديدة للغاية، عشق وتعلق كبير جداً، أحلام سفلية يرون أحلام في جوانب جسدية معينة رغباتية، يتلاعب الشيطان بهذا. تأتيهم أحياناً لحظات انكسار وخضوع لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَبِكَاء، أو قد يعيشون فترة من العمر في لحظات بكاء وخشوع ونقاء ونظر للسماء ورؤية آيات وكل ما يرون شيئاً في المنام يتحقق، ثم تنطفئ ويغزوهم الشر ويعيشون انسحاقاً كلياً، ثم يرجعون بالندم. والله يبلوهم بذلك كما تُبلى المعادن بالنار لأن ذلك سوف يجدد فيهم تلك الطاقة. ولذلك من الصعب التخلص إلا بمسامحة الذات وهذا أصعب من أن يسامحك الله لأنك لم تؤذ الله في الحقيقة لكنك آذيت نفسك وآذيت الآخرين، وهذا في لحظات الغيبوبة لدى هؤلاء الزوهريين. الزوهريون موجودون في جميع الديانات، معظم الزوهريين (إن لم يكونوا كلهم) سيكونون من جنود المهدي من قادته، حتى الذين أخذتهم العوالم السفلية يمكن أن يستردّهم لأن أرواحهم تتبعه، تتبع سره تتبع نوره. عبر التاريخ معظم الزوهريين أو لنقل كلهم كانوا في حالة خير.

ثمة الزوهري المزيف، أنا تكلمت قلت ممكن يكون زوهري ولكن سفلي. هم زوهريون مزيفون، تكون لديهم علامات مثلاً عين لها لون وعين لها لون آخر، علامات مميزة معينة، وكان يزيد بن معاوية مثلاً من نوع الزوهري السفلي أو الزوهري المزيف، كان لديه ممارسات معينة في المدينة معروفة مشهودة وكان يتسلّى بالقتل وكان لديه شخصية معينة، الحجاج بن يوسف الثقفي، فرعون، النمرود، بعض الشخصيات في وقتنا مثل ترامب مثلاً هذا لديه أيضاً هذا النوع من الطاقة الزوهرية المزيفة أو الزوهرية السفلية، ولذلك استدرجته رئيسة الإنجيليين وقالت له أنت المخلص. بحكم أنّ هؤلاء، الزوهري الحقيقي أو الزوهري المزيف أو السفلي، هؤلاء جميعاً لديهم طاقات في الكلام، في جذب الآخرين، في التأثير فيهم، في جذب الناس إليهم، ولهم قدرات معينة. وهنالك مراكز تدرس هذا النوع من الطاقات وتستخدمهم وتستخدمهم حتى في الدعوشة والإرهاب، وحتى الشذوذ لذلك اختاروا لراية الشواذ علماً فيه جميع الألوان، تلك ليست الألوان النورانية تلك ألوان الظلمات. وقد قاموا بما قاموا به مع أمننا نحن، نحن نحترم الشباب الذي يطالب بحقوقه ونبارك كل مسعى من أجل أن نعي ما نحن فيه من إشكاليات عميقة ونطالب بالحق بطريقة فيها مصداقية وفيها احترام، ولكن لا نحترم أبداً من ينهب من يكسر من يعتدي على الأمن الذي لم يقم له بشيء. نعم نقف ضد كل أممي يقوم باعتداء على مواطن، ولكن المؤسسة ككل قدّمت شهداء وقدّمت رجال ولديهم مواقف وهم يحمون هذه البلاد، وكذلك الجيش، أتكلم عن بلاد تونس، وهذا يُعمّم على كل أوطاننا، وأيضاً أعتقد أنّ الاعتداء الذي حصل، وهؤلاء لديهم من يحركهم.

زيتونة لا شرقية ولا غربية

وأنا أقول لكم بكل بساطة: كل ما يجري في تونس يتعلق بآية في القرآن الكريم آية النور ﴿زَيْتُونَةٌ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾. ادرسوا لماذا أتى اليهود منذ آلاف السنوات إلى هنا وسمّوها قدس الأقداس الثانية، ولماذا ولماذا ولماذا، وماذا قال جعفر الصادق ماذا قال عبد السلام الأسمر ماذا قال المهدي الفاطمي ماذا قال المهدي بن تومرت إلى غير ذلك، ادرسوا جيداً، ماذا قال سيدي أحمد بن بوبكر ماذا قال العارفون وسيدي أحمد بن عروس، تفهمون، لن أخبركم بشيء الآن. ولكن هؤلاء يعرفون أنّ لهذه البلد أمراً، بين النخلة والزيتونة التي ليست في الشرق وهو زيتونة الشرقية فلسطين جبل الزيتون، وليست في الغرب زيتونة إسبانيا وهم يستهدفون هذه البلاد. لماذا قال الإمام مالك لعلي بن زياد "إن هذه إفريقية القبلة الرابعة بالاعتبار"، باعتبار ماذا؟ ولماذا سمّاها زيتونة، وهل ذلك عن جعفر الصادق وهل ذلك عن آباءه أم لا؟ لماذا أتى الحسن والحسين إلى هذه البلاد؟ لماذا أتى كل أهل البيت؟ لماذا قال عبد السلام الأسمر "ما من ولي إلا وله وقفة قدم في جبل زغوان"؟ لما قال عبد السلام بن مشيش لأبي حسن الشاذلي "إذهب إلى جبل الراهب حيث التقى الخضر بموسى"؟ أين قبر موسى؟ أين أصحاب الكهف؟ أين يونس؟ ما علاقة "يونس" بـ "تونس" وهل ذلك نُطق، وما علاقة ذلك بقوم تونس الوحيدين الذين قال الله نجوا من عذاب بعد أن أتاهم وقد حضرهم الموت، وسمّيت "حضر الموت" أو "حضر موت" ثم أسس الحضارة من هنا حضر موت اليمن، وليس العكس كما يظن بعضهم. وما علاقة ذلك بتونس وبالحوث وبالكهف وبالذي سيكون في الحوث وفي الكهف وغير ذلك من الأمور...

وهذا كله يعرفه هؤلاء جيداً، لذلك صدر الربيع العربي من تونس فعّله، لذلك أخرجوا أكبر الدواعش من تونس، لذلك أول جمعية شذوذ من تونس وسمّوها على اسم رجل عظيم اسمه شمس التبريزي وجعلوا شعارهم بين شمس التبريزي وجلال الدين الرومي، وقالوا كاذبين أنّ العلاقة بين الرجلين عندما كتبوا أربعين قاعدة في العشق "قواعد العشق الأربعون" أنها علاقة جسدية. وهؤلاء المرضى سوف ينتظرونا إن شاء الله قليلاً فقط حتى يستخرج السيف من غمده ثم سيرون ما الله فاعل بهم، وما فعل بقوم لوط الأوائل كان مجرد تسلية ملائكية بسيطة جداً جداً أما ما سيصيب هؤلاء والذين من خلفهم والذين معهم والذين يشبهونهم والذين يوالونهم والذين يمّولونهم والذين ينظرون لهم، وهذا على عدد أصابع اليد كما قلت في فيديو الراهب، واحسبوها اكتبوها على ذقني بعد خمس سنوات أو أقل أو أكثر، وسوف نذكر بعضنا بذلك، إن غداً لناظره قريب ﴿الْيَسَّ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾.

فهذا بيان خارج السياق ولكن أردت أن أقوله، وليشتم من أراد أن يشتم وليسب من أراد أن يسب. نحن لن نلتفت إليكم لأنّ الأمر قد أتى، ونحن بحمد الله تستعدّ قلوبنا لأمر أتى وهي دولة آل بيت النبي ﷺ دولة الأخيار دولة الطيبين دولة أهل الله، وأنتم تراقبون وتعرفون ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾. وكالة الفضاء الأمريكية لو تكشف ماذا ترى وتسجّل وما نعرف أنها تسجّل، سوف تُصدمون مما يُسجّلون، وقد بدأت تتسرّب بعض المعطيات وبعض المعلومات ولروسيا أكثر من ذلك، ولو كان الإذن القلبي لحدثناكم بل لأريناكم ذلك رؤية العين ولكن هذا ليس أوانه.

خاتمة

وعليه فإنّ الزوهرين هم أصحاب طاقات خاصة، والزوهري حتى يصبح عارف بالله عليه أن يكون خضرياً، بمعنى أنّ الخضر عَلَيْهِ السَّلَامُ هو ملك الزوهرين، والمهدي هو ملك الزوهرين. ولذلك هؤلاء عندما يأتي الوقت المناسب إما أنهم يلاقون الخضر أو أنهم يلاقون من لاقاه، أي يتلقون عمّن تلقى عنه، لذلك "الموصول بالموصول موصول" و "معرفة المفتوح عليه فتح".

الآن وهو يشاهد محاضرتي الآن في هذه اللحظة، وأنا أعرف أنهم يشاهدون، من يشاهد محاضرتي وفي قلبه مرض، سيجد في صدره صوت يقول له: ما أتعسه ما أحقره ما أكذبه، انظر إلى وجهه كم هو سيء، انظر إلى بيانه كم هو فاسد، هذا رافضي هذا شيوعي هذا كذاب هذا دجال هذا مريض هذا مسلوب هذا سخّار هذا مغرور إلى غير ذلك، هذا الصوت هو صوت شيطاني متعلق بنفس مريضة. أما الذي قلبه سليم سيعرف أنني أتكلم من مقعد صدق ومن مقام صدق ومن مقام علم ومن مقام معرفة، وإن كان هام قلبي وروحي تحت قدم رسول الله ﷺ وجسدي وأهلي وأولادي تحت قدم رسول الله ﷺ وتحت قدم آل بيته وتحت قدم الحسين وآل الحسين وأصحاب الحسين وتحت قدم الصالحين وتحت أقدام كل الطيبين، لنكن واضحين. لا نروم من هذا جزاءً ولا شكوراً ولا نخشى في الله لومة لائم، ولا يُقدر علينا ﴿إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ﴾، لم يصلوا ولن يصلوا ولن يستمروا ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾، قضي الأمر كما قال الملائكة لإبراهيم ﴿يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ﴾ ﴿فَقَضِيَ الْأَمْرَ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾ كما قال يوسف لصاحبي السجن، قُضي الأمر وحُتم وحُسم وحُتم حتماً لزاماً ﴿فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا﴾ حتى إذا رأوا ما يوعدون فسiron قريباً ما يوعدون.

ولذلك أنصح من أحبّاب متابعة أهل العلم الحق، وكما نصح أخي العلامة العارف بالله الزوهري والخضري الدكتور محمد عيسى داوود الذين يتابعونه بمتابعتي، أنا أنصح أحبّتي بمتابعته أيضاً، وكذلك بكل أهل الهداية وأهل العلم وخاصة كونوا مع الرباط المحمدي مع السيد أبو صالح الألوّسي أيضاً مدرسة عظيمة، ما يقوم به السيد محمد عجان الحديد العراقي الحسيني في تركيا، هذا المجمع المبارك للصوفية مع من فيه من علماء ومن أقطاب، تابعوا علماء في هذه البلاد في غيرها، هنالك أعلام هنالك أصحاب هداية هنالك حق وأصحاب سر وأصحاب نور وأصحاب بصيرة وأصحاب وعي.

ودعوكم من الدجالين، من يأخذك 20 عاماً ويقول لك: كل ليلة اختم يس 70 مرة أو 1000 مرة. عندما جلب الخضر عَلَيْهِ السَّلَامُ عرش بلقيس لم يحتج إلى ختم يس سبعين مرة، لظل سنة يختم يس ولم يأت بها. عندما خرج رسول الله رش فوقهم التراب وقال: يس. يس هذه فيها سر عجيب جداً، من أعجب الأسرار. أذكر ربك أختب إلى ربك، إسمع لما ينفعلك ودع ما لا ينفعلك، اقرأ ما ينفعلك، ركز، إعلم أنّ الأمر حق وأنّ الأمر قريب وأنك ستسأل وأنّ هذا بيان وبلاغ لك ﴿هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنذِرُوا بِهِ﴾. هذا بلاغ من رسول من رسول عن رسول، هنالك الرسول ب: "ال" وهو محمد ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين سيد الأولين والآخرين، انقطعت رسل الله بمحمد بن عبد الله، لكن رسل رسول الله لا ينقطعون أبداً، رسول عن رسول، ولي عن ولي، صالح عن صالح، عارف عن عارف، ذرية عن ذرية، سيد عن سيد، شريف عن شريف، هكذا تقي عن تقي، نقي عن نقي، معرّف عن معرّف، مفتوح عليه عن مفتوح عليه، موصول عن موصول، هكذا كبراً عن كبر بسلسلة ذهبية من آدم إلى رسول الله ﷺ إلينا إلى المهدي رايتها

ومجمعها إلى خلفائه من ذريته إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها بعد أن يقفلها المسيح عيسى بن مريم. فهذا أمر يجب أن تفهموه، إنَّ الأمر لحق.

وأختم سائلاً الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَنْ يَدَلِّكُمْ عَلَيْهِ وَأَنْ يَهْدِيَكُمْ إِلَيْهِ وَأَنْ يَزِيدَنَا وَيَزِيدَكُمْ عِرْفَانًا، وهذا الكلام بحمد الله قد خُبرت قلوبنا أنَّ أهل اليقين سيصدّقونه وأنَّ أهل الإبغاض والكره والحقد سيجدون أنفسهم يستهزئون دون أن يشعروا ولا يملكون من أمرهم أن يصدّقوا، ذلك أنَّ الله ختم على قلوبهم وأنَّ الله أهلكتهم بالسابقة، حقّت عليهم كلمة العذاب. ونحن قوم كما قال جدنا عن جدنا، رسول الله عن الإمام علي: "لا يحبنا إلا مؤمن ولا يبغضنا إلا منافق سيء الولادة سيء النسب"، فهذا والحمد لله رب العالمين.

الحاضرة بتاريخ: 1-02-2021



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

التأمل السابع عشر: آفة الجدل

مقدمة

السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته متابعتنا وأحبابنا الكرام، على بركة الله نبدأ درساً جديداً، الحقيقة أنني اخترت موضوع اليوم ضمن التأملات العرفانية عن واقع ملموس عن إشكالية نعيشها بعمق ونعيشها ربما بشيء من الألم وهي آفة الجدل.

الجدال ليس النقاش وليس النقد، النقاش هو محاورة بهدف الاستيضاح بهدف الوصول إلى حقيقة أو إلى رأي أقوم وأكثر ثباتاً ورسوخاً، فأنا أناقشك لأثبت لك وجه نظري وأناقشك بنية طيبة، نيتي الحقيقية أن أصل إلى الحق: إن كان رأيك أصحّ ملتُ إليه وإن كان رأيي أصحّ وثبت ذلك بالبرهان تميل أنت إلى رأيي، وهذا يكون عن سلامة نية وطوية.

والنقد هو التقييم، ولا ينقد المرء شيئاً لا يعرفه، مثلاً أنا من المستحيل عليّ أن أنقد أمراً أو علماً أو شيئاً لا أعرفه. مثلاً أنت لا تتكلم الصينية لا تنقد قصيدة باللغة الصينية لا تستطيع ذلك، أنت لا تعرف في مجال معين من مجالات الحياة لا تستطيع أن تنقده أو تبدي رأياً نقدياً، ربما يكون الأمر من إبداء موقف إنطباعي ذوقي فهذا ربما مسموح، ولكن النقد هو تقييم النقد هو علم وفيه الكثير من الفصول ولنا في البرهان فصل خاص سمّيناه علم النقد.

أما المجادلة فهي أن تكون النية منذ البداية سيئة. وطبعاً في القرآن المجادلة المضادة: ﴿وَجَادِلْهُمْ بَالِغِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ تعني أن يجيب جدالهم وعنادهم بلطف وهدوء وهو يعلم أنهم لن يصلوا إلى شيء.

آية ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ﴾

الآيات حول الجدال في القرآن العظيم كثيرة على سبيل المثال ﴿وَمِنْهُمْ مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ يَرَوْا كَلِمًا آيَةً لَا يُؤْمِنُوا بِهَا﴾ هذا توصيف لهؤلاء المجادلين يكشف لك حقيقة ذواتهم، هو يسمع ولكن في أذنه وقر في أذنه حجاب، ختم من الشمع يوضع على الأذن، فالإنسان الذي لديه هذه الآفة لا يستطيع أن يفهم ولو جئته بكل آية، ﴿وَإِنْ يَرَوْا كَلِمًا آيَةً لَا يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ﴾ كلمة جاءوك في القرآن الكريم ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ "جاءوك" هذه لها معاني، هنالك من يذهب حتى إلى اليوم يجادل رسول الله وهو في مقامه الشريف، يُجادل فيه: يقول هذا لا يضر ولا ينفع، لا تجوز الزيارة، توجه للقبلة إذا دعوت، إلى غير ذلك من المسائل، يعني مستمرة إلى الآن.

أنا أعطيك معلومة مهمة جداً وهي أنّ النماذج القرآنية ما سميتها في موسوعة البرهان بـ "النماذج القرآنية" هي نماذج موجودة في الواقع، وأعتقد أنّ أثرى كتاب في النمذجة البشرية هو كتاب القرآن العظيم بحكم أنّ الذي كتبه والذي أوحى به والذي قاله سبحانه وتعالى هو الله جل في علاه، هو كلام الله، والله جل في علاه لم يفرط في كتابه من شيء، تجد جميع النماذج البشرية: النماذج الرائعة، النماذج الصامدة الصابرة المؤمنة، النماذج النبوية الرفيعة في القصص، نماذج أهل العزم، النموذج المحمدي وهو القمة، وكذلك تجد نماذج المؤمنين والصادقين وعباد الرحمن والطيبين والمجاهدين والسائحين والراكعين. وتجد نماذج السيئين جميعها: النموذج الفرعوني، النموذج القاروني، النماذج المختلفة، نموذج الحسدة كأخوة يوسف إلى غير ذلك، وهذا نموذج أيضاً هم أنا أسميهم الأخساء الذين نواياهم سيئة مبطنة ولكن يتشدقون بالكلام، وليست نيتهم المعرفة إنما نيتهم فقط المعاندة، ومنذ البداية عندما سمعوا ذلك الكلام مثلاً عندما جاءهم رسول الله وقال: "أنا رسول الله إليكم"، منذ البداية يعلمون أنه الحق ومنذ البداية اعترموا وعزموا على أن يجادلوا، أي حجة تأتي أي برهان يأتي أي معجزة سيجادلون في ذلك: إذا انشق القمر قالوا ﴿سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾، إذا رأوا كل آية لا يؤمنون بها.

هؤلاء هم يعانون من حالة، لكن هل هذه الحالة هي حالة ذاتية أم حالة مفروضة عليهم؟! آيات القرآن تُبين أنّ الله سبحانه وتعالى حرمهم، لم يُرد الله أن يُسمعهم ولو شاء الله لأسمعهم ولكن الله له مشيئته وله حكمته. وهذه كلمات تامات لا يُجاوزها برّ ولا فاجر ﴿سَبَقَتْ لَهُمْ مِّنَّا الْحُسْنَىٰ﴾ أو ﴿حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾ ﴿حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ﴾ هذه كلها مصطلحات قرآنية. فهؤلاء هم في وجاءهم في سترهم في برزخ لا يكادون يرون من الآيات العظيمة شيئاً، وكلما رأوا آية جادلوا وكلما أتوا خير جادلوا وكلما أتاهم علم جادلوا. ومهما يبلغ العالم من علمه لن يبلغ مبلغ الأنبياء، ومهما تكن من أموره لن تكون أعظم من المعجزات، فإنهم يقعون يجادلون حتى يأتيهم العذاب بغتةً أو تأتيهم الملائكة تتوفاهم تضرب وجوههم وأدبارهم.

هذه آفة مرضية خطيرة، لا يكون مرض الجدال بهذه النية عند قلب سليم، لا يكون إلا عند حاسد أو لديه عدم ثبات نفسي أو عدم استقرار نفسي، لديه إشكالية في تقبل الأنوار والأسرار والخيرات ونفسه

تأبى عليه ذلك، شيطانه يُريد حرمانه، والله قد ختم على قلبه. لذلك الآية التي نقرأها لكم ﴿جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾.

﴿يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ﴾ هذه الآية في سورة الأنفال والأولى في سورة الأنعام الآية 25، هذه الآية عظيمة جداً، أنت أمسك القرآن الكريم وأخرج كل كلمة جدال، هنالك برامج الآن سهلة جداً، أخرج كل كلمة جدال وتأمل فيها، تأمل.

الآية الأولى وصفت لك أنّ الله جعل على قلوبهم أكنة، الأكنة هي غشاوة من (كَنٌّ - يَكْنُ): عندما تكون تحت مظلة ما أو اختبأت في مكان ما. الله يُخفي قلوبهم عن الأنوار، يُغلفها! تجد شخص يعيش بجانب الكعبة أو بجانب المسجد النبوي وتجده يقول لك: لا تزر مقام إبراهيم، لا تزر النبي، لا تدعو عند قبره إلى غير ذلك (عند ضريحه الشريف).. هذا حرمان كبير، هذا القلب في أكنة، يرون كل آية لا يؤمنون بها. وكذلك يُضيف إليهم هذا الوقر في الأذنين لأنّ الأذن هي الواعية، ﴿أُذُنٌ وَاعِيَةٌ﴾ ذكرها القرآن الكريم. السمع يسبق البصر عندما يسمع الإنسان ويتأمل في الكلام وفي الألفاظ، أحد الصحابة جاء إلى قريش وقالوا له: احذر أن تجلس إلى محمد إنه ساحر، فقال: وما يضرنني؟! فجلس، فقالوا له: إنه شاعر، فجلس وهو شاعر كبير فقال: "أما الشعر فأنا أقوله والله ما هذا بشعر، وأما السحر فأنا أعرفه والله ما هذا بسحر" وآمن. كانوا يمنعون الناس من مجرد الجلوس والاستماع، وكان الوليد بن المغيرة عندما يأتي رسول الله يُحدّث، يجلس ويقول لهم: أنا أحدثكم بخير من هذا، فيقصّ لهم من قصص الغابرين وأموراً حتى وسمه الله على الخرطوم.

إذن هذا وصف دقيق عظيم تجدونه إلى هذه الساعة في المجادلين والمعاندين والجاحدين والحاسدين الذين إن يروا كل آية يكفروا بها، ثم يُركّزون على الجوانب الذاتية لا يُركّزون على مكنون العلم لا يُركّزون على الملفوظ لا يُركّزون على السماع والاستماع والانتفاع أو على المناقشة العلمية الهادفة التي غايتها أن نستوضح ما استشكل من المعارف أو ما غمض من المعلومات وأن نحاول الفهم، يُركّزون على: كيف عرفت، من أين لك هذا، كيف تعلّمت هذا، من علّمك، من أنت حتى تعرف هذا؟ ولو أنّ عبداً من عباد الله دعا الله فاستجاب له وقال: "اللهم علّمني علماً لم تُعلّمه لسواي" على سبيل المثال، هل نمنع الله أن يُعلّم عبداً من عبادته؟ يقول رسول الله "لا يزال أحدكم يقرأ سورة الضحى حتى يبعث الله إليه من يُعلّمه دينه" هذا حديث، حتى نصل إلى مرتبة "وما يزال عبدي يتقرب إليّ حتى أحبه، فإن أحببته كنت عينه التي ينظر بها" أي عين ينظر منها الله وينظر بها الله سبحانه وتعالى عندما يتحوّل هذا الإنسان؟ "كنت" طبعاً هنا مجازية يعني: كان نوري في عينه التي ينظر بها. "كنت لسانه الذي ينطق به" كان سرّي في لسانه الذي ينطق به، كانت قوتي في يده التي يبطش بها، وكان تقديري وتدييري في رجله التي يسير بها. ويصل إلى قوله: "ما وسعني أرضي ولا سمائيّ ووسعني قلب عبدي المؤمن" وسعني أي محبة أي أنه يُحب الله حتى أنه يحتوي من نور الله ما يحتويه، كلها لا تعني الجسمية أو الحلول في شيء (يحلّ الله في أشياء)، لا يحلّ الله في شيء تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، إنما لها معانٍ ضمنية، وهذه المعاني من المجاز ومن جميل التعبير الإلهي ومن ما يُساق في معنى الأنوار والأسرار واللطائف والمعاني الرحمانية.

آية ﴿يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ﴾

﴿يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ﴾ طيب كل من يسمع صاحب حق أو ملهم من الله جل في علاه أو صاحب علم لديني أو صاحب سر رباني أو صاحب نور رباني محمدي أو صاحب علم خضري أو صاحب أنوار من أنوار أهل الله يتبين له بمجرد السماع أنّ ذلك شيء من الله جل في علاه، لذلك يقول الصوفية "الشيء لله" تعني الشيء من الله. كل من يسمع، سواءً في زمن النبوة أو زمن الولاية بعدها ومراحل البيان والبرهان ثم نصل الآن إلى مرحلة السلطان بالمهدي عَلَيْهِ السَّلَامُ، كل من يسمع سيتبين ويشعر أنّ ذلك حق! ولكن انظر إلى الصورة الإلهية العظيمة العجيبة والوصف التدقيقي في القرآن الكريم ﴿كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ﴾ ماذا تعني هذه الآية؟ تعني أنه يفرح من الحق، يخاف أن يكون هذا الناطق حقاً علمه ربه، يخاف أن يكون هذا الرجل الذي أمامه حقاً فيه من سر الله، بل يخاف أن يكون ذلك الناسوت فيه شيء من اللاهوت، لذلك كانوا ينفذون الناسوت النبوي ﴿وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْسُجِي فِي الْأَسْوَاقِ﴾، طيب كل الناس تأكل الطعام ويمشون في الأسواق، ﴿وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَداً لَا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ﴾، والله قال كل الأنبياء كانوا يمشون في الأسواق، الرسول قال كل الأنبياء رعو الأغنام. ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقُرَيْتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ ﴿أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَدُ يُبِينُ﴾ يعني فرعون لم يُركز على الآية العظيمة التي أتى بها موسى، على المعجزات.. لا!! كيف يتكلم، ينتقده، يُجادل، وهو يعلم يقيناً أنّ ما فعل هذا إلا رب السماوات والأرض، لذلك موسى قال له ﴿لَقَدْ عَلِمْتَمَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بِصَائرٍ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُوراً﴾.

وعليه، تجد هذه المجادلات ﴿كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ﴾ لماذا الموت؟ لأنه موت باطل في قلبه، موت باطل في نفسه. فالنفس عندما تشعر بالأنوار والأسرار تخاف على نفسها تخاف على مركزها مثلما يخاف اللصوص والأفاقون من رجل صادق يحكمهم. لذلك الآن منذ البدايات كان المهدي عَلَيْهِ السَّلَامُ كابوس الظالمين كابوسهم جميعاً، منذ البدايات قتلوا وتآمروا، والآن العالم كله يعيش هذا الكابوس وإن كان لا يصرح بذلك، ولكن ولو أنّ نسبة واحد على مليار من مئة أنّ الأمر صحيح وأنّ الأمر حقيقي وأنّ هنالك رجل بهذه المواصفات الآن وسوف يؤتاه الله تلك القوة، فهذا الأمر حقاً يُثير خوفهم لأنهم يخافون الحق وأنفسهم تخافه وكذلك أرواحهم التي فسدت وكسدت أنوارها تخشى من ذلك.

﴿يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ﴾ ستجد المجادل المعاند بمجرد أن يأتيك، أحياناً بأدب يقول لك: "السلام عليكم أرجو منكم أن تتقبلوا كلامي بصدر رحب، إنك غير حكيم وأنت غبي وتقول هذا الكلام وهذا الكلام لا يجوز" هكذا مباشرة يبدأ في الهجوم، فتجيبه تقول: يا أخي لو أنك تبينت كذا وكذا وكذا.. فمباشرة سيقول لك: "ومن أنت؟! حتى الأنبياء ناقشواهم وسألهم الناس، وحتى رب العالمين سألوه، فمن أنت حتى تتكلم هكذا؟!". بينما العاقل والحكيم وصاحب البصيرة إذا وجد من يفوقه علماً تأدّب، إذا سأل تأدّب وإذا طلب تأدّب، وإذا ناقش ناقش عن علم وبيّنة، فإن وجد أنّ العلم يفوقه استفتى قلبه ونظر وقرأ، والذي يُقدّم لك شيئاً مقروءاً هذا قيد نفسه بنفسه لأنّ الكتابة لا تخفى على الناس، المكتوب واضح يُمكن شرحه.

العلم فضّاح والجهل مفضوح

ولذلك أنا قلت كما قلت في مقال اليوم: "العلم فضّاح والجهل مفضوح" فالعلم فضّاح لصاحبه إذا قال شخص أنا أفهم في الفلك وتكلم وهو لا يفقه شيئاً. وعليه فإنّ دجالي التصوف على سبيل المثال إذا سألوك يقول لك هذا قطب العالم، طيب حدّثنا بعلم! لن تجد عنده شيئاً. يقول لك هو لا يريد الكلام لأنّ هذا لا يتحمّله أحد إلا وقد بلغ مستواه، هل بلغت أعظم من مستوى رسول الله الذي حدّث الناس؟ هل بلغت أعظم من مستوى الإمام علي الذي حدّث الناس؟ هل بلغت أعظم من مستوى الإمام عبد القادر الجيلاني الشيخ العظيم الذي حدّث الناس؟ ثم يقول لك: إنّ الشيخ الذي مات انقضى ولا يقوم مقام الشيخ الحي، إذاً رسول الله انقضى ولا يقوم مقام هذا الشيخ الحي!! هو أعظم من رسول الله وأعظم من الشيخ عبد القادر وأعظم من الإمام الرفاعي والشاذلي وجميع الصالحين!! هذه ترهات وكلام فارغ. إنما هل أنت أعظم من الله الذي تكلم وأنزل قرآناً بلسان عربي مبين وقال ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾؟ إذاً "تكلّم كي نعرفك" كما قال الإمام علي، تكلّم. إن كنت صاحب سر حدّثنا، إن كنت قطب أرنا، لا ترنا كرامات حتى السحرة لديهم قدرات وسيأتي من لديه قدرات يُذهل الجميع، ولكن حدّثنا بعلم وبيّنة، أرنا ماذا علّمك الصالحون. هل رأيت الجيلاني، ماذا أخبرك؟ رأيت الخضر لقيته، ماذا علّمك؟ رأيت رسول الله في الرؤيا، ماذا أخبرك ماذا أضاف لك؟ ذلك الأحمق الذي كلما أغمض عينيه يرى رسول الله وهو في المدرسة السلفية (57 مرة)، طيب ماذا علّمك؟ علّمك فقط أن نحذّر الناس من البدعة؟ علّمك أنّ الملائكة تنزل على الذين يقتلون الناس في سوريا؟! إلى غير ذلك.. فهؤلاء يبين لكم أنهم دجالون.

حتى بعض الذين أيضاً يدّعون التشييع يقول لك: رأيت الأئمة، طيب ماذا قال لك الأئمة، ماذا حدّثوك ماذا علّموك؟! أين أنت من أخلاقهم ورفعة أخلاقهم وجمال أرواحهم؟ أين أنت من حبههم؟ هل تقبل أن تكون في مقام كلبهم باسط ذراعيه بالوصيد، أن تكون في مقام تراب أرجلهم؟! لقد شرف كلب أهل الكهف وهو يحرسهم أمام كهفهم، وذلك شرف عظيم. لكن هذا الدعي يرى نفسه واحد من الأئمة، بل إنه يفوقهم، بل إنه يتقول عليهم، بل إنه يُدجّل عليهم، بل إنه يتهم أبناءهم، بل إنه يسبّ أولادهم، بل إنه ينشر منهج السخف والسب والشتم دون بيّنة. وكذلك مدّعي التسنن الذي يميل إلى النصب ولا يميل إلى محبة الآل ويقول لك هذه المحبة ليست مفروضة، وأحدهم في المنبر قال أخطأ الشافعي عندما قال:

فرض من الله في القرآن نزلّه
من لم يصلي عليكم لا صلاة له

يا آل بيت رسول الله حبيكم
يكفيكم من عظيم الفضل أنكم

خرج هذا الأحمق (وهو يدّعي التصوف) وقال أنه أخطأ الشافعي، فالصلاة مكروهة. فهذا كلام أيضاً يُجاب عليه بأنك ستلقى ربك غاضباً عليك، وإن أدام الله حياتك سنوات قليلة قادمة سيأتيك من يُدفعك ثم هذه الكلمات نقداً وعياناً في الدنيا، ثم يرسلك عبر ملائكة شداد غلاظ إلى سجين تنتظر روحك زمناً (ليس زمناً طويلاً) ثم تُرسل إلى جهنم. الإنسان أحياناً يقول كلمة يُلقى بها في الجحيم، احذر ما تلفظه، لا تتعالى على أسيادك لا تتعالى على مقامات أكبر من مقامك. ما لك أنت وما لآل البيت، هل تبغ مقامهم؟

هل تبلغ صبرهم وإيمانهم؟ ما لك أنت حتى تقول أخطأ علي؟! من أنت حتى تقول ذلك؟! ما لك حتى تقول أخطأ الحسين وقُتِلَ بسيف جدّه؟! لا تُهلك نفسك.

وأنت إن كنت تدّعي التصوف وأنت قطب، طيب كل قطب خاضع لأقطاب سبقوه وأعظم منه، من أنت حتى تقول أنا خير من عبد القادر الجيلاني؟ من أنت حتى تقول أنا خير من الرفاعي؟ هؤلاء الرجال الذين صبروا وجاهدوا وغيرهم من لفيف أهل الله.

فلذلك الإنسان يجب أن لا يُجاوز حدّه، مقامك تحت نعل المصطفى مهما كنت وأياً ما كنت. الذين ينتظرون الإمام المهدي، الإمام المهدي نفسه هو قبس من نور جده المصطفى، هو خادم للناس، وسترونه مُشفقاً على الطيبين كما تُشفق الأم على ولدها، وضارباً لوجوه الظالمين كما تضرب العواصف الشديدة برياحها معها نار ومعها إعصار ومعها حجارة رُقيقات الأشجار تكسرها كسراً وتجرفها جرفاً، هكذا بين مقام الجبروت ومقام الرحمت. فالله جل في علاه هذا يُدنيه ويُجلّيه وسوف ترونه عياناً، وإن شاء الله يُطيل الله في أعماركم وترون ذلك وتعيشون في كنف هذا الأمر، وهب أنّ هذا الأمر ليس بحقيقي فإنّ عليك أن تتعلّم الأدب.

وهذا الوصف للمجادلين هؤلاء الذين لديهم هذا الحمق هو وصف دقيق، وصف قرآني. يُمكننا أن نجرد الآيات، وأنا أنصح دائماً حسب الأطر أن تقرأ القرآن ببصيرة، تتمعن في المعاني وتتنظر في أحوال الناس ثم تُقارن ذلك بواقعك، فإنّ القرآن لم يذكر أمراً إلا وتجد استمراره واستمراره واستمراره حتى يأتي أمر الله، ثم بعد ذلك تُعاد الكرة للظالمين ولكن هذه المرة سيُسخون ويتحولون إلى كائنات بشعة جداً عندما تدخل الأرض الفترة الدجالية الفترة الأخيرة لا تقوم الساعة إلا على هؤلاء الأشرار، بعد أن يقبض الله بيأس أنفاس الأخيار وينتهي وجودهم في كوكب الأرض، حينها ينزل يأجوج ومأجوج ويقضون على بقية البشرية، وعليهما البشر الممسوخين ويأجوج ومأجوج تقوم الساعة.

آية ﴿وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ﴾ وهو شديد المحال

﴿وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ﴾ هذه الآية في سورة الرعد. طبعاً يُجادلون ليس فقط الأنبياء، يُجادلون في الله، يُجادلون في حقيقة الله. واليوم الفلسفة الإلحادية نفس الشيء لها جدال، وهذا الجدال كما قلت لكم هو إسفاف، يعني من خلقت أولاً الدجاجة أم البيضة؟ وهكذا... كلما جئته بحجة يقفز لك في مكان آخر، إن لم يجد سوف يستبك ثم يُشكك في عقيدتك ثم يشكك في دينك، ثم يقول مشعوذ دجال خارج عن المذهب احذروا منه حدّروا الناس منه، ثم يُحاول أن يرجع إلى شيء من ماضيك يبحث عن شيء ما من هنا وهناك... لأنه لا يقبل أنّ الله جل في علاه أكرمك. هب أنّ الإنسان كان نملة فنفخ الله فيه وحوّله ﴿أَوْ مِنْ كَانٍ مَيِّتًا﴾ طيب كان ميتاً، ميتاً يسعى فيه ما يسعى في الميت، ﴿فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ﴾، طيب هذا النور الذي من بين يديه ومن خلفه، هذا الله جل في علاه يُحيي من يشاء، فلماذا تعترض على الله عندما يُعطي عطاءه؟ فأنت إما أن تستفيد وإما أن تبتعد، الأفضل عندما يرى الإنسان أحد أهل الله أو أحد أصحاب السر، إما أن يستفيد أو أن يبتعد. بجانب بيتك زاوية

ولي: نزوره تقرأ فاتحة أو لا تسبه، لأنه قد تأتيتك دعوة تُضَيِّع كل صلواتك وكل حياتك. إبليس طيلة وجوده كان يُصَلِّي قبل المسخ فما الذي دفعه إلى أن يصعد؟ لو أنه بقي في السماء الدنيا كان خيراً له، ولكن عندما ذهب إلى مقام غير مقامه وكان جليس الملائكة واغترّ وظن أنه هو الخليفة وسيرجع مظفراً، خلق الله من طينة أرضية (حقيرة في نظره عظيمة في نظر الله) خلق آدم فلم يقبل بذلك، فجادل ربه فأهلكه ربه.

وكذلك إلى اليوم يجادلون ويقولون نحن خير منه و﴿لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾، يُعادون بشكل آخر: "لولا أنّ هذا السر كان عند شيخ في مظهر آخر، لو أنه على اللحية الشرعية ما شاء الله والعمامة الشرعية ما شاء الله واللكنة الشرعية ما شاء الله، ولو أنه زيتها بسيدنا معاوية وسيدنا يزيد وجاء من ومن هناك وخاتل وناق لكان رجلاً عظيماً"... لكن هذا الذي يحب آل البيت ويُحب أسئادنا ولا يحب أن يبين أفضالهم كالنسائي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ الذي كتب في مناقب الإمام علي فقال له النواصب: وأين معاوية؟ قال: والله ما أعلم له شيئاً لم يذكره رسول الله إلا مرة قال "لا أشبع الله لك بطنك"، فقتلوه قتلةً شنيعة. إذاً هذا هو المرض.

وكذلك آخرون يقولون لك: أنت ما دمت لم تدخل في مذهب آل البيت لا تتكلم عنهم، هل أنت نائبهم؟ من أنت؟ أنت القائم لم نعرفك؟! فلذلك كلُّ من كل جانب. أنا أنكلم الآن دائماً أنكلم عن الشيعة وعن السنة وعن الصوفية وعن السلفية، في كل فريق ثمة صادقون وطيبون وجيدون.

- ❖ في السلفية ثمة أقوام قصدوا الحق ولكن لم يجدوا سبيله ثم بدأوا يرجعون.
- ❖ الإباضية أيضاً تعلمون تاريخها، ولكن الآن عندما تشاهدون المراجعات الفكرية الرائعة التي يقومون بها الشيخ الخليلي والشيخ فرحات جعيري هنا صديقنا في تونس، تجدون أنها مدرسة تنتور كل مرة أكثر وأكثر وأكثر، مدرسة فيها الكثير من التعميق الفكري والتعميق الثقافي والقرب والمحبة إلى غير ذلك.
- ❖ المدرسة الزيدية وفيها أيضاً ما فيها.
- ❖ وكذلك في السلفية هنالك مشائخ، أنا قابلت الشريف حاتم العوني في مكة، هنالك مشائخ يرجعون ويُحاولون أن يغيروا ويُطوّروا ويخرجوا من لوثة التكفير إلى محاولة المناقشة بدلاً من المجادلة.
- ❖ ثمة في الشيعة أيضاً منورون ليسوا أهل شتم ولا لعن إنما يدعون إلى محبة آل البيت وهم أهل أدب وفيهم الكثير من أحبابنا وأصدقائنا.
- ❖ وثمة في السنة كذلك من الأثريين ومن مدارس الفقه ومدارس العقيدة أيضاً رجال نور وخير وحق.
- ❖ وثمة في الصوفية أيضاً رجال صف أول ورجال إصلاح.

ولكن في كلِّ أيضاً أدعاء: هذا يُتاجر بآل البيت، هذا يُتاجر بالأولياء ويُتاجر بادعاء القطبية والمقام، ذاك يُتاجر بادعاء التسنن والحديث ويرفض أي نقد، ذاك يُتاجر بادعاء السلف الصالح وهو يهدم السلف الصالح وسلفه طالح، سلفه الذين قتلوا الناس في الحرة والذين قتلوا الناس في فخ وفي كربلاء، سلفه يزيد ومن بعده من مزيد، ولكن هنالك كما قلت المسألة فيها مقاربة.

آيتا ﴿الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان آتاهم﴾

أنا أخذت آيتين فقط، طبعاً عندما تقرأون عن الجدل هذا مثلاً أيضاً مثال ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ آتَاهُمْ﴾ إن في صدورهم إلا كِبَرٌ مَّا هُمْ بِبَالِغِيهِ﴾، هذه الآية عظيمة جداً، وهذه الآية لها تطبيقات. ﴿الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ آتَاهُمْ﴾ كِبَرٌ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾ هذه صفة أخرى. الذي يجادل قلبه متكبر متجبر، ليس جبار بمعنى جبروت العظمة الإلهية المتجلية على سيدنا علي وتجلّى على سيدنا المهدي، إنما تجبر فرعوني، تجبر فيه الكثير من الظلم والتبطش (وليس حتى البطش). هو إما باطش نوع ذئبي، أو نوع ثعلبي يتبطش يدعي أنه قوي وهو في الحقيقة مهين، وكلاهما مهين في عين الله.

و "يطبع" هذه، الطبع بمعنى مثل طباعة الأموال، يطبع يضع ختمة، وهنا عندما نتكلم في علوم روحية معينة ثمة قلوب عليها ختمات يصعب علاجها نسأل الله السلامة ﴿اللَّهُ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ﴾. تجد مثلاً الذي طُبع على قلبه عندما يأتي المولد النبوي الشريف يغضب ويشمئز إلى غير ذلك كأن الجن تلبسه، الذي طُبع على قلبه من المستخفين بالله ورسوله إذا ناقشته تجد أنه مغرور متكبر يقول لك هذا فيلسوف تونس الأول وهذا فيلسوف مصر الأول وذاك فيلسوف لا أدري أين الأول، هؤلاء يدعون أنهم فلاسفة كبار، ولكن ما هي فلسفتك؟ لا وجود لإله، الإله خدعة، الدين مجرد أسطورة، محمد كان راعي أغنام سرق بعض الكتب ولقّقها، إلى غير ذلك من المسائل.. وهؤلاء طبع الله على قلوبهم، كبر في قلوبهم.

الآية الموالية غافر 56 ﴿إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبَرٌ مَّا هُمْ بِبَالِغِيهِ﴾ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ ما معنى استعذ؟ هؤلاء شياطين! و "كبر ما هم بالغيه" ما معناه؟ تجد معناها في ﴿يُظْفِرُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ﴾ أو ﴿وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ﴾.

أنا في تجربتي الشخصية منذ البدايات كان هنالك هؤلاء الحمقى المجادلين بل الساخرين المستهزئين. عندما بدأنا بتدريب فنون الدفاع في تلك الظروف في الريف كانوا يستهزئون، عندما بدأنا كتابة الشعر كانوا يسخرون، عندما أظهر الله علينا ما أظهر كانوا يتضحكون ويتهايمسون ويتغامزون ويأتون إلى أهلنا ويُسَيِّئُونَ، ولكن الله عندما شرف المقدر وعندما رفع القدر وعندما رفع الذكر وعندما كشف الغم والهَمَّ وعندما أعطى ثم أعطى فأدهش في الأولى وفي الثانية والثالثة وزاد علماً وفهماً ومقاماً، وعندما أخذنا على جناح القدرة فطاف بنا في أرضه وأجلسنا مع من شاء من عباده، عبدٌ هذا رئيس دولة والآخر قائد جيش والآخر عالم والآخر مواطن بسيط والآخر هندي في مكان فقير والآخر إلى غير ذلك... عندما فعل ذلك لم يجدوا إلا أن يستمزوا في المرض والجدال، يبقى الأحباب يفرحون وهم يحزنون، يحزنون!!

لذلك قلت مرة في كتاب <<إشراقات>>:

• يودّ الحاسد لو كان سالباً وهو مسلوب بمجرد أن حسد

الحاسد يخدمنا، كلما حسدنا زادنا الله، كلما شتمنا أعزنا الله، كلما أبعدونا قربنا الله. بل إني دعوت الله أن لا يُحِبني من يكرهه الله وأن لا يظلم على أمري وعلى سري وأن لا يظلم على ما أعطاني ربي إلا من

يُحبه الله سبحانه وتعالى، الآخرون يجعل بينهم وبيننا برزخاً وحجراً محجوراً، وهذه أشدّ عقوبة أشدّ من الشتم وردّة الفعل، لذلك كتبتُ عن "الرد الفعلي". يكفيه أنه هو، يكفي الضفدعة عقاباً أنها ضفدعة ملقاة في قاع بئر، لذلك قال كونفوشيوس الحكيم الكبير "الضفدعة في البئر لا تعرف رحابة السماء"، يكفي الضفدعة أنها ضفدعة وشرف للنمر أنه نمر وشرف للنسر أنه نسر. فهذا الكلام الذي أوجّهه الآن إلى النسور والنمور وأهل الرقي وأهل الذوق أهل الحب أهل الأنوار.

حتى فيديو الراية الذين شتموا، هؤلاء هم أصحاب مرض قلبي، ما الغريب في أن يرى حفيد رسول الله جدّه أو أحد المؤمنين برسول الله نبيّه أو أحد البشر أعظم البشر؟! ورب البشر قادر على الإراءة وهو الذي لديه ملكوت السماوات والأرض. ولكن هي قلوب مريضة تبحث عن سبب هنا وهناك، يستون يشتمون، نشروا في الجرائد كتبوا في المواقع، ولكن في نهاية المطاف الحمد لله الذي سلّمنا.

من توكل وجد عجباً

الناس الآن بأموالها وقدراتها تخشى من كائن بسيط اسمه كورونا، هذا الكورونا لم نحتط له يوماً ولم نلبس له شيئاً، لا أعني ذلك لغيري أقوله لكن هذا خاص بي ربما خصني الله بشيء، ومن توكل وجد عجباً، ولكن على قدر يقينك سوف ترى. **لو أيقنت حق اليقين أنه لا يضر إلا الله ولا ينفع إلا الله ولا شيء يُصيبك إلا بما كتب الله حينها ستعيش في أمان وسكينة.**

كان السيد المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ -بهذا أختم- يمشي فوق الماء، وجد بحاراً اسمه برنابا، فقال: يا سيدي أمشي معك، فقال: انزل وامش، فنزل فغرق، فأمسكه السيد المسيح من يده وسحبه مبتسماً وقال له: **"لو كان إيمانك صادقاً لمشييت"** فحينها مشى برنابا بجانبه على الماء ومشيا ومشيا حتى أخذه معه وكان الشاهد على تلك الملحمة التي كتبت فيها القصيدة الأخيرة التي سرقها بعد ذلك نوستراداموس والتي كان فيها ما سيأتي إلى القيامة، وألقيت عليه القمامة ثم سُميت كنيسة القيامة. ولا أتكلم عن السيد المسيح السيد المسيح أُدخل في بُعدٍ آخر، أتكلم عن صديقي الذي صُلب مكانه، وليس يهوذا إنما مار جرجس أو الخضر عَلَيْهِ السَّلَامُ صاحب قصة الصلب التي تشكّل فيها لأول مرة كبشري بشكل كلي، هذه قد تصدم البعض، ولكن الصلب مكان نبي هذا أمر عظيم ولا يمكن أن يقوم به أي شخص، هذا الافتداء لا يستطيع أن يقوم به. أن يكون عقاباً مسخاً، المسخ هذا هل يُشرف شخصاً مُسخ بأن يُصلب مكان نبي عظيم مثل السيد عيسى ابن مريم عَلَيْهِ السَّلَامُ؟!

وحينها سنفسّر لكم معنى "روحنا" **﴿فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا﴾** أو معنى **﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾**، من هو هذا الروح الذي يُسمّيه الله روحنا؟! لو كان جبرائيل لقال "الروح الأمين" والروح الأمين غير الروح القدس **﴿نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ﴾** و **﴿نَزَّلَ بِهِ الرُّوحَ الْأَمِينُ﴾**. الروح الأمين عندما وصل إلى قرب الستار قال: **"لو تجاوزت احترقت ولو تجاوزت احترقت"**. إذن من الذي وجده رسول الله يكتب عند الله؟! **يدعون** أنه رجل يبرّ بأمّته، هذا كلام فارغ، هذا رجل عظيم! وعندما يفهم هذا الأمر سنُفهم أيضاً "روحنا" هذا القريب جداً إلى الله الذي كان يزور من قبل أن يأتي الدنيا وكان يسمّيه الله روحنا وما علاقته بالسيدة

مریم إن كان يهبها فلا بد أن يكون زوجها في الدنيا أو قبل الدنيا أو في الآخرة، تفكروا في الأمر ستفهمون ذلك. الذي ينسبه الله إليه ويقول "روحنا" هذا مقام عظيم جداً، وتجدون الطلاسم في هذه الأمور ولكن سبحان الذي يُعلم ويكشف على قلب من يريد.

أنا أبشّر بعلوم وفهوم وأعطي أذواق

وهذا لا أقول يتبعه الجميع ولكني أنا أبشّر بعلوم وفهوم وأعطي أذواق، أنا مثل من يأتي بعينات من شراب مصفى من شراب جيّد جميل من خمور الجنة من لبنها من عسلها المصفى. أنا أقدم عينات كؤوس صغيرة جداً، ولكن الساقى الحقيقي سوف يأتي قريباً بالكثير من الخوايى والكثير من القوارير الكبيرة ليسقى البشرية من هذا الخمر الجنوي الذي يزيد الناس حباً بربهم من عسل الذكر والشكر من عسل محبة آل البيت بعد أن ذاق عشاقهم العلقم دهوراً من الزمن، وسيأتي بشيء من حميم وغساق يسقيه للظالمين الفاسقين يُعطيهم عينة من جهنم، ويُعطي للطيبين عينة من الجنة، هذا هو المهدي عَلَيْهِ السَّلَامُ القادم بين يد الرحموت والجبروت، والذي هو ظاهر في خفاء وخفي في جلاء هذا بيد الله سبحانه وتعالى لسنا معنيين بالشخص.

وأنا أقول لكم ختاماً: والله إني ليشرفني أن أكون كلب آل البيت باسط ذراعيه بالوصيد يحرس كهفهم الذي فيه قائمهم ينتظر، أحرسه بحبي أحرسه بسري أحرسه بجسدي أحرسه بروحي أحرسه بقلبي أحرس نوره فيّ وأحرسه حتى يُظهر الله نوره ويُشرق به، عليه سلام الله عليه مني سلام الله سلم الله روحه وذاته. ونسأل الله له فرجاً قريباً وعجل اللهم لوليّك بالفرج لقائم آل محمد حتى تشرق هذه الشمس. وأنا خادم لآله خادم لأجداده، مقامي تحت نعالهم جميعاً تحت نعل محمد والأنبياء من قبله، تحت نعل فاطمة وعلي والحسن والحسين أسيادي وآبائي، وتحت نعال الصالحين وغبار أقدامهم، وليقبلوني، أحياناً أشعر أي تراب دنس وهم تراب أقدامهم مقدّس، حتى أي قلت لهم: "ليتني كنت شجرةً مرّ بها ظلّكم أو استظلّتم بها، ليتني كنت غباراً لامس أكتافكم لحظة ثم اختفى" وهكذا وهكذا من المناجاة.

أجمل مناجاة للحبيب المصطفى

ومن أجمل ما ناجيت به سيدي ومولاي وحببي محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وجعلني وأهلي فداءً له ولدينه ولجمال عينيه وجمال ابتسامته، لعظمته، لحزنه على أولاده وآله، لشفقته على الإنسانية، لعظيم قدره عند الله، لجماله في الله لجماله بالله، لجميل ما صبر وما تحمّل وما تجمّل، لعظيم قدره وشريف ذاته، لأبويه العظيمين الكريمين، لأعمامه لآبائه لأولاده، لكل نَسَمَة منه وكل شعرة في جسده الشريف وكل نبض في قلبه الشريف وكل نَفَس فيه وكل رمشة عين، بل لكل شيء يحبه ولكل ما لمسّه، كل غصن كل تراب مرّ عليه ليتني كنت أنا ذلك التراب، ناجيته عند ضريحه الشريف وقد اتصلت الروح بالروح وقد كان مقامنا

مقام السيد البدوي عندما قال "يا سيد الخلق ما نقول"، فقال: "قولوا رجعنا بكل خير واجتمع الفرع والأصول".

عندما اقترب الفرع من أصله وعندما جاء هذا العبد بخطاياها يجزّها خلفه وتجرّه نفسه اللوامة ومن خلفه نفسه الأتارة، عندما أتى بذلّه وعاره وأتى بكل سوء صنيعه، وقد انكشف حاله وقد حصص الحق كما قالت السيدة زليخة ﴿الآنَ حَصَّصَ الْحَقُّ﴾ عندما أتى إلى الكريم وعندما قال له، وقلتُ له حينها:

يا رسول الله إنّ ربك قد قال ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾ وإني قد ظلمت نفسي وجئتك واستغفرت الله فاستغفر الله لي لأجد الله تواباً رحيماً. الذي يقول لك هذا ميّت، تقول له أنت الميّت. إنه يُجيب كل من صلى عليه، كم عدد الذين يصلّون عليه؟! كل واحد على مليار من ثانية، من الملائكة والجنّ والكائنات، ورب السموات صلواته متصلة دائمة، والمحبون في هذا الكوكب الصغير كم أعدادهم؟! إذاً هي حياة برزخية غير الحياة. والشهداء عند ربهم أحياء يُرزقون فكيف بسيد الشهداء والأشهاد؟!

ولذلك نعم مضيت إلى رسول الله وحملت حملي إليه وجئته ببضاعة مزجاة وهو العزيز الذي تكرم علينا فرجعنا بكل خير، ثم كان من هذه النجوى:

يا رسول الله لو أنّ ربي برحمته أدخلني الجنة وبجاهك وشفاعتك فلا أرضى إلا أن أكون جارك، فإنّ جنة لا أراك فيها جحيم شوق لا يُطاق.

وإن أخذ غير ظالم وحكم بعدله وكانت الأخرى.. (ولو عدّبتنا الله ما هو بظالمنا، نحن نعم أعطانا فلم نشكر حق الشكر ولم نعبد حق العبادة وغرّتنا أنفسنا واتّبعنا الشياطين كثيرا وظلمنا كثيرا وأسأنا كثيرا وظلمنا أحبانا وظلمنا الكثيرين، هذا حق وهذه نحن مُدانون بها ونُشهد الله على أننا معترفون بها جميعاً وإن كنا مستغفرين الله جل في علاه، ولكن لو أقامنا في مقام العدل فيكون مسألة أخرى).

أعيدها: يا رسول الله لو أنّ الله أدخلني الجنة برحمته وبجاهك (لا يدخل الجنة أحد إلا بالرحمة والجاه معاً، لا يدخل أحد الجنة وهو معاند لرسول الله إطلاقاً، باب الله رسول الله، باب الجنة محمد، باب الجنة آل محمد "إنّ الله يغضب لغضبك يا فاطمة ويرضى لرضاك"). يا رسول الله لو أنّ الله أدخلني الجنة برحمته وشفاعتك فلا أرضى إلا أن أكون جاراً لك، فإنّ جنة لا أراك فيها جحيم شوق لا يُطاق.

ولو أخذ غير ظالم وأخذني بعدله وكانت الأخرى، فاطلع عليّ فإنّ أهل الجنة مظلعون على أهل النار ﴿فَاطَّلَعَ فَرَأَهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ﴾، فاطلع عليّ فإنّ أهل الجنة مظلعون على أهل النار، أيّ جحيم يبقى إن نظرت إليّ؟! أيّ عذاب يبقى إن نظرتُ إليك؟!

هذا مفتاح ما أنا فيه الآن، عندما أجلس أتكلم، هذا أقوله للحاسدين: يا أيها الحاسدون فُزنا بمحمد.

وليلي عندنا ترجو الوصالا
وليلي عندنا احترقت دلالا
وليلي عندنا رأّت الجمالا

سوانا يدّعي وصلاً بليلى
سوانا يكتوي بدلال ليلي
سوانا يصطلي بجمال ليلي

وليلي هنا رمز لسرّ لن نُصرّح به، وآخر قد صرّحت به الأقوال والأفعال، وما سيأتي أعظم وأشدّ بإذن الله الواحد الاحد.

فذلك عندما تضع خدك على التراب لطفه، عندما تضع خدك على التراب لخير من مشى على الأرض ومن سار على ثراها، عندما تضع خدك في التراب وعلى التراب لخير من عبد الإله، عندما تضع خدك على التراب لخير من أحبه الله وخير من أحب الله، عندما تضع خدك على التراب لفاطمة التي عظم الله شأنها وعظم أباه، لعليّ الذي أخذ الوصية ثم أوصاهها، للحسنين الذين هما شمس وضحاها، ولزينب وهي القمر الذي تلاها، عندما تضع خدك لهؤلاء الصالحين الكمّل الطيبين سوف يرفع الله مقامك، أما المجادلون فإنهم مساكين مجرّد حمقى.

خاتمة

ولسنا اليوم في هذا المقام بهذه المطرقة الحُجّية نلعب مع أحد إنما الأمر جدّي جداً. من كان له علم فليناقش بعلم وستغلب حجتنا عليه، ومن كان يريد التعلّم فليتعلم وليتأدّب فأهلاً وسهلاً بأخ الإيمان وبأخت الإيمان، نعدّ السفينة بخشب حلال لكي يكون الحال حالاً عظيماً. لا تُبنى السفن الربانية بأخشاب المفسدين، لذلك لهم غابتهم بخشبها ولنا قليل زاد يأتي من الصالحين والصادقين كلُّ حسب حاله أو ماله أو مقاله. ولكن ستبنى السفينة ولو كره الكارهون، سيركبها الطيبون، ولن يهتدي إليها الذين ظلموا، سيقولون سنأوي إلى جبل يعصمنا من الماء ولن يعصمهم من أمر الله شيء.

المجادلون المعاندون الحمقى السيئون لا تسبّونا مزيداً لأنكم كلما شتمتمونا رفعنا الله، وأنتم لا تريدون أن يرفعنا الله بل تريدون أن يلقينا في حفرة من حفر النار، وذلك كبرّ في صدوركم ما أنتم وبالغيه، وسيُجلي الله أعظم من هذا. إن كنتم تحسدون هذا الفقير إلى ربه عن هذا المجلس فكيف غداً عندما يُظهر الله أمره وعندما نكون خدماً لقائنا عَلَيْهِ السَّلَامُ وعندما أضع الخد لقدمه الشريفة لنعله الشريف حتى يمشي عليها بغداداً ويمشي عليها بزهو المنتصر وبمحبّة المنتصر، ذلك زهو حلّ لهم بعد أن كان عذاب وبلاء لآل البيت، ذلك فخر حق لآل محمد، وتلك مشية في الحرب مشاهة أبو دجانة من قبل حتى قال رسول الله: "إِنَّ اللَّهَ يُبْغِضُ هَذِهِ الْمَشِيَةَ إِلَّا فِي هَذَا الْمَقَامِ". سيرجع يوم يُقال فيه: "أنا الذي سمّني أمي حيدرة" ولكن الناطق رجل آخر وهو في الحقيقة توأم ذات الإمام عَلَيْهِ السَّلَامُ، فهما من نفس الشجرة ولكن الله عجلّ ولادة هذا وأجلّ ولادة ذاك لحكمة عنده.

صلّ اللهم على محمد سيدي وعلى أئمة آل البيت واللهم صلّ وسلّم على الأنبياء من قبل وسلام على ملائكة الرحمن وأهل الزّوجان وسلام على الخضر وعلى ذي القرنين وسلام على الصالحين أجمعين وسلام على قائم آل البيت وسلام على الطيبين الصادقين المؤمنين الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ويُعدّاً للقوم الظالمين والحمد لله رب العالمين.

المحاضرة بتاريخ: 15-02-2021



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

التأمل الثامن عشر: عن محمد أحدثكم - رحلة مع عظمة الذات المحمدية -

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي أكرمنا بخير البرية، والصلاة والسلام على نبينا الهادي إليه، والداعي إلى سبيله، صلّ اللهم وسلّم وبارك على سيدنا محمد وعلى آل بيت سيدنا محمد كما ينبغي لقدر سيدنا محمد وقدر آل بيت سيدنا محمد. الحمد لله الذي نورنا بذكره، ونفحنا بشكره، ووقانا من مقتته وغضبه ومكره، الحمد لله الذي ألهم قلوبنا، وستر عيوبنا وغفر ذنوبنا ويسر إليه دروبنا، وحقق بغير أهلية منا مطلوبنا ومرغوبنا وكان محبوبنا. وصلى الله على سيدنا الهادي منذ أول الآماد، قمر الله الظاهر البادي، وعلى آل بيته الأشراف الأسياد، وسلام على الأصحاب والصالحين الأقطاب والأغواث والأوتاد، وسلام على كل صالح في كل فجّ وبحر وجبل وأرض ووادي، وسلام على الصالحين في بلادي، وسلام على كل داعٍ إلى الله ينادي، وسلام على من يحذّر الناس من يوم التناد، وسلام مع من ثبت قلبه فحققه الله بنيل المراد.

السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته في تأملات عرفانية نساfer فيها بأرواحنا وقلوبنا ومجامع ألبابنا مع أحبابنا فيما فتح الله لنا من أبوابه، وفيما نفتح من أبوابنا، حتى نقرأ من كتابنا: كتاب المحبة والشوق والعشق الزكي النقي، كتاب من المولى العلي، مكتوب فيه عشق محمد وفاطمة وعلي، وعشق الحسنين وآل بيت النبي وكل وليّة وولي، كتاب لا يلقاه إلا تقي ولا يقرأه إلا نقي، وعلى قدر ترقّيه يكون تلقّيه. فذلك من أسراره ومن أنواره ومن جميل أفكاره، وذلك ما يُلهم العاشق من أحواله ومن أقواله وما يكون منبعاً للذيد وصاله. ذلك أنّ الله جَلَّ وَعَلَا فَتَحَ أَبْوَابَ قَرَبٍ وَجَعَلَ أَبْوَابَ حُبِّهَا عَلَى ذَاتِهِ وَعَظِيمَ صِفَاتِهِ، وأودع ينابيعها في قلوبنا. فمن دلّه الله على سرّ ذاته، دلّه على نور مشكاته ودلّه على خير حياته وعلى خشوع صلاته، وجعل له ذلك ذخراً ونوراً وفخراً، فذلك أنّ الله إذا دلّك عليك فقد دلّك على خير كثير، فإنّ الدليل الذي لله فيك دليلٌ عليه ودالٌّ إليه ودالٌّ كذلك عليك منك إليك، فتلك من حكم ومن بوارق وحقائق ودقائق لا يلقاها إلا الذين صبروا ولا يلقاها إلا ذو حظ عظيم.

إنّ الكلام عن الذات الإلهية كلام يحلو ويجلو لقلب يخلو، ذلك أنها سلعة غالية وقمة عالية. وأما أنوار القلوب الموائية لسيدنا رسول الله وآل بيت سيدنا رسول الله فهي أنوار من عرفوا الله، فإنه لا يعرف رسول الله إلا من عرف الله، ولا يعرف الله من جهل رسول الله، هذه خذوها قاعدة:

• لا يعرف الله إلا من عرف رسول الله، ولا يعرف رسول الله إلا من عرف الله

فمن جهل رسول الله جهل ربه، وكم نرى من جهالة وجهل وادعاء معرفة بهذا النبي العظيم. فأما الجاهلون فإنهم يقولون قولاً إفكاً وزوراً، وأما أصحاب الجهالة الظالمون فإنهم أيضاً يأتون قولاً قبيحاً مهجوراً، لأنهم يستنكفون من ذاته العظيمة، فإن صلى المصلي عليه قالوا بالغت، وإن مدحه بقصيدة قالوا غاليت، وإن مدّ يديه وقال "مدداً يا رسول الله"، قال "هذا اتخذ رسول الله إلهاً من دون الله، هذا شرك!" فصدوا الناس عن هذه المحبة. ووجد في التاريخ من أرادوا تقزيم هذه الذات بما دسوا وما وضعوا، ولكن رسول الله على عين مولاه، روح عظيمة وذات كريمة، جسد في التراب لم يتسنّه، وروح في الآفاق لها سر وسنة، فذلك لله أمره ومن الله فيضه.

كيف نطيق كلاماً عنه

وعموماً إنّ الكلام عن رسول الله ليس بالكلام اليسير، إنه كلام عسير جليل، نحتاج أن نطهر أجسادنا وقلوبنا وألسنتنا وأبصارنا وأسماعنا لتتكلم عنه. وعليه **فإننا نستأذن منه**، إذ تكلمنا عنه بألسنة ليست بطاهرة، وبأعين باتت في ليل المعاصي ساهرة، وبحشائش وأشياء من حشائش القلب، هذه الحشائش وهذه الحشائش النابتة في الذات، أعشاب ضارة من ذنوب ووساوس وعشق للدنيا وانكباب عليها وسير فيها وسعي في ملذاتها ولهث خلف شهواتها، وكثير مما يحول بين المرء وسرّ قلبه. إنّ الإنسان الذي يتكلم عن هذه الذات العظيمة يستشعر هذه الرهبة، لسنا جاهزين للكلام عنه، ولسنا أهلاً للكلام عنه، ولسنا أكفأ ولا أنداداً لسرّ الكلام عنه، ولا نرى في أنفسنا أحقية هذا الشرف عن الكلام عنه، ولا نرى في ذواتنا من أعمالنا الهزيلة ومن حسناتنا القليلة وذنوب أنفسنا العليلة التي هي بسهم الأهواء قتيلة، ومن عقل وقلب لم يجد لصاحبه حيلة، ولم تغن عنه بعد رسول الله آية وسيلة، من الذي له من الذنوب قبيلة فقبيلة فقبيلة، هذا من نوع هذا وذاك قبيلٌ شابه قبيله. لقد شابهات أنفسنا بعضها في ذنوبها وعبوبها وتعسر دروبها وبُعدها عن محبوبها وأوهامها في مطلوبها ومرغوبها، طلبت الدنيا التي لا تدوم، وتركت عطاء الدائم، وكانت في سدر غي هائم يسمو به شيطان في ذات عبد نائم، يسمو الشيطان فيرتفع ويهوي الإنسان فيمتنع، فلا يجد ما به يرتفع، لأنه أتبع أهواء ذاته، إنّ الإنسان يرتقي بشيطانه على لسانه وبيانه، ويجعله كأنما زرع الشوك في بستانه.

فلذلك نُقرّ منذ البداية أننا عاجزون وأنا مقصرون وأنا كذلك القزم الصغير الحقير الذي يمدّ يده ليمتشق سيفاً من سيوف العمالقة المتلألئة بأنوارها المبهرة في أسرارها التي لها نار قد تشظت بأوارها، ولكن الذي يسمح لنا بذلك ويجعل لنا سبباً في ذلك هو أمر واحد: **العشق**. **فللعاشق أن يقول ما يشاء، وللعاشق أن يدعي أن ذلك السراب في بقية ماء**، للعاشق أن يصنع من صلصال عشقه وأشواقه: طيوراً تنفخ روحه

فتكون طيراً بإذن الله، للعاشق أن يكون في أحوال شتى، للعاشق أن يُقبل غير خائف وإن كان قد أذنب وقد أساء، نحن نُقبل على ربنا إقبال العشاق، ونقبل على رسول الله إقبال العشاق. لسنا نخشى مما كسبت أنفسنا لأنَّ المُقبل فينا روحنا وقلوبنا، أما الأنفس فمركومة حيث أراد لها ربها، فإن خلصنا منها رُكمت وحدها، وإن لم يخلصنا منها رُكمتنا معها، ونسأل الله السلامة وأن يجتنبنا الندامة عندما يُشهدنا يوم القيامة وعندما نجلس بين يدي صاحب العمامة المغطى بالغمامة، سيّدنا وإمامنا محمد صاحب الرسالة وجدّ السلالة، الذي كمل الله كماله وجملّ جماله وجلّل جلاله، وجعل خير الآل آله وخير الرجال رجاله، ذلك محمد ابن عبد الله، صفوة خلق الله.

نتكلم عنه إذًا: عاشقين، لا نتكلم عنه من باب أننا متمكنون علماء وفهّماً، ولا من باب أننا نستحقّ أن نقف في هذا المجلس، إنما يلزمنّا العشق إلزاماً ويُرغمنا إرغاماً أن نبوح بما في أرواحنا يفوح، فإنّ المبخرة تعجز عن كتم ما أودع فيها من بخور وقد تحرّقت كي تظهره، ولولا احتراقها ما ظهر شذى ذلك البخور. وإنّ البخور كالحجارة ما لم تلمسه نار، فإن لمسته النار تشظّى وتلظّى، فكان من ذلك عبقة. **فكذلك أرواح العشاق: تحترق بالأشواق، فيخرج من مجامر عذابها ومن مجامر آلامها بخور ينتشر في الآفاق، وكذلك قال الروّاس الكريم الشاعر الولي الصالح: "الله هذا الشأن كيف يطاق".**

فكيف نطيق كلاماً عنه..... وكيف نطيق صبراً عن الكلام عنه كيف نطيق ألا نراه..... وكيف نطيق إن رأيناه..... كيف نطيق ألا نراه في رؤيا..... وكيف نتحمّل إن رأيناه في تلك الرؤيا.....

إنّ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أكبر مما تجدون في كثير من الكتب، وأجمل وأجلّ مما رسمه كثير من الدسّاسين الوضّاعين.

أبواب الكلام عن رسول الله

إنّ رسول الله له بابان في الكلام عنه، يخلف ذلك باب ثالث.

1. أما الباب الأول: فهو زمن ﴿أَلَسْتُ﴾
2. وأما الباب الثاني: فهو زمن ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾
3. وأما الباب الثالث: فهو باب انتقاله إلى مولاه، وما الذي أبقاه في الأرض، وهل انمحي عندما انتقل، وهل انتفى عندما اختفى، وهل مات حقاً عندما مات؟

رسول الله روح عظمى

فأما الباب الأول، فهو أنّ رسول الله روح عظمى، كان نوراً مستوراً فأظهره ربه في ملكوته السرمدى الأزليّ الأبدى القديم، خلقه بالحب، ولم يخلق بسر الحب قبله أحداً غيره، ولا خلق بسر الحب أحداً بعده إلا وقد جعله باب ذلك الحب. فقد خلقه عاشقاً لخلقته، وخلقته محباً له منذ فكرة خلقه، بل لقد لزم ذلك الحب منذ ما قبل الآباد والآماد والأزال والسرمد، كان ذلك الحب عند رب العالمين، الذي قال "كنت كنزاً مكتوماً فخلقت الخلق لأعرف". فخلق أعرف الخلق به، وأدنى الخلق إليه، وأدّل الخلق عليه، روحاً أحمدياً أنار نور وجهه الكريم، وكان الزمان في سرمد ظليم. ذلك النور المحمديّ القديم الأزلي السرمدى روح عظمى، قال "كنت نبياً وآدم منجدلٌ بين الماء والطين" ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾ فهو روح رباني، وهو أولى الخلق بأن يناديه يا روجي، بينما "الروح الأمين" روح أمين و"الروح القدس" روحٌ قدس و"روحٌ منه" مسيح، و"روحٌ من نفخة ذلك الروح القديم" آدم، فكانت روح آدم من سر روح محمد، وكان جسد النبي المصطفى من سلالة طينة آدم، فكذلك أجزى الله الأنوار والأسرار كما أراد.

هذه الروح العظمى في سر ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾، وسندرسكم إن شاء الله عن علم الأولين وعن علم هؤلاء ﴿أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ﴾ ثم ﴿وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ وتجدون علماً فريداً لن تقرأوه في كتب، ولن تجدوه عند سلف، إنما الله يجليها على مواقيتها كما أراد. فهو يفتح على قلب من أراد، ويكشف لمن أراد، ويعلم من يشاء على ما شاء كما شاء لا كما يشاء أحد من خلقه، فهو له المشيئة وحده، يعلم من أراد، يبين لمن أراد، يصطفي، يختار، يجتبي، يلقن، يلهم، يوحى، ذلك شأنه جَلَّ فِي عَالَمِهِ، أوحى للأنبياء جبرائيل، وأوحى للنحل بما أراد، وأوحى إلى أم موسى بما شاء، وألهم قلوب عباده العارفين في السابقة والآنية واللاحقة بما شاء كما أراد، فهو رب المُرَاد. كان هذا الروح في زمن مطويّ في سر الزمن فوق هذا الزمن ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾، إن كان كلُّ منا: الكافر والمؤمن والبرّ والفاجر وعصاة الدنيا وأتقياؤها قالوا ﴿بَلَى﴾ لأنّ السؤال شملهم، فكيف بالروح الأقرب؟ كم كان يعرف الروح الأحمديّ ربه؟ ما الذي كان بينه وبينه؟ ما الذي أدناه ومنع عنه بينه؟ ما الذي أقرّ به عينه؟ ما الذي زينه إذ وهبه في أبد الآباد عليه وفاطمته وحسنه وحسينه؟ ما الذي زين به كيفه وأينه؟ ما الذي أعطاه ربه في تلك الآباد وسيلةً وفضيلةً ودرجةً رفيعةً وجاهاً عظيماً ومقاماً كريماً وجعله رؤوفاً رحيماً..

نورانية الأحرف الأحمديّة

قبل أن يكون في الكون ملاك، وقبل أن يكون في السدرة ملائكة، وقبل أن يكون للعرش حملة، كان "أحمد". فإنّ أول فردانية السرّ في "أحد": الأحد الفرد الصمد الواحد القاهر فوق عباده تجلّى بسرّ أحد، ألف استواء ﴿عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾، والذي هو استواؤه: تجليه بأنوار لا يتحملها إلا عرشه لو كشفت لفرشه لاحترق فرشه، وكل ما تحت عرش الجبروت فرش الملكوت. فكانت ألف استواء وحاء احتواء للذي كل شيء هباءة في قبضة يده ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾ ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطًا﴾، هذه حاء الاحتواء. وأما الدال فهي دال

الديمومة: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾، كان الله ولم يكن شيء، ويبقى الله يوم لا يبقى شيء. وعلى ذلك فتحة في الاستواء: استواء منفتح، واحتواء منفتح، ودال عليها ضمّتان أمدأً وأبدأً، أو عليها سكون فقد سكن كل شيء لله وسجد لله وسلّم لله، وكل شيء تحت سطوة وقهر وقوة وقدرة وسمع وبصر الله جلّ في علّاه .. فهذا أحد.

فأتى بميم ماء الحياة الأزلية ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾، بهذه الميم التي تحتوي من أسرار العظيم والرحيم والكريم، تحتوي من أسرار ميمية فيها ما فيها، وهذا علم حرف الميم، ولنا كتاب أفردنا لكل حرف جزءاً منه، وكتب أخرى أيضاً في أسرار وعلوم الحروف في القرآن وفي اللغة. فكان حرف الميم الكريم، فأتى به بين ألف استوائه وحاء احتوائه ودال ديمومته، فنفخ في الميم سرّ الميم، سرّ النبي الكريم، بالمؤمنين رؤوف رحيم، روحاً عند السبوح، فيا لجلال تلك الروح، ذلك الباب الذي عند رب العزة مفتوح، ذلك السرّ الممنوح، ذلك الوجه الصبوح، ذلك الذي به كل ذنب ممسوح، وكل عبور إلى الله مسموح. فأتى بسرّ الذي خلقه قبل إبراهيم وإسماعيل ونوح، أتى بميم أحمد. بين "أحد" و"أحمد" مقامات وعلوم، حقّ الأحدية وجاه الأحمدية، أعظم حقّ أحد وأعظم جاه جاه أحمد. فجعل تلك الميم، فدلت الألف على استواء سرّه عند ربه، ودلت الحاء على احتوائه بأنوار ربه، ودلت الميم على أنه ميم عين الأرواح وماء حياتها، ودلت الدال على ديمومة مقامه العظيم الكريم عند ربه أمدأً وأبدأً، فكان ذلك انفتاحاً في انفتاح، أحمد، ضمّتان ضمّ أمدأً وأبدأً، أو سكون لقد سكن إلى ربه.

أول من حمد الله وأول من حمّده ربه جلّ في علّاه ذلك أحمد، فكان اسمه الروحاني قبل نطفة الطين أحمد، فبشر به عيسى باسمه القديم فقال ﴿وَمُبَشَّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾. فكانت تلك الروح العظيمة القديمة الكريمة روح تناجي، كانت روحاً لها من أسرار ربيها ما لها. زوجه الله في سموات علّاه مريم، فقال لخديجته "أما علمت يا خديجة أنّ الله زوجني في الجنة بمريم" فذلك من زمن ألتست. وجعله روحه، وجعل له أسراراً وجعل له أنواراً، تلك الروح التي حملت سر المسيح، تلك الروح التي لها من الله ما لها.

طهارة الأصول المحمدية

فلما اقترب الزمان، وقد أخذ ميثاق الأنبياء لبياعوه ويؤازروه كما شهد بذلك القرآن، وأخذ منهم ميثاقاً غليظاً، بل وأخذ من كل ذرية آدم في زمن ألتست ميثاقاً غليظاً ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى﴾ فنسيت الأرواح عندما اتّحدت مع الأشباح. ودنا الزمان الأنور من سلالات مطهرة نقية زكية، من ذات رجال لله ووليات لله، من آدم النقي وزوجته النقية التقية آدم وحواء، إلى سرّ في القتل هابيل وامرأته، إلى سرّ في شيث النبي، إلى نوح، إلى أنوار وأسرار وصالحين وصالحات، بين نبیین وبين صدّيقات، وبين أولياء ووليات، ليس فيهم إلا نبي وتقية أو وليّ ووليتة، حتى بلغ الأمر إبراهيم الخليل ﴿وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لِبَرَاهِيمَ﴾ (في كلام الله

عن نوح). ثم جعل سلالة نقية من الذبيح الأول للذبيح الثاني بين إسماعيل وعبد الله، ثم دنا الزمن بأشراف مكة، بأجداده، بهاشم الخير الذي هشم الخبز للناس، بعبد المطلب الأبّي، بقصي قبل ذلك، بأبائه وأمهاته "ما زلت أتقلّب في الأرحام المطهّرة والأصلاب المطهّرة" فتقلّب في أصلاب وقاها الله من كل فجور وزور وسفاح

آبائه الأشراف صوتاً لاسمه
من آدم وإلى أبيه وأمه

حفظ الإله كرامة لمحمد
تركوا السفاح فلم يصبهم عاره

ثم أظهر الله كوكباً درياً اسمه عبد الله، منور الذات والصفات، ذبيح ثانٍ ليدوسر زمزم وتكتشف غزالات الذهب. هذا الذبيح الثاني الذي افتُديّ بالإبل، ابن عبد المطلب، كان صاحب سرّ، ولكنّ السرّ كان عظيماً فلم يمكث بعد زواجه إلا قليلاً وفارق الدنيا، ولم يمكث مع زهرة قريش أجمل بناتها وأنقاهنّ وأتقاهنّ وأقربهنّ إلى ربها السيدة آمنة، فإنّ مقام الوالدة من مقام الولد، وإذا كان رسول الله خير، فأمه من كل أم بلا شكّ وريب خير.

فانطوت ألف الاستواء في نطفة عبد الله وفي صدفه آمنة الطاهرة النقية، فكان نوراً من مضغة طين مطهّرة نقية أودع الله فيها تلك الروح الأحمدية، فضمّت الألف ميماً: ميم فيها ضمّة الأم، محمّد، فيها موت أبيه وموت أمه وموت جدّه، محمّد، محمّد حمده ربه، محمّد حمد ربه قبل أن يكون جسداً وبعد أن كان جسداً. فلما انطوت صارت لها معاني أخرى ومعاني أخرى، ميم أولى هي جذب الزمان نحو الأمام، مكابدة ومعاناة، ذلك الحبل الذي يمتدّ بين الميم والحاء مسيرة عمر، من مولده إلى مبعثه إلى مسراه إلى معراجه إلى مدينته من مكّته إلى أن توقاه الله موتاً جسدياً، محمد. والحاء إنزال الأعلى إلى أدنى: المعجزات من السماء إلى الأرض، الأنوار من السماء إلى الأرض... بين الضمة وبين حاء الانفتاح: يُضمّ في الغار ضمّة، تضمّه الأم ضمّة، ويضمّه الجدّ ضمّة ويستسقي به "وأبيض يستسقى الغمام بوجهه" وتضمّه الملائكة ضمّة، ويضمّه إبراهيم ضمّة.

وتأتي الملائكة بأسطول جيشها فتضرب صاحب الفيل الذي أتى لقتله لا لتدمير الكعبة، فقد دمّر الحجاج الكعبة ولم تأت جيوش الملائكة، وبين ميلاده وبين الفيل خمسون يوماً، ورأى جدّه عبد المطلب الذي حدّثه أبوه عن أبيه عن نبي الله إسماعيل قال "يوم يأتي فيل أشرم، مضروب على عينه اليسرى، مكسور قرنه الأيمن، مضروب خرطوم، فذلك العام الذي يولد فيه النبي المنتظر من ذريتي" وقال "إنّ النبي الأخير من ذريتي وليس من ذرية أخي إسحاق ولا من ذرية يعقوب". وكان اليهود يترصدون وينتظرون، وكانت الأنوار التي تراها آمنة عظيمة، وكانت تُحدّث عبد المطلب بذلك، وقد فارقها محبوب قلبها بعد ثلاثة أيام فقط، وكانت السيدة المطهّرة ترى أنواراً عجباً، فقالت "رأيت وقد أضاء وخرج مني نور أضاء ما بين المشرق والمغرب" حتى يجعل الذين يقولون أنها في النار مع زوجها وجوههم في التراب، فيلعقون التراب فيسقونه سقاً، فذلك أرحم من أن يكونوا حصب جهنم وهم فيها خالدون، ولا أراهم إلا فيها

خالدين. وإنّ تلك السيدة العظيمة الكريمة التي تُكفّرُها الفئة اللئيمة السقيمة، التي ما لها قيمة، الفئة الفاجرة العديمة، تلك المرأة العظيمة الكريمة الرحيمة، رأت أنواراً ورأت أنبياء ورأت هاجر ورأت آسيا ورأت حواء ومريم العذراء، وجاء في ولادتها من جاء من ذلك الفيلق النوراني، ملائكياً حورياً ربانياً. فلما اطلع عبد المطلب على الفيل عرف الأمر فقال لأبرهة: "إبلي"، قال: كنت أستعظمك قبل هذا! تسأل عن الإبل؟! قال: "أنا ربّ الإبل والنوق، وللبيت ربّ يحميه" وكان آل هاشم إلى إسماعيل إلى سيّدنا رسول الله لم يتحنّثوا بصنم ولم يشربوا خمراً قط، حتى تُبقر عين كذب الذي ادّعى أنّ حمزة بقر بطني ناقتين لعليّ فبكي عليّ في المدينة وكان سكراناً، وأنه قُتل في أحد سكراناً، والله ما جعل حمزة ولا عليّ ولا أبو طالب العظيم ولا عبد المطلب ولا من كان قبلهم لا شربوا خمراً ولا أتوا فجوراً في أمر ولا تحنّثوا بصنم ولا عبدوا غير الواحد الأحد، وكانوا على الفترة إسماعيليين حنيفين مسلمين، مسلمين على حنيفية إسماعيل وإبراهيم، وهذا هو القول الفصل ما هو بالهزل. فلما رأى ذلك عرف الإشارة وفهم البشارة، فقال لقومه: اصعدوا الجبل، فلم يطلع على الآية إلا آمنة التي كانت بجواره مع أبي طالب، فكيف يكفر أبو طالب وقد شهد الآية؟! ثم دنا فيلق من أبابيل -نفسر لكم معناها- فجعلهم كعصف مأكول، لأنّ ذلك الشقي أتى ليقتل ذلك النبي في بطن تلك التقية. فولد بعد خمسين يوم، فكانت أنوار وأسرار عظيمة.

ميلاد الحبيب وحياته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ

احتفى الملكوت كله بميلاد أشرف الخلق الذي أقت لآخر الخلق، فإنّ قبل آدم ملايين من قبله أنجبوا حضارات، وسنحدّثكم عن تفصيل تلك الكواكب، ما خلق الله الكون عبثاً، أيخلق كوناً بهذه السعة وبهذا الامتداد وبهذه الكواكب، ثم يعمر كويكباً صغيراً حقيراً فقيراً كهذا الكوكب؟! إنما شرّف كوكب الأرض وشرّف آدم يوم العرض بمحمد، أنّ الروح التي خلقت الأولى توجد في الجسد الذي يكون آخر الأنبياء من ذرية آخر الآباء في آخر الأزمنة، حتى يرثه قائم آل محمد، فيُجلي ذلك السرّ. فكان المولد المبارك الذي هللت له السموات والذي هللت له الملائكة ورضيه رب العالمين. يوم عند أهل الملائكة والرواحين وعند الخضر أيضاً يوم عظيم، يوم جلي، يوم أعظم مما يذكر في المولد البرزنجي وغيره، يوم أعظم من أن تخرّ بعض الأصنام أو تُطفأ نار كسرى، يوم أعظم. يوم تشوّقت له الأرض منذ آباؤها، وفاقت به جميع الكواكب التي هي أعظم وأقدم منها، يوم تشرّفت به الشمس والقمر، يوم مولد الحبيب صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ.

ثم كان طفلاً كالقمر، مضى إلى بادية بني سعد مع امرأة فقيرة في حالها وغنية في سرّ وصالها ومآلها وجمالها جمالها بجميل من أخذته معها، ابن المرأة الفقيرة ذلك اليتيم. فنمت أغنامها، وأينعت الأرض، وكان الرسول المصطفى العظيم الكريم. فأما شقّ الصدر وأخذ مضغة السواد فذلك باطل، ما جعل الله في ذات سيّدنا محمد شرّاً، وما وضع فيه نقطة سوداء، كله نور وأسرار وسرور. أما شرح الصدر فذلك يشرح صدره للإسلام، لا يعني ذلك الشقّ، هل كل من شُرح صدره للإسلام شُقّ صدره من الملائكة؟! إنما شرح له صدره بما وسّع من ملكوت صدره، فصدره الشريف يحتوي القلب العظيم الشريف، وإن كان المؤمن العادي يقول عنه ربه "ما وسعني أرضي ولا سمائي ووسعني قلب عبدي المؤمن" فكيف بقلب محمد

سيّدنا ومولانا ذلك النبي التقي ذلك النبي الكامل؟! كان كاملاً في حال الروح، وكان كاملاً في حال النطفة، وكان كاملاً جنيناً، وكان كاملاً مولوداً، وكان زكياً تقيّاً طفلاً وشاباً وكهلاً، وكان عظيماً عند ربه، عظيماً عند خلق ربه، عظيماً في كل عينٍ تراه، فإن رآه عدوّ استعظمه وإن أنكر وجحد، وإن رآه محب استعظمه وتقرّب إليه وقلبه تحت قدميه سجد. فهذا من وجدّه فقد وجد ومن فقدّه فقد فقد، ولذلك نقول فقد وفقد وفقد.. فقد أكرمه ربه، فقد أحبّه ربه، فقد اختاره ربه، فقد جملّه ربه، فقد جملّه ربه، فقد كملّه ربه، فقد أحبّه ربه جَلَّ في علاه .

هذا الطفل في البادية، وتمضي الأيام وتُرى الكرامات والمعجزات، أمّا أنه حدّثته نفسه بالذهاب إلى عرس ثم إنه نام في الطريق هذا كذب وباطل، ما حدّثت نفس رسول الله إلا بخير، وأمّا أن له قرين فأعانه الله عليه فأسلم، فإنّ ذلك كذب وباطل، فلم يكن لرسول الله قرين إلا أرواح علوية، كيف يتحمّل روح أن يكون قرين محمد؟! رسول الله خير، ما نزع فيه شيطان! أمّا ﴿الْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ﴾ فذلك معنى آخر، أي ينزع الشيطان في الذين تمّى أن يهديهم، ولا ينزع فيه، ﴿وَأَمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ﴾ أي ينزع المقرّبين منه، أي ينزع بعض الذين تحبهم ولكن ترى منهم ما يؤلمك. ولم ينزع الشيطان أهل الكساء، ولم ينزع صفوة خلق الله آل بيت محمد، لقد عُصِمُوا بعصمته، واتصلوا بسرّه، فمن يناقش في العصمة، هب أنه ليس عصمة إلا لنبي، فالموصول بالموصول موصول، وليس من وصول بالرسول الأعظم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ مثل عليّ وفاطمة وخديجة قبل ذلك ومثل الحسن والحسين وآل بيتهما وحمزة وجعفر وهؤلاء الآل العظام وأبي طالب العظيم الذي حمى ووقى.

ويكبر الفتى ويأخذه عمّه ويضمّه، ويمضي معه إلى الشام ويقول الرهبان في بحيرة ونجران: "إنّ هذا نبي يقف تحت الشجرة ما وقف تحتها إلا نبي". ويحدّثونه عن بني إسرائيل فكان يوصي ابنه طالب الذي توفّي في الفترة المكية قبل أبيه بفترة قليلة في شعب أبي طالب، ولم يذكر المؤرخون ذلك وأغفلوه كرهاً في طالب وأبي طالب وعليّ ابن أبي طالب ومحمد ولم يصرّحوا بذلك، فهذا كان يوصيه في قصائده: يا طالب يا بني افتديه. وكان يجعل عليّاً ينام مكانه، وكان يغيّر موضعه، وكان ينيمه على لحمه، ذلك يحميه من يهود، فقد حدّث بذلك، وكانوا يبحثون عن علاماته وعن شاماته وعن أسراره وعن أنواره.

ويكبر الفتى ويكون أمين قريش، أعقلها، أرشدها عقلاً، أيقظها وعياً، أفضلها إدراكاً، أقواها جسماً، أنبلها شخصاً، أعزّها نسباً، أشرفها حسباً، أجملها أدباً، أوفرها حظاً، أجملها حظوةً، ذلك النبي الكريم الهمام. ولولا أنّ الله أمر ألا يضرب لضرب، ولكن لو ضرب رسول الله لضربت السموات والأرض واندگت السموات والأرض، لذلك مُنِع، حتى لما أُوذِيَ في أحد كان يقول: "ويح قوم آذوا نبيهم"، حتى لما نزل ملك الجبال ليطوي الطائف قال: "عسى أن يكون بين ظهرانيتهم مؤمن".

يكبر ويكبر معه السر، تتبعه الغمامة، وتأتي خديجٌ أجمل نساء مكة في وقتها، قالوا عجوز حمراء الشدقين، تعساً تعساً!! كانت الأجل والأنبيل والأكمل في وقتها بسابقة سعادتها الأزلية، بزواجها القديم روحاً من رسول الله، تكون أم أبنائه وبناته. ويتزوج النور النور، وتكون أسرة كريمة ثم تجارة كريمة ثم موعد في تحنّث في الغار، يعرف ربه وينبئه قلبه بما ينبئه به قلبه، ويدنيه حبه مما يدنيه منه حبه.

ضمّة الغار

في مدرسة الغار الضيق مكاناً الفسيح سراً وبرهاناً، كانت الأعاجيب تحدث كل يوم، كانت الصخور تتنوّر بتلك الخطوة، يا ليتنا كنا صخرة في الجبل، يا ليتنا كنا حصاة في الجبل، يا ليتنا كنا شجرة أظلت ذلك الطفل الذي منحه الله وله بالخير جبل، يا ليتنا كنا عوداً مرّ بجانبه ذلك الذي كان عند رب العزة كالطود بل كالجبل، سيّدنا رسول الله، ففي الغار أنوار وأسرار. يتحنّث، ثم يأتيه صديقه القديم حبيب روحه ليقول له بالضمّة: إنّ إبراهيم أرى الملكوت ليدلّه الله عليه، وإنّ موسى كلّم الله في النار التي لم تكن ناراً وكلّمه ربه فيها فألقى عصاه، وإنّ للمسيح ما للمسيح، ولكنّ الحبيب لا يُدعى إلا بما يُدعى به الحبيب: **تعال إلينا نضمّك فقد طال الفراق والإشتياق!** لقد كانت ضمّة نيابة عن الحضرة، ضمّة ضمّت فيها روح سيّدنا جبرائيل أسرار الآماد والآباد في روح النبي الجميل، ضمّة الجميل للجميل، ضمّة الكامل للكامل، ضمّة النقي للنقي، ضمّة الروح الأمين لروح الله العظمى. تلك الضمّة كان فيها سؤال القراءة، اقرأ، اقرأ باسم ربك، ﴿أَفْرَأَ﴾ عموماً ثم ﴿بِاسْمِ رَبِّكَ﴾ خصوصاً، ﴿الَّذِي خَلَقَ﴾ عموماً و﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴾ خصوصاً، ﴿أَفْرَأَ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴾، ﴿أَفْرَأَ وَرَبُّكَ﴾ عموماً و﴿الْأَكْرَمَ﴾ خصوصاً، ﴿الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ﴾ عموماً و﴿عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ خصوصاً، دوائر العام والخاص، وخاصّ الخاص والاختصاص في تلك اللحظات العظيمة.

تتحرك الأنوار الأحمدية في الأنوار المحمدية، يجتمع زمن ألسنت وما قبلها بالمضغة الشريفة المحمدية، تتعانق الأنوار بالأنوار، ويُنزع البرزخ الذي كان بين البحار، فتلتقي بحار الذات الأولى ببحار الذات الثانية، متمزجان كملاً بكمال وجلالاً بجلال وجمالاً بجمال، بين أحمد ومحمد. يرجف الجسد الشريف الطاهر ويتفصّد عرفاً "زملوني دثروني" ﴿يَا أَيُّهَا الْمَرْمَلُ قُمْ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾. وتعلم السيّدة التي كانت تعلم أنه رسول الله، وقصة أنها كشفت عن رجلها حاشاً أن تفعل ذلك، وأنه كان لا يدري أذلك ملك أم شيطان حاشاً، قد حدّثه عمه من قبل. وبولغ في دور ورقة ولم يتكلم عن دور أبي طالب الذي كان يعلم أكثر من ورقة، فإنّ ابا طالب كان يعلم منذ البداية.

وصلى معه طفل ثم صدع بالأمر، ثم أودى، ثم جمع أهله وقال ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ وقال ﴿فَاصْذَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾ فقال إني رسول الله فضحكوا، فقال من معي؟ فنهض علي طفل الستة أعوام وقال: "أنا يا رسول الله معك، أنا حرب على من حاربت"، وتحركت روح حيدرية قديمة في ذات حيدرية كريمة. فذلك الذي وُلد في الكعبة ابن فاطمة وابن أبي طالب، ذلك الرجل الكريم العظيم، الخليفة والأخ والوصي، وهو منه بمنزلة هارون من موسى. ويضحك القوم ثم يكويهم ذلك الشاب "لا فتى إلا علي ولا سيف إلا ذو الفقار".

وتمضي الملحمة من دار الأرقم إلى شعب أبي طالب إلى ما قبل ذلك وما بعده، إلى إدماء القدم في الطائف وذلك الشاب الذي يأتي من نينوى ويأتيه بشيء من تمر ويقبّل قدميه، كان في ظاهره شاباً من نينوى يقيم وكان في باطنه الخضر الكريم الذي تشكّل مجدّداً وتقمّص مجدّداً ليواسي مجدّداً ثم عرفه رسول الله، والتقى كثيراً وكثيراً، والتقى الإمام علي كثيراً وما دعاء كميل ابن زياد إلا واحد من تلك الأدعية واللقاءات، ثم نزل الله ملك الجبال فقال "عسى أن يكون بين ظهرانيهم مؤمن".

ثم هجرة مباركة وناقاة مباركة ومدينة مباركة وأسرار عظيمة، وما قبل ذلك من إسرائ ومعرّاج، وما بعده من وفاة وما كان من مآسي ومن آلام. ثم يطوي الزمن ما أراد حتى يظهر القائم، ويكون بين الأمر أمر وأمور أخرى يُجلبها القائم كما شاء له ربه، نعلمها ولا نقولها.

انتقال الذات العظيمة

ثم تنتقل الذات العظيمة إلى البارئ العظيم، وتبكي الأرض والسماء على جسد عظيم مسجّي، لم يتسنّه، إن كان طعام العزيز لا يتسنّه فكيف جسد رسول الله يتسنّه؟! ذلك الجسد الذي غادرته روح لم تغادره، إنما وسّعت المسافة بين الروح والجسم، فإنه يسمع من يصليّ عليه ويردّ الصلاة عليه، وإنه نديّ في قبره كأنما دُفن منذ قليل، وإنّ ذلك نراه في أولياء حفروا بعد سنين فوجدوهم كما هم، وكشفت الأمطار في زمن العثمانيين مقبرة أحد فوجدوا حمزة كأنما دُفن البارحة، وكُشف عن كثير من الصالحين فوجدوهم كذلك، فتلك **حفاضة من سرّ <لم يتسنّه>**، في علوم الزمن، إيقاف للزمن كأنه قد توفّي منذ حين، هذا من أسرار وأنوار هذه الروح العظيمة. فجعل الله ذلك القبر الشريف ذلك الضريح الشريف مسكناً للأنوار والأسرار، محطّاً للملائكة الذين يزورون والذين يصلّون عليه، محطّاً لقلوب العاشقين. ثم جعل حُجُباً وجعل بلاءات هو الذي قدّرها وسطرّها، وجعل دون ذلك فتناً ومِحناً: فحاً وحرّة وكربلاء، وجعل بلاءً وبلاءً وبلاءً، قبل وبعد، حتى خروج القائم ليُنصف النبي الهدى عبد الله الدائم.

فأما ما وُضع ودُسّ عنه فقد حاولوا تشويه ذاته العظيمة، أنه نصّحهم على التمر ثم قال أنتم أعلم بديناكم بعد أن أفسده، وكأننا أمام شخصيتين: محمد الإنسان وهو جاهل أمي لا يفقه شيئاً، ومحمد النبي يأتيه الملائكة فهو مجرّد طارش كما قال ذلك الشقي. ولكن في الحقيقة كان رسول الله أعظم الناس عقلاً وأكملهم وأرجحهم قبل النبوة وبعد النبوة. جعلوه أراد الانتحار لَمَّا تأخّر عليه الوحي، جعلوه سُحر وكان يظنّ أنه يأتي الأمر ولا يأتيه، أيّ جنّ هذا الذي يستطيع أن يؤثّر في رسول الله؟! أيّ جنّ هذا الذي يستطيع أن يقربه؟! وأما الذين آذوا ناسوته وجعلوا لاهوته وسرّه اللاهوتي الرباني، فهؤلاء أشقياء آذوه وجرحوه وجرحوا وجهه في أحد ورموه بالحجارة في الطائف وآذوه وهو في مكة، ذلك امتحان من الله له، ولكنه أخلص لربه، أخلص لمولاه.

خاتمة

وهو روح عند الله عظيمة، تزور المشتاقين إليها، تصل المحبين لها، سلالته شريفة وقلاعه منيفة وجيوشه مخيفة، ويجلي الله في القائم ما كان منذ السقيفة، فذلك أمره يُجلبه كما أراد، ذلك محمد الذي نحب.

ولنور وجهك طاب العشق والنظر
كنت الإمام وأنت المرسل البشر
أجلى الحقائق أن في هديك الظفر
يشتاق خطوك حتى الرمل والحجر

أنت الضياء فلا شمس ولا قمر
حتى الملائك أدناهم وأقربهم
يا أكرم الخلق يا أعلاه منزلة
مذ أن صعدت إلى الرحمن في كنف

كما قلنا في لحظة جمال في مولد من موالد الحبيب.

اللهم صلّ على سيدنا محمد عدد العدد الذي يعدّ العادّون وعدد ما لا يعدّون، وعدد ما بين قاف ونون، صلّ عليه كما تصلي عليه، وكما يصلي على نفسه، وكما يصلي عليه ملائكتك العابدون وأنبياءك المرسلون وأولياؤك الصالحون وخلقك المجتبون وعلى آله وسلّم يا رب تسليماً كثيراً (تجدون هذه الصلاة في كتاب الصلاة على أشرف المخلوقات في سلسلة المشكاة في موقعي، صلّوا على رسول الله تنالوا وتغنموا وتفرحوا، وأحبوه تهتدوا، واتبعوه وأيقنوا أنّ الفرج قريب، وأنّ الله سميع مجيب، وأنّ الحبيب لكل حبيب حبيب،

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

المحاضرة بتاريخ: 22-02-2021



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

التأمل التاسع عشر: إذا ذلك عليك وعرفك نفسك، فقد ذلك عليه فعرفته

مقدمة

الحمد لله رب العالمين الذي نزل على عبده القرآن تنزيلاً، وقال ﴿يَا أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ قُلْ إِنِّي لَأَقِيلُ﴾، وألقى عليه من لدنه قولاً ثقيلاً، وجعل له نوراً وسراً ساطعاً جميلاً، الحمد لله الذي بعث إلينا محمداً هادياً إليه وسراجاً منيراً ودالماً ودليلاً، والصلاة والسلام على الذين اختاروا الدنيا أن يكونوا شهيداً بعده شهيداً وقاتل يوالي قتيلاً، فكانت الدنيا لهم دار امتحان فصبروا وصدقوا وكان لهم من الله نور وسر وخير وذخر وفخر من الله بالله وراثته لرسول الله.

اللهم صلّ على سيدنا محمد الدالّ بك عليك والهادي منك إليك وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين، الأدلاء الدالّين على الخير والفاعلين له، الباذلين للمعروف، أصحاب الفيوضات وأبوابها ومعاريجها، قمم الإباء والسخاء، الصابرين في البلاء، الشاكرين في الرخاء، ورضي الله عن أصحاب رسول الله الذين أيّدوه ونصروه وصدقوه ولم ينكثوا وعده بعده، أصحاب الصبر والرضوان، أهل البيعات والغزوات والفتوحات، الذين مدحهم الله في كتابه ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾، وسلامٌ على أهل الله وخاصته أهل الديوان والبرهان أصحاب السرّ والنور الذين نور الله ذاتهم وجمل صفاتهم فكانوا على قلب محمدي بنقش فاطمي علوي حسني حسيني، امتدّ سرهم جيلانياً ورفاعياً وشاذلياً ودسوقياً وبدويّاً إلى تيجاني إلى من كان بين ذلك وذلك وما بعد ذلك إلى القائم المهدي الهادي بأمر ربه الدالّ على سبيل ربه الذي يدله الله به عليه ويهديه منه إليه والذي يخلف نبي الرحمة فيشرق شمساً من مغربها.

وبعد، أحبابنا في الله السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته في هذا الموعد المتجدد مع التأملات العرفانية والتي نخصّصها اليوم في خلاصات وعجالة عن موضوع مهم يحتاج زمناً للسط والشرح، وزمناً للمناقشة والطرح، وزمناً أطول للتنفيذ والتجريب على الذات وتطبيق هذه الصفات الرحمانية التي فيها خير عظيم، لم نتكلم عنها إلا بعد أن جرّبناها ولم نَصِفْها إلا بعد أن ذقناها، شربنا من كأسها وذقنا من معناها ومبناها، فهي لطائف قلبية روحية لُبِّيّة فؤادية لها أبعاد عرفانية وفكرية تحتاج عقلاً متدبراً وقلباً

ذاكراً ولساناً شاكراً، وتحتاج عبداً يروم أن يصعد القمة التي لا يصعد لها إلا قلة. أما جيف المعاني فلها ضباها وهم كثير فيقبلون عليها من كل حذب وصوب، أما هذا فمقام صفوة وقلة لا يكابده ولا يعانیه ولا يتحمّله إلا ذو شوق يسمو به إلى فوق "ومن لم يخالجه شوق ولم يسمو به ذوق، لا يرتقي إلى فوق وإلى فوق ما فوق"، كذلك جعل الله في قلوبنا هذا التوق وحزنا من ذلك الطوق، لم يضع علينا إصراراً ولم يُحمّلنا إصراراً، نزع الأغلال من قلوبنا والأختام عنها فتدبرنا القرآن ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾.

سِرِّ ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى﴾

الحق جل وعلا دعا الإنسان ليُبصر في نفسه ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ وأقسم بما نُبصر وما لا نُبصر، وقال أنّ الذين جاهدوا فيه ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ وأنّ الذي يتقيه يهدي قلبه وأنه من هدى فلا مُضِلّ له ومن أضلّ فلا هادي له، وذكّرنا بزمن ﴿أَلَسْتُ﴾ الذي لا نذكره بعقولنا حتماً ولا يُمكن لمخلوق حيّ في هذه الدنيا من طينة التراب أن يذكر ذلك كُلياً إلا الأنبياء وكَمَل الصالحين والقائم ثم الذين يخلفونه، أما بقية البشر فقد يصلون إلى ومضات عبر التريّض عبر نوعيات كثيرة من الأوراد والأذكار أو الرياضات الروحية وسواها في مشارق الأرض ومغاربها، تكون نوافذ لذلك السِرِّ المطلسم الذي هو عين ذاتنا التي في ذاتنا.

بمعنى أنّ سِرِّ ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى﴾ فيها أنّ هؤلاء عرفوا الله معرفة التيقن والتحقق مع طول الدربة والخبرة والمعرفة، لأنّ الله عندما كلّم موسى البشري الذي يكمن فيه موسى النبي وخاطب عقله الإنساني وذاكرته البشرية قال ﴿إِنِّي أَنَا رَبُّكَ﴾ فكان ذلك تعارفاً جديداً. أما قوله ﴿أَلَسْتُ﴾ ففي معناها أنّ المعرفة سابقة فهو يسأل عن أمر يعلم أنهم يعرفونه كقوله ﴿وَمَا تَلَكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى﴾ فموسى كان يعرف العصا، وكذلك الذين سُئِلوا ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ وكانوا نحن وكنا هم من أول مولود آدمي إلى آخر مولود في آخر الدنيا الذي تقوم عليه الساعة. ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ قلنا بلى، تأوّلها المتأوّلون وأدخل فيها الصهاينة السابقون والذين والاهم اللاحقون (وأعني الدجالون من بني إسرائيل) قصصاً كثيرة مثل أنّ "آدم وضع كفاً فأخرج ذريته منه" وهذا غير صحيح، إنما لا يُجيب ب "بلى" ولا يسأل الله جل في علاه بصيغة "ألسْتُ" إلا من عرف أنه قد عرفه. وعليه، فإنّ هؤلاء كانوا يعرفون ربهم فانطوى السِرِّ فيهم، فلما وُلدت المخلوقات الجديدة التي كانت في حياة الروح ثم جاءت إلى الحياة الدنيا نسيت كثيراً ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئاً﴾.

السّر الذي فيك

ولذلك فإنّ السّر المنطوي في الإنسان في سرّ آدم كذلك ندمج فيه ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾ وهذا يحتاج تفصيلاً مطوّلاً، هذا السّر المنطوي في الإنسان لو دلّ الله عليه الإنسان أي دله إلى كون في داخله "وتحسب أنك جرّم صغير وفيك انطوى العالم الأكبر"، إذا ذلك الله على هذا الكون الداخلي الذي فيك الذي يختفي في أعماقك وجوانحك وعقلك الباطن وروحك وعلائقها بقلبك ولُبّك وفؤادك، وسنفضّل في علم الإنسان ضمن دروس البرهان الفرق بين الجسد والجسم والبدن وبين الأنفس والشخصية وأنواع الإدراك والوعي وبين ذلك كلّه وبين القلب والفؤاد والعقل واللّب إلى غير ذلك..

فلما يدلك الله جل في علاه عن هذا السّر الذي فيك، عن عين ماء أزلية فيها ماء الحياة الذي في داخلك، إذا ما أوصلك إليك فقد أوصلك إليه، وإذا ما دلّك عليك فقد دلّك عليه، وإذا ما عرفك بك فقد عرفك به، لأنّ سرّه منطوي فيك ولأنّ أعماق أعماقك شاهدة له فيها من ختمته ومن آثار رحمته ﴿فَانظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَةِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾، لأنك إذا عرفت المصنوع عرفت الصانع وإذا عرفت الصانع دلّك على سرّ المصنوع، فالصانع جل في علاه قد جعل في كل شيء خلقه برهاناً على أنه الخالق، لذلك قلنا في أبيات من الشعر التي نرجو بها رضوان الله:

فانظر بقلبك تبصر— كيف جلاه
صوت يقول أنا قد صاغني الله

الله في الخلق سر جلّ معناه
في كل شيء براه الله مقتدرًا

هذا الدليل الذي في داخلك، هذه الجنة التي في أعماقك، هذا مجمع البحرين الذي ستجد فيه ماءً يجعل حوت حياتك ونفسك يمضي في البحر عجباً وسرياً بعد أن كان ميتاً وانتحب، هذا السّر الذي ستجد فيه بعد عناء رحلتك كرحلة موسى ويوشعه وفتاه ابن أخته مريم في أرض الله من أرض ليبيا سوف تجد ذلك الخضر السري الذي يجلس على الماء يُغيّر أشكاله فتتبدّى لك في كل الأشكال قصة حياتك: هذا التقيته في تلك اللحظة والآخر رأيته في تلك اللحظة، كما حدث لنبي الله موسى وسنقصّ عليكم خبره.

الخضر المنطوي فيك

هذا الخضر المنطوي فيك هو سرّ الله في داخلك، بمعنى أبسط أنه طالما أنّ الله نفخ من روحه وحبّبه في آدم (حبّبه كذلك)، أي أنه هنا النفخ من خلال الروح المصطفوي النبوي الأحمدية "كنت نبياً وآدم منجدلٌ بين الماء والطين"، من هذا السّر الرباني من هذا النفخ الروحاني سرّت في آدم ثم انتقلت عبر انتقالات في ما سمّيناه "الحمض النووي الروحاني" انتقلت أسرار وأنوار حسب الدرجات وحسب الشخوص، ولم تنتقل إلى كل البشر بل إلى أختيارهم وحُجبت عن أشرارهم، انتقلت هذه اللطائف في ﴿ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ﴾، بينما الآخرون ﴿تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ في الكفر والجحود والنكران والحسد والإفساد والإلحاد والمعاندة والطغيان والمجاهرة بالفساد والسعي فيه لنشر الفاحشة بين الذين آمنوا.

هذا السرّ بين مجمع ألسن وبين مجمع النفخة الروحانية وبين مجمع البحرين: بحر الذات والصفات، بحر الروح وبحر الجسم، بحر القلب وبحر العقل، بحر الوعي الظاهري والوعي الباطن، في مجامع هذه البحار سرّ الأسرار ونور الأنوار من عند الجبّار ﴿نُورٌ عَلَى نُورٍ﴾. فأنت فيك هذه المشكاة التي فيها زجاجة والزجاجة كأنها كوكب دري وهذا الإيقاد من الشجرة التي لا شرقية ولا غربية، ليست شجرة النفس الأمانة التي تمضي في غروب ذاتك ولا شجرة النفس اللوامة التي تُبالغ وتُغالي، بل هي النفس المطمئنة المستقرّة بينهما التي ارتفعت فيها نفس الذات مع اتحاد مع النفس اللوامة وغابت النفس الأمانة. بينما لو هوت نفس الذات واتّحدت بالنفس الأمانة، زالت اللوامة وخُبثت النفس حينها وصارت نفساً خبيثة وصار صاحبها شيطان إنس. أما إذا كُملت وصارت مطمئنة صار صاحبها من المُخبتين والمُخلصين والخُص الميامين، وهذا دونه ما دونه...

لا تظنّ أنّ الطريق مُيسّر

هذه الجنة في مجمع بحري قلبك ولتبك وجوهرك، هذا السرّ المنطوي فيك وفي روحك، لا تظنّ أنّ الطريق إليه مُيسّر، عُسرّ على الأنبياء بأقوامهم ولم يُعسرّ في ذواتهم بحكم أنهم كُمل منذ البداية، وعُسرّ فينا بما حولنا وما فينا ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾. جيش الفجور يُفعل آلياً وجيش التقوى لا يُفعل إلا بالتربية والدربة والإرادة، وهذا سرده في علم النفس الذي سيكون بحراً لجياً متلاطماً يبدو فيه ضالة من كتبوا ومن تأولوا في النفس بالتصعيد وبغير ذلك من شهوات موبقات من أقوال فرويد وغيره ويونغ وهذه المدارس التحليلية، سنجيبهم عن علم وعن بصيرة ﴿فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ ائْتُوا صَفًا﴾ فليجمعوا كيدهم وليأتوا صفًا، فهذا علم نقي زكي جعله الله في قلب عبد من عباده لفضله لا لفضله عبده.

المهم أنّ بين مجمعي النفس والنفس، جيش الشر فيك سيمنعك:

1. غضبٌ في داخلك قد تكون ورثته أو ورثته أو أتى من إحساسك يوماً بالقهر أو غضب لأمر ما أو حرمان أو فقدان.
2. شهوات كأنها تقول لك: إنّ اللذة ليست إلا للعاصي، وكأنما الله لم يُبح ذلك لمن آمن واتخذ ذلك زكاةً حلالاً في الدنيا والآخرة. توهمك بذلك الظماً الذي لا ينتهي، تُسمّيه البوذية القديمة فرشنا وهي ديانة سماوية ثم حُرّفت بتقادم الأيام، هذا الظماً المستمر في هذه النفس الأمانة بالسوء.
3. عيوبك ونواقصك التي تعرفها فتتجاهلها أو التي تجهلها، والبعض ابتلي - وهذا من سُخ النفس ﴿وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ﴾ - ابتلي بأنه يُدافع عن عيوبه وعن أخطائه كدفاعه عن فلذات أكباده وكأنما هي مسألة حياة وموت، وهذا تجلي للنفس عليه، النفس اللوامة قد تتكلم والنفس الأمانة قد تتكلم أيضاً داخلياً وخارجياً. إذا قلت له: يا فلان إنّ هذا خاطئ، ستجده يُدافع ويُبرّر، إما لأنه

أمر عادي بين الناس أو ماذا فعلت مقارنة بما فعل المجرمون أو من قال لك أنّ هذا حرام أو أنه يجد تبريراً "أنا كنتُ مظلوماً لقد دفعني إلى ذلك أمر ما" سيُبرّر.. وهذا نظام حماية ذاتي لهذا الفايروس لهذه اللوثة التي فيه، فيُدافع.

لا تُدافع عن عيوبك، اجلس بينك وبين ريك وبينك وبين نفسك، ادُرُس أرض المعركة، انظر أين موضع جيشك، واعلم أنّ أعظم الكائنات البرية يأكلها أصغر السمك إذا كان في البحر، وأعظم الكائنات البحرية يفترسها أصغر النمل إذا ألقى في البر. وعليه، إذا قاتلت في غير أرضك فحينها سوف تُهزم.

طرق محاربة الشر

جُرّ الشر الذي فيك إلى مناطق لا يستطيع مقاومتها، تجرّه بطرائق سهلة جداً:

- ❖ صلّ الفجر نوق الهجر
- ❖ وصلّ صبحك تجد ربحك
- ❖ وصلّ ظهرك يُسند ظهرك
- ❖ وصلّ عصرك تسد عصرك
- ❖ وصلّ المغرب كي لا تغرب
- ❖ وصلّ العشاء وافعل ما يشاء، لا ما تشاء كما روج لها الحمقى "صلّ العشاء وافعل ما تشاء"

وهذه قلناها في علم الصلاة وكتاب <<الصلاة>> الذي سنقرأ لكم منه صفحات نيرات إن شاء الله.

خاصةً صلاة الفجر والصبح، ذلك التوقيت يجب أن تستيقظ فيه، ذلك التوقيت هو توقيت تبديل طاقات نورانية ملائكية، صعود ملائكة ونزول آخرين، وذلك التوقيت فيه انفتاح بوابات نورانية لا تنفتح إلا في ذلك التوقيت ﴿وَقَرَّانَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرَّانَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾، ﴿قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ هذا موضوع آخر هنا ندخل في مستويات أخرى في أحزمة أعلى، لكن على الأقل تستيقظ حينها.

- ❖ البكور فيه بركة عظيمة، عندما تقوم بذلك ستدعم صف جيشك الخير وسوف تُدكدك صفوف جيوش الشر التي فيك، تنطلق في الحرب.
- ❖ الذكر:

كل يوم لا إله إلا الله، سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر، يا حي يا قيوم يا وارث يا دائم يا باقي، تُناجي الله جل في علاه، تصلي على حبيب الله وعلى آل بيت حبيب الله وتُسلم على الصالحين كما تُسلم عليهم في الصلاة "السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين". وأنا أعجب من الذين يستنقصون من قدر آل البيت وهم يُسلمون على آل البيت في كل صلاة (الصلاة الإبراهيمية)، والذين يقولون أنّ محمداً ميّت في قبر لا يضر ولا ينفع وهم يقولون "السلام عليك" والتي لا تقال إلا للعاقل الشاهد القريب الناظر، لا يُقال هذا "عليك" إلا لمن يسمعك، أو أنّ الصلاة فيها جنون، فيها اختلاف، فيها ترّهات، وهذا غير

صحيح!! طالما نقول "السلام عليك" فهو يسمعنا ويُجيب السلام وهو يطلع على الصلاة ويكون قريباً قُرب سَرِّ كما اقترب الخضر من عرش بلقيس وهو ما يزال جالساً عند سليمان، كما يُسمّيه أينشتاين "انبعاث الزمكان" انطواء الزمكان. فهذا سرّ آخر "أقرب ما يكون المرء إلى ربه وهو ساجد" تنطوي الأزمنة والأمكنة.

❖ رياضة:

الذي لا يُريّضُ جسمه ويقبل الكسل، إذا كنت تستطيع ذلك فافعل، على الأقل ولو بعض الحركات، سوف أنزل أيضاً في هذا المجال الرياضي المهم. لا تظنّوا أنّ الصحابة كانوا غير ذوي رياضة، لماذا أمرهم رسول الله بالكشف عن أذرتهم عندما جاءوا في العمرة في صلح الحديبية؟ ليظهروا القوة. لماذا تلك الهرولة؟! هرولة الجيوش.. كيف كان الإمام علي، هل كان الإمام علي مددك الجسم واهناً؟! حتى صارت اليوم المشيخة ترمز لأن يكون كبيراً واهناً- مع احترامنا لكبار السن- ولكن ليس ذلك لُبّها، إنما علي فتى "لا فتى إلا علي ولا سيف إلا ذو الفقار" أليس ذلك مدارس فنون قتالية؟! كانت مدارس فنون قتالية ودفاعية رهيبة جداً وفيها تدريبات وفيها تمارين مستمرة، فيها نظام غذائي الإمام علي كان يأكل الشعير خاصةً "لو أكلت طعامكم ما قتلتُ شجعانكم" يعني في الجانب الجسماني، طبعاً سرّه الروحاني أعظم.

- ❖ بمعنى أنّ هنالك أيضاً نظاماً غذائياً، تُسرف في أكل كل شيء، لأنك من طين تدعم الطين بالطين وتختفي الروح تحت طي من أنين، تقتل روحك بإقبالك على الدنيا، تأكل وكأنّ الساعة تقوم بعد قليل وأنت لن تأكل بعد ذلك اليوم أبداً. قاوم شيطان الشراهة.
- ❖ قاوم شيطان الجُبْن والهلع والخوف من الموت والخوف من الدنيا والخوف من الكورونا والخوف من الإفلاس والخوف من المستقبل والندم على الماضي.
- ❖ قاوم شيطان الغضب الذي يجعلك تقول ما لا تُحب وتؤذي من تُحب وتهدم ما تحب، قاوم شيطان الغضب الأسود.
- ❖ قاوم شيطان اليأس والكسل.
- ❖ قاوم الشياطين الشهوانية شياطين الرغائب.

قاتلهم، لا أقول لك لا تنهزم أمامهم بل إذا غلبتَ فانهض مجدداً كما قال سيدنا رسول الله لسيدنا عمار "إذا عادوا فعد". انهض مجدداً، ادخل في "باب إلا" ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ إلا إلا تجدها في القرآن مكررة وهذا نُسمّيه "علم إلا".

أعدّ نفسك ليأتيك الدليل الرباني

إذا ذلك الله عليك يجب أن تُعدّ الأرض ليأتيك الدليل الرباني "ما يزال أحدكم يقرأ سورة الضحى حتى يبعث الله إليه من يُعلّمه دينه" يبعث الله إليه ولو بينه وبين ربه، لو أنّ أحداً دعا لك صادقاً "اللهم افتح عليه وأمدّه بمدد من نبيك" ثم استجاب الله له ففتّح عليك وأمدك الله بمدد من نبيه ثم جئت بعلم جديد، لماذا يستنكرون؟! إذن الذين دعوا لك حينها تشدّقوا بالكلام فقط، ألسنا نقول أنّ الله يفتح على

قلب من يشاء من عباده وأنّ الله يهدي من يشاء من عباده؟ حصروا الله جل في علاه في وهمهم في مسألة الوحي الجبرائيلي على سيدنا رسول الله، منعوا أن يكون هنالك قبس نوراني في قلب السيدة الزهراء وسيدنا علي وقلوب أسياد الصحابة وقلب أويس وقلب أبي ذر وقلب سلمان وقلوب الصالحين الحسن البصري وأبي سعيد الخراز والجنيد وإبراهيم بن الأدهم وصولاً إلى معروف الكرخي وصولاً إلى الشيخ عبد القادر والإمام الرفاعي وهؤلاء السادة.

كلا، إنّ لله بوارق وحقائق وأذواق ودقائق مستمرّة، كلماته لا تنقطع وأنواره لا تنقطع، وبث قنواته الرحمانية لا تنقطع، أثبتّ قنواتنا الدنيوية ويكون لها فرق عمل ولا تبثّ القنوات الربانية الرحمانية في قلوب عباد الله الذين عرفوه وعرفهم بهم ثم عرفهم به؟! هذا أمرٌ غير صحيح، يقوله الذين ما عرفوا الحق ولا عرفوا الله بل ردّدوا كلاماً قديماً لم يفقهوه، وهذا الكلام القديم كان حاجزاً بينهم وبين سرّ القرآن، وحجب الأمة بالتفاسير السقيمة والوضع العقيم عن أنوار القرآن وعن الشخصية المحمدية الحقيقية وعن السنة الحقيقية وعن السيرة الحقيقية. لا أقول دساً كلياً بل دساً موضعياً، ولكن كان له دور تهديمي كبير جداً، من أسباب ما وصلت إليه الأمة في تاريخها من انهيار وانحطاط معرفي وتخلّف في جميع الأصعدة. وهذا سيندك إن شاء الله وبوارقه بدأت وانطلقت والراية ارتفعت وامتنعت وجمع الله جنده وهو سوف يظهر أمره بأمره في الوقت المناسب.

وعليه، فإننا عندما نتكلم عن هذا الدليل الذاتي، ﴿وَكُلُّ إِنْسَانٍ أَلْمَنَاءُ طَائِرَةٌ فِي عُنُقِهِ﴾ في داخلك مترجم رباني. الكافر إذا رأى الآية الربانية ترجمها له مترجمه الشيطاني ويقول له: "هذا لا شيء هذا سحر"، والمؤمن إذا رأى الآية الربانية بقلبه آمن بها. لذلك **معظم الذين شهدوا المعجزات المباشرة كانوا كفاراً**، معظم الذين رأوا انشقاق القمر كانوا كافرين، بينما أهل الإيمان أويس القرني لم يلتق رسول الله في حالة جهرية إطلاقاً، وإن كان اللقاءات الأخرى موجودة وكثيرة، ولكنه كان مؤمن القلب. وعليه، فإنّ هذا السرّ وهذا النور فيه أسرار وأنوار.

قلت مرة (ولم أنشرها بعد): "طلبْتُ من الله برهاناً تراه عيني، فوهبني برهاناً يراه قلبي، فوجدت برهان القلب أعظم وعلمت أنّ العين تنظر وأنّ القلب يرى".

أنا أختار

عندما تكون مُهيّياً، عندما تطلب تقف بين نفسك الآن وتقول: أنا أختار، أختار أن أكون عبداً مخبتاً لله رغم أنف نفسي وذنوبي وأن أجعل رأس ذنبي تحت قدم توبتي، وأختار أن أكون جندياً لرسول الله محمد على حقيقة ذاته وجمال صفاته، وأن أكون جندياً لآل بيت النبي ولُخلص الأصحاب، وللأنبياء من قبل ذلك والصالحين، وللصالحين من بعد ذلك وأهل الديوان والبرهان، وأختار أن أكون فارساً في كل ميدان، وأختار أن أكون ممّن يُشرف بالصلاة في بيت المقدس عندما يُرفع فيها بأمر الله الأذان، وأختار أن أسعى إلى الجنة سعي أهلها بسرّ ربي وبركة ربي، وأختار أن أتطور ذاتاً وصفات وأن أمتلئ يقيناً وأن أدرب جسمي ما استطعت وأن أهتدي ما استطعت وأن أغلب نفسي ما استطعت وأن أظهر قلبي ما استطعت وأن

أصقل عقلي ما استطعت، قلها والتزم بها وحاولها، وكأنك تصنع من طينة آنية ما. لن تنجح منذ أول لحظة، ستقع على وجهك مراراً، ستجذبك كلاب الشياطين وتنهشك ضباع الشياطين وتأتيك النفس بألف ألف مؤامرة ومكيدة، ويأتيك حاسدٌ من هنا وجاحدٌ من هناك، ولكن الله سينصرك في النهاية.

إذا اخترت هذا السبيل فهو سبيل يوصلك إلى الدليل، يذكرك الله عليك كما دلّ موسى على نفسه، عندما أقبل موسى إلى النار التي لم تكن ناراً ووجد أنه في وادٍ مقدس، قيل اخلع نعليك: اخلع شكائك، اخلع حياتك الأولى في قصر فرعون وحياتك الثانية وأنت راعٍ، اخلع كل شيء وانخلع منه وادخل حافي القدمين حافياً من كل الدنيا تاركاً الدنيا خلفك، هذا ربك يكلمك يُناجيك.

عندما ألقيت العصا، ذاتك وقلبك الذي من قبل عصي كالعصا تخشب، فُطِعَ من شجرة اليقين والعرفان والإحسان وفقد الثمر وفقد الورق وهشّت به نفسك على غنم وهمك ولها فيه مآرب أخرى. فألقها ﴿فَأَلْقَاهَا فِإِذَا هِيَ﴾ إذا جاءت الرحمة يُلقى الله قلبك في بحور أنواره فإذا هو حيّ يسعي ﴿فِإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى﴾، تُصبح نفسك الميتة القاسية حيةً تسعى ﴿وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فِإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ رَوْحٍ بِهِيجٌ﴾ يُنزل مطر الله الرحماني بكل خير ونور وسرور على نفسك الهامدة فتتهتّر ﴿فَلَمَّا رَأَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ﴾ وتُنبتُ من كل زوج بهيج.

المشهدية سيكون فيها لحظة خوف ﴿وَلَىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ﴾، إذا كشف الله ما بينك وبينه وما بينه وبينك ستفرّ منك، لأنك حينها ستستعظم ذنوبك. الغافل ينظر إلى ذنوبه نظر الأعشى نظر الأرمذ الذي يرى الكبير صغيراً، والواصل ينظر إلى ذنوبه نظر الذي يرى الصغير كبيراً، فيستكثر على نفسه اللّمم ويبكي كثيراً. ولذلك تتغير المعايير ستفرّ منك وتهرب إليه ﴿فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ﴾.

خاتمة

إذا ذلك عليك ذلك على حقيقة سرك، يتحوّل العاصي إلى طائع، وتكون في مقام الذلّ والافتقار وتقول قول إبراهيم بن الأدهم وقد جاع في سفر له:

أنا جائعٌ أنا ضائعٌ أنا عاري
فكُن الكفيل بنصفها يا باري

أنا ذاكِرٌ أنا شاكرٌ أنا حامدٌ
هي ستّةٌ وأنا الكفيل بنصفها

ثم كتب "أنت المقصود في كل حال والمُشار إليه بكل معنى".

حينما تقف بين يدي ربك وتعترف أنك فعلاً جائعٌ إلى النور، ضائعٌ في الديجور، عارٍ من حسنات تفتقر إليها، تأتيه كما أتى أخوة يوسف ببضاعة مزجاة وتقول: يا أيها العزيز تصدّق علي، تأتي إلى رسول الله بهذا تضع خدك على التراب لطفه، تمسك قدمه الشريفة تقبلها وتعلم يقيناً أنّ كونك تراب قدمه شرف عظيم

لأنّ تراب قدمه مقدّس، تراب قدمه تغار منه كل قطعة تراب في الأرض، كل حصي مسّها النبي وغصن شجر وظلّه مرّ على مكان إلا وغارت كل الأرض والكواكب فاستمدّت ومدّت من طافاتها تترشّف الأنوار وتأخذها. وهذا ليس كلام مجازي، هذا كلام حق، وسوف يكشف الله ذلك بقائم آل محمد تبياناً.

وعليه، فإنّ الدليل الرباني الذي فيك عليك ثم عليه، والهاديك إليك ثم إليه، دليل عظيم. فاستنهض الهمة لإنجاز المهمة، خذ من العلم ما ينفَعك واعمل من العمل ما يرفعك واعلم أنّ الدعاء للمقام رافع وللعبد نافع وللبلاء دافع. واعلم أنّ الله جل في علاه يخطب من أراد على ما أراد، فجعل في خلقه المرید والمراد، وأنّ الحضرة كما تُخطَبُ تُخطِبُ، وما كلّ من خطبها نالها وكلّ من حطّبته نالته، فتشوّف لذلك المقام.

واعلم أنّ الدنيا دار منام ودار حلم وفيها خير لأهل الخير كما قال مولاي وجدي وسيدي الإمام علي عليه السلام: "لا تسبوا لي الدنيا، الدنيا دار صدق لمن صدقها، مهبط وحي الله ومنزل أنبيائه وامتجر أوليائه"، فالذي صدق الله في الدنيا يجد الخير في الدارين. وأكذوبة أنّ "الدنيا جنة الكفار والآخرة جنة المؤمنين" مضحكة، فالله قال ﴿آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً﴾ وقال ﴿فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾ وقال ﴿وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا﴾، أما الآخرون فقال ﴿وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهَوَ فِي الآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾ ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾.

هي ثورة مفاهيم نسوقها ونصائح نصحتها ذلك الشيخ المتربّع في أعماقي في مجمع البحرين وقد كشف قليلاً من قناعه، أما أنا فمقامي تحت تلك القدم وقد أخذني الندم، فإني على الذنب نادم ولمحمد وآل بيته والصالحين والقائم خادم، وإني أتشوّف وأستعدُّ لأمر عظيم قادم، فمن شاء ذلك فليوضئ قلبه بالمحبة وليتوكل على الله ربه.

الحاضرة بتاريخ: 1-03-2021



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

التأمل العشرون: الصراط المستقيم

مقدمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وَصَلَّى اللَّهُ وَبَارَكَ وَسَلَّم عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ نَبِيِّ الْهُدَى وَالْخَيْرِ وَالرِّشَادِ وَعَلَى آلِهِ أَشْرَفٍ وَأَطْهَرَ وَأَتْقَى الْعِبَادِ، وَسَبَّحَانَ اللَّهِ الَّذِي أَلْهَمَنَا وَهَدَانَا وَأَكْرَمَ بِهِ مِنْ مَلْهَمٍ وَهَادٍ، الَّذِي بَسَطَ الْخَيْرَ وَالَّذِي هُوَ بِالْمَرْصَادِ، وَالَّذِي أَهْلَكَ فِرْعَوْنَ ذُو الْأَوْتَادِ، وَثَمُودَ وَعَادَ، الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ، وَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفُسَادَ، فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ، إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمَرْصَادِ. الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي قَالَ لِحَبِيبِهِ ﴿وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ﴾، وَالَّذِي دَعَا إِلَى الْإِسْتِقَامَةِ ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ﴾ وَالَّذِي أَلْهَمَ فِي الْفَاتِحَةِ مِنْهَجًا رَحْمَانِيًّا عَظِيمًا ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾.

علم الصراط

لَعَلْنَا يَوْمًا مَا فِي الدُّرُوسِ الْبَرْهَانِيَّةِ سَوْفَ نَتَكَلَّمُ عَنْ **عِلْمِ الصِّرَاطِ** وَأَكِيدُ أَنَّنَا سَوْفَ نَصْطَدِمُ مَعَ الْأَحَادِيثِ الَّتِي تَكَلَّمَتْ عَنْ أَنَّ الصِّرَاطَ هُوَ أَدَقُّ مِنَ الشَّعْرَةِ وَأَحَدٌ مِنَ الْخَنْجَرِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَالَّذِي يَنْاقِضُ كَلِمًا ﴿وَسِيْقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا﴾ وَلَا تَجِدُ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ مَا يَشِيرُ إِلَى تِلْكَ الصُّورِ الَّتِي جَعَلَهَا وَهَبَ ابْنُ مِنْتَبَهٍ وَكَعْبُ الْأَحْبَارِ (وَهُمَا مِمَّنْ ادَّعَى الْإِسْلَامَ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ) جَعَلَهَا صُورًا خَيَالِيَّةً لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ وَتَنْاقِضُ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ ﴿عَنِ الصِّرَاطِ لَنَّاكِبُونَ﴾ أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ مِنْ مَعَانِي الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ. قَمْنَا بِتَخْرِيجِ كُلِّ الْآيَاتِ الْمُتَكَلِّمَةِ عَنِ الصِّرَاطِ وَبَيَّنَّا أَنَّ الصِّرَاطَ هُوَ الْمَنْهَجُ الْقَوِيمُ الْمُسْتَقِيمُ وَأَنَّ هُنَالِكَ مَنَاهِجٌ مَعُوجَةٌ ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾. وَبَيَّنَّا فِي كِتَابِنَا (الْفَاتِحَةُ فِي أَحْكَامِ الْفَاتِحَةِ) مِنْ مَعَانِي ذَلِكَ وَمِنْ أَسْرَارِهِ وَخَوَاصِّهِ، لَعَلَّنَا نَشْرُنَا بَيْنَكُمْ فِي الْمَوْقِعِ بَعْضًا مِنْ ذَلِكَ، وَإِنْ شَاءَ اللَّهُ نَنْشُرُ أَيْضًا الْكِتَابَ كَامِلًا وَهُوَ كِتَابٌ مِنَ الرَّقَائِقِ وَالْجَمَالِيَّاتِ فِي تَفْسِيرِنَا لِكِتَابِ اللَّهِ، وَإِنْ كَانَ عِنْدَنَا كِتَابٌ آخَرَ إِنْ شَاءَ

الله ييسر الله (لآئى الجنان في معاني القرآن) وفيه ما فيه من غوص في هذا الكتاب العظيم مما شرح الله عليه وبه صدر عبد من عباده..

أما الصراط الذي نتكلم عنه الآن، لن نفضّل في علم الصراط كما قلت لكم وهو علم له علاقة بعلم المنهاج وله علاقة بالشاكلة ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِ﴾. بحكم أنّ الصراط أنواع، هنالك السبل الطرق الملتوية المعوّجة، وهنالك الصراط المستقيم. وللصراط علاقة بالطريقة ﴿وَأَنْ لَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَىٰ الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَهُمْ مَاءً عَذْقًا﴾ فقد يأخذ النبي والرسول ديناً من عند ربه وكتاباً، وسيّدنا آدم علّم الأسماء، ولكن الطريقة هي ليس فقط الإخبار عن الله بل هو الطريق إلى الله، كيفيات الوصول، آليات الوصول إلى رب العالمين، بحكم أنّ الأمر له أبواب وله أسرار وله خواص.

إذن علم الصراط عموماً هو علم يتعلق بالتركية والسلوك والأخلاق والمناهج الموصلة إلى رب العالمين، وكما قلت لكم لعلنا نتكلم في ذلك في الدروس البرهانية، وسيكون لهذا ردود أيضاً على بعض كما قلت الأحاديث التي انحرفت بالمعنى الحقيقي إلى معاني أخرى لا تهّم المسلم. في نهاية المطاف إن كانت النار فوقها جسر صغير وأحد من الشعرة إلى غير ذلك، فهذا مناقض كلياً للقرآن الكريم ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَىٰ الْجَنَّةِ زُمَرًا﴾ ﴿وَجُودٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ﴾، وثمة متعلقات أخرى لا نريد أن نخوض فيها الآن، نؤجل المواجهة حولها. ولكي أقول أنّ علم الصراط هو علم نافع وعلم عظيم وهو من العلوم التي ننصح بفهمها والإطلاع عليها، ولها علاقة بالتركية وبالعرفان وكذلك بشيء من التصوف.

الصراط المستقيم

ما سنتكلم عنه في هذا التأمل هو من معاني الإستقامة والصراط المستقيم ﴿اسْتَقِمْ كَمَا أَمَرْتَ﴾ أو الصراط المستقيم. ولعلي سأقول كلاماً أو أنا واثق أنني سأقول كلاماً جديداً مع ما هو متعارف عليه عند القوم وعند أهل العلم.

بداية الصراط المستقيم أقرب لقاء بين النقطتين هو الخط المستقيم، الخطوط الملتوية المعوّجة كلها تكون أطول من طريق مستقيم، هذا بديهي ومعلوم. وعليه، فبين العبد وربّه ثمة طريق، هذا الطريق يعني سلوك مسافة، يعني يحتاج إلى قوة يحتاج إلى قدرة. إذا كان الطريق صعودياً يحتاج إلى مجاهدة شديدة جداً، إذا كان هذا الصاعد مثقلاً بجاذبات سفلية وهي النفس والأهواء والنوازغ ومشاكل الحياة وكذلك الشياطين التي تطغى وتسحبه لتقع به في فج عميق إذاً يكون الصعود أصعب، وإذا كان الصاعد يصعد بذاته فسيكون أصعب صعوبة. وأكد أنّ أرحم الراحمين جعل مناهج وجعل مختصرات، وأنّ في الصراط المستقيم طرق وسبل داخلية، بمعنى تجدون في القرآن الكريم أنّ هنالك من يهدي إلى سبل (سبل الله). وكذلك فكما أنّ في علم المكان في علم المسافة (تكلمنا عنه في علم العالمين): ثمة نقطة (أ) ونقطة (ب)، لتقطع مسافة (ج) تحتاج إلى السرعة (د) وإلى القوة (هـ) وهكذا حتى تصل.

أما بعض المختصرات تكلموا عنها فيما يُسمّى **بالثقب الدودي** أو ما يسمّى جسر أينشتاين روزوين، عندما نتكلم عن جلب عرش بلقيس ﴿قَبْلَ أَنْ يَزْتَدَّ إِلَيْكَ ظَرْفُكَ﴾ تمّ اختزال المكان وتمّ جذب العرش. لو أنّ العرش سعى بنفسه إلى سليمان لاستغرقه ذلك ملايين السنوات إذا جاز له التحرك، ولو أنّ العرش أتى بقوة البشر يحملونه على الفيلة لأخذوا سنوات، ولو أنّ العرش أتى عن طريق عفريت من الجنّ لوصل في نصف يوم، ولما جلبه الخضر وصل في ثانية واحدة.

وعليه، فثمة **مُرِيد داخل الصراط ومُرَاد من الصراط**، بمعنى أنّ هذا المرید يسلك إلى الله بمجاهداته وذاته، أما المراد فيُسلكه الله إليه ويُسلّكه عنده، يجذبه كما جذب الخضر عرش بلقيس، يجذبه جذبة واحدة. بين البابين علوم شتى وبين البابين مقامات، بين أتى وكيف وحتى، بمعنى:

- أنّ هنالك من أتى له الوصول
- وهنالك من يقول كيف لي الوصول
- وهنالك من يقول حتى الوصول وحتى بعد الوصول وحتى عند الوصول وحتى دونه

بمعنى هي أحوال وهي أقوال وهي مقامات وهي أسرار.

قِطَاع الطَّرِيق

الحقيقة أنّ علم الصراط وأنّ حال أهل الصراط حال ليس بالحال السهل. الطريق إلى الله طريق مستقيم ولكن دون ذلك الطريق أفاعي وقِطَاع طرق يمنعون الناس من الوصول إلى الله. أقواها:

- كل مدّس داخل المقدّس.
- كل تزييف لتفسير القرآن.
- كل تحريف للسنة النبوية المطهرة.
- كل دسّ، كل وضع.
- كل صرف للدين على غير ما أراده له الله.
- كل تحريف في العقيدة.
- كل تشويه لصورة الحق لصورة النور، كل ظلّمة تتكلم بإسم هذا النور.
- كل منقّر ومكفّر ومتبرّ ومدمّر ومخرّب ومزور ومعهرّ.
- كل معترض كل مبغض كل كاره كل حاقد كل منافق.

هؤلاء جميعاً يتراصّون بين الناس وبين ربهم، يجعلون عراقيل من أنواع كثيرة وشتى حتى يصلوا إلى منع الناس من الوصول.

نكتة داخل الفاتحة

وعليه، فأهل الصراط الذين وصلوا والذين بلغوا، همّهم أن يهدوا الذين ضلّوا. لذلك تجد هذه النكتة الجميلة داخل الفاتحة هذه الإلماحة العظيمة التي بيّناها في كتابنا (الفاتحة في أسرار الفاتحة) وهي أنّ الله **جَلَّ وَعَلَاهُ** ذكر الذين أنعم عليهم ثم المغضوب عليهم ثم الضالين. وهنالك نسق في القرآن الكريم:

1. تجدون فرعون وهامان وجنودهما
2. وتجدون السابقون وأصحاب اليمين وأصحاب الشمال

بمعنى:

1. الأفضل ثم الأدنى فضلاً ثم الأسوأ
2. أو الأسوأ والأقلّ سوءاً والأقلّ سوءاً

- فرعون هو الأسوأ، هامان بعده، وجنودهما بعد ذلك
- أو السابقون هم الأعلى، أصحاب اليمين دونهم، وأصحاب الشمال الهالكون

في هذه الخاصية في الفاتحة نجد: الأفضل، ثم الأسوء، ثم ما هو بينهما. و"ما هو بينهما" لا يكون في موضع لفظي بينهما، بل يكون في آخر السياق ﴿**صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ**﴾. واستنبطنا من ذلك أنّ **وظيفة المغضوب عليهم أن يمنعو الضالين من التواصل مع المنعم عليهم فينعم عليهم، ويحاولون تحويل بعض المنعم عليهم إلى ضالين، وتحويل الضالين إلى مغضوب عليهم، ودور المنعم عليهم أن يخترقوا أن يشقوا صفوف المغضوب عليهم ويتصلوا بالضالين فيهدوهم إلى الله جَلَّ فِي عُلَاهُ** . وهذا من معانيه حديث عظيم جميل عن "أقوام ليسوا بأنبياء ولا شهداء يغبطهم يومئذ الأنبياء والشهداء، على منابر من نور، يعرفون الذين يحبون عباد الله إلى الله ويحبون الله إلى عباده" (أخرجه البيهقي) ويسمى "حديث منابر النور". وهو عمل عظيم للمساكين أمثالنا وأكرم به عملاً، فإن النبوة اجتناب واصطفاء، وإنّ المراتب الملائكية ميؤوس منها لدى أصحاب المضغة الطينية، وأنت في هذه المضغة الطينية الآدمية أيضاً أغلق دونك باب النبوة، فكل مدعي نبوة بعد سيّدنا رسول الله كذاب دجال أفاق، وحتى أبواب الولاية والإمامة هذه صعبة وكبيرة علينا جداً... يبقى هذا الباب أعظم وظيفة للذين هم دون مرتبة النبوة والولاية، أعظم عمل. ونحن نسعى بعون الله ونريد أن نكون ضمن هذا العمل: هو يحبّ عباد الله إلى الله ويحبّون الله إلى عباده كما قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ "يأمرونهم بما يحب الله وينهونهم عما يكره فإذا أطاعوهم أحبهم الله". هذا صراط مستقيم، أنعم الله عليهم فبذلك تواصلوا مع الضالين وجذبوهم ومحقوا الظالمين محقوا المغضوب عليهم بأنوارهم وأسرارهم.

الواسطة ﴿أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾

هذا معنى أولي، ولكن المعنى الأعمق أنّ الذين أنعمت عليهم هم خاصّة معيّنون، ثمة معنى عام وثمة معنى مخصّص منخصّص، وهذا المعنى المخصّص المنخصّص هو فيه سرّ الصراط المستقيم، فيه سرّ النقاط المستقيمة. لن تصل إلى الله إلا بنقاط معيّنة، وإذا غابت الوسطة أو انعدمت الوسطة هلك الموسوط. البعض يقول لك لا وجود لواسطة بيني وبين ربي، لا وجود لواسطة بيني وبين الله، ويأتيك بالحديث الذي ذكره الحبيب المصطفى لابن عباس "إذا دعوت فادع الله وإذا سألت فاسأل الله"، فيقول لك: ما لك تعبد رسول الله؟ أو يقول لك ما لك تعبد آل البيت وتعبد الأولياء أيها المشرك؟ ما لك تجعل بيننا وبين الله واسطة؟ ما لك تريد أن تحرّف الدين عن وجهته أيها المشرك؟ وهؤلاء لم يفقهوا الدين إطلاقاً ولم يفهموه أبداً.

أولاً الله جل في علاه الذي لا يحويه مكان ولا زمان، والذي تعالى عن الأين وتعالى عن الحدّ وتعالى عن الحيث، والذي لا يشبه شيئاً من خلقه ولا يشبهه شيء من خلقه، الذي أحاط بكل شيء وعلم كل شيء، ولا يسبقه شيء ولا يشغله شيء عن شيء، وهو رب كل شيء وخالق كل شيء من لا شيء، هذا ثابت ثابت في قلوب العارفين. فالله جل في علاه ليس شكلاً ولا جسماً وليس موجوداً في السماء وليس موجوداً في العرش، الله جل في علاه خالق العرش وربّه ومولاه وخالق السماوات ومن فيهن وربهن وخالق الزمان، ولا يحويه مكان ولا زمان، ولا يأتي عليه حدثان، لا يأتيه فوت ولا يصيبه موت ولا تأخذه سنة ولا نوم، سبحانه رب العالمين الذين أدنى إليه القوم. فالله جل في علاه هو فوق ما يصف الذين جسّموه وجسّدوه وجعلوه.

ولكن هذا السبيل إلى الله جل في علاه من باب المعنى، هذا السلوك المعنوي هذا السلوك الإيماني هذا السلوك القلبي والروحاني والتعبدي إلى الله جل في علاه له أشرط وله طرق وله سبل وله مختصرات أيضاً. ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ عندما يطلب هؤلاء المؤمنون ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ الهادي هو الله ولكن صراط من؟ صراط الذين أنعم عليهم، فصار وكانّ هذا الصراط الرباني صار مسمّى على الذين أنعم الله عليهم. أنعم الله عليهم لأنّ الله أحبهم بالسابقة ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى﴾، لأنّ الله أمدهم باللاحقة، لأنّ الله أيدهم بالقوة الماحقة، لأنّ الله رعاهم بعينه الساهرة وأيدهم بحجّته الباهرة وآياته الظاهرة وسيوف ملائكته الشاهرة. الله جل في علاه جعل لهم بسطة في العلم وفي الجسم وزادهم ونورهم وعلاهم وزكاهم.

فمن هؤلاء القوم الذين هم منعم عليهم؟ من الذين سيوصلون إلى الصراط المستقيم؟ من هم الذين نسب الصراط المستقيم إليهم؟ من الذين جعل الله هذا الصراط مسمّى عليهم ولم يجعله مسمّى على غيرهم من مغضوب عليهم وضالين والذين لهم سبب شتى في إضلال الناس وإفسادهم وإغوائهم والتزيين والتزييف لهم؟ صراطك المستقيم، صراط من؟

← الذين أنعم الله عليهم، الذين نعمهم الله وكرّمهم.

فالمقصود هو الله فعلاً، والمدعو هو الله، وليس هنالك غيرية. ولكن لا يُبلغ الله جل في علاه إلا بأبواب جعلها وإلا بمقامات هو الذي رتبها وهو الذي وضعها، ووسائل هو الذي جعلها لكل سائل، فأرسل الرسائل وبسط المسائل عن سر هذه الوسائل، لكل داع وسائل. ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي﴾ يستدلون بها على عدم وجود الوساطة والواسطة فيها: وإذا سأل من؟ سألك يا محمد، إذا سألك عبادي عني فإني قريب، ولو سألو دونك فليست منهم بقريب ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ جاءوك في حال الدنيا وفي حال الانتقال لأن روحه حية بيننا يسمعنا، وشاهد ذلك السلام عليك أيها النبي الكريم في كل صلاة، وشاهد ذلك "ما من أحد يصلي علي إلا أجبته بالسلام ودعوت له" فكم مصل في كل لحظة، والملائكة يصلون والله يصلي؟! فهو يجيب صلاة ربه عليه ويجيب صلوات الملائكة عليه وصلوات المصلين عليه آناء الليل وأطراف النهار، فهي روح حية. وأرواح الشهداء أحياء عند ربهم، بل هم في ذواتهم أحياء عند ربهم يرزقون، فكيف بسيد الشهداء والأشهاد ﴿وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾.

باب الله الأعظم

مقام مولانا وسيّدنا محمد مقام عظيم، وهو الباب إلى ربه لا يُبلغ الله إلا برسول الله، لا يمكن لأحد أن يصل إلى "جل جلاله" إلا بصاحب "جمل جماله وكمل كماله". فجعل الله من سرّ جماله وكماله ما دلّ عليه بصدق حاله ومقاله، هو الداعي لله جل في جلاله وعظم في نواله، هو الموصل إلى نور وصاله. هذا الحبيب المصطفى جلّ ربّ أرسله، وجلّ ربّ كمله، وجلّ ربّ هداه بقرآن عليه نزله. هذا الحبيب المصطفى باب الله الأعظم الذي لا يدخل أحد من الخلق إلى رب العالمين إلا من خلاله ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي﴾ **سألك** *. وعليه عندما قالوا صيف لنا ربك قال ﴿قُلْ﴾ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ قل كذا، قل قل، أي أنك أنت الذي يتكلم عن حضرتنا.

فالحبيب محمد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ هو جوهر هذا الصراط. إن كان صراط الذين أنعم الله عليهم، هل أنعم الله على أحد كما أنعم على سيدنا محمد؟ ألم يجعله آخر أنبيائه وخاتمهم؟ ألم يجعله أشرف ولد آدم؟ ألم يجعله خير خلقه؟ ألم يجعله أحب خلقه إليه وأدلهم عليه وأدناه منه مقاماً وأهداهم إليه إماماً؟ ألم يصلي عليه صلاةً دواماً ختماً وحتماً ختاماً لزاماً، وأهدى له على ذلك صلاةً وسلاماً، ولقنه من لدنه كلاماً، وجعل له حباً ووثاماً، وجعله لكل الخلق إماماً، سيّدنا محمد، وشمل بذلك كل الأنبياء تحت رايته، وكل الملائكة تحت رايته، وجعل جبريل خادمه، وجعل الجنة متشرفة به راغبة في وصاله راغبة في قربه راغبة في حبه، جعله أجمل ما في جنته ورفع فوق جنته، فجعله ساقى خمور قدسه وعميد مجالس أنسه. فهو الذي عبد الله وحبيب الله، ومولى كل إنسان ومولى كل مؤمن ومولى كل قلب عاشق، جعل الكعبة قبلة للسجود وجعل محمداً قبلة لعشاق المعبود، وهو المحمد الذي حمّده ربه هو أحمد المحمود، باب السعود ومعراج الصعود الذي صلى عليه آدم ونوح وإبراهيم وعيسى وموسى وسليمان وداوود، والذي صلى عليه أيوب وإدريس وشيث وصلى عليه صالح وهود، نبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ إمام هذا الوجود وسيّد كل موجود، الذي وُلد فكان أشرف مولود، والذي سار فكان أعظم وأفضل سائر، والذي

أعرج فكان أعظم مُعرج، والذي صَلَّى فكان أعظم من صَلَّى، والذي سجد فكان أقرب ساجد، والذي أحبَّ فكان أحبَّ محبوب وأعظم مُحب، والذي هدى إلى ربه بسرَّ ربه ودلَّ على ذلك ببوارق حبه، الذي ابْتُلي فصبر والذي وُهب فشكر والذي مضى به الوقت فذكر، ولم ينسَ فضل ربه عليه. الباكي في الطائف الذي جاءه ملك الجبلين فقال "كلا لعلَّ أن يكون بين ظهرائهم مؤمن"، المهاجر **المختفي** في الغار بسرَّ ربه، الذي بكى حمزته والذي استقبل مولوده والذي استقبل بشائر ربه والذي ضمَّ أهله في العباء. النبي الكريم الذي لقي ربه وهو عنه راضٍ، نفس مطمئنة وروح عظيمة وجسد زكي، من سلالة طاهرة من أصلاب مطهرة وأرحام مطهرة، ابن عبد الله الكريم العظيم وابن آمنة زهرة قريش المؤمنة العظيمة. عمّه أبو طالب الليث الغالب، وزوجته الحُبابة صاحبة السرِّ والإنابة، وابنته الزهراء صاحبة الأنوار بلا مراء، وبناته **كَمَل وأولاده كَمَل أنبياء** قال "لو عاش إبراهيم لكان صديقاً نبياً"، ومولى كل مؤمن ومؤمنة بعده مولانا علي والحسن ثم الحسين.

فسيّدنا رسول الله باب الله الأعظم، باب هذا الصراط، حبه هو الصراط.

وعليه، من أراد الإستقامة فعليه أن يتبع إمامه، ولا يظفر بالإستقامة أحد ادّعى حب الخالق وترك حب خير مخلوق، وادّعى حب الموجد وترك حب أعظم موجود. فسيّدنا رسول الله هو مفتاح هذا الباب، بل هو الباب إلى ربه، باب الله الأعظم محمد ابن عبد الله. أقول هذا لكل من خُدعوا بعقائد فاسدة وتجارة كاسدة وزمرة حاسدة، لصوص على الطرقات، دجالين كذّابين أقاقين ادّعوا أنهم واصلون إلى الله دون رسول الله، بل أنهم عندما يجدون "الله محمد" في مكان يطمسون اسم محمد ويقولون هذه مساواة، والله قد كتب "الله محمد" عند باب الجنة وعند العرش وكتبه في ستار الكبرياء وفي البيت المعمور وفي اللوح المحفوظ وفي كتب الأبرار "الله محمد". فالله هو الله ومحمد هو محمد، الله هو الخالق وسيّدنا رسول الله هو حبيب الخالق، حبيبه. أحبه قبل خلقه وأحبه عند خلقه، وبينهما ما بينهما مما لا يخطر ببال ولا بعقل، أحبه في بطن أمه نوراً على نور، وأحبه في الأصلاب المطهرة جسماً في نطفة نور، وأحبه اسماً وأحبه وسمماً وأحبه رسماً وأحبه صورةً وأحبه وجوداً وأحبه عابداً لأعظم معبود، أحبه محموداً وأحبه حامداً وأحبه محمداً وأحبه أحماً وأحبه في كل أحواله وكل أقواله، أحبه في حال الحزن وأحبه في حال السعادة وأحبه في حال السجود والعبادة، وأحبه صائماً وقائماً ونزلاً عليه قرآنه ﴿يَا أَيُّهَا الْمُرْمَلُ فُم اللَّيْلِ إِلَّا قَلِيلاً﴾ ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدْتَرُّ﴾ وضمّه بسرَّ جبرائيل، لأنَّ المحبوب لا يُنادى إلا بالضمّة، ضمّ ثلاثاً: ضمّ حباً وضمّ شوقاً وضمّ نبوةً، سيّدنا رسول الله. ومن أراد المقام المقام فليعلم حقّ هذا الإمام، سيّدنا رسول الله هو باب عظيم الباب الأعظم إلى الصراط المستقيم، يا أيها الذي يطلب الصراط المستقيم عليك بحب نبينا الكريم والصلاة والسلام عليه فقد فرض الله له الصلاة والتسليم. فهو باب إلى باب، باب محبة الله ورضوان الله وجنات الله والفوز بما عند الله والقرب من الله والوصول إلى الله محمد ابن عبد الله سيّدنا رسول الله.

لا يمكن وحتماً ختماً لزاماً إحالة إستحالة أن يصل عبد إلى ربه دون سيّدنا محمد، لا يمكن. كل من نقّص لك واستنقص من مقام سيّدنا رسول الله، كل من قال لك "مات، طارش، عصايا هذه أنفع منه"، كل من قال لك "إنه ميت في قبر، إنه لا ينفع ولا يضر، إنك تتخذ من دون الله، نحن نسجد لله"، كذبتم!!!! والذي نفسي بيده إنه لا يصل إلى رب العالمين إلا من أحب الصادق الأمين، ولا تُقبل والله صلواتك ولا

حياتك إلا بقولك "السلام عليك أيها النبي الكريم". ما لك تصلي عليه وتسلم داخل الصلاة ثم تكذب؟ ألا تسمع في الآذان محمد رسول الله؟ أليس في القرآن ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾؟

رسول الله إذاً هو باب هذا الصراط المستقيم، أن استقام قلبه جذب. وإن أحببت النبي فقد أحبك في السابقة، وإن أحببت الله فقد أحبك بالسابقة. لقد أمن عشاقه، لقد أمن مدّاحه، لقد أمن الذين وقفوا بالحب عنده ولو جاؤوا ببضاعة مزجاة ولو جاؤوا بكثرة ذنوب وعيوب، لأن له الوسيلة وله الشفاعة وله المنزلة العظيمة عند ربه.

أين أنت من رسول الله

ولكن كيف نبليغ هذا الحبيب المحبوب، وهذا الكنز المطلوب المرغوب، وهذا النور التي تأتي إليه أنوار القلوب بمجاميعها تريده، ببوارقها تريده، بحقائقها تريده؟ كيف نصل إلى هذا الذي في مقام الأنس، كيف نصل إلى هذا الذي في مقام القرب، كيف نصل إلى هذا الذي عشاقه كثير ونحن قليل عملنا كثير ذنبنا جرم عيونا، لا نملك ما نتقرب به لا نملك ما نشترى به نظرة؟! من الذي منا يدعي أنه يمتلكها؟ الكثير من المشائخ أدياء الولاية والقطبية يقول لك "أنا قطب الوقت" ويأتيني كل يوم، من أنت من رسول الله؟ والله ما تبلغ تراب راحلته، ولا تبلغ تراب راحلته. أين أنت من ذلك؟ أين أنت من إستغفار عبد القادر الجيلاني وإناة الرفاعي؟ أين أنت من يقين الشاذلي؟ أين أنت من عشق البدوي؟ أين أنت من ثقة الدسوقي وقربه؟ أين أنت من مواجيد عبد السلام الأسمر؟ أين أنت من هؤلاء الكمل؟ أين أنت من إناة الأئمة؟ أين أنت من دموعهم وسجودهم وركوعهم؟ إنك مسكين فقير. كل شيخ يدعي أنه سيوصلك هكذا مستغن عن رسول الله ويجعلك تذكره أكثر من رسول الله وتغرق فيه أكثر من رسول الله، هذا حجاب بينك وبين الله، كذاب دجال. من لم يجعل مقامه ورأسه تحت راحلة رسول الله وتحت قدم رسول الله فهو كذاب دجال مهما كذب ومهما قال ومهما افتري. لا علم عنده ينطق به، ولا خضر زاره، ولا شيء أناره، إنما فقط بعض الجهل وبعض الكلمات الفارغات التافهات يخدع به المخدوعين والمخدوعات.

المودة في القربى

إذن كيف نصل إليك يا حبيبنا؟ هلأ أريتنا طريقاً يوصلنا إليك؟ وهل أرانا ربك طريقاً يوصلنا إليك؟

← أجل !

قال الله جل في علاه ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا﴾. إذن إفرح برسول الله واسعد برسول الله، إحتفل بمولده وإحتفل بموعده وناجِه وصلِّ عليه وأكثر الصلاة عليه فذلك يرضي الله عنك، والله جل في علاه يوصل المحبة والرسائل إليه.

ولكن أيضاً قال ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ المودة، ﴿مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ جعلت بين الزوجين، المودة أعظم من المحبة، أعظم من الحب. المودة الودّ الدائم والعهد القائم الذي يكون بين قلبك وبين القربي. كل الأنبياء قالوا "لا أسألكم عليه أجراً إن أجري إلا على الله" أما الحبيب ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا﴾ السبيل ما هو؟ الصراط، ما هو الصراط إليك يا رسول الله حتى نصل بك إلى الله؟ مودة في القربي، حب القربي.

كيف يدعي حب الحبيب من يكره آل الحبيب؟ قال الشافعي:

من مبلغ عني الحسين رسالة
ولو كرهتها أنفس وقلوب
يُصَلِّي على المختار من آل هاشم
ويُغزى بنوه إن ذا لعجيب

كيف يصلّي على رسول الله ثم يقتل ذرّيّة رسول الله، ويترضى على قتلتهم، ويغضب لذكرهم، ويتمعر وجهه عندما يسمع كلمة علي أو فاطمة؟ ويرتعد ويرتعش ويقول "رافضي رافضي"، وكأنّ التسنن كره آل محمد وكأنّ الشافعي لم يقل:

يا آل بيت رسول الله حبكم
يكفيكم من عظيم الفضل أنكم
فرض من الله في القرآن نزله
من لم يصلّي عليكم لا صلاة له

وكانّ الإمام الشافعي لم يقل:

إن كان رفضاً حبّ آل محمّد
فليشهد الثّقلان أنّي رافضي-

وكانّ شيخنا الزيتوني الشريف الحسيني الإدريسي قاضي القضاة بإفريقية وشيخ مشائخها في زمانه، من إليه الفتوى والرأي والنظر، والذي أدخل التيجانية إلى تونس وكان الرجل الثاني في الدولة بعد حمودة باشا، سيدي إبراهيم الرياحي ألم يقل:

إلهي قد سألتك بالنبيّ
بمولانا الحسين ومن قد أضحى
وفرع الظّهر بالحسن الوليّ
شهيداً من يد الشمر الشقيّ

ويعدّد الأئمة الإثني عشر للمهدي ثم يقول في ختامها:

أدم لي حب أهل البيت حتى
أموت عليه بالعهد الوفيّ

بل إنّ الحبيب صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ دلّ الأمة العاشقة (لا أمة القتلة والنواصب والمبغضين)، دلّ أمة العشق على هذا السبيل إليه، وهو سبيل إلى مرضاة ربه، فجعله صراطاً مستقيماً ودلالة إستقامة. ركز علماء الإستقامة على الأخلاق وعلى الصلوات والعبادات، نعم الأخلاق مهمة والصلوات والعبادات مهمة، ولكن لا تُقبل من كاره لمحمد أو آل محمد، لا تُقبل من كاره للصالحين. كان الخوارج يصلون ويحفظون، حفاظ، قاتل سيدنا علي كان يحفظ القرآن، وكانوا كما قال ابن عباس عندما استأذن الإمام علي وزارهم قال: كانت أيديهم وجباههم وركبهم كأثافي القدر من كثرة السجود والصلاة، وقال

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ "تحقرون صلاتكم إلى صلاتهم وتلاوتكم إلى تلاوتهم يقرأون القرآن لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم عن الرمية". الأمر ليس كذلك، نعم الصلوات، ولكن المفتاح الطاقة النور السّر الصراط فيما ذكره الحبيب فقال روجي فداه "أحبوا الله لما يغذوكم به من النعم، وأحبوني بحب الله، وأحبوا آل بيتي لحبي" أحبوا الله الذي غذاكم بالنعم، وأعظم نعمة رسول الله ﷺ **عَلَيْهِمْ** أنعمت عليهم بماذا؟ بمحمد (بعد أن أنعمت عليهم بك). أول النعم من الله لخلقه نعمة أنه هو الله ربهم ومولاهم، الأعظم والأكمل الرحيم الكريم القوي المتين. أنت عندما تكون صديقاً لرئيس أو وزير أو صاحب جاه تفتخر، ولكن الله أكبر من كل من تراه أكبر. الله العظيم الله الجبار الله المؤنس في الوحشة، الله الذي تأتيه بذنوبك كلها فيغفر لك "لو أنّ أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم اجتمعوا على قلب أفجر عبد منكم ما أنقص ذلك من ملكي شيئاً، ولو أنّ أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم اجتمعوا على أتقى قلب عبد واحد منكم ما زاد ذلك من ملكي شيئاً، لو أنّ أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم سألوني فأعطيت كل سائل مسألة لم ينقص ذلك من ملكي إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر". فهذا الله العظيم **أول نعمة أنه ربنا جل في علاه. وثاني نعمة التي بها نفرح: رسول الله محمد،** الذي لولاه ما هدينا ولا سجدنا ولا صلينا ولا عرفنا الله أبداً، فذلك الذي جاهد وذلك الذي جالد وذلك الذي صبر وذلك الذي انتصر فسامح وغفر سيّدنا رسول الله.

حديث "أحبوا الله لما يغذوكم به من النعم"

"أحبوا الله لما يغذوكم به من النعم وأحبوني بحب الله" لا تقوى على حب رسول الله ما لم يعينك الله على تلك المحبة، ولا تقوى على هذه المحبة لكثرة الوضع والدسّ والتشويه والتحريف الذي لا يريدك أن تحبه حقيقة، يريدك أن تحب نبياً مزيّفاً الذي قال لهم إفعلوا كذا بالنخل فلما فسد قال أنتم أعلم بدنياكم، الذي كان يُسبق في الوحي من قبل غيره، الذي كان لديه أمور ضعف عجيبة، الذي كان يُسحر فيظن أنه يأتي الأمر ولا يأتيه، هذا غير صحيح. ورسول الله كان أعلم الناس ظاهراً وباطناً، وكان في حال النبوة قبل النبوة وعند النبوة وبعد أن بُعث نبياً كان الأكمل كان الصادق الأمين، كان وهو طفل نوراً وعلماً وشعاعاً، فكيف لا يعرف النخل وهو الذي كان صاحب نخل؟ كيف لا يعرف؟! ثم يقولون أنه إذا جاءه الوحي صار ذكياً. وهكذا تكون أحكامه بين أحكام النبي الساذج الذي لا يفقه في حال البشرية، وبين النبي الذي يوحى إليه. حتى في قصة بدر: أوجي أم رأي ومشورة؟ قال رأي، قال إذا لا. غير صحيح أيضاً! من كان أعلم في الحرب؟ مسألة **﴿شَاوَرَهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾** تعني أن يُشركهم في الأمور من باب المحبة والمعزة والدلال، لكن لا يحتاج رأي أحد منهم، ولم يكن في المقامات الكبرى التي توجب رأيه لم يكن يحتاج وهو الأكمل خلقاً والأكمل عقلاً، إن كان حتى طالوت قد منحه الله بسطة في الجسم والعلم، فكيف برسول الله؟ أي بسطة كانت عنده! هذا التشويه كانت غايته أن يقال عندما قال "من كنت مولاه فهذا علي مولاه" قالها في حالته البشرية، عندما قال "انتوني بكتاب أكتبه لن تضلوا بعده أبداً" قالها في حالته البشرية، فجاز فيه أن يقال ما يقال. وهذا أتركه جانباً وأنا يغضبني هذا الأمر.

ولكن "أحبوني بحب الله" بمعنى إستعينوا بالله حتى تحبوني على حقيقة المحبة وعلى حقيقة الإحترام والإنضباط وعلى حقيقة وضع الخدّ على التراب تحت قدمي، هكذا وإن كان لا يقولها ولكننا نقولها نيابة عنه، من لم يضع خدّه على التراب لأحمد فلا مقام له. من ادّعى أنه يقف بجانبه ويقف خلفه وأنه قطب الأقطاب وغوث الأغواث ويأتيه كل يوم، دجال خرونق كذاب عتلّ زنيم، هكذا بكل بساطة. نعم ضع خدك على التراب لطفه، وضع قلبك على التراب لطفه، فهو أحب مخلوق إلى ربه، وهو سيّدك رغم أنفك، سيّد من أحبه وسيّد من أبي أن يحبه. لذلك قال سيّدنا علي "من أحبني وجدني يوم القيامة حيث يحب ومن كرهني وجدني يوم القيامة حيث أكره".

نرجع لهذا الحديث العظيم وفيه صراط مستقيم "أحبوا الله لما يغذوكم به من النعم، وأحبوني بحب الله" في محبة الله "ل" سببية وصل، وفي محبة رسول الله "ب" التي فيها الوسيلة: إتخذوا حب الله وسيلة لحبي "وأحبوا آل بيتي لحبي" وأحبوا آل بيتي لحبي. إكراماً له وبرهاناً له وبرهاناً على حبه أن تحب آل بيته. هنا يكتمل لك الصراط. ما لم تحب آل البيت لن تدخل على صاحب البيت، وما لم تحب صاحب البيت لن تصل إلى رب البيت. أعيدها لكم: ما لم تحب آل البيت لن تصل إلى صاحب البيت، وما لم تحب صاحب البيت لن تصل إلى رب البيت. لن يحبك رب البيت مهما صليت ولبّيت، إن لم تحب صاحب البيت وآل البيت، آل البيت حبه نور وحبور وسرور.

إني محب للنبي وآله
فالحب منتصر على عدّاله

يا سائلاً يطوي المدى بسؤاله
لولا مني الثقلان في محض الهوى

حب رسول الله نور وحب آل بيته نور وسرور.

فهذا الحديث إحفظوه جيداً: أن تحب الله يجب أن تحب رسول الله وأن تحترمه وأن تجلّه وأن توقّره وأن لا تستنقص من مقامه ولا مقام أمه ولا أبيه، فذلك يسوؤه ويغضبه، فهو أبرّ الخلق بأمه وأبرّ الخلق بأبيه، قد حُرّمهما في هذه الدنيا. وكذلك أن تحب أهل بيته، الصحابة أمروا أنفسهم أن يركبوا السفينة "من تخلف عنها هلك ومن ركبها نجا"، أمروا أن يكونوا تحت ولاية علي جميعاً "من كنت مولاه فهذا علي مولاه".

محبة آل البيت فوق المذهب

دعك من مناكفات المذهبية والمزاعم والمزاحمة لمقام سيّدنا علي، يقال هو الثالث وهو الرابع وهو الخامس أو السادس، هو الأول بعد رسول الله بنص كلام رسول الله "أنت مني بمنزلة هارون من موسى" نقطة وارجع للسطر. بنص كلامه "من كنت مولاه فهذا علي مولاه". محبة آل البيت فوق المذهب! كن سنياً ولكن أحب آل البيت، كن شيعياً ولكن أحب آل البيت، كن ما تريد ولكن أحب آل البيت وأحب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ تصل إلى ربك، أيّاً ما كنت فكن محباً لهم. لا يعني ذلك أننا سوف نلعن الصحابة، لا يعني ذلك أننا سوف نبغض ونتحارب مذهبياً ونتعارك ويستمرّ هذا الحرب والدم والقتل

بيننا، أبدأ، سيأتي صاحب الزمان فيجمع الأمة كلها. وجهات المذاهب كانت ناتجة من السقيفة وبعدها، كلها نتائج معيّنة ردّات فعل. ولكن الأصل أنّ هذه المحبة يجب أن تُغرس في القلوب وفي الأجيال وأن تقوم بذلك منارة، وسنقيم لذلك المنارة بإذن الله على بركة وأنوار جدنا عبد السلام الأسمر وعلى امتداد رايات الصالحين من بازها إلى رفاعيها إلى شاذليها إلى كل أهل الله جميعاً إن شاء الله، وبرغبة راغب أو كره كاره.

فالله جل في علاه إذاً يهدينا جميعاً إلى هذه المحبة، هذه الآداب، هذا هو لبّ الصراط المستقيم، ما بقي تابع. نعم إبليس صلّى أكثر مما يمكن أن يصلّي البشر منا، مئات السنوات صلّى وركع وسجد، بل كوفئ بما لا يمكن أن يُكافأ أحد منا: رُفِعَ إلى السماء الخامسة وصار من أصحاب الأجنحة وصار يسامر إسرافيل وجبريل وميكائيل والملائكة، صار جليس الملائكة، بل رُفِعَ أكثر صار يكلم الله مباشرة يكلم الله دون حجاب. يكلم الله، طبعاً ستار الكبرياء موجود، ولكن يكلم الله، صار قريباً جداً، ولكنه لم يكن يحب. ولما ادّعى حب رب العالمين ابتلاه رب العالمين بحب عبدِ اصطفاه من العالمين " آدم "، فلما طلب له السجدة خسر كل سجده لله بسجدة لمخلوق ممن خلق الله ﴿لَمَّا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾، وقال أنا خير منه. وكل من ابْتُلِيَ بنفس البلاء، نعم لعلّه صلّى ولعلّه صام ولعلّه فعل الكثير، ولكنه عندما امتحن بسجود القلب حباً لمحمد وآل محمد، أنكر واستكبر وجحد. وحينها أتى له أن يُقبل؟! إذا مُحِقَ إبليس لأنه رفض سجدة لآدم، فكيف بمن لم يقبل أن يحب من هو أشرف من آدم ولولاه ما خلق آدم ولولاه ما عُفِرَ لآدم ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ﴾ أجمع العلماء "اللهم بمحمد وآل محمد اغفر لي" لأنه قرأ ذلك في العرش.

خاتمة

إذن بكل بساطة هذا هو المنهج والمنهاج: أن نحب الله جل في علاه، أن نسجد له قرباً وأن نعترف بذنوبنا، أن نتوب إليه توبة نصوحة، أن نلتزم أوامره، أن نتقرب إليه... ولكن كل ذلك لا يمكن دون الباب ومفاتيحه "أنا مدينة العلم وعلي بابها". اللهم صلّ على فاطمة وأبيها وبعليها وبنيتها والسّر المستودع فيها. إن شاء الله سنخصّص دروساً عن السيّدة الزهراء وعن سيّدا شباب الجنة وعن السيّدة زينب الصابرة وعن أئمة آل البيت، وسندعو ما حيننا إلى حبهم، ونشهد الله على حبهم. ولولا هذه المحبة ما نطقنا وما تعلّمنا وما ارتقينا ولا نظر الله إلينا نظرة حب، لأنهم شفعاؤنا عند ربنا وأسيادنا، ونحبهم ونحب من يحبهم، ونكره من يكرههم ونعادي من يعاديهم ونقاتل من يقاتلهم، ونؤمن بالله واحداً لا نشرك به شيئاً، ولا نعبد من دونه أحداً. وليس حبنا لهم شركاً بالله، وليسوا أغياراً عن الله، بل هم عند الله بل هم نور الله بل هم سرّ من الله بل هم أكناف رحمة الله بل هم أبواب هداية الله بل هم أعلام أنوار الله بل هم أسياد خلق الله بل هم شمس الله جل في علاه بل هم تجليات روح رسول الله، ورسول الله من هو رسول الله وما هو رسول الله وما أدراك من رسول الله؟! محمد ابن عبد الله أقرب الخلق إلى الله وأدلّ الخلق على الله وأنس الخلق بالله وأكثر الخلق تسليماً لله وأدنى من خلق الله إلى الله وأحب من أحب الله وأحب من أحبه الله، وأحبه الله بالسابقة وأحب ربه باللاحقة، وهو الذي عند ربه ناظر سامع، وهو

الذي لا يُقبل أحد ما لم يُقبل من جلال الله جل في علاه وما لم يُقبل من فخامة وحضرة وسيادة رسول الله سيّدنا محمد الذي يُدعى يوم القيامة فيكون صاحب اللواء المحمود والراية المعقودة وصاحب المكانة التي لا يبلغها أحد، والأنبياء كلهم يحنون رؤوسهم أمامه، وكل الخلق يحني رأسه أمامه، هو الذي أوتي الرسالة والإمامة، جدّ السلالة وصاحب الرسالة، من جمّل الله جماله وكَمّل كماله وجعله خير الخلق وجعل خير الخلق بعده آله.

هذا والحمد لله رب العالمين.

المحاضرة بتاريخ: 29-03-2021



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

التأمل الحادي والعشرون: جزكيياهو بن دافيد وقصة مهدي بني إسرائيل

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم، متابعتنا الكرام السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته، أهلاً وسهلاً بكم ضمن هذا الموعد الجديد مع التأملات العرفانية. رمضان مبارك ونسأل الله جلّ في علاه أن يكون شهر خير ونور وبركة عليكم جميعاً، وأن يرزقكم الله فيه الهداية والعناية والولاية أو شمول عين الولاية والعناية والرعاية لكم ولأهليكم ولأحبابكم، وأن يلطف بأوطاننا وبهذا الكوكب، رغم يقيننا الاستشراقي والعرفاني أن هُنالك بلاءات قادمة، ولكننا دائماً أهل أمل وأهل إيجابية وأهل محبة وأهل لطف. نسأل الله لطفه وعفوه لأننا مخلوقات جنوية أي من الجنة، كما أنّ هنالك مخلوقات جهنمية، وكلّ يعبر عن الدار التي أتت منها روحه والتي ستمضي إليها روحه.

"رمضان مبارك" رغم كل شيء

وعليه، نقول لكم رمضان مبارك، ونسأل الله أن يكون الأمر على خير وعلى هداية، رغم أنّ هذا الشهر يدخل ضمن ما ذكرته عندما أغلق ومُنع الطواف بسبب جائحة كورونا وأغلق باب السلام وزمزم والبقيع، أنّ الله جلّ في علاه أعلن الحرب وأنها بدايات نهاية لهذه الحضارة، وكما ذكر ابن خلدون "كل أمة تحمل بذور هلاكها" وهذه بذور هلاك هذه الأمة. ولذلك أعتقد أنّ الأمة التي نعنيها ليست الأمة الطيبة ليست الأمة الإسلامية ولا الأمة الإنسانية، إنما الله ذكر ﴿أُمَّةٌ مَّعْدُودَةٌ﴾، ونعني بذلك الفاجرين والفاسقين والذين تشابهت قلوبهم مع فاجرين وفساقين قبلهم، فهما أمتان، وفي كلّ أمم: فأمة الخير هي أمة الإنسان الطيب الكادح أمة الأخيار وضمنها أمة الإسلام والإيمان والتي ستغمر العالم، وأمم الأشرار وما فيها من فسوق ومن متآمرين وماكرين.

رمضان هذا العام يأتي مع منع دخول المساجد مع هذا الخوف من الجائحة، وإن كان لم تُمنع المظاهرات المليونية ولم تُمنع الكثير من الفعاليات التي فيها الكثير من الناس، ولكن للأمر ما خلفه. وكذلك التلقيح وما يطرح من إشكاليات، هذا الفايروس وما يمثله (أبعاده)، وكنا شرحنا وبسطنا منذ أكثر من عام وكّررنا كلاماً مفاده أنه أمر مصنوع، وأنّ هنالك حرباً على الإنسان كما بيّنا في التأمّلات الفكرية السابقة، وأنّ هذه الحرب تستهدف عزل الإنسان عن الإنسان. حتى مشهد الكمامات هو مشهد عزل، مشهد يخفي الإبتسامة أو مشهد الألم في الوجه الإنساني، وهذا سيسبب وسبب أمراض نفسية خطيرة جداً خاصة عند الأطفال في علاقتهم بأساتذتهم ومعلميهم.

إذن رغم كل هذا نحن نقول لكم رمضان مبارك، لأننا بكل بساطة مؤمنون، **المؤمن هو الذي لا يخاف، المؤمن هو الذي يثق في الله جلّ في علاه**، المؤمن هو الذي وُصل قلبه بالله ورسوله ويعلم أنّ رسول الله كان ينظر إلى بلاءات أصحابه **"صبراً آل ياسر إنّ موعدكم الجنة"** ولكنه رغم ذلك كان ثابت القلب، **"أما حمزة فلا بواكي له"** كان يرى المستقبل القريب الذي سوف يُقتل فيه آله ويُقتلون ويُشردون في الأرض، أو ما بعد ذلك من بلاءات حتى يصل الأمر إلى نقطة قريبة في هذا الزمن.

السطحية وعدم المتابعة

جزكيهاو بن دافيد، هذا الاسم الذي برز فجأة يفاجئ الكثيرين. هنالك إشكالية لدى العقل العربي والعقل العالمي: ما بعد المادية ولعبتها هي **السطحية وعدم المتابعة**، بل ولا يسمح له بأن يتابع. عندما تأتيك مئات الصور على الفايسبوك، آلاف الفيديوهات، أخبار من هنا وهناك، قنوات تلفزيونية.. تمنعك من لحظة هدوء، وهذه ربما نتكلم عنها تحفيزياً وتنموياً في محاضرة أخرى ربما على صفحة تايبينغ الخاصة بـ **فنون الدفاع**. المهم أنه **هنالك إشكالية كبيرة جداً في التحليل وفي الهدوء وفي النظر وفي قراءة ما حُطّ من قبل**. لو أنك تقرأ ملفات حول تطوير الفايروسات منذ السبعينات إلى الثمانينات وما وصل إليه العالم سوف تفهم قصة كورونا بكل بساطة. لو أنك تقوم بمقارنات سينمائية ومقارنات لمسلسلات ما تبثّه مثل فيلم كونتينج 2011 تفهم أيضاً أموراً عن ما يُراد من العالم. كذلك لو أنك قرأت بروتوكولات حكماء صهيون، لو أنك اطلّعت على العقائد التلمودية واطّلت على علاقة فرسان مالطا بفرسان المعبد بالمرمون بالمحافظين الجدد بهنتنغتون وفوكوياما وكيسنجر، وعلاقة كل أولئك بالماسونية والصهيونية وتنظيم الزوايا التسعة وتنظيم العين، وعلاقة كل ذلك بداعش وعلاقتهم بالمونيون المتخصصون في تجارة الرقيق الأبيض والتنويم المغناطيسي وسلب العقول، علاقتهم بمعبد الشيطان (جيمي جونز)، علاقتهم بعد ذلك بمن ينشرون الدعاية والشذوذ، علاقتهم بالذين ينشرون الإلحاد فرسان الإلحاد الأربعة تشارلز دوكنز ومجموعته... هنالك ناظم، وهذا الناظم يحتاج إلى عقل يستوعب الأشياء.

ولذلك جزكيهاو هذا خطوة بعد قصة اسمها البقرة الحمراء. هنالك أسطورة أنّ البقرة عندما تظهر، في علاقة بقصة البقرة التي ذكرها القرآن الكريم، عندما تظهر هذه البقرة سوف تُحرق وسوف يُبنى المعبد الجديد. عمليات الحفر تحت المسجد الأقصى، عمليات الاستيطان، عمليات محاولة تهويد القدس

محاولة تدميرها، تتعلق بهذه النبوءات، هو تحريف لأمر حقيقية بطرائق أخرى، وقاموا حتى بتوظيف هندسة الجينات وصمموا هذه البقرة منذ فترة قريبة. وعليه، لا بد أن يظهر الماشية.

قاموا بمسلسل وأخذت نتفليكس دوراً في هذه اللعبة (حتى في مسألة الشذوذ أيضاً لها دور كبير جداً)، هذا المسلسل حول المخلص وبطله يبدو فيما ذكر لي اسمه مهدي وهو تونسي وهي مصادفة جميلة مرة أخرى، واللعبة كلها إظهار شخصيات مهدوية في العالم الإسلامي مزيفة، ولا أدري لماذا يُركّز على تونس مؤخراً كل مرة يخرج مهدي جديد، مرة هنا ومرة هناك، ولكن للأمر ما فيه، لعلّ هنالك سرّاً ما لم ندركه بعد، أو أدركوه ولم ندركه، أو أدركوه وأدركناه ولم تدركوه، أو أدركتموه ربما قليلاً ولا يدركه غيركم، المهم هذه لعبة إدراك إن شاء الله في الدروس البرهانية في رمضان نركّز على علم الإنسان وسوف نتكلم عن الإدراك والإدراك ﴿أَدْرِكُوا فِيهَا﴾ أو ﴿إِنَّا لَمُدْرِكُونَ﴾ والفرق بين أدرك وإدراك.

المهم كي لا نتوه بعيداً، أقول أنّ هذه الحركات إظهار هؤلاء الدجالين، تركيز على شخصيات، مثلاً التركيز على وزير المهدي وأسطورة وزير المهدي، من هذا وزير المهدي؟ هل هو وعد أن يظهر مع الإمام؟ حتى أنه إحداهنّ قالت (إحدى العبقريات) قالت أنه أهم من شخصية الإمام وأئمة آل البيت ركزوا عليه. وهذا كله كلام فارغ، المهدي له وزراء كثيرون لا شك في ذلك، ولكن عمدة الأمر حول هذا الموعود، إن صحّ الخبر عن رسول الله وإن صحّ الخبر في تفسيرنا لآيات الإسراء ﴿لَيْسُوا وَا وَجُوهَكُمْ﴾، ولكن ما الذي يوجد في التوراة على سبيل المثال؟

أذكر قصة ذكرها أحد الكتّاب العراقيين عن امرأة يهودية في بناء الدولة الصهيونية، وكانت تبكي وتقول سوف نزول قريباً إنها أرض محرّمة، لقد كتب في التوراة "يمكث بنوا إسرائيل في فلسطين 75 عاماً ثم يصيبهم الهلاك"، ركّز الشيخ باسم جرار على سبيل المثال على هذا الأمر ضمن الحسابات سنة 2023 وغيره، الشيخ عمران حسين ربما له أيضاً تركيزاً على هذا الأمر، والدكتور محمد عيسى داوود أكيد أنه تكلم عن هذه المسألة منذ سنوات، وغيرهم من الذين يتكلمون عن هذه المسألة، بعضهم بعلم بعضهم ببعض علم بعضهم بجهل كبير. المهم أنّ هذه القصة تكرّرت عندما عارض أحبار يهود بناء الدولة وقام هرتزل بإرسالهم إلى إثيوبيا (بطلبهم) ثم قتلهم في البحر فجر بهم السفينة.

نقدنا: للفساد والمفسدين

لا بد أولاً أن نؤطر كلامنا، نقول أننا عندما نتكلم الآن في النقد لا يعني أي أهاجم ديانة أو أتباع ديانة، لا يعني أي أهاجم الديانة اليهودية وأتباعها، أو أهاجم المسيحية وأتباعها، أو حتى أهاجم الهندوسية والبوذية وأتباعها، أنا لا أهاجم الديانات لا أهاجم الإنسانية. لدينا نقد نعم، ولكننا نعلم أننا لا نستطيع أن نغيّر الأمر إنما هنالك من سيغيّره في يقيننا وفي اعتقادنا، وقد تشاركني وقد لا تشاركني هذا الاعتقاد، ثمة من سيجعل الله له سبباً، وهذا ثابت في القرآن والسنة. ليس دورنا الآن أن نُشهر سيوفنا وأن نحارب كل من يختلف عنا. ولكن أيضاً عندما ننقد الصهانية وعندما ننقد الإنجيليين والذين هم أعداء الإنسانية مثل الذين أوصلوا أحماً كترامب إلى رئاسة دولة كبرى مثل الولايات المتحدة الأمريكية، أو عندما ننقد

المجرم الهندوسي الذي قتل غاندي، أو ننقد بعض الجرائم التي قام بها بعض أتباع الديانات مثل بعض البوذيين في بورما، هذا لا يعني نقد الدين وأهله المسالمين بل نقد المفسدين داخله.

وكذا ما نقوله في نقدنا للسنة النواصب ونقدنا لأدعياء التصوف ونقدنا لأدعياء التشيع اللعّانين الشتمّامين المطّيرين الضارين رؤوسهم بالسيوف، ونقدنا لكل دعويّ داخل الأمة الإسلامية، لا يعني ذلك أننا ننقد السنة، إنما ننقد فرعاً فيها يلتحف بها ويفتّكها ويقول لك "نحن أهل السنة والجماعة"، وهم يكفرون وهم يكرهون آل بيت النبي، **وحب آل البيت عمود أساسي في الإسلام** وليس سنة أو شيعة، عمود في إيمان الإنسان "لا يحبنا إلا مؤمن ولا يبغضنا إلا منافق". نفس الشيء، عندما ننقد أدعياء التصوف وأدعياء الولاية لا يعني ذلك أننا ننقد الأولياء الحقيقيين أو الصوفية النقية التي نؤمن بوجودها واستمرارها ودورها التاريخي وفصّلنا ذلك في الكتب الكثيرة. كذلك عندما ننقد أدعياء التشيع اللعّانين لا يعني ذلك أننا ننقد المعتدلين والعقلين والعقلاء داخل مدرسة أتباع أهل البيت أو عشاق أهل البيت، وإن كنت دائماً أقول أنّ عشاق أهل البيت سنة وشيعة. فكل المسلمين الحقيقيين يحبون أهل بيت النبي، حتى المدرسة الإباضية الزيدية وغير ذلك، هذه الأمة الحقيقية تحب آل بيت نبيها وهذا من الإسلام والإيمان، لا يستقيم إسلام إنسان ولا إيمانه ما لم يحب محمداً وآله.

النقد إذاً (وسنتكلم في الدروس البرهانية عن علم النقد) هو تمييز للأمر. وعندما نكون على غاية القسوة في نقد الدجالين وفي تبيان كذبهم وإفكهم، هذا يقول لك "أنا قطب وقت" و "ولي الدنيا" و "يحرك الكون بيده" وهو لا يستطيع تحريك شيء إنما يكذب على الناس ويتاجر. والآخر يقول لك نتبع السلف الصالح وهو يعن السلف الصالح ويتبع السلف الطالح. والآخر يقول: يا علي يا فاطمة يا حسن يا حسين، وهو يسبّ الصحابة ويشتم ويثير النعرات بين المسلمين ويريدها حرباً، هؤلاء جميعاً إذاً كلهم نفضحهم بالحجة حتى يظهر الحجة.

نفس القاعدة سنطبّقها في نقدنا للكذابين داخل اليهودية والصهاينة والقتلة والمجرمين، وكذلك الكذابين داخل المسيحية الإنجيليون المتعصبون، وإن كان لدينا أصدقاء في الدين اليهودي وكذلك بعض أصدقاء مقربين جداً في المسيحية من أمثال صديقي الأب حنا اسكندر وصديقي الدكتور أنطوان بارا وبتناقش، ونحن دائماً على تواصل كبير. كما نتواصل مع جميع أبناء المذاهب، ونتواصل مع الإباضية الشيخ فرحات الجعيري على سبيل المثال شيخ الإباضية في شمال أفريقيا، مع أعلام من الشيعة مع أعلام من السنة مع أعلام من التصوف.. هذه منهجية علم ومنهجية عمل، هذا ما نريد أن نبثّه في أحبّابنا ومن يريدون أن يتبعوا منهجنا الفكري والإيماني. نحن جميعاً نريد أن نكون معتمدين بحبل ذي العزة جلّ في علاه وألا نتشتت ولا نقسم أنفسنا شيعاً ونتقاتل. هذا كلام نظري أنا أقوله ضمن إمكانياتي الضعيفة، والله سيجعل من يطّبقه ويحققه برضى من يرضى وبرغم أنف من يأبى.

وكذا نفس الأمر عندما التقيت بوجيا سوامي في الهند وهو من كبار الروحانيين الهندوس أو المعلمين الكبار، وكذلك بوجيا ميتراندا أو بعض معلّمي شاولين معلّمي فنون القتال بعض معلّمي الشنتو اليابانية وغيرهم على اختلاف الديانات، **نحن نحترم الإنسان للإنسان**. الإختلافات العقائدية هذه نتركها جانباً،

أنا لست ممثلاً لربوبية الله ولا أملك لا جنة ولا ناراً، بل أنا مجرد مسكين يبحث عن مكان تحت نعل الحبيب أو تحت قدم راحلته لعلّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يَقْبَل منه ويرضى عنه.

وضمن هذا الإطار نقول أنّ إظهار المهديين المزيّفين هدفه الأساسي تشتيت الأمة وزرع استخفاف بظهور إمام حقيقي. وكذا الأمر عندما يُظهر ويحاولون إظهار أنّ كل مجتمعاتنا مجتمعات دعاة وفساد وشر ومجرمون وقتالون وليس فيها خير، هي لعبة لتدمير الخيرين وإقناع المتأرجحين بين خير وشر أنّ الشر هو الطريق الأفضل. برامج تلفزيونية كثيرة خاصة في بلادنا تونس ركّزت على هذا المشهد: أنّ كل المجتمع فاسد فاسق، زنا محارم شذوذ، قتل جرائم، حتى نشروا ذلك بشكل أكبر. مسلسلات يقول لك "أنا أحكي درامياً الواقع" وهو **يُفسد الواقع ويدمره** لأنّ الدراما ليست ذلك. السينما الأمريكية بلغت مستويات أفاتار وأفلام على غاية الرقي، وهنا بعض السفارات تعطي أموالاً: أفسد أكثر، أظهر أكثر مشاهد عراء، سنعطيك السعفة الذهبية في مهرجان "كان" ونعطيك جائزة هنا وجائزة هناك.

إذن هذه المسائل كلها ينبغي أن ننظر فيها وأن ننظر إليها وأن ننتبه جيداً إلى كينونتها وإلى تمظهراتها وإلى تجلياتها وإلى معانيها، ونفهم أنّ هنالك من يريد فعلاً أن ينشر الفاحشة وأن يشوّه صورتنا الحضارية والاجتماعية والفكرية.

المهدي قضية انتصار

نفس الأمر في القضية المهدوية وهي قضية مفصلية لأنها قضية انتصار الحق على الباطل، لأنّ الإمام المهدي الحقيقي هو انتصار لمحمد وانتصار للأنبياء من قبله منذ آدم إلى شيث إلى نوح، انتصار لهابيل المقتول، انتصار لنوح، وانتصار لأولاده الصالحين ومن صلح ممن ركب معه السفينة، وانتصار لإبراهيم ومن كان قبله إدريس وإلياس، انتصار لبوذا الحقيقي النبي ذو الكفل، انتصار لليسع، انتصار لصالح وهود، انتصار لإشعيا، انتصار ليوشع ابن نون لموسى، خاصة موسى الذي تأذى كثيراً وأخوه هارون، انتصار لأيوب، انتصار ليونس ليوسف لإسحاق ليعقوب لإسماعيل، انتصار لداوود ولسليمان، **ويكون ملكاً على ملك أعظم مما أوتي داوود وسليمان، وارث للأنبياء الله جميعاً..**

انتصار لإسماعيل بشكل خاص ولآل هاشم السابقين واللاحقين، انتصار لأبي طالب الذي كذب الكذّابون عليه وجعلوه كافراً، لعبد الله وآمنة أبوي النبي، انتصار للإمام الكرار لجعفر لحمزة للعباس لعبد الله ابن العباس، انتصار كذلك خاصة للحسين، انتصار للحسن الذي لفظ كبده مسموماً، وللحسين الشهيد والمجموعة النورانية هذه العُصبة النورانية التي ثبتت في سبيل الله هذه الثلة وهذه القلة المؤمنة، انتصار لعليّ الأكبر، انتصار للعباس ابن علي، انتصار لعلي زين العابدين، انتصار للسيدة زينب الصابرة، انتصار لفاطمة قبل ذلك وألمها ووجعها وأسفها، انتصارات للكاظم المسجون للباقر، انتصار للإمام الصادق، انتصار للرضي، انتصار للهادي للجواد للعسكري، لجعفر الزكي الذي كذب عليه بعض أدعياء التشيع وسمّوه جعفر الكذاب، انتصارات للشيخ عبد القادر الجيلاني للرفاعي للشاذلي للبدوي للدسوقي لعبد

السلام الأسمر للتيجاني، لجميع الصالحين والصالحات، لرابعة وللسيدة الدرعية لفاطمة أمّة الرحمن أم الشيخ عبد القادر، لمعين الدين الجشتي، للأولياء التسعة في أندونيسيا، إذاً هو انتصارات عامة..

انتصار لعز الدين القسام وللشيخ عمر المختار والأمير عبد القادر الجزائري للشيخ بوعمامة، انتصار لعلي بن خليفة النفاقي للدغباجي، انتصار للطيبين، انتصار لشهداء جينين وقانا ومذابح صبرا وشاتيلا، انتصار للخيرين والطيبين والكادحين وكل طيب، للهنود الحمر الذين أبعدوا، للأفارقة الذين ألقوا في البحر، للعشر ملايين الذين ألقوا في البحر، لكثير من شعوب الأرض المضطهدة..

هو انتصار رباني، انتصار روحاني، انتصار للإسلام الحق على الإسلامات المزيفة، انتصار للسيرة النبوية الحقيقية على السير المزيفة، انتصار للصورة المحمّدية النقية على الصور المشوّهة، انتصار ل"من كنت مولاه فهذا علي مولاه" على كل من عاداه وأبغضه وخانه، انتصار للحق على الباطل، انتصار للإيمان على النفاق، انتصار للقرآن الحق على مزوّري معانيه، للسنة الحق على الداسين فيها..

انتصار لفلسطين وأرضها، انتصار للكعبة والمدينة، انتصار لكل أرض طيبة، انتصار لسمك البحر الذي يؤذى بما يفعل البشر اليوم ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ﴾، انتصار لكل شجرة حُرِّقت، لكل حيوان انقرض نوعه وجنسه، انتصارات شتى لهذا الكوكب الموبوء المظلوم، انتصار للفضيلة، للمعاني الجميلة، للقصيدة الراقية، للحب العذري، انتصار للنغم الموسيقي الراق، لزياب والموصلي، انتصار لألحان الخلود..

انتصار للجنة والملائكة انتصار لجبرائيل وإسرافيل وإخوانه وميكال، انتصار لملوك الرواحين، انتصار أساسي مركزي للخضر عَلَيْهِ السَّلَامُ الذي كان له دور وسيكون له دور كبير، لذي القرنين صاحب السرّ، انتصار للبشري الذي سيحوي هذه الطاقة العظيمة ويتعدّب بها يقيناً ويتألم ويتأذى لوالديه لآله، انتصار لكثير من المعاني...

القصة المهدوية أعظم من أي فلم يمكن أن نتخيله، القصة فيها الكثير من الغوامض والجماليات، و"من باح فقد راح"، لذلك لا يُباح إلا بما فيه سماح بذلك. وعليه، لا نقول إلا ما ينبغي أن يُقال، لسنا هنا في سوق أننا نبارز الناس لإظهار أنفسنا بغرور نفس وأن يقال هذا عالم وهذا عارف، لولا أن أمر القلب ما نطق اللسان، ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى﴾، ولذلك كما قال الخضر لحبيبتنا وحبيبه موسى ﴿وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾.

يعلمون أنّ دمارهم اقترَب

مع اقتراب المواقيت، ومع علم جفري يتعلق بالأصفار الثلاثة وتراكيب الزمن بين الهجري والميلادي، وتحويل تلك الأرقام إلى حروف وكلمات وخطوط عرض وخطوط طول، مع أسرار كثيرة جداً، عندما يقترب الأجل يزداد عندهم الوجل. والذين نتكلم عنهم أعداء اليهودية وأعداء اليهود الطيبين، الصهيونية آذت اليهود، كما أنّ الظلمة الذين في أمريكا آذوا المواطن الأمريكي البسيط: جورج فلويد المخنوق تحت

ركبة أبيض بغيض عنصري، الذين فقدوا منازلهم في الولايات المتحدة الأمريكية أصحاب الأرض الأصليين من الهنود الحمر الذين سُوهوا في السينما مراراً، وكذلك الذين أتوا من الصين وكانت أيديهم تحطم بالمطارق وهم يبنون سكك الحديد والأفارقة وغيرهم، وحتى الطيبون من أبناء البرتغال وإسبانيا وبريطانيا وغيرها الذين سكنوا هناك والألمان وغيرهم، أمريكا الجنوبية وما يحدث فيها..

وكل هذا يؤذونهم ويسرقون أموالهم ويزرعون فيهم الأمراض، يزرعون المواد الغذائية المسرطنة، يزرعون الأدوية المفسدة، يزرعون الدعارة في أسرهم، يشنتونهم، يحولون البنات إلى البنات والشباب إلى الشباب، ويخرجون لك بتوأم الشعلة (سنتكلم عنه ربما في التأملات الفكرية) الكذبة الجديدة توأم الشعلة وأن يكون توأم الشعلة عندك واحد فقط وقد يكون توأم الشعلة للرجل رجل وعليك أن تفنى فيه وأن تحب وأن يكون مغايراً أو مثلياً إلى غير ذلك من الترهات التي يلعبون بها بأدمغة الناس بعد أن دمّروا عقولهم ودمّروا آلية التمييز عندهم..

إذن جزكيهاو هذا خطوة أخرى، فلم جميل بإخراج جميل. بكل بساطة لأنّ هؤلاء الأحرار عندهم نصوص ثابتة في التوراة عن قرب زوالهم، وأنّ هذا الزوال سيكون فيه انتصار لليهود الطيبين، كثيرون استشهدوا وهم يقاتلون دفاعاً عن أهل غزة وعن أهل فلسطين، كثيرون يتظاهرون في أمريكا ضد الدولة الصهيونية. أنا التقيت بعض الشخصيات مثل الأب هيلاريو كابوتشي التقيته في سوريا، هذا الرجل العظيم الذي كان فلسطيني القلب، وإن كان مسيحي الديانة كان مسلم القلب والروح جمع في قلبه بين عيسى ومحمد، رأيت فيه ما رأيت فيه من حبّ من غيرة، توقّاه الله ورحمه الله. ولذلك الأحرار والطيبون من أبناء الديانات كلها، وكذلك الطيبون من أبناء هذه الأمة، عليهم أن يعوا بالمرحلة. زيارة البابا للقاء المرجع في الكوفة آية الله السيستاني هذه الزيارة لها معاني، لها معاني عميقة جداً. هنالك حرب بين نور وظلام، هنالك حرب بين من لا يريدون دمار الكوكب ومن يريدون دماره، لأنهم يعلمون أنّ دمارهم اقترب ولذلك عليهم أن يدمّروا.

ستزداد هذه اللعبة

وهنالك نظريات عامة، الأولى تتعلق بإظهار شخصيات مزيفة، مهدي مزيف. **ستزداد هذه الأحداث** واذكروا ما أقول لكم، ستزداد المسلسلات وتزداد الأفلام وتزداد القصص والأخبار ويظهرون لك كل مرة شخصية جديدة، وفي العالم الإسلامي وهذا سيقول لك هذا هو السفياي قد ظهر وذاك فلان وتكثر المواقع، ويتلاعبون بالنطق باسم الأشراف كلهم يدعون أنهم ينطقون باسمهم، يتمّ التلاعب أكثر بالتصوف واختراقه أيضاً، سيخترق التشيع بشكل أكبر وهذا أنبّه له إخواني من أهل الاعتدال في المذهب الشيعي هنالك مليارات تنفق من أجل ذلك. الشذوذ على أشده، الإلحاد على أشده، إرهاب جديد يُرتّب بطرائق جديدة، ألعاب تدمر الأطفال، احذروا على أطفالكم من الهواتف، الهواتف هذه فيها ألعاب تدفعهم للانتحار وقتل أنفسهم. وهم يتسلّون بذلك، يتمتّعون بكل عجوز يموت، **هؤلاء شياطين إنس**،

شياطين حقيقيين أبالسة ملاعين عليهم من الله ما يستحقون، والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى آتِيهِمْ وسوف يأتيهم ما كانوا يوعدون وما كانوا يحذرون.

إذن ستزداد هذه اللعبة، هنالك لعبة لضرب الشعوب الغربية نفسها، هنالك لعبة لزعزعة الإستقرار العالمي، لإيصال العالم إلى أزمة سنة 2025 في جانب عسكري متعلق بالبترو دولار وما كان منذ صدمة نيكسون إلى اليوم، راجعوا التاريخ اقرأوا عن صدمة نيكسون وقرأوا عن مشكلة البترو دولار ورغبة الصين وروسيا في تغيير ذلك، وأيضاً البنك الدولي والمعاملات المالية بالدولار، وأن الدولار ليس له مقابل من الذهب وهو العملة الوحيدة في هذا الإطار. هنالك رغبة في أزمة اقتصادية عالمية سنة 2023، وأزمة مياه خانقة عالمية، لا يتعلّق فقط بسدّ النهضة وخنق مصر بل بخنق الأرض كلها. هنالك رغبة في تغيير المناخ لأنّ هنالك وعياً عندهم، مثلما يريد أن يفعل بيل غيتس، هنالك رغبة ووعي عندهم بوجود كوكب نيبيرو (بلانيت إكس) ويعلمون ذلك جيداً ويطلعون. كل وثائق أنينيري التي كانت عند هتلر سُرقت من روسيا في التسعينات، نجا بعضها، وكانوا قد حملوا 500 عربة من ألمانيا إلى روسيا وأشرف على ذلك ستالين بنفسه.

اقرأوا التاريخ افهموا، بعضهم يأتي يسبّ ويشتم ولا يعرف أي شيء، مجرد ترّهات: هذا مذهبه كذا، ذاك كذا، تلك نيّته كذا.. يا أخي **اقرأ إن كنت ذا بصيرة**، إن كنت حمار العزير أو حماراً مع حمار العزير لا نأبه بك، نعلم أنه لو أنّ الله أماتك وجعلك عظماً ثم بعثك لفعلت فعل حمار العزير وجلست تأكل بعض الجزر أو بعض الحشيش أو بعض العشب أو بعض ما أرادت نفسك وأرادت بهائم عقلك. نحن لا نخاطبك أبداً، لا نخاطب إلا العقلاء أهل الألباب.

العالم يتّجه إلى أمور عظيمة ويُربكونك ويسخرون منك، أين رمضان الذي تعرفه؟ أين المصافحة بين البشر؟ أين الإبتسامة على وجوه الناس؟ أين السفر والسياحة؟ أين العالم الذي كنتم تعرفونه؟ العالم يتّجه إلى عصر جليدي جديد "**بايعوه ولو حبوا على الثلج**"، العالم يتّجه إلى لعنات ربانية قادمة راجمة، **صواريخ إلهية أطلقت وانطلقت وحُسم الأمر ﴿فُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾ ﴿يَا إِبْرَاهِيمُ إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرٌ رَبِّكَ﴾**. الذي لا يفقه هذا، الذي يسخر من هذا، الذي يجد هذا مثاراً للضحك، اعلم أنّ ألف ألف شيطان خلفك يضحك عليك وأنّ الله يستهزئ بك ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدَّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾. أما أهل العقول والنهي والرجاحة فيفهمون جيداً.

جزكيهاو هذا سيمثل مرحلة، قد تكون معها جرائم، قد يحرك (أقول قد وأنا أعلم أنه سوف)، سيحرك بعض المتعصّبين من المتطرّفين من أبناء الديانات لحرب بين أبناء الديانات، أحزمة تُعدّ الآن. حرّكوا ناكورني كاراباخ على سبيل المثال بين أذربيجان وأرمينيا بعد فترة، الآن ثمة إشكالية أوكرانية روسية والقرم تتحوّل إلى قاعدة عسكرية، هنالك مشاكل كبيرة داخل أوروبا خلخلت كبيرة جداً جداً ليس فقط انسحاب بريطانيا من الإتحاد الأوروبي، هنالك أمور كبيرة يجب أن تفهموها..

إن الموعود منا وليس منهم

هذه الخطوة من أجل طمأنة الذين يتساءلون من اليهود (وفيهم طيبون كثيرون): ما الذي سيحدث لنا؟ لماذا نحن هنا؟ ما الذي يوجد في الكتب؟ ما هذه الإشارات الكونية؟ هل حقاً ما أنكرتموه زمناً أنّ هنالك مهدياً لآل محمد سيظهر هو حقيقي؟ **نفس الحرج** الذي كانوا عليه عندما بدأ زمن النبي الخاتم وكان أبو طالب عَلَيْهِ السَّلَامُ يحميه من يهود بطلب من أبيه وطلب الرهبان الذين التقاهم، لكن أبوه عنده علم أيضاً. عبد المطلب كان يحميه من يهود وكان يأمر ابنه طالب أن ينام مكانه ثم ابنه علي عَلَيْهِ السَّلَامُ جميعاً، وطالب كان مؤمناً مسلماً موحداً ولكن حُذِف من التاريخ حذفاً، وإن كانت قصائد أبي طالب فيها خطاب **"يا بُني طالب لا تترك محمداً"** وقصائد، ارجعوا إلى ديوان أبي طالب تجدونها.

إذن نفس الأمر كانوا يعلمون أنّ هنالك نبياً سيأتي في أرض نخيل ولكنهم أنكروا قالوا هو منا، وكانوا إذا تقاتلوا مع الأوس والخزرج يقولون لهم "سيخرج منا نبي وسوف نقاتلكم تحت لوائه"، فلما خرج أنكروه وحاربوه. لذلك عبد الله ابن سلام عندما أسلم خرج لهم وقال: ألم تقولوا أنه سيخرج نبي؟ سعد ابن معاذ وأسعد ابن زرارة عندما أسلموا بعد أن زارهم مصعب ابن عمير رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أجمعين أيضاً كانوا يذكرون هذا الأمر. نفس الأمر الآن، سوف يكذبون ويقولون: "إنّ المشيّة يخرج منا"، بعضهم أشار إلى خروجه من دولة ما، لا نريد أن نركز في ذلك حالياً، المهم أنها لعبة تُدار رحاها وتقترب علاماتها ويبحث عن أصحابها ويُنقَب عن رجالها، ولكن **الله جلّ في علاه يجعل سرّه فيمن أراد من خلقه**، هذا أمر الله جلّ في علاه.

أنا دائماً أقول لكم أنا لست مركزاً على الشخصية بقدر ما أركز على القضية لأنّ الشخص يحجبه الله، والله لو أنه يعيش معهم ويبقى معهم لا يكتشفونه أبداً حتى يُظهره الله جلّ في علاه. وهذا يُظهره جبرائيل ويُعلن عنه بنداء تسمعه الكائنات في الكواكب كلها، يسمعه أهل السماوات وأهل الأرض. ليست لعبة فيسبوكية أنه يقول لك فلان هل أنت كذا، أو آخر يكتب أنا كذا، وآخر على يوتيوب كذا، هذا كله لعب أطفال. الحقيقة لا يطلع على هذا الأمر إلا قلة قليلة، أما الله جلّ في علاه يحجبه بسلطانه.

إذن هي حركة من أجل إقناع جماعتهم أنه لا تخافوا: إنّ الموعود منا وليس منهم، كما قالوا من قبل لجماعتهم: إنّ النبي الخاتم منا وليس منهم، وأنكروا على عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ أن يقول ﴿مُبَشَّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾، حتى الاسم حَرَفوه في بعض نسخ التوراة، ونفس القصة تتكرر.

لن يتخلى عنه ربه

هذا الأمر حقيقي لعبة حقيقية، قصة المهدي أنكرها أو صدّقتها، لا تستطيع أن تحذف آيات في القرآن ﴿إِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَيَلْبَسُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَ لِيَتَّبَرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا﴾. مهما بدا لعينك مستحيلاً، لم يكن يبدو لأعين الذين كانوا يتبعون موسى أنّ هنالك ممرّاً ينجو بهم من فرعون ﴿قَالُوا إِنَّا مُدْرِكُونَ﴾ فقال ﴿إِنَّ مَعِيَ رَبِّي﴾، وكذلك الشخص الذي سيُسمى مهدياً سيقول ﴿إِنَّ

مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿١٠﴾ ولن يتخلى عنه ربه ولا عن الذين معه. وكذلك عندما كان قادة جيش فرعون يحاصرون موسى وخلفه، سيقول قائلهم كما ذكرت في مقال من كتاب <<فاعتبروا>>، أنه: ماذا سيحدث يا جلالة الفرعون؟ هل سينشق لهم البحر؟ ويضحكون جميعاً ويقرعون كؤوس الخمر. نعم أيها الأبله، سينشق البحر، لأن الذي خلق البحر يشقه وبعضا سيشفه !!!

كان قوم لوط يحاصرونه وكان يقول ﴿لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةٌ أَوْ آوِي إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾، هل كان أحد منهم يتوقع أن الشباب الجميلين (كانوا يحملون رايات جمعية شمس التي أسست في تونس الرايات الملونة لجمعيات الشواذ اليوم وراية رئيس وزراء ستوكهولم)، هل كان أحدهم يظن أن أولئك الفتية الجميلين جداً: جبريل وميكايل وأحد القادة العظام؟ هل كانوا يتصورون أن إسرافيل في تلك الغرفة وأن الخضر في تلك الغرفة وأن ذو القرنين محيط بهم، وأن هنالك أسطول رباني سوف يرجمهم وأن أرضهم سوف تقتلع في صبح ذلك اليوم؟! لم يكونوا يظنون ولم يكن لوط يعلم ﴿إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ﴾.

الفارق أن المهدي في ذاته الناقصة أو الكاملة، أي قبل أن يكتمل وبعده، على اختلاف رواياتنا لا نريد أن نناقش الروايات، المهم أنه يعرف منذ البداية. لن يصلوا إليك ولن يصلوا، هذا "علم لن"، اللهم بسر لن لا أغلبن ولا أهزمن ولأنصرن. ﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا﴾ ولم يفعلوا ﴿فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾، لن يصلوا لن يصلوا، هكذا نفس الشيء.

خاتمة

لن تدوم هذه الحضارة إلى سنة 2030، ولن يدوم هذا العالم كما ترونه أكثر مما بقي له، ولن تدوم الأساطيل ولن تدوم القدرات ولا الخدع ولا النانو تكنولوجي، ولا هذه الإنترنت ولا الجيل الخامس ولا الأسلحة النووية، ولا جزكيهاو هذا ولا غيره، ولا المهدي اليمني الدجال ولا مهدي العراق الكذاب، ولا أدعياء الصوفية الدجالين أقطاب المقت (قطط المقت وليسوا أقطاب الوقت)، ولا سنة النصب وسنة بغض آل البيت التي تلتحف بسنة عشق آل محمد بسنة الشافعي ومالك وأبي حنيفة وإبراهيم الرياحي، لن يدوم أدعياء التشيع أصحاب اللعن التشيع البريطاني المدعوم المخبراتي، لن يدوم الإرهاب لن يدوم الشذوذ لن يدوم الإلحاد، لن يدوم شيء من ذلك..

هذه نفحة قبل رمضان، والله على ما نقول شهيد، نقولها لا نخشى في الله لومة لائم، يأبي الله ذلك علينا ورسوله كما قال جدنا الحسين "وهيهات منا الذلة". ونحن بحمد الله ثابتون راسخون ونبشّر المؤمنين بخير عميم، رغم وجود هذه البلاءات فلنصبر. وتحية لجزكيهاو شكراً لك شكراً لمن أظهرك لأنك كشفت أن الجماعة خائفون مشفقون. أحيي كل طيب في الإنسانية، من اليهود والمسيحيين والبوذيين والهندوس والسيخ والشننتو وأصحاب الديانات الأخرى جميعاً، أحيي خاصة أبناء ديني الذي أؤمن به الإسلام، وأنا الذي يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وأؤمن إيماناً راسخاً بهذا النبي، وأوالي علياً وآل بيت النبي، أوالي علياً وأوالي من يواليه، وأفتخر بانتسابي لهذه البلاد الزيتونية التونسية ومدرستها وشيوخها وأقطابها وأوليائها، وبانتمائنا لهذه الأمة.

ونحن في حال فوق مذهبي محمّدي مهدي وإن كان له توصيفاته، ونواخي كل من يؤاخذنا نمدّ أيدينا لكل من يمد يديه. نحن نعم في قلة قليلة في بيت لوط، ولكننا نختلف عنه فقط بأننا نعلم أنّ أولئك الشباب الجميلين جداً هم جبريل وإسرافيل وميكائيل والخضر وذو القرنين، بل نعلم أننا ننتمي إليهم وأنهم ينتمون إلينا وأنّ في عالم ألسن قصص كثيرة وأنّ فيما سيأتي قصص أكثر، والحمد لله رب العالمين.

رمضان مبارك سعيد، أسعدكم الله، اجعلوا هذا الشهر شهر قرب، تقربوا إلى ربكم أكثر، ادعوا الله وابتهلوا له أكثر، اسألوا الله لطفه وعفوه، إنه شهر فيه بركات وأنوار عامة، وفيه خصوصيات وتجليات وأنوار خاصة، وصلّوا كثيراً على حبيب الله وعلى آل بيته فلا تُقبل الصلاة عليه دون آل بيته، وكذلك أحبوا الصالحين، أحبوا أصحابه وأحبابه، سلّموا على أنبياء الله وعلى أهل عليين وعلى ملائكته والرّواحين وعلى حملة العرش أجمعين، وقولوا سلاماً قولاً من ربّ رحيم، أقبلوا على ربكم بحبّ وإخبات، اعلموا أنه غفار الذنوب وأنه ميسر الدروب وأنه ستار العيوب، وأنّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يَعْطِي عَلَى قَدَرِ عَظَمَتِهِ لَا عَلَى قَدَرِ حَالٍ مِنْ يَسْأَلُهُ، وعليه اسأله على قدر عظيم جوده لا على قدر ضعفك، فإنّ ضعفك عنده يتحوّل إلى قوة به.

المحاضرة بتاريخ: 2021-04-12



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

التأمل الثاني والعشرون: القدس أولاً وأخيراً

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله الذي ثبت قلوب المؤمنين وربط على قلوبهم فكانوا بفضلته من الثابتين، وصلى الله على سيدنا محمد الذي ثبت وصدق وبالحق نطق، وعلى آل بيته أهل الثبات والصبر والإيمان واليقين الذين قدّموا للعالمين دروساً عظيمة في الثبات على الحق وفي الصمود رغم قلة المناصر وكثرة العدو، والمشاهد كثيرة ليس أجلى من مشهد الطف ومن ملحمة كربلاء برهاناً على ما لآل بيت النبي ﷺ من قوة عزم وقوة نفس وصمود.

أعزاءنا المتابعين الكرام، الإخوة والأخوات، السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته، عيدكم بركة وخير عيدكم مقدسي الملامح فلسطيني العشق والميل والعزيمة، ببركات أكناف المسجد الأقصى، ببركات دماء الشهداء المنتقلين إلى ربهم يُزَقُّون بالبشرى ﴿أَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾، ببركات قلوب الصامدين والثابتين هنالك في أكناف بيت المقدس وفي أرض جنة الطين فلسطين، وما يكون حوله من صمود شامنا ولبنانا وعراقنا ويمنا، وما يكون من بشائر أرض المشرق أرض الأنبياء وأرض المغرب أرض الأولياء، وما بين خاتم النبیین وخاتم الصالحين من أسرار يجليها الله سُبحانه وتعالى بمواقيتها.

التأمل اليوم عنوانه "القدس أولاً وأخيراً"، صحيح أننا في التأملات العرفانية سلكنا سبيلاً لمعرفة الله سُبحانه وتعالى ضمن ما يمكن أن نسميه "العرفان النظري" أو طرق معرفة الله سُبحانه وتعالى عبر التأمل عبر التدبر عبر منهج إشراقي فلسفي حكيم وكذلك عبر فهم حضري. وكان لنا فيه سفر مع روح الحبيب ومع مسيرة الحبيب ومع الوصي الولي مولانا الإمام علي ومع بعض بوارق وحقائق آل بيت النبي. واليوم لم نخرج من هذا الإطار لأننا عندما نتكلم عن القدس نحن نتكلم عن سر رباني عظيم، عن أرض باركها الله، عن تقديس القدوس جل في علاه لأرض قدّسها وبارك حولها، عن تاريخ عظيم وتاريخ كتب بعضه البشر وآخر جهلوه.

قصة عرس اللقاء الأول في جنة الطين (فلسطين) بين آدم وحواء عَلَيْهِمَا السَّلَامُ

فهناك في التاريخ الذي لا يعلمون أنّ لسيدنا آدم قصة، إذ أنه فارق حواء في هذه الأرض وبقي بعيداً عنها أربعين عاماً في أرض التيبب تلك المناطق التي فيها طاقات عظيمة وفيها أمور ترجع إلى آدم نفسه، وبقيت السيدة حواء في أفريقية، بينهما مسافات طويلة، أربعون عاماً من الوحدة والعزلة والتأمل والألم حتى تلقى من ربه كلمات فتاب عليه "اللهم بمحمد وبآل محمد اغفر لي"، ونحن نقولها، وأقول أنها من مجالي الاسم الأعظم، أي من أسراره وأنواره ونفحاته "اللهم إنا نسألك بفاطمة وأبيها وبعلمها وبنيتها والسر المستودع فيها".

كانت هذه الفترة فترة ألم وكان الموعد في اللقاء في البيت الأول ببكة، "بكة": بقعة الكعبة في التراب و"مكة": مكان الكعبة في التراب، والبقعة هي النقطة والمكان هو الدائرة، وهذا مما دوّنناه في كتابنا <<المعاني اللطيفية للحروف والكلمات>> والذي سبقنا فيه بهذا الشرح وهذا التفسير أنّ الله جل في علاه عندما ذكر بكة ذكر الموضوع، النقطة المحددة، بقعة الكعبة في التراب. أما مكة فهي مكانها، التراب أو الأرض. هنالك كان اللقاء الموعود المحتوم، وتصل حواء أولاً وتجري بين الصفا والمروة وهذه تصفو بها السيدة حواء لترتوي بعد ذلك اللقاء، ويتأخر السيد آدم ثم يظهر. وكان هنا استخدام لطرائق القفز البعدي التي جلب بها صاحبنا عرش بلقيس، المهم أنه تمكين من الله. ويكون اللقاء وتكون ضمة الحضن بين آدم العاشق وبين المعشوقة التي خلقت منه والتي جعلت له والتي كما قال السيد المسيح "لم يخلقها من رأسه كي لا تسيطر عليه ولا من قدمه كي لا يدوسها، بل من جنبه كي تبقى إلى جانبه من تحت يده ليحميها ومن قرب قلبه ليحبها"، هذا الفهم العظيم للسيد المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ.

في موضع اللقاء يزّم الماء الذي به ارتواء، ماء من كوثر الجنة، ماء زمزم. والقصة الثانية للسيدة هاجر هي الفصل الآخر الذي تجدد فيه سر ماء زمزم، ولكن كان التفجير في النشأة الآدمية في زمن سيدنا آدم كان في ذلك اللقاء. وزمزم أقدم من ذلك طبعاً والكعبة أقدم من ذلك، للذين كانوا قبل آدم، كان كله بحر يُسمى بحر الحجاز ويجدون آثار ذلك في حيوانات بحرية موجودة في تلك المنطقة، كل الربع الخالي كان بحراً ثم كان أرضاً خضراء ويرجع أرضاً خضراء كما ذكر الحبيب المصطفى في زمن القائم عجل الله بظهوره.

عندما يُقام هذا العرس لهذا الثنائي الرباني العظيم الذي زُقت له البشرية بعد بلاء وبعد نزول من الجنة، أين سيكون؟ سيكون في قدس الأقداس حيث يرفع آدم القدّاس وحيث يتقرب إلى ربه. القدس إذاً كان فيها عرس الإنسانية الأول، كان فيها عرس اللقاء. تزوّج بحواء في الجنة لأنّ الله خلقها زوجة له ولكنّ عرس اللقاء فرحة اللقاء كانت بين الكعبة وبين القدس، كان احتفاءً عظيماً ملائكياً. وانطلقت قصة آدم، ولما سأل: ما هذه المنطقة يا جبرائيل؟ قيل جبرائيل: هذه جنة الطين فلسطين، "فلس" تعني الجنة ← جنة الطين. كانت جنة غنّاء وتبقى جنة بإذن الله وترجع أكثر خُصرة في الزمن القريب الذي يأتي ونحن واثقون من قدومه. ثم يكون أول تعمير في أرض العراق وأول دم يُراق في النشأة الآدمية في أرض العراق قصة قابيل وهابيل. إذن هذا فاصل من قصة آدم سنفضّل فيه في الدروس البرهانية، وهذا من كلام القلب من راقه وصدّقه فهو له ومن رفضه فليس الأمر بضار له ولا لنا، إنما الأمور قلبية بحتة.

القدس لها ارتباطات نبوية

قصة القدس إذاً ترتبط بسيدنا آدم، ترتبط بالنشأة ترتبط بالفرح بالقداسة. والقدس أيضاً فيها الكثير من تواريخ الأنبياء، لم يبعث الله نبياً إلا وزارها، سواءً زارها بالرحلة التي تكون بآلة بشرية أو زارها بالطريقة ربانية، سيدنا رسول الله ﷺ برهان على ذلك. كان هنالك المسيح، وأتى موسى ولم يقل قومه حطة ولم يدخلوا البيت وحُرمت الأرض عليهم وتاهوا أربعين عاماً في صحراء سيناء وخرج موسى من هنالك إلى بلاد ليبيا لتنتقل رحلته مع يوشع بن نون ابن أخته مريم ومع هارون وقصة أخرى أيضاً نرويها، وبنو إسرائيل أيضاً تبعوا أثر ذلك وجاءوا إلى البلاد التونسية يبحثون، والصالحون في تونس يعرفون هذه القصة، وسيدي عبد السلام بن مشيش عندما أخبر سيدي أبو الحسن الشاذلي بالذهاب إلى تونس قال له "أذهب إلى جبل الراهب حيث التقى الخضر بموسى".

المهم أنّ القدس لها ارتباطات نبوية، زارها سيدنا إبراهيم وسكنها فترة، وتزوج هاجر من حلب، أميرة حلبية، إضرب عرض الحائط بقصة أنه أعطى زوجته للنمرود وأنّ النمرود أهداه السيدة هاجر وهي جارية. هذه قصة إسرائيلية سُربت في السنة النبوية وسرّبها وهب بن منبّه وعضده في ذلك بعض أخصاء هذه الأمة وأعدائها، حاشا لإبراهيم أن يعطي زوجته وحاشا لهاجر أن يقربها للنمرود قبل أن يقربها نبي الله إبراهيم، أخذها عذراء أميرة حلبية شامية في تلك الحضارة الكنعانية. هذا فصل آخر سنذكره إن شاء الله في قصص الأنبياء إن يسّر الله سبحانه وتعالى لنا ذلك.

القدس كان فيها المسيح، والسيد المسيح وأمه السيدة مريم عَلَيْهِمَا السَّلَامُ بركات ربانية أنوار. جاء مصححاً وجاء مبيّناً للتزييف، أحيى الله على يديه الموتى، أبرأ الأبرص وأبرأ الأعمى بأمر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، نفخ في الطين فصار طيراً بأمر الله، نادى على الموتى فنهضوا بأمر الله، أنبأهم بما في منازلهم بأمر الله، نطق في المهد ولم ينطق في المهد غيره أيضاً بأمر الله. قصة الراهب والصومعة وتلك الزانية إنما أريد من ورائها أن يوحوا أنّ الذي أنطق السيد المسيح إنما كان الرهبان اليهود الذين نخسوا بطنه وأنّ أمه قد زنت، هذه هي مؤشرات القصة، ولذلك ابتدعوا تلك القصة قصة الراهب وأمه التي دعت عليه والزانية التي زنت بالراعي. كلها اضربوا بها عرض الحائط فهي موضوعة. وكذا أنّ رضيعاً تكلم عندما شهد شاهد من أهلها مع سيدنا يوسف أو ابن ماشطة فرعون والتي ألقاها في الزيت المغلي، هذا كله كلام فارغ ليس له وجه من الصحة. لم ينطق في المهد إطلاقاً إلا السيد المسيح أبداً بل نطق بمجرد ولادته ﴿فَنَادَاهَا مِن تَحْتِهَا أَلَا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا﴾ [مريم:24] كان ذلك المسيح، لأنه نزل روحاً كاملة واعية في بطن أمه وطبيعي أنه استمر في الكلام حتى رفعه الله تعالى إليه.

هذه إشراقات مقدسية، والذين لا يرومون ذلك كل هذه الأحاديث سيأتي من بقوة الله يضرب بها وجوه المعاندين، نحن فقط نطرح القضية للذين يتبعون منهجنا، والذين يريدون أن نناقشهم علمياً فلسفاً بعاجزين عن ذلك.

القدس مجمع الأنبياء والملائكة وأرواح الصالحين السابقة واللاحقة

القدس لها قداسة أخرى وهي أنه كان ثمة **مجمع لجميع الأنبياء في صلاة عظيمة**، هذه الصلاة كان فيها سيد الخلق كلهم مصحوباً بجبريل وفي انتظاره كان الخضر عَلَيْهِ السَّلَامُ وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل ومالك عَلَيْهِمُ السَّلَامُ أسياد الملائكة أجمعين، إسماعيل مَلَكُ السَّمَاءِ الدُّنْيَا ليس النبي إنما مَلَكُ السَّمَاءِ الدُّنْيَا أيضاً اسمه إسماعيل أو "صاحب السمع الرباني"، "إيل" هو الله وكأنما المعنى "أذن الله"، وجبرائيل مثلاً هو "جبار الله" صاحب القوة الجبروتية الإلهية.

كان اللقاء إذاً مع جميع أرواح الصالحين قبل أن يولدوا والصالحين الذين أيضاً انتقلوا إلى ربهم؛ لأن الأرواح لها سابقة ولاحقة، أرواح الذين انتقلوا تنتقل إلى حيث كان الجميع في مشهد واحد في عالم ألتست وهذا سنتكلم عنه في الدرس البرهاني القادم. اجتمع هؤلاء الأنبياء جميعاً والأولياء جميعاً **وكان الصف الأول نبوياً والصف الثاني ولائياً وأقيمت صلاة عظيمة أذن فيها جبرائيل وأقام الخضر عَلَيْهِ السَّلَامُ**. وهذه الصلاة العظيمة كانت صلاة الحبيب المصطفى ﷺ في القدس هنالك في ليلة الإسراء والمعراج صلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بجميع الأنبياء والصالحين، ووسعهم المكان لأنهم صلوا في بُعد من أبعاد ذلك المسجد المبارك، وفيه أبعاد مختلفة وشتى: ثمة بُعد للجن يتعبدون فيه وآخر للملائكة (والملائكة على مراتب) وآخر للأرواح، وهذا عام للأماكن المقدسة. كما أن الأماكن المدنسة فيها أبعاد شيطانية وأبعاد بشرية. والذي يريد دليلاً **﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا﴾** [الأحقاف: 29] لم يجلسوا في نفس المجلس المادي الذي جلس فيه الصحابة رضوان الله عليهم، إنما هؤلاء -الصحابة أيضاً- من الجن رضوان الله عليهم جلسوا في حيزهم الخاص، ولمن يريد أن يفهم يمكنه الرجوع إلى درس علم العالمين فلسنا ننطق عن جهل أو ندعي ما لا نعلم.

القدس بوابة المعراج وموضع الصلاة الأخيرة والصلاة العالمية

هذه الصلاة الربانية العظيمة تنزلت فيها أنوار كبيرة جداً وكشفت عن سر آخر لبيت المقدس وهو "سر بوابة المعراج". هذه البوابة السماوية العظيمة **بوابة تحمل إلى السماوات العلى** بوابة نورانية، ليس عبثاً أن رسول الله ﷺ وجه إلى ذلك المكان. بعد تلك الصلاة يرتفع الحبيب المصطفى ﷺ في رحلة عظيمة في استضافة ربانية في فرح إلهي.

إذن ترتبط القدس بأفراح السماء **ترتبط بأعراس السماء**؛ كان فيها العرس الآدمي الأول، ثم استقبلت الأنبياء جميعاً واستقبلت السيد المسيح واستقبلت سيدنا رسول الله ﷺ. هنالك انطلق إلى أعلى إلى ما يتجاوز سدرة المنتهى في أعظم رحلة تمت في تاريخ هذا الكون رحلة عظيمة جداً. وفي هذا البيت أيضاً في بيت المقدس ستكون **صلاة أخيرة** قبل نهاية الزمان عندما يكون المهدي السابع يحكم هذا الكوكب ويصلي خلفه المسيح وإن كان سيتنزل مع جده (نتكلم عن المهدي الأول الذي نحن في انتظار ظهوره). فكلهم هؤلاء الخلفاء يُلقَّبون بالمهدي، **المهدي لقب** وليس اسماً، هو لقب يُلقَّب به هؤلاء الحكام المحمديون المهديون، سبعة واحد يخلف واحداً من نفس الذرية والسلالة ولها دوام في الزمان ولها دوام وامتداد في المكان، وبعدها ندخل في زمن أخير زمن النهاية.

إذن القدس ترتبط بكل هذه المعاني، ترتبط بصلاة عظيمة عندما يُباع صاحب الوقت وصاحب العصر والزمان، يُباع بين الركن والمقام قرب الكعبة الشريفة بين مقام سيدنا إبراهيم وركن الكعبة. ولكن الصلاة التي تتم في الانتصار العظيم بعد أن ﴿وَلِيَتَّبِعُوا مَا عَلَّمُوا تَتَّبِعُوا﴾ وبعد أن يدخلوا المسجد ستكون أيضاً صلاة عالمية وسيتابعها العالم ويكون معه قادة جنده ويكون معه ليف عظيم من الصالحين والمؤمنين والصابرين ومن أهل فلسطين، وكأني أنظر إلى هذه الصلاة بعين القلب. وليست بعيدة عنا، هي قبل عام 2030 بعونه وإذنه تعالى والله ما كان ليعجزه من شيء. نحن نقول قولاً وهو يفعل فعلاً، ما نملك إلا أن نبشّر بهذه المسائل، ولكنها تتعلق بقدرات الله جل في علاه بقوته بقدرته ببطشه وبسطته أيضاً، يبسط لمن يريد أن يوليّه، ويبطش ﴿يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَىٰ إِنَّا مُنتَقِمُونَ﴾ [الدخان:16]، يبطش بأعدائه بالشكل الذي يراه هو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ما نملك من الأمر شيئاً ولا يملك أعداؤنا أيضاً من الأمر شيئاً، إنما الله أجرى أموراً على عباد من الخير وأجرى أموراً من الشر على أيدي عباد آخرين، لم يكن له بدء في أمر من أموره كله قد سَطَّرَ وَكُتِبَ في اللوح المحفوظ وكل مكتوب سوف نراه عياناً.

إذن هذه بعض ملامح بيت المقدس، أولاً بالآدمية وأولاً قبل الآدمية، أخيراً بالنبي الخاتم ﷺ، وبين ذلك وذلك بالأنبياء، ثم أخيراً بصلاة المهدي القائم عَلَيْهِ السَّلَامُ ثم أخيراً بصلاة أخيرة والتي ستكون صلاة مع المهدي السابع. وكذلك الصلاة في الانتصار سيحضرها الأنبياء والأولياء، ولكن لا يظهر منهم إلا خمسة فقط المرفوعون في هذه الدنيا ومن بينهم نذكر المسيح وإدريس وإلياس عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وغيرهم، وهذا بإذن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يَتَمَّهُ اللهُ.

القدس محور العالم

وبنو إسرائيل يعرفون جيداً نهاية زمانهم، يوجد في التوراة نص أغضبهم وأحزنهم وأفزع الكثيرين عندما أسست تلك الدولة. إلى اليوم هنالك توراتيون يعرفون الحقائق ويعارضون دولة الصهاينة وأنّ الأمر محرّم عليهم وأنّ نهايتهم إذا اجتمعوا ﴿وَقُلْنَا مِن بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْكُنُوا الْأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا﴾، والنص في التوراة "يمكث بنو إسرائيل في فلسطين 75 عاماً ثم يصيبهم الهلاك". وهذا من الأسباب المباشرة التي دعتهم إلى رفض أخذ الألواح لأنّ فيها تفصيل كل شيء، رفضوا أن يتم زوالهم مرتين ورفضوا أيضاً أن يكون ذلك الفساد يصدر عنهم، رفض كبارهم في تلك الفترة ورفّع فوقهم الجبل كأنه ظلّة، رفعه ذو القرنين العظيم الذي لديه مكانة كبرى أعظم مما يتخيّل الناس الذين يعتقدون أنه الاسكندر المقدوني وأنه بشري، هو أعظم من ذلك، المهم أنّ هذا الرفع فيه ألهم بهذا القدر. ونجد ذلك تفصيلاً في القرآن أنهم يفسدون في الأرض مرتين ويعلون علواً كبيراً، والوعد الأول أتمّه نوح/ذئب/بختنصر البابلي والثاني يتمّه المهدي عَلَيْهِ السَّلَامُ. وبختنصر أيضاً كان موحداً مؤمناً ولم يكن كافراً، لا ينسب الله إليه كفاراً ﴿عِبَادًا لَّنَا أُولِي بَاسٍ شَدِيدٍ﴾ [الإسراء:5]، إذ لو كانوا كفاراً فهم عبید ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [فصلت:46]، ولكنهم من جنود الله، وتمّ تشويه ذلك أيضاً وجُهل هذا الأمر، لا يفتح الله بالفاجرين والكافرين.

القدس على هذا الأساس محور العالم، كانت وستبقى. كل قوى العالم اليوم تتصارع على البيت المقدسي، كل هذه الأرواح التي تقسم أن لا تتخلى عن هذا البيت **تمثل الحضرة الإلهية والنبوية مباشرة**. كل طفل كل امرأة كل شاب كل شيخ كل جريح كل ثابت كل مصلى في بيت المقدس الآن هو الممثل الحقيقي للحضرة الإلهية وهم أولياء الله حقاً. أما الذين يتشدقون بالكلام وهم جالسون في أماكنهم في مواضعهم يترضون على أعداء آل بيت النبي ﷺ أو هم يسبّون أصحاب النبي أو يدعون ولاية لم ينالوها، كل هؤلاء الذين ينخرون جسد الأمة جسد السنة والشريعة، جسد السلفية والصوفية، كل هؤلاء الأدعياء لا يساوون نعل طفل فلسطيني يمضي إلى هنالك ويؤذى ويؤسر ويمضي وهو يبتسم واثق من النصر. هذه الابتسامات على الوجوه هي ابتسامات الأرواح الموقنة بفتح الله، ذلك الفزع في الجنود الصهاينة والمستوطنين فزع الأرواح التي عرفت قبل العقول وقبل الأجساد بوقوع البلاء لأنّ **الأمر تنزل إلى السماء الدنيا ويقترّب**، تبدأ آياته في الظهور أكثر وتنجلي أكثر، تنجلي أمور كونية.

منذ فترة عبرت بين الجزائر وتونس أشياء تشبه دوائر الضوء فقليل هذه أقمار صناعية وصدّق الناس وناموا. ثمة فيديو يشبه ذلك صورته القوات المكسيكية قوات الجيش المكسيكي ربما أنزل لكم الأمر كنت نزلته في مقالات، طابقوا بين المشهدين لتفهموا. يضحكون عليكم بأسماء جمعيات وادعاء العلم وأنّ هذه أقمار تسير هكذا كفريق من فرق الأضواء أو كقطيع من الجواميس المضيفة والغزلان المضيفة الطائرة في السماء، وكأنك تشاهد الغرائق تطير هكذا، وستكثر. وكلما أنكروها زادت وازدادت **حتى نصل إلى رؤيتها جهرًا** يوم يعلمون من أضعف ناصرًا وأقل عدداً.

المهم هذه نقاط، ستزداد المسائل جلاءً وظهوراً واتضحاً.

نصائح لأحبابنا في بيت المقدس

"القدس أولاً وأخيراً" في ختام هذه التأملات هي نصائح بسيطة جداً ولكنها عميقة في ذات الوقت لمن أراد أن يأخذ بها وأن يسمعنا فيها، صحيح أننا لا نمتلك وسائل إعلامية تدعمنا لنوصل أصواتنا إلى أقصى عدد ممكن من الناس، رغم الحاجة لمثل هذا الصوت، رغم الحاجة إلى مثل هذا العلم، رغم يقين القلب ويقين الروح والعقل أنه أمر حق وأنه علم مختلف عما يوجد بين أيدي الناس بفضل رب الناس وليس لنا من الفضل شيء. ولكن يكفي أن يسمع هذا رجل وامرأة، شخص شخصان، عاقل عاقلان، مؤمن مؤمنان، يكفي أن يسمعه بقلبه ولبّه قلة، يأتي النبي يوم القيامة وليس معه أحد، ويأتي النبي يوم القيامة ومعه نفر من الناس، ويأتي النبي يوم القيامة ومعه الرجل والرجلان، ولكن كلّ سوف يُسأل ويدخل النبي الجنة ويُرکم الآخرون في جهنم، المسألة ليست عددية.

1. النصيحة الأولى لأحبابنا في بيت المقدس، وإن كانوا أغنى من نصائحنا ولكنها نصيحة من قلب محب:

وهي الإكثار من الدعاء باسم الله القدوس جل في علاه. اسم الله القدوس متصل مباشرة بالقدس، وله اتصال بالوادي المقدس طوى. اسم الله القدوس اسم فيه تثبتت **"قدوس سبوح رب الملائكة والروح"**.

ثم الصلاة على نبي الهدى ونور المدى بصيغة "اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد بسر الإسراء إليك بك منك، بسر الإسراء إليك بك منك، بسر الإسراء إليك بك منك، وسلّم تسليماً كثيراً" لأن سر الإسراء بالله إلى الله من الله هو ما سيكون إن شاء الله في الزمن القريب. يجب أن نستعين بذكر الله ويجب على إخواننا أن يكثروا من الأدعية والصلوات وأكد أنهم يفعلون ذلك.

حزب النصر للشيخ أبي الحسن الشاذلي له بركة عجيبة وكان مما قرئ في معركة المنصورة ضد لويس التاسع. ويذكر ابن عطاء الله السكندري أنه دخل خيمة الجند وكان سيدي أبو الحسن الشاذلي قد فقد البصر وكان معه مكين الدين الأسمر والمرسي أبو العباس والعز بن عبد السلام سلطان العلماء، وكان هنالك دعاء بهذا الحزب حزب النصر والذي كان من ورائه الانتصار في معركة المنصورة في الحرب الصليبية التاسعة وأسر لويس التاسع. لذلك لكل عشاق فلسطين: نكث من هذا الورد من حزب النصر.

سيقول لي قائل أنت رجل استراتيجيا وعلوم عسكرية وتتكلم عن هذا الكلام، يجب أن نعدّ العدة المادية، نعم العدة المادية واجبة ولكن المدد أعظم من العدد ومن العدة ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ﴾ [التوبة:25] و ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا﴾ [التوبة:25]. هذه الأمة أمة مدد، ما تنتظره مدد من الله جل في علاه مدد في القلوب والأرواح. نعم سيكون هنالك ألم ونزيف وجراح وشهداء وسوف يُجنّ جنون الغاصب أكثر وأكثر وسوف تنجلي حقارة الخونة أكثر وأكثر، سيقومون بلعب جديدة كما يمارسها بعضهم هنالك وبعضهم فينا، من باب تبييض العدو من باب تجميله من باب تجميل الخيانة ورسمها بالواقعية كما زينوا الشذوذ ورسموه حرية وزينوا الإلحاد ورسموه علماً وزينوا لأهل التكفير تكفيرهم ورسموه شريعة. إذاً سيكون هنالك ألم وهو واجب، لقد قدم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لَنَا الْمَثَالَ وَقَدَّمَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَنَا الْمَثَالَ فِي فَلذَاتِ أَكْبَادِ النَّبِيِّ ﷺ، يُقْتَلُ الْإِمَامُ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَيُقْتَلُ سَيِّدُنَا الْحَسَنُ وَيُقْتَلُ سَيِّدُنَا الْحُسَيْنُ فِي مَشْهَدٍ يَبِينُ أَنَّ عَلَيْنَا الصَّبْرَ حَتَّى يَخْرُجَ الْقَائِمُ الَّذِي بِهِ تُمْنَعُ تِلْكَ الْأُمُورُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، حَتَّى الدَّجَالُ لَنْ يَسْتَطِيعَ أَنْ يَفْعَلَ بِالطَّيِّبِينَ شَيْئًا فَتَنَّتْهُ عَلَى الظَّالِمِينَ فَقَطُّ وَالْمَنَافِقِينَ الْمُسْتَخْفِينَ يَمَسُخُهُمْ كَمَا مُسَخَّخَ الَّذِينَ قَبْلَهُمْ قَرْدَةً خَاسِئِينَ، هَذَا سِرٌّ آخَرٌ مِنْ أَسْرَارِ الدَّجَالِ وَدَوْلَتِهِ، وَهَذَا سَيَكُونُ لَهُ أَوَانٌ لَا نَرِيدُ الْكَلَامَ عَنْهُ الْآنَ.

2. النصيحة الثانية لعشاق القضية للذين يحبون فلسطين ويتألمون اليوم لحال غزة العزة ولما يجري في حي الشيخ جراح وفي القدس:

لنترك المحبة الهوائية التي لا تُغني شيئاً، ننسى فلسطين حتى إذا تمّ القتل والضرب نرجع نتذكر فلسطين. أنت أيها العاشق الذي يحركه تحريك الريح للغصن مجرد ميل الهوى، يجب أن تتجاوز ذلك ويجب أن يكون حياً عن قناعة. كيف يكون عن قناعة دون قراءة التاريخ ومعرفة ما حصل؟ معظم شبابنا اليوم يتفاعل مع غزة، ولكن هل قرأت عن جرائم الهاغانا وجرائم العصابات الصهيونية بين سنة 47 و48؟ كيف خان من خان وباع مرج بني عامر؟ كيف أرسل علماء الأنثروبولوجيا وبعض اليهود يشترون تلك الأراضي وكيف بدأت الخيانة وكيف كان الإنتداب كيف كان ما قبله ما بعده؟ هل تربطون بين ذلك وبين الحروب الصليبية وما كان قبلها موصولاً إلى أزمنة قبلها إلى زمن المصطفى ﷺ وما كان قبل ذلك؟

هل قرأتم عن هذه الجرائم وعن هؤلاء الشهداء وعن الذين رُحِّلوا من ديارهم وهُجِّروا بغير حق؟ هل أخذتم وقرأتم عن يافا ومينا يافا وعن عكا، هل قرأتم عن الخليل وعن الجليل، عن حرب الاستنزاف وعن النكسة سنة 67، عن معركة 73، عن ما كان قبل ذلك وبعده؟ من هو عز الدين القسام كيف أتى من الشام ومضى، أية علاقة كانت بينه وبين الصوفية التيجانية، بينه وبين ليوبولد فايس وعمر المختار وأحمد الشريف وسعد الدين الجزائري؟

هل قرأتم عن مؤتمر القدس الأول مؤتمر العالم الإسلامي سنة 1929 الذي نظَّمه الشيخ أمين الحسيني بالتعاون مع مناضلنا التونسي العظيم المظلوم عبد العزيز الثعالبي وبحضور كلِّ من الشيخ رشيد رضا ومحمد إقبال وسعد الدين الجزائري حفيد الأمير عبد القادر الجزائري الذي انتقل ونُفي إلى بلاد الشام وجاء الأمير سعد الدين من هنالك، وصلى بهم عبد الحسين كاشف الغطاء المرجع النجفي الشيعي في القدس، وكانوا سنة ولم يقولوا هذه رافضية وهذا بيع للمذهب؛ كانوا أكبر من هذه الأمور الفارغة التي لا تُسمن ولا تُغني من جوع. وكيف أن الذي مَوَّل ذلك كان هندياً المناضل الكبير شوكت علي والذي كان نائب الرئيس، أراد أمين الحسيني أن يمنح ذلك للثعالبي لأنه صاحب الجهد الكبير فتنازل عنه للطباطبائي الإيراني، كيف كانت هذه الأمور كيف أدار هؤلاء الرجال المعركة؟

نقرأ عن جرائم أعدائنا، حتى نفهم إذاً عندما يتكلم البعض عن التطبيع وكأنه خيار استراتيجي عظيم يبشِّر بمستقبل عظيم ونتكلم عن السلام وننسى محمد الدرة وإيمان حجو وننسى من كان قبلهم ومن كان بعدهم... أنا لا أحب العاشق الجاهل، العدو العالم أفضل من صديق جاهل! لذلك يجب أن لا نوالي إلا من باب القناعة والمعرفة. هذا أقوله حتى للذين يؤمنون بالله تأملوا وتدبروا حتى تؤمنوا بالله إيمان العقل والقلب معاً أو عن سيرة المصطفى ﷺ تميزوا وبيّنوا وتبينوا الحديث الصحيح من الموضوع بالقلب ولو لم تكن لديك علوم حول المتن والسند والجرح والتعديل والرجال وغير ذلك، هذه نصيحة مهمة.

3. النصيحة الثالثة: نحن نتبع أثر المهدي في شخصه أكثر مما نتبع أثره في قضتيه. إن لم يكن هنالك مهدي ولن يظهر مهدي وكان الأمر كله كما يظن بعضهم مجرد كذبة مجرد تسلية ولن تزول هذه الدولة، هل لنا أن نترك الحق وأن نهجره لأننا مستضعفون ولأننا غير قادرين، هل نترك الأمل والإيمان؟ هل نلغي قوله **﴿فَإِذَا جَاءَ وَعَدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا﴾** [الإسراء:7]؟ وهل ذلك ينبغي أن يكون بعد ألف ومائة وسبعين مليون سنة؟ وحتى إن كان بعد ألف ومائة وسبعين مليون سنة ما ضاع حق وراءه طالب، جيلاً بعد جيل بعد جيل بعد جيل يحملون القضية ويتخذون من الحجارة بندقية ويتخذون من الابتسامة سلاحاً عظيماً في وجه عدو جبان مرتعد. الخونة فينا أكثر مما نظن، تمتد دولة الصهائنة ليس فقط على ما نهبوا من أرض فلسطين بل على كل عقل جاهل وعلى كل قلب خائن وعلى كل نفس جبان وعلى كل جيب لص وعلى كل كرسي مسؤول فاسد حقير يندرج في مشروعهم بعلمه أو بجهله، بوهمه أو بظنه أو بتواطئه المباشر.

وكذلك على دولة الأحرار أن تنطلق من بيت المقدس إلى مكة إلى المدينة إلى كل مكان فيه الأحرار بحالة قلب، في كل مكان يوجد حر، نرى الآن في كندا في أوروبا خاصة في أمريكا الجنوبية نرى أحراراً يتكلمون عن فلسطين، نرى يهود يخرجون في مظاهرات يدوسون العلم الصهيوني ويرفعون العلم الفلسطيني.

الطيبون الأخيار في كل مكان نجتمع على قلب رجل واحد، كلٌّ من مجاله؛ الذي في بيت المقدس له مجاله وعمله، الذي في غزة له مجاله وعمله، الإخوة الذين في الأماكن الأخرى من كان في المقاومة له مجاله وعمله، من كان مسؤولاً صالحاً له مجاله وعمله، من كان شاعراً أو مغنياً أو فناً إعلامياً صادقاً له مجاله وعمله، ونحن لنا مجالنا وعملنا، والعشاق كلهم كلٌّ من مجاله وكلٌّ بطريقته، نبشّر ببشارة بشر الله بها ورسوله وبشّرت بها التوراة والإنجيل أنّ دولة الظلم زائلة وأنّ أيامهم غير طائلة وأنّ أعينهم عن صراط الحق حائلة، وأنّ الله جل في علاه عليهم بجنود مائلة وأعداد هائلة من عند الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**. هذا كلام صدق قائله قائله، فقائله الآن صدق المصطفى **ﷺ** عندما نطق بالحق وكذلك عندما نطق بالقرآن العظيم **﴿وَلِيَتَّبِعُوا مَا عَلَّمُوا تَتَّبِعُوا﴾** وهذا منتهى كلامنا.

خاتمة

القدس أولاً والقدس أخيراً، لأنّ القدس ليست فقط قضية أمة، هي قضية الإنسانية ضد اللا-إنسانية، قضية الإنسان المؤمن بحق الإنسان في أرضه وعرضه ضد أعداء البشرية من شياطين الإنس الذين احتنكهم الشيطان بقسم إبليس منذ البدايات **﴿لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا﴾** [الإسراء:62]، بقسم الشيطان منذ أن قتل الشقيق شقيقه، بهذا الوعد الإلهي أنّ الإنسان والشيطان بل الإنسان للإنسان بعضهم لبعض عدو **﴿وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾** [البقرة:36].

عندما نرجع ببصرنا وأرواحنا إلى سيدنا نوح **عَلَيْهِ السَّلَامُ** يبني السفينة، لم يكن هنالك أي دليل استراتيجي أو استشرافي أو منطقي على أنّ هنالك طوفان سوف يأتي، رجل معه **مُسْتَضْعَفُونَ** (قال أعداء الله حينها "الأردلون")، **مُسْتَضْعَفُونَ** يبنون سفينة في حضارة عظيمة كانت تعمر الأرض كلها، وتلك السفينة رغم حجمها الكبير تثير سخريتهم لأنّ لهم في البحر أعظم منها. هذه السفن التي كانت عندهم والتكنولوجيات العظمى التي كانت لديهم والتطور الحضاري الذي كان لديهم، لا تصدق أنّ كل الحضارة في هذا الزمن، كان هنالك من هم أكثر تطوراً، أتلانتيكوس أكثر تطوراً وكذلك حضارة نوح الأقرب إلى الزمن الآدمي وآدم كان أعلم منا اليوم بعلوم، قادم من السماء، الرجل كائن فضائي. المهم، أنّ بناء تلك السفينة في تلك الصحراء ويمرّ القوم ويسخرون ويقول لهم سيدنا نوح سنضحك منكم غداً كما تضحكون منا الآن. الذين صدّقوا بقدوم الطوفان رغم عدم وجود المؤشرات فقط وجود المبشرات، الذين صدّقوا المبشّر دون ظهور المؤشّر، الذين اتّبَعوا الإشارة والبشارة ولو ضاقت عليهم العبارة هؤلاء نجوا من طوفان عظيم.

والله إنّ الأرض الآن في لحظتها هذه وموعدها هذا لأعظم حالاً، إنّ التنور سيفور بأعظم مما فار به في زمن نوح **عَلَيْهِ السَّلَامُ**، وبأعظم مما فار به في زمن أتلانتيكوس، وبأعظم مما فار به في زمن بومبييه والمؤتفكات وقوم تبع، وكذا قوم لوط وصالح وقوم هود، بأعظم مما كان في زمن نبي الله موسى وإغراق فرعون، لأنّ الأمم كلها في الماضي اجتمعت اليوم: ظهر فساد قوم لوط وقوم ثمود وقوم عاد وظهر فرعون الثاني وظهر من ظهر من فساد وفسدة وسيعاقبون في هذه الأمة المعدودة **﴿حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُنْدًا﴾** [مريم:75]. فالعذاب قادم لا محالة، والإنسان

في حدّه السفلي تجاوز الخط الأحمر، وفي حدّه العلوي الله سيدركه برحمة من عنده ويجعل الوارثين عباده الصالحين.

فمن كان يريد أن يركب السفينة فعليه أن يجعل في قلبه السكينة وأن يقوّي يقينه وأن يصلي على ساكن المدينة وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين مصابيح الهدى والداعين إلى خير دعوة، دعوة أن لا إله إلا الله حقاً وصدقاً وأنّ محمداً رسول الله حقاً وصدقاً وأنّ هنالك فجراً ساطعاً لامعاً قريباً ونحن نستبشر به.

وفي كل الأحوال لن نترك القضية لن نترك فلسطين لن ننسى قدسنا، لن ننسى حقوقنا لن ننسى الذين استشهدوا والذين انتقلوا، سواءً في هذه البلاد العامرة بالصالحين والتي كُذّب على تاريخها القريب وتاريخها البعيد، كم قدّمت شهداء في وجه الإستعمار الفرنسي، كم قدّمت من قبل ذلك، أو في أمتنا هذه أو في هذا الكوكب الذي يعاني من هذه الأمراض وهذه الحرب العالمية الثالثة والتلاعب، وحتى توظيفات أخرى نتكلم عنها في التأمّلات الفكرية والهولوجرام وغايته والشعاع الأزرق وكل ما يروّج الآن.

المهم هذا حدّنا في هذا اليوم، نسأل الله لنا ولكم عظيم يقين، ونشكر إخوتنا في القدس: إنكم تُبقوننا أحياء، تُبقون هذه الأمة المحنّطة المسكينة حية ونحن ضمنها وهذا فتح قريب بإذن الله ونصر من عند الله ونبشركم بقربه، أقل من عدد أصابع اليد الواحدة،

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

المحاضرة بتاريخ: 2021-05-17



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

التأمل الثالث والعشرون: أدب الصحبة

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم، اللهم صلّ على سيدنا محمد كما ينبغي لمقام سيدنا محمد وعلى آل بيت سيدنا محمد كما ينبغي لآل بيت سيدنا محمد صلاة تدخلنا عليهم وتوصلنا إليهم، صلاة تجعلنا بهم موصولين وعندهم من المقبولين، صلّ عليهم يا رب العالمين صلاةً تكون أنساً لقلوبنا وغُفراً لذنوبنا ومحواً لعيوبنا ويُسرّاً لدروبنا ورضواناً لمحبوينا وتحقيقاً لمرغوبنا ونوالاً لمطلوبنا يا رب العالمين. اللهم أدخلنا تحت راية النبي وتحت ولاية الإمام عليّ وصيّ رسول الله صاحب الجاه والفضل والجهاد والبذل "لا فتى إلا عليّ ولا سيف إلا ذو الفقار"، وبسر فاطمة وأبيها وبعلمها وبنيتها والسر المستودع فيها واجعلنا اللهم من عشاق ومعشوق الصالحين وألحقنا بالصالحين وأحطنا بالصالحين ونورنا بأنوار الصالحين وبأنوار الخضر والرّواحين وبأنوار ملائكتك والخاطفين والخاطرين علينا والذين يخطفون قلوب العشاق في كل حين.

فإنّ لله ﷻ خطفات وخطرات، **خطفات يخطف بها قلوب العشاق ويجذبهم جذبةً** كما جذب الخضر عرش بلقيس لسليمان، ليس ترقياً ولا صعوداً ولا أحوال عبادات ومجاهدات، إنما خطفة ربانية. وهناك خطرات ربانية على قلوب العارفين به، خطرات تُبين لهم مما استشكل ومما غمض في شأن التاريخ والدين والحضارة، وهذه علوم استُفيد منها في كل زمن، وهي ***علوم عرفانية***. ليس صحيحاً أنها ليست من باب ما يكون منه ميزان وليس لها فضل ولا حقيقة، في كل عصر كان أهل الكشف وأهل التجلي هم الذين يقوّمون منهاج الأمة إن ضاع وميزانها إن اختلّ، والصادق الصدوق ﷺ قال "إنّ الله يبعث على رأس كل **مائة عام للأمة من يجدد لها دينها**" بمعنى أنه يكشف زوايا أمور ربما لم يُنتبه لها، يبيّن حقائق عُيِّبت. تعلمون أنّ الظلمة والمتخاذلين والغاشمين على مرّ تاريخ الأمة يشوّهون الحقائق، يقبلون الموازين. اللهم علّمنا الأدب مع الصالحين، علّمنا الأدب في الحوار معهم والأدب في الأخذ عنهم والأدب في صحبتهم وعشرتهم.

ذلك أنّ الذنوب على بابين عظيمين: الذنب "داخل" الحضرة، والذنب "خارج" الحضرة، فالذي يسكر في مسجد ليس كالذي يشرب الخمر في حَمارة. إبليس عندما عصى ربه، هب أنه عصاه في الأرض ولم يصل إلى ذلك القرب من الله ما كان ليُعاقب بذلك العقاب ما كان ليكون عقابه بتلك الدرجة، لما عصى

ربه في عالم الحضرة في عالم القرب، في عالم رَقَاهُ اللهُ إِلَيْهِ، في عالم جعله اللهُ له مكافأة في فوق الفوق حيث أهل الذوق والشوق، حينها كان ينبغي أن يُطرد تلك الطردة، لأنه لما حُظِيَ بالنظرة لم يعرف قيمتها ولما دخل الحضرة لم يعرف حقيقتها.

يحتاج السر سرّاً لفهمه

التأمل العرفاني اليوم أيها الأحبة في الله في موضوع مهم أرى أنّ له غياباً كبيراً لدى المؤدّبين الذين يُؤدّبون القلوب (على قَلْتَهُمْ)، ولدى فقهاء ومُحدّثي هذه الأمة إلا من رحم الله، ولدى كثير ممن يتصدّرون للدعوة ويملأون القنوات، أدبٌ في صحبة الصالحين، أدب في صحبة العارفين، هذا بعد أن تبين للناظر إليهم أنهم عارفون وصالحون؛ إذ كثيراً ما يُخفيهم اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وكثيراً ما يحيط الشياطين بعقول الناس وقلوبهم حتى يرتابوا.

مدخل لهذه المسألة: كيف نعرف أهل الله، كيف نستطيع أن نميّز الصالح حقيقة من دعيّ الصلاح، صاحب السر حقيقة ممّن ليس لديه سر؟! هذا قلناه من قبل:

- ❖ **الموصول بالموصول موصول والداخل بالمقبول مقبول**، الذي وُصِلَ بأهل الوصل فهو متّصل موصول، والذي دخل بمقبولين يُقبل.
- ❖ أما ما يلي ذلك ف**معرفة المفتوح عليه فتحٌ ويحتاج السر سرّاً لفهمه**، معرفة من فتح الله عليه فتح لمن عرف ذلك، أي أنه لا يعرف من فتح الله عليه إلا من فتح الله عليه.
- ❖ **ويحتاج السر سرّاً لفهمه**: أي أنّ الأسرار اللدنية الربانية في جميع مقاماتها وأسرارها وخواصها تحتاج أرباب أسرار دنيا تصلهم بالأسرار التي أعلى منها، أو أسرار من قبيلها من نوعها تفسّرها وتفصّلها، صلةً تكون بين هذا وذاك.

وعلى سبيل المثال بنو إسرائيل عندما وُصِلوا بالعجل ﴿وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ﴾، لم يكن إيمانهم بذلك العجل من قوة ما سحر به السامري أبصارهم (من قوة ما فعل بهم)، ﴿قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ﴾ إذ الفتننة قادمة ربانية، الله يفتن من يشاء، لأنّ كفرهم القديم الذي كان مخفياً ومطوياً في صدورهم وفي أنفسهم وهم تحت حكم فرعون لم يستجلى ذلك عند نبي الله موسى، فكان في تلك الحضرة وفي ذلك اللقاء وأخبر أنهم فُتِنُوا ونقذ المهمة السامري، سرجع يوماً لكشف سر السامري ولغزه المطلسم.

المهم أنهم لم يمتلكوا سرّاً يمكّنهم من فهم سر شريعة موسى أو سر نبوة موسى حتى يُشرفوا بالمعية الربانية مع نبي الله موسى عليه وعلى نبينا السلام، لذلك قال ﴿إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ عندما حاصره فرعون، ولو أنه قال {إِن مَعَنَا رَبُّنَا سَيَهْدِينَا} لهداهم الله، ولكنّ اللفظ كان دقيقاً ولئن كان النبي موسى في تلك اللحظة عندما نطقها لا يعي أبعاد ذلك، أي لم يظن ولم يتصوّر أنّ قومه على ذلك الفسق والفجور، حتى قال في أواخر القصة ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرِقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾، وكان الفراق وتُركوا في التيه في سيناء، وتوجّه هو بعد ذلك إلى منطقة أخرى إلى شمال ذلك المكان. إذ أنّ نبي الله

موسى ابثلي بقوم ليس لهم سر ﴿يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾.

إذن كان قوم موسى منذ البداية مرتابين، أميل إلى قول فرعون أنّ موسى ساحر، أبغض لموسى من بُغض فرعون وقومه له ويُخفون ذلك، ينافقونه ويُمالونه وينتظرون فرصة لينقضوا عليه أو ليكفروا به، وكلما مَرّوا على قوم يعبدون صنماً قالوا لموسى اجعل لنا مثلهم، وينزل المنّ والسلوى فيطلبون القِثَاءَ والبصل كما قلت من قبل ذلك:

• ذلك أنّ قلباً إلى ربه ما وصل وعقلاً بربه ما اتّصل مصيره القِثَاءَ والبصل

هذا إذا سرُّ لم يجد سرّاً يكافئه، فسقطوا في حفرة عبادة العجل، جسداً أجوف له خوار ﴿عَجَلًا جَسَدًا لَهُ خُورًا﴾، ذهب بعقولهم ذهب، وهكذا هم عبّاد الذهب إلى هذه الساعة حتى يأتي الله بأمره.

ورغم أنّ سر نبي الله موسى سر عظيم فهو كريم الله، كان سر نبوة وديانة، ولكن في رحلته مع سيدنا الخضر كان لدى الخضر سر آخر من نوع آخر، له أحكام أخرى وموازين أخرى وأسرار أخرى، فلم يتبين النبي موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ ذلك، لم يكن له سرٌّ يُمكنه من فهم ذلك السرّ ﴿قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا، وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ - خُبْرًا﴾ كيف تصبر على من لم يكن سرّك ملائماً له؟ لذلك لم يصبر، وقليل من يصبرون مع الخضر ومع تلاميذ الخضر، لأنه مقامٌ صعب، صحبة أهل الله، صحبة أهل العلوم اللدنية، صحبة الصالحين والعارفين الذين عزّفهم الله وعزّف بهم الله جل في علاه ودلّ عليهم أهل الدليل وجعلهم سبيلاً لسالكي السبيل وجعلهم شفاءً للغليل، قَتَعهم بالقليل وقد أعطاهم من قبل الكثير ويعطيهم بعد ذلك الكثير، وكل كثير مهما كُتِر فهو أمام جود الله وكرمه قليل.

ذلك الكريم ﷺ يُلقِي على قلب من أراد، ويُجَلِّي على قلب من أراد، ويعلم فؤاد من أراد، ويناجي سرّ من أراد، ويُلهِم من شاء، ويُقرّب من شاء، ويُدني من شاء، لا كما تشاء أنت، لا كما تظن أنت، لا كما يتوهم شيخك، لا على شاكلة تظنها، ولا على نعمة تَمُنُّها، وليس ذلك أبداً كما نظن أو يظن الظانون الله ﷻ كرمه مُطَلَق وعطاؤه غَدَق. وهذه الصحبة صعبة، وهذا السبيل عسير، وهذا الصراط صراط مستقيم مرير، لأنّ من حوله أشواك الباطل ومن حوله إرتياب النفس ومن حوله إرتجاج الإنسان عن سبيل الحق. عندما كانت هذه الرحلة الموسوية الخضرية كان فيها دروس لكل سالك، ما لم تُحِط به خبيراً فلا تعاند فيه، والذين يكشف لهم الله أموراً: زن الأمر بعقلك.

هل برأت أمة محمد ﷺ من ذلك؟

أولاً، كيف نعرف العارفين؟ تعلمون أن بني إسرائيل اتخذوا **الشاكلة**: عندما كان كهنتهم يلبسون لباساً يتجهّز لساعات حتى يخرج للمجلس، لا بد أن يكون سميناً جداً، أن يظهر عليه الثراء والجاه، أن تكون لحيته كذا طولها ويكون علاها البياض، وأن يلبس فوقها لباسه المعين وألوانه المحددة الذي يحدّد رتبته ومقامه، ويمسك عصا غليظة ويضع في يده خاتم أو سوار، وغير ذلك من الأمور، ويتكلم بطريقة معينة بلكنة معينة بتحويل لهجته وصوته بطريقة تُوهم بالوقار...

ثم فجأة تأتي بُنية اسمها مريم تحمل رضيعاً فيأتيها كبراً وهم ويأتيها هؤلاء الذين اتخذوا الأمر شكلاً وشاكلة على غير حقيقة وعلى غير سر، فيسخرّون ويستهزئون ويتنادون بالويل والثبور ﴿يَا أُخْتِ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بَعْثًا﴾، فتشير إليه فيقولون كيف نكلّم من كان في المهد صبياً؟ فينطق الله ذلك الرضيع، حتى يُحطّم صنم المظهر والشكل والادّعاء والكذب، الذين اتخذوا ذلك الدين تجارة فباعوا دين الله للناس بالكذب وشروا به ثمناً زهيداً. بل ويزيدهم راجمةً قبل ذلك أن يأتي بصبي صغير اسمه يحيى ويؤتاه الكتاب صبياً، يؤتاه التوراة كاملة والكتب السابقة لها وعلوم الحكمة صبياً ﴿يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾ حتى يهدم أيضاً في عقولهم وأمام عيونهم تلك الألاعيب التي اتخذوها.

هل برأت أمة محمد ﷺ من ذلك؟ ألم يُحرّف الكلام عن مواضعه، ألم تُزيّف تواريخه؟! ألم يُنكر المنكرون ما ثبت ويُحاولوا استئصال ما نبت وما اهتزت الأرض به وريت، ثم هم يصدّقون غير ذلك؟!

أقول لعلماء الحديث وقد ثبت ما لعلي ابن أبي طالب كرم الله وجهه وعَلَيْهِ السَّلَامُ من مقام حتى قال عنه المصطفى ﷺ "أنت مني بمنزلة هارون من موسى"، وهذا عليه علماء السنة وعلماء الشيعة، ومسألة غدير خم ثابتة تاريخاً وثابتة حديثاً لا ينكرها والله إلا من كان في قلبه مرض. ولكنهم يدحضونها، وإن كان الإمام علي في مسجد الكوفة نادى: "من منكم شهد أنّ رسول الله رفع يدي في غدير خم؟" فنهض ثمانون صحابياً وقالوا قد شهدنا. إقرأوا التاريخ، أتكدّبون علياً؟

- ❖ علي يقول أبي كان سيد المؤمنين، وشعر أبي طالب يشهد، تُكذّبونه، وتقبلون أنّ أقل الناس عذاباً أبي طالب "جمرتان يغلي منه الرأس"؟
- ❖ أم النبي تقول: "خرج مني نور أضواء المشرقين"، وترفضون ذلك وتقبلون "سألت عن أبيي فقيل لا تسأل عن أهل النار".
- ❖ ترفضون غدير خم ولاية أمير المؤمنين عليّ وتقبلون أنّ رسول الله ﷺ سحر فكان يحسب أنه يأتي الأمر ولا يأتيه، وأنه أراد الإنتحار لما تأخر عليه الوحي
- ❖ وأنّ موسى ضرب عزرائيل ففقأ عينه
- ❖ وأنّ سليمان طاف على مائة من نسائه وقال لتلدنّ لي كل واحدة رجلاً شهيداً فلم تلد إلا واحدة ولدت نصف إنسان
- ❖ وتقبلون أنّ داوود أراد أن يزني بامرأة قائده وأراد أن يفتكها منه وحينها جاءه الملكان، وتظنون أنّ ذلك في القصة ومسألة النعاج والكفالة

❖ وتقبلون أنّ إبراهيم عندما أتاه النمرود أعطاه زوجته وقال له هذه أختي وجلس يصلي، وأنّ النمرود بعد ذلك أهدها هاجر.

تقبلون بهذه السخافة تقبلون بهذه الكلمات الفارغة وتقبلون أنّ محمد ﷺ كان جاهلاً وقال "افعلوا بالنخل كذا ثم قال أنتم أعلم بدنياكم". ألم يكن خير الناس علماً ديناً ودنياً، ألم يكن الأمين الذي رفع الحجر وأنقذ قريشاً من حرب، ألم يكن سيد الحكمة والنهي؟!

ألم يقل "ضربة عليّ يوم الخندق بعمل الثقلين"؟! ترفضونها لا تقبلون بها وتقبلون أحاديث من القتلة والسفّاكين والمجرمين.

نحن على نهج المهدي عَلَيْهِ السَّلَامُ

أقولها لكم بكل بساطة لمن لم يعرف سبيلنا ولم يعرف طريقنا بعد، ولعله لم يتابع منذ البداية، ولعله تابع ثم خاتله شيطانه:

أولاً نحن نسباً ونسبة يأبى دَمْنَا أن نكذب، ويأبى نسبنا أن نماري في الحق أحداً، ويأبى ذلك الله علينا ورسوله، وأنوفُ أبيّة وأنفسُ لها في الحق حَمِيّة، نأبى وتأبى دماؤنا وتأبى سلسلتنا المتصلة نسباً ونسبة بجدا رسول الله ﷺ وبالإمام علي والسيدة فاطمة والحسنين، ويأبى سندنا للصالحين أن نكذب أو نناقض أو نَجبن أو نتراجع أو نرتاب.

إن كنت سُنيّاً أو شيعياً، صوفياً أو سلفياً، إليك منهجنا: نحن على نهج أهل الرباط المحمدي والسيد أبو صالح الألويسي بالعراق، وعلى نهج من كان قبله من الصالحين ومن معه من الصالحين ومن بعده، **علي نهج المهدي عَلَيْهِ السَّلَامُ.**

نحن على نهج له أبواب، لا ندخل إلى حضرات آل البيت إلا من الصالحين، فنُحب الصالحين أهل الله وخاصته، نحب سيدنا عبد القادر الجيلاني ونحب سيدنا أحمد الرفاعي ونحب سيدنا أحمد البدوي ونحب سيدنا إبراهيم الدسوقي ونحب سيدنا عبد الرحيم القناوي ونحب سيدنا معين الدين الجشتي ونحب سيدنا الإمام الحداد ونحب سيدنا الشاذلي ونحب سيدنا عبد السلام الأسمر ونحب سيدنا أحمد التيجاني ونحب أسيادنا الصالحين جميعاً، نحب كل ولي لله نحب كل فرد من أهل الله نحب كل ولية لله نحب الصالحين ونحن مداس أقدامهم، فلا يدخل أحد على آل البيت إلا من طريقهم. ونحب أئمة آل البيت، نحب زين العابدين وذريته ونحب الباقر ونحب الصادق ونحب الكاظم ونحب الرضا ونحب من جاء من ذريتهم الهادي والجواد والعسكري، نحبهم ونوقّرهم جميعاً، نحبّ أهلهم نقف معهم، حرب على من حاربوا، سلم على من سالموا. كما كان على ذلك أئمتنا في مدرستنا الزيتونية وعلى رأسهم سيدي إبراهيم الرياحي المتوسل بالأئمة الإثنا عشر:

وفرع الطهر بالحسن الولي
شهيدياً من يد الشمر الشقي
أموت عليه بالعهد الوفي

إلهي قد سألتك بالنبي
بمولانا الحسين ومن قد أضحى
أدم لي حب آل البيت حتى

ونوالي علياً ونرى ما رآه الرسول ﷺ فيه "أنت مني بمنزلة هارون من موسى". نحن على ذلك نلقى ربنا، ونشهد بالله ونؤمن به ونقول أننا حققنا ودققنا بحثاً وعلماً وتمحيصاً وحالاً ومقالاً، لقد رفع رسول الله ﷺ يد الإمام علي في حُم وقال: "الله مولاي وأنا مولى كل مؤمن ومؤمنة، ألا من كنت مولاه فهذا علي مولاه، اللهم إله من والاه وعاد من عاداه، وانصر من نصره واخذل من خذله". وقال ﷺ عن فاطمة عَلَيْهَا السَّلَامُ "إن الله يرضى لرضاك ويغضب لغضبك" "فاطمة أم أبيها" "فاطمة حوراء إنسية" "كُم من الرجال كثيرٌ وكُم من النساء مريم وخديجة وفاطمة" "من عرفها فقد عرفها هذه فاطمة بنت محمد".

ونشهد أن رسول الله ﷺ قال عن الحسنين "ألا أخبركم بخير الناس ألا أخبركم بخير الناس جداً وجدة، ألا أخبركم بخير الناس أمماً وأباً، ألا أخبركم بخير الناس عمماً وعممة، ألا أخبركم بخير الناس خالاً وخالة؟ الحسن والحسين، جدهما رسول الله ﷺ وجدتهما خديجة بنت خويلد وأبوهما علي بن أبي طالب وأمهما فاطمة بنت رسول الله ﷺ وعمّهما جعفر بن أبي طالب، وعمّتهما أم هانئ بنت أبي طالب، وخالهما القاسم بن رسول الله ﷺ وخالاتهما أم كلثوم ورقية وزينب بنات رسول الله ﷺ، جدهما في الجنة وجدتهما في الجنة، وأبوهما في الجنة وأمهما في الجنة، وعمّهما في الجنة وجدتهما في الجنة، وخالهما في الجنة وخالاتهما في الجنة، وهما في الجنة، ومن أحبهما في الجنة" هؤلاء مُبَشَّرُونَ بالجنة مُبَشَّرٌ عُشاقهم، أخرجهم الإمام عبد الرزاق في المصنّف وغيره من رواية الحديث.

ألقي الله على قول رسول الله ﷺ "أحبوا الله لما يَغذوكم به من النعم وأحبوني لحب الله وأحبوا أهل بيتي لحبي" نُشهد الله على وصية رسول الله ﷺ في الغدير عندما قال "الله الله في أهل بيتي"، "إني تارك فيكم الثقلين ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي أبداً: كتاب الله وعترتي أهل بيتي"، "أهل بيتي سفينة النجاة من تعلق بها نجا ومن تخلف عنها هلك"، "مثل آل بيتي فيكم كسفينة نوح" "مثل آل بيتي فيكم كباب حِطَّة" نلقى الله على ذلك. نلقى الله على قول الإمام علي "وإنه لعهد رسول الله ﷺ إليّ أن لا يحبني إلا مؤمن ولا يبغضني إلا منافق".

أما ما كان من الخلاف منذ السقيفة وما قبلها وبعدها، ضربنا عنه صفحاً رغم علمنا التفصيلي التدقيقي التحقيقي به، لماذا؟

1. لأنّ إثارة مسائل الإختلاف والخلاف لا نفع لها.
2. لأنّ المهدي على الأبواب وهو سيفصل في المسائل.

فنحن على المحمدية البيضاء ليلها كنهارها، نحن بالأساس مُحمديين ونجعل بعد ذلك علويين فاطميين حسنيين حسنيين جعفريين (من الإمام جعفر الطيار)، حمزويين، بل لأبي طالب عَلَيْهَا السَّلَامُ كذلك. نحن تحت لواء آمنة فينا ضامنة، وتحت لواء خديجة كي تحسن لنا النتيجة، وتحت لواء فاطمة يقينا الله بها النار الحاطمة.

نحب كل معتدل ونضرب كل دجال

لتكن واضحة، سمّها الآن ما تريد، أولها كما تشاء، فلتظن نفسك وتركض بك في خيل الوهم كما تريد، لو كنا تشييعنا على المذهبية لبُحنا بها فما نخشى منكم أحداً، ولكننا على مدرسة أشياخنا التي نشأنا فيها ودرسناها وعرفناها، وجدنا فيها تسنناً يوالي آل البيت، وجدنا فيها رجالاً يحبون أهل بيت النبي وإن كانوا قد أخذوا من مدرسة مالك وأبي حنيفة إلى الإمام جعفر الصادق، وجدنا قوماً على العقيدة الأشعرية التنزيهية التي زعيمها الإمام علي الذي قاتل على تأويله كما قاتل رسول الله ﷺ على تنزيهه كما أخبره المصطفى "ستقاتل على تأويله يا علي كما قاتلتُ أنا على تنزيهه".

ولكننا نحب كل معتدل في مدرسة آل البيت مدرسة الشيعة، نحب كل معتدل في الفقه الجعفري، لنا أصدقاؤنا في المدرسة الإباضية ونعرف فيها رجال علم وفهم ونعرف تاريخهم مما كان من قبل منذ الدولة الرستمية إلى ما كان من نظام إلى ما كان بعد ذلك من مراجعات إلى غير ذلك ولي مناقشات مع عالم جليل شيخهم في شمال إفريقيا الشيخ فرحات الجعيري وأرجو لقاء الشيخ الخليفي مفتي عمان، ولنا علاقة بالزيدية أيضاً طيبة جداً ونحب فيهم علماء ورجال فضل وعلم، والتقينا الكثير من أهل العلم من مدرستنا السننية التي نعتزّ بها والتي لا نرى فيها النصب إلا جرثوماً توغّل فيها منذ التاريخ، السنة الحقيقية هي سنة نبعت من مدارس آل البيت.

نعم نحن صوفية في حالنا ومقالنا، أخذناها بفضل مولاها، ولكنه تصوف ينبني على العلم والفهم والتميز والعطاء والكشوفات المدعومة بالعلوم والفهوم الكبيرة كما نبين في دروسنا. وسنُبين في دروسنا حتى نفقاً عين كل معاند، ونقطع لسان كل مجادل، ونثقب قلب كل حاسد، ونجذب نفس كل جاحد فنجعلها تحت أقدام عزمنا وفهمنا. ليكن هذا التحدي واضحاً والله معنا، ونحن مستمرون هنا حتى لواء بيت المقدس ونصلي في القدس مع إمامنا بعون الله تعالى... وفي السلفية أيضاً وجدنا رجالاً ممن راجعوا وفكروا باعتدال، كان لي لقاء في مكة مع الشريف حاتم العوني وحضر علماء من أم القرى وكان معنا الشيخ الزيتوني الشيخ محمد الكامل سعادة، كان لقاء أهل علم وكان فيه الكثير من المؤانسة، ليست صوفية منغلقة.

ونحن نضرب كل دجال:

❖ الدجال الذي يعيش في لندن ويُدعي التشييع وله أتباع كُثُر وهو كذاب سبّاب لَعان فِتّان هذا نحن ضده

❖ دعيّ المهدوية في اليمن والذي في العراق هذان كذابان

❖ دعيّ علوم كشف الأسرار والأغوار والجفريات في تونس أيضاً نُحذر منه، حَفِظْ بعضاً وفاتته أمورٌ أخرى وثمة ما يريب خلف الأجمّة.

هكذا منهجنا ولو لم يبق معنا من الناس أحد، والله لو لقينا الله فردى بهذا لا نبالي به.

وكذلك مدرسة السنة العظيمة التي خرج منها نور الدين زنكي البطل، وخرج منها الشيخ عبد القادر، وخرج منها الشيخ عمر المختار المجاهد في أرض ليبيا، ومحمد المهدي السنوسي، وخرج منها الشيخ

أحمد الشريف، وخرج منها الأمير عبد القادر الجزائري، والشيخ بو عمامة، وعز الدين القسام، وأبو الحسن الشاذلي، والعز ابن عبد السلام، والنفثري، والحكيم الترمذي، وخرج منها أعلام وأقطاب ابن أبي زيد القيرواني، ومحرز ابن خلف، وخرج منها الإمام ابن عرفة الورغمي، وخرج منها الإمام سحنون والمازري، وخرج منها أئمة، وكذا بلاد المغرب بلاد الزيتونة بلاد القرويين بلاد العلماء والسادة الأشراف.. هذه مدارس عظيمة، ولكن لا بدّ من مراجعات لا بدّ منها ولا بدّ من تحقيق لا بدّ منه، ومن تنقية سنة المصطفى مما وضع وهب ابن منبه مما وضعت عصابة مشرذمة كانت تمتطي الدين امتطاء وتلبس قناع القداسة على دناستهم، وأن نتحرر من الخوف مازال يزيد يحكم القلوب وأبوه كذلك إلى هذه الساعة ولا يجرؤ أحد على قول الحقيقة.

إذن هذا منهجنا بكل وضوح وبساطة، أما طريقتنا في التصوف فسنكشف عنها، وكنا ذكرنا اسمها "المحمدية الخضرية المهدوية" ولنا فيها سندها، وتكفي الكتب تُعبّر عن نفسها. لن نتقمص لك فيلماً ونلبس لك لحية ونتفافز كي نرضيك ونسلبك ما في جيبك، "نحن نسرق القلوب لا الجيوب" كما قال الإمام مالك ابن دينار في القصة الشهيرة عندما جاءه لص وتسوّر عليه البيت فلما وجد صاحب البيت طلب منه الإمام مالك ابن دينار أن يقرأ معه القرآن حتى أوصله للجامع، ولما سئل قال: "جاء لیسرقنا فسرقتنا قلبه". لما نادى: من يدعم سفينتنا هذه من خشب حلال؟ لسنا لصوصاً ولسنا عاجزين إنما ذلك شرف لمن فهمه. لما يصحبنا من يصحبنا ويأخذ منا فلسنا نقول أوهاماً حتى يقول لنا قائل: والله إنّ الكشوفات والإلهامات لا تعني شيئاً إنما فقط من أجل أن يزيد المرء إيمانه، أما الحديث فليس ميدانك، من قال لك ذلك؟! هل قلنا لك إننا كنا جالسين في الغابة مائة عام ثم جاءنا حال فتكلمنا؟ نحن درسنا نحن أكاديميين لدينا شهادت دكتوراه وليس شهادة واحدة وأكثر من مائتي كتاب وجلنا العالم.

هذه الأنا التي نتكلم بها الآن ليست أنا الغرور إنما "أنا الذي سمعتني أمي حيدرة"، تأتي على الناس مقامات "أنا عليّ ابن الحسين ابن أبي" هكذا قال عليّ الأكبر وهو يواجه أعداءه، وقال أبوه "أنا الحسين ابن عليّ ابن أبي" وأنشد أبياته وهو يلاقي مصيراً أراده الله له. فهكذا هي الأمور هكذا هي المسائل، حتى قلنا مرة:

أيا باغٍ مُخاصمتي وساعي	تربّص لا ترم في الحرب باع
فقد يخفى عن الأغيار سري	ويُعوي الرمز منه ذوي الخداع
وقد يُغريك ما أسمعني	وما عين الشهادة كالسمع
أنا النمر الذي حُبرت عنه	أدكّ بمخلمي أرض الضباع
وأزأر في الظلام بصوت حقّ	وأرسل نظرتي مثل الشعاع
وأمشي- في وطيس الحرب فرداً	فتندكّ القلاع على القلاع
أقدّس كل مغوارٍ وشهم	وأعشق ذكرى صولات السباع
وأعلم أنّ طعم الموت عذب	إذا اجتمع الشجاع مع الشجاع

فيا هذا ويا ذاك، لا يحملتك وهمك بعيداً، إن أردت شعراً أعطيناك، إن أردت علماً في الكون والتكوين والروح والظاهر والباطن أكاديمياً لَدُنّيأ وجدت عندنا، وإن رُمت قتالاً فتعرف ما نفع.

مَيِّزَ الْأُمُورِ بِقَلْبِكَ

هذا لمن أراد أن يقف معنا مَيِّزَ الْأُمُورِ بِقَلْبِكَ:

- ❖ إذا جاءك أحد وقال لك أنا من الصالحين إنَّ صلاة العصر جاءني كشف أنها خمس ركعات، هذا كذاب
- ❖ ولو جاءك دعي صلاح وقال لك لا تحب عليّ ابن أبي طالب فهو كذاب، والله لن ينال الصلاح من لم يحب عليّاً ولم يكن تحت نعل علي
- ❖ لو جاءك صوفي وقال لك أنا شيخك والشيخ عبد القادر انتقل إلى الله، أياً كان شيخه ما لم يكن تحت راية شيخ المشائخ شيخنا عبد القادر الجيلاني وأسيادنا الأكابر الإمام الرفاعي والشاذلي والبدوي والدسوقي فهو ليس موصولاً ولا مقبولاً، الآن كل الطرق دكاكين إلا ما رحم الله
- ❖ لو جاءك شيعي وقال لك تعال لمدرسة أهل البيت ثم صار يحدثك عن أحاديث تُغضب رسول الله ﷺ عن زوجته وعن أحاديث ليست سوى لعن وشتم دون تمييز، وعن إثارة فتن إعادة حرب الجمل وإعادة صفين، ليس تبياناً للحق إنما الرغبة في التشثيت والتمزيق، العودة إلى السقيفة والرغبة في التشثيت والتمزيق، مخالفة الإمام علي، مخالفة محبة أهل البيت، يسرقون الصبايا ويسرقون الشباب، هؤلاء الذين يختفي بعضهم في لندن وبعضهم هنا وهناك فهو كذاب
- ❖ لو راسلك أحد وقال لك أنا قطب الوقت فهو دجال
- ❖ لو حدثك أحدهم وقال لك أنا المهديّ ولم يُعلن بعد جبريل عن المهدي فالأمر أمرين: إما أنه الرجل فعلاً وخصّك بذلك فذلك سر لا يُعلن عنه، إما أنه دجال. وكيف تعرف ذلك؟ إن أعلنها على الفضائيات وصفحات الفيسبوك وصار عنده أتباع مثل هذا الذي في العراق وذاك الذي في اليمن فهو دجال. الآن دعوة سرية، إن وجد الإمام المهدي فهي دعوة سرية، سواء كان ابن الإمام الحسن العسكري محمد ابن عبد الله أو غيره فليس الأمر يطلع عليه إلا أهل الخاصة. ولكن احذر أن تكون كإبليس أن تطلع على سر الحضرة ثم ترتاب، ف*عَوْضُ النَّظْرَةِ تأخذ نظرة* عوض نظرة الرضا تأخذ نظرة غضب لا ترتفع بعدها أبداً مهما حاولت ولا ترجع أبداً مهما حاولت إلا بعفو إلهي محمدي.
- ❖ إذا كلمك أحد ودعاك إلى التسنن وأنّ الحديث في خطر وأنّ من شكك في الحديث شكك في القرآن، وأنّ هذا يُرَوِّجُ لذلك، وأنّ خطر التشيع القادم من كل مكان... لماذا لا يكون خطر التسنن على التشيع، لماذا نحن نشكو من الهجوم ولا نهاجم؟ لما لا نقول مثلاً أنّ غداً سيكون كل العالم سُنيّ؟! أثبت حجّتك أظهر حجّتك، تكلم بعلم تجاوز المسائل..

مؤتمر العالم الإسلامي

إليك درساً من التاريخ حتى تفهم وتقرأ، للذين لا يقرأون التاريخ أبداً:

عندما تنادى علماء الأمة الأحرار الأغيار قبل سنة 29 بتأييد لمؤتمر القدس الأول، مؤتمر العالم الإسلامي الذي كان شعاره *القدس تناديكم*، ما الذي أعدّه مفتي القدس الشيخ المجاهد أمين الحسيني، من الذي ساعده وأعدّ له كل شيء؟ هو المجاهد التونسي الكبير الشريف حفيد الشيخ عبد الرحمن الثعالبي الولي الكبير الجزائري وجدّه لأبيه عبد الرحمن أيضاً أتى به إلى تونس منفياً من فرنسا، المجاهد الكبير عبد العزيز الثعالبي التونسي المظلوم الذي درّس لست سنوات في جامعة آل البيت وكان صديقاً لعدد من كبار علماء الشيعة والسنة، ومثل العراق في مؤتمر الخلافة سنة 24، وذهب إلى باكستان والهند والتقى محمد علي جناح ومحمد إقبال، وذهب إلى أندونيسيا وذهب إلى غيرها، ولعلّي كنت على خطاه عندما حضرت مع الرئيس الباكستاني بدعوة كريمة من أخي وزير الشؤون الدينية نور الحق القادري في تلك البلاد الطيبة، تحية له ولعارف علوي ولعمران خان رئيس الحكومة، وزرنا الشيخ أبو الحسن الهجويري الولي الكبير في لاهور.

المهم، الثعالبي مع أمين الحسيني يجمعان زعماء الأمة لمؤتمر القدس، من الذي مؤله؟ مناضل هندي كبير اسمه شوكت علي، حضر الشيخ رشيد رضا كان أصله من طرابلس شيخ الأزهر فيه جانب من السلفية، وحضر الأمير سعد الدين الجزائري حفيد الأمير عبد القادر من بلاد الشام بحكم أنّ الأمير عبد القادر نُفِيَ للشام وأنقذ المسيحيين وبُني له شارع الآن في الولايات المتحدة الأمريكية تكريماً لذكراه، وحضر الشاعر والفيلسوف الملهم العظيم محمد إقبال عاشق أهل البيت. ولكن من صلى بهم في القدس "قدس أقداسنا" هو *عبد الحسين آل كاشف الغطاء* المرجع النجفي الشيعي، هو الذي صلى بهؤلاء العلماء السنة في بيت المقدس. وأراد أمين الحسيني أن يكافئ الشيخ الثعالبي بنيابته في رئاسة المؤتمر فتنازل عنها للطباطبائي الإيراني وأعطاه ذلك. إذن هؤلاء الكبار لم ينظروا للاختلافات المذهبية.

نحن اليوم على طريقة الكبار، محمديتنا أكبر من مذهبتنا، **حيناً لآل البيت دين وليس مذهب**، لا يعني أنّ هنالك مذهب الشيعة يحبون آل البيت فإننا كسنة يجب أن نكرههم حتى نلتزم المذهب السني. أن تكون على مذهب معاوية وابنه هذا موضوع آخر، ذلك شأنك، **"يُحشر المرء مع من أحب"** كما قال المصطفى ﷺ. إذن أسأل الله أن يُحشر كل عشاق معاوية ويزيد معهم حيثما كانوا، وكل عشاق أعداء عليّ معهم حيثما كانوا، وكما قال الإمام عليّ **"من أحبني وجدني يوم القيامة حيث أحب ومن كرهني وجدني يوم القيامة حيث أكره"**.

دعك من المذهبية والطرائقية أيضاً، إن كنت صوفياً فأنت تحت قدم عبد القادر الجيلاني شئت أم أبيت، وشيخك وشيخه، ومن لم يُرد ذلك فليس بموصول ولا مقبول.

إن كنت شيعياً أيضاً يجب أن تُوقّر أهل الله وأن تعرف الصالحين. بعضهم من أدعياء التشيع ينتقص من الإمام الحسن ابن عليّ، يقولون كان يحب النساء وخذل والده، لم يقرأوا كلام الإمام الحسين ليلة قُتل عندما قال **"أبي خيرٌ مني وأمي خيرٌ مني وأخي خيرٌ مني"**. لم يقرأوا رد الحسن السبط على المغيرة وعلى شقيق معاوية وعلى معاوية في مجلسه بذلك الكلام العجيب الذي يُبيّن معدن الرجل البطل الإمام الهمام

الشجاع التقي النقي الأبي جدنا الحسن ابن علي. وبعضهم أيضاً يدعي التشيع ثم يسبّ عبد القادر الجيلاني وينفي عنه النسب، هذا قطب الصالحين وغوثنهم أجمعين وهو منسوب حسني حسيني ثابت ثابت، من أنت حتى تنتقص منه؟! كما يتلوى بعض السنة اليوم بانتصار المقاومة (بعض أدياء التسنن) وينسبون المقاومة كلها إلى إيران وإلى هذا الكلام الفارغ.

نحن نحترم الجميع

نحن نحترم الجميع ونحترم من يحترمنا، ذهبنا للهندوس وجلسنا مع علمائهم وأخذنا عن البوذيين من فنون الدفاع وفنون أخرى طاقية، نحترم الإنسان فيهم ونلتمس الحكمة التي هي ضالة المؤمن. وجلسنا مع بعض علماء اليهود والمسيحيين وأيضاً الشيخ ستار جبار حلو شيخ الصابئة المندائية في العراق وغيرهم من أهل العلم، **نجلس مع الإنسان**. لنترك الفتنة جانباً، تعالوا تحت راية رسول الله، تحت المحمدية البيضاء، اسمعوا لكلمات العارف بالله السيد عبد القادر الألووسي رئيس مجلس علماء الرباط المحمدي بالفلوجة الفيحاء بالعراق ونائبه الشيخ محمد النوري، لا نقول هذا مجاملة ولا نقول هذا رياء، اسمعوا لكلمات العلماء في هذه الأمة. انظروا للسيد سيف الدين أحمد في بنجلاديش ماذا يفعل (25 مليون مريد، 600 زاوية، 200 مدرسة، ونقيم عنده شهر وشهرين، محب وطيب ومتواضع)، السيد سلمان جشتي في الهند له جهد كبير جداً في الدعوة، السيد محمد عجان الحديد الرفاعي في أرض تركيا وما يقوم به من جهد في تصحيح مسار القوم، السيد عبد الرؤوف اليماني شيخ الطريقة الجهرية النقشبندية في بلاد الصين يُعدّ للمؤتمر الأول في الصين، لعننا إن شاء الله نحن مدعوون لحضوره، فانظروا كيف يفكر هؤلاء الرجال.. لدينا في بلادنا كثير من أهل الخير وفي هذه الأمة، اسمعوا كلمات الشيخ الطاهر براك حول آل البيت وحول الحسين والحسن في دروس الطريقة البلقائدية الكبيرة في أرض الجزائر.

لهذه الأمة أقطابها ورجالها، الفجر قادم وقريب، العدو مُنهزم العدو مُنخزل، كل دجال وكل دعي: قف الآن واستو إن الأمر قادم، نُب أو لن تُقبل منك توبتك ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا﴾.

لذلك لا تقل لي لم أقل لك، إن صحبة الصالحين صعبة، إن ذنوب المذنبين عندما تكون خارج الحضرة يمكن أن تُغفر، لا تتقمص دوراً لست عليه بقادر، اصحب أهل الله بالأدب واصحبهم بحسن الظن، لا تسئ الظن في أحباب الله وأحباب رسول الله وأحفاده، احذر إن لهم من يغضب عنهم وحتى إن صمتوا.

"أدب الصحبة" سيكون كتاباً من كتبي إن شاء الله أُبين فيه هذه القواعد دون مبالغات، لا أقول لك كما نُجل عن الشيخ عبد القادر ووضِع له أنّ على المريد أن يكون بين يدي شيخه كالميت بين يدي مُغسله، هذه حقّقها الشيخ مخلف العلي القادري (أدعوكم لمُتابعته وأخيه الشيخ عيسى العلي) له دروس ومواعظ رائعة فشاهاؤها وتابعوها، وقد حقّق أنّ ذلك لم يقله الشيخ عبد القادر بل قال **"وعلى المريد أن يكون بين يدي ربه كالميت بين يدي مُغسله"** التسليم لله، نعم نسلم لأهل الله ولكن ضمن ضوابط ضمن معرفة.

كيف نتيقن؟ بأن نكون قد طهرنا قلوبنا. كيف أراك الآن وتراني، العين ترى ثمة ضوء ثمة حجم ثمة مسافة ثمة آلات للسمع والبصر، كذلك القلب. **طهر عين قلبك وأذن قلبك لتفهم.** لأن الذي يصاب بمرض ولوثات الحسد كله هذا الكلام سوف يسبنا عليه ولن يجد فيه شيء، ونحن أصلاً لا نخاطبه ولا نعينه ولا نهتم به، هذا الكلام يذوقه قلة. إن كأس الحليب الفاسد أو جيفة فاسدة يحيط بها آلاف الذباب، أما الغابة كلها قد تجد فيها أسد أو اثنان أو ثلاثة، نحن نخاطب هذه القلة، لا الذين في قلوبهم علة. مرض الإرتياب مرض خطير جداً، مرض يظن به صاحبه أنه قد وصل للحقيقة، يظل يشك ويُسكك ولو وجد دجالاً لا تتبعه. لذلك المقال الذي أرسلته اليوم إليكم حول الذين يُصابون بهذه اللوثة الارتيابية، هذه اللوثة التي لا ينجو منها إلا قليل للأسف، لوثة صعبة.

محمديون قبل المذهبية، إنسانيون قبل الديانة

نحن من قواعد مدرستنا الأساسية التي نزعُم ونُدعي (في ظن البعض)، ونحن واثقون في يقيننا وياقنين من يعرفنا وصحبنا طوال الطريق القديم، لم نبدأ لم نخرج الآن ولم نتكلم إلا بعد تمكُن وترحال وبعد أن عرفنا ما نريد أن نقول ولماذا نقوله وإلى أين نريد أن نصل وإلى أين يوصلنا الطريق، ليس الأمر هكذا:

القاعدة الأولى أننا محمديون قبل المذهبية وأنا إنسانيون قبل الديانة.. ديننا وسام على صدورنا، ولكن ديننا الحقيقي أمرنا أن نكون إنسانيين، ميثاق المدينة ميثاق إنساني، ديننا العظيم دين الإنسان دين المحبة الإنسانية الغامرة. أبحث عن يشابهني من بني الإنسان لنواجه هذه الظلمة الكبيرة، سيأتي صاحب الراية ليجمع كل الطيبين من بني البشر على اختلاف دياناتهم، أحاوره فيما يجمع بيني وبينه، في المشتركات، أحترم عقيدته أحترم دينه، وإن كنت أختلف معه وإن كنت أعلم أن الله سيظهر الإسلام على الدين كله.

محمديون قبل المذهبية، قد تكون سنياً أو شيعياً أو غير ذلك من مذاهب الأمة، ولكن حتى إن كنت ضمن المدرسة الوهابية (إن جازت العبارة)، فاعلم أن ما يقوله شيخك يقبل أن تنقده، إذا دعاك إلى القتل مثلاً، إذا قال لك أن الصوفية كلهم كفار، هذا كلام فارغ. إن كنت محدثاً وركّزوا لك فقط على الجرح والتعديل وعلم الرجال، والتمن مفضوح مكذوب، "الرضاع الكبير" هل يصح ذلك؟ هل تظن أن إبراهيم يعطي امرأته ثم يجادله بعد ذلك **﴿ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ ﴾** إبراهيم العظيم الذي وهو فتى ألقى في النار فقال له جبريل: ألك حاجة؟ قال: أما لك فلا، يُعطي امرأته؟ أنت تعطي امرأتك؟ أنت أشجع من إبراهيم العظيم خليل الله؟ تظن أن هاجر لمسها ذلك اللعين النمروود حتى تنجب إسماعيل بعد ذلك؟ يرضى الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** ذلك؟ **حتى امرأة فرعون لم يقربها فرعون**، خذها من عندي، وكانت من كوش من بلاد السودان، نوبية (إن جازت العبارة)، أخذها افتكاكاً من أبيها، فسَلط الله عليه عجزاً فلم يستطع أن يقربها، لذلك لا تجد ذرية لفرعون لم يكن له ولد.

إلهامات الخواطر الربانية

يَدْعُونَ أَنْ هَذَا يَدْعِي الْأَسْرَارَ وَذَاكَ يَدْعِي الْأَسْرَارَ... ومعلومة بسيطة بالنسبة للجفر: أصل التسمية من الحفر، من الكتابة على الرمل، كان رسول الله ﷺ يكتب للإمام علي أموراً وأسراراً ثم يمحوها، وكان الإمام علي يكتبها ثم يمحوها. "جَفْرُهُ" نوع من الترميز، وليس فقط عبر حساب الجُمَّل والآيات هكذا. هنالك الكثيرون حتى من تونس يدعون في ذلك، احذروا هذه الأمور، يعطيك معلومة صحيحة ومائة ألف معلومة كاذبة، بعضهم لديه بعض الجن، بعضهم لديه بعض الشركات الدولية تعمل على إظهاره حتى يفتنوكم عن سبيل العارفين الحقيقيين.

من عَرَفَهُ اللهُ عَرَفَهُ بِخَلْقِهِ وَكُونِهِ وَسِرِّهِ وَكَلِمِهِ فِي قَلْبِهِ بِالْإِهَامَاتِ الْخَوَاطِرِ الرَّبَّانِيَّةِ، لا كَلِمَهُ تَكْلِيمًا كَمَا كَلَّمَ موسى ولا أنزل عليه وحياً كما أنزل على رسول الله محمد ﷺ بجبرائيل، إنما هي خواطر قلوب، معارف وأذواق لم تخل منها الأمة. حتى بلغ بالصالحين من قبلنا أن يقولوا كلاماً أعظم من أن يقولوا "أخذت عن الخضر علماً"، قالوا "حدثني قلبي عن ربي" وسمّاها العلماء بالفهوانيات من فاه يفوه (فاه الرجل إذا تكلم). وارجعوا إلى فهوانيات وشاهدوا بعض البرامج لبعض العلماء عن هذه المسألة من بينها المواقف والمخاطبات للنفتري، مرة يقول "استوقفني فقال لي" ومرة أخرى يقول "خاطبني فقال لي" يتكلم عن رب العزة، ولم يُنكّر عليه العلماء ولم يقتله أحد. ومن بين كلماته العظيمة "إذا اتسعت الرؤيا ضاقت العبارة". وللشيخ عبد القادر الجيلاني فهوانيات من بينها أنّ الله قال له "يا غوث الأعظم قل لأحبائك وأصحابك إذا أرادوا صحبتي، فعليهم بالفقر ثم فقر الفقر، ثم الفقر عن الفقر، فإذا تم لهم ذلك فما ثمّة إلا أنا"، كلام عجيب.

ألا يجوز أنّ الله ﷻ يناجي قلوب عباده؟ وكل خاطر خير من عنده وكل فضل من عنده، أيعجز الله عن ذلك؟ ولكنه ليس وحي نبوة لا نبي بعد رسول الله، ولا وحي من السماء ينزل على أحد بالقرآن وبالهدى وبالديانة بعد محمد ﷺ إطلافاً، ولكنها خواطر قلوب، كما قال الإمام علي "ما يزال الله بين الفترة والفترة رجال ناجاهم في رؤوسهم وحدثهم في ذوات قلوبهم" ويقول رسول الله ﷺ "كان في الأمم من قبلكم مُحَدِّثُونَ يُلَقُّونَ الذِّكْرَ وَمَا هُمْ بِأَنْبِيَاءَ" يعني بالذِّكْر: العلوم، وكان يعني أهل الكهف لأنهم لم يكونوا أنبياء وصحبوا الخضر فلقنهم.

وفي كلمته إشارة عظيمة وهي ما استبطنناه عندما قلنا: وإذا جاز ذلك في الأمم من قبل فكيف لا يكون في خير أمة أخرجت للناس، أمة الأفضل الأفضل الأفضل، أمة أفضل نبي وأفضل وصي وأفضل ولي، أمة محمد وعلي والمهدي، وما بينهما من أئمة وصالحين وأكابر؟ وإن صحّ ذلك للأمة بأسرها، أفلا يكون في أفضل الأمة وأشرفهم الذين قال عنهم رسول الله ﷺ جدّهم "إِنَّ كُلَّ حَسَبٍ وَنَسَبٍ مَقْطُوعٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا حَسْبِي وَنَسْبِي"؟ إذا حَسَبَ رسول الله ﷺ مستمر وسرّه مستمر... فهم أولى الناس بأن يكون منهم مُحَدِّثِينَ يُلَقُّونَ الذِّكْرَ وَمَا هُمْ بِأَنْبِيَاءَ، أي *يُلَقُّونَ المعارف*. "إذا قرأ أحدكم سورة الضحى وأدامها أرسل الله إليه من يعلمه دينه"، "إذا أضحأ أحدكم طريقه فليقول يا أهل الله أغيثوا"، "أبدال الشام بهم تُمَطَّرُونَ وبهم تُغاثون" كلها أحاديث نبوية ثابتة.

ولا يحدثنا أحد عن الوضع والدس وعن هذا صحيح وغير صحيح، والله إني فقط غير مأذون في الكلام وإلا لكانا أذهلنا أهل هذه الصنعة والله على ما نقول شهيد. لا نقسم هكذا عبثاً ولا نلعب، نحن لسنا

نلعب هنا في هذا المجلس، نعرف مخاطر هذا الكلام ومن يشاهده من أعداء ومن يشاهده من أحاباب، ونعرف وندري جيداً كما كنا في الإعلام من قبل، كما واجهنا الإرهاب، كما سافرنا في أرض الله، كما وقفنا ضد داعش وغيرها، وكما سنقف بإذن الله سالمين غانمين حتى نصلي في القدس وحتى يجعل الله لنا من أمره ومن مدّة ما أراد لنا، ثم سنلقاه غير هَيَّابِين من ملك موت ولا من موت ولا راغبين في جنة ولا خائفين من نار، نلقاه ونحن مؤمنون به ونحن مُسَلِّمون له.

إذن هذا مهم جداً حتى نفهمه، مهم جداً حتى نتجنّب الفتن وحتى نُحسن الصحبة. من أراد أن يستمر معنا فهذه قواعدنا.

لماذا نزاحم عَلِيّاً

نحن محمديون نحب آل بيت النبي ﷺ، لا نقدّم من الصحابة أحداً على عليّ كما قال النبي ﷺ: "أنت مني بمنزلة هارون من موسى" ولا وجود لأحد بين موسى وهارون إطلاقاً. لا يعني ذلك انتقاصاً من أحد، حَسِبَ الصاحب لرسول الله أنه صاحبه، لماذا نزاحم أهل البيت في مقامهم، لماذا نزاحم عَلِيّاً "لأعطينَ الراية غداً لرجل يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله" لماذا لم يستطع أحدٌ غيره فعل ذلك، لماذا هو الوحيد الذي قتل عمرو ابن ود، لماذا هو الوحيد الذي قتل مرحب اليهودي، لماذا هو الوحيد الذي حمل باب خير، لماذا هو الوحيد الذي زوّجه الله بفاطمة، كما قال جعفر الصادق "لو لم يخلق الله عَلِيّاً لما كان للزهراء من عدل"، لماذا هو الوحيد الذي رفعه رسول الله على كتفيه ليهدم الأصنام، وهو الوحيد الذي قال له أنت أخي وأنت خليفتي، وهذا قاله حتى من قبل قاله لما ﴿أَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ ومحمد حسين هيكل عندما كتب ذلك في كتابه ضُغَط عليه فزعرها، "هذا عليّ أخي وخليفتي من بعدي" عندما وقف عليّ وهو صغير وقال: "أنا يا رسول الله معك، أنا حرب على من حاربك" بعد أن هتف رسول الله ﷺ من معي وضحك عليه من ضحكك..

إذن المسائل واضحة، نحن نحب آل البيت، نقف مع قتيل كربلاء نُعلنها صراحة هيهات منا الذلة، نحن مع الحسين وضد أعدائه، مع الحسن ونوقره ونُحبه ونُجلّه لا نستنقص منه شيء، مع أئمة آل البيت ومع الصالحين ومع المحبين ومع العشاق ومع المعتدلين من جميع المذاهب. قِسنِي كما تريد قل ما تريد، ليس لدينا تَقِيّة وليس لدينا مشروع خفي (كما كتب بعض الأشقياء) ولسنا ننشر مذهبيات، نحن ندعو إلى حب محمد وآل بيته، ندعو إلى حب الصالحين، ندعو إلى إخاء الإنسان بالإنسان، ندعو لنهوض الأمة، ندعو لفهم القرآن، ندعو للتميّز في العلم، ندعو لممارسة فنون الدفاع والرياضة، للإعداد لبناء المطار لاستقبال المهدي، ندعو لاتباع هذا الحق، نبشّر بنور قادم، بنور ساطع، بسيف قاطع، بآية ظاهرة، بحُجة باهرة، بسيوف من عند الله شاهرة، بقوى قاهرة، نبشّر بذلك ونوقن منه.

نحن وجوهنا تراب للثابتين في القدس، لكل طفل وطفلة وامرأة وشاب وشابة يتخذون الحجارة سلاحاً، لكل الواقفين في أكناف بيت المقدس نحن غُبار أقدامكم، نحن غُبار أقدام الثابتين في غزة العزة، نحن غُبار أهلنا في الشام، نحن غُبار أقدام الطيبين في أرض الله كلها، من جميع الأديان نحن نحبكم لأنّ الله يحبكم، لأنّ الجنة دار الطيبين، لأنّ القادم سيكون وراثه للطيبين، لكل الفقراء والمعذّبين في الأرض، لمن

نهبتهم القوى العظمى، لمن حاربتهم، لمن نشرت فيهم الأمراض كما ينشرون اليوم. وقد رأينا الفقر في الهند وفي غيرها وجُلنا في الأرض، لم نجلس في بيوتنا، نحن طُفنا العالم تقريباً ونعرف عما نتكلم، التقينا بالرؤساء والتقينا بالقادة والتقينا بالفقراء وجلسنا في بيوتهم نأكل من طعامهم البسيط رغم أنه ينظر الناظر إليه فلا يستطيع أكله، جبراً للخواطر، لا نقول ذلك افتخاراً وادّعاءً.

من أراد أن يصحبنا فليلمز الأدب وليتعلم، هذه راية محمدية حقيقية، راية تخرج من أرض الزيتون التي ليست بشرقية ولا غربية، وهذا زيتها ولو لم تمسه نار، وتلك أسرار من أسرار المشكاة.

نحن خدام أئمة آل البيت، خدام المهدي وتراب قدميه، خدام لبلادنا، نحب وطننا، نحب أرض الدغباجي وعلي بن خليفة النّقّاتي وبلاد الصالحين، نحب تراب هذه البلاد ونحب أرضنا وعراقنا وشامنا ويمنا وأرض ليبيا أرض جدنا القطب عبد السلام الأسمر.

هكذا هي الأمور، نعبر شعراً، نعبر نثرًا، نعبر رياضةً، نعبر كما شاء لنا الله، هذه أمور نسأل الله أن يُثبتنا ويُثبتنا.

خاتمة

وأختم بصرخة هتفت بها اليوم ولم أنشرها بينكم:

- الحمد لله الذي اطلع على سيناتي ولم يأخذني بعذابه، هؤلاء اطلعوا على حسناتي فرموني بالحجارة.

وصدق جدي الإمام عليّ عَيْهِ السَّلَامُ عندما قال: "إلى الله أشكو من معشر يعيشون جهّالا ويموتون ضلّالا، ليس فيهم سلعة أبور من الكتاب إذا نُلي حق تلاوته، ولا سلعة أنفق بيعاً ولا أغلى ثمناً من الكتاب إذا حُرّف عن مواضعه، ولا عندهم أنكر من المعروف ولا أعرف من المنكر".

نسأل الله جل في علاه أن يقينا هؤلاء، وأن يقينا المرتابين والذين يقتربون ليحضنونا ويقبلون الأيدي ويا مولانا يا مولانا ثم يطعنونا في الظهر، كما فعل الأشعث في صف الإمام عليّ، وكما فعل من نافقوا في صف محمد ﷺ وكما فعل غيرهم. نحن نحب من أحبنا ولا نبالي بمن كرهنا، نقبل بمن تَبِعنا بأدب ونُعْرِض عن من أراد غير ذلك، لا ندعي أننا صلحاء لا ندعي أننا عارفون، إنما نحن واثقون أننا عشاق وأننا خادمون لهذا الطريق.

إلهي وأنت تعلم بالحال وَخَفِيَّتِهِ اكتب لنا من سرّك ونورك

ونورني بأنوار الرسول
فلا تحرمني من شرف الوصول
فإني أتيت من كنف البتول

إلهي جُد لقلبي بالقبول
إلهي يا إلهي أنت ربي
وجُد باللطف يا مولاي عطفاً

كما قلت ذات قصيدة.

والسلام عليكم وبارك الله فيكم وجزى الله من سمع الكلام فاتّبع أحسنه، وعفا الله عني وعنكم. إلى بناء سفينتنا حتى نبلغ ذلك القدس الجميل العظيم على يقين، حفظ الله قلوبكم من الإرتياب وأنفسكم من الإضطراب وحفظني معكم من ذلك أيضاً، وإلى لقاء آخر إن شاء الله،

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

المحاضرة بتاريخ: 21-05-2021



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

التأمل الرابع والعشرون: فخلقت الخلق لأعرف - نظرة في سر الإيجاد-

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي دلّ به عليه وهدى منه إليه، الحمد لله الذي أكرمنا بمعرفته بعد أن أكرمنا بخلقه لنا، وصلى الله على أعظم العارفين بالله وأقرب الأقربين إلى الله وأدلّ الدالّين على الله وأهدى الهداة إلى مولاه سيدنا وإمامنا ونبيّنا محمد ابن عبد الله حبيب الله ورسول الله وعلى آل بيته الطيّبين الطاهرين الغرّ الأبرار، وسلاماً على أصحابه المهاجرين والأنصار، وسلاماً على أهل الله أهل الدائرة وعلى هداة القلوب الحائرة.

السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته أهلاً بكم في هذا اللقاء الجديد ضمن التأملات العرفانية، وهي الحقيقة تأملات تخاطب العقل والقلب والروح معاً، تتكامل مع "التأملات الفكرية" التي نتخذ فيها جوانب من: المنطق - الفلسفة - التاريخ - الإستراتيجية - علم الاجتماع = كشكول علمي نقدّم فيه رؤيتنا الفكرية، وكذا "الدروس البرهانية" والتي تنبع من موسوعة في "العلوم الخضرية اللدنية". وكل هذا مع البراهين العقلية والعلمية والقرآنية، وهو يمتزج مع بعضه مع ما يكون من: الأدب - الفكر - فنون الدفاع - العلوم المختلفة التي نكتب فيها في موقعنا أو نقدّمها لكم، كلها ملامح من مدرسة فكرية عكفنا على تطويرها لأكثر من 20 عام، ونعتقد أننا جاهزون إن شاء الله وأنها جاهزة للظهور، وهذه مظاهر وظواهر من أمر إن شاء الله يجلو أو يُجلى بشكل أكبر تدريجياً.

حكمة الإيجاد

التأمل اليوم عن مسألة خطرت لي وأنا أتفكر في الحديث القدسي "كنت كنزاً مخفياً فخلقت الخلق لأعرف" طبعاً دون أن نناقش متن هذا الحديث وسنده، المهم فيه هو المعنى التقريبي الذي أردنا أن نبينه. المعنى التقريبي في هذا الأمر هو أنّ الله جل في علاه خلق الخلق ليُعرف، من هنا سيكون لنا كلام في فلسفة وجودية كاملة في **حكمة الإيجاد: الإيجاد سابق للوجود**.

نحن نعيش في زمن طغت فيه نظرة إحادية - مادية: زيّفت "حقيقة الوجود" وأنكرت "حقيقة الإيجاد"، أي أنها ادّعت أنّ هذا الوجود نشأ من حيث لا يعرف سببه إلا أنه مصادفة.

- ❖ إذا قلنا أنّ المصادفة أنشأت هذا الوجود فالمصادفة سابقة للوجود فهي أيضاً بزعمهم إله.
- ❖ أو قال هوكنج أنّ الوجود نبع من قوة الجاذبية وأنه لا يحتاج إلا لها ليوّجد، وعليه تكون الجاذبية سابقة فهي إله.
- ❖ أو أنّ ذلك أتى من تأتّ للطبيعة بذاتها في ذاتها على إيجاد ذاتها والتحكم في ذاتها عبر سلسلة من العشوائيات والمصادفات التي أوصلتنا إلى هذا المستوى وصارت الكائنات من أحادي خلية إلى هذا، وعمليات من مواد عضوية أتت من نيازك شكّلت هذه المادة في كوكبٍ فقط، وظلّ الأمر يسير على ملايين السنين حتى ترقّى القرد وصار بشراً يتكلم ويُبدع ويُنتج الثقافات والحضارات وله مميّزات وخصائص غريبة وعجيبة، ولكن رغم ذلك هنالك تشابه في الحمض النووي كبير بينه وبين الشمبانزي، ورغم هذا الإعجاز الحقيقي إذا نظرنا إليه إيمانياً أنّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى رِغْم هذا التقارب ورغم أنّ الأجنّة في أشكالها الأولى متشابهة، ولكن هذا إنسان مثقّف واعي يتكلم يكتب له موسيقات وحضارات ومعمار وتاريخ وذاك كائن يعيش في غابة ولا يملك من الوعي والعلم شيئاً.

في هذا الظرف الذي نعيش فيه في هذا العالم الذي أصبح فيه سُعار، هنالك **حمى إحادية** كما هنالك **حمى شذوذية** كما هنالك **حمى تكفيرية تطرفية**، هنالك تطرّفات على جميع المسارات. الإيجاد أنكر، والعلماء الآن يتكلمون عن الأجزاء الأولى من الثانية التي كان فيها الوجود (صفر و30 صفراً خلفه من ثانية من الوجود)، هذا قالوا: حسبناه؛ قبله؟ قالوا: العلم ليس مسؤولاً عن الأوليات أو من أين جاء العالم، هذا تركناه للفلاسفة؛ ثم قالوا مرة أخرى: الأمر لا يتجاوز أن يكون صدفة كما يقول دوكنز عندما قال "فجأة حدثت المعجزة" هكذا دون مسبّبات وكان زمن وكان خلق وكان وجود وكان عالم، ويوصّفونه بأفلام فيها ثلاثي الأبعاد والانفجار العظيم وغير ذلك، ويأتون ببعض ما اكتشفوا من حقائق يضيفون إليها حسابات وأرقام تسلب الأبواب، وكأنهم إذا كتبوا معادلة ما على سبّورة ما فسروا الوجود، وكأنني عندما أكتب مبلغاً على ورقة أصبح المبلغ بين يدي.

← كل تلك المعادلات لا تعني أنك فهمت هذا الإيجاد.

نحن كمؤمنين وكمعتقدين في وجود الخالق وهذا حقنا وهو الحق، ورغم ذلك نريد أن نلامس العقول الأخرى لعلّ فيها من ضلّ عن السبيل، لعلّ فيهم من رأى وسمع جهالة ينطقون باسم الإله وينطقون باسم الدين وظنّ الدين جهلاً وظنّ أنّ الله هو المتجلّي على هؤلاء القتلة والجهلة الذين يقتلون الناس والذين يقتلون المعنى أيضاً: هنالك من يقتلون البشر يُدّبح بادعاء التكبير، وآخر يقتل المعاني الجميلة يقتل العقل والعقلانية يقتل الفكر يقتل الإبداع يسجن الناس في أمور لو صدقت بها أضعت عقلك ولو أنكرتها أضعت إيمانك، وضعوا الناس ضمن هذا، وهذا اشتغل عليه منذ البدايات في الوضع والتحريف والتزييف والإسرائيليات. ولكننا نحن المؤمنون بهذا الإله جل في علاه، على سلامة العقيدة وعلى ما كان عليه أهل الحلّ والعقد وأهل العلم من تنزيه الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** عن الجسمانية وعن التشبّه بأيّ من خلقه وعن الحيثية والأينية والكيفية، لا يوجد في زمان ولا يوجد في مكان ولا يوجد في كيف، ليس هنالك كيف للذات الإلهية، لا تُكَيّف بما يتصوّر العقول والأفهام، ولا يمكن أن يخطر ببال مخلوق كيف هي ذات الله، ليس هنالك كيف يُعلم، ورغم ذلك الله معلوم، أما الصفات لها تكييفات ربانية.

فخلقت الخلق لأعرف

وعلى ذلك فهذه القصة أو هذا الحديث أو هذه الإشراقه هذه البارقه هذا المعنى أنّ الله خلق الخلق ليُعرف، نرى من خلاله أنّ الخالق جل في علاه:

• أحب ذاته، أحب صفاته، حالة عشقية ذاتية ربانية.

هذا الحال نجده في الروايات عن "ما بعد القيامة" عندما يزول كل شيء وينادي الله "من الملك؟ أنا الملك". حتى في الآيات القرآنية تجدون آيات فيها "محبة الله لله": **﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾** هذا النور نور حب، نور فيه إجلال الجليل لذاته جل في علاه. **﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾** وهو يُدرِك ولا يُدرَك، يرى ولا يُرى، هو اللطيف الخبير، هو السميع البصير.

الله جل في علاه ضمن هذه العلاقة الحبية الذاتية وهو الذي يمجد ذاته بذاته وهو العزيز الحكيم، خلق الخلق بعزم الإيجاد ضمن مشروع وجود. هذا الإيجاد الذي كان على غير مثال قلّد عليه وعلى غير حاجة للخلق وعلى غير افتقار لهم، وعلى غير شبيهه أو نظير أو ولي من الذل، وعلى غير وحشة ورغبة في استئناس، إنما الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** خلق لحكمة.

حكمة الخلق

وأول حكمة من خلقه أن خلق خلقاً

1. ليروا عظمته
2. ليمجدوا ذاته
3. ليتعشقوا صفاته
4. ليطلبوا قربه
5. ليرغبوا في مجالس أنسه وخمور قدسه
6. ليتقوا ويرتقوا

فخلق الخلق على هذه القاعدة الإيجابية الأساسية ﴿إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾، "خلق خلقاً مربوبون" كما قال الإمام علي عَلَيْهِ السَّلَام، أي أنهم عباد لربوبيته، عباد له، تحت ربوبيته العظمى، خلق خلقاً يتألهونه بالعبادة فكان إلههم، خلق خلقاً يرغبون في ما بين يديه، فإذا ما ارتقوا عن ذلك وكانوا قبله يخشون عذابه ويطمعون في فضله، بلغوا مستوى ﴿يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾، فأرادوا ذاته، وتعشقوا صفاته.

الخلق الأول إذاً كان في هذا الإطار "إطار تجلّي الجمال الإلهي": رغبة ربانية في التجلية، في أن يتجلّى بجماله ورحمته، فوسعت رحمته كل شيء قبل البداية. وهو الذي خلق الجمال فجلى من جماله جمالاً، فجلى من الجمال جمالات وكمالات، هو الذي خلق الكمال فكمّل من أراد، وهو ذو الجمال والجلال فجمّل من أراد وجلّل من أراد.

❖ فكان الأولون الأقرب ملائكة عظمى: جبرائيل الذي جلى عليه "جبروته"، وميكائيل الذي أعطاه "حسابه" وعزرائيل الذي كلّفه "بحكمة الإيجاد وحكمة نفي الإيجاد" فكان يحمل الأرزاق والمنايا، إسرافيل صاحب "النفخة والقوة".

❖ ثم خلق جنة فكتب أسماء أهلها وخلق ناراً فكتب أسماء أهلها قال "هؤلاء إلى الجنة ولا أبالي وهؤلاء إلى النار ولا أبالي"، حكمته التي بلغت: حكمته التي سبقت، وكلمته الأخرى التي حقّت.

❖ وضمن هذا الخلق العظيم لله جل في علاه كانت الأرواح الأولى العالون مقاماً: أجل خلق جبرائيل ليجعل فيه قوة من تجليات قوته العظيمة ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾، خلق ملائكة عزة وقرب يعبدونه ويسجدون له، لا يعصونه ما أمرهم، نور على نور.

❖ وخلق من الخلق خلقاً، أي جعل من الأرواح أرواحاً، هكذا - خيوط موصولة: أرواح من أسرار أرواح: جند جبرائيل من سرّ روحه - وجند إسرافيل من سرّ روحه. وعلى "مراتب تزمين الخلق" تكون "المقامات"، لكلّ مقام معلوم، بأعداد لا تتصوّرها العقول، فملأوا ما بين العرش والفرش.

- ❖ جعل العرش لتجلي ذاته ولم يحتج إليه، ولا يحويه ولا يجلس عليه كما يظنّ الجاهلون بالله، استوى استواء تجلّ استواء عظمة استواء القاهر فوق عبادته.
- ❖ وخلق جنة للجماليات والأنوار.
- ❖ ولكن سبق ذلك أرواح عظمى.

المعشوق الأول والعاشق الأول

هذه الأرواح العظمى، اختار بالسابقة من قبل الإيجاد وهو يعشق ذاته، أراد أن يخلق من يعشقه. أراد العاشق العظيم المحب الأول الرحمن الجميل الأعظم أن يجعل مرآة لجماله وهذه الأنوار العشقية الحبية، فيكون المخلوق معشوقاً أولاً وعاشقاً أولاً، محبوباً بالأسبقية ومحباً بالأسبقية، محبوباً كأعظم وأول من أحب الخالق قبل أن يخلق ومحباً كأول الأرواح حباً لله ﴿وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾. خلق روحاً عظيمة حمّدها وحمّدها، مدحها امتدحها منحها، فتح لها وفتح بها، وجعل رحمته التي وسعت كل شيء في تلك الذات، فرحمته وسعت كل شيء، وجعل ذلك الروح العظيم رحمة للعالمين بالسابقة. **خلق روحاً جعل كل الذين خلقهم خدماً لها**، روح أدنى من جبرائيل القوة ومن ميكائيل الحساب ومن إسرافيل السرّ والعظمة ومن رضوان الجنة ومالك النار، روح عظمى حبيبة قريبة **الروح الأحمدية** روح سيّدنا رسول الله ﷺ بالسابقة من قبل "ألست" بمراحل ومراحل وأزمنة، من قبل أن تكون جنة وأن تكون نار، من قبل أن يكون فرش من حيث كان عرش. هذه الروح العظمى هي **روح الحب الإلهي: ما أحب الله ولن يحب أكثر من رسولنا محمد ﷺ**، وما خلق الله أكرم عليه وأقرب إليه معشوقه وعاشقه، ما خلق محبوباً له ومحباً له مثل سيّدنا محمد. سيّدنا محمد هذه الروح الأحمدية العظيمة في السابقة جعلها في سرّ وكنفٍ عظيم، فكانت الأزمنة وكان الإيجاد وتجلي بالرحمة على ملائكة رحمة وخلق ملائكة على صفاته.

انعكاسات للأنوار

وبما أنّ الصفات في بعضها مرآة عكس: كما أنه هو النافع فهو الضارّ / كما أنه هو الرؤوف الرحيم فهو المنتقم... جعل انعكاسات للأنوار. فكما خلق جبرائيل والملائكة من أنوار سرّه ونوره محبين محبوبين وخلق أنبياء ومرسلين وأولياء صالحين أرواحاً قبل التشكلات الدنيوية وقبل السماء الدنيا قبل أن تكون سماء، خلق كذلك كائنات ومواضع فيها نقمته وضرّه وغضبه، مكروهون بالأسبقية. حتى يعلم المقرّبون مكانهم ومكانتهم وعظيم فضله عليهم فيخروا له سجّداً، حتى يعلموا بالضدّ أنّ الضدّ مبين لضدّه، كما أنّ الليل مبين للنهار والعكس صحيح، كما أنّ الأعمى فيه رسالة للذي يبصر: أنظر نعمة الله عليك، إنّ كل الدنيا لو وُضعت في كفّ الأعمى ليستعيد عينيه لضحّى بها كلها. هكذا خلق شياطين أودعها في سجين، نفخ فيها من سرّه باسمه الضارّ وباسمه المنتقم وباسمه المميت، بتلك الصفات، فكانت **روحانية سفلية** فسجنها في سجين وجعل لذلك نصيباً، وجعل جنة لمن سيختار ما اختير له من نور **"كل ميسّر لما خُلق له"**، وجعل ناراً لمن كتب عليهم عذابه، وهو الحكيم ولا يُسأل وهم يُسألون ﴿فَعَالٌ لَّمَّا يَرِيدُ﴾ ﴿حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ﴾... أمور إذا أتيتها بمحض عقلك انكسر محض عقلك، خذها بالقلب تسليماً، واعلم أنّ الله لا

يظلم أبدأ، وأنهم وإن كانت عليهم كلمة حقت فإنهم ظالمون مجرمون، وأن الله جل في علاه لم يظلمهم شيئاً.

ميدان الصراع

وبذلك استوت حكمة الإيجاد واقتضت أن يكون ميدان لهذا الصراع، ميدان يجلي الله فيه ثلاثة أصناف من الخلق:

نوع كامل مقرب حبيب يأتي إلى عالم من المادّة، تنزل تلك الأرواح والأبدان في الأجساد والأجسام بقدر بحكمة بقصة محبوكة علمها منذ البداية وأودعها في القلم مصوّرة موثقة ثلاثية وتساعية حتى 19 بعد، جعل أولها وآخرها بعلمه وأحاط بها في كتابه، وسجلها سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي ذَلِكَ الْعَالَمِ الْمَخْبُوءِ فِي اللُّوحِ الْمَحْفُوظِ فِي أَمِّ الْكِتَابِ فِي الْبَيْتِ الْمَعْمُورِ فَوْقِ السُّدْرَةِ. فكل الوجود مطوي عند الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى قَبْلَ الْإِجَادِ، كل مشاهد النار التي ذكرها في القرآن هي مشاهد حقيقية مدوّنة في القلم، ما مضى سُجِّلَ وَرُقِمَ فِي كِتَابٍ مَرْقُومٍ بَيْنَ عِلْيَيْنِ وَسَجِينٍ، وما سيأتي وما كان من الوجود كله مسجّل بالسابقة ﴿إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا﴾.

فاقتضت الحكمة إذاً خلق كَمَلٍ فِي كَائِنَاتٍ كَثِيرَةٍ وَكَوَاكِبٍ عَدِيدَةٍ فِي سَمَاءِ فَلَقِهَا، جعل سواداً مركوماً مضغوطاً فيه قوة جذب على طبقات ثلاث ثم جعل مفردةً فجّرها فأجرى بها من حكمته وأظهر من وجوده كواكب وأجرام وسماوات، وبعد ذلك بعد أن قضاهن سبع سماوات وبعد أن أودع في الأرض (بهذا المعنى الأرض تعني كل كوكب فيه مادّة فيه بحر فيه ماء فيه تراب) وكان ذلك عامراً على الكون كله، جعل خلقاً، وجعل نصيباً في هذا العالم المظلم أكبر للذين فيهم الظلمة، لهذه الأرواح الخارجة من سجين بأبدانها وشربها لتفسد وتسفك الدماء. فجعل معها شيطانية سفلية تجذب إلى أسفل، وجعل في المادّة السوداء طاقة مغناطيسية تدفع للموت والفناء والإنهاء والحرب، وبدأت المعركة: هؤلاء مقربون مستضعفون، وأولئك أشرار يطغون، جعل مالاً ورُخرفاً وذهباً ومعادن أخرى، وخلق خلقاً من معادن كثيرة من أنواع كثيرة منهم من النار ومنهم من غيرها، جنّاً وكائنات أبشريّة وسوى ذلك.

فلما كانت حكمته ذاك كانت حرباً أدّت في النهاية إلى دمار كلي، سجنّت كائنات يأجوجية مأجوجية نارية غير مدركة بالكلية للخير والشر، برمجية خارجة من عوالم سجين، وسجن روحاً سفلية مع شياطين 9 ومعهم ما معهم من أرواح سفلية، وجعل مفتوناً في ختام الرحلة لهذه السماء الدنيا (وما فوقها كله نور وملائكة وأهل قرب) جعل كائناً من سلالة نارية، ورفعها إلى أعلى وفيه نقطة الحسد. خرج بتلك النقطة من دائرة الرحيم إلى دائرة الرجيم وخرج منها من عين عليها فتحة في "عطاء" إلى انكسار العين ونقطة الحسد في "غطاء"، صار محجوباً مذموماً مدحوراً وأطرد بعد أن رفض أن يسجد للكائن الأخير الذي سيكون أب الماكثين الذين بقوا هم فقط ينتظرون وفيهم من فيهم المحبوب الأول أول المسلمين أول المؤمنين أقرب الأقربين سيّد الأولين والآخريين حبيب رب العالمين المحبوب المخلص الوفي الأمين إمام

المُخْلِصِينَ وَالْمُخْلِصِينَ وَالْخُلُصَّ الصَادِقِينَ وَالغَرَّ المِيَامِينَ، وفي دائرته كلّ الأنبياء والمرسلين والأولياء الصالحين، وفي قرب قربه آل بيته المطهّرين المجتبتين، هكذا أراد رب السماوات والأرض.

لمحات من الحياة الأولى

فنفخ من سرّ الروح الأحمدية في الطينة الآدمية وأخذ الميثاق وجمع الماكثين هذا من سجين وذاك من عليين وأجلسهم وأوقفهم من ظهورهم (من زمن ظهورهم) فرتبهم فأخرج ميّتاً من حيّ وحيّاً من ميّت، أخرج فاجراً من صلب مؤمن وأخرج مؤمنين من صلب فجار، وجعل أرحاماً وجعل أصلاً رجالاً ونساءً، فكتب ما كتب وأظهر ما أظهر وأخفى ما أخفى وأشهد خضراً وذا القرنين ومجموعة كبرى من العالين الذين لم يؤمروا بالسجود. فكان من أمره ما كان وكان في ذلك أن شهدوا جميعاً أنه ربهم: الذين فيهم من الخيرية وسبقت لهم منه الحسنى، والذين فيهم من الشرّانية. وكانت محنة ﴿وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا﴾ كان امتحاناً، ثم أمات الأبدان وأنزل الأرواح في الأصلاب والأجسام وجعل السلالة الآدمية مشرّفة بالمحمدية الأحمدية.

السلالة المحمدية

فالنفخة الآدمية الأولى من سرّ أحمد، والسلالة المحمدية من سرّ آدم ومن سرّ حواء، حتى بلغ الأمر إلى عبدالله وإلى آمنة: نيرين اختيرا بالسابقة، بسعادة سابقة من قبل الإيجاد، أن يكونا أبوي سيد الخلق المعشوق الأول والعاشق الأول. فكيف هذا المقام لهما؟ وكيف يظنّ ظانّ غبي أحقق أو مريض قلب أنهما معدّبان في النار؟ كيف يدخل النار من كان فيهما ومن شرفاً بأن يُنادى يوم التناد: "يا والد معشوق الله الأول وعاشقه الأفرّد الأعظم، يا أم معشوق الله الأول وعاشقه الأفرّد الأعظم، يا عبد الله ويا آمنة" تعساً تعساً لمن يظنّ ذلك. ثم آواه إلى رجل همام من سلالة طاهرة، باب تحقيق المطالب أبو طالب، فيظنّ الظانّون ويتوهّمون "جمرتان يغلي منهما الرأس". ما شرف الله هذا الرجل العظيم بأن يقوم مقام الوالدين وأن يأوي وأن يُنمى لحمه على لحمه وأن يحميه من يهود وأن يأمر ولده طالب في قصائده بأن يحفظه، وأن يكون والد جعفر العظيم ووالد الكرار مولى كل مؤمن ومؤمنة بعد رسول الله، ليكون بعد ذلك مصيره العذاب! وأنتم تقرّون أنّ امرأة من بغايا بني إسرائيل سقت كلباً فدخلت به الجنة!! فكيف بهذا الذي سقى النبي والذي آواه والذي مات في حبه ومات في عشقه والإيمان به وقال:

هو خير أديان البرية دينا

ولقد علمت بأنّ دين محمد

ثم كان من سابقة السعادة القديمة بعد أنبياء وبعد رسل وبعد مريم وابنها، كان من سابقة السعادة لخديجة أن تكون حبيبة الحبيب ومحبوبة النبي الأقرب القريب، وأن يسعدها الله بالذرية وأن تنجب فاطمة النقية، وأن يجمع النور بالنور في المدينة وأن يكون السبطان النيران سيّدا شباب الجنة. ثم جعل بقدره وحكمته التي قال فيها لنبيّه ﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ أن جعل ألماً ووجعاً على هذه السلالة الطاهرة هذه السلالة المنوّرة، وكتب عليهم الاستشهاد والقتل والتشريد والذبح والإيلام والتسميم، وطغى من

طغى وبغى من بغى، ولكن كتب في آخر فصول القصة أنّ مفرداً منهم فارساً من فرسانهم سيكون له بأمر الله حكمها بأكملها من طباقها إلى طباقها وأن يكون من يرث من سرّ رب العرش حكم هذا الفرش. فتلك حكمة بالإيجاد بالسابقة وتلك أمور يبدئها ولا يبتديها، فذلك الله جل في علاه خالق كل شيء، ربنا ورب كل شيء.

ختام سرّ الإيجاد وقصة الوجود

الله جل في علاه عندما كتب هذه القصة الآدمية التي تدوم قليلاً مقارنة بما دامت عليه قصص الكائنات السابقة، كم قصة حب وألم ونضال، وكم من نبي وكم من رسول وكم من صالح وكم من طالح ومجرم وقاتل وسفّاك وكم من مُثّر وكم من طاغٍ بغير الحقّ، وكذا كم من صابر وصامد.. في أشكال لا يمكن تصوّرها، وفي معطيات وحقائق وقدرات وقوى وتكنولوجيا وتطوّرات لا يمكن تخيلها، لأنهم أقرب إلى زمن الإيجاد حيث كانت طاقة الحياة أكبر والأحجام أكبر والكائنات أكبر والأعداد أكثر والأجرام السماوية المسكونة أكبر، في هذه السماء الدنيا وغير ذلك. قصة آدم إذاً وإبليس الأخير وذريته من الشياطين ومن بقي من الجن، نحن في ختامها، في ختام سرّ الإيجاد وقصة الوجود "جئت والساعة كهاتين" كما قال المصطفى ﴿إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا﴾ كما قال الله لكليمه موسى ﴿افْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ﴾ ﴿فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا﴾.

في هذه الفترة ونحن ندخل "الرقيم"، نتحوّل إلى رقيمات، تتحكّم فينا الأمور الرقمية في كل شيء، فنحن وأهل الكهف توأم، الأرض كلها اليوم كهف: كهف يلقي فيه أمراض وقنابل وفسادات وتحكمات قهرية وتسلطات في كل شيء، يؤتى بمرض يُبتكّر ويؤتى بعلاج دجّالي كذاب، وهكذا وهكذا، نحن في نهاية القصة... سوف تجتمع كل الأرواح السفلية كل تلك الشرور في التمظهر الختامي قبل الختام. هذا التمظهر أوجع وأشّر وأدهى، هو تمظهرٌ سبقته كربلاء والحرة وفخ ومجازر ومآسي إلى قانا وصبها وشاتيل إلى ناكازكي وهيروشيما إلى حربان عالميتان. في هذه الفترة من الوجود: قويّ هو التيار السفلي، قوية هي الجذّابات نحو الأسفل، كتب الله على أنواع الخلق في هذا العالم:

1. خلق مقرّبون كَمَل وهؤلاء لم يبقَ منهم إلا من أخفاهم الله.
2. وخلق في فساد هم شياطين إنس لهم شياطين جن يتواصلون معهم، وهؤلاء يعملون ولا يكفون ولا يملّون لأنّ النار قد فتحت أبوابها تنتظرهم وترسل إليهم ما يجذبهم إليها، تشتاق جهنم إلى أهلها وتقول ﴿هَلْ مِنْ مَّزِيدٍ﴾، وتشتاق الجنة إلى أهلها وتعلم أنه ليس من مزيد، هم قليلٌ أمام كثير في النار.
3. وعليه، الذين هم في مدار الاختبار أكثر ليسوا الكَمَل ولا هم شياطين الإنس، إنما الفقراء من أمثالنا: الذين فيهم نفس -سنتكلم عن النفس وأنواعها وأسرارها- الذين فيهم نفس تأمر بالسوء ﴿وَمَا أُبْرئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾ ﴿فَالْهَمَّهَا فَجُورَهَا وَتَقْوَاهُ﴾ الذين يريدون أن يرتقوا إلى أعلى ويعتصموا بحبل إلى الله ولكن تجلبهم قوى إلى أسفل: يأتي الشيطان يجعلهم يخطئون كل مرة.

الغاية الأساس من ذلك عند الشيطان ليست أن تذنب، بل أن ينقطع الحبل الودّي النوراني بينك وبين ربك، وأن لا تستطيع أن تنظر في عيني نبيك ﷺ، وأن لا تستطيع أن تطلب اللقاء من أهل اللقاء والبقاء، أن تُحجب عن مقام الفناء، أن تنكسر فتحة عين العطاء فتأتي النقطة وتكون في غطاء، أن تُنتزع من دائرة الرحيم إلى نقطة الرجيم. دوّنت ذات مرة في خلوة للعقل والقلب والروح منذ سنوات في أرض جدنا عبد السلام الأسمر:

• إِنَّ أَشَدَّ مَا يُؤَلِّمُ إبليس ليس النار، بل أنّ ربه قلاه

﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى﴾ و﴿قَلَى﴾ هنا هو الكره الذي لا محبة بعده، إبعاد لا قرب بعده، حجب لا مشاهدة بعده، فصل لا وصل بعده، نسأل الله أن يعيدنا من ذلك.

من قصد بالحب لا يرجع إلا به

وعليه، نحن الضعفاء أمام أنفسنا، أمام هذا الشرّ، نتحصّن بـ "صاحب سر الإيجاد ﷺ"، أن لنا في الحسنى سابقة وفي المتاب لاحقة - كما بيّنا في الدعاء من كتاب <<الاستغفار>> - أن نتأهّب لأن نكون أفضل وأرقى، أن نقول قولة دَوَّنّاها منذ زمن أيضاً:

"إني الذليل لربي العزيز بربي وربي العزيز،
إني الفقير لربي الغني بربي وربي الغني،
إني الضعيف لربي القوي بربي وربي القوي"

إنّ الذين يقصدون الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَاراً وَثِقَالاً وَيَخْطِئُونَ كُلَّ مَرَّةٍ وَيُذْنِبُونَ كُلَّ مَرَّةٍ، عليهم أن يعرفوا الأبواب. من سرّ الإيجاد تفهم الباب، بحكم أنّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى خلق الخلق وهو يعشق ويريد أن يُعشَقَ وَيُحِبَّ وَيُرِيدُ أَنْ يُحَبَّ، ويريد خلقاً يسألونه فيعطيهم ويدعونه فيستجيب لهم ويتوبون إليه فيتوب عليهم. فعلينا أن نقصد باب الحب وباب العشق أن نقصد بالحب فمن قصد بالحب لا يرجع إلا به.

مستمسكون بحبل الله واعتصموا
فيك الخصام وأنت الخصم والحكم
عن غير حبّه أهل الله قد فُطِمُوا
سبحانه الله منه الجود والكرم
تحت المقام جميع الخلق كُلُّهُمْ
لولا ما انهزمت في غيها الظلم

الواقفون بباب الحب ما خسروا
يا أيها الحب يا نبراس شرعتنا
لي في المدينة حبّ قد سُغِفَتْ به
حبّ من الله نورٌ قد حباه لهم
إنّ الحبيب لخير الخلق كُلِّهِمْ
إنّ الحبيب لنور صيغ في بشر-

كما قلنا في قصيدة مدحنا بها الحبيب ونحن في أرض الكاف أرض الصالحين.

إذن نقصد هذا الرحمن الرحيم، نمضي إليه نجرّ أغلال الذنوب ونقول هل من متاب يا من إليه الإياب وإليه الرجعى ومنه كانت الانطلاقة، يا من أحاط بنا وَعَلِمَ أحوالنا واطَّلَعَ على قلوبنا إنك تعلم أننا ضعفاء وأننا لولا رحمة منك لهلكنا، فأنجدنا وأنقذنا.

الأبواب

وبما أنّ لكل ملك عظيم باب يوصل به إليه، وذلك من مرايا الملك العظيم الأول الكامل الأكمل، فالله الذي خلق ملوكاً وجعل لهم أبواباً وحجّاباً جعل ذلك عنده قبل ذلك، فهل لله من باب؟ هل في حكمة الإيجاد في السابقة ما يبيّن الباب في اللاحقة؟

← أجل! بما أنه سبحانه عندما أراد خلق الخلق، من قبل أن يخلقهم أحب محمدنا ومحمده قبل ذلك، أحبه وقرّبه وعشقه وخلقه ليكون محبوبه وحببيه ومحبه، ويكون إمام الأئمة وعميد كل الأئمة وصاحب شجرة المحبة، فإنّ الله أحب من أحبه. وعليه فإننا نحب رسول الله ونأتي إلى أبواب الله من خلاله فلا يوصل الله إلا من حببيه ولا يُبلِّغ إلا به. بعض المرضى عندما يرون "الله محمد" في مسجد يشطبون محمداً يقولون هذا شرك، وهم في الحقيقة قلوبهم مرضت وشريت سمّ إبليس حتى صار فيها ظلام يمنعها من الرؤية. كيف وقد كُتِبَ ذلك في العرش والفرش وفي أبواب الجنة وفي كل ما نظرت عينٌ سوف ترى "لا إله إلا الله محمد رسول الله" "الله محمد". هذا الخالق الله لا رب سواه، وذاك حبيب الله الله اجتباها، لِمَ تمنع فضل الله أو تظنّ أنك تمنع فضل الله؟! أتظنّ أنك عرفت مقام رسول الله؟! أتظنّ أنّ بعض المدح يوفي مقامه حتى يُقال: بالغنا فيه وبالغ البوصيري في مدحه؟!

هل تبلغ الأكوان مدحك سيدي

ما قول ممتدح وبُردة منشِد

صلى عليك الله كيف صلّاته

ما قولنا ما شعرنا ما لفظنا

كما ذكرنا في أحد الموالد.

هذا الحبيب صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ باب القرب منذ سرّ الإيجاد، هو سيّد الوجود وإمام كل موجود، فبه نقصد ربنا. اللهم إنا أتيناك من باب محمد ومن محبة حبيبنا محمد ومن نور وبركة وجاه ومقام ووسيلة وفضيلة سيّدنا محمد، من أسبقية روحه وعظمة سرّه في حاله الأحمدى الروحي البدني، وفي حال سرّه المحمدي بذاته التي كانت في الدنيا وبجسمه الآن الشريف النابض بسرك ونورك في مقامه العظيم، وبأحمديته العظيمة المنيفة وابنته فاطمة الشريفة، وبمولانا علي الذي هو وصي رسول الله.

أجل كذلك للحضرة المحمدية باب، لا يُبلِّغ ذلك الباب وتلك الحضرة إلا بتلك النظرة. من لم يُحَظَّ بنظرة فاطمية علوية حسنية حسينية لن يبلغ المقام المحمدي ولو ادّعاها. وعليه كل الذين يدعون أنهم يشتاقون إلى رسول الله ويتبعون أثره ويغارون على أزواجه ويُريدون قربه ويُدافعون عنه ويقتلون الناس ادّعاء الدفاع عن دينه، وهم يكرهون فاطمته وعليه وحسنه وحسينه ويغضبون ممن ذكرهم ويكرهون

من أحبهم ويشمتون في قتلهم ويوالون قاتليهم، هؤلاء والله والله والله لن يروا الحضرة ولن يحظوا بالنظرة ولن يجدوا يوم القيامة النُصرة، لن تكون وجوههم ناضرة إلى ربها ناظرة بل وجوههم باسرة مسوذة كظيمة تُجرُّ إلى النار في أيامِ أليمة، كذا يكون الأمر لأن ذلك من سرّ الإيجاد الأول.

وبما أنّ أهل البيت وأصحاب هذا البيت حضرةٌ عظيمةٌ أيضاً فلهم أبواب: أبناؤهم وأحفادهم وذرياتهم من أئمة الهدى، وكذا أقطاب الصالحين أقطاب المحبة أقطاب العشق الإلهي، لا يُبلغ باب أهل البيت إلا بأولئك السادة. وهذا نقوله لبعض الذين ينتقصون من مقامات أقطاب أهل الله وهم يدعون أنهم يوالون آل بيت رسول الله. إنّ أشياخنا الكبار السيّد عبد القادر الجيلاني والسيّد أحمد الرفاعي والشيخ الدسوقي والشيخ البدوي والإمام الشاذلي وهؤلاء جميعاً من سلالة النبي من ذرية رسول الله، أبواب إلى آل بيت النبي الكرام وهم من ذريته. وكذا القائم المهدي سيكون كذلك وارثاً محمدياً فاطمياً علوياً حمزويّاً طالبياً هاشمياً جعفرياً حسنياً حسينياً وهكذا، كذا جيلانياً رفاعياً إلى ما شئت من أهل الله وأقطاب الصلاح.

خاتمة

فهذه خلاصة قدّمناها لكم هدية. كلما أضعنا البوصلة، كلما غلبتنا ذنوبنا، كلما غلبنا من الشياطين، كلما رأينا في هذا العالم ما يسوؤنا (وسترون كثيراً مما يسوء)، لن يظهر الأمر ولن تنجلي الحجة ولن تطلع الشمس من حيث لا يُتوقع إلا بعد أن يذوق الناس سواءً باللمس أو بالرؤية ألماً، ألمٌ في المشهد وألمٌ في المُشاهد وألمٌ في قلب الشاهد ﴿وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ فَتِلْ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ﴾. هذه أكناف بيت المقدس تنادي وتلك الكعبة التي يطوف حولها الناس مبتعدون عنها لا يلمسون أستارها تستغيث تتألم تبكي لأحوال أهل الأرض تعلم أنّ أمراً دُبر ﴿أَنِّي أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾. هذه المساجد التي يُصلي فيها الناس متفرّقون عن بعضهم، تفرّقت القلوب فتفرّقت الأجساد. هذا التسليط السفلي، هؤلاء شدّاذ الآفاق والمجرمون والسفّاكون والسفلة واللصوص والحقراء في مخاضهم الأخير، جاء الله بهم جميعاً لفيماً. اللحظات الأخيرة لفرعون وهو يقترب من البحر ويقول له قائد جيشه هامانه: يا سيدي سنقتلهم، هذا البحر أمامهم، هل سينشق لهم البحر؟ نعم سينشق يا فرعون وستغرق فيه، لأنك لم تكن تحارب موسى بل كنت تحارب ربه، وربّه قادر عليك، يشقّ البحر لأنه خلقه، وقد شقّ من قبل هذه السماوات ولم يؤده ذلك ﴿مَا مَسَّنا مِنْ لُغُوبٍ﴾. وكذا قوم لوط يزقون، يريدون ما لا يُمكن أن يُبلغ، يطمعون في ما لا يمكن أن ينالوا، يخترقون عليه الباب ويقول ﴿لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةٌ أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾ أجل يا لوط أنت تأوي إلى ركن شديد، منذ البداية السادة الكرام في المنزل، وقد بشرّوا إبراهيم. وكذا الحضرة بشرت أهل البشارة في زمننا ونزل السادة ﴿فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ أحصوا عدداً أحصوا من سيهلك ومن سيبقى، لأنّ السجيل المنضود قد نُضد والجيش السماوي قد تآهّب والراية الخفاقة قد رُفعت محمديّةً أحمديةً بسرّ ربها، خيل الله قد ركبت وقد ركبت، وكذا يكون وكذا سترون.

ولذلك نحن جميعاً ندخل تحت الراية المحمدية، نحن جميعاً ندخل في سر الحضرة المهدوية، نحن جميعاً علينا أن نحب أهل البيت وأن نجاهر بحبهم ولا نخشى في ذلك جانب المذهب، نحن جميعاً

علينا أن نكون تحت رايات أهل الله وأن نوقرهم جميعاً وأن نضرب على أنف كل مخادع وعلى أنف كل دجال أياً كان مقامه وأياً كان موضعه. نحن ندخل على الحضرة الربانية برسول الله، وعلى حضرة رسول الله بآل بيته، وعلى حضرة أهل البيت بالصالحين، وعلى حضرات الصالحين بالقلوب المنكسرة. قال ابن عطاء الله السكندري "رب معصية أورثت ذلاً وانكساراً، خير من طاعة أورثت غروراً واستكباراً".

فيا أحببنا في الله، هذه دعوة الحضرة إذأ إلى تلك النظرة إلى خمور القدس ومجالس الأُنس، إلى موعد قريب إلى فجر مرتقب، إلى نصر من الله إلى فتح من عنده، إلى تجليات العظيم بأسمائه وصفاته... نحن معكم إن شاء الله في هذا الطريق، لم ندخل بفضل أنفسنا ولم نوهب لكثرة طاعاتنا وعباداتنا، ولم يتجلّ علينا المتجلّي إلا بسر التخلّي، تخلّت له قلوبنا فانخلعت ذنوبنا وانمحقت عيوبنا ويُسرت إليه به منه وعليه دروبنا... فذاك محبوبنا ذاك مرغوبنا ذاك مطلوبنا، جل الله في علاه وسُبْحَانَهُ وَتَعَالَى سُبْحَانَهُ عما يصف الظانّون به ظناً وعما ينطق الكاذبون عليه إفكاً، وسبحانه عما يُشَبِّهه المشبّهون ويُجسّمه المجسّمون ويظنّ الظانّون الأفاقون، وسبحانه عن حدٍّ وعن شبيهٍ وعن نظير كما ينبغي لسلامة العقيدة وكما ينبغي لصحتها وكما ينبغي من قواعد تنزيهه وتسبيحه جل في علاه، وسبحانه أن يأخذنا بذنوبنا ونحن أتينا من باب حبيبه ومن قرب حبيبه، وحاشا حبيب الله ﷺ نبي الله الرحمة المهداة أن يوصد دوننا بابه وقد جئننا من باب فاطمة ومن باب علي ومن باب الحسين ومن أبواب أهل البيت، وحاشا أن يغلق أهل البيت دوننا أبوابهم وقد أتيناهم من كنف الصالحين.

إلهي جُذُّ لقلبي بالقبول
إلهي يا إلهي أنت ربي
وجد بالعفو يا مولاي لطفاً
ونورني بأنوار الرسول
فلا تحرمني من شرف الوصول
فإني أتيت من كنف البتول

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

المحاضرة بتاريخ: 7-06-2021



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

التأمل الخامس والعشرون: المحمدية البيضاء - "معانيها وحقيقتها وضرورة الرجوع إليها" -

إلى أي مدرسة ننتمي!؟

مقدمة

بالصلاة والسلام على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَبِكُلِّ الْمَحَبَّةِ وَبِكُلِّ الْهُدُوءِ وَبِكُلِّ الْعَمَقِ سَوْفَ نُخَاطِبُ الْعُقُولَ وَالْقُلُوبَ مَعًا. هَذَا الْكَلَامُ الَّذِي سَنَقُولُهُ الْآنَ هُوَ عِنْوَانُ مَدْرَسَتِنَا، لِأَنَّ الْكَثِيرِينَ يَتَسَاءَلُونَ: لِأَيِّ مَدْرَسَةٍ نَنْتَمِي؟ وَعَنْ أَيِّ مَذْهَبٍ نُدَافِعُ؟! وَمَعْلُومٌ أَنَّ الْأُمَّةَ كَانَتْ -وَهِيَ الْيَوْمَ رُبَّمَا أَشَدَّ- عَلَى مَذَاهِبٍ مُخْتَلِفَةٍ، وَقَدْ تَبَلَّغَ الْإِخْتِلَافَاتُ حَدَّ الْخِلَافَاتِ، وَقَدْ تَبَلَّغَ الْخِلَافَاتُ حَدَّ التَّقْتِيلِ وَالتَّنَاحِرِ وَالتَّكْفِيرِ، وَيَتَعَصَّبُ كُلُّ طَرَفٍ لِمَدْرَسَتِهِ وَكُلُّ طَرَفٍ لِشَيْخِهِ وَمَذْهَبِهِ. وَيَتَمَّ هَذَا التَّقْسِيمَ دَاخِلَ الْمَذَاهِبِ نَفْسَهَا تَجِدُ أَنَّ مِنْ يَتَّبِعُونَ مَذْهَبًا مَعِيْنًا أَوْ يَتَّبِعُونَ طَرِيقَةً فِي التَّصَوُّفِ مَعِيْنَةً عَلَى سَبِيلِ الْمَثَالِ إِذَا أَخَذُوا هَذَا الْمَنْهَجَ التَّعَصُّبِيَّ يَتَعَصَّبُونَ لِشَيْخِهِمْ وَيُنْكِرُونَ غَيْرَهُ وَيُنْكِرُونَ الْفَهْمَ الْآخَرَ الَّذِي سَيَأْتِي، وَهَكَذَا الْأُمَّةُ تَنَاحَرَتْ طَوِيلًا. وَأَعْتَقِدُ أَنَّ الَّذِي حَدَثَ فِي سُوْرِيَا وَفِي الْعِرَاقِ وَفِي الْيَمَنِ وَفِي أَرْضِ لِيْبِيَا وَأَحْدَاثٌ أُخْرَى عِبْرَ الْعَالَمِ وَفِي الْبِلَادِ التُّونِسِيَّةِ وَغَيْرِهَا مِنْ أَمْوَاجِ الْإِرْهَابِ وَالتَّصَدَّعَاتِ وَسُوَى ذَلِكَ، رُبَّمَا هِيَ رِسَائِلٌ وَاضِحَةٌ وَجَلِيَّةٌ أَنَّ عَلَى الْعُلَمَاءِ وَعَلَى الْأُمَّةِ نَفْسَهَا أَنْ تَنْتَبِهَ وَأَنْ تَسْتَيْقِظَ. فِي كُلِّ هَذَا الصَّرَاحِ هُنَالِكَ أَصْوَاتٌ عَاقِلَةٌ لَا شَكَّ، وَهُنَالِكَ أَصْوَاتٌ لَدِيْهَا فَهْمٌ، هُنَالِكَ عُقُولٌ لَدِيْهَا وَعِي وَاتِّزَانٌ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَتَّبِيْنَ الْحَقَّ مِنَ الْبَاطِلِ وَأَنْ تُبَيِّنَ الْحَقَّ وَأَنْ تَقِفَ مَعَهُ.

أنا الحقيقة إذا كنت سأتكلم من جانب ذاتي: قد بحثت طويلاً، الأمر يتجاوز العشرين عام من القراءة المعمّقة والمعمّقة جداً في التاريخ الإسلامي وفي تاريخية المذاهب وفي تفاصيلها وفي فقهاها وفي العقيدة وفي الحركات الإسلامية التي جاءت فيما بعد وتفاصيل تفاصيلها، هذا فيه مزيج بين عملي في الجانب التاريخي الأنثروبولوجي وعملي في جانب الفقه المقارن وعملي أيضاً في الجوانب الاستراتيجية، بحكم أنه كي نفهم الحركات المتطرّفة يجب أن نفهم جذورها، والعلاقة على سبيل المثال بين تنظيم داعش والزرقاوي كمرحلة، القاعدة، أبو الأعلى المودودي تأثيره في سيد قطب، ما كان قبل ذلك، إلى الفكر الوهابي النجدي، إلى ابن تيمية ومدرسة الوراقين وتأثيراتها فيه (المدرسة اليهودية)، وصولاً لفتنة الحنابلة في القرن الرابع ثم الخوارج وخاصة الأزارقة وكانوا شديدي البأس في القتل ويقتلون الناس هكذا ظلماً، ومعروفة قصص الذين قُتلوا حتى من الصحابة وبُقرت بطون زوجاتهم من أجل متعة القتل لدى هؤلاء.

إذن هذا تجذير مهم جداً لا بدّ للذي يروم هذه العلوم أن يقرأ جيداً وأن يقرأ بتجرّد، أن يتجرّد في قراءته للتاريخ، بحكم أنّ التاريخ مكتوب وأحياناً فيه بعض التلاعب لأنّ الذي يكتب التاريخ سيكتبه لصالحه، نفس الخبر إذا وجدته عند طرفي نقيض كلّ سوف يرويه بما يتوافق مع ما يُمثّله أو مع الحاكم الذي أمره بالكتابة، وهذا يحتاج إلى بحوث مقارنة.

التاريخ والمذاهب الإسلامية

التاريخ كما ذكر العلامة ابن خلدون: "في ظاهره لا يعدو عن الإخبار، وفي باطنه نظرٌ وتحقيق". الأمة لا يخفى أنها دخلت في أزمت سياسية ومواقف معينة منذ أو حتى في أواخر حياة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وتمظهر ذلك في خلاف كان بين المهاجرين والأنصار ومواقف آل البيت وموقف الإمام علي وموقف السيدة فاطمة حدث السقيفة رزية الخميس التي ذكرها ابن عباس.. وتنطلق الأمة بعد ذلك في صراعات كان فيها الكثير من الدم: واقعة الجمل سبعة عشر ألف صحابي، المعارك التي خاضها الإمام علي ضدّ الذين مرقوا وخرجوا كان فيها سبعين ألف من الصحابة قُتلوا إلى غير ذلك من الأمور.. كانت ثمة مجازر: وقعة الحرة في المدينة المنورة، وقعة كربلاء، وقعة فخ في فترة العباسيين. كل دولة إذا ملكت قتلت: قتل العباسيون من الأمويين آلافاً ومئات الآلاف، قتل العثمانيون عندما سيطروا وافتكوا من المماليك القاهرة على سبيل المثال أيضاً تقريباً سبعين ألف إنسان، وقتلوا هذا يقتل وذاك يقتل تأتي هذه الدولة ويأتي السلاجقة وتأتي البرامكة يقومون بفتنة يُبادون بشكل كامل، شجرة الدرّ يأتي وقتها، تجتمع الأمة أحياناً مع قطز ومع نور الدين زنكي ثم تتفرّق مجدداً. وهكذا حتى جاءت الحروب الصليبية (1090) عندما وقعت القدس في براثن الصليبيين وتبدأ معارك صليبية، تنتهي فترة وتأتي فترة أخرى، ثم يأتي الطليان والفرنسيون يأتي الإنكليز ويبدأ استعمار آخر بنفس الحماسة لمحاربة الدين الإسلامي، تكون فترات إنتشار يُمكن أن تقرأ بقراءات مختلفة فيها جوانب نشر الإسلام عن طريق التجار عن طريق الصوفية عن طريق بعض الذين ذهبوا فعلاً لنصرة الدين، وفيها أخرى تجد فيها غزوات لافتكك الأرض لجلب الجواري لافتكك الذهب. وهذا يتعلق بنوعيات الحكام، معظم الذين حكموا هذه الأمة في تاريخها لم يكونوا

جَيِّدين، تجد أوقات هكذا تخرج شعلات يظهر لك عمر ابن عبد العزيز الرجل العادل هو الذي أدخل في الحقيقة الإسلام إلى بلاد إفريقيا مع المولى إدريس الأكبر في بلاد المغرب الكبير.

وهكذا عندما نقرأ التاريخ إذاً نجد أن هنالك تصارعات، ضمن هذه الصراعات ظهرت المذاهب، والمذاهب السنية على سبيل المثال هي في الحقيقة عددها أكبر، بعضهم يُرجعها إلى أحد عشر مذهباً:

❖ الليث ابن سعد كان صاحب مذهب

❖ وسعيد ابن جبير كان صاحب مذهب ورؤية

❖ وكذلك سفيان الثوري

❖ الأوزاعي

❖ وحتى عندما جاء المذهب المالكي إلى أفريقيا: أسد ابن الفرات أخذ عن الإمام مالك والإمام أبي حنيفة النعمان فيقال: "أوقد السراج الثاني" وظهرت المدرسة الأُسدية انتشرت في القيروان وفي سوسة وفي تونس ثم اندثرت. وبعد ذلك صار الاستثناس في البلاد التونسية بالمدرسة الحنفية واعتمد المذهب المالكي بحكم أن سحنون هو جامع المدونة المالكية ثم شرح ابن أبي زيد القيرواني (مالك الصغير) أيضاً في القرن الرابع كان له قيمة كبيرة جداً. جامع الزيتونة الذي تأسس في تقريباً سبعين كبداية تأسيس وبعد ذلك جُدد وُجِّد مرات كثيرة ثم صار بطلب من سيدي إبراهيم الرياحي صار الباي يحضر المولد في ذلك الجامع، تشكلت هذه المدرسة الزيتونية الكبيرة وكان فيها قانون ذكره ابن عاشر: **في عقد الأشعري وفقه مالك *** وفي طريقة الجُنيد السالك** أي طريقة التزكية والتصوف، وكانت مملوءة بمحبة آل البيت: إبراهيم الرياحي يتوسل بالأئمة الاثني عشر في إحدى قصائده.

المهم أن المدارس في هذه الأمة تنوعت وتشاكلت في بعض المسائل اختلفت فقهياً اختلفت في تأويلات معيّنة في العبادات في المعاملات، ليس الاختلاف تناقضي، ولكن على ضفة التشيع والتسنن كان ثمة تكامل وكان ثمة تنافر أيضاً.

❖ أحياناً تجد محاورات هادئة مثل كتاب المراجعات لعبد الحسين شرف الدين، تجد الشيخ الوائلي في المدرسة الشيعية له هذه البصيرة، تجد علماء من المدرسة السنية خاصة أهل التصوف أيضاً على سماحة وعلى أخلاق عالية. وتجد أيضاً في المدرستين بعض الذين ربما **يندسون** داخل هذه المدارس وخاصة في فترتنا الحالية، نجد هنالك **متعصبين** هذا يريد أن يهدم باستعمال أئمة آل البيت والكذب عليهم ومعروفون تدعمهم مخابرات معيّنة لهم قنوات تلفزيونية تمويل كبير، ذاك يريد أن يهدم بادعاء التمسلف واتباع السلف الصالح ويجعل ذلك ذريعة لزرع التكفير في عقول الشباب، إن لم يكفر مباشرة زرعه بطريقة أو بأخرى وبعد ذلك يقول أنا لم أقل لهم اقتلوا، ولكن في الحقيقة هم يأخذون الشباب السذج ويغزرون بهم ويكفرون طائفة من المسلمين وهكذا..

❖ وكذلك داخل المذاهب أحياناً يصبح العناد بين المذهب والمذهب، يصبح **تعصب** كبير جداً حتى يُرفض أن تأخذ من مذهب ما مثلاً المسح على الخُفين يُرفض يقول لك هذا ليس في مذهبنا يُسمى التلفيق، ويصبح كأن المذهب هو سجن هو بوتقة هو دين بمفرده لا يُسمح لك بأن تأخذ

- ❖ من مذهب آخر، ويصير **الخصام**: الإمام مالك أعلم من أبو حنيفة.. أبو حنيفة أعلم من ابن حنبل، الشافعي.. وطبعاً إستثناساً عندما اجتمعت المقادير وتتابعات الأيام: أربعة مذاهب سنية.
- ❖ المذهب الإباضي أيضاً، المدرسة الإباضية وإن كان لها أصول معيّنة ولكن تطوّرت أيضاً وكانت فيها مراجعات مهمّة.
- ❖ المدرسة الزيدية التي توجد في اليمن هي مدرسة أيضاً مهمّة وترجع إلى معين آل البيت، حتى المدارس السنية ترجع للإمام جعفر الصادق بالأساس.
- ❖ الحنابلة في بعض مواقفهم مثل قتل الطبري وقتل النسائي وقتل الحلاج وغير ذلك، كان ثمة ربما في هذه المدرسة أكثر من غيرها تعصّب، ومن الحنابلة خرج ابن تيمية وخرج ابن عبد الوهاب، لا يمنع وجود عدول في المدرسة الحنبلية: الشيخ عبد القادر جدّد الفقه الحنبلي وأحياه بعد أن كاد يضمّر، وهنالك سياسات أيضاً المتوكّل كان له دور في ظهور الحنابلة.
- ❖ المدارس الكلامية والضغط السياسي والعراك والخصام بين مدارس المتكلمة والمدارس العقائدية الأشعرية والماتريدية، واصل ابن عطاء والمدرسة المعتزلية، المدارس الفلسفية وتأثيرات فلسفات الشرق وظهور المدارس الإشراقية التي كانت تُعامل أحياناً ببعض الهدوء وأحياناً تُعامل بالقتل: المدرسة الحروفية على سبيل المثال المدرسة الصوفية فضل الله أحرق ثم تلميذه نسيمي سلّح حياً في حلب وقُطّع، والسهروردي والحلاج معلوم ما حدث لهما.

إذن في هذا الخضمّ في هذه الأمور عدّونا يقرأ جيداً في تاريخنا، عدّونا يقرأ أكثر منا، بنو صهيون ومن يكون معهم يقرأون يعرفون الخلافات، يعرفون جيداً كيف يزرعون هذا في التشييع يسبّ أمهات المؤمنين ويسبّ الصحابة ويدعو إلى التمزيق ويأخذوا مستندات تاريخية، نعم لنا الحقّ في أن نقرأها، لنا الحقّ في أن نأخذ مواقف منها، ولنا الحقّ في أن نفهم ما الذي جرى وما الذي حدث لأنّ هذا الأمر يعيننا، ليست أمةٌ خلت ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ﴾ هذا شعار يرفعونه إذا تكلمنا عن كربلاء أو تكلمنا عن تلك الايام، لا، هي أمة واحدة ﴿هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾، ﴿أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ﴾: قوم صالح قوم لوط قوم ثمود أمة قد خلت، أما هذه نحن نفس الأمة. فهذه الأمة من حقّنا أن نقرأ، ولكن هذا أيضاً لا يُشاع بين العوام، عندما ننشره بين العوام بشكل فيه الكثير من الحديّة سيؤدّي هذا إلى أن نكره بعضنا بعضاً ويدفع الناس ثمن أمور ربما هم ليسوا معنيّين بها بقدر ما هم معنيّون بواقعهم بإشكاليات الواقع بتطوير الذات بحالة الأمة المتردّية في الثقافة في الاقتصاد في الاجتماع في السياسة في جميع المستويات بأزمة الإنهيار الأخلاقي وأزمات كثيرة أخرى (أنا أتكلّم الآن من باب النظرية وما يجب أن يكون).

إذن هنالك نعم جراحات عميقة في تاريخ الأمة، هنالك آلام، كلٌّ يأخذ من جانب، وبعضهم ربما يبلغ به التعصّب مبلغاً فيرفض الآخر وكما قلت يدخل في مدارس السبّ والشتم واللعن. وعلى النقيض الطرف المقابل تجد من يتلذّذون بأن يقولوا أنّ عم النبي أبا طالب وأنّ والديه في جهنم وأنّ آل بيته ليسوا إلا بشراً كغيرهم (اعملي يا فاطمة إني لا أغني عنك من الله شيئاً - لا يأتيني للناس بأعمالهم وتأتوني بأنسابكم..) هذه كلها أحاديث موضوعة على فكرة، كيف يقول لها ذلك وهو الذي قال لها "إِنَّ اللَّهَ يَغْضِبُ لَغَضْبِكَ وَيَرْضَى لِرِضَاكَ". على سبيل المثال يعني تجد الأعيب عمرو ابن ودّ عندما قتله الإمام علي: لا.. أصيب في بدر وكان جريحاً وكان شيخاً كبيراً.. لماذا لم يظهر له أحدٌ حينها؟ ومتى كان في بدر؟

فهذه كلها عندما نقرأها تحتاج إلى هدوء أعصاب وعمق كبير جداً حتى نفهم. حتى إذا دخلنا المدرسة الحديثة الأثرية ودخلنا إلى إشكاليات في السنة والتي أخذها من يسمون ب(القرآنيين)، المدارس (جعيّط في تونس) لا أتكلم عن المفتي جعيّط أتكلم عن الفيلسوف والذي فقدته ربما الساحة الفكرية التونسية وإن كنا نختلف معه في مسائل عديدة وجوهرية، وكذلك أركون، وتلك المدرسة التي حفرت في التاريخ ولكن بمعاول الهدم وليست بمعاول البناء والرغبة في التنقيب الأركيولوجي لاستخراج الكنوز المخبوءة في ذلك التراث وتعديل ما يجب تعديله. وأيضاً المدرسة الأثرية الحديثة بعضها تمسك بمتون فاسدة الظاهر فاسدة في أصولها، حتى في بعض السير وبعض الأخبار تظهر أنها متهافئة، أخبار على سبيل المثال **عبد الله ابن سبأ** (السيد مرتضى العسكري له كتاب مهم أيضاً عن هذه المسألة): الذي ينفرد بروايته هو سيف ابن عمر التميمي، وبروكلمان وغيره من المستشرقين وكذلك من كتّاب من المدرستين السنية والشيعية أثبتوا أنّ الرجل كذاب وكان وضاعاً، مثل ابن حمّاد في رواية الأشعار وضع الكثير من القصائد وذكر ذلك ابن سلام الجمحي في كتابه (جمهرة أشعار العرب) وغير ذلك من الأمور..

أنا ربما أمضي بسرعة في هذا المسار، **يحتاج الأمر إلى سنوات طويلة من القراءة والبحث والتحقيق وأن نقرأ للجميع.** لماذا لا أقرأ؟ أنا قرأت للهندوس وللبوذيين وأفهم عندما أجلس مع هندوسي أفهم عما يتكلم والفرق بين شيئا ورام وكريشنا والمدارس الداخلية البوذية ماذا تعني والطاوية ماذا تعني، من هو لاو تزو، من هو مثلاً وونغ فاي هونغ (في الفترة القريبة منا) هؤلاء المناضلون الصينيون خو يون جا وإيب مان وسواهم من مدينة فوشان، إلى أن نرجع إلى كونفوشيوس ولاو تزو والمدارس التي كانت قبلها صن تزو، إلى أن نمضي إلى اليابان نتكلم عن مياموتو موساشي أو كتاب <<الحلقات الخمس>>، نتكلم عن هذا الإرث الإنساني، نمضي إلى الدول الغربية ونتكلم عن الفلاسفة والفلسفات الإغريقية ثم تطوّراتها، فلاسفة التنوير وديكارت والشك الديكارتي الذي أخذ من الغزالي.. إذاً نحتاج إلى بوتقة فكر بهدوء وتؤدّة ومقارنات هادئة.

نتيجة هذه البحوث

نتائج هذه البحوث تنقسم إلى نوعين:

1. نوع إذا أخبرنا به إذا عمّمناه لا يُحدث أيّة إشكالية
2. ونوع آخر ربما إذا قلناه سوف يسبّب مشاكل عميقة جداً

عندما نأتي بكلمة تنصر أتباع مدرسة أهل البيت في مسألة لهم فيها حقّ، وحينها سوف يكون الذي على المدرسة الأخرى (المدرسة السنية خاصة السلفية) موقفه عدواني، يقول لك: هذا دليل على أنك شيعي رافضي إلى غير ذلك.. إذا جئت بكلمة قد تدعم الصوفية أو السلفية في شيء أو طريقة من طرق التصوف في شيء، فالذي في الطريقة الأخرى إذا كان متعصباً سيرفض، إذا قلنا أنّ الشيخ فلان لم يقل يوماً أنه أعلى درجة من الشيخ عبد القادر الجيلاني على سبيل المثال، أو لو قلنا أنّ بعض الذين يدعون اليوم القطبية ليسوا أقطاباً على الحقيقة، رغم ذلك لا يعني أننا نرفض وجود أقطاب اليوم أو أننا نوّقر المشايخ أو أننا نرى أنّ ذلك الشيخ جيّد طيّب لكن لم يبلغ المقام الذي ادّعاه له أتباعه أو ادّعاه لنفسه.

فهذه الأمور تولد دائماً إشكاليات عميقة، لذلك الحق لا يذر للإنسان صاحباً كما قال الإمام علي "لا تستوحشوا طريق الحق لقلّة سالكيه".

فقه الواقع

وعليه، نحتاج إلى علوم التواصل وإلى **فقه الأولويات** و**فقه الواقع**. فقه الواقع اليوم والذي نعيش فيه من هذا التشرذم والتمزق وهؤلاء المندسين في جميع المدارس والذين هم يدّ لعدوّ الأمة بل يدّ لأعداء الإنسانية، في زمن اللعبة الكورونية العالمية بفيروسها الذي هو فايروس في حقيقته ضعيف وتافه ولكن يتقوّ بالأمراض الموجودة في الأجساد ويقضي على الناس الذين هم مؤهلون للسقوط أو اللقاح هذا المسموم السُمّي في كثير من أنواعه والذي وراءه أيضاً مخططات عميقة جداً، والدول للأسف لم تفهم ولا تفقه (خاصةً دولنا العربية) لا تفقه وسياسيّوها لا يفقهون في هذه اللّعب الدولية، لم يقرأوا كتباً لم يتبيّنوا ماذا قال هنتنجتون عن صدام الحضارات ماذا قال فوكوياما ماذا قال كسينجر ماذا قال برناند لويس عن إعادة تقسيم العالم، ما هي الفوضى الخلّاقة ما هي نظرية أجنحة الفراشة التي تُحدث حركتها في طوكيو إعصاراً في نيويورك كما قال أحد علماء الأرصاد الجوية مؤسس هذه النظرية التي بُنيت عليها نظرية الفوضى الخلّاقة، لم يفقهوا التاريخ، لم يفقهوا أنينبري ولجنة الغيبيات عند هتلر وعلاقتها بما حدث بعد ذلك في العالم من نووي ومن تغطية على مسائل من ظهور مسائل، ما الذي يجري اليوم في مسائل كثيرة، ما الذي يُراد، ما علاقة ذلك بظهور المخلّص، ما الذي يفعله بنو إسرائيل الآن ما الذي يقوله علماءهم على الضفتين الضفة الصهيونية والضفة المُعادية، وما الذي يُحرّك هذا المحرّك كله في هذا العالم، ولماذا يُراد الآن أن تشتعل ليس فقط حرب سنية-شيعية كما فعلوا في العراق على سبيل المثال بعد دخول المستعمر الأمريكي وبأيدي للأسف أيدي من شباب هذه الأمة وبعضهم توانسة، ولكن الآن سيُراد حرب شيعية-شيعية من الداخل حرب صوفية-صوفية من الداخل، الأعباء كثيرة أمور عجيبة جداً تحدث، والهشاشة التي تصيب عظام هذه الأمة تزداد وتزداد وتزداد، مع احتباس حراري مع تغيّرات مناخية مع كل هذا..

إذن هذا الكلام الذي نقوله من الباب النظري من باب ما يجب أن يكون، نضيف إليه موجة إلحاد لم يسبق لها مثيل في التاريخ البشري. لم يسبق أن ظهر إلحاد بهذه الوقاحة وبهذا الصلف وبهذا الغرور المعرفي والإغترار العلمي كما يقوله دوكينز، حتى أنّ فلاسفة ملاحدة ردّوا عليه وقالوا هذا تافه كيف يتكلم بهذه الطريقة أو سام هاريس الذي قال أرجو أن يُصاب المسلمون كلهم بالقنبلة النووية ويُقضى عليهم أو دانيال دينيت، هؤلاء الأربعة الذين سُمّوا بفرسان الإلحاد الأربعة، أو هذا المغرور نيل ديغراس تايسون الذي يُدعم بشكل كبير وقد خصّصنا له رداً في كتابنا عن الإلحاد وكذلك هوكينغ. أو هؤلاء الذين ينشرون الشذوذ بأشكال مستفزة تُريد أن تستمطر غضب الله، نرى مشاهد حتى في مجتمعنا حتى في شوارعنا مشاهد، هنالك جند إبليسي متمظهر بعضهم محوّل جنسياً إلى غير ذلك، تحت غطاء مزيف من الحرية وحرية الضمير والحق وغير ذلك دون مراعاة واجب من واجبات الأمن القومي وهو إحترام الأخلاق العامة في مجتمع ما. إذا كان المتكلم والمشكك في الهولوكوست في الدول الغربية يُسجن وله

عقوبات كبرى، فلماذا عندما يأتي إلى دولة مسلمة تنشر شذوذك وفسادك وتجعل حتى الإرهابي له مبرر وتمزق المجتمع، يقال لك: لا هذه حرية! هذه كلها ألعيب! أين الحرية لجورج فلويد الذي قُتل تحت ركلة شرطي أبيض بغيض ولم يحدث له شيء ولم يُحاكم وتصريحات دونالد ترمب البغيضة والهجوم على الكونغرس الأمريكي، وغير ذلك من الأمور التي تحدث من حولنا تُبين كذب هذه المنظومة الإعلامية وكذب الغرب عموماً إلا ما رحم الله. عندما يتزوج رئيس وزراء استوكهولم من صاحبه ويقف هذا هذه الزوجة المذكرة والمختث مع زوجات الرؤساء، أي صورة تُرسم للخالق جل في علاه؟! فهذا ينسف ويضرب أبناءنا الأطفال الذين يُضربون الآن بقوة كبيرة في الأفلام والصور المتحركة بأمراض وبنشر الشذوذ في قصص متعمدة حتى في تونس وأنا لاحظت الكثير من ذلك وإن كنت سأخصص ربما وقتاً لهذا الأمر، والأمراض التي تُنشر حتى في منظومات المياه وفي منظومات الغذاء.. كل هذا الذي نراه من هذا الدخان والغبار.

المحمدية البيضاء

إذن أين نحن؟! نحتاج إلى منارة نحتاج إلى دليل نحتاج إلى ركن نحتاج إلى قدوة نحتاج إلى أسوة. وهذه الأسوة التي لم تَغِب والتي صارت تُغَيَّب في الحقيقة بل يُجعل بعض المشايخ أعظم من تلك الأسوة، تركت الأمة وهجرت وخرجت بشقيها، هنالك مغادرة عند الكثيرين عن هذا النهج المحمدي "المحمدية البيضاء".

المحمدية البيضاء هي العودة إلى الحضن المحمدي، العودة والرجوع إلى رسول الله، العودة إلى بيته وآل بيته، الرجوع إليه وطلب نظرة العطف والمدد، لأنه باب الله، لأنه لن يرد أحد على الله دون رسوله. المحمدية البيضاء لها مظهرات: تمظهرت لدى عشاق أهل البيت من الصادقين والصابرين رغم كل البلاءات التي كانت، ولدى هؤلاء العشاق من الشيعة ومن السنة، فكان السنة الموالمون لهم تشيع قلبي لآل البيت كما قال الشافعي:

فليشهد الثقلان أنّي رافضي

إن كان رفضاً حبّ آل محمّد

وكذلك لدى الذين تشيّعوا واتّبعوا في ذلك "سلمان والمقداد وأبو ذرّ وعمار شيعة علي" كما قال المصطفى، اتّبعوا إذاً سلمان وأبا ذرّ وعمار والمقداد في ذلك. وهنالك الذين خرجوا بأفكار، وتجد في تاريخ الأمة قبسات مضيئة رائعة في المقاومة في العلم، الإمام الرفاعي والشيخ عبد القادر السيّد البدوي والشيخ الدسوقي والسيّد معين الدين الجشتي في الهند وجلال الدين اليميني في بنغلاديش والأولياء التسعة في اندونيسيا وكذلك الإمام الشاذلي "من لم يتشدّل لم يتبدّل" والشيخ عبد السلام الأسمر جدنا الذي نفخر به وكذلك الإمام التيجاني الذي كان له دور كبير جداً في نشر الإسلام في إفريقيا وغيرهم من الأولياء والصالحين ورجال الله، الشيخ رسلان الدمشقي أبو مدين شعيب ورجال تونس: سيدي محرز ابن خلف وأبو إسحاق الجبنياني وابن عرفة وكذلك الشيخ إبراهيم الرياحي الشيخ سالم بو حاجب ومن كان بعدهم من آل بن عاشور الذين طوّروا فقه المقاصد، وغيرهم في هذه الأمة من أبطال مجاهدين الشيخ عمر المختار الشيخ بوعمامة الأمير عبد القادر الجزائري وسواهم.. هؤلاء قبسات مضيئة.

اليوم أيضاً هنالك رجال يعملون في هذا الميدان أنا ذكرت دائماً السيّد أبو صالح الأوسي في العراق الحسيني المحمدي الرباط المحمدي مجلس علماء الرباط المحمدي في العراق تشرفت كثيراً بالمحاضرة معهم ورايتهم عندنا ونحن أيضاً نرفع معهم هذه الراية. وكذلك ذكرنا مرّات كثيرة الكثير من هؤلاء الرجال الصادقين في هذه الأمة الذين يقومون بعمل كبير لخدمة دينها وخدمة يقينها وزرناهم والتقينا بالكثير منهم، ذهبنا إلى بنغلاديش مرات كثيرة إلى السيّد سيف الدين أحمد وجبنا الهند شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً مع السيّد سلمان جشتي ممثّل الطريقة الجشتية وشيخها اليوم، وكذلك إلى بلاد باكستان مع رئيسها عارف علوي ورئيس وزرائها عمران خان ولكن أساساً مع صديقنا وأخينا وزير الشؤون الدينية السيّد نور الحق القادري والذي هو شيخ للقادرية ورجل همة ورجل عمل، مفتي كميل أيضاً في تارستان والتقينا ويعمل في عمل كبير جداً، لدينا في تلك الديار الروسية أيضاً رجال يعملون خاصة في داغستان السيّد مريد الإدريسي، وكثير من الرجال الذين يعملون على هذا الدين المعتدل، وإذا ذهبنا إلى أرض تركيا وجدنا رجالاً وخاصة السيّد محمد عبّان الحديد الحسيني الأكاديمية العالمية لعلماء الصوفية، ونطلق من هنالك إلى اندونيسيا نجد الحبيب لطفي بن يحيى يقوم بعمل كثير جداً وكبير جداً مع الدكتور عقيل سراج، وكذلك محمد حبيب العليم في الصين الطريقة الجهرية النقشبندية نحن نتواصل مع ممثله وتلميذه مايونغ علي. المهم أننا عندما نتكلم بهذه الكلمات هنالك أمل يُبثّ، وفي أوروبا أيضاً رجال يعملون، في شمال أفريقيا لدينا رجال وعلماء، في أرض الكنانة في مصر هنالك أيضاً رجال، في السودان ثمة في السنغال وزرنا الطريقة المريدية، ثمة نتكلم عن حركة في المكان وفي الزمان وفي التاريخ وفي القراءة وأيضاً في لقاء الرجال حتى نكوّن هذه الرؤيا، حتى عندما نتكلم بواقعية. في أرض الحجاز هنالك رجال أيضاً يقومون بمراجعات مهمة الشريف حاتم العوني على سبيل المثال يقوم بمراجعات مهمة جداً ورائعة، حسن فرحان المالكي يعني نسأل الله أن يفكّ أسرته كذلك قام بجهد كبير، عدنان إبراهيم قدّم دوره وما زال يُقدّم أيضاً في جوانب معرفية، نختلف مع بعضهم في بعض النقاط. الدكتور محمد عيسى داوود الآن في مصر يقوم بعمل أيضاً كبير، الشيخ جابر البغدادي لديه هذه النفحات الجميلة، الشيخ مخلف العلي، الدكتور الطاهر برايك، هذه المدرسة في تونس الشيخ فريد الباجي الشيخ بدر المداني وغيرهم والشيخ محمد مشفر أيضاً في جانب القرآن الكريم، وفي بلاد المغرب الشيخ أحمد ابن إدريس ودكتور عزيز القبيطي في مركز الدراسات الصوفية والجمالية والدكتور الشيخ الشريف الوزّاني وسواهم أيضاً محمد مهدي منصور والشيخ المهدي منصور الطريقة العلوية لدينا البلقاندية لدينا في اليمن الحبيب عمر ابن حفيظ..

ما الذي ينقصنا الآن؟

هؤلاء الرجال مدارس مهمّة منصّات مهمّة، ولكن ما أريد أن أقوله بعد هذه الجولة التي تكلمنا وذكرنا بعض أسمائهم أعتذر لمن لم أذكرهم وهم أحبّابنا وأصدقائنا وإخوتنا، ولكني أقول ببساطة: ما الذي ينقصنا الآن؟ **ينقصنا أن نتفق على منهجية، أن نتفق الآن أنّ وقت دفن هذه الخلافات قد حان وأنّ هنالك في الأمة إمكانات لقاء كبيرة جداً.** عندما أكون في العراق وأكون في كربلاء وأكون مع الشيخ حسن منصورى وتناقش عن القرآن الكريم، لا وجود لشيعي يتناقش مع سني، هنالك مسلم يتحاور مع مسلم بمحبة لخدمة هذا الدين، وأنا أعرفه منذ أن كنا في بلاد الشام. عندما نكون في بلاد الشام مع أحبّابنا

هنالك مع أهل العلم مع أهل الفضل أو في لبناننا الحبيب أيضاً وما فيه من أختيار وما فيه من رجالات، فإننا نجلس على اختلاف مدارسنا وطرقنا ولكن نجد أننا نصغي إلى بعضنا. عندما نرى أنّ الأمة فيها إمكانيات مثل هذه مع رجال يستطيعون أن يتجاوزوا تلك العُقد وأن يقفوا مع الحق وأن يتبينوه وأن يرجعوا أساساً إلى محمد وآل بيته إلى البيت المحمدي إلى العباء المحمدي، مع احترام الصحابة مع محبتهم مع محبة الصالحين، ولكن مع تبيين الحقائق بهدوء وتوضيحها بهدوء والتركيز على فقه الأولويات. الأولى أن نجتمع أولاً، أن نتناقش بهدوء، أن نبي، أن نبحت عما يجمع هذه الأمة. عندما أجلس مع الشيخ فرحات الجعبيري شيخ الإباضية في شمال إفريقيا وأنا أرجو أن ألتقي الشيخ أحمد خليلي في عُمان إن شاء الله يُزيل الله هذه الغُمة ونزورهم، عندما نجلس معه نتكلم كمسلمين.

المحمدية البيضاء تجمع الجميع

أنا الحقيقة عندما جلست مع بوجيا سوامي في شكرديش على مقربة من نهر الغانغا وجبال الهيمالايا وهو من كبار ربما من أهم المعلمين الهندوس، أو عندما جلست مع سوامي ميترانندا وهو مفكر كبير ومعلم يوغا كبير جداً ومع غيره من البوذيين.. مجموعة مجلس شوري العلماء على سبيل المثال الشيخ يوسف الناصري في العراق، جلست مع ستار جبار حلو وهذا شيخ الصابئة المندائية، ومع الأيزيديين الآشوريين، أو عندما أتناقش مع الأب حنّا اسكندر وهو مسيحي لبناني صديق عزيز، وكذلك المفكر أنطوان بارا، عندما نجلس مع هؤلاء عندما أمضي إلى أصحاب الديانات السماوية من يهود ومسيحيين وصابئة، وعندما أمضي أيضاً إلى أصحاب ديانات سماوية نُسيت وحُرّف الكثير من معناها، عندما أذهب إلى الشيخ إلى مقام إلى المكان الذي ولد فيه الغورو نانك وأقول مقام بحكم أنه كان مسلماً ومكث ست سنوات بين الإمام موسى الكاظم وبين الشيخ عبد القادر وحج واعتمر ومكث عاماً ونصف أيضاً بين المدينة المنورة ورجع وقد كتب الفاتحة على ثوبه وتخاصم المسلمون والشيخ أيهم يدفنه عنده، ولكنه أتى بالهندوسية إلى التوحيد هذا اقرأوه جيداً حتى تعرفوا لماذا أزور تلك المناطق.. المهمّ عندما أتناقش مع هؤلاء الهندوس وغيرهم، ما هو همي؟ أن لا تكون حرب بين المسلمين والهندوس في الهند، وهذا يُراد! عندما تُفعل مسألة كشمير أو مرة من المرات هُوجمت كما قلت نكانا هذه التي زرتها في لاهور واتصل بي الإخوة من الهند من المسلمين واتصلنا أيضاً بالأخوة في باكستان لتهدأ الأمور، هاجم هؤلاء السلفية الوهابية الحمقى هاجموا هكذا ستؤدي إلى ملايين القتلى في الهند المسلمين والهندوس. ما الذي نريده من هذه الحرب؟ لماذا علينا أن نكون في حرب؟ مأساة بورما بدأت عندما دخلت الأفكار الوهابية الظلامية إلى تلك المنطقة وبدأت الكراهية وبدأ الحقد بعد أن عاشوا سنوات، واستغلّت الصهيونية ذلك مع تلك الرئيسة التي أعطيت جائزة نوبل للسلام لتقوم بمجازر، وأنا شهدت على شهود عيان الحقيقة أمر يؤسف جداً في حدود بورما هنالك في مدينة اسمها كوكس بازار.

- المهم، الذي يعنيني هو هذا الإخاء الإنساني-الإنساني ليقيني بأمرين:
1. الأول أنّ الله مّطلع على قلوب عباده، وأنّ الأولى أن تكون الحياة سلمية بين المختلفين في الدين والرؤية
 2. والثاني أنّ العدو يقصد الجميع ويُريد أن يُزيل الجميع وأنّ الفتح الإلهي القادم سيجمع الجميع. عندما يأتي القائم إن شاء الله وإن شاء الله يكون قريباً هو سيكون قريباً بعونه تعالى، سيجمع كل الإنسانية، كل الإنسانية على المحمدية البيضاء.

المحمدية البيضاء هي المهدوية القادمة، المهدوية القادمة محمدية بيضاء، ليست شيعية ولا سنية ولا مالكية ولا شافعية ولا صوفية ولا سلفية ولا هندوسية ولا بوذية ولا مسيحية ولا يهودية. تجمع الجميع، ويجد كلاً مكانه تحت لواء "لا إله إلا الله محمد رسول الله" وتحت لواء يُبيّن مكانة كل نبي ومكانة كل ديانة وحقّ كل أهل ديانة وحقّ كلّ في الحقيقة وفي معرفة ما كان ينقصه من الجوانب التاريخية وإقامة العدل وإظهار الحقائق المخفية والمطوية عن البشر عموماً عن هذه الأمة خصوصاً بتفاصيل وتفصيل وتفصيل، وأنكلم عن معرفة وعن بيان ولا أتكم هكذا لا أظنّ ظناً.

وعليه فكما يكون جلوسي مع معلّم هندوسي آخذ منه من قواعد اليوغا أو معلّم بوذي أو معلّم شينتو آخذ منه بعض علوم الساموراي رغم أنني أملك من المعرفة ما يُغنيني عنهم مصدرى ربما يكون أقوى من مصدرهم، ما يفتح الله به على قلب عبده، ولكن الإنسان لا يستغني بنفسه إنما يتعلّم ويجلس ويحترم ويأخذ أفكاراً ويُعطي أفكاراً.. وهكذا تُصبح الرؤيا أشمل وأنقى وأسطع، وتخدم أمتك وتخدم الإنسانية وتكون يداً للسلام. وراقبوا وانظروا الصور وانظروا الرحلات التي قمنا بها، لا ندعي ادعاءً إنما كانت حقائق. وأنا مقصّر في هذا الجانب عليّ أن أكتب كتاباً، لكن الصور كثيرة آلاف الآلاف والقصص عديدة ولم أجد وقتاً لتدوينها وتدوين هذه التغيرات التي دامت أكثر من خمسة عشر عام، المهم أنّ هذا أولاً.

على البشرية أن تجتمع معاً

ثانياً، إذا جاز لي ذلك وجاز أن أقول أنّ على الأمة أن تجتمع (أتكلم عن الأمة الإنسانية)، على البشرية أن تجتمع معاً، لأنّ الذي يواجهها كما قلت في مراسلات مع الأخ العزيز الأب حنّا اسكندر والذي يتكلم عن رؤى الأب شريل حول التغيرات القادمة أو عندما هيلاريون كابوتشي المناضل المسيحي الفلسطيني الكبير التقيته في سوريا وأمّسك يدي بقوة وعزيمة وهو شيخ وبدأ يتكلم عن القدس ويتكلم عن السلام ويتكلم عن حرب مع الصهيونية وعن استعادة القدس وعن الفجر القادم وجدت محمدياً مسيحياً، وجدت فيه سرّاً كبيراً عظيماً، وهذا المناضل الذي انتقل نحن نرجو له من الله كل الخير لأنه كان على بصيرة وكان على وقوف مع بيت المقدس، والحياة مواقف. امرأة بغي من بغايا إسرائيل في الكتب الحديثة سقت كلباً فدخلت به الجنة، على صحّتها أو أنه حديث مزيف، ولكن في القصة ما يُستأنس به أنّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى رَبُّ عِبَادِهِ، نحن لا نملك مفاتيح الجنة ولا مفاتيح النار. البعض هو وكيل جهنم، كل من سيدخل النار يعرفهم، ولا يدخل الجنة إلا من يوافق عليه، هذا غير صحيح وغير منطقي! قلت كنا نتكلم عن الحرب

الموجهة أساساً إلى الديانتين الإسلامية والمسيحية، وبعدها إلى المعتدلين إلى المناصرين للقضية الفلسطينية من اليهود الذين بدأوا الآن يتكلمون أيضاً، الحرب حقيقة هكذا. وتوجه الآن قوة كبيرة جداً لحرب دينية-دينية خاصة في الصين وفي الهند تحديداً، يُراد أن تراق الدماء في تلك المنطقة وأن تُعمم ما حدث في بورما، لذلك العملية الكبيرة في سريلانكا منذ فترة الإرهابية هذه كانت غايتها أن يُحقد على المسلمين. حتى في الغرب يُراد تشويهه، واليمين المتطرّف يصعد بقوة، عملية نيوزلندا يقوم بلعبة ويبتئها مباشرة ويقتل الناس، متطرّف يقتل باسم الإسلام ومتطرّف يقتل باسم المسيحية، والملاحدة يقفزون ويتفافزون ويفرحون: انظروا المعتقدين إنهم مهلوسون، فتعالوا إلى الإلحاد تعالوا إلى الشذوذ تعالوا إلى الفساد ودمّر الذات الإنسانية.

كورونا أخلاقي

ليست كورونا هي المخيفة، المخيف **كورونا أخلاقي** لمحو الأخلاق الإنسانية لتدمير أيّ عقيدة مهما كانت، تدمير أيّ نفس روحاني مهما كان، إلى تحويل التصوف الإسلامي مدرسة الجهاد والواقعية والعلم إلى مدرسة روحانيات فاسدة ولصوصية وسرقة وحقارة وكذب وسحر وشعوذة، تحويل مدرسة التسنن من مدرسة تحت لواء محمد وآل بيت إلى مدرسة نواصب مدرسة كارهين ماقتين ومدرسة يزيد اللعين مدرسة تريد أن تغمس أيديها في دم الحسين بن علي ابن فاطمة، هكذا يُراد أيضاً. يُراد أن تتحوّل السلفية من أتباع السلف الصالح من دعوة بعض العلماء إلى الرجوع إلى نقاء الإسلام الأول إلى دعوة همجية دعوة مجازر ذكرها ابن غنّام في (تاريخ نجد) وذكرها ابن بشر في (المجد في تاريخ نجد) إلى مجازر، ما قام به ابن تيمية في جبل عامل وفي تكفيره لقرية ماردين وسوى ذلك، إلى مآسي قديمة يُراد أن تجدد، إلى وقعة الحرّة إلى مآسي أخرى إلى فخر وإلى كربلاء.. يُراد أن يكون الشيعي متعصب ويُغذى ذلك فيه، أن لا يكون همّه أخلاق أهل البيت ومبادئهم وقيمهم، كيف كانوا يفكرون كيف كانوا يحبون كيف كانوا يتعاملون، ماذا قال الإمام جعفر الصادق، بل إلى أمور أخرى موضوعة تثير الشفقة والسخرية، وإلى الكراهية إلى الكره إلى اللعن. ويُغذى هذا في بريطانيا خاصة مع بعض أبناء هذه المدرسة التكفيرية داخل التشيع، مدرسة لا تعرف إلا اللعن والهجوم. بينما عندما تسمع للشيخ الوائلي، عندما تقرأ للعلماء الكبار والمراجع الكبار، هم غير ذلك. ونفس الأمر يُمارس في الضفاف الأخرى، كلها يُراد اختراقها ويُراد ضربها.

مؤتمر العالم الإسلامي الأول

عندما أرجع بكم إلى مشهد مهمّ سنة 1929 عندما اجتمع 40 من علماء الأمة في مؤتمر العالم الإسلامي الأول في القدس الشريف تحت إدارة أمين الحسيني مفتي القدس، وبتنسيق وبتنظيم عمل كبير جداً للمجاهد التونسي الكبير عبد العزيز الثعالبي الذين درس قبل ذلك في مدرسة آل البيت وكان صديق الندائي ومجموعة من شعراء العراق درس في مدرسة في الكاظمية مدرسة شيعية وهو سني، وبعد ذلك مثل العراق في مؤتمر الخلافة سنة 1924، بل أراد الحسيني من العلماء أن يُنادى بالثعالبي كأمر المؤمنين في العالم الإسلامي، وهؤلاء جاء رشيد رضا، رشيد رضا هو على منهج سلفي بمعنى أنه يُريد العودة إلى نقاء الدين الأول هو من طرابلس وصار شيخ الأزهر، سعد الدين الجزائري حفيد الأمير عبد القادر الجزائري

وكان مقيماً حينها في سوريا بحكم أنه الأمير عبد القادر نُفي إلى سوريا وسُمي باسمه منذ فترة قريبة شارع في أمريكا بحكم أنه أنقذ عشرين ألف من المسيحيين من حريق ومن هجوم عليهم، وهذا من عدالة الإسلام الحقيقي الذي في قلبه. حضر الشاعر المُلمهم الكبير محمد إقبال، محمد إقبال ومحمد علي جناح مؤسسي باكستان كانوا على المذهب الإسماعيلي، وحضر كذلك رشيد رضا سُني فيه قرب من السلفية ليست الوهابية إنما المدرسة الأثرية، وكذلك حضر سعد الدين الجزائري سُني صوفي، والثعالبي سُني زيتوني، والأمين الحسيني سُني وأيضاً صوفي، والذي مؤل ذلك شوكت علي وهو هندي من الهند مناضل هندي كبير جداً. وصلّى بهم في القدس عبد الحسين آل كاشف الغطاء وهو المرجع النجفي، صلّى بهم هذا الشيخ الكبير السيد عبد الحسين وهو في المدرسة الشيعية. وعندما أراد أمين الحسيني أن يعطي نيابة الرئاسة إلى الثعالبي تنازل عنها للطببائي الإيراني وهو أيضاً شيعي. وعليه، هؤلاء الكبار عرفوا أنّ الأمة، وكان شعارهم "القدس تناديكم" وهو الشعار الذي رفعه الشيخ عبد القادر الجيلاني والسيد أحمد الرفاعي والسيد رسلان الدمشقي وعُدي ابن مسافر وكذلك أبو مدين شعيب الغوث وحياء ابن عيسى الحرّاني وبقاء بن بطو وغيرهم من الأقطاب في تلك الفترة، كان الشعار مع نور الدين زنكي "القدس تناديكم". رُفِعَ هذا الشعار في مؤتمر العالم الإسلامي الأول ولم يُفَرَّق فيه بين إسماعيلي وشيعي وبين سلفي أثري وصوفي، هذه الحالة التي قرأتها أنا أعتدها وأتبتها.

الإسلام الذي نريد

وعليه ختاماً، تجدون من يكتب عنا ويكذب، وكثيرون يتأولون أننا نمارس تقيّة هنا وأنا نتخفى من هناك.. نحن أبناء هذا الدين الحقيقي وأبناء هذه الإنسانية بفهمها، وبهذا الوعي الذي امتزجت فيه معارف شتى وفنون دفاعية وشعر وروحانية وعلوم كمّ وغير ذلك، بهذا الجمع بين اللدني وبين العقلاني، وبهذا الدمج الإنساني، وبهذا النسب الذي نفخر به حسناً حسينياً، وبهذه الروح التي فيها من أرواح وبثّ أرواح الصالحين، لا نخشى في الله لومة لائم ولا نخشى من الخلق أحداً. إنما نقول بكل وضوح: نحن على المحمدية البيضاء، ندعو إلى المحمدية البيضاء، ندعو إلى طريقة محمدية في أصولها مهدوية في وصولها، فالأصل محمدي والوصل مهدوي، دولة ستقوم بأمر الله لتُحقق ما وعد الله به رسول الله.

وإذا قلنا محمدية بيضاء قلنا الإسلام النقي إسلام العلم إسلام التميّز إسلام ﴿أَفْرَأُ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ إسلام ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ إسلام التميّز والبراعة إسلام الشجاعة الحمزوية إسلام المهارة العلوية والحكمة العلوية إسلام الثبات الجعفري إسلام اليقين في قلب بلال والموسوعية في عقل سلمان إسلام البشر في مُحَيّا مصعب ابن عمير والصبر والبشارة إسلام الدبلوماسية التي كانت تُمارس لتجمع الناس إسلام الوقوف مع الحقّ كأبي ذرّ والاستشهاد في الحقّ كعمّار. الإسلام الذي نريده هو إسلام يُحب أصحاب النبي لأنهم أصحاب النبي، يحبهم ويوقّرههم ويوقّر أمّهات المؤمنين، وإسلام يصمت على أمور تؤلم لأنّ الكلام عنها سيهدم ولن يبني، إسلام يقف مع الحسين ومع الحسن قبل ذلك موقف العزّة ويقف مع الزهراء أيضاً لأنها فلذة رسول الله، إسلام يعلم أنّ أبا طالب من أئمة المؤمنين وأنّ والدي النبي من أكابر بل هم من أعظم ما خلق الله سبحانه وتعالى، إسلام يحب عيسى وموسى ويحب السيّدة العذراء يُحب إبراهيم يحب داوود وإسماعيل ويونس يحب

الأنبياء جميعاً، وإسلام يحب عبد القادر الجيلاني والرفاعي يحب الصالحين من أبناء هذه الأمة والأقطاب والأوتاد والأبدال ولا يخرج عنهم لاعناً راجماً محرّقاً مكفراً منفراً، إسلام يُخاطب العقل بالعقل ويفهم معاني النقل، إسلام يفهم الأحكام وحكمة الأحكام ويُدرك الإحكام في الأحكام، إسلام يمزج في عقله الكامل بين الروحانية الربانية والعلوم القرآنية والنفحات الإيمانية والغوامض والخواصّ العرفانية مع ثبات في فقه واقع ومع معرفة باستراتيجياته ومعرفة بأحوال وأدواء النفس وكيفيات مواجهة الشر، إسلامٌ ينظر في عين الشيطان فيثقبها ولا يخاف منها، لا ينخدع ولا يتبع هكذا دون تميّز، إسلام يمضي في عمق السنة فيعرف موضوعها من حقيقتها ويمضي في عمق التاريخ فيفهم ولكن يصرح بما يجب التصريح به ويُركّز على الواقع، إسلام يحب قدسه ويعلم أنّ تحريرها قادم ويقف معها، إسلام يُبين لصاحبه إذا تكلم دعيّ بالعلم اللدني ودجال وكذاب أنّ هذا دجال وكذاب ويُبين أنّ الصادق صادق وأنّ المحقّ محقّ وأنّ الحقّ حقّ، إسلام من روح محمد الأكبر بينهم والأهمّ منهم وكلهم تحت قدمه، إسلام لا يُغادر العباء ولا يُغادر أصحاب الكساء، إسلام لا يُجافي آل بيت النبي ولا يصمت عن ألمهم ولكن قد يُعبّر برُقيّ أو قد يُعبّر بأشكال أخرى، هذا هو الإسلام الذي نؤمن به.. إسلام يوقّر أئمة الهدى وإسلام ينشر نوره في المدى، إسلام يؤاخي الإنسان "الخلق إثنان أخ لك في الدين أو نظير لك في الخلق" هذا إسلام سيبني سينتصر، هذا هو الذي سيأتي به المهدي جامعاً لكل الإنسانية.

وهب أنّ ذلك لن يأتي الآن، نحن سنقف مع هذا المعنى ونُعبّر عنه ونذود عنه، إسلام الرباط المحمدي إسلام الرجوع إلى رسول الله إسلام رفع راية رسول الله وجعل كل راية أياً كانت مذهبية صوفية سلفية شيعية سنية تحت الراية المحمدية، لأنّ البعض يجعل رايته الخاصة وراية شيخه فوق راية محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، قطعاً لا!! هذا الإسلام يحيي هامه أمام العظمة المحمدية والإشراق المحمدية ويلتمس الأمداد المحمدية ويستفتح بهذا السرّ المحمدي لنيل عطاءات الله، لأنه إسلام التوسّل أيضاً، فلا إسلام لغير متوسّل. لأنّ الذي يرفض التوسّل برسول الله ويستنقص قدره ويستنقص من والديه وآله ويقول مات وانقطع ولا يضرّ ولا ينفع، هذا أعمى أكثر من إبليس! إبليس رُفض سجوده الطويل لله لأجل سجدة لعبد خلقه الله. وكذا لن يُقبل من أحدٍ صيام ولا قيام ولا خضوع ولا خشوع ولا ركوع لم يدخل من باب محمد، من تحت جناح محمد سيّدنا وإمامنا، من تحت الوسيلة المحمدية والجاه المحمدي والنظرة المحمدية والمحبة المحمدية والقبول المحمدي. ومن لم يدخل من هذا الباب ولم يأخذ الموافقة العلوية والفاطمية والحسنية والحسينية ولم يلتزم الأعتاب ولم يوقّر الأحابب والأصحاب، هذا ليس له من الدين إلا ما يتشدّق به لسانه.

وعليه، هذه مدرستنا !

المدرسة الزيتونية

نعم نحن بما أننا نشأنا في إفريقيا في بلاد تونس المحروسة إن شاء الله بنظرات أهل الله وتحت راية اللطف إن شاء الله، نشأنا في مدرسة اسمها **المدرسة الزيتونية**. جامع الزيتونة المعمور الذي بُني ووجدوا قبراً لقيديسة (كما ذكر المؤرخ ابن أبي دينار القيرواني) القديسة أوليفيا دي باليرمو من باليرمو كانت سيسيليا تتبع تونس، ونفاها الوندال وكانوا وثنيين وأتت إلى تونس وألقيت نحو الغابة لتفترسها الوحوش فلم تفعل، وكانت لم تتزوج، وكذا فُعلَ بالسيدة أم الزين التليلية كما ذكر ابن أبي الضياف أنّ حمودة باشا ألقاها للأسود ظناً منه أنها تفتعل أموراً فوجد السباع رابضة عندها. فأوليفيا إذاً التي تحمل اسم الزيتون فنت في هذا العشق الإلهي وكانت تنادي بالتوحيد بالمسيحية البيضاء وأدخلت الكثيرين حتى الذين أرادوا أديتها بكراماتها بعلاج المرضى بأمور كثيرة دخلوا في ذلك التوحيد المسيحي، وبعدها وُضعت في الزيت المغلي وُعِدَّت ولكن ذلك الزيت لم يؤذها، وبعدها قُطع رأسها وقُتلت واستشهدت ونبتت تلك الزيتونة على قبرها بجوار قبرها. عندما دخل الفاتحون المسلمون وجدوا ذلك وسمّوا الزيتونة على اسم تلك الزيتونة، وإن كان هنالك سرّ آخر يتصل بين الإمام جعفر الصادق والإمام مالك وعلي بن زياد ومؤسسي المدرسة الزيتونية لكني لا أقوله الآن لأنه يكشف أموراً لا يجب كشفها، ولكن هذه هي الزيتونة لا شرقية ولا غربية. فتلك الزيتونة كانت انطلاقة كانت انبثاق لمدرسة عظيمة هي أول جامعة في العالم وأول جامعة في العالم الإسلامي وخرج منها أعلام وأقطاب وكبار علماء وفقهاء ومتصوفة وعلماء منطلق وعلماء إجتماع ابن خلدون خريج المدرسة الزيتونية الثعالبي خريج المدرسة الزيتونية ابن عرفة مجدد الفقه مجدد المنطق في القرن الثامن كما ذكر المفكر شكيب أرسلان أيضاً من هذه المدرسة الزيتونية، الشيخ سالم بوحاجب ومحمد بيرم الخامس، الفقه المقاصدي فقه زيتوني وخرج من الزيتونة، جامع القرويين خرج من تونس الزيتونة، فاطمة الفهرية ومريم الفهرية القيروانيتين، كان يُسمّى القيروانيين ثم صار القرويين، الأزهر أيضاً خرج من المهديّة من مدينتي التي ستكون فيها منارتنا إن شاء الله خرج أيضاً مسجد الأزهر الذي فيه أيضاً أعلامه وأقطابه وأهل علم وأهل صلاح، وكان الخضر حسين إمام الأزهر أيضاً زيتونياً تونسياً.

فهذه مدرسة أنا أحبها وأفخر بها وأنتمي إليها وأعرف من أسيّاسها الذين بقوا في هذه الدنيا بحكم أنه حورب وأغلق منذ دولة الاستقلال وهي من أكبر الجرائم الحقيقية التي تمّت ومورست ليس فقط على الأمة التونسية كما كان يذكر الحبيب بوقريعة إنما على الأمة ككل، نحن نؤمن بالأمة ككل، فكانت جريمة كبيرة جداً سنة 1963 تقريباً. وهذا أيضاً تحقيقاً لمصالح المستعمر الذي تأذى كثيراً من علماء الزيتونة، وكان من أسبابه أيضاً وجود بعض الإشكاليات في التطوير وكان الشيخ سالم بوحاجب يُريد هذا التطوير وهذه الثورة المعرفية. المهم أنّ هذه المدرسة التقينا الشيخ محمد الكامل سعادة والمرحوم الشيخ محمد جبير والشيخ قدور الريفي وهؤلاء الذين أخذوا من هذه المدرسة وكذلك الشيخ محمد مشفر الأخ والحبيب وهو صاحب السند القرآني الكبير، السند التونسي هام جداً وعالي جداً في الحديث وفي التلاوة وفي الفقه وهو كما قلت فيه التصوف وفيه أيضاً محبة أهل البيت: **إلهي قد سألتك بالنبي *** وفرع الطهر بالحسن الولي *** بمولانا الحسين ومن قد أضحى *** قتيلاً بيد الشمر الشقي** ويقول في نهايتها: **أدم لي حب آل البيت حتى *** أموت عليه بالعهد الوفي** هذه كانت تسمّى سنبة إثنًا عشرية بمعنى أنه الإمام الشيخ إبراهيم الرياحي الذي أدخل التيجانية إلى البلاد التونسية هو أيضاً توسّل بالأئمة وهذا رغم

أنه من أئمة المدرسة السنية. فأنا أحب المدرسة الزيتونية التونسية وأنتمي إليها حقيقة وصرحة وأحب ما فيها من تميّزات في المنطق وفي العلم والإسهامات العلمية الكبيرة، ونحن نعمل إن شاء الله فيما سنؤسسه من منارة إن شاء الله فيما سنؤسسه له، سنعمل على إعادة إشعاع هذه المدرسة بشكل كبير.

ليست سجنًا

ولكن هذه المدرسة ليست سجنًا إنما تحت راية انتمائنا للمحمدية البيضاء، للمدرسة المحمدية، لهذه المدرسة التي نُخاطب فيها بمحبة إخوتنا جميعاً: الشيعة والسنة الإباضية الزيدية الصوفية السلفية مدرسة الأحباش، هذه المدارس كلها هذه المدارس التي فيها تنوّعات.. نرفض كل لَعَانٍ وشتام، نرفض كل ناصبي، نرفض كل دَجَالٍ دعيّ روحانية وكذّاب، نرفض الكذب لأنه كذب ونحب المحبة لأنها محبة ونقبل بالإخاء الإنساني ونحاور الجميع بجرأة ونفهم الخير ونفهم الشر، فهذه هي المدرسة التي ننتمي إليها. لا نُمارس لا تقيّة ولا نخشى في الله لومة لائم ولسنا ممن يهاب أحداً، إنما هذه الواقعية التي نقولها.

إذن نحن في الخصوصية مدرسة محمدية تونسية زيتونية ولها أيضاً استتبعات تصوفية وروحانية، وفي المدرسة الكبرى المحمدية البيضاء المدرسة المحمدية والتي لا تُغادر قطعاً بيت النبي وآل بيت النبي. فهذا الذي يريد أن يكون معنا في ذلك والذي يريد أن يُعيننا فيما نفعله إن شاء الله وما نقوم به، كما قلت دائماً بالمال والحال والمقال، فأهلاً وسهلاً. من أراد أن يقف معنا واطّلع وقرأ ويشاهد ويُتابع، وسندنشر وسنكتب وسنحاضر وسنجدول في الأرض مجدداً وسندعو إلى ذلك ونبشّر بالمهدوية القادمة الحقيقية وليست التي فيها الكثير من الأكاذيب والخُدع وغير ذلك سواءً فيما دُسّ من قبل أو ما يدسّ البعض اليوم ويتلاعبون بالناس، بالخضرية الحقيقية التي تعني التميّزات العلمية الخارقة والتي لا يجد فيها أحد موضع إبرة ليجد خللاً فيه، بهذا الفهم. أما بعضهم يتكلم على أنه خضري ويأخذ العلم من الله مباشرة وهو مسكين ربما مصاب بلوثة أو هو عميل دُسّ ودُعم وسيفصح الله هذا وذاك والأيام طويلة.

أما من لم يشأ هذا ورام أن يستمرّ فيما كان عليه من كان قبله من محاربتنا والادّعاء علينا والكذب والتآمر ومحاولات إيقاف هذا النهر المحمدي الجارف فإنه كالجرادة التي أمسكت قسّة في وجه الطوفان. وقد قال جدنا الحسن عَلَيْهِ السَّلَامُ في مجلس معاوية للمغيرة: "أما أنت فمثلك كالذبابة التي قالت للنخلة: تأهبي فإني طائرة عنك، فقالت لها النخلة: وهل شعرت بك حين حططت عليّ حتى أشعر بك حين طرتي عني؟!". فكذا نحن نقول، نحن من مدرسة هيهات منا الذلة، نحن من مدرسة "لا فتى إلا علي ولا سيف إلا ذو الفقار"، نحن من مدرسة "أنا خير من ولد آدم ولا فخر"، نحن من مدرسة فيها جيلانيها ورفاعيها وشاذليها وبدويها ودسوقيها تشرفاً بأهل الله وأحاب الله، ونحن من مدرسة فيها من نحتفل بمولده الإمام الرضا عَلَيْهِ السَّلَامُ وآبأوه وأولاده ونقول عن أئمة أهل البيت "عَلَيْهِمُ السَّلَامُ" رغم أنف من يكرههم، ونحن من المدرسة التي تحب أصحاب رسول الله وتترضى عنهم: رضي الله عن أصحاب الحبيب ونعرف أحبابه الحقيقيين ونعرف ما كان بعد ذلك من أمور، ونقف مع الإمام علي حيثما وقف.

خاتمة

المهمّ هذا هو البيان، سنستمرّ بعون الله تعالى، هذا بياننا يبيّن مباشرة للمحب والكاره. فأما من أحب فلم تحب ولا تحب على غير بيّنة، تبين وميّز وشاهد واقرأ، فإذا تبعتنا وكنت معنا فليكن ذلك على عهد بيننا، نحن لا نريد أيضاً من يعبد الله على حرف فإذا أصابه خير اطمأنّ به وإذا أصابته فتنة انقلب على وجهه، يأتيك يُقبَل الأعتاب ويتوسّل حتى تلتقيه ثم بعد ذلك يقول والله قد كشفت.. ماذا كشفت؟ ماذا وجدت؟ نبيع الأسلحة؟! نخون قضيتنا؟! نحن مع القدس حيثما وقفت ونحن مع تونس بلادنا حيثما وقفت ونحن مع أمتنا ومع الخير في الإنسانية. والذي يُعادي هو البيان واضح: إذاً إن شاء الله سوف يظهر مهدي هذه الأمة وسيصفع وجوهكم جميعاً. ونحن إن شاء الله (أحياء في هذه الدنيا أو انتقلنا عنها إلى دار أدوم وأبقى) نرجو رحمة رحيم ولقاء نبي كريم، سنكون على هذا الحق وعلى هذا العهد رغم اعوجاج في أنفسنا وضعف في مقامنا وكللاً في بصائرنا وكثرة في ذنوبنا وعيوبنا وكثير من السوء الذي نأتيه بجهلٍ أو بعلمٍ ورغم كل هذه الضلالة، ولكننا لا ننظر إلى أنفسنا من أنفسنا بل لأننا تحت الراية المحمدية. وهذه المحمدية البيضاء نرفع رايتها إن شاء الله كما قلت في البيان الذي قلته في العراق في الفلوجة عند رجال الرباط المحمدي "نرفع الراية ونحقق الغاية ونُظهر الآية". فهذا بياننا للجميع إن شاء الله حتى يتبيّنوه.

فشكراً لكل من وقف معنا لكل من دعمنا ويدعمنا بشئٍ سبل الدعم وبارك الله فيكم جميعاً، وأيضاً أعداؤنا الذين يرموننا بالخناجر دائماً والذين يُريدون أن يوقفوا هذه الخطوة: انتظروا قليلاً وانظروا كيف يُبدي الله على عباد له آيات قهره وقدرته وسلطانه وكيف يُجَلّي اسمه العليم على من أراد من عباده. ومن نظر إلينا بعين الإحتقار والله إننا ننظر إلى أنفسنا بعين احتقار أشدّ، ومن نظر إلينا بعين إجلال فالإجلال ليس لنا في الحقيقة بل لمن منحونا عطفتهم ونظرتهم وسرّهم ومددهم وبركتهم حتى نطقنا وتكلمنا وحتى تجلّى علينا ومنا وفينا وبنا وعندنا هذا الذي تجلّى.

وليلي عندنا ترجو الوصالا
وليلي عندنا احترقت دلالات
وليلي عندنا رأّت الجمالا

سوانا يدّعي وصلاً بليلى
سوانا يكتوي بدلال ليلي
سوانا يصطلي بجمال ليلي

كما قلت في قصيدة ذات خمرة، والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

الحاضرة بتاريخ: 21-06-2021



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

التأمل السادس والعشرون: دين الإبراهيمية - الحق الذي أريد به باطل -

منطلقات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمين وعلى آل بيته الطيبين.

السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته أحببنا الأخوة والأخوات متابعينا الكرام وأخصّ أهل منبر النور، السلام عليكم بعد انقطاع دام أكثر من شهرين كنتم رافقتمونا في رحلة إلى رحاب الأسمر في أرض ليبيا وإلى الشيخ عمر المختار وفي رحاب أشرف ليبيا وبعدها الرحلة المصرية العظيمة الرائعة وما فيها من زيارات أهل الله الصالحين ونخصّ أسياذنا آل بيت النبي وأسيادنا أقطاب أهل الله.

الحقيقة أنّ الرحلة شحنت القلب كثيراً وملأته محبة، التقينا عدداً من أحببنا القدامى والتقينا أحبة جدّنا معهم العهد، عهد الروح الذي كان والذي يُجدّد عندما تلتقي الأشباح بعد فراق الأرواح. وكذلك هالني وأطربني وأسكرني وأفرحني وأحزني هذا القدر من المحبة التي وجدتها عند من لقيتهم وعند من راسلوني في أرض الكنانة المباركة. وكذلك أردنا أن تأخذ حلقات المنارة التي كانت حواراً حاورني فيه الرائع محمد عيسى إبراهيم أن تأخذ مداها والحمد لله أننا قدّمنا صورة عما نرومه من مشروع المنارة وكذلك بعض رؤانا الفكرية، وكان من خلفه تلاميذ جدّ أحببنا جدّ أحببنا انضماموا إلينا، فحيا الله كل من انضم إلينا إلى هذه الدروس، وإن شاء الله تحضرون معنا الدورات والدروس البرهانية، دورات كثيرة متعددة في مباحث علمية عديدة. ولعلكم تلمستم ملامح المدرسة التي أظن أنني عميدها في هذه المرحلة، وهي مدرسة تتسم بالشمولية وبالدقة، بالموسوعية بالنفخ الخضري، مع أخذ الأصول من أهلها. وكذلك الحلقة الجميلة التي جمعني بالعلامة محمد عيسى داوود بعد فترة من الاشتياق التقينا، وكذا حبيبنا المنفوح حبيب القلب والروح الشيخ الدكتور أحمد شحاته الأزهرى.

إذن هذه تحية شكر لمن من استقبلنا من أحببنا في ليبيا وكل من استقبلنا في مصر، بأسمائهم بصفاتهم، جزاهم الله خيراً، بارك الله فيكم على حسن الوفادة وحسن الظن، وكذلك لأهل منبر النور ولأهل المنارة. نحن منذ فترة قريبة قمنا بأول درس علمي في المنارة قدّمه الشيخ الزيتوني "فوزي بن تيشه" إن شاء الله سنشره بينكم، ما زالت المنارة لم تكتمل من حيث المبنى ولكنها كاملة من حيث المعنى. هذه ملاحظة أولى.

الملاحظة الثانية أننا في المرحلة القادمة سوف يزداد نسق البث المعرفي، ستكون هناك دورات تكوينية مهمة في مجالات يجب أن نفهمها. نحن في زمن كلّ يدعي أنه يعالج السحر وأنه يخرج السحر وما هي هذه الآفة التي تعاني منها البشرية، سنقدّم دورات تكوينية في هذا الباب. الحقيقة أننا سوف نمضي في نسق أكبر، جانب السحر هذا جانب آفة تعاني منه الإنسانية، ولذلك سنقوم بدورة لفهمه: ما هي هذه الآفة؟ ما هي أنواعها؟ كيف يمكن الوقاية الذاتية منها؟ حتى لا تضيع وقتك: إما أنك تتوهم أنك مسحور وأنت لست كذلك، أو أنّ هنالك من يخدعونك عادة أنّ البيت مسكون وعندك كنز في البيت أو علاقات عاطفية مع الجن هكذا كأنه ليس عالم لديه ضوابط ولديه قوانين، معظمهم دجال هذا يدجل بادعاء التمسلف والرقية الشرعية وذاك يدجل بادعاء مذهب هنا وهناك أو بادعاء التمصوف وليس التصوف، ولكن الحقيقة هنالك منهج علمي واضح صارم في القرآن الكريم وفي الآيات وفي أحاديث رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وفيما فتح الله فيه على قلوبنا كما اعتدتم منا نحن نمضي في الباب الخصري الذي نقدّمه. أيضاً بالنسبة للدروس البرهانية إن شاء الله سوف يزداد نسق الجانب المعرفي فيها حتى يكون فيها إفادة أكبر. دورات أخرى مثلاً في تفسير الأحلام والرؤى، الآن مئات الآلاف يعبرون الرؤى وكلهم لديهم معرفة بقادم الأيام، أيضاً ربما أشرط الساعة هذا باب كبير واسع...

فمن أحب المعرفة فليرافقنا فيما نبينه، من وجد خللاً في الفكر أو فكرة خاطئة ينقدنا بمنهج علمي نجيبه ونبين له، وإذا وجدنا رأياً أقوى من رأينا اتبعنا ذلك الرأي وتبعناه بكل رحابة صدر. أنا لا أزعم أنني أقدم علماً كاملاً، لكني واثق أنني أقدم علماً متكاملًا، سيحتاج إليه، تحتاج إليه في حياتك وتحتاج إليه فيما سيأتي من أمور غريبة ستحدث لهذا العالم ومن أمور أخرى جيدة وجميلة نشأت إليها جميعاً. فعلى ما لدينا من شغف بالمعرفة وعلى ما لدينا من محبة وإخلاص وصدق نقدّم لكم هذه المعطيات هكذا نقدّمها محبة في الله ورسوله ومحبة فيكم، وفق هذه الإمكانيات التي نمتلكها. بعض الدروس ستكون على زووم، وبعضها الآخر ستكون على هذا الفضاء، ربما أنهم ابتكروها لغايات أخرى ولكن لله أن يجعل فيها غاياته الأصلية، بحكم أنّ العلم كشف من الله ولئن كشفه لأعدائه.

مسارات الترويج للديانة الإبراهيمية

نرجع الآن إلى موضوع يشغل الناس ولديه الكثير من المرّوجين والكثير من المحذّرين من هذا الباب وهو باب ما سُمّي بـ "الديانة الإبراهيمية" أو مشروع الدين الإبراهيمي، ويُعنى بذلك تجميع الديانات أو إيجاد صيغة دينية مظاطة تجمع الجميع تحت لواء سيدنا إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ.

هنالك ثلاث مسارات في هذا الأمر:

1. المسار الأول وهو المسار الذي بدأت الكنيسة منذ قرنين تقريباً فالكنيسة الكاثوليكية تقول أنه العهد القديم انتهى وأنّ العهد الجديد هو الذي يَجِبُ ما قبله، ولذلك كان هنالك إشكاليات بين الكاثوليكية واليهود، هذا وقع تصحيحه. وبدأت الكنيسة تقول أنّ استمرار وجود اليهود يعني استمرار وصدق العهد بين الله وموسى وأنّ العهد القديم خاص والعهد الجديد عام وهو أكثر شمولاً؛ وجدوا حلاً. بعض المدارس اليهودية حاول أهلها أن يتفاعلوا إيجابياً مع ذلك سواءً مع المسيحية خاصة ومع المسلمين ببعض المحاولات للتقارب في بعض ما سُمّي بـ "حوارات الأديان". كذلك الكنيسة الكاثوليكية كان موقفها من الإسلام لقرون طويلة أنهم أتباع الشرير، وهذا يبرّر ما قامت به إيزابيلا وفرديناند عندما استعمروا أو سيطروا أو افتكوا (وهم في نظرهم استعادوا) الأندلس، وما فعلوه بالموريكسيين من تعذيب ومن محاكم تفتيش، أيضاً بدأت مراجعات أنّ المسلمين هم أتباع دين وأنّ هنالك إمكانية للحوار معهم، وهذا فرضه الواقع فرضته تغيّرات وجود كثير من المسلمين في الدول الغربية.

هذا مسار أول وهو مسار أخذ سياقه التاريخي، هنالك من يقبله هنالك من يرفضه، لا يمنع وجود حوارات جادة. أنا شخصياً عندي أصدقاء في الديانة المسيحية وأخصّ بالذكر الأب حتّا اسكندر وعندنا أصدقاء في الديانة اليهودية، ولا أنسى أبداً الأب هيلاريون كابوتشي الذي كان مناضلاً فلسطينياً عاشقاً لفلسطين مهدياً ثائراً عيساوياً. هؤلاء التقيناهم ولدينا معهم خطوط تماس خطوط تشابك فكرية وروحية، وهذا من باب الحوار الإنسان مع الإنسان، ونحن نعلم ونعي جيداً أنّ حرب الإلحاد هي على الاعتقاد وخاصة تركّز على الديانتين الإسلامية والمسيحية.

2. السياق الثاني هو سياق حقيقي وهو سياق أنّ هذه الديانات ترجع إلى أصل إبراهيمي من جانب أنّ الأنبياء هؤلاء من ذرية سيدنا إبراهيم. لكن القرآن الكريم يبيّن أنّ سيدنا إبراهيم لم يكن لا نصرانياً ولا يهودياً كان حنيفياً مسلماً. وعليه، فإنّ الصّبغة الإبراهيمية الحقيقية هي أن يكون الناس حنفاء كما هو سمّانا المسلمين، أن يكونوا كما سمّاهم أبوهم إبراهيم. **فالحنيفية الإبراهيمية هي الصّق بالدين الإسلامي المحمدي**، هنالك الإسلام المحمدي وهنالك إسلام إبراهيمي وقبله إسلامات، وحتى يعقوب عندما توفاه الله وكان يحتضر قال لأبنائه ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي﴾، وقالوا ﴿وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾.

فالديانات التي جاءت، اليهودية في شرائعها هي صُبغت بهذا الاسم، ولكن في عمقها أيضاً تقترب وهي لصيقة بهذا الإسلام الأول الأزلي الرباني، وكذا المسيحية جاءت تصحيحاً لكثير مما فعل وادّعى الرّبّيون والذين كانوا يدّعون أنهم أبناء الله وأحبابه. هذا سياق يُنظر إليه من هذا الجانب، ونتأخى أهلاً وسهلاً بإخوتنا في الإنسانية. هنالك من يدخل من باب العقيدة سيُصدر أو يقرأ أحكاماً قاسية جداً وتصل إلى حدّ الحراة والحرب، ولكن من ينظر من باب إنساني ويتخذ فقه الأولويات ويفهم الحكم ويفهم كيف يجري العالم اليوم وإلى أين يسير هذا العالم فإنه حينها يبحث عن كل طيب في بني الإنسان كل ذرة خير في الإنسانية، حتى يرسل إليها شعاع هذا النور وحتى يسمع فكراً ويسمع قلباً ويسمع روحاً ويلتقي، لأنّ المجمع القادم سيكون مجمع رباني يجمع الجميع. فسيدنا النبي إبراهيم عليه وعلى سيدنا رسول الله السلام هو أمة ربّانية ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾ وكذلك هو حنفي مسلم.

أخذنا سياقين بيّنا كل منهما، يمكن الرجوع إلى المواقع والبحث في تاريخية العلاقة بين الكاثوليكية واليهودية وكذلك تطورات الكنيسة التي أهدمت غاليليو لأنه قال أنّ الأرض كروية ثم بعد ذلك اعتذرت (بعد 600 عام تقريباً).

3. الآن السياق الثالث، سأعطيك صورة تفسّر الأمر: البطل الهمام والفضيح الذي يتكلم العربية بلكنة فيها الكثير من الإضحاك، صاحب العينين الواسعتين والنظارات التي يضعها على عينيه، المسمّى أفياخي أدري. هذا الرجل (من حيث الجنس هو رجل) عندما يلقي خطبة الجمعة (كل جمعة يعطي كلمات) فيسلم على المسلمين بابتسامة، بطريقة فيها الكثير من علم التحفيز والتنمية البشرية، يبدو أنه مُكوّن جيداً مثل إيدي كوهين أيضاً السوبرمان الخاص بتويتير وصاحب التوقعات والاستشرافات وغيرها، وهم يُعضّدون بآمتهم ونحن نُخذل في أنظمتنا ودولنا ومعظم أمّتنا إلا من هدى الله. المهم عندما يقدّم درس الجمعة يأتي بآيات يقرأها بلكنته وبعد ذلك يقول نصائح للمسلمين مثلاً "تجنّبوا العنف"، الإسلام دعاكم ورسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ تكلم عن الرفق، والقرآن تكلم عن الرفق ﴿يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْناً﴾، ولذلك "لماذا تسمحون للمقاومة الفلسطينية أن تدمر لكم هذا السلام الذي تعيشونه ولماذا تسمحون بكذا وكذا وكذا؟" ويبدأ يُفتي.. هو يذكّرني ببعض الشيوخ الذي أيضاً كانوا يتكلمون عن ملائكة تنزل فوق الدوايش في سوريا، فهي صورة حقيقية لما يُراد ترويجه: أن تجد شيخ يدّعي الإسلام فيقول لك "الصلح مع اليهود [لا يتكلم عن اليهود لكن يتكلم عن الصهاينة] أنّ الصلح مع الصهاينة من واجبات المؤمنين والمسلمين، بينما الخطر الحقيقي هم الشيعة والخطر الحقيقي هي دولة كذا ويجب أن نتفق مع هذه الدولة الصهيونية والفلسطينيين نحن أعطيناهم الكثير من المال ويتصرفون الآن..."، بعض الصحفيين تكلموا هكذا جهرة أنه ليست قضيتنا قضيتكم، ونحن لدينا قضايانا الخاصة إلى غير ذلك.

هؤلاء عدوّ

أفيخاي أدري رغم صورة الكوميديّة المضحكة السوداء، لأنه في نهاية المطاف هذا جيش يقتل الأطفال هذا الجيش الذي قتل إيمان حجو وهي رضيعّة بطلقة لمضادات السيارات تُطلق عادة على سيارات مدرّعة وتركت ثقباً كبيراً في بطنها، هذا الذي قتل فارس عودة من دبابة لأنه كان يرمي حجراً، هذا الذي قتل محمد الدرة تحت يد أبيه؛ هؤلاء هم أصحاب الهاغانا التي قتلت أهلينا وأجدادنا في فلسطين وهجرتهم وقامت بمجازر وتقوم في جنين وفي دير ياسين، وهم من درّبوا الذين نفّذوا معركة صبرا وشاتيلا؛ كانوا يبقرون بطون النساء وبعد ذلك يقتلونهنّ ويذبحون الأطفال أمام أمهاتهم. هؤلاء هم الذين حاربوا الأنبياء من قبل وقتلوا الأنبياء من قبل ويستمرّون في ذلك... هؤلاء هم الذين كانوا قد نجّاهم الله من فرعون وهم أحيب وأسوأ من فرعون ﴿وَأَشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ﴾. هؤلاء من هادتهم ومن حالفهم ومن وقف معهم هذا لا يُبشّر بخير فإنه خذلان، وأقلّه أن نقول أنه فحّ قاتل، بعضهم ربما يفعل هذا بِنِيّاتٍ أخرى ولكنه فحّ مدمّر، هؤلاء عدوّ!

أما اليهود نحن لا إشكال لدينا مع اليهود، أنا منذ فترة كتبت أغنية وغنّتها يهودية وشاب مسيحي أيضاً وفنان تونسي الزين الحداد، نحن ليس لدينا إشكالية مع الأديان أبداً نتعايش معاً في نفس الأرض منذ آلاف السنين، عندنا أحباب من المسيحيين ومن غيرهم، وهذا ليس مزية منا، هذا ما يجب فعله. أنا وسّعت الدائرة حتى للهندوسية والبوذية، عندما أجد معلماً بوذياً معلّم فنون دفاع أنا لست معنياً بعقيدته، أنا أتعلّم منه وأخذ منه وأتبادل معه المعرفة، وهندوسياً حول اليوغا وغيرها... أهدّبها من مبادئ تناسخ الأرواح وغيرها من كلام حول الآلهة، أنا أعرف عندما يذكر كريشنا أو رام ويقول "رام سيتا رام، فليتمجد رام" أنا أعلم أنّ رام هو نبي وهو يظنّه إلهاً، وهذا ليس دوري أن أبين له أو أضطره للخروج من دينه؛ إنما دور من سيأتي ومن سيأخذ الراية ومن سيأخذ الخلافة الربانية.

وعليه، نتكلم الآن عن الصهاينة: يحفظون القرآن يدرسون الأحاديث يفعلون الكثير والكثير والكثير. الصهاينة غير اليهودية، وإن كان الله حكم قال عن اليهود كلاماً كثيراً في القرآن ولكنه كان يعني فجرتهم، في كل زمن يُخرج الله من ظهرانهم من يشهد عليهم كما يشهد اليوم على الصهيونية يهود يقفون ضد دولة الصهاينة ويقفون مباشرة ضد قيام دولة الصهاينة ويقفون مع الفلسطينيين. كثير منهم من النزهاء وهؤلاء إن شاء الله سيُخلّصهم المخلّص كما يخلّص غيرهم، سيخلّص اليهودية من برائن الصهيونية ويخلّص المسيحية من الإنجيليين والمتعصّبين ويخلّص الإسلام من الدجالين والأفاقين والمتطرفين.

أفيخاي هذا عندما يتكلم يعطي صورة حقيقية، الذين يكفّرون المسلمين والذين يدعون اليوم للتحالف مع العدو والذين يضرّون ذاكرة الناس حتى ينسوا ما هي دير ياسين، ما هي جنين، كيف كان ميناء يافا، كيف كانت مدينة عكا وأسوارها الجميلة، عن الجليل وعن غزة وعن القدس وما كان في القدس من أسرار وكيف كان أهل الله في تلك الرحاب العطرة، كيف كان شعيب أبو مدين شعيب الغوث، كيف اجتمع العلماء في 1929 أمين الحسيني ومن تونس عبد العزيز الثعالبي وغيرهم وشيخ رشيد رضا ومحمد إقبال تنادوا "القدس تناديكم"، كيف وقف عز الدين القسام فيها كيف استشهد الشيخ ياسين فيها، كيف هؤلاء

الأطفال الذين قُتلوا كيف هؤلاء النساء والرجال، الأسرى اليوم الذين يؤسرون هذه العذابات الرهيبة التي مورست عليهم... يريدون أمة فاقدة للذاكرة.

لكن هؤلاء الشيوخ، أدري هذا هو أشجع منهم، هم جنود صهاينة يتلبسون باللحية التي يدعون بها أتباع نبى لا يعرفونه، ويتلبسون بتشمير ثوب وقد غالوا بالكبر في أنفسهم. نعم بين ظهرانيهم طيبون كثير، هنالك من يتبع المنهج السلفي ظناً منه أنّ ابن عبد الوهاب كان حقاً يغار على التوحيد الخالص وأنّ ابن تيمية كان حقيقة يريد التوحيد ويريد النصرة للمؤمنين وأنه فعلاً قاتل التتار، حينها كان التتار مسلمين وكفّر قرية ماردين وما فعل في جبل عامل يشيب له الولدان، إذأ بعضهم هكذا. كما نجد في جميع الطوائف مخدوعين من مخادعين، ولكن أتكلم عن الذي ملئوا كرهاً وحقداً على محمد وعلى آل بيته وعلى الصالحين ويروجون.

الهدف الأساسي من هذا المشروع

اللعبة كلها في هذا الإطار، عليك أن تقوم بتركيب صور حتى تفهم ما يُراد من اللعبة ككل، ما يُراد من هذه الإبراهيمية بهذا الادعاء، هو أن يُدوّب الدين في الدين. نفس العولمة، العولمة كانت غايتها أن تُدوّب الهويات الثقافية للشعوب، أن يصبح الجميع كل فتاة تصبح تلك الفنانة المعروفة مثلاً فنانة ما أمريكية يكون كل اللباس وكل شكل الشعر وكل شكل الوجوه نسخة منها، أو مثلاً ممثلة في مسلسل مكسيكي (نتكلم عن البدايات عندما بدأوا في غزو عقول الناس). وأن يكون الشباب على قالب فارغ مفرغ ملتصقاً بلاعب كرة قدم يراه بطل الأبطال ويراه كل حياته أو ممثل أو مغني. العولمة ووجهت بردات شعبية كبيرة جداً، لم ينسَ الساكسون على سبيل المثال ويليام والاس ولم ينسوا لبسهم ولم ينسوا آلة عزفهم ولباسهم المُشَمَّر وغير ذلك، ولم ينسَ الشيخ وهم يعملون في بريطانيا العمامة ورفضوا نزعها، وقد أسسها غورو نانك وكنا قد زرنه في لاهور منذ فترة وتلمسنا من قصة حياته، إن شاء الله نتكلم عنه مرة أخرى هذا الرجل الذي أسلم ومكث ست سنوات بين الإمام الكاظم والشيخ عبد القادر ومكث في العمرة وعند الحبيب المصطفى عاماً ونصف ولكنه أخذ الهندوسية إلى التوحيد، هذ قصة أخرى.

المهم ردة فعل الشعوب كانت بالحفاظ على هويتها الثقافية والدفاع عنها لأنّ صدام الحضارات هي لعبة صمويل هنتنغتون عندما تكلم عنها هي لعبة طمس هويات لمنع هذا الصدام، هذا هو ما سمّاه فوكوياما ب "نهاية التاريخ والإنسان الأخير"، الإنسان الليبرالي، ويجب أن يكون جامعاً بين ليبرالية مالية متوحشة لو مات جاره لا ينظر إليه، وهذا تجلى في كورونا عندما كان الابن يترك أباه يموت في مأوى العجّز وهو يهرب لأنه يريد الحياة، وكذلك أن يكون ملحداً يقول أنا آمنت بالعلم وتركت الدين متّخذاً بعض الأحاديث وبعض الأمور في الإنجيل في التوراة وغيره، وضعها سفهاء ليبرر أنّ هذه الديانات كلها فاسدة وخاصة الديانات الإبراهيمية، ويا حبذا ويكون أروع لو كان شاذاً، حينها يكون شخصاً يعني بلغ الكمال، عندما يجمع هذه الصفات ويكون الأقليات في الأقليات في الأقليات، حينها سوف يُرضي ربهم الذي يعبدونه من دون الله.

نفس الشيء بالنسبة لهذه الإبراهيمية أو هذا المصطلح، يراد أن لا تكون مسلماً وأن لا يكون المسيحي مسيحي وأن لا يكون اليهودي يهودي، إنما فراغية ضبابية وهمية، كبعض أدياء التصوف والقطبية عندما يأخذون مريداهم إلى تهويمات غريبة غبية حتى يضئعوا عليه وقته وحياته وليس عنده علم ويقولون "يا بني لدينا علم لو علمته لمت في مكانك فابق جاهلاً أرحم لك، ونحن لو تكلمنا كلاماً لفاض علينا فيض يُغرق الدنيا كلها فنصمت أفضل". لعبة الجهل، مبررات حتى يبزروا ويستخفوا في ملابسهم بما يحملون من جهل ومن لصوصية وضالة. الذي يفتح خمارة أشرف منهم بألف مليون مرة، أن تأكل الحرام بالحرام خير من أن تأكل الحرام باستخدام الدين وباستخدام كلام الله وادعاء مقام ليس عندك.

ولذلك الهدف الأساسي من هذا المشروع هو أن يصبح أفيخاي أدري خطيب جمعة في جميع مساجد المسلمين، وأن يصبح صديقاً لكل شاب ولكل فتاة وأن يعلمهم كيف يلبسون لباسهم، وأن يعلمهم أن يتحابوا في غير الله. حتى مثل توأم الشعلة، بعد توأم الروح أتوا بتوأم الشعلة وقالوا توأم الشعلة يمكن أن يكون رجلاً، يعني رجل توأمه الشعلة رجل، وحينها يتزوجان يكون أفضل، وهكذا.. يعني لعب خبيثة ويُروّج لها في قنوات وهكذا. مثل ذلك الشيخ الذي يدعي الإسلام ويروّج في المسجد شواذاً في فرنسا ويأتون به في التلفزيون ويقولون أنه يمثل قضية، أو المرأة التي أرادوا منها أن تكون إمامة وتخطب وتصلي بالناس وهي أولهم... هذا كله لعب مثلما كانت البهائية والأحمدية: ميرزا أحمد غلام هذا في 1853 قام المسلمون بثورة قام الهنود بثورة ضد بريطانيا ومن أكثر من ثار المسلمون، فابتكروا منهجاً يقولوا "نحن لا نحارب، نحن مع الحاكم حيثما كان"، وناظرت شيخهم الآن وهو مقيم في دولة العدو ويُحمي من العدو الصهيوني، وهم موجودون في جميع العالم الإسلامي والعالم. وكذلك البهائية والبابية قبلها، والبهاء أيضاً قبره عند العدو الصهيوني؛ حتى تربطوا الأمور ببعضها. اليوم يُروّج. مثل لما تكلمت منذ 2013 عن تنظيم خراسان، الآن بدأ تنظيم خراسان بعملياته في أفغانستان ضد طالبان، تنظيم عُمَل عليه جيداً. إن شاء الله في الأسبوع القادم في التأملات الفكرية نحن سوف نقوم بتنظيم جديد وهو أسبوع تأملات فكرية وأسبوع تأملات عرفانية في نفس اليوم، كانت التأملات الفكرية يوم الخميس نجعلها يوم الاثنين حتى نترك مجالاً للدورات تكون يوم الأربعاء والجمعة تكون فيها الدروس البرهانية.

الإبراهيمية التي نقبل بها

وعليه، حتى نلخص ولا يطول بنا الكلام: نعم للإبراهيمية إن كانت تعني أننا من إبراهيم وأن سيدنا إبراهيم أبو الأنبياء، نعم للحوار الديني أو الحوار الإنساني مع أتباع الديانات كلها وخاصة أبناء الديانة المسيحية واليهودية، نعم للقاء الطيبين منهم ولنتحد معاً ضد عدو واحد يهدم القيم والأخلاق وينشر الشذوذ والفساد والإلحاد ويحارب الله وينشر فيروس كورونا واللقاحات وما فيها من إشكاليات. لعلنا في التأملات الفكرية مرة نفيض ونستفيض في شرح خصائص وتاريخية علوم الهندسة الجينية والهندسة الوراثية وما تحمله من خبايا وكذلك مسألة البرمجة عن طريق النانوتكنولوجي وعن طريق هذه الشفرات التي يزرعونها وعلاقة ذلك بين بيل غيتس وإيلون ماسك، كيف يتم التنسيق بين برمجة الفيروسات في الكمبيوترات وبرمجة الفيروسات في علم الجينات وعلم الهندسة الجينية، وكذلك كيف يُزرع فايروس في

شركات عالمية ثم يُباع المضاد، وكذلك يُزرع في الأجساد الآن ويُباع، والمضاد أشدّ شراً في معظمه إلا أن يرحم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، أعلم أنّ كثيرين اضطُروا لأخذ هذا اللقاح والله غالب على أمره. وكذلك هنالك ألعيب أخرى مناخية، حرائق مُفتعلة مثل الحرائق التي كانت في تونس والجزائر والتي كانت قبلها في أستراليا. وهنالك لعبة دولية نحن إن شاء سنبيّن ارتباطاتها، علم الربط هو اختصاصنا وهو علم موجود في البرهان ومتوفّر عليه في كتاب **<<البرهان>>**.

إذن الإبراهيمية إذا كانت تعني حواراً إنسانياً-إنسانياً ضدّ كل هؤلاء الأوغاد وضدّ المتطرفين من دواخل الديانات، ضد الصهاينة والصهاينة حقراء والصهاينة قتلة والصهاينة قتلوا إخوتنا، نحن أمة. والله لو كان الصهاينة متواجدون في أواخر هذا الكوكب وكانوا يقتلون في البيرو أو في غيرها نحن نقف مع الحق حيثما كان، فما بالك بأشقائنا وإخوتنا أهل فلسطين المقدّسة والتي فيها قداسات وفيها موعد قادم إن شاء الله لا شك ولا ريب فيه، فيجب أن نقف وأن نقرأ التاريخ، أنا أنصح بقراءة التاريخ. إذا كانت الإبراهيمية بهذه الصيغ نحن نقبل بها.

الإبراهيمية الكاذبة

أما إذا كانت الإبراهيمية أن تحوّل الناطق باسم الجيش الصهيوني يتحالف مع أدعياء مشيخة، هو حلف بين يهود خبير الذين قاتلوا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ والمشرّكين. هو حلف الأحزاب الأول الذي دمّره عليهم نُعيم بن مسعود عندما اخترقهم في غزوة الخندق. هو الحلف الذي كان بين مدرسة القرّاء وابن تيمية فسرتوا إليه التجسيم حتى قال "ينزل الله نزولاً كنزولي" كما ذكر ابن بطوطة في رحلاته. هو تحالف يجعل الدواعش في جيل جديد في نوعية جديدة وأشياخهم في نوعية جديدة، يُجمع فيه بين الرقص والغناء والمخدرات وحبوب أنواع الهلوسات المختلفة وعبدة الشياطين والشواذ والملاحدة، مع أدعياء يتكلمون بلسان يزيد ويتكلمون بلسان ابن زياد الذي قال "الحمد لله الذي أراح الإسلام والمسلمين بقتل البغي ابن البغي والظالم ابن الظلم الحسين بن علي".

يُراد منه أن نتبرأ من فلسطين وأن ننساها وأن نعتبرها قضية خاسرة، وغداً سيُراد منا أن نتبرأ من الكعبة وننساها وقد تُركت وهُجرت ولم يعد يطوف بها إلا قلة، أن ننسى مدينة رسول الله أن ننسى قبره الشريف، حتى يُهدم القبر حتى تُهدم القبة وكما أراد ابن عبد الوهاب وهنفر في بداية حوارهِ عندما طلب منه ذلك. يُراد أن يأخذ الشباب المعلومة من قائد الجيش الصهيوني وأن يكلمهم ويقول لهم بجمالية أصحاب البرمجة اللغوية العصبية والتحفيز والتنمية البشرية، وإن كانت علوماً طيبة وإن شاء الله سنحدّثكم عنها أيضاً، ولكن بالأسلوبية نفسها: بطريقة يقترب من الكاميرا، يتسم، يُريك في وجهه ورداً، يُريك حدائق غنّاء، وهو يتلو آيات بلسان معوجّ، ربّ قارئ للقرآن والقرآن يلعنه، وهو يتكلم عن نبي إذا خلا بينه وبين نفسه لعنه وسبّه، وهو يعلم علم اليقين في توراتهِ أنّ الله حرّم عليه تلك الأرض وأنّ هرتزل عندما أراد أن يأتي إليها بمجموعات الصهاينة عارضه علماء ربيّون مدقّقون في التوراة قالوا له: إنّ نصّاً في التوراة يقول "يمكث بنو إسرائيل في فلسطين 75 عاماً ثم يصيبهم الهلاك" إن أدخلتنا إلى هناك هلكننا، قال: ما

تريدون؟ قالوا: أثيوبيا يمكن أن نذهب إليها، جمعهم في سفينة وفجرها بهم في البحر. اقرأوا التاريخ جيداً، اقرأوا كيف كتبوا بروتوكولات حكماء صهيون، اقرأوا أواخر بروتوكولات حكماء صهيون، اقرأوا ماذا قال هتلر عندما أُتيت إليه بعد أن ترجمها عالم روسي سنة 1905 عندما أتى بها إليه قال "حتى لو كان النص غير صحيح فالواقع يُثبت وجود ذلك".

الآن يُراد تدمير أمريكا نفسها، عندما يصرخ ترامب "إنّ بلدي لن تعيش أكثر من ثلاث سنوات" عندما يقول بايدن أنّ "أفغانستان هي مقبرة الإمبراطوريات" فكأنه صرّح وقال "نحن قد قُبرنا هنالك". عندما نرى هذه الأمور إن شاء الله، أنا لا أريد أن أمزج تأملاً عرفانياً بتأمل فكري، ولكن ربما أربط بين العلوم والمعارف المختلفة. اقرأوا جيداً هذا الواقع لتروا ما خلفه، لتروا في عيني هذا الدعوى الذي يتكلم عن المحبة ويتكلم عن آيات القرآن، لتروا من خلفه الشيطان. كما كان يزيد يمسك رأس ابن فاطمة عَلَيْهَا السَّلَامُ وينكته بالقضيب ويقول "ليت أشياخي ببدر شهدوا" وثم يقول "الصلاة!!" ويصلون ويقولون في صلاتهم اللهم صلّ على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد ويده تقطر بدم ابن محمد. ثم يمضي بعضهم إلى ابن عباس فيقولون: هل دم البعوض ينقض الوضوء؟ فيقول: ويحكم أيديكم ملطّخة بدم ابن فاطمة وتسالون عن دم البعوض؟ أو كما فعل الذي دخل خيمة العقيلة زينب عَلَيْهَا السَّلَامُ ينتهبها وهو يبكي فقالت: ما يُبكيك؟ قال: بنات رسول الله يُسبّين ويُسطى عليهنّ ويُسرقن، قالت: فدَعُه، قال: يأخذونه، أي يأتي غيري فيأخذه.

هذا ما يُراد أن يُروّج، هكذا قطع قاطع -قطع الله عنقه في جهنم- إصبع الحسين ليسرق الخاتم، لم يكن عنده وقت حتى يسحبه من إصبعه الشريف، قطع الإصبع وأخذ الخاتم. هؤلاء يقطعون أصابع الدين، يريدون أن يقطعوا الديانات الحقيقية وأن يُبدلوها بالحاد وفساد، كما يريد صنّاع كورونا أن يقضوا على الإنسان وأن يصنعوا بشراً مُبرمجين وقد نجحوا في ذلك، حتى الصور المتحركة والموسيقى البلاك ميتالिका وغيرها بثّوا فيها ما أرادوا أن يبثّوه.

خاتمة

وعليه، بهذا المجمع المعرفي الذي أردنا أن نقدّمه، هذه بداية تحدّد جديد، نحن بعون الله سنكشف هذه الخدع، سنتكلم من معين لا يصلون إليه، من سرّ لا يعرفونه، تحقيقاً لقول رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ في أهل بيته ونحن من ذريته ومنهم "لا تعلموهم فإنهم أعلم منكم"، وتحقيقاً لقول أحد أعدائهم "أهل البيت زُفُّوا العلم زُفّاً، كبيرهم لا يُقاس وصغيرهم جمرة لا تُداس"، تحقيقاً لمراد الله منا، تحقيقاً لمراد الله من أرضنا ومن أعمارنا التي لا نريدها أن تمضي هباء، لن نصمت لن نسكت على باطل ولن نخذل حقاً وليكن بعد ذلك ما يكون، ليس ادّعاء شجاعة ولكنها شجاعة.

فالحمد لله الذي له الحمد، من عنده علم الساعة، والصلاة والسلام على نبي الهدى والشفاعة، الذي أوجب الله له السمع والطاعة، وعلى آل بيته الذين أتوا الله بخير بضاعة، ونسأل الله جلّ في علاه أن يثبّت قلوبنا على دينه، أن يغفر ما اطلع عليه من ذنوبنا وأن يمحو عيوبنا وأن يجعلنا منارة ويجعل لنا

منارة، وأن يفهمنا الإشارة والبشارة في طيّ العبارة، وأن يرفع بنا هذا الرّيف الذي أحاط بالناس في كل شيء وفي كل جانب.

نحن نقاتل بالحُجّة حتى يظهر الحُجّة، وبين الظهورين وبين القتالين مسافة زمن قليلة جداً، ليست إلا أعوام ثم يُبدّل الله ويُبدّل ما أراد، ولا رادّ لما أراد، سواءً ابتسم الناطق باسم الجيش الصهيوني وقرأ الآيات، أو سبّ الرب في خلوته وشتّم النبي في خلوته وادّعى الطيب في جلوته، فإنّ وعد الله تامّ عليهم كما أتمّه على فرعون وهم ينظرون، وإنّ كل من يخون سوف يهون، إنّ الله عليم وأنتم لا تعلمون، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته إلى يوم الأربعاء الدورة الخاصة بالتحذير من السحر ومن شرّه وهو آفة عظيمة مدمّرة للشعوب مدمّرة للأشخاص وتضرب، نحن لا نجد الوقت لنعالج بشكل مباشر كما عالجت الكثيرين من قبل ولكننا نجد الوقت إن شاء الله لنعلّم حتى تنفع نفسك، لأنّ كتاب الله فيه خير كثير، وبالإمكان في معظم الحالات التعافي الذاتي إذا أضفنا الرياضات والتنفّس ونظام غذائيّ محدّد ومعارف معيّنة سنبيّنها، وكذلك ارتباطات لن تخطر لكم على بال في هذا الملف المعقّد بعد جمع لعشرين عام وبعد ترحال طويل وما يفتح الله به على قلب هذا العبد. ثمّ الدروس البرهانية نستأنفها في علم الإنسان لنبيّن خواصّ وأسرار أخرى تسمعونها لأول مرة، وقيسوا هذا مع ما يقوله غيرنا حتى تتبيّنوا ما هو العلم اللدني الخصري الحقيقي المنفوح وما هو المزيّف الذي ليس فيه روح، إلى اللقاء.

الحاضرة بتاريخ: 20-09-2021



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

التأمل السابع والعشرون: كلام عن المولد تسمعه لأول مرة

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم، اللهم صلّ على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد، أحببنا في الله السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته، أهلاً ومرحباً بكم مجدداً في هذه التأملات العرفانية، **أردناها معرفةً لله (عرفاناً)**، وكانت الدروس الماضية في معظمها في معرفة الله، في معرفة الله حمداً وشكراً وتسبيحاً، خصصنا بعضها فقط لأمر منطوية فلسفية، كذلك تكلمنا مرة عن الحبيب المصطفى، مرة عن الإمام علي، هي مدارات، رحلة في المعرفة.

هذا اليوم نحن في شهر له قيمة خاصة، شهر ميّزه الله بين الشهور كما ميّز ليلة القدر بين ليالي شهر رمضان، جعل للعشاق شهراً. هذا الشهر المبارك الذي نحن فيه شهر ربيع الأنوار ربيع الأنوار ربيع المحبة، ربيع هو الربيع حقيقة في قلوب العاشقين لأنه في هذا الشهر نور الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** الدنيا بنور سيدنا محمد. فبالصلاة والسلام على سيدنا محمد، بالصلاة والسلام على آل سيدنا محمد، بكل الجمالات والكمالات وما في الذات من عقب المناجاة، والصلاة على سيد الكائنات جميل الصفات شريف النسب والنسبة سيد الكائنات خاتم الرسالات الذي أتى بالحق والمعجزات والآيات البيّنات سيدنا محمد يكون كلامنا.

هذا الكلام لا نعرف إلى أين سيأخذنا لكن نعرف خطته العامة نعرف مقصده العام، وهو ببساطة حوار للقلوب والعقول من أجل أن نتدبر مسألة المولد النبوي الشريف، لأنه في أمتنا رغم أنّ هذا الإحتفال قديم (الملك المظفر وما كان بعده) ورغم أنّ الفرح برسول الله مرتبط بأيام الصحابة، مرتبط بصيامه يوم الإثنين قال **"يوم ولدت فيه"**، بمدح عمه العباس له في يوم مولده، باحتفائهم به بتلك المظهرية وهو بينهم، ورغم أنّ العلماء أفاضوا وكتبوا (مولد البرزنجي وغيره من القصائد، البوصيري وما قاله) وكذلك ما أفتى به العلماء كافة في هذه الأمة إلا من انحرفوا عن هذا المنهج الرباني المحمدي وروجوا بين الناس

ويروجون أنّ الإحتفال بالمولد النبوي الشريف بدعة منكرة وأنه لا أصل له، ولو كان حقاً لفعله الصحابة ونحن لا نحب رسول الله أكثر من الصحابة، ثم أضافوا أنه نوع من الشرك والمغالاة "لا تطروني كما أطرت النصارى المسيح"، وبعد ذلك يصبح زائر المقام النبوي أيضاً مشركاً ملتمساً قبراً دون الله سبحانه وتعالى، ثم زادوا بعد ذلك أنّ المولد هو تاريخ وفاة النبي فكيف نحتفل بوفاة رسول الله...

ويبدأ نشاطهم ويكثر نشاطهم مع هبوب رياح ونسائم المولد النبوي الشريف، وأشكوا على كثير من الناس لأنهم يتكلمون باسم أهل "السنة والجماعة" ولهم كلمة *أجمّع عليه العلماء*. ولما نُفِصِل من هم العلماء؟ ابن باز وابن عثيمين والألباني وابن عبد الوهاب وابن تيمية، هذه الأسماء الأساسية المركزية في هذا الفكر الوهابي وتحديداً "الوهابي النجدي"، وإن كان تقع الآن مراجعات في أرض الحجاز، ولكن إنتشار ذلك الفكر وما روج له جعل الكثير من المثقفين ومن الذين أيضاً ليس لهم علم كبير بالدين يستنكفون من زيارة مقام ولي صالح، يقول لك: "والله تبين أنه بدعة وضلالة وشرك وأنه لا وجود لواسطة بين العبد وربّه"، أو أنهم يتكلمون من باب الإلحادية بمظاهرها المادية المخففة والعنيفة ويقول لك هذا تخلف وهذا أمر ليس له علاقة بالعقل.

المولد النبوي الشريف يطرح إذاً لديهم إشكاليات كبيرة يطرحونها على الأمة، وهذه الإشكاليات يُجيب عنها العلماء، كلُّ له منهجه وله أسلوبه، فأردنا أن نقول كلمة أيضاً في هذا الباب، باب الردّ على شبهة أنّ المولد بدعة وأنّ يوم المولد هو وفاة رسول الله، وباب الردّ على شبهة أنّ الذين يحبون رسول الله ويحتفلون به إنما يغالون وهم قد سقطوا ووقعوا لا محالة في شرك وفي ضلالة وفي بدعة وأنهم وقعوا في نار جهنم وهم فيها خالدون. ولن يكون الردّ متشجّجاً، لن يكون كلاماً من باب الردود العنيفة القاسية أو من باب أن نقول لهم أنتم محرومون وأنتم في حال من الحرمان ومن البُعد والجفوة مع رسول الله، سوف نتخذ سبيلاً آخر، ربما نقول هذا في آخر هذا التأمل، ولكن سنبدأ الآن في التعرّف على الذات المحمدية.

الإشكالية الأساسية عند هؤلاء أنهم لا يعرفون رسول الله ﷺ، وهذا الجهل برسول الله أدّى بهم إلى أن يقولوا ما يقولونه. ولعلهم يظنون أنّ عوامّ المسلمين والبسطاء من المسلمين هم جهلة وأنهم يسلكون سبيل عجائز لا تعرف من الدين شيئاً، فأتوهم بهذه الإشكاليات وعلّوها بالعقيدة وبالحدّث وفعّلوا ما فعلوا وزيّنوا الكلام ورطبوه جيداً حتى يبدو للإنسان وكأنه الحقّ المنزّل وكأنما هو قرآن نزل به جبرائيل للتو. كذلك العوام من المسلمين والبسطاء ليس فيهم أحدٌ يعتقد أنّ رسول الله هو الله أبدياً، لا يعتقدون ذلك لا يعبدونه، وقد وقى الله رسوله من ذلك.. الجهل برسول الله ﷺ معضلة كبيرة.

إذن لنتبيّن أولاً بعض ملامح تعرّفنا على الشخصية المحمدية والفضل المحمدي، وهذا يجب أن تُحَبَّر فيه كتب ومصنّفات. بعدها فلنتعرف ما معنى المولد، ماذا يعني المولد النبوي الشريف، حتى نلتمس بعد ذلك دون أن ننظر، كان يمكن أن نتكلم في التاريخ في تاريخ الإحتفال بالمولد وتاريخيته وعلاماته وأقوال العلماء فيه هذا مبحث يطول، يمكن أن تجدوا فيديوهات وتجدوا كتباً تكلمت بإفاضة والسادة العلماء تكلموا باستفاضة حول هذا الملفّ.

رسول الله سيّد الخلق أجمعين

بدءاً من هو رسول الله، **حتى نعرف أنفسنا ونعرف مقامنا ومقامه**. هل أنّ رسول الله رجل عادي، هل أنه إنسان كبقية البشر؟! نعم ربما في الجسمانية قد يتمثل وقد يبدو لأبي جهل على سبيل المثال أن يقول ماذا يختلف فيه هذا النبي عني، أنا أكثر منه مالاً، له يدان ولي يدان له عينان ولي عينان، ولكن الحقيقة: **ليس هذا كذلك**، ليست اليد كاليد وليست العين كالعين ولا الجسم كالجسم ولا الروح كالروح، هذا سيد الخلق. **رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بدايةً سيد خلق الله**، يعني إذا أردنا أن نفضّل أكثر سنأخذ آلة حاسبة أو جهاز كمبيوتر ضخّم جداً ونبدأ في عملية إحصاء قد تستغرق منا مليون سنة ضوئية لنحصى عدد الخلق. عدد الخلق عدد مهول جداً، الملائكة أعدادهم فوق التصوّر ولهم مقامات عديدة وملامح كثيرة وقوى لا يمكن تخيلها حتى في أقوى أفلام الخيال. وكذلك من كانوا قبل آدم كانوا بملايير الكواكب، مليارات من الأجداد والآباء أنجبوا مئات مليارات الأحفاد، هذا على عهدي أقوله: كان الخلق قبل آدم بأعداد كبيرة جداً: الجنّ والجانّ والمجنّتون عن العين والكائنات من مواد عديدة والرواحين وما فيهم من فيالق وغيرهم، أهل سدرة المنتهى ومن فيهم من ملائكة، ما في الجنة من حورها ما في النار من أمورها ما في العوالم من مخلوقاتهما، وأضف إلى ذلك الكائنات الأخرى من حيوانية بأنواعها، لك أن تتمثل صورة ديناصور ضخّم يصل إلى 24 متر، ثم تتمثل بعد ذلك كائنات كانت أضخم منه كان ثمة شجرة في الأرض طولها 16 كيلومتراً هذه جبل الشيطان الموجود في أمريكا اكتُشف أنّ أصله شجرة محنطة محجرة متحجرة، إذاً ماذا كانت تلك الكائنات تحت تلك الشجرة وكيف كان حجمها؟! كيف كانت الكائنات في بدايات الخلق عندما كانت طاقة الحياة قوية جداً فكانت الأحجام أكبر والأعمار أطول بشكل لا يمكن مقارنته اليوم، كانت مئات آلاف السنوات ثم صارت عشرات آلاف السنوات ثم هكذا بدأت تتناقص حتى وصلت اليوم إلى 100 عام فقط أو أقل. ولك أن تتمثل الكائنات البحرية وما فيها، الكائنات البرية وما فيها، الكائنات التي تطير بجناحين، الكائنات الصغرى والدنيا، النمل وما فيه... **كل هذا المجمع الكائناتي سيده محمد**.

خُلِقَ حَبِيباً

الخالق الذي خلق كل شيء يعرف ما يفعل، خلق جبريل لخدمته في أمر، خلق مخلوقاً آخر يحمل عرشه، خلق آخر كذا يحمل الصُّور على سبيل المثال ينفخ في الريح، **ولكن رسول الله خُلِقَ حَبِيباً**. بمعنى أنّ سر خلق الحبيب المصطفى ونور خلق الحبيب المصطفى هو نور حب، خلق الله كل الخلق ليخدموه وخلق محمداً ليكون حبيبه فيخدمه كلّ خلقه. هذا كان بالسابقة الروحانية منذ أزمنة البدايات قبل البدايات، قبل وجود كينونة زمنية كما نعرف اليوم قبل وجود كينونة مكانية كما نعرف اليوم، قبل أن تكون السماء سماء قبل تكون الشمس شمساً قبل أن يكون هنالك كوكب اسمه الأرض، كانت روح أحمدية نورانية ريبانية هي الروح التي خلقها الله ليكون الحبيب المصطفى، هو الأقرب والأدنى والأعزّ والأكمل والأجمل. وبعده خلق الأنبياء أرواحاً عظيمة أخذ منهم الميثاق جميعاً ليُبايعوا هذا النبي، وخلق له آل بيت هم أسياد خلقه أيضاً، نوراً من نور، نور على نور، من نور محمد كان نور فاطمة كان نور علي كان نور آمنة

كان نور عبد الله، ثم تغيرت الأدوار في الدنيا هذا أبوه تلك أمه تلك زوجه هكذا، ولكن في الأصل ﴿وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾، "كنت نبياً وآدم منجدل بين الماء والطين" من زمن ما قبل زمن ألتست، ما قبل زمن نفخ الأرواح الأولى التي كانت بعد ذلك. هذا الحبيب المصطفى !!

ستقول لي ما يدريك عن ذلك؟! أقول لك إن قلوب العشاق تعرف، منطقياً لم توجد الروح مع مضغة الجسم، المضغة الجسمانية حوت هذه الروح الأقدم، الروح قديمة والجسد مستحدث ﴿وَمُبَشَّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾.

حتى في اسم رسول الله عندما نأخذ معنى إسم أحد في "المعاني اللطيفية للحروف والكلمات" (عنوان لأحد كتبي): الألف استواء والحاء احتواء والذال ديمومة، أتى بهذه الميم ميم ماء الحياة وأودعها بين ألف استوائه وحاء احتوائه وذال ديمومته "أحمد". ثم صارت الضمة للهمزة ميماً في بطن أمه، وكانت الميم الأولى ما يكون من مسيرته من مولده ومن مبعثه، ثم الحاء إنزال الأعلى إلى الأدنى المعجزات والأنوار وغيرها، والميم الثانية ميمان مشدودان بين مكة والمدينة بين مبعث وممات أو بين مولد وممات، وفوقها شدة والشدة شدة وفوقها فتحة والفتحة فتح، ثم الدال رفع الأدنى إلى الأعلى من الظلمات إلى النور ﴿إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ بمعنى أن رسول الله هو حياة وهو يدعو إلى الحياة.

هذه من أسرار ومن أوفاق حروف إسمه الشريف، سُمِّي في السماء *أحمد* وسُمِّي في الأرض *محمداً* فهو أحمد وهو محمد. {السر الأحمدى} يورث صدرأ لصدر، و {السر المحمدي} يورث سطرأ لسطر بالسند المتصل، وكلاهما عظيمان.

السلالة التي اختارها الله لتكون منها النطفة المحمدية

رسول الله في هذه السابقة الروحية سيد خلق الله، عندما أراد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَنْ يجعل السلالة التي سيكون منها رسول الله جعلها سلالة مباركة،

آبَاءهُ الْأَمْجَادِ صَوْنًا لِاسْمِهِ
مِنْ آدَمَ وَإِلَى أَبِيهِ وَأُمِّهِ

حفظ الإله كرامةً لمحمد
تركوا السفاح فلم يصبهم عارُهُ

نسب مطهر "ما زلت أتقلب في الأرحام المطهرة وفي الأصلاب المطهرة". إختار الله سلالة عظيمة تمرّ بسيدنا آدم ثم بهابيل الشهيد القتيل ثم بعد ذلك تمضي إلى نوح، إلى أحد أبناء نوح العدنانيون، سيدنا إبراهيم، ثم بعد ذلك نسل عدنان، وينطلق إلى بني هاشم إلى جده هاشم إلى عبد المطلب إلى أبيه وإلى هذه السلالة الطاهرة وإلى أم مطهرة السيدة آمنة زهرة قريش. إختار الله مخلوقين عظيمين ليكونا والدي هذا النبي، إختار رجالاً ونساءً عظماء كرماء عنده ليكونوا أجداده المباشرين، جده هاشم الخير جده قُصي، هذه السلالة كما تجدونها في مولد البرزنجي مفصلة ويقفون عند عدنان، من إسماعيل النبي الذبيح إلى

عبد الله الذبيح الثاني الذي أراد أبوه أن يذبحه بعد أن أقسم قسمًا في حَفْرِه لبئر زمزم، وتنطلق هذه السلالات لتوصل النطفة الكريمة والروح مُشْرِقة بأمر ربها.

لما يأتي الأوان، لما تأتي هذه اللحظة هذه البارقة هذا النور هذا الموعد، سيكون موعداً بلا شكّ موعد عظيم لأنها رَفَّة عرس كبير جداً بحكم أنّ سيد الخلق سوف يولد. العرس الذي كان في ميلاد المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ كان عظيماً أيضاً، وتكلم المسيح في المهد وقال أنّ الله جعله مباركاً حيثما كان وأنه سلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يُبعث حياً، سيدنا رسول الله وهو السيد الأعظم في أنبياء الله كان له أعظم من ذلك وإن كان تجلّي ذلك خفياً، لم ينطق في المهد ولكن **أمه رأت نوراً سطع منها أضواء ما بين المشرق والمغرب.**

بعد ثلاث أيام تقريباً من زواج سيدنا عبد الله بسيدتنا آمنة عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، سافر سيدنا عبد الله ثم توفي بعد فترة قصيرة، لأنّ هذا النور الذي كان يحمله أخذ حياته، **هو أعطى روحه ليولد ابنه.** هذا سر أيضاً لأنّ **هذا النور الذي كان يحمله كان نوراً ثقيلاً**، لا يمكن تخيل هذا الشاب العظيم الكريم الحيّ الجميل السخي سيدنا عبد الله هذا الإمام الرباني في البعثة القبل محمدية، لأنه كان على الدين الحنيفي على حنيفية الإسلام الإسماعيلي، كانوا لا يطوفون بالأصنام لا يشربون الخمر هكذا بنو هاشم كانوا نَسَاكاً عُبَاداً وكانوا يعرفون الله الواحد، شاهد ذلك عبد المطلب "اللهم إنّ المرء يحمي رحاله فاحم رحالك"، **"إن كنت تاركهم وكعبتنا فأمر ما بدا لك"** وقال لأبرهة **"أنا رب الإبل والنوق وللبيت رب يحميه"** * **إذاً موحد***. كانوا موحدين ومؤمنين إيماناً تاماً وكانوا ينتظرون نبياً منتظراً، لأنّ إسماعيل حدّثهم أنه سيأتي نبي منتظر.

السبب في الإشكالية بين عبد شمس وهاشم أنّ كهنة قالوا لبعث شمس "إنّ النبي المنتظر في نسل هاشم وليس في نسلك"، فلاسنه وتباهلا وحكم في ذلك شيخ الأحباش أنّ المنهزم يذبح مائة من الإبل سود الحدق ويُنفي عشر سنوات إلى الشام، وتمّ ذلك على عبد شمس. عبد شمس هو الذي جاءت منه أمية وما فعلت أمية معروف، ما فعل أبو سفيان وهند ثم معاوية ثم يزيد في هذه الحرب ضد رسول الله ﷺ والإمام علي والإمام الحسين، ثم ما كان من نسلهم إلى اليوم في حربهم لآل بيت النبي، وهكذا لأنّ ذلك السر لم يودع فيهم إنما أودع في هاشم ومّر من هاشم إلى عبد المطلب إلى عبد الله.

حتى اليهود كانوا يبحثون عن هذا النبي المنتظر، أرادوه منهم، وكانوا يقولون للأوس والخزرج سيخرج منا نبي نقاتلكم عليه، وعلموا أنه يولد في أرض نخلٍ فأتوا إلى أرض النخل، أتوا وكانت خبير وكان يهود بنو قينقاع وسواهم من الذين كانوا ينتظرون. وأتى سلمان الفارسي أيضاً بوصية وكان قد عمّر طويلاً، جلس مع آخر من خدمه قال له "لم يبق غيري على دين المسيح الأصلي ولكن إمض إلى أرض نخل سيولد فيها نبي يأخذ الهدية ولا يأخذ الصدقة وعليه ختم النبوة" وجاء إلى رسول الله ثم كشف له ختم النبوة وقبّله حينها وصار سلمان المحمدي وقام بفكرة الخندق وقال رسول الله فيه **"سلمان منا أهل البيت"**.

حقيقة حادثة الفيل

هذا النبي الكريم قبل خمسين يوم من مولده يُرسل الشيطان جيشه كما يرسل الآن جيوشه دائماً وأرسله في شكل أبرهة، وكان من قبل إسماعيل قد ذكر فيما أخفى وبقي متوارثاً عند بني هاشم أن "النبي المنتظر يولد في عام يأتي فيه الفيل الأشرم - أي أنه مجروحٌ جرحاً غائراً شقَّ خرطومه - مكسور الناب الأيمن وعلى عينه ضربة خنجر" هذا كان يشارك مع أبرهة في الحروب فضُرب في أحد المعارك. فلما سمع عبد المطلب بوجود هذا الأبرهة جاء وتوجّه مباشرة إلى الفيل ونظر فعرف أنه هو اليوم الموعود. فلما وصل إليه مكر به وقال "إنما جئت أطلب إبلي"، قال "لما رأيتك استعظمتك أنت كبير مكة وعليك مهابة، ولكن الآن تطلب الإبل؟! قال "أنا رب الإبل والنوق وللبيت رب يحميه". من حضر المشهد؟ كانت آمنة (ستنجب بعد 50 يوم)، عبدالمطلب، أبو طالب وفاطمة بنت أسد، والبقية أمروا بالمغادرة ووقفوا في الشعاب ينتظرون في جبال مكة.

وهبت ريح عاصفة قبل تدخل سلاح الجو الرباني الذي سمّاه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى طيراً أبابيل، وإسم *طير* يخضع له كل ما يطير، هي كلمات جامعة تجمع كل ما يطير، ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمَسِّكُهُنَّ إِلَّا الرِّحْمَنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ﴾ يتم في ذلك الطير الذي يطير بجناحين والطيور الآخر الذي يطير بالآلة بطريقة أخرى. ودليل ذلك أنّ هذه السفن مصوّرة منذ آلاف السنين في مغارات وفي مصر القديمة وفي العراق في بابل القديمة وفي الجزائر وفي غيرها. نحن لا نهذي ولكن هذا تحتمس الثالث مؤسس الإمبراطورية المصرية يقول أنه "شاهد الكهنة أشياء لامعة تطير في سماء المملكة أردت أن أترك ذلك للأجيال القادمة، كان ذلك في سنة العشرين من حكمي" في بردية عند الفاتيكان حالياً.. نسّمها ما نريد: طيراً في مناقيرها حجارة من جهنم أو أنها سلاح جو رباني قام بالهجوم عليهم وقام بمحوهم، وهذا السلاح لن يتدخل بعد ذلك إلا مع القائم، ستستمرّ المرحلة قرابة 1500 سنة لأنه مُنع من التدخل مع الحسين أو في خيبر أو في أحد أو في بدر، ولكن تدخلت بعض فيالق الملائكة للدعم المعنوي ولقتل المشاركين من الجن الكافر لذلك الشيطان قال إني أرى ما لا ترون وكان أول الهارين ولعضد المؤمنين، لأنه لو تدخلت الملائكة ميدانياً ملك واحد يكفي لتدمير كوكب الأرض بأكمله. يعني لو أنّ ناسكاً من نُسّاك شاولين من الدرجة الأولى مثلاً أحد تلاميذ بوذا أو بوذا نفسه، بوذا هزم بنفسه عشرة آلاف مقاتل مرة عندما تمظهرت عليه تلك القوى، أو أرجون الذين كان يمتلك ناقوساً هذا الذي عرف هتلر بخبره. المهم، تدخل هذا سلاح الجو الإلهي أو تدخلت هذه الطيور (بالمعنيين) وشهدوا هذه المعجزة بأمّ عيونهم. إذاً كيف سنقول بعد ذلك أنّ أبو طالب كافر "جمرتان يغلي منهم الرأس"؟!

ولما وُلد عرفوا أنّ هذا هو، ومن وصية إسماعيل أن سمّوه محمداً، وكان عبد المطلب أول ما وُلد أخذ يستسقي به فنزلت الأمطار بعد جذب أصاب مكة وأبيض يستسقى الغمام بوجهه استسقوا به فأمرت. وأقبل الناس ينظرون إلى جمال هذا الرضيع العجيب، جمالٌ رهيب جداً لا يمكن تصوّره. واستبشرت الأرض في ذلك الموعد، لا نتكلم عن العالم المادي، العالم المادي كان احتفاءً بهيجاً بانتصار رباني بمعجزة إلهية تمّت، وأنا أقولها ببساطة: تدخلت الملائكة لحماية النبي وليس لحماية الكعبة، وكان أبرهة يريد قتل رسول الله ﷺ وليس فقط هدم الكعبة، وأعطيك دليلاً على ذلك:

1. رسول الله وُلد بعد الخمسين
2. الكعبة حَطَّمها الحجاج بن يوسف بالمنجنيق وقام بصلب عبدالله ابن الزبير فيها ولم تتدخل الطير الأبابيل ولا شيء
3. ابن عبد الوهاب النجدي قتل المئات بجانب الكعبة واغتصبوا ألف امرأة في الحرة وبعضهن بجانب قبر رسول الله ولم تتدخل الفيالق الملائكية حينها، هذا بلاءات.. قتلوا ابن فاطمة، هذه أراد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لِحِكْمَتِهِ الْمُرَّةُ أَنْ يَفْعَلَ ذَلِكَ...

لكن تلك اللحظة كانوا يريدون قتل ذلك الجنين فأرسل الله عليهم فيلقاً من جيشه، يتدخل بعد ذلك في آخر الزمان في معارك ويكون أول فيلقٍ تدخل في زمن القائم بعد اكتماله ونزوله من الاكتمال مباشرة. المهم تدخلت هذه الفيالق الملائكية وقامت بإنهاء كلي لمجموعة أبرهة، نجا عبداً له حتى بلغ خوفاً، ونجت امرأة أصبحت *أم بلال الحبشي*.

الرسول ﷺ في الصبا

القصة وما فيها أنّ هذا النور جاء الدنيا، عرفه عمه وعرفه جدّه، وبدأت الأنوار وبدأ سحرة اليهود يبحثون ويريدون أن يعرفوا فقاموا بإبعاده إلى بادية بني سعد، من بين أسرار تلك الرحلة هو حمايته أيضاً من الباحثين عنه من يهود ومن سحرة وكهنة. وكان قد تعلّم السباحة في المدينة ومن قدره أنّ المدينة ستكون بعد ذلك مدينته، تعلّم السباحة في الأنوار وتعلّم السباحة في الماء. وتوقّيت أمه في الأبواء وهو ينظر إليها ويمسك يدها، كان مشهداً أليماً مؤلماً لهذا اليتيم من الأب ثم يتيم الأم، لأنّ ذلك النور الذي تحمّلتته أيضاً السيدة آمنة لم يكن يسيراً، أول الشهداء في حبه وفي نوره أبوه وأمه، فلعنة الله على من يقول أبوه وأمه في النار ولعنة الله على من وضع الحديث الآثم الكذاب على رسول الله: "سألت عن أبيّ فقيل لا تسأل عن أهل النار" أو "أردت الإستغفار لوالديّ فقيل لا تسأل عن أهل النار". كيف يدخل الله النار من جعلهما أبوي حبيبه؟! كيف يضع حبيبه في رجم امرأة كافرة أو في صلب رجل كافر؟! أين ذهبوا بحديث رسول الله "مازلت أتقلب في الأرحام المطهرة والأصلاب المطهرة" الرحم المطهر والصلب المطهر يحرق؟! هذا حتى نلجم من يقول ذلك الكلام الفارغ!!

ثم كيف جمرتان يغلي منهم الرأس على من ربّي رسول الله؟! أبو طالب عَلَيْهِ السَّلَامُ عندما قام بتربية سيدنا رسول الله كان يضع لحمه على لحمه، له قصيدة يخاطب فيها ابنه طالب (توفي بعد ذلك) يأمره بحماية رسول الله، تُوفي بعد البعثة ولم تذكره الكتب أنفةً من أمية أن تذكره، وكان بطلاً، أولاد أبي طالب أبطال، حتى عُقيل نسجوا عليه قصصاً وجعلوا منه رجلاً ضعيفاً وضيقاً وهذا غير صحيح، حتى أنّ معاوية ذبح له ولديه وأمهما تشاهد، لو كان خائناً لأخيه ما كان ذلك يُصاب في شأنه.

فلما ربّاه عمه وأخذه إلى الشام ورآه راهب نجران وراهب بحيرا، جلس تحت شجرة قال هذه لا يجلس تحتها إلا الأنبياء فاحمه من اليهود، صار يجعله ينام في حضنه ثم صار يجعل أبناءه مكانه افتداه، حتى

عليّ في فترة من الفترات كان يجعله مكان سيدنا رسول الله ﷺ ليحميه. وكان يؤمن به ويصدق به، ومات أيضاً في حبه مات في الشغب مع السيدة خديجة جوعاً وظمأً لأنه كان يحب رسول الله ويؤمن به،

هو خير أديان البرية دينا

ولقد علمت بأنّ دين محمد

له قصيدة في مدح الحبيب عدّها ابن سلام الجُمحي صاحب جمهرة أشعار العرب أفضل من المُعلّقات العشر، قال هي المعلّقة الحادية عشر قال هي أفضل أنواع الشعر وأجوده وأعزّره لأنها في مدح سيدنا رسول الله ﷺ. وكان سيد البطحاء أبو طالب بطلاً هماماً حتى أنّ عمرو ابن ود كان يُصادقه ولا يصادق الفارس إلا فارس، ولم يكن رجلاً ضعيفاً، كان إذا حمل سيفه خاف منه الجميع، وهو والد حيدرة في نهاية المطاف، حيدرة كرامة لأبيه.

ينمو هذا الفتى وتكون من معجزاته في بني سعد ما كان من قصته مع حليلة السعدية التي شرفها الله وابنتها الشيماء وزوجها بأن تكون مُرضعة الحبيب المصطفى ﷺ، ولما توقّيت حضنها وضمّتها ووضعها في قميصه ودعا لها، وأقبلت الشيماء أسيرة في قومها فحررها وعطف عليها وأبقاها معه، وفي هذه القصة كان النور يُشعّ.

ما كان يُنكر بلحظة البعثة والضمّة في الغار وما كان قبل ذلك وبعده من أمجاد ومعجزات وعظمة وذات لولا لحظة المولد، لحظة الميلاد لحظة مميزة لكل شيء، ولادة كل فجر جديد ولادة كل زهرة ولادة كل كل بُرعم ولادة كل شيء، كل الولادات عظيمة وكل الميئات فيها ألم لحظة المولد إشراقة. ما الذي كان من أمر الصحابة؟ كانوا يحتفلون ولكن كان الأمر أكثر هدوءاً لأنّ رسول الله بينهم، كانوا يعيشون الفرح به كل يوم، كان نور المولد يسري فيهم كل يوم. عندما ارتفع الحبيب المصطفى إلى عالم البقاء وترك عالم الفناء، بدأت الأمة حينها تشنقه وبدأوا يبحثون عن رمزية تجمعهم على الاحتفاء به حباً وفرحاً بفضل الله ورحمته، تطبيقاً لقول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾. هو فرض حب، أمر الله الفرح بالفضل والرحمة عموماً، رزقك الله مولوداً، رزقك مالاً، رزقك خيراً، تفرح، لأنّ ذلك فضل من الله ورحمة. أعظم فضل من الله علينا رسول الله ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ وأعظم رحمة هو الحبيب المصطفى، لولاه ما اهتدينا ولا زكينا ولا صلينا ولا عرفنا الله ولا دللنا على الله ولا دخلنا تحت جناح الله ولا كان هنالك علم ولا قرآن ولا تلاوة.

بعض الدس والتزييف للإقلال من مكانة وقدر رسول الله وأهل بيته

البعض يستخدم القرآن الذي نزل على رسول الله ليحارب به رسول الله، ليستنقص من قدر رسول الله، ليقول في أبويه وفي عمه أنهم في النار، وليقول عن وصيّيه ومولى كل مؤمن ومؤمنة بعده أنه مثل فرعون أو أنه كان مخذول أو أنه كان ظالم أو استوى الأمران هو ومعاوية كلُّ اجتهد والذي اجتهد وأصاب هو عليّ فله أجران، ومعاوية له أجرٌ واحد على قتل سبعين ألف صحابي بينهم عمار "وَيْحَ عَمَارٍ تَقْتُلُهُ الْفِئَةُ

البَاغِيَّةُ، يَدْعُوهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ، وَيَدْعُوْنَهُ إِلَى النَّارِ"، وَأَنَّ الْحُسَيْنَ مَاتَ بِسَيْفِ جَدِّهِ "مَنْ خَرَجَ عَلَيْكُمْ وَأَمْرَكُمْ جَمِيعٌ فَاقْتُلُوهُ كَاتِئًا مِنْ كَانَ".

هذه هي اللعبة التي ترونها إلى اليوم، هذه الحرب ليست فقط حرباً على الآل، حرباً على رسول الله، ولكن لو أنهم جاهروا بكرهه لكفروا لارتدوا، لكن يقولوا: نؤمن به لكنه ميت لا يضر ولا ينفع، لا يُشْفَعُ به، ليس واسطة بيننا وبين الله ندخل على الله هكذا مباشرة، * الله - محمد * في المسجد لا تنفع نشطب محمد ونترك الله، لا تساوا بينه وبين الله، أنتم تبالغون فيه، مولده ليس إلا يوماً عادياً ((لكن نحتفل بأعيادنا الأخرى وبكل شيء))، آثاره نحرقها ((لكن نُبقي آثار بعض "علمائنا" إن كانوا علماء ونحتفظ حتى بنظاراتهم ونضعها في متحف))، لا نحتفي بمولده لأنه يومٌ كسائر الأيام، مات لا يضر ولا ينفع، آل بيته بشر كالناس ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾، "ويا فاطمة ابنتي اعلمي لا يأتيني الناس بأعمالهم وتأتوني بأنسابكم" هذا الحديث موضوع أيضاً ولا يليق بالسيدة فاطمة، فكيف يقول لها "اعلمي" وهل هي لا تعمل؟! ألم يقل لها رسول الله "يا فاطمة إن الله يرضى لرضائك ويغضب لغضبك"، كيف يكون الحديثان متنافران وكيف يكون التلفيق بينهما؟! هذا غير صحيح، لا يمكن ولا يجوز في حق السيدة فاطمة أن يُقال ذلك، إنما قال: "أهل البيت سفينة النجاة من تعلق بها نجا" هل السفينة التي رأسها وأساسها عليٌّ وفاطمة تكون تلك المرأة العظيمة "كامل من الرجال كثير وكامل من النساء مريم وخديجة وفاطمة" ثم يقول لها "اعلمي"...

ألم يُقَلْ أَنْ "الله جعل كل حسب ونسب مقطوعاً إلى يوم القيامة إلا حسبي ونسبي" ألم يقل "مثل آل بيتي فيكم كسفينة نوح، مثل آل بيتي فيكم كباب حِطَّة" ألم يقل "لا تُعلموهم فإنهم أعلم منكم" ألم يقل "النظر في وجه عليٍّ إيمان" ألم يقل "عليٌّ يُعسوب المؤمنين كما أنَّ المال يُعسوب الدنيا" ألم يجد الحديث "هذا هو الصديق الأعظم صدق بي وقد كذبني الناس، هذا هو الفاروق الأكبر يُفَرِّقُ به بين الحق والباطل، هذا ذو النورين الحسن والحسين، هذا سيف الله سلَّه على أعدائه، هذا يُعسوب المؤمنين كما أنَّ المال يُعسوب الدنيا" و "ألا إنَّ الله معطي وأنا قاسم وعليٌّ قسيم الجنة والنار"، هذه كلها أحاديث حقيقية قالها من فم رسول الله، فوضعت أحاديث أخرى موازية ورُكِّبت اللعبة جيداً حتى تستغفل الأمة وتنقص من قدر رسولها، وضعوا قصص أنه قال لهم "افعلوا بالنخل كذا فلما فسد قال أنتم أعلم بأمور دنياكم" حتى يقال أنه رجلان: رجل مسكين جاهل ضعيف يجتهد فيخطئ، وكان فاسد الرأي حتى عسكرياً أنه قال في بدر * والله ما هذا برأي * وقالوا له أهو الوحي أم الرأي والمشورة؟! ففسد رأيه، حتى يُبَرَّر أنه لما قال "من كنت مولاه فهذا عليٌّ مولاه" قاله البشري أي ذاته البشرية نطقت. "حسبنا كتاب الله" لما قال "اثنوني بكتابٍ أكتبه لكم لا تضلُّوا بعده أبداً" سمَّاه ابن عباس "رزية الخميس".

فكل هذا وُضع حتى يظن الناس أنهم مع رجلين: نبي مُلهم وبشري عادي، ضاعت بغلته لا يعرف مكانها ونسي زوجته في غزوة من الغزوات وخرج عليها حديث الإفك رغم أنَّ حديث الإفك نزل في مارياء بعدما أنجبت ابنه إبراهيم لخادم كان لها أرسل معها من مصر، وقصة أثبت الله فيها أنها بريئة من ذلك. ولُعِبَت اللعبة جيداً وتم رسم صورة فيها الكثير من السوء، العرائين وكيف قطع أيدي الناس وسمل أعينهم وقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف، ويرجم في النساء التي تُخطئ، ويقوم بأمور أخرى، يُسخر فيظن أنه يفعل

الأمر ولا يفعله، أراد أن ينتحر فوق الجبل بعد أن تأخر عليه الوحي، كان يبكي عندما أخذ الغلّة في بدر وقال هلكت هلكت أو قال هلك صاحبك... مشاهد تجعله هزيباً.

نبذة عن بعض صفات رسول الله ﷺ

في حين أنّ رسول الله من قبل أن يكون نبياً أكمل الرجال، وهو الأمين الذي وضع حلاً لمشكلة قريش في رفع الحجر فأتى بثوب ووضعه بيديه الكريمتين، هو سليل أسرة عظيمة كريمة، هو الرجل الذي تاجر وعرف الناس وخبر الدنيا، هو الذي تزوج بالسيدة الجميلة العظيمة الكريمة السيدة خديجة، هو الرجل الذي كان صاحب حكمة وفروسية وقوة عظيمة صرع أقوى مصارع مكة في وقته، والذي تدرب على صعود الجبل كل ثلاثة أيام، ومن صعد -وقد صعّد- جبل أحد بالدرج يتعب (ثلاث ساعات)، كان يصعده هكذا بقوة نمر بري بقوة محمدية، وكان عليّ يأخذ إليه الطعام أيضاً، تدريب...

جسدٌ قوي وعقل راجح وقلب طاهر، شخصية عظيمة قوية قبل الوحي، لم يختر الله عبداً أحماً، ولم يكن عندما يغيب عنه جبريل أعمى البصيرة، كان موصولاً بالله في كل لحظة من لحظات وجوده منذ وُجد ثم منذ وُلد، كان قريباً من الله حتى وهو لا يعرف أنه رسول الله ويستشعر ذلك، كان سيد الخلق قبل البعثة وبعد البعثة، سيد الخلق عندما يأتيه جبريل وعندما لا يأتيه جبريل، ولم يكن جبريل بعيداً عنه إنما كان للوحي مواقيت، وكان يناجيه في غير الوحي. سيد خلق الله، أفضل الرجال، أكثرهم فحولاً ورجولةً وبأساً وبطولة، عليّ سيف من سيوفه جرّده لأنه لم يُسمح له بالقتال لأنه لو ضرب رسول الله لضربت الدنيا والآخرة معه، لذلك لما رمى حصيات ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾ يدُ الله سبحانه.

هذا حتى نُنقى الصورة ونعرف، سيدنا رسول الله سيد الناس سيد الخلق، ليس مبالغة ولا مغالاة ولا نقول هكذا، ثمّة الكثير من الدس والوضع والكذب والتحريف والتشويه والأحاديث المبطلّة التي وضعها المنافقون والمعرضون وكفار قريش والمستخفون بكفرهم والمستنقصون من قدره ومن دخل من يهود يدعون الإسلام وعلى رأسهم *وهب ابن مُنّبّه* الذي كان يضع الأحاديث ومجموعة أخرى وضعوا وشوّها وروّجوا. واستمر الأمر، ويقراها القارئ ويمرّ عليها، ويأتونك بالحديث والجرح والتعديل والرجال والسند، والموضوع هو موضوع من البداية منذ النشأة ولا تستطيع أن تُميّزه إلا ببصيرة ونور، ولكن نصرة لرسول الله نقول هذا.

أم رسول الله خير أم لأنه خير مولود ومقام الأم من مقام مولودها، أبو رسول الله خير أب لأنّ الأب من مقام ابنه وهو أب لأعظم مولود وُلد، عم رسول الله الذي رباه والذي حماه رجلٌ عظيم وبطل كريم وشهمٌ ما كان الله ليعذّبه، وقد ورد في الحديث (وإن كانت قصة باطلة أيضاً) *أنّ بغياً من بغايا بني إسرائيل سقت كلباً فدخلت به الجنة*، هذا يسقي رسول الله طيلة حياته ويموت في حبه! زوج رسول الله السيدة خديجة أعظم الزوجات وخيرهنّ وأكرمهنّ! ابنته خير البنات بناته خير البنات أولاده خير الأولاد، وصيّته خير وصيّ، أحفاده خير أحفاد، آل بيته خير آل، صحبه خير صحب من اتقى وآمن وصدّق منهم وأوفى}} {لأنّ علم الصحابة علم شاسع فيه ما فيه لا نخوض فيه ولن نخوض فيه، هذا يخوض فيه المهدي ويفسره}}.

الأولياء في أمته خير الأولياء، كتابه خير كتاب، بيانه خير بيان، لسانه خير لسان، قلبه أفضل قلب، عيناه أجمل عينان، وجهه أصبح وجه، ثباته أعظم ثبات، ذاته خير ذات، حياته أعظم حياة، مولده أعظم مولد، مبعثه أعظم مبعث، وفاته أعظم وفاة، لم يكن شيء كما كان منذ أن كان، لم يعد شيء كما كان منذ أن كان، لا يكون في خلق الله بعده أكرم منه، ولم يكن في خلق الله قبله أكرم منه، وليس عند الله أحب منه ولا أقرب إليه ولا أدل عليه، ولم ينطق بلسان ولغة أفصح منه، ولم ينزل جبريل على من هو خير منه، ولم يلقى الوحي نبي أفضل منه، ولم يحمل الرسالة رسول خير منه، رسول الله خير في خير، طيب في طيب في طيب، لم يُذنب في حياته ذنباً ثم قال له ربه ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ أي من رحمته أن ذنوب السابقين واللاحقين من أهل وِدِّكَ تُغْفِرُ بِكَ وتُغْفِرُ لَكَ حتى يكون ذلك مسرّةً لك، رسول الله رحمة للعالمين، من تجلّى رحمته ما قاله الشيخ عبدالقادر قدس الله سره الشريف لمريديه "والله إني أحبكم وإني تمنيت أن أدخل القبر مع كل واحدٍ منكم وأجيب عنه سؤال الملكين رأفةً بكم".

من إِبائِهِ العظيم كان إِبَاءِ الحسين وهيهات منا الذلة، من سماحته العظيمة كانت سماحة الحسن، من جوده وسره وكرمه وبركاته وأنواره كانت أنوار الزهراء المستمرة في نسلها ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَكَ الْكَوْثَرَ﴾، من بطولته وسره كان حمزة وكان جعفر وكان أبو طالب وكان حيدرة "أنا الذي سمّني أمي حيدرة"، من أسرارهِ كان الصالحون والأقطاب والمجاهدون، من نوره سطعت أنوار الدنيا والآخرة، رسول الله مفتاح الجنة وسيد الجنة وليس في الجنة أجمل منه ولا أوضأ منه ولا أقرب إلى الله منه، رسول الله بابنا وشفيعنا ونورنا ونحن دونه لا نساوي شيئاً، نحن الذين نُذنب كل يوم ونُخطيء كل يوم ونسعى بكسر أيدينا بكسر قلوبنا بكسر ما فينا، بانكسارنا، يد تُكسر بالذنوب، قدم تُكسر بالذنوب، أرواح تُكسر بالمعاصي، ولكن لنا رسول الله، يوم نُتوفى يوم نُسأل يوم نُحاسب نقول عندنا الضمين والشفيع نحن داخلون على الله بمحمد وبآله، فلا يقبلنا دون أن نحب آله وذلك برهان، لا يقبلنا الله دون أن نُحبه.

نفحة جلالية عن رسول الله ﷺ

وبهذا المجمع الذي قلناه الآن بهذه الصياغة التي صبغناها الآن يكون المولد برهان حبٍ لرسول الله، نسترجع في تلك اللحظة عندما ننظر بعين الأرواح لا بأعين الأشباح، عندما نتفكر ونتصوّر أن أعظم مخلوق خلقه الله سوف يجعله الله أخيراً في رحم امرأة بعد أن جعله في صلب رجل، أي سيجعل من طينة طينته وهو الذي كانت من روحه روح آدم *فالروح الآدمية محمدية والسلالة المحمدية آدمية*. عندما يأتي القرار الإلهي والموعد الرباني في بكة ومكة من شريفين كريمين، سيد شباب قريش وزهرة قريش، عبد الله الذي عبّد الله والذي قرّبه الله واجتباها الله، وآمنة التي بسرّها آمنة أمينة عند ربها

بهذه الولادة رب السما هتّاي

يا آمنة بشراكي جل الذي سواك

عندما يأتي ذلك العرس عندما تزوّج النور بالنور (ثم يُكرر في زواج عليّ وفاطمة)، عندما يأتي ذلك الموعد كل الدنيا تحتفل، عندما يتشكّل هذا الجنين المبارك مُضغّةً وعلقةً ويتشكّل في الجسم تدريجياً ويبدأ

قلبه في النبض وتبدأ الأعضاء في الارتسام وتبدأ العظام في التشكل، تنزل أنوار السماوات ونور رب العالمين ﴿وَلِئُضَمَّ عَلَيَّ عَيْنِي﴾. لم يسبق أن كان لرضيع مثل ذلك، أجل عندما حملت حواء أنورت الدنيا، نورت بأولادها المجتبيين الطيبين وأظلمت بالقاتل اللعين، وعندما حملت أم إبراهيم أنارت الدنيا وعندما حملت هاجر بإسماعيل، وعندما حملت سارة بإسحاق، وعندما حملت أم يعقوب بيعقوب، وعندما حملت أم يوسف بيوسف، عندما حملت مريم الطيبة النقية الزاهرة بسيدنا عيسى المسيح، أيضاً كانت أنوار، عندما ستحمل السيدة فاطمة أمة الرحمن بالشيخ عبدالقادر، أو أم الرفاعي أو أم الشاذلي أو أم عبدالسلام الأسمر أو البدوي أو الدسوقي، أو قيس على ذلك أم الجشتي أم ابن مشيش أم المهدي نفسه، عندما تكون هذه الأمور تكون أنوار، ولكن كلها موصولة بذلك المولد النبوي. كل الولادات التي سبقت هيأت وكل الولادات التي تلت بعد ذلك أخذت واستمدت، استمدت منه بالقبلية واستمدت منه بالبغدية...

عندما يبدأ تشكل هذا الجنين، ثم تنزل تلك الروح العظيمة أسكني بأمر ربك في هذا الجنين، كان أحمد كُن محمداً، فلتضم تلك الروح العظيمة ذلك الجسد العظيم، وليضم هذا الرضيع العظيم في ظلمات ثلاث في بطن آمنة، وقد فقدت حبيبها بعد أن غادرت تلك النطفة العظيمة المباركة من ذلك المُنور بأنوار الله سيدنا عبدالله، فليبدأ تشكل هذا النور، يبدأ المهرجان الملائكي، وتبدأ في الرؤى وتبدأ ترى أنواراً، وتبدأ الحقائق تظهر، وتبدأ البوارق تظهر، ويبدأ جدّه في رؤية رؤى وفي تذكر كلام جدّه إسماعيل وجدّه هاشم وآبائه الذين كانوا يُوصون ويبيّنون أنّ نبياً منتظراً هو خاتم الأنبياء وسيدهم، ويبدأ كهنة بني إسرائيل والسحرة في العمل والبحث.

ثم بعد ذلك يتحرك الشيطان بأبرهة، كما يتحرك اليوم ليعدم نور الإمام المهدي، يتحرك ليقضي على هذا النبي بحجة هدم الكعبة، والكعبة قال "أنت خير بيت عند الله ولكن دم المسلم أعز منك عند الله"، فيأتي لقتل الجنين فيقتله الله. ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ﴾ عندما تجدون لفظ *ألم تر* أي أنّ الله أراه، ثمة آيات فيها رؤية عندما تنزل السورة تكون معها المكشفة، ألم تر أنك ترى كيف فعل ربك بأصحاب الفيل. تخيلوا معي هذا المشهد: هذا الجنين المبارك العظيم، هذه الأم العظيمة، وروح أبيه عبدالله تحفّ به، لقد أنجز المهمة شاباً، لم يكن له في الدنيا شيء أتي من أجله إلا أن يكون والده، ولم يسمح الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لَهُ أن يراه يكبر يراه يشب أن يضمّه، وهذا جرمان ما بعده جرمان، ولكن تعويضه أنك أبوه وأنت في الجنة وأنت بالروح من قبل كُتبت أن تكون والده، كان يوماً مباركاً عندما ظهر في عالم الأرواح أنّ عبدالله وآمنة هما والدا رسول الله ﷺ، هما الوالدان الطينيان له، وإن كان سابقاً لهما بالروح فهو جدّ لهما بالروح وولد لهما بالجسم، وهذا علم الأرواح والأجسام علم مُعقد... هل هذه لحظة عادية؟! هل هذه لحظة لا تحتفي فيها الكائنات؟!

مشهد الاحتفاء والإعلان الرباني بلحظة ميلاد النور ﷺ

يبقى الإنتظار والترقب هذه الأشهر المباركات، ويأتي الجيش الملائكي ليحفظه، ثم تزف البشرية، في هذه الزفة والبشرى لك أن تتخيل روح السيدة مريم وأرواح السيدة هاجر روحانيات، قالت السيدة آمنة أنها

رأت نساءً أتيناها يوم ولدت وكانت الولادة يسيرة. بمجرد أن تسمع الدنيا صوت رضيع لا يشبه صوت رضيع من قبل، يغادر رَجَمَ أمه المُطَهَّرَة التي هي أطهر النساء وسيدتهنَّ جميعاً تأتي لأنها أم رسول الله ﷺ وجدة فاطمة، عندما يُولد هذا الرضيع المبارك مختوناً، يُولد أحور العينين غزير الشعر جميل الطلعة طويل الأهداب أبيض الوجه كامل الجسم جميلاً بصوتٍ رخيم.

عندما تبدأ هذه اللحظة يبدأ عدُّ جديد: إقتراب الساعة، ظهور الأولياء، ظهور سر الأنبياء جميعاً خاتمهم، وظهورات إلى اليوم إلى ما بعد اليوم إلى قيام الساعة في تلك اللحظة. في تلك اللحظة يبدأ الموعد النهائي وينطلق آخر الزمان **"جئت والساعة كهاتين"**. في تلك اللحظة في ذلك الموعد يحدث أمران فارقان جداً، بصوت ذلك الرضيع الجميل البهيّ النقيّ، بنظرة تلك الأم الرؤومة، بحضرات الملائكة الحاضرين، بأنوار رب العالمين الساطعة، **يسطع نورٌ يراه الجن والملائكة ويعمى عنه البشر**، ولو أراد الله لشاهده البشر عياناً، ويفعل في الأرض ما فعل يربّها رجاً، تجتمع أنوار السماوات والأرض على أحب خلق الله إليه يولد رضيعاً، روحٌ عظيمةٌ كاملة في جسد رضيع صغير. في تلك اللحظة، في ذلك الموعد، في ذلك المولد يكون الأمر الإلهي بالمؤذن الرباني ****إحتفلوا بمولد حبيبي****، تحتفل الكائنات كلها، جميعها تأتيها الدعوة الربانية إلى قلوبها: ألا إنّ سيد خلق الله وأحبهم إليه ألا إنّ الذي كان سيد العالمين ألا إنّ الذي كان أقرب الخلق إلى الله في عالم الأرواح أحمد وُلِدَ اليوم محمداً، ألا إنّ النبي العظيم الأميّ الذي ذُكِرَ في الكتب القديمة، ألا إنّ النبي الذي سئلَ الوحي، ألا إنّ الرجل الذي سيُذهل الدنيا وسيُذهل الآخرة وتشتاق إليه الجنة ويكون إمام الآل والصحابة ويُغيّر التاريخ، ألا إنّ ذلك الرجل العظيم وُلِدَ اللحظة !!

أسوأ أيام إبليس بعد رجمه يوم رأى مولد رسول الله ﷺ

هذه الدعوة بهذا المشهد لها مشهد مضاد، من الذي حَزِنَ حينها؟! مخلوق ملعون كان يعرف هذه الروح من قبل، شاهدها في زمنٍ عندما أمر بالسجود ولم يسجد، عرف وقال **﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ﴾** وهذا سيد عباد الله المخلصين، وقال له الله سبحانه **﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾** وكان يتكلم هذا الكلام مع رجل قد خُلِقَ للتو لا تُعرف له زوجة ولا يُعرف له نسب، كان يعرفهم بالأرواح. هذا المخلوق التعيس كان هذا اليوم أنعس أيام حياته، أركس يوم رفض السجود وأوكس عندما طُرد من الجنة **﴿قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ﴾**، وأوجع عندما التقى آدم بحواء مجدداً في قرب الكعبة عند الصفا والمروة وعندما تزوّجا في القدس وعندما أقاما في العراق ثم في مصر، وفرح عندما قتل الشقيق شقيقه، وتألّم عندما نجا إبراهيم من النار، تألم تألمات كثيرة، ولكن أوجع أيامه بعد رجمه كان يوم مولد سيد الخلق رسول الله ﷺ لأنه رأى بأَم عينه رأى مباشرة (هو له كشف كبير) رأى الأنوار وعرف من وُلِدَ، وانطلق في مرحلة جديدة من حربه منذ تلك اللحظة.

ببساطة الآن اسأل نفسك: إن كان قلبك موصولاً بالله وملائكته وخلقه الطيبين، حتى بالسمك الذي احتفل، الطير الذي احتفل، بكل ما خلق الله واحتفى، بالأرض التي لما أن عانقها ذلك الجنين وصار رضيعاً فوقها احتفلت واخضرت ولم تعد كما كانت من قبل، **بمجرد أن لمس رسول الله ﷺ في مولده الأرض لم تعد الأرض كما كانت ولن تعود كما كانت**، ولم تبقى الأمومة على حالها منذ تلك اللحظة. عندما

شاهد إبليس ذلك حزين وكان شديد الغيظ يومها. أنت الآن إسأل قلبك: إن كنت موصولاً بالله وموصولاً بملائكة الله المبتهجة وموصولاً بالأرواح العظيمة المبتهجة، فعلى قلبك أن يبتهج، إن تلقيت الدعوة الربانية التي تلقتها الملائكة النورانية وتلقتها الأرواح الموصولة بالله أن احتفوا برسول الله ﷺ، فسوف تجد المسرة في قلبك بمجرد دخول ربيع الأنور. وإن كان القلب -حاشاكم- موصولاً بإبليس سيعيش إبليس رجوع لحظة الولادة وذلك الغضب والحق والأذى، وحينها يُمنطق الأمر كما يشاء يقول بدعة يقول ضلالة يقول شرك، هو تعبير لفظي فارغ أجوف يدعي الحكمة والدين والشريعة والغيرة على التوحيد الخالص وهو يُخفي أنه قلب إبليسي بتوحيد إبليسي بحزن إبليسي بنزعة شيطانية بحقد وكراهية إبليسية لمولد الحبيب المصطفى، قف إنتهى، هو جماع الأمر وخلاصته، الذي يفرح برسول الله ﷺ يفرح به رسول الله ﷺ.

يوم المولد الذي أحدثك عنه تلك اللحظة لم تتسنّه، أخذ الزمن يُعبئ أنفاسه واجتمع في لحظة الميلاد مثل اجتماع مفردة خلق الكون، لم يجد هذا الزمن الفاني في تاريخه أجمل من تلك اللحظة أبداً، فأخذ تلك اللحظة ونسخها، لم يجعلها تتسنّه (كطعام العُزير) ولم يسمح لها أن تمرّ، فكان المولد متجدداً في روح الزمن لأنه في ذلك المولد وُلدَ زمان جديداً وصار الزمان غير الزمان. فكل ما يأتي موعد المولد يتجدد في الزمان فرحه وفي الكون فرحه وفي الكائنات فرحها، نُعبّر بهذا الفرح عن حبنا وفرحنا برسول الله ﷺ، نعبر بفرحنا بالمولد أننا نحب النبي لا فقط نتبعه ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ لا فقط نتبعه ليحبنا الله بل نحبه ونُقبِل إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِهِ.

لماذا وكيف نُحب الحبيب الهادي ﷺ

لذلك بكل بساطة إن الإحتفاء والإحتفال بالمولد النبوي الشريف فرض محبة، فرض على قلوب العشاق، عبّر بالمحبة كما تريد، لا تخشى من يقول لك أنك تبالغ

هل تبلغ الأكوان مدحك سيدي
ما لفظ ممتدح وبُردة منشد

صلى عليك الله كيف صلته
ما قولنا ما شعرنا ما لفظنا

مهما يكن مدحك إمدح كما تستطيع لا تخشى في ذلك شيئاً، نحن لا نُشرك نحن نحب رسول الله ﷺ لأنه حبيب الله، لأنه هادينا وشفيعنا، نحبه لذاته وصفاته، نحبه لمحض الحب لوجه المحبة، كما أنّ قوماً يريدون وجه الله نحن نريد وجه الله أيضاً وجه رسول الله.

نسأل الله أن يغفر ذنوبنا وأن يعفو عنا ويمحو ما بنا من بلاء، ويرفع عنا ويرفع عن أوطاننا البلاء بمولد الحبيب ﷺ، وأن يجعل هذا الموعد موعد نور وسلام وخير على اقتراب موعد مهدوي إن شاء الله، أن يرفع هذه الراية المحمدية في أصولها المهدوية في وصولها، أن يجعلنا موصولين برسول الله، مؤمنين أنّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى اختاره وقضاه وشرّفه على علم، وأنه حبيب الله وأنه شفيعنا عند الله، وأننا ندخل على الله به وندخل عليه بآل بيته وندخل على أهل بيته بالصالحين وندخل على الصالحين بإنكسار قلوبنا،

أن يُمتّعنا بمشهدية المولد ونور المولد بذلك الموعد، أن يجعل في قلوبنا بوارق وحقائق ننظر إلى تلك اللحظة، ننظر إلى ذلك المشهد العظيم، أن نحب رسول الله ﷺ روحاً من قبل ثم مُضغَةً وجنيناً ورضيعاً، نحبه في حال حبوه وبداية سيره، في حال صباه في بادية بني سعد، نحبه شاباً يافعاً قوياً عظيماً كريماً، نحبه ونحب من أحبه، نحبه زوجاً، نحبه عطوفاً أباً رؤوماً أباً حنوناً، نحبه نبياً، نحبه محتضناً في الغار، نحبه متحنثاً، نحبه داعياً إلى الله وهادياً إليه بأمره وسراجاً منيراً، نحبه متألماً في الطائف مجروحاً في أحد، نحبه عظيماً كريماً ثابتاً، نحبه باكياً على حمزة "أما حمزة فلا بواكي له"، راقياً للحسن والحسين، نحبه عند مسراه ومعرجه، نحبه عند تلقية الوحي، نحبه في آلامه وفي آماله في أوجاعه وفي فرحه في صلواته في خضوعه في خشوعه في دموعه في سهره وجوعه، في أوبته إلى ربه ورجوعه، في تقوى قلبه وخشوعه، نحبه في سجوده وفي ركوعه، نحبه في كل معاني الحب في كل مواضع الحب في كل مشاهدته، في كل لحظة حتى يتكئ مُجهداً بالسُّم مجهداً بالألم لما سيأتي لآل بيته، موجوع الفؤاد، يناجي ربه ويوصي علياً وتفيض نفسه بين صدر عليٍّ ووجهه ويمسح عليٍّ وجهه بما فاض من رسول الله ﷺ، وينهض ملبياً منادياً وتبدأ مسيرة أخرى من الألم لا تنتهي إلا بزمنٍ قريب منا بقائم آل محمد الذي يردّ الحق لأهله وينصف رسول الله ﷺ بخير ما أنصفناه. نسأل الله أن يكون هذا لنا بين يدي الله، أن يكفي هذا مشهداً في حياتنا كلها، إن لم نعمل عملاً بعده، وإن عملنا كل سوء قبله وبعده، أسأل الله أن يكون هذا شفيعاً لنا عند الله، أننا نُقرّ ونشهد أن لا إله إلا الله وأن سيدنا محمد رسول الله ﷺ، نصلي عليه وعلى آل بيته.

احتفلوا بمولد حبيب القلوب إنها فرصة لكم وفرصة لنا، نحن المستضعفون بذنوبنا، نحن الذين لا نملك إلا هذه المحبة علينا أن نحتفل، أن نحتفي، أن نترلف، هو موعد يريد المحرومون جرمانكم منه وحرمان الأمة منه، **موعد بركات، تنزل أنوار خاصة بالمولد، يفرح رسول الله بكل من فرح به وينادي "من فرح بنا فرحنا به"**، شعارنا "قم زين الدنيا بنور محمد".

سنحتفل بالمولد شاء من شاء وأبى من أبى، الأمة على هذا الخير ما بقي إلا بعض مرضى القلوب قلوبهم على قلب إبليس تتكلم بكل كلام لا يُعبّر إلا على قلبٍ خسيس وعلى عقلٍ تعيس وعلى نفسٍ ليس فيها من نفيس، نحن نحبه محمداً، نشهد أننا نحبه، نلتقي الله نتوفي نموت في هذه المحبة، نُلبّي من قبورنا بهذه المحبة، نُبعث على هذه المحبة، يسعى بين أيدينا نورنا بهذه المحبة، يزداد حبورنا بهذه المحبة، يُشهد حضورنا بهذه المحبة، نمضي إلى الله واثقين في الله بهذه المحبة.

اللهم بالأرواح الوثيقة وبالقلوب العاشقة وبالعهود السابقة، كما دعوت اليوم بين نوم ويقظة فجرأ، اللهم بهذا المولد نور قلوبنا ووجوهنا نورنا يا الله، نور هذه الأمة المبتلاة بالسحر والأذى والشر والانتحار والفساد والإلحاد والشذوذ، ما لنا إلا رسول الله ﷺ في هذه الدهماء.

خاتمة

نعم إنه واسطة بيننا وبين الله لا نبلغ الله دون رسول الله ﷺ، من قال أن لا واسطة هذا نقول له: يوم القيامة قف وكن رجلاً وقل يا الله يوم يُنادي الخلق يا محمد، إمضِ إلى ربك بنفسك بعملك، من أنت؟!!

لا ندخل إلا برسول الله، ولا ملاك ولا نبي يدخل على الله إلا برسول الله ﷺ، يوم المشهد يوم الحضرة يوم القيامة من منكم أيها الأوغاد سيقول يا الله مباشرة؟! "يا محمد يا محمد يا محمد" هذا هو النداء لأنه حبيب الله وباب الله. نعم "يا الله" نحن نحب الله، ولكن أدباً مع الله لا ندخل على الله إلا برسول الله ﷺ، هو الذي فرض أنه لا يدخل عليه أحدٌ إلا من باب حبيبه، وجعل *لا إله إلا الله محمد رسول الله* في باب العرش، وباب الجنة، وفي باب البيت المعمور، وحول الكتاب الذي فيه أم الكتاب وفيه القلم، وفيه ما حوى..

محمد حبيب الله محمد رسول الله محمد نور الله محمد شفيعنا عند الله محمد حبيب قلوبنا، إقبل يا رسول الله من حفيدك ممن تعرفه روحاً ويعرفك، لزمينٍ طويل، ممن تعرف سره وتعرف أمره وأنت مطلع على حقيقة حاله

أنت الضياء فلا شمسٌ ولا قمرٌ
حتى الملائكة أدناهم وأقربهم
يا سيد الخلق يا أعلاه منزلة
مُد أن صعدت إلى الرحمن في كنفٍ
ولنور وجهك طاب العشق والنظرُ
كنت الإمام وأنت المرسل البشرُ.
أجلى الحقائق أن في هديك الظفرُ
يشتاق خطوك حتى الرمل والحجرُ

سلامٌ على رسول الله ﷺ وسلام من رسول الله ﷺ على عشاق رسول الله ﷺ بسر دمه الذي به تكلم وبه ناجاه،

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الحاضرة بتاريخ: 11-10-2021



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

التأمل الثامن والعشرون: ﴿فَتَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ﴾ - من دروس قصة سيدنا يونس ؑ -

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله الذي علا في علاه، لا رب غيره ولا معبود سواه، والصلاة والسلام على الهادي إلى الله بالله سيدنا محمد رسول الله، وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين ومن والاهم ووالاه، الحمد لله الذي هدانا إليه ودلنا به عليه، والصلاة والسلام على الموقر المجلل الأقرب إليه لديه سيدنا محمد، اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد كما ينبغي لمقام سيدنا محمد ولمقام آل سيدنا محمد.

أحباءنا الكرام السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته، حيّاكم الله في هذا الموعد الجديد مع التأملات العرفانية. والتأملات العرفانية موعد للعرفان للتأمل للنظر في ملكوت الله بما يوصلنا إلى الله سبحانه وتعالى، للنظر في سيرة ومسيرة سيدنا محمد، وكذلك لشيء من التصوف والعرفان والتدبر في آيات القرآن. موعد اليوم سيخصّص لقصة قرآنية ذكر الله فيها خبر أحد أنبيائه، نبي كريم ذو مقام عظيم، ولكن في قصته اختلاف عن قصص سواه، إذ أنه النبي الوحيد الذي أُلقيَ في بطن حوت ﴿وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغْضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ﴾ سيدنا يونس عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام.

قصة سيدنا يونس ﷺ

في قصة سيدنا يونس الكثير من الأسرار والغوامض، ولكن نكتفي بالمشاهد القرآنية التي بين الله فيها سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَنْ نَبِيًّا مِنْ أَنْبِيَائِهِ يُسَمَّى يُونُسَ (يونس ابن مَتَّى) غضب من قومه أو القوم الذين أرسل إليهم، عندما نجد قوم لوط ولوط لم يولد في أولئك القوم ولكنهم نُسبوا إليه بحكم أنه بُعث إليهم، بعض الأقسام يكون النبي منهم دماً ونسباً وبعضهم لا يكون منهم دماً ونسباً. قوم يونس كذلك لم يكن منهم دماً ونسباً ولكن أرسل إليهم ليدعوهم إلى الله، ولما عاندوا وجحدوا غضب نبي الله يونس وتركهم، ذهب مُغاضباً فظن أن لن نقدر عليه. طبعاً هنا "ظن" لا تعني أنه اعتقد أن الله لا يقدر عليه، ولكن أنه رأى أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لن يؤاخذهُ على ذلك ﴿يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾ لن يؤاخذهُ على ذلك.

فمضى إلى البحر في رحلة بحرية، وعندما هاجت الأمواج كانوا يُلقون أقلامهم يريدون أن يُخرجوا المنحوس بينهم الذي يرون أن لديه لعنة تتبعه أو أنه شؤم عليهم. وهنا مشهد مضحك: أن يكون النبي المبارك الذي أعطاه الله من أنواره وأسراره في ظاهر أولئك القوم مصدر شؤم. وهكذا الصالحون وهكذا كان من شأن الأنبياء أن أقوامهم كثيراً ما تتبرأ منهم وكثيراً ما تُبعدهم وتُقصيهم وتظلمهم، وهم بذلك ما يظلمون إلا أنفسهم. لا نظن أن الزورق الذي ألقى يونس أو المركب سوف ينجو من لجة البحر، لعل وجود ذلك النبي بينهم كان ضمانتهم الوحيدة للوصول، ولكن هذا تفصيل نتركه. يلتقمه الحوت وهو مُليم ويُلقى في ظلمات ﴿فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ فنَادَى في الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إني ظلمت نفسي فاغفر لي كما يوجد في سياق الآيات، يبقى فترة ﴿فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ لَلِئَلِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ يبقى في تلك الظلمات مُناجياً ربه. هذا المشهد العام البنيوي لقصة سيدنا يونس: يُلقى في بطن حوت ويبقى يُنادي في تلك الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين وإني ظلمت نفسي فاغفر لي.

ولكن المُلفت في قصة سيدنا يونس في علاقته بقومه أنه بعد أن غادر في تلك الظلمات وبعد أن بقي متألماً فترة وبعد أن حماه الله باليقطين أو بالقطن وبعد أن شُفيت جراحه وتدخلت القوات الربانية باليد الخضرية الأنوار الجبرائيلية وعادت إليه قوة على قوته وردّ الله له ما فقده وزاده، هنا يتجلى مشهد ثاني وهو استثناء في القرآن الكريم ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا ءَامَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ ءَعَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾. في القرآن الكريم بيّنات عن قوانين إلهية، من بينها: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرٌ﴾ الأقسام الذين أتاهم العذاب أو أصبحهم العذاب أو جاءهم بغتة وهم يلعبون لم يُستجب لهم عندما صرخوا، فرعون عندما أخذهُ أطبق عليه الموج وقال ﴿آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ﴾ لم يُقبل منه. ولكن هذا الاستثناء لهذه القرية لهؤلاء القوم أنهم الوحيدون الذين أُنذروا بالعذاب ورأوه عليهم مُقبلاً من جهة البحر، ولكن في لحظة يظهر مُنقذهم يونس عَلَيْهِ السَّلَامُ وَيَبْطُلُ الْعَذَابُ وَيَكُونُ يُونُسَ في بطن الحوت قد عرف أسراراً كثيرة مكنته من ذلك المقام.

بلوغ الغوثية في بطن الحوت

نبي الله نوح طلب من ربه أن لا يُبقي على الأرض من الكافرين ديّاراً، فكان الأمر كذلك. ونبي الله لوط قال ﴿لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةٌ أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾ فأوى إلى ركن شديد وقيل له: أخرج ولا تلتفت وسوف نُبيدهم، وقد تمّت إبادتهم. لكنّ نبي الله يونس الذي غادر قومه غاضباً منهم لأنهم رفضوا أن يؤمنوا به، والذي ركب مركباً فتشاءموا منه فألقوه في الماء حتى ينجوا من العاصفة حتى يُرضوا العاصفة أو لعلمهم يُرضون إله البحر "بوسايدون"، هذا النبي في تلك الظلمات أدرك أمراً عظيماً جعله استثناءً النبي الوحيد الذي ألقى بل لعلة الإنسان الوحيد الذي ألقى في بطن حوت ثم غادره، وهو كذلك، لأنه لا يوجد أحد غير يونس عَلَيْهِ السَّلَامُ مرّ بتلك التجربة، تجربة مؤلمة، أن كان في بطن حوت ثم أخرج منه. ولكن في تلك الظلمات نادى "لا إله إلا أنت سبحانك إني ظلمت نفسي"، لم يقل: إنّ قومي ظلموني أو إنّ الذين في المركب ظلموني، عاد باللوم على نفسه، أقرّ بذنبه وسبّح ﴿فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ﴾ أخذ في التسبيح. ولكني قد أضيف مُعطى آخر وهو أنّ يونس عَلَيْهِ السَّلَامُ أدرك الألم وأدرك البلاء في ذلك المقام، وعندما أدرك ذلك رقّ قلبه على قومه، فلعله تشقّع لهم، لعلة طلب من ربه أن يُبطل العذاب الذي أخبرهم أنه آتيهم. ولعلمهم بالمقابل أيضاً تشقّعوا وتوسّلوا به عند ربه، وتجدون في كتب التفسير أنهم خرجوا جميعاً حتى بأغنامهم ووقفوا يتوسّلون إلى الله ويتضرّعون.

إنّ مقام يونس في بطن الحوت بلغ **مقام الغوثية**، وهذا مقام عظيم أوتاه من الأنبياء وأوتاه من الصالحين رجال. مقام الغوثية لا يكون إلا بالأم يُصيب الإنسان، بحوت يلتقمه. في ذلك المقام عندما يفقد الإنسان كل تلك القوى، عندما فقد يونس كل شيء، حتى إمكانية الحركة، الهواء، الشمس، المجال، ضاق به بطن ذلك الحوت، **كان له صوت في قلبه خافت نادى به** فصعد الصوت الخافت من بطن الحوت من ظلمة البحر من ظلمة الليل الذي كان فيه (كان الأمر ليلاً) من ظلمات ثلاث إلى طبقات السماوات إلى ما فوق العرش إلى رب العالمين، واستجاب له ربه. يونس وهو في بطن الحوت افتدى قومه، ذلك البلاء الذي ضمّه محبوباً لله **كفر الله به** سيئات قوم آخرين قوم يونس، فكان باب لطف وإن كان ظاهره باب عذاب.

هنا سنسأل: أيّ غوثية وفدية قدّمها الحبيب المصطفى وهو يُقدّم أولاده شهداء في سبيل الله؟ أيّ غوثية كانت لمشهد الطفّ لمشهد الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ وهو يُقدّم نفسه وفلذات أكباده وأبناء أخيه وحُصّ أصحابه وسبي بناته وأخواته في ذلك المشهد العظيم ﴿وَقَدِّينَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ﴾، هل هو فداء إسماعيل من قبل أم فداء المهدي فيما بعد أم فداء أجيال من الطيبين والصالحين والمؤمنين والمُخبتين والثابتين على العهد والوعد؟! هذا يبقى إشكالاً يمكن التّظر فيه والغوص فيه عرفانياً.

يونس عَلَيْهِ السَّلَامُ قدّم لنا نموذجاً عظيماً في الغوثية، قدّم لنا نموذجاً عظيماً في عبد يكون في حال بلاء شديد، في بئر من الظلمات في عالم من الظلمات، ولكن لا يبقى له إلا وجه العظيم، فيُسلّم في كلّ قواه ويُسلّم أمره لله ويتضرّع إلى الله، فيكشف الله عنه الضّرّ وعن غيره، فذلك مقام غوثية.

علاقة سيدنا يونس بتونس

هل أنّ يونس نُطق في لسان قومه الذين أُرسِل لهم بإبدال الياء تاءً فكانت تونس؟ وهل أنه قال لهم "حَصَرَ الموت" فكانت حصرموت؟ هل تَمَّت القصة في هذه المباني وهذه المناطق فتكون تلك الأرض هي الأرض الوحيدة التي نزل بها اللطف بعد أن أُنذرت بالعذاب فتكون أرض اللطف وتكون كما ذكر ابن أبي الدينار في <<المؤنس في تاريخ تونس>> أنّ مالك ابن أنس ذهب إلى عبد الملك ابن مروان مع مجموعة من الصحابة وقال له: "أنقذ تونس من البيزنطيين فإنها من الأرض المُقدسة"، وأن يكون ذلك مما عَلِم بنو إسرائيل عن ترشيش وعن مدينة الذهب التي دُكرت في التوراة والتلمود وأن يكون أقدس مكان لهم بعد القدس هو تونس... هذه تبقى لكم للنظر فيها.

الحوث المعنوي

ولكن بين الحوث البنيوي الذي إلتقم نبى الله يونس والحوث المعنوي الذي يلتقم الصالحين والصابرين والمُصلحين، هذه الظلمات التي تأتي لرجل صالح مصلح أراد خيراً بالناس فأرادوا به شراً، ومضى في بحار الحياة يصارع من أجلهم فألقوه من فوق مركبهم يظنون أنه نحس وشؤم عليهم، وأطردوه من قريتهم ولعلمهم آذوه طويلاً. هكذا يكون هذا المقام: يُلقى في بطن حوث معنوي من بلاء أو بنيوي من شاكلة أخرى من بلاء مُرّ من حقائق تأتيه فيجد مذاقها مُرّاً، من رقائق من دقائق من بواطن من معاني يكشفها الله له توجع قلبه في التاريخ أو في الواقع، من رغبة في الإصلاح مع عجز عنه مع رفض للناس..

ولكنّ مقام الغوثية يكون ب "لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين، لا إله إلا أنت سبحانك إني ظلمت نفسي فاغفر لي"، يكون مقاماً للمُسبّحين وللمؤمنين وللمُتدبّرين في آيات الله، يكون مقاماً لأهل الذكر والفكر والشكر والسكر، مقام ذكر لله وفكر وتفكر في عظيم آيات الله وعظيم صفات الله، وشكر وحمد لله جلّ في علاه، وسكر بحبّ الله وبحبّ رسول الله وبُحبّ من قال عنه: "مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَهَذَا عَلِيٌّ مَوْلَاهُ"، بأنّ أביها وسبطي رسول الله وفُزّة عينيه، بالصالحين بحب الصالحين أهل الله صفوة الله المُخلّصين لله. وبين مقام المُخلّصين الذين لهم في تلك اللام كسرة انكسار أنفسهم لله ومقام المُخلّصين الذين لهم فتحة في تلك اللام تعني أنّ الله أخلصهم إليه، بين مقام الذين يدعون ربهم بالغداة والعشيّ يريدون وجهه وبين مقام الذين يريدون وجهه جلّ في علاه مسافات ومساحات شاسعة واسعة لتأمل ولتدبر ولمصائر وبصائر أقوام فنوا في ربهم فنوا في معبودهم فنوا في محبوبهم حتى لم يروا سواه، أرادوا وجهه بداية وأرادهم وجهه نهاية، ولكن في الحقيقة وجهه أرادهم منذ البداية فألهمهم أن يريدوا وجهه.

إنّ في قصة سيدنا يونس عَلَيْهِ السَّلَامُ معاني وعبر للمُبتلّين، للذين يرون إطباق هذا الحوث الكبير الذي نسجته أيدي شياطين البشر وشياطين الجن وأبناء إبليس وإبليس نفسه ليُطبق على البشرية من كلّ جانب بأمراض وأوبئة وحرّات وحرّات ومصائب ومشاكل وإشكاليات وتغييرات مناخية وألعيب قدرة وغير ذلك من الأمور..

أصحاب السرّ اليونسي

هذا الحوت الذي يُبنى والذي يُراد أن يُعيد كَرّةً بكَرّة الحرب العالمية الأولى والثانية ومشاهد الأسلحة النووية والمجازر والمآسي، إنما هو مجال لأصحاب السرّ اليونسي الذين إذا أطبق عليهم هذا الحوت جلسوا يبكون ذنوبهم وينادون محبوبهم أن "لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين، لا إله إلا أنت سبحانك إني ظلمت نفسي فاغفر لي".

هذا التضرع وهذا التوسّل وهذا الحال من الانكسار مع الله، من الوجد لله، من المحبة لله، من الفناء في الله، حتى كأني بيونس عندما نادى نداءه ذلك صار بطن الحوت المُظلم مُنيراً مُضيئاً كما صار سجن يوسف حقولاً خضراء ومدرسة وجامعة حتى قال ﴿لَا يَأْتِيَكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِيهِ إِلَّا نَبَأُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ - قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ذَلِكَ مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي﴾. هكذا يُعلّم الله أنبياءه وأوليائه في خلواتهم، هكذا كان لا بدّ أن يكون غاراً صغيراً، إذا دخلت غار حراء - وقد دخلناه بحمد الله - تجد أنه مكان ضيق لا يتسع حتى لواحد إلا بشقّ الأنفس، في ذلك المكان في ذلك الموضع في ذلك الضيق البنيوي كان الاتّساع المعنوي، وكانت الضمّة التي ضمّ فيها سيّد الملائكة سيّد الخلق بأمر رب الملائكة والخلق، الضمّة الأولى جلالاً ثم كمالاً ثم جمالاً، ضمّ بسرّ ربه وبسرّ ذلك المَلِك العظيم وبسرّ سرّ ذاته أيضاً سرّ ذاته الأحمديّة المحمديّة.

فكذا يكون مقام أهل الغوثية، يكون مقام أهل الإصلاح، الذين يدلّهم ربهم على تلك المواضع حتى يكونوا شُفعاء للناس، يُبتلون فيرفعون البلاء لا عن أنفسهم وأهلهم بل عن أقوام وعن دول، بل عن الأرض كلّها. هؤلاء أصحاب السرّ اليونسي، أصحاب السرّ الحسيني، أصحاب سرّ محمدي مهدوي. ونحن ننتظر هذا الغوث الأعظم الذي سيأتي بعد الغوث الأعظم سيدي عبد القادر الذي مدحناه بقصيدة بلّغته فأسعدته فأسعدنا، ونسأل الله دوام الوصل بيننا.

بطن الحوت مجال لمعرفة الله

بين هذه الغوثيات نحن في بطن الحوت ننادي أن "لا إله إلا أنت سبحانك إنا ظلمنا أنفسنا فاغفر لنا"، نُنادي أن: لا إله إلا أنت سبحانك إنّ هذه الظلمة وإنّ هذه العتمة وإنّ هذا الغبش وإنّ هذه الوحشة وإنّ هذه المخاوف كلّها لا تزيدنا فيك إلا يقيناً ولا تزيدنا إلا ثباتاً، لأننا نعلم أنّ الوقت الذي قضاه يونس في بطن الحوت كان مجالاً لإنقاذ أطفال وإنقاذ قرية وقوم وإنقاذ ضحايا كثيرين. نعلم أنّ ذلك الوقت في بطن الحوت كان المجال الوحيد ليونس عَلَيْهِ السَّلَام كي يعرف ربه حقيقةً بعد أن أوتي النبوة، كي يبلغ الغوثية الكبرى بعد أن أوتي النبوة، كي يعرف نفسه أيضاً ويعرف انكساره بين يدي ربه ويكون بذلك انتصاره برّبه، فلا انتصار بالله إلا بالانكسار إلى الله وبالانكسار لله، لا انتصار بالله إلا بالانكسار لله. كان مجالاً لسيدنا يونس ليكون في قلبه ذلك الوميض الذي أومض وأضاء فنزع الغضب فسامح أهل المركب وسامح قومه وسامحهم الله لأجله وعفا عنه وعنهم وأخرجه من بطن الحوت في حال الألم.

وكذا يولد الأغواث والأبدال والأقطاب من رَحِم الألم، كذا يخرجون من أرحام بطن الحوت، من بطن كان قد ضمّهم وكان أراد في ظاهر الأمر إيلامهم، ولكنه كان حوتاً أميناً وكان حوتاً مُكلفاً وكان حوتاً مؤيِّداً وكان **حوتاً مأموراً** أن يأخذ نبياً فيُخرجه نبياً وغوثناً أيضاً، وأن يأخذ نبياً غاضباً من قومه فيكون في داخل بطن الحوت غاضباً من نفسه عاتباً عليها مسامحاً للآخرين. لا نعي بذلك أنّ هنالك عفواً عن فرعون وأنّ يونس لو كانت قصته مع فرعون فخرج من بطن الحوت كان قد عفا عنه، لا نعي ذلك أبداً، ولكنّ في الأرض ضالّين غلبتهم أنفسهم وغلبتهم شياطينهم ولكن في أعماقهم نور في قلوبهم نور. هذا شبيهه بمشهد العُزير عندما مرّ بألوف وهم أموات ثم أماته الله ثم أحياه ثم أحيا حماره ثم أحياهم أمامه، قد فرّوا من قبل وهم ألوف حدّرت الموت فقال لهم الله موتوا فماتوا.

ما أحوجنا لإحياء هذا الدين في قلوبنا، ما أحوجنا لإحياء الرغبة في الغوثية وفي إغاثة الناس في قلوبنا، ما أحوجنا إلى أن نفهم ونتمعّن في بطن الحوت سواءً كان مرضاً أو وباءً أو بلاءً أو فقراً أو إمحالاً أو فقّداً شيء ما. ما أحوجنا أن نتوسّل إلى الله: لقد تعلّمنا الدرس جيداً، لا تردّنا يا ربنا لبطن الحوت، لا تُعدنا إلى الظلمات وقد أريتنا وجه الأنوار، إنما اجعل الغوثية لنا بلا وجع وبلا ألم وبلا سُقم وبلا مرض، اجعلها عفواً وبراحاً وسماحاً، ومجالاً من لدنك مُتاحاً، واجعل لنا بعد الإغباش صباحاً، وبعد الضلال فلاحاً، وبعد الخسارة نجاحاً، واجعل لنا في المسافة إليك منك لديك جناحاً، واجعلنا يُقبلون إليك وقد أهديتهم ضوءاً ومصباحاً، مصباح محمد وآل بيته، فإنه لا يُدخّل عليك دونهم.

خاتمة

إننا نجدد العهد معكم إن شاء الله على الاستمرار وعلى مزيد من أمور اكتشفناها في بطن الحوت، تأملنا جيداً ونحن في بطن ذلك الحوت، تأملنا حال يونس، رفعنا أيدينا نجدد العهد مع الله ورسوله، وقد أخذنا عمامة ترونها من السيد محمد عجان الحديد الحسيني الرفاعي جزاه الله خيراً بسندها وفوقها نعل رسول الله. كنت دائماً أتكلّم أنّ نعل الحبيب فوق رأسي، ها هو الآن برمزه فوق رأسي أُشرف به، جزى الله خيراً أخي وحببي السيد محمد عجان الحديد الحسيني رئيس الأكاديمية العالمية لعلماء الصوفية، وجزى الله خيراً أهل الجزائر على كرم الضيافة بآرك الله فيهم، وخاصةً أخي حمزة آل سيدي الشيخ سعادة الوزير الكريم الطيب، هذا شعب مبارك.

ونحن بحمد الله مستمرّون معكم في المنارة والإشارة والبشارة، الجمعة القادمة درس جديد من الدروس البرهانية. جزى الله خيراً كل من سأل عنا ونحن في بطن الحوت، كل من دعا لنا كانت دعواتكم تصل إلى قلوبنا مليئة بأنوار بأيدي من النور وتحفّنا. **أيقنّا ونحن في بطن ذلك الحوت ونرى ونسمع هؤلاء الأحبة نراكم ونسمعكم أننا على الطريق الصحيح**، أنّ هذا الدرب هو الدرب الموصل بعون الله، نريدها محمديّة بيضاء، محمديّة في أصولها مهديّة في وصولها، نريد لهذه الأنفاس ولهذه الصحة ولهذه العافية أن تكون أكثر تسخيراً لله ولرسوله، نريدها غوثية، نريدها علماً وحقيقةً، ونريد أن نكشف وجوه الحقائق والدقائق والرقائق المخفيّة والرقائق الخفيّة التي خفيت عن كثيرين، وكذلك أن نضرب وجوه الظالمين

والمزيتين على مرّ التاريخ، أن نكشف لكم الكثير مما قد يؤلمكم، نُراعي في ذلك ما نُراعيه طبعاً لا نكشف كل شيء، ليست هذه مهمتنا هنالك من هو مأذون له أكثر منا عندما يؤتى السلطان في هذا العالم، ولكن نحن نعطي ما يُمكن أن نمنحه، ونزيد من السكر سُكراً ومن الفكر فكراً ومن الذكر ذكراً ومن الشكر سُكراً، ونزيد بعون الله في مدى شساعة إدراكنا للملكوت وللناسوت ولللاهوت حتى نفهم عن ربنا وحتى نتدبّر في كوننا وحتى نرى ما يُدبّر من حولنا.

هذا الحوت الآن حوت غريب يحوي في داخله قوم لوط، ليس قوم لوط في تلك البدايات عندما كانوا في نادٍ يأتون فيه المنكر، بل الآن على مدى هذا الكوكب بأكثر وقاحة وأكثر جراءة على الله. ونجد فرعون جديد بأساطيل بأسلحة لم يتخيّلها، ونجد نمروداً جديداً بتمرد وعصيان لم يكن لنمرود الأول، ونجد كذلك هامان بأقمار صناعية وبشركات كبرى وبتريليونات من الدولارات، ولكن كلّ هذا: هم يُسارعون نحو نهايتهم، ﴿أَمْرًا مُتْرَفِيهَا﴾ أمرهم الله ففسقوا فيها حتى يحقّ عليها القول فيدمرها الله تدميراً. ونحن بعون الله آمنون ونحن بعون الله ثابتون على العهد راسخون، لا نُخلف عهداً ولا ننكث وعداً ولا نُفترّ بعون الله، ونحن قد دخلنا بسرّ ونور وبركة رسول الله.

جزاكم الله خيراً وبارك الله فيكم على حسن المتابعة، اشتقنا إليكم كما اشتقتم إلينا، وإن شاء الله نُكمل على هذا العهد وعلى هذا الوعد ونمضي في آفاق أرحب وفي مجالات أوسع، وإن شاء الله نُثمر هذه الجهود المعرفية. وأنا لا أخفي سرّاً عندما أقول أنّ هذه المعارف وهذه الأذواق ما قطفناها إلا بألف ألف حوت إلتقمنا منذ الصبا منذ الطفولة، كلّ مرة يأتي حوت بلاء شديد، ثم يأتي ما هو أشدّ منه، ولكن إن شاء الله هذه المرة أن تكون الأخيرة وأن ندخل في سعة عفو الله جلّ في علاه وأن نتعلّم الدروس القادمة دون حاجة لصديقنا الحوت الذي نطلب منه أن يمضي وأن يكون بنا رحيماً ويكون بالذين سيلتقمهم من بعدنا أشدّ رحمة.

ونسأل الله دوام عفوهِ وعافيتهِ ولطفهِ ومحبتِهِ وقربه ورضاه، وصلى الله على محبوبنا رسول الله وعلى آل بيته ومن والاهم ووالاه، والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

الحاضرة بتاريخ: 13-12-2021



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

التأمل التاسع والعشرون: أدب الاتباع

المقدمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، الحمد لله الذي هدى إلى التقى وأكْرَمَ من اتَّقَى، والصلاة والسلام على خير من اتَّقَى وارتقى سيدنا محمد، نبي الله الهادي وقمر الله البادي، عليه وعلى آله مطلق الصلاة في سائر الآماد والآباد، وفي ما شاء الله من دهر ومن أبد، وما شاء الله من سرّ ومن عدد، وما شاء الله من عطاء ومن مدد، اللهم صلّ وسلّم وبارك وعزّز وأكْرِم وأنعم وتفضّل وأتمم على سيدنا ونبينا ومولانا وإمامنا محمد وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين، وارض اللهم عن أصحابه المؤمنين الثابتين الصابرين، وسلام على عباد الله الصالحين وعلى النبيين والمرسلين وسكّان عليّين أجمعين وعلى ملائكة ربنا وحملة عرش ربنا وعلى ما خلق ومن خلق من خلقه الطيبين المجتبيين.

السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته، حياكم الله في موعد جديد مع التأملات العرفانية بعد غياب فترة نعتذر عن طولها ونأسف لأن كانت بهذه الكثافة الزمنية لأيام وأسابيع طوال. ما أردت أن أتكلّم عنه وما سنقول في هذا الدرس يستحق أن يكون مقالاً مفصّلاً وعلماً مؤصّلاً، لأنه علم حقيقي ومقام عظيم، وفيه مقامات آخر بين علويّتها وسفليّتها. كنا في درس سابق ضمن التأملات العرفانية تكلمنا عن موضوع "أدب الصّحبة"، ويمكن لمن أراد أن يرجع إلى الدروس الخاصة بأدب الصّحبة ليجد مقالاتنا في هذا الباب الذي كان باباً مهماً فيما نراه عن موضوع أدب الصّحبة وقيمتها ومكانتها. وأدب الصّحبة أدب المصاحبة أدب المخاللة يحتاج إلى آداب، وتجدون الأدب الصغير والأدب الكبير لابن المقفّع وغيرها من كتب تتكلم عن آداب المصاحبة وآداب العشرة.

"أدب الاتباع" أيضاً يحتاج إلى نظر ويحتاج إلى تمحيص ويحتاج إلى تأليف وإلى قراءة. مصدرنا الأول في التأملات العرفانية والدروس البرهانية وفي كل ما نكتب وفي كل ما كتبتُ منذ أكثر من عشرين سنة هو القرآن العظيم ﴿إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾ هذا القرآن الذي يُهجر وهُجر، وحالت بين الراغبين في ما فيه من كنوز وبين هذه الكنوز تفاسير كثيرة فيها إسرائيليات وتفاسير عقيمة حتى أنها تسيء إلى هذا الكتاب العظيم. أدب الاتباع يجب أن يكون منهله القرآن الكريم. إذا تصفّحت الكتاب، وهنالك برامج بحث قرآني يمكن تنزيلها على الهواتف مثل برنامج الباحث القرآني تجد بسهولة أي كلمة تجد تكرارها، يمكن أن تتدبر في هذه التكرارات والسياقات التي وردت فيها المفردات. المفردة تحمل مفهوماً وتحمل قضية، لها مفهوم إصطلاحي ولها قضية ولها أيضاً معنى لغوي. الاتباع: السير خلف شخص ما، السير خلف أمر ما. الاتباع هو نوع من المسaire ولكنها مسaire تكون بتوافق الهوى أو تكون بتوافق المبدأ أو تكون أيضاً بإرادة وباقتناع أو تكون من نوع الاستلاب، هنالك من يتبع مقتنعاً وهنالك من يتبع مستلباً، وهنالك من يتبع هوى وهنالك من يتبع على بيّنة.

الاتباع في القرآن الكريم

في القرآن الكريم آيات تبين هذه المعاني على شساعتها ورحابتها، وفي كل موضع من هذه المواضع علينا أن نقف وقفة تأملية تدبرية لنفهم.

﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ اتبعوا ما أنزل الله، اتبعوا نبيكم، هذا أمر من الله سبحانه وتعالى، رسالة إلى رسول الله ليخبر بها الصحابة ويخبر بها المؤمنين من بعد. ﴿فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ اتبعوني اجعلوني قائداً لكم قائداً لمسيرتكم، صاحبوني وسيروا خلفي فإن الله قدمني عليكم. وهذا اتباع يجب أن يكون عن إيمان وعن بصيرة: ﴿وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ﴾ ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ﴾ ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ﴾ إذاً الله جل في علاه أمر نبيه أن يتبع الوحي والهدى الإلهي، فيتبعه من آمن بالوحي والهدى الإلهي، وأمره أن لا يتبع أهواء الذين يتبعون أهواءهم ويتبعون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويتبعون الظن ويتبعون ما تهوى النفوس.

وفي القرآن آيات كثيرة عن هذا الاتباع، كيف أنّ قوم فرعون اتبعوه وكان حكم فرعون في ضلال. بل أننا نجد اتباعات أخرى من باب الاستلاب أن يكون المتّبع ربانياً ولكن المتّبع ضالاً ظلامياً، ونجد أن يكون المتّبع بالقصد والدعوة ربانياً ولا يستجيب من دُعي إلى الاتباع، وهذان مثالان جليان على ذلك:

1. ﴿وَاتَّبِعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكٍ سُلَيْمَانَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا﴾ هذا اتباع من باب الهوى والغواية والتزيين (﴿وَرَبِّينَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ﴾)، ﴿وَمَا أَنْزَلَ عَلَى الْمَلَائِكَةِ بِبَابِلَ﴾ هؤلاء اللذين أوتيا السرهما مرسلان من الله، إذاً هما صاحباً منهج رحماني، ولكن علماً علماً فيه فتنة، فالذين اتبعوهم كانوا على ضلال وإن كان المتّبعين على هداية، وهذا مقام صعب جداً ربما ندخل في المقامات الخضرية وندخل في أمور يصعب استيعابها.

2. وثمة دعوة سيدنا إبراهيم لوالده ﴿فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا﴾ المُتَّبِع رباني ولكن لم يُلَبِّي أبوه -وهنا بمعنى عمّه- الدعوة لذلك الاتباع وقُطِع.

هنالك أيضاً أتباع بالرغبة بالتشوّف وفيه امتحان صعب ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَنْ تُعَلِّمَنِي مِمَّا عَلَّمْتَ رُشْدًا﴾ عندما طلب سيدنا موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ من سيدنا الخضر عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنْ يَتَّبِعَهُ وافق الخضر بشروط، هنالك آداب معينة، ضمن هذا تكون رؤيتنا لأدب الاتباع. أول شرط طلبه الخضر لموسى هو أن يسلم، التسليم الكلي المطلق ولئن بدا له أمر لا يفهمه. يقول لك "اتبعني بالتسليم"، قد يأتي مضلّ وظلامي ومفسد ويقول لك هذا الأمر "اتبعني بالتسليم، سلّم لي"، هنا سيكون امتحانك:

- هل أنت تتبع الذين أتبعوا ما تتلو الشياطين؟
- أم تتبع الذين يتبعون أهواءهم ويتبعون الظن؟
- أم تتبع داعياً ربانياً يدعوك إلى خير؟
- أم تتبع على علم وعلى منهج؟
- أم تتبع على هوى نفس؟
- أم تتبع على وهم؟

أدب الاتباع يتعلّق بعناصر المسألة الاتباعية (إن جازت العبارة) مسألة الاتباع:

أولاً هنالك مُتَّبِع ومُتَّبِعٍ واتباع، هنالك طريق، هنالك من يمشي في الأمام، هنالك من يمشي خلفه ويتبع ذلك الطريق وذلك المنهج. لا بدّ أن نفهم هذه المكونات، عندما تحلّلون أية قضية خذ مكّوناتها فكّكها وحلّل كلّاً على حدة حتى تصل إلى بلورة فهم أعمق لذلك.

القاعدة الأولى: أن تعرف من تتبع

المُتَّبِع يجب أن تعرفه، إذأ أول شرط من آداب الاتباع: أن تعرف من تتبع، حتى لا تقول عنه في حال الرضى ما ليس عنده، وحتى لا تقول عنه في ساعة الغضب ما ليس فيه. وقد ابتلينا بأقوام من أمثال هؤلاء، إذا انبهر بك قال عنك ما ليس عندك، رفع مقامك إلى درجة الإهلاك بالإغرار لو أنك استمعت إليه، وإذا امُتحن في نفسه قليلاً وجاءه غويّ مضلّ مبين يقول عنك ما ليس فيك!! لأنه أتبعك دون أن يعرفك. لا تتبع من لا تعرف، هذا الاتباع أمانة. وهنالك صيّدون ماهرون قد يزيّنون لك ما يبدو لك إيماناً وما يبدو لك تصوّفاً وما يبدو لك تشيّعاً وما يبدو لك تسنناً وما يبدو لك أمراً محمدياً نبوياً ربانياً روحانياً فلسفياً فيزيائياً كونياً... (كما تريد)، يبدو لك.

- ❖ البعض يتبع الملاحدة يقول أنهم يمثلون العلم وهم لا يمثلون إلا الظلم والهوى والكذب والإفك
- ❖ البعض يتبع المادية الجوفاء ويظنّ أنّ الماديين أهل موضوعية، وهم في الحقيقة أهل وضاعة لأنهم جعلوا موضوعيتهم لا تعمل إلا في تدمير الأخلاق والقيم ولا تعترف بحقائق كثيرة يكتُمونها

- ❖ البعض أتبع بعض أذعفاء الانتساب لمنهاج أهل البيت وهم ألسنتهم ألسنة أءءاء أهل البيت، شتأمون لعانون فسقة فاجرون، لا نتكلم عن العموم نتكلم عن نوع محدد، هذا النوع يظلم آل بيت النبي ويظلم منهجهم، يظلم أخلاقهم، يظلم محبتهم
- ❖ والآخر يقول لك أتبع السنة وهو لا يتبع إلا التطرف، ولا يتبع إلا سلفاً طالحاً يجعله فوق السلف الصالح الحقيقي، ويحرف الأمور عن مواضعها ويحرف الأحاديث، بل ويتبع ما هو محرف مخرف مدسوس، ويترك ما هو مخصوص منصوص كبناء مرصوص من عند رب العالمين. يترك كل داعٍ رباني ويتبع كل داعٍ جهلاني، يترك كل منهج عقلاي ويتبع كل منهج ظلماوي تمغفلي (من الغفلة)
- ❖ وكذلك البعض يقول لك أتبع هذا الشيخ المرابي الصوفي الكبير القطب المهدي المنتظر الجديد -كل مرة يخرج نوع جديد- وآخر يكتب أنه يلتقي كائنات فضائية وترسم له البوابات، وينهر الناس، والآخر يقول لك الهرم كان جبلاً ونحت ثم صار هرماً، ويتبع الناس بالآلاف بمئات الآلاف..

لذلك رب العالمين أعطى قاعدة: ﴿وَإِن نُّطِغْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ دائماً الأغلبية للأسف ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ﴾ الأغلبية لا تتبع إلا كل دعي ضلالي. في كل المناهج، اقرأ التاريخ اقرأ الواقع، للأسف، لخيبة البشرية أن أغلب الناس تتبع المضلّ تتبع الذي لا يوصلهم إلا إلى الأوهام، لأنّ الناس تعشق الأوهام والأنفس تزيّن الوهم، الأنفس تحلّي الوهم، وأنا قدّمت دروس كثيرة ومحاضرات وكتابات عن الوهم وعن خطورته وعن قوّته وعن تزيينه ﴿زَيِّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ﴾ أنّ الله جعل عمل لكل أمة مزيّناً في أعينهم مهما كان بشعاً على الحقيقة.

إذن أول قاعدة: اعرف واعلم من تتبع، من الذي تتبعه؟ هل تتبع من تعرف أم تتبع من تظنّ أنك تعرف؟ هل تتبع هذا الذي يدعوك إلى الله حقيقة أم يزيّن لك الأباطيل أم تتبع السبل التي تضيعك ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ﴾ اتباع الصراط المستقيم.

القاعدة الأولى: معرفة من تتبع.

القاعدة الثانية: معرفة المنهج المتبع

القاعدة الثانية الأساسية في أدب الاتباع **معرفة المنهج المتبع**: أي منهج؟ الصراط المستقيم. إذا تكلمنا عنا كمسلمين وكأهل هذا الدين العظيم (نتكلم ضمن الإطار الإسلامي)، نقول: نتبع المحمدية البيضاء ليلها كنهارها، نتبع ما أمرنا به رسول الله، نتبع هديه نتبع شخصه الكريم الحقيقي لا الشخص المزيّفة التي أضيفت والتي دُست دساً في كثير من المشاهد والمواضع والسير وهي غير حقيقية وغير صحيحة.

نتبع أمره إذ قال لنا "أحبوا الله لما يغذوكم به من النعم، أحبوني لحب الله، أحبوا آل بيتي لحبي"، نتبع أمره إذ قال "من كنت مولاه فهذا علي مولاه"، نتبع أمره إذ قال "يا فاطمة إنّ الله يرضى لرضاك ويغضب

لغضبك، ونلغي الأحاديث المزيّفة التي أرادت أن تجعل الإمام علي والسيدة فاطمة لا يصحوان لصلاة الفجر، وأنه في حجة الوداع غضب منها وكانت قد تزيّنت، وأنّ حمزة بقر له ناقتين وكان سكيراً، لم يشرب حمزة ولا أحد من بني هاشم الخمرة في حياته، ولم يتحنّث ولم يطف بصنم، المهم نترك هذا جانباً. نتبع أمره إذ أمرنا بأن قال **"الحسن والحسين في الجنة ومن أحبهما في الجنة"**. أظن أكرر هذا الأمر لأنه لا إسلام دون محبة رسول الله دون محبة آل البيت، هذا في العقيدة. إذا كان في العقيدة أن نؤمن بالله وكتبه ورسله ولا نفرق بين أحد من رسله، فإنّ من الإيمان برسول الله وجوهر الإيمان برسول الله أن نحب رسول الله وأن نحب آل بيت رسول الله لأنّ رسول الله قال لعلي **عَلَيْهِ السَّلَامُ "لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق"** وأنّ المسألة التي أمر بها في اتباع سفينة النجاة كان يأمر بسفينة واضحة جلية.

إذن يجب أن نتبع الصراط المستقيم، وفي اعتقادي أنّ **الصراط المستقيم هو ما أمر به رسول الله، هي محبته محبة الله محبة رسول الله محبة آل البيت**، طبعاً مع توقير الصحابة، مع محبة الصالحين، مع انكسار القلب للناس، مع الرأفة بالناس مع فعل الخير، وعندما نعمم الإطار الإنساني يصبح أن تحب الخير للناس جميعاً، أن يكون قلبك عامراً بالنورانية، أن يكون قلبك عامراً بالخير، أن يكون عقلك عامراً بالعلم، أن تكون روحك عامرة بالمحبة، أن تكون نفسك عامرة بالتهذيب وبالتزكية ما استطعت إلى ذلك سبيلاً. النفس هذه شيطان قوي جداً، يجب أن تعرف كيف تتلاعب مع هذا الشيطان وتخدعه حتى تصل إلى مبتغاك، حتى تقضي عليه أو حتى تقضي عليه الأيام أو يقضي عليه الموت. وكذلك أن يكون جسمك مفعماً بالطاقة وباللياقة ما استطعت إلى ذلك سبيلاً، هذا منهج. **الصراط المستقيم في القرآن الكريم غير ما كُتب من موضوعات أيضاً حتى حوّلت إلى جسر بين الجنة والنار أحد من الخنجر وأدق من الشعرة والناس تتساقط من فوقه وكأنه هو المكلف بالحساب، والله يقول ﴿فَسَوْفَ يَحَاسِبُ حِسَابًا يَسِيرًا وَيَنقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا﴾** ويقول **﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا﴾**. المهم هذا مبحث آخر قد نأتي يوم إليه وقد يكون فيه صدمة للبعض الذي يعتقد بضرارة في هذه المعاني، لا وجود لأي معنى من هذه المعاني في القرآن الكريم مطلقاً إطلاقاً قطعاً.

هذا إذا معرفة المنهج.

القاعدة الثالثة: معرفة نفسك

1- معرفة من نتبع ، 2- معرفة المنهج،

3- **معرفة نفسك** (الذي يتبع): من أنت؟ ماذا تريد أن تكون؟ إلى أين تريد أن تصل؟

الآن عندك قاعة سينما وعندك مجموعة كبيرة من الأفلام والاختيارات، تدخل أنت إلى هذه القاعة وستختار فلماً معيّناً، قد يكون عن حرب النجوم وعن أمور من الخيال العلمي، قد يكون فيلم من أفلام الرعب، قد يكون فيلم من أفلام الحركة من أفلام الغرام، أنت ستختار، عندما تجلس في هذه المشاهدة ستعطي من وقتك وجهك وتدفع مالا قبل ذلك واخترت مكانك. أنت في هذه الدنيا الخيارات كثيرة،

اعرف كيف تختار، واعرف نفسك، ما الذي تريد أن تصل إليه. عندما تدخل إلى قاعة فنون الدفاع، تجد أنواع كثيرة، بعضها في فترة قصيرة تستطيع أن تتعلم تقنيات الدفاع عن النفس بسرعة، وبعضها تحتاج إلى 20 إلى 30 سنة حتى تتعلمها، فما الذي تختاره؟ تدخل إلى باب العلوم تجد علوم كثيرة جداً، ولكن عليك أن تعرف ما الذي تختاره من هذه المعارف.

القاعدة الرابعة: أن تعرف كيف تتبع

هذه القواعد الكبرى: أن تعرف من تتبع، أن تعرف منهج الاتباع، أن تعرف نفسك. ويضاف إليها أن تعرف كيف تتبع: هل تتبع بالانبهار والهوائية؟ بعضهم في أول انبهار سوف يجعل منك قطب الأقطاب ويجعل أنه سيأتيك بالجيوش التي ستهدأ أركان الأرض وسميضي معك للقدس فاتحاً، وبعد أيام قليلة سوف يذبل ويذوي ويختفي. لا نحتاج إلى أمثال هؤلاء خاصة في بناء المشاريع الثقافية والعلمية التي تحتاج إلى صبر وإلى مطاولة ومكابدة، بعض تلاميذنا لنا معهم أكثر من عشرين سنة وما زالوا مستمرين وما زالوا معنا وما زلنا معهم، أما الهوائية لا توصل إلى شيء، هوى النفس. بعضهم أيضاً له فراغ في نفسه يريد أن يجعل زينة، مثل الموضة أني أنا تلميذ فلان أو مع فلان، وهذا أيضاً لن يوصل إلى شيء أبداً قطعاً مطلقاً. لا بد أن نعرف كيف نتبع، نتبع بالأدب، نتبع بالتسليم الخصري إذا اقتنعنا، وهل التسليم له حدود أم ليس له حدود؟ هذا أنت ومرتبة من تتبع ومرتبة عقيدتك ويقينك فيمن تتبعه.

مراجعة النتائج

ختاماً لا بد أن نعرف من آداب الاتباع هو **مراجعة النتائج**. أنت ذهبت إلى قاعة الرياضة وقال لك المدرب: اتبعني -والاتباع طبعاً فيه الطاعة وفيه مسائل أخرى هذه تفصيلات- قال لك: "اتبعني وأنا سأدريك، وأنت في شهر ستخسر وزن كذا وستصبح عندك عضلات كذا وستصبح عندك هذه اللياقة". طيب أنت طبعاً ستسلم نفسك وسوف تثق فيه وتعطيه جسمك ليدربه، تقوم بتلك الحركات تقوم بنظام غذائي، وبعد 3 أشهر لا تجد لنفسك شيئاً من التطور، لم تفقد وزناً لم تتعلم مهارة إلى غير ذلك... هذا اتباع فاسد ومُتبع كاذب، وكثير هم الكذابون.

إذا اتبعت شيخاً أو عالماً أو عارفاً، أو ظننت أنك كذلك، أو اتبعت منهجاً، ما الذي طور فيك؟ ما الذي غير منك؟ ما الذي غير من حياتك؟ ارجع هنا إلى اتباعك لله ورسوله، هل اتباعك لله ورسوله غير منك؟ هل أن صلاتك غيرت منك؟ هل أن اتباعك للسنة النبوية غيرت منك؟ البعض اتبعوا من ظنوا أنهم يدعونهم إلى الجنة فأدخلوهم في الإرهاب وفي القتل وفي قتل الناس ودمروا حياتهم. البعض اتبعوا من يظنون أنهم يأخذوهم إلى العلم، أدخلوهم في الإلحاد والشذوذ وفي النهاية انتحروا، وقصص المنتحرين من الملاحدة كثيرة جداً وعديدة منذ العشرينات، ذلك الذي قال أنه ملحد سعيد ثم ألقى نفسه في النهر.

هذا الأمر يجب أن يفهم جيداً: من أتبع؟ ولماذا أتبع؟ كيف أتبع؟ ما منهاج الاتباع؟ ما الذي طوّر في هذا الاتباع؟ ما الذي طوّرت في هذه الطاعة لهذا المعلم أو هذا الأستاذ أو هذا الشيخ أو هذا الذي أتبعه وأسير خلفه؟ هل يستحقّ فعلاً؟ هل أتبعه لهوى في نفسي؟ أو لمحبة في قلبي؟ أم لظماً في عقلي؟ أم لوهم وخُلب وزيف؟ كالذين اتّبعوا فرعون واتّبعوا كيد فرعون واتّبعوا حكم فرعون ﴿وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ﴾ واتّبعوه حتى أغرقهم في البحر، والذين اتّبعوا الذي قال لهم: تعالوا إنّ في بيت لوط شَبَاباً جميلين وجاءوا ومكر بهم وأُحرقوا جميعاً. وهذه الحضارة التي تتّبع غيها اليوم، وهذا الخوف الذي يُتّبع، وهذه الرغبة في الكراسي التي تُتّبع، وهذا الهلع للعالم الذي يُتّبع، وما فينا من شرور أيضاً أحياناً نخضع لها وأحياناً نقاومها ونتصارع معها، هذا الصراع يجب أن تفهم كيف تديره. أنت في داخلك أيضاً أصوات عليك أن تتّبعها، قرينك الخير، صوت ضميرك، صوت هداة روحك، اتّبع ذلك الصوت النوراني فيك، ذلك البطل ذلك الولي الذي يسكن داخلك، ولا تتّبع ذلك الشيطان قاومه ما استطعت إلى ذلك سبيلاً.

صنوف من القادة

أعتقد أنني ربما ألممت بعض الشيء بهذه المسألة التي فيها جوانب فلسفية ومنطقية وعقائدية وحتى جوانب في التنمية وفي فن القيادة وفي علوم التواصل، لا بدّ أن نفهم أيضاً من العلوم التنموية والتواصلية والقيادية، هنالك صنوف من القادة:

- هنالك القائد الحكيم الذي يأخذ جنوده إلى الانتصار
- هنالك القائد اللئيم الذي يقتلهم ويختفي
- هنالك القائد الجبان الذي يتمترس بهم ويكون خلفهم
- هنالك القائد المغرور الذي يدمرهم

فرعون كان قائداً والخضر كان قائداً لموسى وموسى كان قائداً لقومه، وهكذا قيادات، وعلم القيادة علم معقّد جداً كنا قد دوّنا فيه كتاباً فيه وسمّيته <<المنهاج في علوم التنمية البشرية>> ولم أنشره إلى الآن للأسف.

هذا منهج فيه اتّباع: في القيادات السياسية، في العلوم الاستراتيجية، في العلوم العسكرية، في العلوم الدينية، في التصوف في العرفان، في المذاهب.. هنالك قيادات هنالك إمامة. الإمامة هي أن تتّبع وأن يؤمك شخص وأن تؤمّ، والأمة لها إمام ونحن على مشارف زمن إمامة إن شاء الله.

عليك أن تميز، عليك أن تعرف، عليك أن تفهم

فهذا كله يجب أن يُدرس، اليوم هنالك كثافة كبيرة في الفيديوهات، في الكلام عن علامات الساعة، في الكلام عن الأسرار الروحانية، في الكلام عن ظهور المهدي وعن شخصه وعن زواجه بالحوراء وعن أمور كثيرة، هنالك الكثيرين ممن يبتون علوماً وفهوماً وأوهاماً. عليك أن تميز، عليك أن تعرف، عليك أن تفهم، عليك أن تعرف من تتبّعه.

وأوجه كلامي الآن إلى أبناء منبر النور، إلى متابعي في صفحتي، إلى تلامذتي الكثيرين عبر العالم، إلى أبناء المنارة: عليكم أن تزوروا موقعي وأن تزوروا محاضراتي وأن تقوموا بعملية سبر أغوار وتدقيق وتحقيق في الكلام، هنالك تناقض هنالك تهافت، في الحجج المنطقية والعلمية، في المجالات العلمية التي ذكرتها. ارجع إلى السيرة الذاتية هل تجد أني أفتري على الله كذباً في شيء أنسبه لنفسي وليس عندي فيه خبرة أو مجال دراسة أو مجال تحصيل؟

حاول أن تعرف حاول أن تقرأ حاول أن تتأمل، حاول أن تعرف كيف تقرأ ما تجده وكيف تقرأ ما تراه وكيف تشاهد هذه المحاضرات والدروس، وبعد ذلك إذا عرفت وإذا فهمت وإذا استيقنت وإذا أدركت وإذا عُصت بعمق في المعرفة والفهم، حينها ستجد المنهج الذي رسمناه. ونحن إن شاء الله الليلة ننشر بينكم ميثاق المنارة والمنتسبين إليه عبر العالم ونحيتهم جميعاً، الذين الآن بدأوا يتنادوا لهذا النور ولهذه المنارة وهذه السفينة المحمدية على المحمدية البيضاء، لهذا العمل الذي ندعو إليه. بعدها تفهم المنهج، بعدها عليك أن تفهم نفسك: هل أنت مؤهل؟ ما الذي تريده من هذا الاتباع؟ هل تطوّرت معارفك تطوّرت إدراكك تطوّرت حالك منذ بداية اتباعك لنا؟ يمكن أن نجلس، يمكن نقوم بتحقيق مع تلاميذنا الأوائل الذين اتّبعوننا منذ سنوات، هل وجدوا أننا نقول كلاماً ونأتي بضدّه؟ هل وجدوا فينا لهفةً للندى؟ هل وجدوا فينا أننا بعنا ضمائرنا يوماً؟ هكذا يمكن أن تسألوهم، يمكن أن نجري حواراً في ذلك.

و "ولياً مرشداً" ﴿فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا﴾ الولي المرشد ﴿فَأَسْأَلُ بِهِ خَيْرًا﴾، يجب أن نفهم كيف نتبّع، لا أدعي أني ولي مرشد ولا أدعي أني خير ولكن لعلي من كثرة محبتي لسيدنا رسول الله ولآل بيته والصالحين لعلي أسقيت شيئاً قليلاً من فيضهم، فلعل ذلك يكون باباً لأن نوصلكم للاتباع إلى رسول الله. ليست الغاية أن تتبّعوا ذات الشخص، إنما تتبّعوا هذا القبس الذي فيه حتى يوصلكم إلى حضرة المصطفى إلى حضرات أئمتنا وإلى حضرات أنبيائنا وإلى الحضرة القدسية العلوية. نسأل الثبات في ذلك، لا نرانا أهلاً لذلك، ليست أهلية ذاتية، بل تأهيل رباني بلاءات وصبر وامتحانات مستمرة هكذا، وأنا تبعت هذا القلب وأوصلني إليه بحمد الله.

تعالوا معاً نزرع فسيلة النخل المحمدي الرباني

هذا وأختم بكلمة أقولها للمتشائمين، بعضهم راسلي: "سوف يقومون بذبح المسلمين وقتلهم في أوروبا، سينهار نيزك على هذا العالم... " نعم كتبتُ عن نيبيرو وعن قرب اقترابه من الأرض، كتبتُ عن العلوم الاستراتيجية والحرب العالمية الثالثة، كتبتُ عن السفن الفضائية وعن مؤامرة كورونا وعن غيرها، هذه كتابات استراتيجية...

لكن سأقول لك وأقول لك كلمة واضحة تفهمها إذا تمعننت فيها: الحبيب المصطفى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قال ما معناه أنه "إذا قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة (فسيلة نخل) فليغرسها". بمعنى لو أنّ النيازك الآن تنزل على الأرض، والأرض تهترّ (زلزلة الساعة شيء رهيب)، ولو أنّ هذا العالم يحترق، وتدرك جيداً أنّ الساعة اقتربت أنه بقي على الساعة خمس دقائق وترى بأّم عينك، وأنت تمسك فسيلة نخل تزرعها: لن يأكل منها أحد في هذه الدنيا، وستحترق، وستموت أنت أيضاً ومن حولك، كل العالم سوف يفنى في يوم القيامة. هو إن شاء الله الخيرون لا يشهدون ذلك في العالم المادي، ولكن هذا الأمر المحمدي فيه علم تنمية بشرية وعلوم تواصلية واستراتيجيات وفقه أولويات رهيب لو أننا فجّرنا تفجيراً نووياً هذه الكوا من وهذه الأنوار، لأنك مع الله وما دمت مع الله فأنت تفعل هذا الأمر لله، وأنت تعرف جيداً أنك كائن أبدي ولكنك منتقل من ثوب إلى ثوب، من دار إلى دار، من حال إلى حال، من حال قديم كنت فيه بالروح والبدن إلى حال استوجب أن تكون في بطن أمك وأن تخرج لا تعلم شيئاً ويُخرجك الله سُجَّانَةً وَتَعَالَى وَيُنْجِيكَ مِنْ أَمْرٍ وَمِنْ غَيْرِ ذَلِكَ حَتَّى تَنْمُو وَتَشَبَّ وَتَكُونَ عِنْدَكَ الْقُدْرَةُ الْفَطْرِيَّةُ عَلَى الْكَلَامِ وَعَلَى التَّعَلُّمِ وَعَلَى تَطْوِيرِ مَعَارِفِكَ، إِلَى وَجُودِكَ هَذَا الدُّنْيَوِيِّ، إِلَى مَا يَكُونُ مِنْ عَمْرِكَ وَمَا يَكُونُ مِنْ أَجْلِكَ. ثم ترجع إلى حال لا يحتاج إلى هذا الجسم، يرتاح هذا الجسم قليلاً في هذه الأرض، وتمضي إلى عالم أعلى عالم عليين إن شاء الله لنا ولكم جميعاً، ويمضي الأشقياء إلى عالم سجين، وتتخلص من هذه النفس وترجع إلى حالتك القديمة التي كنت فيها في زمن ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾. وبعدها تُبعث، يلتحم جسمك الذي سيُجدد مع روحك التي تتجدد وتعيش الأبدية.

إذن هذا الذي ينظر لقيام الساعة عليه أن يزرع الفسيلة ليس لأنها سوف تُنبت له ثمراً، وليس لأنه سيأكل منها أو سيأكل منها أحد آخر، أو ليس لأنّ هذا الأمر سيجعله من الأبطال المشهورين، أو ليس لأنه سيؤجر عليه... لأنّ الله استأمنه على ذلك، ولأنه يحب الله ورسوله، ويحب أن يفعل الخير إلى آخر رفق من حياته ومن الحياة الدنيا!! هذا أيضاً منهج اتّباع. إذا كان العالم يسير نحو حرب عالمية ثالثة، إذا كان العالم يسير نحو إشكاليات كبيرة، إذا كان العالم يسير نحو ظهور نيبيرو، فهو يسير أيضاً نحو ظهور الإمام إن شاء الله، ويسير أيضاً نحو نصر الله للمؤمنين سواء شهدناه أم لم نشهده.

تعالوا معاً نزرع فسيلة النخل المحمدي الرباني المليء بثمر حب آل البيت، المليء بسرّ فاطمة وأبيها وبعلمها وبنيتها والسر المستودع فيها، المليء العابق بأنوار وأسرار الأنبياء، والتي هزّت إليها بجذع النخل، بابنها الذي نطق في المهدي، بسرّ إبراهيم وسارة وهاجر وإسحاق ويعقوب وإسماعيل ويوسف والأسباط، بأسرار نوح وشيث وإدريس وإلياس، وبأسرار أيوب بأسرار السابقين صالح وهود، بأسرار الأنبياء بأسرار آدم وحواء، بأسرار الصالحين أجمعين العابقين بالنور والرياحين، بأسرار الملائكة والرواحين، بأسرار الجن

والجان المؤمنين وخلق الله مما سبق من الطيبين، بأسرار المحبة.. هذا هو الذي سنهزم به الشياطين، وسنبني به هذا البناء المتين بأمر القوي المتين، وسنكون به بعون الله على الحق المبين، وسننتصر ولو بعد حين، وسنكون بعون الله معاً في بيت المقدس من الساجدين مع إمام المؤمنين والمخلصين والمخلصين والصالحين المصلحين، إن لم تستطع أن تكون صالحاً فكن مصلحاً وكفى بذلك نعيماً وكفى بذلك فضلاً، وهذا نستمدّ به المدد الذي بلا عدد الذي لا يُحدّ ولا يُضدّ ولا يُغلب بكثرة العدد.

خاتمة

نسأل الله لنا ولكم مزيداً من نور ومزيداً من ألق ومزيداً من حبور، وأن يقوينا على أنفسنا وأن ينصرنا عليها وعلى هذه الشياطين التي تعتمل فينا وفي من حولنا، أن يصبرنا على فقدان الأحبة ممن فقدنا وأن يجعلهم في عليين في جنات عند رب العالمين، وأن يثبت قلوبنا وأن يجبر كسر ظهورنا وكسر أجسادنا وكسر أرواحنا وكسر قلوبنا، نحن نُكسر ونُعصر حتى يكون هذا الزيت النوراني من شجرة لا شرقية ولا غربية على المحمدية البيضاء.

حيهلاً أهلاً وسهلاً بأبناء المنارة، أهلاً وسهلاً بأبناء المنبر، أهلاً وسهلاً بأبناء الاتباع على منهج الأنبياء والأتقياء، على منهج ليس فيه هوى ولا ضلال، إنما منهاج محبة ربانية، أتباع على عقل، أتباع على بصيرة، أتباع على فهم، أتباع على وعي، أتباع على مشروع بناء، على مشروع تجميع، على مشروع يضيء ولو قليلاً في هذه العتمة، "تكفي شمعة واحدة حتى تغتال كبد الظلمة"، نحن سنوقد هذه الشموع عبر العالم، وإن شاء الله نبي هذا المطار للطائرة الربانية القادمة، لن نجلس منتظرين.

وكلّ يتبع على حسب هواه وعلى حسب ما يريده، فالذين يتبعوننا في هذا السبيل نحن لسنا أهلاً لأن نُتبع، ولكننا وُضعنا في موضع و"مقامك حيث أقامك"، وسوف نحمل هؤلاء العشاق إلى معشوقهم صلى الله عليه وعلى آله وإلى وضع أيديهم إن شاء الله في يد خليفة الله ورسوله إن كان ذلك في أيام دنيانا، وإلا نعلّم أولادنا والذين بعدهم. نحن على يقين أن الله سيردّ الحق لأصحابه سيردّ القدس لأهلها سيردّ هذا الدين نقياً كما كان على عهد الحبيب المصطفى وكما أوصى به أوصيائه. اللهم صل على محمد وعلى آل محمد واجعلنا ممن يتبعونه فيحبنا الله ويحبنا رسوله ويحبنا أهل الحب والقرب عنده.

جزاكم الله خيراً وإلى لقاء آخر والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته

الحاضرة بتاريخ: 10-01-2022



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

التأمل الثلاثون: المحمدية البيضاء - المعنى والقصد والغاية -

وشيء من تأريخ هذا الدين

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله الذي أنعم علينا بأنوار حبه ونعيم قربته، ودلّنا به عليه وهدانا منه إليه، وصلى الله على سيدنا محمد نبي الله ونور الله وسر الله الذي أظهره وأظهره من إظهاره قليلاً وأخفى كثيراً، كنز الله المرصود، وإمام هذا الوجود، وأشرف موجود، سيدنا محمد المحمود، وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين، ورضي الله عن أصحابه، وسلام على عباد الله الصالحين.

أحبابنا الكرام السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته، أهلاً بكم في هذا الموعد الأسبوعي من التأملات العرفانية، وكان لدينا التأملات الفكرية في الشؤون الاستراتيجية والفلسفة والمنطق وغير ذلك من الشؤون ولكن تركناها ومِلْنَا أكثر إلى هذه التأملات العرفانية، تركناها إلى حين إلى مرحلة أخرى إن شاء الله..

تأمل اليوم سيكون عن موضوع مهم جداً، هو موضوع مشروعنا الذي ندعو إليه والذي يدعو إليه مجموعة من نجباء هذه الأمة في هذه المرحلة، وكان عليه رجال منذ البدايات منذ الوراثة المحمدية الأولى منذ انتقال الحبيب المصطفى، هنالك الدعاة المحمديون على المحمدية البيضاء. اليوم معروف الرباط المحمدي السيد أبو صالح الألوسي وجهده في الدعوة إلى الرجوع إلى رسول الله والعودة إلى النبي محمد صلى الله عليه وعلى آله، وبيننا عمل مشترك ومستمر ومع نائبه الشيخ محمد النوري. وكذلك أعتقد أنّ كل المشائخ الكرام الأحبة الذين ظهرنا معهم مرات كثيرة في زيارتنا لهم أيضاً هم جميعاً على هذا المنهج، سواءً بالتصريح أو من خلال العمل الميداني والعمل العلمي الذي يقدّمونه، فلا أعتقد أنّ السيد محمد عجان الحديد الحسيني أو السيد الدكتور الطاهر برايك أو الشيخ جابر البغدادي أو الدكتور

محمد عيسى داوود أو سوى هؤلاء النجباء يعملون خارج هذه الدائرة الرحمانية الواسعة "دائرة المحمدية البيضاء"، على اختلاف زوايا النظر أو على اختلاف التعبيرات.

أولاً أودّ أن أسأل الله الشفاء لكل الذين أصابهم مرض هذا الوقت، هذا الوقت مليء بالأمراض ومليء بالحرب التي تضرب الإنسان في صحته، بعد أن ضربوا البشر في أخلاقهم، وبعد أن حاربوهم في عقولهم في عقولهم، في عقولهم الجماعي وفي عقولهم الفردية، **تمّ تخدير العقل الجمعي البشري وتمّ تفكيك العقل الفردي البشري**، وتمّت مهاجمة القيم والأخلاق عبر الألاعيب التي تقوّي الشياطين في البشر والتي تعمل على ثلوث (الإلحاد / الشذوذ / التطرف) وهذا يحتاج منا ربما إلى ندوة أو إلى درس يفكّك هذا الثلوث الشيطاني القائم على نفي الألوهية ونفي العلاقات الطبيعية البشرية والأخلاق، ونفي أيضاً الاعتدال وضرب العلاقات البشرية-البشرية على اختلاف الديانات والطوائف، وضرب هذه اللّحمة من أجل تنفيذ مشروع شيطاني، نسأل الله أن يغلبه -وهو مغلوب بعون الله- وأن يأتي بمن يدكّه دكّاً بالقدرة القوية، وإن كنا نستطيع أن ندحضه بالحجة العلمية ولكن قدرتنا وسلطاننا المادي ضعيف، ونخاطب قلّة ويسمعنا قليل ولكنّ الله له الأمر من قبل ومن بعد، هذا بدايةً.

ثانياً، إن شاء الله في الدروس البرهانية القادمة سنركز على مسائل جديدة من بينها علم الأخلاق وعلم الجمال وعلم الجعل ومسائل أخرى، تطوّر وتقوّي الفهم للدين والقرآن وللإنسان والكون والفهم عن الله. وهذه الدروس التي انطلقنا فيها بحمد الله غايتها الأساسية **أن نفهم عن الله وأن نرى عظمة هذا القرآن وعظمة هذا الكون**، ومن خلال ذلك نرى عظمة الخالق وعظمة النبي الذي أرسله.

أين الدين الذي جاء به الحبيب محمد في كل هذا

المحمدية البيضاء، بعد هذين النقطتين كبدائية، ليست مجرد شعار، وليست شعاراً أجوف نرفعه هكذا دون فهمه.

1. المحمدية البيضاء باختصار منسوبة إلى الحبيب محمد
2. والبيضاء: لبياضها وصفائها وقربها من المصدر من المنبع

ولسائل يسأل: أنت لم تأتِ بجديد، فالمسلمون جميعاً على المحمدية البيضاء ! وأجيب باختزال أنّ الدين الإسلامي تعرّض لحرب طويلة وحرب قوية وحرب شرسة، استُخدم فيها القتل المباشر، والتنكيل والتآمر والخيانة، واستُخدم الوضع والدس... الذين قُتلوا واستشهدوا في هذا الطريق في طريق الهدى المحمدي كثيرون، وعلى رؤوسهم أئمة آل البيت الذين قدّموا دماءهم. ولكن الذي دُسّ من حقائق مزيفة، حقائق عند الذي يتلقاها مزيفة في حقيقتها: داخل السيرة، داخل التفسير القرآني، داخل السنة النبوية الشريفة.. هذا كثير، هنالك الكثير من الوضع والدسّ والتحريف..

كذلك تقسّم الأمة إلى مذاهب أدّى إلى أنّ أعداء الدين اخترقوا جميع تلك المذاهب بنسب، فتجد أنّ الوضع يُنسب للإمام جعفر الصادق مثل أنهم جعلوه يكره ويسبّ أهل التصوف قاطبة ويتبرأ منهم، في

حين أنّ الحسن البصري إمام التصوف تلميذ الإمام علي، وفي حين أنّ أخلاق الإمام جعفر هي منبع من منابع الإحسان والتصوف، وأنّ معروف الكرخي تربّي عند الأئمة، وأنّ الحلاج قُتل في حبه ودعوته لآل بيت النبي. وهذا أيضاً مبحث آخر، التشييع وعلاقته بالتصوف وأئمة آل البيت وعلاقتهم بالتصوف، هذا مبحث ثري أيضاً ويمكن أن نتطرح فيه الأفكار ونقدّم فيه القرائن والأدلة. فكل من يظن أنّ المدرسة الصوفية هي على خلاف منهج آل البيت وتعاديهم فهو خاطئ، لأنّ أئمة هذا الطريق التنويري طريق الصفاء وطريق المحبة في الله أئمة من أبناء آل البيت ومن مدرسة آل البيت وهم من آل البيت أصلاً، بل منبعهم محمدي علوي حسني حسيني فاطمي بلا شك ولا ريب، الشيخ عبد القادر شريف النسب والحسب وكذلك هو على ذلك المنهج المحمدي. إذاً اختُرقت المذاهب...

المذهب السُّني أيضاً كان عليه اختراقات من قِبَل النواصب ومن قِبَل الإسرائيليات، ودُسَّ هذا في السنة المطهّرة، يحتاج إلى علم بالمتن لا فقط بالجرح والتعديل والرجال والسند، إنما المتن يكون مدسوساً، وقد يكون السند في ظاهر الأمر صحيحاً. وهذا يحتاج إلى فتح من الله على قلب من يشاء حتى يتبيّن له، ويحتاج إلى بصيرة عقل وبصيرة قلب وبصيرة روح.

كذلك في السيرة النبوية الشريفة هنالك دسّ، هنالك الكثير من الأشياء التي تبدو صحيحة ولكن في الحقيقة تُسيئ إلى شخصية الحبيب محمد وتُسيئ إلى آل بيته الكرام حصرياً، خاصة ركّزوا على سيدنا حمزة، سيدنا علي، السيدة فاطمة، وأرادوا تقزيمهم، وكذلك سيدنا أبو طالب جعلوه كافراً "جمرتان يغلي منهما الرأس"، أبواه.. وهذه لعبة يجب أيضاً أن تُكشف، نحن نعمل على كشفها تدريجياً، وإن شاء الله نؤتي من الوقت ومن العمر سعة حتى نبين ذلك تفصيلاً، سواءً كتابة بالأدلة والنقول أو محاضرة بالبراهين وما يكشف الله على قلب عبده.

تفسير القرآن أيضاً طاله ما طاله، يمكن أن تجد تفسيرات داخل كتب التفسير وهي ليست صحيحة، كعب الأخبار، وهب ابن منبه، لعل ابن الراوندي أيضاً أثر، مدرسة القُرّاء اليهودية أثرت في فهم ابن تيمية للدين الذي كان منبعاً للتكفير بعده، والمكفّرون إلى اليوم يتبعون المدرسة النجدية التيمية ومدرسة الخوارج، فتنة الحنابلة في القرن الرابع أيضاً كان هنالك قلاقل كثيرة جداً أثّرت بسبب دخول فكر التجسيم خاصة عند بعض الحنابلة، نحن لا نعمّم، ولكن بعض الحنابلة دخلوا في التجسيم، وصراعات الأمة معروفة تاريخياً، معروف صراع المعتزلي الذي كان بين المعتزلة وبين غيرهم مثلاً الأشاعرة. وهذا كله أيضاً يُنظر فيه من باب التحقيق التاريخي حتى نفهم ونميّز.

أين محمد عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ في هذا كله؟ أين الدين الذي جاء به الحبيب محمد في كل هذا؟ هنالك الكثير من الدخان الذي يعترض الباحث والدّارس أياً كان مذهبه وأياً كانت زاوية النظر الذي ينظر منها.

أيضاً حتى لا أتجاوز ولا أكون ظالماً في الطرح، ليس فقط المدرسة السلفية التي تسمت بالسلفية والتي هي يمكن نسّمّيها أكثر المدرسة النجدية نسبة لابن عبد الوهاب النجدي، وتاريخهم شاهد عليهم ابن بشر وابن غنّام مؤرخان لكتابتان معروفان وفيهما ما فيهما من جرائم ومن قتل وغير ذلك من الأمور.. ربما أنّ هذه المدرسة في بعض أتباعها أرادوا خيراً ولكن وقعوا في التكفير، وقعوا في فخاخ نسبة الشرك لأهل التصوف ونسبة الكفر لهم، وهذا غير صحيح وهذا يُضرب به وجه من يقوله.

ولكن على الضفة الثانية - كي نكون منصفين- تم اختراق التصوف كذلك، وليس هذا اليوم فقط وإن كان اليوم في هذا العصر الأمر أكثر ظهوراً: على صفحات الفيسبوك يظهر لك أمير أمراء الصوفية وأمير أمراء آل البيت، ولديهم صفحات مشبوهة ممولة، وطرق أيضاً تُبتكر وهي طرق مشبوهة ممولة وتُدخل أبناءها والمنتسبين إليها في أحوال من الوهم واللبس وأحوال أخرى من الجهل وتُدخلهم فعلاً إلى مدارات الشرك وإلى مدارات تخرج بهم عن هذا الدين وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا. هذا للأسف، لا نستطيع أن نسمي لا نريد أن نثير فتنة، ولكن نعرف جيداً، ومن أراد أن يقرأ أطروحة الدكتوراة التي دوّنتها عن مجال التصوف وتاريخه حتى يعرف إمامنا الدقيق بتاريخ التصوف ومعارفه وما خفي وما ظهر منه، وخاصة علاقة الكتاب والسنة بالتصوف وعلاقة الشريعة بالحقيقة، ومنهج الطريقة الحقيقي، وأئمة هذا الطريق وأقطابه، من أين نبعوا ومن أين نهلوا، أدوارهم الإصلاحية، أدوارهم الجهادية في الدفاع عن الأمة والدفاع عن الأرض، منذ الصوفية الأوائل الذين كان عملهم ربما في المجتمع ولم يكونوا منتظمين إلى القرن الخامس تقريباً مع الإمام الغزالي والمدرسة النظامية ثم التقاؤه بالشيخ عبد القادر الجيلاني، وظهور المدارس البطائحية الإمام الرفاعي، مدرسة بغداد الشيخ عبد القادر، مدرسة بجاية أبو مدين شعيب، حياة بن عيسى الحرّاني، وكذلك عدي بن مسافر ورسلان الدمشقي وعقيل المنبجي شيخهما، وتكوّن هذه المجموعة التي أوصلت إلى نور الدين زنكي، وتغيير نظام الحكم حتى صار القادة والجنود كلهم صوفية. وبعد ذلك الإمام الشاذلي معركة المنصورة، وصولاً إلى السنوسية السادة السنوسية دورهم في تحرير ليبيا من العدو الإيطالي، الأمير عبد القادر الجزائري، الشيخ بوعمامة، أولاد سيدي الشيخ، وهكذا حتى نفهم هذا التاريخ، وصولاً إلى معين الدين الجشتي في الهند ودوره كذلك في نشر الإسلام، الأولياء التسعة في إندونيسيا، هذا يمكن النظر فيه. وكنا قد تجوّلنا في هذه المناطق وشهدنا عياناً على وراثه وخلفاء هؤلاء السادة. طيب، إذاً تمّ اختراق التصوف عبر أذعيائه وعبر من اتخذوه تجارة ودون علم ولا بينة، وبحكم أنّ التصوف فيه جانب روحاني، وهذا الجانب الروحاني لا يمكن لمن لا يعرفه أن يميّزه إن كان صادقاً أم كاذباً، تمّ التلاعب بالكثيرين.

نرجع، الإسلام تمّ التعاطي مع هذا الدين بالحرب المباشرة عن طريق أبي جهل وزمرته وبحرب الاختراق عن طريق المنافقين، وتمّت محاصرة النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وتمّت الحرب عليه، وصولاً إلى الإفك الذي كان في ماريّا وابنه إبراهيم في الحقيقة (في حقيقة المسألة)، إلى المرحلة التي قال فيها في غدير خم "من كنت مولاه فهذا علي مولاه"، إلى مرحلة تمزّق الأمة، صراع داخلي بين الأنصار والمهاجرين، ومنا إمام ومنكم إمام، السقيفة ورزية الخميس، معروفة هذه الأمور التاريخية.. وبدأت حينها الدماء تسيل، من قتل مالك ابن نويرة إلى هذه الساعة. وضمن هذا تمّ التعاطي والتعامل مع العترة النبوية الشريفة إما بالتجاهل إما بالقتل إما بالتشريد، هذا ثابت تاريخياً، من السيدة فاطمة وسيدنا الإمام علي إلى هذه الساعة، دائماً ذرية النبي مُطاردون ومُهَجَّرُونَ ومُقتَلُونَ حتى يخرج قائمهم عَلَيْهِ السَّلَامُ ويُعيد الأمر إلى نصابه.

لم يكن هذا الأمر فقط، ليس هذا فقط، ليس هذا هو الترك فقط، "ستلقى ذريتي من أمّي مشقة كبيرة"، و "لتجدنّ أثره من بعدي يا علي"، أحاديث كثيرة في هذا الباب. ولكنّ الأمر الذي يؤلم أيضاً هو تحريف المعنى لهذا الدين: يبدأ بالانقسام، ويدخل وضّاعون كذّابون من أمثال وهب ابن منبه كان لديه دوره في إدخال الإسرائيليات والروايات الإسرائيلية إلى تفسير القرآن وإلى الأحاديث، مجموعة من الوضّاعين من

خبراء الوضع، ونصل إلى مستوى سيف بن عمر التميمي، وهذا سيف التميمي وضع أسماء صحابة القعقاع بن عمر التميمي من وضعه من بنات أفكاره، أكثر من 120 صحابي و180 راوي للحديث، أخذ عنه الطبري، وهو الذي ألف قصة عبد الله ابن سبأ وأنه أثر بعمّار وفي أبي ذر، النظرية السبئية كلها من تأليف سيف ابن عمر التميمي، أخذ عنه الطبري وابن كثير، وانطلق الأمر... وأثبت كثير من المستشرقين الباحثين الكبار (بروكلمان وغيره) أثبتوا أنه وضاع، وبعض علماء السنة بعض علماء الشيعة أيضاً أثبتوا أنه كذاب بالأدلة والبراهين عن تزييفه، مثلما فعل ابن حمّاد الراوية الذي كان يضع في الشعر كما ذكر ابن سلام الجمحي. فهذا الكلام وإن كان يبدو صادماً ولكنه ناتج عن بحث وتدقيق لسنوات، ولا أنكلم من باب الهوى أو من باب الميل مع هذا ضد ذاك، إنما نتكلم إخلاصاً لهذا الدين.

المذاهب الإسلامية

بدأت الأمة إذأ تأخذ هذه المسارات، وظهرت المذاهب إحدى عشر مذهباً، ثم حُصرت في أربعة، البعض عدّ سعيد ابن جبير صاحب مذهب وسفيان الثوري صاحب مذهب، قيل حتى عبد الله ابن المبارك كان لديه نظر ومذهب. الإمام جعفر الصادق عميد هذه المذاهب ووالده الباقر باقر العلم، ومنه خرج الإمام مالك والإمام أبو حنيفة النعمان، الإمام الشافعي، الإمام أحمد ابن حنبل، وكذلك الإمام الأوزاعي، وحتى أسد ابن فرات كان لديه مدرسة المدرسة الأُسدية بتونس.. المهم أنه استقر الأمر في المذاهب السنية على أربعة مذاهب.

وهناك المذهب الإباضي، وهنالك الإسماعيليون، الشيعة أيضاً تقسّمت وفيها مذاهب وفروع، وظهرت مدارس: المدرسة النزارية، مدرسة الحشاشين، القرامطة، مدارس بعضها ينحو نحو الفلسفة، بعضها يمضي نحو الجانب الحركي التنظيمي مثل الحشاشين وتنظيمهم، وظهرت صراعات فكرية ظهرت مدارس فلسفية، المعتزلة ومدرسة الاعتزال، ومدرسة الجهم ابن صفوان المدرسة الجهمية، وسوى ذلك مما تمخّض في هذه الأمة. ولكن أساساً المذاهب الأربعة مع مدارس الاعتقاد مدرسة الأشعري والماتريدي (بينهم نقاط خلافية بسيطة)، وظهرت هذه الرؤى العقائدية التي دخلت على الأمة، وكان الإمام سحنون يواجه مثل هذه المدارس مثلاً ذكر في حياته، أعني بذلك الزرادشتية، وأيضاً الغنوسية، وظهرت مدارس متأثرة بالإغريق وبمدارس فارس، ومن هنا دخل التجسيم ودخلت بعض الممارسات، وبعضها دخل في المدرسة الشيعية مثل التطبير وهو ضرب النفس، ودخل التجسيم اخترق خاصة الفرع الحنبلي، وغلب على ابن تيمية في فهمه لذات الله جل في علاه وجسمه، وهذا قاتل عليه الإمام علي، أيضاً كان في زمن الإمام علي من يجسمون الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَلَهُ خُطْبَ شَهِيرَةٌ فِي نَفْيِ ذَلِكَ. هذا باختصار، كأنك الآن قُمت بجولة تاريخية.

داخل هذه المذاهب هنالك عارفون واصلون، المدرسة الحنبلية على سبيل المثال كان من أئمتها وكبارها الشيخ عبد القادر الجيلاني. التصوف كان في جميع هذه المدارس وعاش في حاضنة آل البيت وولد في بيوتات أئمة آل البيت، هذا أيضاً لأجل التاريخ، حتى سُمّي الصوفية بشيعة السنة لفرط عشقهم وحبهم

لآل بيت النبي والإمام علي وللسيدة الزهراء ويحتفلون بموالدهم وما زالوا كذلك، وهم في المعتقد أشاعرة أو ماتريديّة. وظهر العرفان في المدرسة السنية أولاً في القرن السادس تقريباً (أواخر القرن الخامس) مع عبد العزيز المهدي له مجالس العرفان، ثم الملا صدرا الذي ظهر بعد ذلك في القرن السابع تقريباً في إيران وظهر مع المدرسة الشيعية. إذاً ظهر العرفان كمصطلح في الدولة الصفوية ولكن أصله أيضاً من المدرسة السنية، ويأخذ العرفان كثيراً من محيي الدين ابن عربي، ابن عربي كان تلميذاً وصديقاً لعبد العزيز المهدي ومدحه في قصيدة

إنّ الذي ما زلت أطلب ذكره ألفيته في الروضة الخضراء

يتكلم عن تونس، هذا له ظاهر وباطن وعبر عنه في كتابه "عنقاء مُغرب".

هذه الاختراقات التي تمت، بعض أهل المذاهب غالى في مذهبه حتى جعل راية المالكية أو الحنبلية فوق الراية المحمدية، بعض الصوفية غالى حتى جعل راية شيخه فوق الراية المحمدية، وهكذا كل أهل مذهب فيهم فرع يغالي ويبالغ وتلك طبيعة البشر، حتى أنّ دين محمد عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ سيكون في متاهة هذه الخلافات، حتى في الصلاة إن كانت بالسبل أو بالقبض، الوضوء، اختلافات مسح الرأس جزئي غير جزئي، مسح الرجل أم غسلها، هكذا معارك معارك... ولو أنك تقرأ كتب الفقه وكتب الفقه النظري وكتب الفقه المقارن سيتوه الدارس ويبقى ثلاثين، أربعين، خمسين سنة لم يذق من حقيقة الدين شيء لأنه تاه في هذه المسائل

بكت من تأنيهم صدور الرسائل
يظن بأن الدين حفظ المسائل

وربّت كُتّاب إذا قيل زوروا
وناقلُ فقهٍ لم يرَ الله قلبه

متاهة في السنة، متاهة في الأحاديث.. لو تقرأ أحاديث الملاحم والقيامة، على هذا قامت داعش على أحاديث الملاحم ملاحم الشام والتحريفات، تقرأ أحاديث القيامة بعضها صحيح وبعضها يدخلك في متاهة ويصيبك بالمرض النفسي إذا صدقت به. إذا صدقت أنّ رسول الله سُحر فكان يأتي الشيء ويظن أنه يأتيه وهو لا يأتيه في الحقيقة وأنه حاول الانتحار وأنه قال دعوتُ لأبوي فقيل لي لا تسأل عن أهل النار أو أنه قال أنّ أبا طالب في جهنم، هذا يسيء إلى ذاته المحمدية! وأنّ حمزة بقرّ بطني ناقتين للإمام علي وكان سكراناً وكان فاحشاً وكثير الفُحش وبقيتا حيّتين وهو قد أخذ منهما الكبد ليسكر بهما، والإمام علي صار يبكي ويلطم على فخذه، هذا كلام فارغ! أو أنه وجد الإمام علي والسيدة فاطمة نائمين أو قال لها "اعملي لا أعني عنك من الله شيئاً" أو "لا يأتيني الناس بأعمالهم وتأتوني بأنسابكم"، هذا نفسه الذي يقول "كُمّل من الرجال كثير وكُمّل من النساء آمنة وخديجة ومريم وفاطمة"، أو يقول لها "يا فاطمة إنّ الله يرضى لرضائك ويغضب لغضبك"، هذا تناقض!! كذلك أنّ الإنسان يوم القيامة لما يُحشر يكون على شيء أدقّ من الشعرة وأحدّ من الخنجر وهو مجرور على وجهه والله يقول ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا﴾ من نصدّق هنا؟ هذا الحديث الذي يظهر أنه موضوع أم القرآن العظيم؟!

هذه معارك أنا أؤجلها وأتركها لوقتها، ولكن التعصب للمدرسة الأثرية لمدرسة الحديث أو مدارس التفسير أو المدارس المذهبية، التعصب ورفع رايات المشايخ ورايات العلماء ورايات المذاهب فوق الراية

المحمدية، ومزاحمة أهل البيت في حقهم، ومزاحمة سيدنا علي في مقامه حتى جعل الرابع وجعل أربعين، هذه المزاحمات وهذه المغالطات وهذا الغرور وهذا النزق النفسي كله أدى بما أدى إليه من ضرر ومن تخلف ومن بُعد عن رسول الله، من بُعد عن القرآن العظيم، من جهل بهذا الدين (بِنَسَب متفاوتة)، من تناحر بين أبناء الأمة الواحدة، من تمزّق في صقّهم، من تشتت لوجدتهم، من شتات لسفينةهم وقافلتهم، من استقواء أعدائهم عليهم، من نهب أراضيهم وخيراتهم، من حُكم من حَكّمهم بالقتل والذبح، وبعض الأحاديث وبعض الفقهاء يبررون لهم!! قُتل السهروردي وقُتل النسيمي وسُلخ جلده، وقُتل الحلاج ومُزّقت أطرافه، كما قُتل دَعْبَل الخزاعي، كما قُتل من قُتل من قبل ذلك، إلى اليوم نرى هذه الأمة في هذه الانحرافات..

الرأية التي يجب أن تكون أعلى هي رأية رسول الله

فنحن كي نبرئ أنفسنا فيما علّمنا، وكي ننصر هذا الدم وهذا النسب وهذه النسبة، وكي نقول كلمة حق ولو سمعها واحد فقط، يكفيننا أنّ الواحد جل في علاه يسمعنا ونحن نقول ذلك، كي نَبْرُ بهذا العهد والميثاق الذي بيننا وبين رسول الله في زمن الأرواح ومع آل بيته ومع حُلُص أصحابه ومع النبيين قبل ذلك والصالحين بين ذلك، يجب أن نقول أنّ **الرأية التي يجب أن تكون أعلى هي رأية رسول الله، الرأية المحمدية**، يجب أن ترجع الأمة إلى نبيها، لا بدّ أن ترجع إلى حُضن محمد، إلى سرّ محمد، إلى دين محمد الحق، إلى النور الذي ظهر من هذا النبي العظيم، إلى ما دعا إليه من حبّ الله وحبّه وحب آل بيته، إلى كل أوامره، إلى **"من كنت مولاه فهذا علي مولاه"**، إلى **"من عرفها فقد عرفها هذه فاطمة بنت محمد"** (إن شاء الله نحتفل بمولدها قريباً)، إلى **"حسن مني وأنا منه، أحب الله من أحبه"**، **"الحسين مني وأنا من حسين، أحب الله من أحب حسيناً"**، إلى غير ذلك من التفاصيل والأوامر. هذه الحاضنة هذه السفينة المحمدية.

من كانت رأية شيخه أيّاً كان أو مذهبه أيّاً كان أعلى عنده من رأية سيدنا رسول الله على الحقيقة، باللفظ يمكن يقول لك نحب رسول الله وآل بيته، تكون في محاضرة وتحدّث عن وحشي الذي أبكى عين رسول الله وقتل حبيب رسول الله وأسد الله ومات سكراناً ولم يقبل رسول الله أن يراه، على أمجاده وكيف قتل مسيلمة وقال هذا بهذا، سيظربون. ولكن لو قلت علي ابن أبي طالب يفرّون من المسجد، مباشرة ترى الوجوه اسودّت، لماذا هذا المرض؟! هل في علي ما يُكره؟! هل في الإمام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ ما يدفع إلى هذا الموقف؟! هذا مرض النصب. ومن قال لك أنّ مذهب أهل السنة والجماعة (وإن كان لفظ الجماعة قد قاله معاوية بعد أن قتل الإمام الحسن)، ولكن من قال أنّ المذهب السني قائم على النصب أو قائم على كره آل بيت النبي؟! هذا غير صحيح، غير صحيح بالمرّة! النواصب شرذمة داخل هذا المذهب العظيم ورجاله وأقطابه وعلمائه.

ونتكامل مع مدرسة أتباع أهل البيت، وإن كنت دائماً أقول أنه نحن أيضاً مدرسة أتباع آل البيت، ولكن المدرسة الشيعية نتكامل في هذه المحبة، نجعل رأية رسول الله فوق جميع مذاهبنا، نجعل رأية محمد

عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ "سيدنا محمد"، والبعض يرفض أن نقول "سيدنا" وينسب إلينا الشرك وينسب إلينا ما أراد قلبه المريض ونفسه البغيضة، نقول "سيدنا" ونعل رسول الله على رؤوسنا وعلى رؤوس الذين يغضبون من ذلك رغماً عنهم، نحن على الأقل طيبي نفس بذلك، ولكن رغماً عنهم وعن آبائهم وعن مشائخهم: نعل رسول الله وتراب نعل رسول الله وراحلة رسول الله فوق رؤوسهم جميعاً، حوافر هذه الرواحل أشرف وأطهر منهم. لا بدّ أن نرجع إلى المنهج المحمدي، إلى الطريق المحمدي.

هذا كلام يمكن لغيرنا أيضاً أن يقوله، لا بدّ من مصاديق هذا الكلام. إذا جلس رجل ما يحدث عن شيخه ساعتين ويحدث عن مذهبه ساعة، ولم يذكر كلمة عن رسول الله ولم يُذكر الناس بهذا النبي العظيم، ولم يتكلم عن آل بيته، عن أمه عن أبيه عن عمه عن أبنائه عن فلذات أكباده عن خُص أصحابه، فهذا إنسان فيه إشكالية، في داخله إشكالية! نعم نتكلم عن الصالحين ونتشرف بالصالحين ونتكلم عن أهل العلم، ولكن لنخصص مجالس في التعريف بالذات المحمدية مجدداً، على الأمة أن تعيد معرفة نبيها فقد ظلمته كثيراً وجهلته كثيراً، وأن تعيد معرفة السّير والتواريخ وأسباب النزول وحقائق معاني الآيات، وأن تنزع وتحذف وتتبرأ وتتخلص من الدسّ والوضع والسموم.

وهذا عمل ندعو إليه ولكن لن يقوم حقيقة على كلية الأمر إلا بالمهدي عَلَيْهِ الصَّلَامُ، نحن نضرب بالحجة حتى يظهر الحجة، واجبنا أن نقول هذا، ولكن الحقيقة أنّ الأمة ستستمر، لأنّ الأمر عميق ووطيد وموطّد له وموطّأ له. ولكن على الأقل نقول لأبناء المنارة أبناء المنبر، متابعينا وتلاميذنا الكرام، هذا ما نحن عليه، هذا ما ندعو إليه: ندعو إلى المحمدية البيضاء إلى الرجوع إلى رسول الله، ولكن على بيّنة وعلى علم وعلى تدقيق وعلى تمحيص للتاريخ وعلى فهم بحمد الله معمّق جداً جداً، وعلى فتح من الله على قلوبنا بما نعرفون وبما سمعتم وستسمعون بعون الله. لنهيئ قلوبنا وعقولنا وأنفسنا لكي نتمتع ونسمو بهذا الشرف العظيم.

الأعداء الثلاثة

إنّ الانتماء للراية المحمدية الحقيقية، إنّ جعل مذاهبنا ومدارسنا سواء كنا سلفية أو صوفية، سنة أو شيعة، أشاعرة أو ماتريدية، أو كنا إباضيين أو كنا على أي مذهب كنا، أن نجعل راية الحبيب محمد فوق جميع راياتنا، حينها يمكننا أن نتفق، يمكننا أن نجد النقاط التي تجمعنا، وأن ننتبه لأعدائنا الثلاثة الكبار.

1. العدو الأول هو الذي يندسّ فينا: في كل زاوية صوفية، في كل مدرسة، في كل مذهب، هنالك أعداء له من داخله يتهشونه وينخرونه ويفسدونه، سواء بتعليمات خارجية، أو أمراض نفسية، أو تعصب، أو نوع من الاستقواء، أو نوع من التجارة بذلك يتاجرون بدماء أولياء الله ويتاجرون بأسماء الأئمة والصالحين. هذا الأول، العدو الأول هو عدو داخلي، شرس أو غبي، عميل أو خائن أو لئيم، هذا عدو يُفسد المجرى من الداخل.

2. والعدو الثاني هو عدو أثري، عدو تاريخي. كل هؤلاء الذين دسّوا وبتّوا سمومهم ما زالت سمومهم، ما زال ابن تيمية يقتل بفتاويه ويكفر الناس إلى اليوم عبر الذين شربوا سمّ فكره، ما زال ابن عبد الوهاب النجدي يذبح الناس بالذين أخذوا فكره وما داعش والقاعدة إلا وجهان لذلك أو وجه واحد. وما يزال يزيد وما يزال أبوه وما تزال أمه تبقر بطن حمزة إلى هذه الساعة، ما زال هذا الدين يُحارب، ما زال جسد الحسين يُعاقس بالخيل إلى هذه الساعة في قلوب عشاقه وأحبابه، ما زال الحق شريداً طريداً وحيداً ما زال ممزقاً بحراب أهل الظلم، من الذين مضت أرواحهم الفاسدة إلى جهنم ولكن بقي سمّهم وبقي أثرهم حتى يخرج القائم فيمحوه محواً ويمحقه بأمر الله محقاً، ولكن لنا أن نبينه.

3. والعدو الثالث هو العدو الخارجي، هذا العدو يريد إسلاماً متطرفاً، يريد شيعياً لغاناً متنظعاً مطبراً مغالياً. والحرب على التصوف بإساءة النظر إليه ونشر أنّ الإمام جعفر كان يرفضه هو أيضاً حرب للمذهب نفسه، لأنّ الحوار السني الشيعي لا يمكن أن يكون دون العرفانيين في المدرسة الشيعية والصوفية في المدرسة السنية، لتقارب الرؤى، وكذلك للاجتماع حول حب آل بيت النبي. وكذلك يريدون سنياً متخلفاً يقبل بالوضع ويقبل بالدسّ ويدافع عنه، السلف الصالح براء من أتباع السلف الطالح أذعيا السلفية مرضى الوهابية. وكذلك أبناء المذاهب جميعاً من المدرسة السنية يجب أن يتبرأوا من المغالين داخل المدرسة نفسها، الذين يقولون في بعض كتبهم: إذا اعترضك مسيحي فألجئه إلى آخر الطريق، ويجوز الاستنجاء بالتوراة والإنجيل، وغير ذلك من فقه أبي شجاع وغيرها من الكتب فيها بعض الأمور ويجب أن تُراجع، حتى مسألة الجهاد والغزو وتقسيم الغنائم هذا يجب أن يُراجع، لأنّ داعش طبّفته مع الإيزيديين والإيزيديات.

التصوف يحتاج إلى مراجعة عميقة وجذرية، فالأعداء الخارجيين دسّوا فيه، الدجالين والأفاقين والكذابين أذعيا القطبية، كل يومين يخرج لك قطب، كل يومين يخرج لك قطب فيسبوكي من أبطال الديجيتال، ويتحوّل إلى سرطان ينهش هذا الجسد الشريف، جسد التصوف، الذي قام عليه رجال وأقطاب وشهداء وصالحون، همّهم تجميع المال أو غير ذلك من الأمور، ولا يقوم عليهم علم، ليس لديهم علم. لا يمنع وجود رجال صالحين في كل المدارس، لا يمنع وجود صالحين على الأقل في المدرسة السلفية ومراجعات جيدة، لا يمنع وجود رجال صالحين وطيبين وجيدين في المدرسة الشيعية والمدرسة الإباضية ونعرف الكثيرين منهم معرفة مباشرة، لا يمنع وجود رجال حق في السنة ورجال حق في التصوف، في هذا الوقت وفي كل وقت، هؤلاء لا يخلو منهم زمان بحمد الله، ولكن نحن كالطبيب الذي يُنبّه عن المرض لا يعني عدم وجود الصحة.

العدو الخارجي يقاتلنا بالدسّ، ولكن أيضاً الحرب على الدين الآن حرب عالمية، المسيحية والإسلام أكثر من يواجه هذه الحرب من قبل الملاحدة. ثم الشذوذ الجنسي الغاية الأساسية هو تقليل النسل البشري، ضرب التناسل البشري وضرب النمو الديموغرافي الإنساني، وهذا مشروع صرّحوا به: لا يريدون أن يكون سكان الأرض 12 مليار في السنوات القادمة، يريدون مليار فقط، مليار ذهبي. كورونا ونشر الأمراض، وتدمير البنية الجغرافية للأرض، البنية البيولوجية والجيولوجية، جغرافية المكان وتشويهها، المناطق التي كانت أنهاراً صارت الآن صحاري قاحلة، التلاعب بالمناخ عن طريق مشروع هارب وغيره، التلاعب عن طريق الأقمار الصناعية نشر الحرائق وإشعالها، الأمراض كورونا وغيرها، تسميم الأفكار وتلوينها...

كل هذا حرب على الإنسان أيضاً سيكون له مجال في طرحه إن شاء الله في تأملات استراتيجية أو في الدروس البرهانية أو مقالات.

المهم أن هذا الأمر كله مدبر من:

1. هذا العدو الخارجي بالنقاط الثلاث كما قلت (الإلحاد، الشذوذ، التطرف).
2. هذا العدو الداخلي الذي يعمل الآن إما خائناً أو لثيماً أو غيبياً جاهلاً أو متنظعاً متطرفاً.
3. وهذا العدو التاريخي الذي يندس في الكتب وسموم ومتفجرات وقنابل، مجرد يقرأها الإنسان ويتأثر بها يتحول إلى مجرم أو يتحول إلى جاهل أو يتحول إلى متعصب، وبُثوا في كل مكان لله المشتكى.

خاتمة

لا علاج لكل هذا إلا بالمحمدية البيضاء، بالمنهج النبوي، بالدين الذي جاء به رسول الله كما نزل. وهذا يحتاج إلى عارفين به ﴿فَأَسْأَلُ بِهِ خَيْرًا﴾ ﴿وَلِيًّا مُرْشِدًا﴾، يحتاج إلى مراجعة، إلى هدوء إلى سعة صدر إلى رحابة صدر، إلى قدرة على الاستماع. نحن لا نتكلم عن اختلافات وجهات النظر في المسائل المنطقية والفقهية، هنالك اختلافات لا بد منها من باب التكامل، نتكلم عن الخلافات والصدوع، نتكلم عن تلاعب عميق آن الآوان لينتهي بعون الله.

نحن على بينة وعلى يقين أن الزمان قد دار دورته وأن الدين المحمدي الحقيقي سيظهر بقوة عظيمة، وإن كنا لا نقول ذلك نفيًا لعدم وجوده، ولكن سيتخلص من هذه الشوائب كلها وهذا الوضع وهذا الدس. نحن على يقين أن الراية المحمدية سوف تعلو بحب الله ورسوله وحب آل بيته والصالحين، خطاب المحبة وخطاب الوثام وخطاب الحب العميق لله ورسوله وآل البيت المظلومين الذين تجاوزت مظلوميتهم حدّ القتل إلى سرقة ألقابهم وسرقة أمجادهم وسرقة علومهم، والنأي عنهم والصدّ عنهم والاشمئزاز من ذكرهم والهروب من ذكرهم، وكره من يذكرهم وكره من يحبهم، والتشويه في سيرتهم المباركة، وكل ذلك ركام مركوم في نار جهنم بعون الله.

آن الآوان لمدارس الصالحين أن تجتمع، آن الآوان لشعث الأمة أن يُجمع، لنتمسك بحبل الله الموصول ورجاء الله المقبول وبابه الذي مفتاحه محمد الرسول والبتول وزوج البتول وأبناء البتول، ولا يدرك ذلك إلا أهل المحبة وأهل النهى والعقول، فَتَشْهَدُ وَنُشْهَدُ اللهُ عَلَى ذَلِكَ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا نَقُولُ.

نسأل الله لنا ولكم اتّباع هذا المنهج المحمدي الأغرّ الذي يهدي الله به وإليه من يشاء. وقد حرصتُ على أن أقدم لكم الدرس، كما تلاحظون من صوتي أنا في وعكة صحية بسيطة إن شاء الله نمرّ بها، والأرض كلها الآن متوعكة ومريضة، ولكن من باب المحبة لم نجلس في هذا المجلس لمجرد أن يكون لنا متابعين وأن ندعي أننا نعرف، نحن جُلسنا فيه لأمر أراداه الله، وسنتمّ الوعد الذي وعدنا به ووعدنا له، وسنمضي ثابتين واثقين مؤمنين مُسلمين مُسلمين إلى موعد لا ريب فيه، وإلى موعد بعده لا شك فيه، موعد في

القدس بعون الله وفي داخل الركن والمقام في هذه الدنيا، وموعد في مقعد صدق عند عزيز مقتدر يوم يجمع الله الخلائق كلهم ويوقفهم تحت راية محمد صلى الله عليه وعلى آله ويوقفهم جميعاً ليُصلّوا خلف الحبيب المصطفى كما سيصلّون خلف حفيده وكما صلّوا خلفه من قبل، سيكون ذلك في القيامة إن شاء الله، صلاة جامعة خلف الحبيب.

كل راية أرادت أن تعلو فوق راية سيدنا محمد من رايات هذا الخلق كلها تُطوى وتبقى راية رسول الله، هذا النبي العظيم الذي نستصرخ الله عنده، وبه ندخل على الله برسوله، وندخل على رسوله بربه، وندخل على الله بالله وعلى رسول الله برسول الله، وندخل على الله بمحمد وآل بيته، ونستشفع عند رسول الله بابنته وبوصيه وأولاده وأصوله وفروعه، وندخل على آل بيت النبي بالصالحين وبانكسار القلوب، وندخل على الصالحين بآل البيت وبسيرتنا وبنسبنا إليهم، حتى نكون في عباد الله الصالحين ﴿فَادْخُلِي فِي عِبَادِي وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾ ندخل في العباد قبل ذلك الموعد إن شاء الله منهم ونكون معهم، ونتوكل على الله وتستشفع برسول الله ونطلب المدد الذي يأتينا عاجلاً غير آجل لنا ولكم، لأحبابنا ولأحبابكم، ولكل من دخل تحت هذا اللواء المحمدي.

اللهم صلّ على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد كما يرضي سيدنا محمد وآل سيدنا محمد، واجعلنا اللهم قائمين بالحق قائمين له لاقائمين عليه، واجمعنا بقائم آل بيت النبي في يومك الذي قدرت وسطرت وقربت ظهوره، واجعلنا اللهم ثابتين على ذلك إلى ذلك، والحمد لله رب العالمين، والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

المحاضرة بتاريخ: 2022-01-17



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

التأمل الحادي والثلاثون: في رحاب الزهراء عَلَيْهَا السَّلَامُ

مقدمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، الحمد لله الذي بعث رسولنا ونبينا وإمامنا وسيّدنا محمد هادياً للأمميين ورحمة للعالمين بالهدى والحق المبين، وأوحى إليه قرآناً، وجعل لفظه ومنطقه وكلامه وحياً يوحى، فهو الذي لا ينطق عن الهوى، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ.

الحمد لله الذي شرفنا بالنسبة إلى رسول الله، وبالإنسَاب إلى رسول الله، وأن نكون من أمة سيّدنا محمد. اللهم صلِّ وسلِّم وبارك وعزِّز وأكرِّم وتفضَّل وأتمِّم على سيّدنا محمد وعلى آل سيّدنا محمد.

أحبابنا الكرام: السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته، أهلاً بكم في هذا الموعد الجديد المتجدد مع التأملات العرفانية. والحقيقة نحن اليوم في مقام نشعر فيه بصعوبة الكلام وبضغط على الجسد وعلى الصدر تهيباً من مقام من سنتكم عنها، ولعلّي أرتجل قائلاً:

هي زوج حيدرة والسبطان ابناها
حورية والله قد زگاها

أكرِّم بفاطمة ومن سمّاها
هي بنت طه المصطفى يا سعدها

هي حوراء إنسيّة كما وصفها والدها سيّدنا رسول الله.

الكلام اليوم في هذا التأمل العرفاني الجديد سيكون في رحاب فاطمية، في رحاب سيّدة نساء العالمين، السيّدة البتول فاطمة الزهراء عليها وعلى أبيها وبعلمها وبنيتها والسرّ المستودع فيها الصلاة والسلام، اللهم صلِّ على فاطمة وأبيها وبعلمها وبينها والسرّ المستودع فيها.

ندخل في هذه الرحاب العطرة المنورة الكريمة، ولعلّ الكلام صعب في حضرتها والمديح صعب أيضاً، ولعلنا لسنا أهلاً لأن نتكلم عن هذه الشخصية العظيمة والإنسانة الملائكية السامية، عن هذه الذات الشريفة التي نور الله بها الأكوان، وهي بضعة المصطفى محمد، ولعلنا نتهيب أن نخوض في غمار هذه الأنوار وهذه البحار، ولكن سنتكلم كلاماً مختصراً لعلّ فيه فائدة، سائلين الله سبحانه وتعالى التوفيق وأن يفتح على صدورنا وعلى قلوبنا من سرّ دمها فينا ومن سرّ نسبنا إليها، فهي أمنا السيّدة فاطمة عَلَيْهَا السَّلَامُ، وهي بلا ريب سيّدة نساء العالمين، فضّلها الله كما فضّل أمّها وجدّتها آمنة وكما فضّل السيّدة مريم العذراء **شقيقتها روحاً وسراً**، وكما فضّل بناتها وأخواتها وذريّتها.

إشكاليات بحثية

وهناك إشكاليات بحثية يجدها القارئ عن السيّدة الزهراء:

1. **أولاً اختلف في مولدها:** هل هو السنة الخامسة قبل البعثة كما يرى معظم السّنة؟ أم السنة الخامسة بعد البعثة كما يرى معظم الشيعة (ويُنسب لذلك أنّ رسول الله أكل تفاحة في الجنة فهي نُطفة أو سرّ السيّدة فاطمة)؟

وبين الرأيين (هذا الإختلاف) **نرى أنه كان في السنة الثالثة قبل البعثة**، هذا المولد المبارك للسيّدة فاطمة. ولكنّ هذا لا يُنهي الخلاف، الآراء كثيرة كما قلت، هنالك من قال أنها السنة الثانية بعد البعثة أو الثالثة قبلها، وهو مجال اختلاف شديد..

2. **كما اختلف حول موضع قبرها**

3. **واختلف في قضايا تعلّقت بحياتها (مثل قضية فدك)**

ولكن رغم ذلك لم يختلف أحد من السنة ولا من الشيعة في عظيم مقامها، لم يختلف أحد في أنها **بضعة رسول الله** كما بين المصطفى. ولكن هنالك أحاديث ترفع من مقامها، وأخرى إذا نظر إليها الإنسان بنظر تحقيقي، نظر تقصي، أُريد منها الإساءة لمقام السيّدة فاطمة والتقليل من شأنها، مثال ذلك أنّ رسول الله قال: "لا يأتيني الناس بأعمالهم وتأتوني بأنسابكم، اعلمي فيني لا أعني عنك من الله شيئاً" هذا يعارضه قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ "إن الله يرضى لرضاك ويغضب لغضبك" أو "كُمّل من الرجال الكثير وكُمّل من النساء مريم وخديجة وفاطمة"، فلا يليق بمقام المتحدّث ولا بمقام المتحدّث إليه، لا يليق بمقام الحبيب المصطفى ولا بمقام السيّدة الزهراء. وإن كان رسول الله لا يُعني، فمن الذي يُعني؟! إذا كان عُصاة الأمة الذين لم يلتقوه ولم يروه ومتباعدون عنه زماناً ومكاناً يرجون شفاعته الحبيب المصطفى، فكيف لا تُرجى شفاعته لابنته؟ هذا إذا أخذنا هذا الجانب. وإذا كانت السيّدة الزهراء أُعبد من خلق الله، من أُعبد النساء في تاريخ هذا الكوكب وجميع الكواكب الأخرى في الحياة التي كانت من قبل، هي البتول المتبتّلة بالعبادة وشاركت في ذلك السيّدة مريم عَلَيْهَا السَّلَامُ، فكيف يقول لها رسول الله "اعلمي" ألم تكن تعمل؟

أمثال هذه القصص كان هدفها كما قلت **التقليل من الشأن**، وكما فُعل مع أبي طالب "جمرتان يغلي منهما الرأس"، مع سيّدنا حمزة وسيّدنا علي (أنه بَقَر بَطَيَّ ناقتين لسيّدنا علي وكان سكراناً)، وغير ذلك من القصص حتى في حجة الوداع (أنّ السيّد فاطمة تزيتت وأنّ علي غضب منها) (وأنّ الفضل ابن العباس كان ينظر للنساء ورسول الله ينهره) (وأنّ العباس "أول ربّا ربّا العباس" كان العباس كان مُرابياً).. هذا كلّه عندما ندرسه وندقق فيه، هدفه الوحيد والأوحد: **محاولة الحظّ من شأن هؤلاء السادة** ومن شأن آل البيت والتقليل من شأنهم.

وهذا مرض ولوثة أُصيب بها من ابتلى الله قلوبهم بذلك، ما زالوا إلى اليوم إذا ذكرنا السيّد فاطمة، إذا ذكر سيّدنا علي، إذا ذكرنا السبطين الحسنين الأكرمين، إذا تكلمنا عن أهل البيت، تشمّت قلوبهم ونفوسهم، وتتمعّر وجوههم وتَسوّد وتكفهرّ، وقد يهربون من المجلس أو المسجد هروباً وفراراً، وهذا قد رأيته بأمّ عيني في دروسي في المساجد منذ سنوات رأيت من أمثال ذلك!! قلوبهم على قلب أعداء آل البيت، يكرهون ذكرهم. وإذا ذكرت أحقر البشر، إذا تكلمت في فرعون، أو تكلمت في وحشي قاتل حمزة، أو تكلمت فيمن تريد، في هند وهي تلوك كبد سيّدنا حمزة، سيفرحون! لكن إذا تكلمت عن السيّد فاطمة فإنهم يغضبون، إذا قلت علي بن أبي طالب **"من كنت مولاه فهذا علي مولاه"** يغضبون من ذلك.

وآخرون ربما يدعون المحبة، ولكنهم يزاحمون السيّد الزهراء وسيّدنا علي والحسين، يزاحمونهم بغيرهم، وهؤلاء الثلّة لا يزاحمهم أحد، لأنهم الأدنى والأقرب إلى رسول الله، وحديث الكساء وحديث المباهلة دليان قاطعان قطعان على ذلك المقام العظيم.

الحياة الشريفة

نرجع إلى بداية هذه الحياة الشريفة، وُلدت وأهديت السيّد الزهراء إلى سيّدنا رسول الله وسعد بها. **زهراء هو الأبيض المُشرب بحمرة، وهذا البيض المُشرب بحمرة لون زكي، لون من الألوان التي تبهج العين وتسّر العين**، فكانت شبيهة في شيء ما بجَدّتها آمنة، وفيها شبه من أمّها وفيها شبه من أبيها. كذلك السيّد آمنة عَلِيهَا السَّلَامُ كانت تسمّى **زهرة قريش** كانت زاهرة اللون، وأمّها خديجة هي **سيّد نساء وقتها وأجملهنّ**، وكان ذلك الإسعاد الإلهي أن أسعدها الله شكلاً وعقلاً وروحاً، وتمّم سعادتها بسابق سعادتها الأزلية الأبدية أن جعلها زوجاً لرسول الله، بل أفضل زوجاته، وأن جعلها أمّاً لذريته، إلا مارية أم سيّدنا إبراهيم عليهم جميعاً السلام.

والسيّد فاطمة **عاشت مع الوحي**، وتربّت في ذلك البيت النبوي الطاهر، وكان حيدرة طفلاً أيضاً في ذلك البيت النبوي، وكان بيت الوحي، وبيت الأُنس بالله. وخارج ذلك البيت كان البلاء مفتوحاً على مصراعيه، كان رسول الله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يُؤذَى، يوضع على رأسه التراب، وكانت السيّد فاطمة تأتي تنظّف الرأس الشريف وتبكي وتهاجم من هاجمه، وكانت كاللبوة تدافع عن أبيها، وكانت أيضاً تنظّف منزله من القاذورات وغير ذلك مما كان يلقيه أم جميل وغيرها من أعداء النبي. وكذلك امتُحنت في شعب أبي طالب ونحل

جسمها عندما حاصرتهم قريش، ثم ابْتُلي قلبها الشريف بوداع أمّها وعمّها أبي طالب سند أبيها، وعاشت حزن رسول الله، ثم كانت تحنو عليه حُنُو الأمّ حتى قال فيها لقباً عظيماً عجيباً "فاطمة أمّ أبيها". تَلَقَّبَت السيِّدة الزهراء بـ "أمّ أبيها" لعظيم شأنها عنده، أراد أن يقول "هذا مقام ابنتي"، وكأنه يؤشّر لمؤشّرات ما بعدية ما بعد حياته، ويؤشّر لمسار الأمة من رسول الله إلى المهدي عَلَيْهِ السَّلَام، مسار من المظلمة، ومسار من الظلم لآل بيت الحبيب، يعترف به كل عاقل على اختلاف الرؤية المذهبية، ونقوله:

1. أولاً كمحمديين، جعلنا مذاهبنا تحت راية رسول الله لا فوقها.
2. وكأشراف كذريّة للسيِّدة فاطمة، نحن أولى الناس بالذود عنها والدفاع عنها وتبيان الحقيقة حول قضايا كثيرة، نصمت عن بعضها نبقئها لصاحبها، ونتكلم في بعضها وفق الإذن القلبي.

السيِّدة الزهراء أمّ أبيها، أيضاً من عظيم شأنها أنّ رسول الله أمسك يدها يوماً وقال: "من عرفها فقد عرفها، هذه فاطمة بنت محمد، فاطمة بضعة منّي، يربيني ما يريها". هذا الحديث تحديداً عندما ذكره ابن تيمية، عندما ذكره النواصب، أحالوه إلى معنى غير المعنى المقصود (أنّ الإمام علي رام أن يتزوَّج بابنة أبي جهل) وهذا أيضاً من اختلاق أعداء أهل البيت وأعداء السيِّدة فاطمة، مُحال! وما كان لسيِّدنا الإمام علي أن يُغضب السيِّدة فاطمة، وهو الذي لما سمع بوفاتها أُغشي عليه، وهو الذي كان يحبّها وكان يغار عليها، ولم يكن لينظر إلى غيرها، ولما انتقلت جاءه إذنٌ وأمر بأن يتزوَّج بعدها. السيِّدة فاطمة لها مكان مكين في قلب رسول الله وفي قلب الإمام علي، أكرم بها من سيِّدة، وأكرم بها من صديقة، وأكرم بها من أمّ، وأكرم بها من بنت، هي بنت من، هي زوج من، هي أمّ من، فهي بنت سيِّد الأولين والآخرين، وزوج ضرغام العرب وأفرسهم وأشجعهم وأعظم سيّاف رآته السماء، وأم سيِّدي شباب الجنة. وقال رسول الله في شأنها "أنّ فاطمة تُزهر لأهل السماء كما تُزهر لأهل الأرض" أي أنّ لها نوراً يتلألأ، وقال أيضاً "سمّيتها فاطمة لأنّ الله فطمها ومحبيها عن النار" في رواية، وفي رواية لأنه فطمها وأبناءها أو وذريّتها عن النار قال: "يا فاطمة إنّ الله فطم ذريّتك عن النار". ورسول الله أيضاً بُشِّر بالكوثر، فكانت هي الكوثر وكانت ذريّة الحبيب المصطفى من نسل السيِّدة فاطمة "إنّ الله جعل نسل كلّ رجل من عقبه، وجعل نسلي من صلب علي" هكذا قال الحبيب المصطفى في هذا المقام وهذا التبيان.

السيِّدة فاطمة الزهراء هاجرت مع الإمام علي في رواية، وكان معها فاطمة بنت أسد أمّ سيِّدنا علي، وكان معها أيضاً فاطمة بنت سيِّدنا حمزة، وسُمّيت بهجرة الفواطم. والسيِّدة فاطمة أمر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فَنَزَلَ سيِّدنا جبريل وأمر الأمر الإلهي، أن يزوّج رسول الله فاطمة لعلي، وقد صدق حفيدها الإمام جعفر الصادق حين قال "لو لم يخلق الله عليّاً، لما كان للزهراء من عدل" أي أنه لا يعدلُ بالسيِّدة الزهراء إلا فارس البطحاء، سيِّدنا الإمام علي. وهذا الذي قد يضايق بعضهم، ولكن من ذا الذي ينافس الوصي والإمام عَلَيْهِ السَّلَام؟ من نافسه في مبارزة ونجا؟ من نافسه في ميدان؟ من خرج مكانه لعمرو ابن وُد؟ من كان في علمه أو في حلمه بعد رسول الله؟ هو بلا منازع أدنى المقامات إلى مقام الحبيب ولا يُعدّل به سواه. وكذلك السيِّدة فاطمة لو عُجنت نساء الأرض ما كنّ شعرة من رأس فاطمة عَلَيْهِ السَّلَام وَعَلَيْهَا السَّلَام. وعلَيْهَا السَّلَام، برغم من يُبغضها ومن يجحد مقامها وحقّها.

أُنسُ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

السيدة فاطمة بكل بساطة، كانت أنساً لعين رسول الله، قال "إذا أردت أن أشمّ ريح الجنة شممت ابنتي فاطمة"، وكانت مشيتها كمشيتها، وكانت بضعة وفلذة وكبِد رسول الله، وأنسته وأنسته أوجاع المعارك والحروب، كانت دائماً تضمّد جراحه عندما يرجع من حرب مثل أحد، كانت هي التي تتولّى تضميد جراحه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وكانت تُؤنس قلبه وتُسعد عينه، وكانت تُبهج روحه، كانت هدية من الله. وكانت فيها من أنوار وأسرار وبركات رب العالمين ما لا يمكن قياسه ولا حسابه، ولا يمكن أن نتصوّره، لأنّ السيدة فاطمة يكفيها أنها بنت خديجة التي نصرت والتي آوت والتي قدّمت حياتها، وحفيدة آمنة التي بشرها الله واختارها الله واصطفاه الله لتكون أمّ نبيّه، كما اختار السيدة الحُبابة لتكون زوج نبيّه، واختار فاطمة لتكون بنت حبيبه وأمّ ذريته، والسرّ المستودع فيها المهدي القائم الذي يُظهره الله فيأخذ بحقّ الأولين ويضرب وجوه الآخرين، لذلك يأخذ ويستردّ الحقوق الأولى، ويقمّمها إقامة قائم عادل، لذلك سُمّي القائم.

بشارة لكل محب

السيدة فاطمة الزهراء تزوّجت وزوّجها الله من الإمام علي، والسيدة فاطمة عندما أنجبت الذريّة الصالحة، عندما أنجبت أشبالاً زيّنوا الدنيا ونوروها، وكانوا سعادة لرسول الله حتى أنه كان يضعهما على ظهره الشريف ويجري بهما في البيت، وكانا إذا صعدا على ظهره في الصلاة، يثقل في الصلاة ويبطئ فيها حتى لا يُعجلهما. ومرة صعدا على ظهره ثم أكمل الصلاة في العصر، ثم خرج يحملهما على يمينيه الأولى والثانية، ونادى في الناس: "أيها الناس، ألا أخبركم بخير الناس جدّاً وجدّة، ألا أخبركم بخير الناس أمّاً وأباً، ألا أخبركم بخير الناس عمّاً وعمّة، ألا أخبركم بخير الناس خالاً وخالة، الحسن والحسين، جدّهما رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وجدّتهما خديجة بنت خويلد، وأبوهما علي ابن أبي طالب، وأمّهما فاطمة بنت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وعمّهما جعفر ابن أبي طالب، وعمّتهما أمّ هانئ بنت أبي طالب، وخالهما القاسم ابن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وخالاتهما زينب ورقية وأمّ كلثوم بنات رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، جدّهما في الجنة، وجدّتهما في الجنة، وأبوهما في الجنة، وأمّهما في الجنة، وعمّهما في الجنة، وعمّتهما في الجنة، وخالهما في الجنة، وخالاتهما في الجنة، وهما في الجنة، ومن أحبّهما في الجنة".

وإني لأعجب كيف لا يُذكر هذا ضمن المبشّرين بالجنة!! فهذه بشارة من سيّدنا رسول الله لسيدنا علي، ولسيدتنا خديجة، وسيدتنا فاطمة، وللسبطين الحسنين، بل لأعمامهما وأخواتهما وكذا لمحبيّهما. وهذه البشارة وإن كانت غير مُستغربة على تلك العترة الطاهرة، فإنها بشارة سعد لمن يحب الإمام الحسن والإمام الحسين ويحب آل البيت، هذه بشارة من الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى، بشارة من الله على لسان رسول الله: أنّ من أحبّهما في الجنة. وكذا من أحبّ السيدة فاطمة، ومن أحبّ سيّدنا الإمام علي، فإنه بإذن الله معهم "المرء مع من أحب".

ولا يصدق حب امرئ لرسول الله لم يحب فلذة كبده وذريته وعلية وسبطيه، وهو الذي أدخلهم الكساء وقال "هؤلاء آل بيتي أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا" وكان يتلو هذه الآية إذا أيقظهما لصلاة الفجر، وكان كذلك في المباهلة أتى بنفسه وهو الإمام علي كما اجتمعت وأجمعت على ذلك التفاسير، وأتى بابنته وولديه، فخاف الرهبان وقالوا: هذه وجوه لو دعت الله لاستجاب لها.

إذن بدون أن نطيل المماحكة والمزاحمة، ودون أن نخوض مع الخائضين، ودون أن نشئت أذهاننا: السيدة فاطمة حبا واجب على كل قلب مؤمن، لا يحبها إلا مؤمن ولا يبغضها أو يستنقص من مقامها أو يغضب من ذكرها إلا منافق ظهر نفاقه أو خفي، إلا مريض قلب ورث ذلك، هذه النقطة الأولى.

كمال آل البيت عليهم السلام

النقطة الثانية: نحن نعلن مساندتنا ودعمنا وتأييدنا للسيدة فاطمة في كل ما قالت وفي كل ما فعلت. قال ابن تيمية، الذي استحق على ذلك أن يلعن، نحن لسنا باللّعانيين، ولكنه قال (أنها في قضية فدك لها من صفات المنافقين الذين إذا أعطوا رضوا وإذا منعوا غضبوا)، وحاشا أن تكون كذلك. كانت خطبتها عظيمة، ونحن نرى رأيها ونرى أنها ورثت رسول الله في سره وعلمه، وأنها الأدنى إليه، وأن الإمام علي أيضاً هو الوصي بلا شك ولا ريب، ولا يرتاب في ذلك إلا من في قلبه شيء، وهذا الشيء مرض نسأل الله أن يعافينا منه.

إن تهيب أن يقول الحق من عرفوه، ومن عرفوا أنه هو الحق، إنما سيحاسبون عليه عند الله سبحانه وتعالى ويقفون بين يدي الله وخصيمهم رسول الله وخصيمتهم السيدة الزهراء وسيدنا الإمام علي. ونحن نسأل الله ألا نكون في ذلك، بل نحن نصدق بالحق ونقوله، نحن نؤيد ونقف وندعم السيدة الزهراء وسيدنا الإمام علي والحسنين ونرى ما يرون. صحيح أن العصمة للأنبياء كما أراد البعض أن يجعلوا ذلك تنصيماً يُلغى قداسة آل البيت، ولم يكن الهمة غيرة على النبي، ولكننا نقول أنهم الأقرب إلى العصمة، فإن لم يكونوا معصومين، وهم في نطاق عصمة سيدنا رسول الله، موصولون بنوره، موصولون بسرّه موصولون بقداسته، موصولون بنورانيته، وارثون له، أقرب الخلق إليه. فكيف لا يكون ذلك النور المحمدي الذي نحن ننطق من سرّه، والذي استمد منه الصالحون فكملوا، واستمد منه الواصلون فوصلوا، واستمد منه العابدون فعبدوا، واستمد منه الراغبون في أنس الله فوجدوا، واستمد منه العابدون فعبدوا وسجدوا، كيف لا يكون ذلك النور الذي استأنس منه الشهداء والصدّيقون والأنبياء قبل ذلك، لا يسري في فاطمته وعلية وسبطيه؟! فهما وهم على نور الكمال، وعلى سرّ الكمال، وقول الحبيب المصطفى "كَمُلَ مِنَ الرِّجَالِ الْكَثِيرِ وَكَمُلَ مِنَ النِّسَاءِ مَرْيَمُ وَخَدِيجَةُ وَفَاطِمَةُ"، ألا يكون علي من الذين كملوا من الرجال؟! وقد كمل من الرجال عبد القادر الجيلاني والرفاعي، كما كمل من قبل ذلك صدّيقون وصالحون وأنبياء ومرسلون. أفلا يكون كمال السيدة فاطمة وكمال الإمام علي مورثاً في كمال الحسنين؟ أفلا يكون ذلك عاصماً لهم من أن تغلبهم أهواؤهم وتغلبهم نوازع الدنيا، أو يخطئوا في حكم أو في أمر، وهم الأقرب إلى سرّه وإلى نوره وإلى نور القرآن وعلمه؟

سفينة النجاة

هذه نقاط يجب أن نفهمها جيداً، وأن ننظر إليها نظرة المؤمن المستيقن، لا نقول ذلك من باب منافحة مذهبية أو وقوف ضمن عتبات المذاهب، نقول ذلك على المحمدية البيضاء، انتصاراً للحق، وأن هنالك أموراً في التاريخ وفي مسائل السّير وفي مسائل ما كان من السقيفة وبعدها، أمور لا يفصّلها بالاحتمية إلا المهدي عَلَيْهِ السَّلَامُ. وإنما نقول كلاماً علمياً عرفانياً يقينياً من باب إقامة الحجّة حتى يظهر الحجّة. وهذا لا يخرجنا من دوائرنا التي ننتمي إليها أو من مدارسنا التي نحبا والتي نتبع أثر علمائها، نتبعهم فيما نراه على الحقيقة، وفيما نراه تحت الراية المحمدية. أما ما خالف ذلك نضرب به عرض الحائط ولا نخشى في الله لومة لائم، لا أحد يكبر في أعيننا أمام سيّدنا محمد وسيّدتنا فاطمة وسيّدنا علي وسيّدنا الحسن وسيّدنا الحسين وذريتهم وآل البيت، لأنّ رسول الله قال **هم سفينة النجاة**، لم يوسّع فيقول: الجميع سفينة النجاة. قال للصحابه أولاً ولنا من بعدهم: **"آل بيتي سفينة النجاة"** مثل آل بيتي فيكم كسفينة نوح من تعلّق بها نجا ومن تخلّف عنها هلك" **"مثل آل بيتي فيكم كباب حطّة"** الذي أمر بنو إسرائيل أن يدخلوه، هذا فصل البيان **"أحبوا الله لما يغذوكم به من النعم، وأحبوني بحب الله، وأحبوا آل بيتي لحبي"**. إذا قلنا هذا لم ندخل في باب نشر معتقد على معتقد، نحن نعرف خصائص دولنا وخصائص بلداننا، ولا نريد أن نفكّك مذهباً أو نبذل أمراً موجوداً، ولا نريد أن ندخل في صراعات سياسية وجيوسياسية، إنما نريد أن نقول كلمة الحق. أنت أيها المسلم، أيها المؤمن، أيها المتّبع للحبيب المصطفى، مأمور بحبه بعد حب ربه، ثم حب بنته ثم حب وصيّته وحب أبويه وحب أهله وحب ذريته وسبطيه على وجه الخصوص، أنت مأمور بهذه المحبة، مكلف بها.

حرمان الأمة من أنوار آل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ

وينبع من هذا ويتبع هذا بيان آخر، وهو أنّ الأمة قصّرت بل حُرمت من آثار وأنوار وكنوز وعلوم ومعارف وبوارق وشوارق وحقائق ورفائق ودقائق آل البيت، هذه العلوم والمعارف التي طويت وكُتّمت وهُجرت، هؤلاء الذين لم يفترقوا ولن يفترقوا عن القرآن **"آل بيتي والقرآن لا يفترقان حتى يردا عليّ الحوض"** هؤلاء الذين تُركوا ثقلاً مع الثقل **"تركت فيكم الثقلين ما إن تمسّكتم بهما لن تضلّوا بعدي أبداً، كتاب الله وعترتي"** أما قولهم **"سني"** وُضعت في القرن الثالث. هؤلاء الذين أمرنا أن نصليّ عليهم **"لا تصلّوا عليّ الصلاة المقطوعة أو المبتورة، بل قولوا: اللهم صلّ على محمد وعلى آل محمد"** وقولهم **"وعلى آله وصحبه"** أضيفت في القرن الثاني أيضاً وليس لها أصل محمدي. إنّ هذا الأمر، إنّ هذه التعليمات المحمدية، إنّ كون الصلاة لا تُقبل دون الصلاة عليهم في كل صلاة، رفع لمقامهم، فكيف يُصليّ عليهم من لا يحبهم أو يغضب من حبهم ومن محبيهم؟

لذلك قال الإمام الشافعي:

ولو كرهتها أنفس وقلوب
ويُغزى بنوه إنّ ذا لعجيب

من مبلغ عني الحسين رسالة
يُصليّ على المختار من آل هاشم

وقلنا في ذلك المقام:

إني محب للنبي وآله
فالحب منتصر على عدّاله

يا سائلاً يطوي المدى بسؤاله
لولا مني الثقلان في محض الهوى

حُرمت الأمة كثيراً من هذه البوارق والحقائق والأنوار والأسرار وهذه الوصلة، حُرمت من **سرّ أبي طالب** ومن **سرّ طالب** الذي كان مؤمناً موحداً وكان بطلاً كبيراً وفارساً ضرغاماً لا يقلّ عن الإمام علي (وإن كان الإمام علي أقوى) ولكن ظلم. هل تجدون في التاريخ معطيات عن طالب؟! أنه مات كافراً أو أنه قُتل ومات وانتهى الأمر... ظلمت هذه الأمة بحرمانها من نور أبي طالب الذي ربّى والذي رعى النبي، حتى قيل أنه كفر و"جمرتان يغلي منهما الرأس" هذا الذي كان مؤمناً والذي كان أبوه مؤمناً، والذي قصائده شاهدة:

هو خير أديان البرية دينا

ولقد علمت بأنّ دين محمد

"وأبيض يُستسقى الغمام بوجهه"

كما كان أبوه هذا الذي شهد آية الطير الأبابيل بأمّ عينه، وزوجته أنجبت عليّاً في جوف الكعبة.

كما حُرمت من **أنوار السيّدة آمنة وسَيّدنا عبد الله** كما حُرمت من هذه الأنوار، إلّا قلّة اصطفاها الله من الصالحين المصلحين، من المحبين الصادقين، على اختلاف مذاهب الأمة، الصادقون المخلصون. هنالك من أذعياء التشييع من جعلوا حب آل البيت تجارة وكذباً ولعنّاً للآخرين، هنالك من أهل السنة من كان دينهم ودينهم الكره والاستنقاص من آل البيت، ومزاحمتهم بغيرهم، ونسبة أمور لا تجوز لهم أبداً ولا تنبع عنهم إطلاقاً.

وبين الضفّتين قلّة من المخلصين، من العشاق، من الصادقين، من الذين ربّى الله أنفسهم على هذه المحبة، ولقّن قلوبهم من هذه الأنوار، وفتح على عقولهم من هذه البوارق والحقائق، ولم يحرم أرواحهم من هذه المعانقات. إنها ملاقة ومعانقات روحانية رحمانية، امتداد سرّ ووصل، ورجوع فرع إلى أصل، هذا الرجوع إلى الأصل المحمدي النوراني الطيّب، إلى الأصل الفاطمي العلوي الحسيني الحسيني الجعفري الحمزاوي الطالبي، الأصل الذي في أصول رسول الله وفروعه، المبارك المقدّس المنعم المكرّم في أصوله وفروعه، المؤيّد المعزّز بأصوله وفروعه. هو الذي أوصى بهذه المحبة وهو الذي قدّم هذه الأنوار بين يدي الأمة حتى تتّبع النهج وحتى تنجو، فلا ينجو من لا يحبهم ولا ينجو من يستنقص من شأنهم.

حادثة خلع الباب

فيما يخصّ حادثة كسر الضلع وخلع الباب وإجهاض الجنين (المُحسين): هذا سأقول أيضاً كلاماً قد يُغضب البعض على ضفّة من الضفاف، أنّ هنالك من يجعلها قضية أساسية، ورغم أنّ الشيخ المفيد على سبيل المثال أنكرها، والمدقق البحّاث السيّد كمال حيدري أنكرها، وكذلك غيرهم من العلماء والعدول في مذهب آل البيت، ولكن البعض أيضاً يصرّ عليه، حتى الشيخ فضل الله أنكر ذلك. أنا أيضاً

أقول أنه من المعيب أن نتصور أنّ علياً يضرب فحذه بيده، والزهراء تُضرب أو تُضرب بباب أو يُكسر ضلعها، هذا أيضاً لم يحدث. إنما أريد حرق البيت، وكان كلام معين في فترة فيها الكثير من المخاضات وفيها الكثير من الإشكاليات التي نتركها للمهدي حتى يفضّها، أو ليوم القيامة ليفضّها الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ولكن هذه أيضاً نقول أنها لم تحدث، المحسن عليه السلام توفي صغيراً في زمن حياة رسول الله، لم يجاوز الثلاث سنوات. البعض أيضاً أنكر وجوده وأنكر أنّ له وجود، ولكنه موجود عليه السلام.

الوفاة الشريفة

وأما أيضاً ما يخصّ وفاة السيّدة فاطمة: توفيت بعد رسول الله بخمسة أشهر وبضعة أيام، قرابة الستة أشهر، حزينه موجوعة القلب والفؤاد، وأخفى الإمام علي قبرها، وحفر قبور أخرى، ثم خرج حاملاً ذا الفقار وكان غاضباً، ولما علم بخبر وفاتها أغشي عليه بعد أن أخبره الحسان بذلك، ولوّع قلبه شديداً، وقد أوصته وقد ناجته في ذلك وقالت أنها منتقلة إلى ربها.

والسيّدة الزهراء البعض يتكلم عن أنّ جبريل كان يؤنسها، نحن لا نستغرب أن يكلم الملائكة الصديقين، ومريم لم تكن نبيّة ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ﴾، ولكن أيضاً نرفض أن تُساق الأمور بطرائق عند البعض، حتى أنهم جعلوا لها مصحفاً، فهذا أيضاً غير صحيح (ولم يُعنى بذلك قرآناً، إنما كان كلاماً). ولكن عليّ له مقامه وله منزلته، والسيّدة لها منزلتها، ولا يحتاج أئمة آل البيت إلى وضع القصص والتلفيق عنهم حتى يبين مقامهم، مقامهم جليّ، وربهم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أعطاهم واجتباهم وزكاهم ورفع قدرهم فوق ما يدعي المدّعون وفوق ما يقول المُبطلون وفوق ما يكره الكارهون وفوق ما يظنّ العاشقون أيضاً، فنحن كلنا لا نعرف حقيقة علو ذلك المقام، بل نظنّ ظناً.

وإنّ السيّدة فاطمة عليها السلام لما انتقلت إلى ربها ألم ذلك الإمام علي، وكانت مُغضّبة الفؤاد، وكانت جريحة القلب، وكانت حزينه كثيرة الدمع، فلما ضمّ قبرها الشريف قال:

وصاحبها طول الزمان عليل
وكلّ الذي دون الفراق قليل
دليل على ألا يدوم خليل

أرى علل الدنيا عليّ كثيرة
لكلّ لقاء بين خلّين فرقة
وإن فراقني فاطماً بعد أحمد

انتقلت إلى ربها ولحقت بأبيها، فكانت أول اللاحقين به كما بشرها بذلك من قبل، ونترك بقية القضايا إلى موعدين:

1. موعد في الركن والمقام
2. وموعداً عندما يبعث الله الأنام: ويكون الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى حكماً، والخصيم محمد عليه الصلاة والسلام، يخاصم فيمن ظلم آل بيته، ويخاصم في مسائل كثيرة.

مكتبة السيدة فاطمة عَلَيْهَا السَّلَامُ

وأما منتهى بياننا في هذا التأمل العرفاني حول السيدة الزهراء: دعوة إلى تأسيس **مكتبة السيدة فاطمة**. ونعني بهذه المكتبة، أنّ كل المتابعين لنا، وسندعو أهل المنبر والمنارة جميعاً وكل من نعرف من العلماء، كل الكتب التي ذكرت السيدة فاطمة، كل المصادر التي ذكرتها وذكرتها سيرتها، نريد تجميعها حتى تكون مكتبة، ونعطي العناوين لمن يروم أن يدرس عن هذه الشخصية العظيمة. وألتزم بعون الله في تأليف كتاب فريد مختلف يكتبه حفيد الزهراء عن الزهراء، بأسرار لدنية، بنظرة خضرية، وكذلك بتحقيق تاريخي ومدد قرآني محمدي. هذا إن شاء الله سنقوم به في قادم الأيام، سيكون من مشاريع منارتنا، ومشاريع محمديتنا البيضاء، لا بدّ أن تعرف الأمة من كانت السيدة فاطمة.

أين أحاديث آل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ؟

عندما نقرأ عن سيدنا الإمام الحسين سنجد معطينين:

- الأول: أنه كان على ظهر الحبيب المصطفى صغيراً.
 - والثاني: أنه قُتل في كربلاء.
- وقصة أنه والإمام الحسن وجدا رجلاً يتوضأ فصحّاح له الوضوء.

عندما نقرأ كتب الحديث نجد أنّ للحسن والحسين أربعة أحاديث، خمسة أحاديث، الإمام الحسن تعلّمت من جدّي: **"دع ما يريبك إلى ما لا يريبك"**. وغيرهم ممن حتى لم تثبت له صحبة يروي مئة ألف حديث، وخمسين ألف حديث. وسيف ابن عمر التميمي أصلاً أنشأ وأنجب خياله المريض مئة وعشرين صحابي، ومئة وثمانين راوي حديث، يمكن أن تراجعوا هذه الأمور وتفهموا وتتيقنوا بأنفسكم، وأخرج عنه الطبري ثم ابن كثير، فهو الذي أنجب بخياله المريض وبتأمرته شخصية مثل شخصية عبد الله ابن سبأ. هذه أمور راجعوها وحاولوا أن تقرأوا بإنصاف، ولا تخافوا من الحقيقة، وقرأوا للجميع، ولا تخف من الحقيقة ولا تتهيب في حضرة هؤلاء السادة. انصرهم ببيانك ولسانك أو بقلبك، لأنّ المظلومية حقيقية والظلم كان كبيراً، ليس فقط قتل الحسن والحسين وقتل الإمام علي، كان هنالك أمور أخرى، لعلها أشدّ وطأة ومهدت لذلك.

وعليه نرجو أن تكون لدينا معرفة حقيقية تدقيقية أكبر بهذه الشخصيات العظيمة، حتى نقدّم للأمة من باب المحمدية البيضاء، دون تمذهبات، دون خلافات مذهبية، دون مصادمات، دون شحن عاطفي وتهيج من هذا الجانب أو ذلك الجانب، دون رغبة في هدم أي شيء، إنما فقط **تقديم الحقيقة**، ونعرف جيداً وأعرف جيداً وأعي جيداً أنّ فصل المسائل لا يكون إلا مع المهدي عَلَيْهِ السَّلَامُ، أو يوم القيامة. ثمة إشكاليات عميقة عويصة متداخلة جداً متشعبة جداً، حتى الإمام علي عندما أوتي الخلافة لم يستطع تغييرها. فهذه المسائل تبقى لمن لديه القدرة، لمن يعطيه الله القدرة، وكلها من حكم الله **﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾** كان حكماً قاسياً في الحقيقة مؤلماً، أن يُشرد بنوه، وأن يُقتلوا على مرّ الأزمنة، وأن يُنفوا، وأن تُعافس

الخيول جسد سيدنا الإمام الحسين، ولكن هذا كله أراد الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى امتحاناً، وأخذ حتى رضي سبحانه من محمد وآل بيته تقريباً وتعظيماً لشأنهم في هذه الدنيا، فهم لم يكونوا أهل هذه الدنيا، هم أهل الجنة، جاءوها ينورونها، ودفَعوا الثمن وتذاكر دخول الجنة للمحبين من دمائهم العطرة الزكية، حتى يجد المساكين من أمثالنا موضعاً ومكاناً في الصديقين والصالحين ببركات تلك الدماء وتلك الدموع وما كان من دموع السيدة زينب على سبيل المثال في أواخر حياتها، أمور عظيمة جداً نعجز عن وصفها وإن كنا ذقناها، وإن كنا كُوشفنا فيها وأرانا الله من نفحاتها ما أرانا، نكتم كثيره ونبوح بقليله حتى يأتي أوان الظهور.

خاتمة

كان هذا إذاً بعض رحيل مع السيدة فاطمة، وقفة في رحاب السيدة الزهراء، نسأل الله أن يقبلها منا، وأن يعفو عنا، وأن يزيّن سرنا بسرّها، وأن يقوّي نورنا بنورها، وأن يجعلنا من أهل ودّها وأهل حبها، وأن يجعلنا من أهل رضاها، نسأل الله رضوان السيدة الزهراء، اللهم بفاطمة وأبيها وبعلمها وبنيتها والسرّ المستودع فيها.

جزاكم الله خيراً، إلى الدروس البرهانية إن شاء الله الأسبوع القادم لعنّا نكلمكم في **مقام التسليم ومقام التمكين**، ندخل في علوم المقامات. وإن شاء الله نستمرّ على المحمدية البيضاء، لا نخشى في الله لومة لائم. نتكلم بأدب وإن كنا قد حقّقنا لأكثر من عشرين عام، ودقّقنا في التاريخ، قرأنا للسنة وقرأنا للشريعة وقرأنا لغيرهم، وقرأنا مئات الكتب وقرأنا الكثير من المدوّنات، ثم فتح الله ما فتح ودوّنا، ولكن نبوح ببعضه ونترك معظمه حتى يأتي أوانه، **والليب من الإشارة يفهم**،

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الحاضرة بتاريخ: 24-01-2022



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

التأمل الثاني والثلاثون: الوعي بالنعم

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين الذي هدانا إلى صراطه المستقيم صراط الذين أنعم عليهم، الحمد لله الذي هدانا إلى صراط عباد أنعم عليهم فأنعم علينا بهم، صراط محمد وآل بيته وصراط الأنبياء والشهداء والصدّيقين والصالحين وحسن أولئك رفيقا.

أحبابنا ومتابعينا الكرام السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته، إلى هذا الموعد الجديد من التأملات العرفانية والتي نروم من ورائها أن تكون تدبراً في كتاب الله ﴿أَفَلَا يَتَذَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ وتفكيراً في الله وفي خلق الله ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ﴾، وأن يكون ذكراً لله ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ﴾، وأن يكون أيضاً عرفاناً وشكراً لله على ما ألهمنا وعلى ما علّمنا فيكون ذلك زكاة علم، مع ما يكون من دروس برهانية ومن دروس الفتح المحمدي ومن المحاضرات والمقالات والكتب والندوات، وكلها تعمل في توازن وإن كان في ظاهر الأمر ثمة تباعد بين الجوانب الاستراتيجية والأدبية والإبداعية والدينية والخضرية البرهانية ولكنها في الحقيقة متكاملة يشد بعضها بعضاً.

تذكر النعم في القرآن الكريم

تأمل هذا اليوم مهم كسابقيه ولاحقيه بإذن الله ولكن له طابعاً خاصاً ينطلق من الفاتحة ومن ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ ليجول في آيات القرآن الكريم وفي آيات فيها بيان للناس وفيها بيان للمؤمنين وفيها بيان للخاص والعام. يقول الحق سُبحَانَهُ وَتَعَالَى:

- ❖ ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ ۗ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَزِدُّكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ۗ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ۚ فَإِنِّي تُؤَفِّكُونَ﴾
- ❖ ويقول أيضاً سُبحَانَهُ وَتَعَالَى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا﴾
- ❖ ويقول عزّ من قائل ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ﴾
- ❖ ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾
- ❖ ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُمْ بِهِ﴾
- ❖ ﴿وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ۚ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ ﴿وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ۚ إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾
- ❖ ويقول أيضاً ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ﴾
- ❖ وتجد في القرآن الكريم أنّ الله شديد العقاب لمن يبذل نعمته وتجد أنّ قوماً يكفرون ﴿أَفَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾

هذه الموازنة بين دعوة الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى لتذكر نعمة الله والآيات كثيرة متكررة وكذلك أنه لا يمكن حصر هذه النعمة ﴿وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾، وأنّ هنالك أقواماً بدّلوا نعمة الله كُفْرًا وحولوا تلك النعمة إلى سبب للجحود والغرور والبغي والاستكبار... هذه الموازونات وهذا النداء لتذكر النعمة.

التذكير والشكر/ الجحود والكفر

إذا قلبت صفحات التاريخ البشري فقط، وهو جزئي صغير من تاريخ المخلوقات في هذه السماء الدنيا في زمن الدنيا الذي يمتدّ على هذه البوتقة الزمنية من عمر الحضارات قبل آدم ثم ما كان من حضارة آدم ومن بقي من الجن وما بقي من هذا الزمن، إذا قلبنا كتاب التاريخ البشري سنجد من ذكروا بنعمة الله: النبي نوح عندما كان يُذكر قومه أو شعيب أو صالح أو هود أو موسى أو المسيح، وكذلك تجد خطاب موسى ﴿يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ﴾، والله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى في القرآن الكريم يقول لرسوله سل بني إسرائيل عن هذه النعم، وكذلك من بيان المصطفى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ نجد هؤلاء المذكورين بعد ذلك وقبله من ضلحاء ومن ناصحين، ونجد أيضاً الذين كانوا شاكرين لنعمة الله وماذا أعطاهم الله ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ ﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾.

ونجد أيضاً المغرورين الذين زادتهم النعماء غياً وطغياناً حتى قال أشقاهم ﴿أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى﴾ وحتى قال غويهم قبل ذلك ﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ﴾ بدّل نعمة الله كُفْرًا بدّل إنعام الله عليه بخلقه من نار وبتلك القدرات

وذلك الرفع للمقام حتى صار مع الملائكة جليساً ووجد فيهم أنيساً وارتفع إلى السماء الخامسة، بدّل ذلك جحوداً فأحلّ نفسه دار البوار. وكذا كلّ الحضارات التي بغت وطمغت أحلّت أنفسها وأقوامها دار البوار بين طوفان وريح صرصر وعقابات شتى، وهذا دائم في سنة الله ﴿فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾. وما نرى هذه الحضارة إلا وقد بلغت ذروة إنكار النعمة والجحود بها إذ حوّلوها وبدّلوا نعمة الله في ما علّمهم وما رزقهم وما أعطاهم من تقنيات ووسائل رفاه وتطور وثناء إلى كفر، فيكون حتماً بعد ذلك أنهم أحلّوا قومهم دار البوار. ﴿وَأَمَدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَيْنَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾ هكذا كان أمر الله ﴿أَمْزَنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾.

إنّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يُعَلِّمُنَا من خلال هذه السنن، وإننا إذا دققنا في التاريخ البشري الحقيقي للحضارات العظيمة زمن نوح والتي كانت تمتدّ في معمارها العظيم الضخم الكبير الذي يستخدم صخوراً ما كان لهذه الحضارة أن تستطيع استخدامها والذي كان يستخدم علوماً في الكون وعلوماً في الفلك وقدرات تقنية مذهلة، هذه الحضارة كلها دُكَّت دُكَّةً واحدة وَرُجَّت رُجَّةً واحدة، المؤتفكات كلها محققها الله ومحاهها زمن نوح أو أزمنة الأنبياء من بعده، أطلانتس وما كان أمرها وشأنها والحضارات قبلها وبعدها، بقيت تلك الديار خراباً تنوح حجارته على ذنوب أهلها.. كذلك ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ﴾ هكذا يكون شأن كل من طغى وبغى **لأنّ في النعمة استدراج ولأنّ في النعمة امتحان.**

• في كل منحة محنة على قدرها وفي كل بسط يقبض الله ما أراد ويبسط ما أراد

فمن بسط له في رزقه وقبض عنه الكرم والإيمان والشكران للنعمة فكأنما لم يُنعم بشيء إنما كان ذلك لهم امتحاناً.

نقف لحظة لنذكر نعم الله علينا

وإننا في هذا التدبر والتأمل العرفاني الذوقي الإحساني نروم من أنفسنا ونروم من أحببنا ونروم من تلاميذنا ومتابعينا أن نقف جميعاً لبرهة من الزمن، أن نوقف مسار الأفكار في عقولنا واضطراب المشاعر في جوارحنا ولهفة أنفسنا على الدنيا وعلى شهواتها وملذّاتها، وتخوّفنا من الآتي وندمنا على ما كان أو حيننا إليه، واضطرابنا وتذبذبنا أو شكنا أو هواجسنا في هذا الواقع المُثقل بالآلام والمُثقل بكل ما يُثير الإحباط من تأمر شياطين الإنس والجن على بني الإنسان. نروم أن نقف لحظة وأن نتأمل وأن نهديء من لواعجننا وسواكننا وتحركاتنا وأن نقول لأنفسنا هدوءاً وصمتاً، وأن نقول لأرواحنا قريباً بعدُ وتجلّ بعدُ حُجب، وأن نقول لقلوبنا إنّ القلوب تعمي كما تعمي الأبصار فهلاً أبصرت أيتها القلوب. نقف لحظة في هذا السكون لنذكر نعم الله علينا.

إنّ عملية إحصاء الذرات الكونية أو قطرات المياه في الغيوم أو قطر البحر أو قطر الندى أو ما يكون من رمال البحار أو ما يكون من أعداد النجوم لهو **أهون وأيسر كثيراً من إحصاء نعم الله علينا.** ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا

نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصَوها ﴿﴾ تحدُّ إلهي وتجلُّ لكريمٍ عظيمٍ حكيمٍ يُمدُّ الطيبين محبةً ويُمدُّ الأشرار امتحاناً لهم وفتنةً لهم ﴿﴾ كَلَّا نُمِدُّ هُنُوْلًا وَهُنُوْلًا مِّنْ عَطَاءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿﴾. إنَّ هذا العطاء المستمر من خزائن لا تنضب ولا ينفد ما فيها إنما هو امتحان كبير، لأنَّ الله لا تفرغ خزائنه ولا يقل ما عنده بكثرة العطاء. وأكرم بالحديث القدسي العظيم الذي ورد على لسان المصطفى الكريم إحياء من ربه وبياناً وبرهاناً ليصل إلينا من نداء الخالق جل في علاه:

"يا عبادي كلكم عارٍ إلا من كسوته، فاستكسوني أكسكم

يا عبادي كلكم ضالٍ إلا من هديته، فاستهدوني أهدكم

يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أطيب قلب عبد واحد منكم لم يزد ذلك في ملكي شيئاً

يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم اجتمعوا على أفجر قلب عبد واحد منكم لم ينقص ذلك من ملكي شيئاً

يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم اجتمعوا في صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل سائل مسألته لم ينقص ذلك من ملكي إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر

يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكم، فمَن وجد خيراً فليحمد الله ومن لم يجد فلا يلومنَّ إلا نفسه "

هذا بيان رباني على لسان عدناني فيه هذا السر العظيم الذي يُنفخ به قلب العارف بالله.

إنَّ إحصاء نِعْمِ اللَّهِ أمرٌ مستحيل وإنَّ نعم الله خفية وجلية. كم نعمة لله من حولك تسري فيك وتسري في أحبابك لم تشعر بها، كم قاصمة ظهر أتت فصرفها الله عنك وأنت لا تدري، وكم من عدو رام أن يؤذيك فصرفه الله وأنت لا تعرف، وكم من حارس من الله يُرسله الله إليك وأنت نائم ولا تشعر، وكم من نعمة لله وهبها لك دون أن تسأل ودون أن تدرك ذلك. إنَّ الله جل في علاه يُنعم على خلقه على قدر ذاته لا على قدر مخلوقاته، ثم يُنعم على مخلوقاته على مقاديره عنده فقد فضّل بعضهم على بعض درجات. وإنَّ الله جل في علاه لم يترك في ملكه مؤمناً ولا كافراً ولا بَرّاً ولا فاجراً إلا وشملته نعمه، فكان رزقه وكان عطاؤه وكان الملك ملكه وكان الكون كونه والأرض أرضه والطعام ما رزق والمال ما أعطى، فليس للإنسان ولا للمخلوق من ذلك شيء، ثم هو يُميت ويُحيي ويُضحك ويُبكي، وهو الذي يستجيب للدعاء فيهبُ ويعطي، وهو الذي إذا أمسك أمراً فقد أعطى غيره: من حرمه من العينين فقد أعطاه بدائل لذلك حتى لا يستشعر بما فقده، وإنَّ الله أعدَّ جنة لا يُحصى ما فيها ولا تعلم نفسٌ ما أُخفي لهم من قرة أعين.

فهذا الأمر الذي نروم أن نتدبر فيه أمر عظيم، لأنَّ مشاغل الحياة وما فيها من معضلات قد تجعلك في حالة الشقاء وأنت في الأصل في حال من السعادة لو تدبّرت نعم الله عليك. إنَّ رجلاً جالساً في مكان يشكو من آلام الدنيا، ينظر إلى شجرة أمامه تُحرّك الريح أغصانها، وعلى أغصانها من ضوء الشمس نصيب، وفيها من ماء نُصرة الحياة نصيب، ولعل طيور حلقت فيها واتخذتها ملاذاً، ولعل الأرض اخضرت تحتها.. وهو ينظر إلى هذا المشهد البهيج، ينظر إليه بتلك العين المليئة بهموم الدنيا، فيحجب عن

جمالها ويُحجب عن كمالها ويُحجب عن حقيقة حالها، ويُحجب عن عظيم سرّ الله في خلقها وعن عظيم سرّ الله في تفصيلها وإجمالها. وإنه لو استُبدِلَ مكانه بأعمى فقد البصر فأعطي أن يرى تلك الشجرة لبرهة من الزمن، لرأى فيها جمالاً لا يراه المبصرون ولسعدَ غاية السعادة أن تمكّن من الرؤية ولو لبرهة من الزمن، ولكن ذلك عنده أهم من كنوز الدنيا وما فيها.

إنّ عظمة الوعي بالنعمة أن تستشعرها قبل فقدها، فإنّ بعضنا لا يعرف الصحة إلا بالمرض، ولا يعرف الحياة وقيمتها والوقت وقيمته إلا بعد الموت، ولا يعرف العينين إلا بالعمى، ولا يعرف المال ونعيمته إلا بالفقر والإمحال، ولا يعرف الهداية وقيمتها إلا بالغرق في الضلال. إنّ كأس الحياة الذي كتبنا عنه مرة قصة، كأس الماء عليك أن تراه بعين الذي ظمى في الصحراء لأيام فوجد كأس ماء، لا بعين الذي تخم من الدنيا وجعل ما فيها شاغلاً له عن ربه.

إنّ الوعي بالنعمة نعمة وإنّ إدراك الإنعام إنعام وإنّ استشعار عظيم ما يهبّ الواهب وهبّ من الواهب سبحانه، أي أنّ استشعار النعم وإدراكها وشكرها وحمد صاحبها **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَلَيْهِ** إنما ذلك إنعام من الله عليك. وإنّ دورك المنوط بك ليس أن تُعيد النعمة لصاحبها ولا أن تجازيه وتكافئه، فإنه قد أنعم عليك من مقام عزيز مقتدر لا يصلُ ضعفك إليه، فلست بقادر على أن تُنعمَ على الله كما أنعمَ عليك، ولا أنت بقادر على أن تُجازي الله على ما أعطاك وتكافئه، فإنك فقير وإنه غني عنك مستغني عن غيرك. ولكنّ أعظم ما وهبَكَ، وهو الذي عذابه كلام ونعيمه كلام، أن وهبك **آلية الوعي والإدراك والشكر والحمد.**

1. فأما الوعي فهو إحاطة ذهنية أو محاولة إحاطة ذهنية بتحقيقات ومصاديق تلك النعم: أنت بصحة جيدة، إنها نعمة عظيمة. أنت ترى وتسمع، نعمة عظيمة. أنت تمتلك من الدنيا شيئاً مما رزقك الله، تلك نعمة عظيمة. هنا تحلّ القناعة، وهنا يزول الطمع ويزول الجشع والهلع.
2. أما ما يكون من إدراك فهو استمرار ذلك الوعي وملازمة هذه النعم أو محاولة ملامتها بالذهن والعقل والجوارح.
3. وأما الحمد فهو شكر المُنعم على العطاء بأخذه أو قبضه أو ضده، فالحمد لله الذي لا يُحمد على مكروه سواه.
4. وأما الشكر فهو عمل قلب ولسان وجوارح حتى يكون حالك كلّ شكرًا لله، وإنّ الحفاظ على تلك النعم من شكر الله عليها، فمن أنعم الله عليه بذرية فليصُنّها، ومن أنعم الله عليه بصحة وجسد فليحافظ عليه، كلٌّ عليه أن يحافظ على ما أعطاه ربه.

معوقات الوعي والإدراك والحمد والشكر

وإنَّ معوقات هذا الوعي والإدراك والحمد والشكر كثيرة:

1. أولها **النفس** التي إنَّ وُهبت قالت: وُهَبَ غيري أكثر مني، وإنَّ أُعطيت قالت: إنَّ هذا العطاء لا يكفي، وإنَّ رُزقت نظرت إلى أرزاق الآخرين، فإنَّ صدَّقها القلب صار الإنسان حاسداً مريض قلب. وإنَّها إنَّ قنعت بما أُعطيت (وهي لا تقنع) مضت إلى الغرور به وقالت: لم يُعْطَ أحدٌ مثلما أُعطيت، فغرَّت صاحبها فأهلكته.

وإنَّ هذه النفس اللثيمة العقيمة السقيمة التي ليس لها قيمة الأمانة بكل سوء تحجب الإنسان عن نِعَم ربه وتريد أن تُدخله في قانون الآية التي ذكرناها آنفاً ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ﴾. إنَّ هذه النفس تريد أن تُبدل كل نِعَم الله كُفْرًا، فأنت ترى رجلاً فقيراً مُعدماً إذا رُزق بمال كثير، وكان من قبل يعيب على أصحاب الأموال بأن أفسدوا وجحدوا، يجحد أكثر مما جحدوا ويُنفق ذلك المال على شهوات نفسه وعلى أوهام عقله وعلى خُلب الدنيا.

إنَّ أصحاب البصائر والضمائر إنَّ أمسك عنهم من نِعَم الله شيء شكروا وصبروا، وإنَّ وُهبوا من نعم الله شيئاً حمدوا وشكروا ونظروا وأبصروا واذكروا ﴿فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾، والإدكار هو فكر مستمر وهو ذكر دائم، قال الإمام علي عليه السلام "إنَّ وجدنا حمدنا وإنَّ فقدنا صبرنا".

2. وإنَّ من معوقات الوعي والإدراك لهذه النعم **مشاغل الدنيا** وهو اجسها وتوق الإنسان إلى كمال الحال، والحال البشري لا يكتمل إنما هو مليء بالنقص لحكمة الله في ذلك ولمنظور الإنسان إلى ذلك. أما الذي ينظر بعين القناعة فإنه سيرقب نعمة الله عليه كل ساعة، وإنما الذي يؤمن أنَّ الله يُحيي ويُميت يرى أنَّ الحياة نعمة وأنَّ الموت نعمة أيضاً ما دام فيه لقاء الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ويرقب النعمة العظمى نعمة أن يعفو الله عنه وأنَّ يستره وأنَّ يُدخله الجنة.

إنَّ نعم الله كثيرة لا تُحصى، وإنَّ الوعي بها واجب على قلبك وعقلك وروحك وذاتك. إنَّك في الشقاء إنَّ لم تستشعر هذه النعم، وإنَّك في السعادة إنَّ تلمست هذه النعم أو شيئاً منها ثم حمدت الله عليها ثم سعدت بما أعطاك ربك دون غرور ولم تنس ربك ولم تنس الذي أعطاك. إنَّ ذكر النعم مع نسيان المُنعم هلاك، وإنَّ نسيان المُنعم والنعم هلاك أيضاً، وإنَّ ذكر النعم وذكر المُنعم لنعمة عظمى.

أعظم النعم

وإننا في مقام هذا الذكر نروم أن نخبركم بما نراه من نعم الله ما هي أعظم النعم، لو سُئلت: ما هي أعظم نعمة أنعم الله عليك بها؟ ما هي أعظم نعمة أنعم الله بها على الإنسان وعلى من خلق؟

1. إن أول نعمة هي "نعمة أنه لا إله إلا هو". إنها نعمة الألوهية، نعمة أن لنا رباً عظيماً كريماً رحيماً غفوراً قوياً شديداً عقاب على الظالمين، يُجيبُ من دعاه ويكشف الضر ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَّرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾، رب قوي عظيم عزيز مقتدر وعد ولم يُخلف. هذه النعمة العظمى الأولى، نعمة الله سُبحانه وتعالى في ذات نفسه، نعمة أنه هو الله. قال الإمام علي زين العابدين ابن الحسين عليه وعلى أبيه السلام وعلى آبائه وأبنائه وذريته السلام:

إلهي كفى بي عزاً أن تكون لي رباً
وكفى بي فخراً أن أكون لك عبداً
أنت كما أحب فاجعلني كما تُحب.

2. وأما ثاني نعم الله فهو النبي الذي خلقه الله رحمة للعالمين وأرسله ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾.

إن ثاني نعمة لله بعد التمتع بأن الله هو الله وهو ربنا سُبحانه وتعالى، ويستتبع ذلك نعمة معرفته والإيمان به والتصديق به وأن أودع ذلك في قلوبنا وجعلنا من أهل ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾ لا من أهل ﴿إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾:

❖ نعمة محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذي جعله نعمة لجبريل وإسرافيل وميكائيل ورضوان ومالك وعزرائيل والملائكة وحملة العرش، إذ هو رحمته للعالمين أي: تجلّي رحمته الكبرى على جميع خلقه من باب سيدنا رسول الله.
❖ ونعمة أن جعل الدخول عليه والوصول إليه من باب رسول الله.

← فتجلّي الله على خلقه من باب رسول الله، ووصول الخلق إلى الله من باب رسول الله، فهو نعمة عظمى.

ويستتبع ذلك نعمة حبه أي أن يُحبك رسول الله فتحبه كما أحبك الله فأحبهته، فلم تسبق الله ولا رسوله في المحبة.

3. ويستتبع ذلك نعمة عظمى حُرِمَ منها كثيرون ممن ادّعوا الإيمان برسول الله وحبه، وهو السفينة التي نوه عنها رسول الله وأشار إليها الله سُبحانه وتعالى ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾ ذلك السبيل إلى الله ذلك الصراط المستقيم. حب آل بيت النبي نعمة، حب علي نعمة وحب فاطمة نعمة وحب الحسنين نعمة، وحب أصول رسول الله والديه وأعمامه نعمة، حب

أبي طالب والعباس وحمزة نعمة، حب عبد المطلب وهاشم نعمة، حب عبد الله وآمنة نعمة، حب خديجة نعمة، حب ذرية النبي نعمة. أمر الله بها وأمر رسوله بها ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ أمر بذلك أصحابه أولاً "مثل آل بيتي فيكم كسفينة نوح" "مثل آل بيتي فيكم كباب حطة" هكذا أراد الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى على لسان نبيه الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى. حب علي الذي قال فيه الحبيب "من كنت مولاه فهذا علي مولاه" نعمة، حب فاطمة قال لها والدها "يا فاطمة إن الله فطمك وذريتك عن النار". هذه المحبة نعمة.

4. حب الصالحين نعمة حُرِّمَ منها كثير من الناس الذين يكرهون أولياء الله والذين يكرهون آل بيت رسول الله ويُزاحمونهم بغيرهم في مقامهم الذي لا يُزاحمون فيه والذي لا يناله سواهم لِصِلَّتْهُمْ برسول الله.

5. محبة أصحاب النبي نعمة، ومحبة الأنبياء نعمة، ومحبة الملائكة نعمة، ومحبة الخلق الطيبين نعمة، ومحبة الصلاح والإصلاح نعمة، وحب الله لله نعمة، والتوق والشوق إلى الله نعمة، والذوق والفهم عن الله نعمة، وما أنزل الله في قلوب من فهم ومن ذوق ومن علم ومن بركة نعمة، ومباركة الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى للناس الذين أحبوا الله ورسوله أن جعلهم صلحاء وصالحين وأصلحهم بتلك المحبة نعمة.

6. إِنَّ اللَّهَ سُبحَانَهُ وَتَعَالَى أنعم علينا بما أنعم به علينا، وَإِنَّ الَّذِينَ يفهمون عنا هذا الكلام لهم في نعمة، وَإِنَّ المحجوبين المحرومين الذين مُلئت قلوبهم غمًا وحسدًا ومرضًا ونصبًا وكُرهًا لآل بيت النبي حتى إذا ذكرناهم تحرك فيهم شيطانهم وبدأوا في حال من المرض وفي حال من الهذيان، هؤلاء المحرومون مساكين.

نحن بنعمة الله علينا ننطق على بيّنة ونتكلم من حُجة وبرهان، وإننا نستمدّ من مدد حقيقي مدد الله ومدد رسول الله وآل بيت رسول الله والصالحين، أمداد من أمداد في مقام تنزّل ومقام محبة ومقام إشراق.

حمدلة عامة شاملة

إننا نروم أن نحمد الله على كل نعمة فنقول:

اللهم لك الحمد على كل نعمة أنعمت بها علينا، أدركنا ذلك أم لم ندركه، وعرفنا ذلك أم لم نعرف،
وشعرنا بذلك أم لم نشعر

ونحمدك ونشكرك على نعمة أنك لا إله إلا أنت ربنا، وأنتك هديتنا إلى الإيمان، وأحببتنا فأحببتنا،
وعزفتنا فعرفناك، وجعلت لنا إليك طريقاً فوجدناك

ونحمدك سبحانه على نعمة سيدنا رسول الله الذي جعلته باباً منك إليك ودالاً بك عليك، وأن
جعلت تجلّي رحمتك من ذاته الشريفة على خلقك، وأن جعلته باباً يؤدي إلى مرضاتك وإلى قربك وإلى
جناتك لا يبلغ ذلك إلا من خلاله، وعلى نعمة محبة آل بيته كما أمرت وكما دعا ومراراً "أحبوا
الله لما يغذوكم به من النعم، وأحبوني بحب الله، وأحبوا آل بيتي لحبي"

ونحمدك على نعمة الصالحين وأمدادهم وعلى نعمة التلقيات والترقيات التي كانت منك بك وما كان لنا
في ذلك من فضل

ونحمدك على نعمة البيان ونعمة البرهان وصدق اللسان والإيمان وثبات الجنان

ونحمدك على نعمة كسر ظهر كل من رام بنا غدرًا أو سوءاً

ونحمدك على إظهار حجتنا على كل من كرهنا وكره مشربنا وكره نسبنا وكره انتسابنا إلى الحبيب
المصطفى وذودنا عنه وعن آل بيته وعن أحبائك أهل الله الصالحين الذين قلت في شأنهم "من
عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب" وفهمنا من ذلك أنك قلت "من أحب لي ولياً فقد آذنته بالحرب، ومن
سالم لي ولياً فقد آذنته بالسلم" وإنا سلّم لأولياك حرب على أعدائك، بقوة هي منك لك وبنعمة هي
منك لك وبتقدير هو منك لك ليس لنا في ذلك فضل

ونحمدك ونشكرك على هذا الجميل الذي أظهرته، وعلى القبيح الذي سترته، وعلى الذنب الذي
غفرته، وعلى السيف الذي بنا أشهرته، سبحانه لا إله إلا أنت

خاتمة

أحبابنا الكرام نرجو أنّ هذه الكلمات لامست قلوبكم ونرجو من كل سليم قلب أن يكمل الرحلة معنا إلى الله ورسوله وإلى محبة هذا العظيم ومحبة نبيه الكريم وآل بيته الكرام والصالحين من أصحابه ومن الذين كانوا قبل ذلك وبعد ذلك، وندعوكم إلى راية محمدية بيضاء إلى راية المحبة وراية السلام والوئام، وندعوكم إلى التدبر والتفكير وإعمال العقل والفهم عنا في ما نقول.

أما مرضى القلوب فندعوكم إلى التدبر مجدداً ومقارنة ما نقول بما تقولون، وأن تقرأوا ما كتبنا وأن تنظروا فيه: هل غلبت حجتكم على حجتنا؟ وهل ظهر لكم في ميدان تنازلونا فيه فارس من فرسانكم على فارس من فرساننا؟ ألا والله لا تعلقوا لكم علينا راية فرايتنا هي راية جدنا المصطفى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، هي الرفيعة المنيعة حتى لو قُتِل من آبائنا من قُتِل وعلت خيولكم على أجسادهم فإنّ المقتول أعلى من القاتل كما قال الشيخ عمر المختار "أما أنا فسأعيش أكثر من شانقي". إنّ المقتول قُتِل حُباً في الله وإنّ القاتل يمضي إلى غضب الله ﴿حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ﴾.

وإنّ رايتنا سيجددها الله، هذا زمن النور المحمدي هذا زمن المدد الرباني هذا زمن تجلّي السرّ المهدوي، سيُركس الله رايات أعداء محمد وآل بيته ويُركس الله رايات أعداء ذريته ويُركس الله رايات أعداء الصالحين، بعد أن مُنحوا ما مُنحوا من فترة أظهرها فيها من تفجيرهم وتدميرهم وتخريبهم حقائق قلوبهم، وأنّ قلوبهم تشابهت مع الذين قتلوا ابن فاطمة ومع الذين قتلوا الناس في تاريخ الأمة كله، ولو أنهم استطاعوا لقتلونا كما قتلوا الأولين، ولكنّ الله مخزيهم وناصرنا، ولكنّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى هازمهم ومُعَلِّبنا عليهم بإذنه وقدرته، وليس فيهم إلا وضيع لئيم عُنُلّ زنيم لا يُحب في الله إنما يُحب في أهواء نفسه وأوهامه ومرض قلبه. نسأل الله لهم زيادة مرض حتى لا يُبصروا حتى لا يكونوا إلا كما كان الذين سبقوهم كما قال الإمام علي "وإنهم ما يزلون في أصلاب الرجال وأرحام النساء حتى يُقاتل آخرهم مع الدجال". أما أهل المحبة فحيهلا على الأعبة حيهلا على أهل المودة إنكم من الله لنا نعمة.

نسأل الله دوام هذا الوصال وصدق الحال وتجلّي الجمال ومقام الجلال والكمال بسيدنا محمد إمام الأقطاب الرجال، وبرجال الله الأقطاب والأبدال، وبالذين هم لرسول الله خير آل، وبكل من له على الله ومن الله دلال ووصال.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم وأحمده على نعمه وأرجو فضله مزيداً، وإن شاء الله نستمرّ في هذه المسيرة العلمية العرفانية، نستمرّ معكم ونستمرّ بكم،

جزاكم الله خيراً والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

الحاضرة بتاريخ: 31-01-2022



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

التأمل الثالث والثلاثون: عن علي ؑ أحدثكم

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله الذي لن يجد الظالمون من دونه وليا، الذي اصطفى محمداً واجتبي علياً، وجعل لآل محمد نوراً جلياً، ورفعهم مكاناً علياً. والصلاة والسلام على نبي الله حبيب الله رسول الله سيدنا محمد ابن عبد الله، وعلى آل بيته سر نوره وقُربِ نجواه، وعلى من قال عنه "من كنت مولاه فهذا علي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه"، صلّ اللهم وبارك على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد كما تحب وكما يحب وكما يحبون حتى ترضى ويرضى ويرضون وننال بذلك منك نظرة الرضى يا رب العالمين.

أحبابنا في الله، أحباب رسول الله، عشاق آل بيت النبي، عشاق الإمام علي، أحباب التقي الولي، السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته. ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُنِيمَ نُورَهُ﴾ ﴿وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾، إننا في يوم مبارك من أيام الله، يوم نستذكر فيه ذكرى عطرة طيبة لها القلوب العاشقة تنظر بلهفة وعشق ومحبة، ذكرى مولد الإمام علي عَيْهِ السَّلَامُ وليد الكعبة وشهيد المحراب، الذي صلى القبلتين ولم يعبد الصنمين، ابن القمرين ووالد النيرين، الذي كان لرسول الله قرّة عين، بطل بدر وخيبر وحُنين، والد الحسن ووالد الحسين، سيدنا الإمام علي.

ويطيب لي في هذه الذكرى العطرة أن أنشد مما أنشد القلب البارحة:

فَأَسْأَلُ هَذَاكَ وَدَعَّ فِي الْقَوْلِ مَنْ ظَلَمُوا
مَا صَدَّهُ الْكُفْرُ لَا قَدْ رَدَّهُ الْأَلَمُ
فَالْأَرْضُ شَاهِدَةٌ وَالْحَزْبُ وَالسَّلْمُ
فَهُوَ الْإِمَامُ وَظَةَ السَّيِّدِ الْعَلَمُ

هَذَا عَلِيٌّ وَهَذَا السَّيْفُ وَالْقَلَمُ
مَوْلَى الْإِبَاءِ أَخٌ لِلصَّبْرِ صَاحِبُهُ
فِي كُلِّ مَكْرَمَةٍ لِلْفَخْرِ تَقْصُودُهَا
مَنْ لِلنَّبِيِّ أَخٌ هَارُونَ بِغَنَّتِهِ

عليه من الله أزكى السلام.

مقام الإمام علي عليه السلام

ويطيب في حضرته الكلام، وإنما على طيب القول عنه وعلى طيب المدد منه وعلى نور وخير العناية الإلهية التي تحلّ على كل قلب يُحِبُّه وعلى كل قلب يعشق ذلك السرّ وذلك الجمال وتلك الشخصية العظيمة التي حَيَّرت المشارق والمغارب، فارساً وشاعراً وإماماً وحكيماً وقائداً وولياً ووصياً وصبياً، بل إننا نقول لو أنّ علياً كان في الأمم الأولى لكان نبياً رسولاً، ولكنّ رسول الله قد عبّر عن هذا المعنى إذ قال: "أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي"، أي أنّ للإمام علي مقام عظيم، لولا أنّ الله سبحانه وتعالى اجتبى واصطفى سيدنا رسول الله ليكون خاتم النبيين والمرسلين. فإنّ للإمام علي مقاماً قريباً من رسول الله حتى ناداه أنت مني بمنزلة هارون من موسى، وحتى قدّمه بما قدّمه به الله إذ قال "من كنت مولاه فهذا علي مولاه"، يعني بذلك الإمامة المطلقة التي كانت لرسول الله يأخذها عنه الإمام علي، وصيّة جليلة واضحة ليست من هوى نفس رسول الله ولا ميلاً منه إلى ابن عمه وإلى صهره وإلى أخيه وإلى تلميذه والذي وُلد بالكعبة ورُبِّيَ عند رسول الله وتربّي في حُضنه ونشأ بين يديه، إنما وحياً من الله وأمرّاً من الله وتفويضاً من الله. وهذه الشخصية العظيمة التي حَيَّرت العقول إنما هي تجلّ جبروتي وجلالي وجمالي لنور سيدنا الرسول.

إنّ سيدنا علي أحقّ الناس بصحبة الرسول وكما قال حفيده جعفر الصادق "لو لم يخلق الله علياً ما كان من عدل للبتول". إنّ الإمام علي هذا الذي كان أشجع الفرسان وأفرض العرب وأشرف من حمل السيف، لأنّ رسول الله لم يُؤذَن له بحرب بيده لأنه في مقام التبليغ، ولكنّ الله أعطى ذلك السيف وجلّى قوة سيدنا محمد في سيدنا علي، جلّى هذه القوة الهاشمية الربّانية، جلّى أنوار المصطفى الجلالية في سيدنا الإمام علي، وجلّى فيه مرايا ذات سيدنا رسول الله، كما جلّى من ذلك في سيدتنا فاطمة الزهراء حتى قال لها "شابهت خلقي وخلقي"، وجلّى ما جلّى من ذلك في الإمام الحسن وفي الإمام الحسين وفي علي الأكبر حتى قال عنه الإمام الحسين وهو يُقتل "اللهم إنهم قتلوا أشبه الناس بنبيك"، وجلّى ما جلّى في سيدنا جعفر حتى قال عنه أيضاً "شابهت خلقي وخلقي يا جعفر".

هذه العترة الطيبة الطاهرة التي لا يستقيم إيمان مؤمن ولا يشهد له بخلاص الإيمان وإخلاص القلب وإخباته ما لم يكن له محباً، ومن لم يركب سفينتهم فهو هالك لا محالة بنص كلام رسول الله

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ إِذْ قَالَ: "مَثَلُ آلِ بَيْتِي فِيكُمْ كَسَفِينَةِ نُوحٍ"، "مِثْلُ آلِ بَيْتِي فِيكُمْ كَبَابِ حِطَّةٍ"، "آلِ بَيْتِي سَفِينَةُ النِّجَاةِ مِنْ رِكْبِهَا نَجَا وَمَنْ تَخَلَّفَ عَنْهَا هَلَكَ"، "أَلَا وَإِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ الثَّقَلَيْنِ مَا إِنْ تَمَسَّكْتُمْ بِهِمَا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدِي أَبَدًا: كِتَابُ اللَّهِ وَعَتْرَتِي آلِ بَيْتِي، أَلَا وَإِنَّهُمْ لَنْ يَفْتَرِقُوا مَعَ الْقُرْآنِ حَتَّى يَرُدُّوا عَلَيَّ الْحَوْضَ"، "آلِ بَيْتِي وَالْقُرْآنَ لَا يَفْتَرِقَانِ حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ"، "لَا تَعْلَمُوهُمْ فَإِنَّهُمْ أَعْلَمُ مِنْكُمْ وَلَا تَنَافَسُوهُمْ فَتَهْلِكُوا"، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْوَصَايَا الرَّبَّانِيَّةِ النَّبَوِيَّةِ الْمُصْطَفَوِيَّةِ الَّتِي نَصَّبَتْ عَلَيَّ عَظِيمَ هَذِهِ الْمَنْزِلَةِ.

"أَنَا مَدِينَةُ الْعِلْمِ وَعَلَيٌّ بَابُهَا"، "عَلِيٌّ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُ"، لَا يُوَدِّي عَنِّي إِلَّا أَنَا أَوْ عَلِيٌّ"، "إِنَّ اللَّهَ جَعَلَ نَسْلَ كُلِّ نَبِيٍّ مِنْ صُلْبِهِ وَجَعَلَ نَسْلِي مِنْ صُلْبِ عَلِيٍّ"، "النَّظَرُ لَوَجْهِ عَلِيٍّ إِيْمَانٌ"، "عَلِيٌّ قَسِيمُ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ". وَقَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: "صَرِيَّةٌ عَلَيَّ يَوْمَ الْخَنْدَقِ بِعَمَلِ الثَّقَلَيْنِ". إِنَّ النَّازِلَ بِإِنصَافٍ لِمَظْلَمَةِ الْإِمَامِ عَلِيٍّ وَقَضِيَّتِهِ، وَالْمَحَقَّقَ الْحَصِيْفَ الدَّرْبَ الذِّكِّيَ الَّذِي يَقْرَأُ بَيْنَ صَفْحَاتِ التَّارِيخِ وَالْأَحْدَاثِ وَيَسْتَقْرئُهَا وَيَسْتَنْطِقُهَا وَيَسْتَنْبِطُ مِنْهَا وَيَسْتَجْلِي خَبَايَاهَا وَيَسْبِرُ أَعْوَارَهَا وَيَغُوصُ فِي خَفِيَّاتِهَا وَجَلِيَّاتِهَا وَمَتْنِهَا وَسُنْدِهَا، يَجِدُ جَلِيًّا أَنَّ هَذِهِ الْأُمَّةَ مَحْرُومَةٌ مَظْلُومَةٌ لِأَنَّ هُنَاكَ مِنْ حَجَبَ عَنْهَا أَوْ حَاوَلَ أَنْ يَحْجِبَ عَنْهَا هَذِهِ الْأَنْوَارَ، أَنْوَارِ عَلِيٍّ وَفَاطِمَةَ وَالْحَسَنِينَ وَذُرِّيَّاتِهِمَا، لِأَنَّ هَذِهِ الْأَنْوَارَ سَبَبٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ وَإِلَى رَبِّهِ، إِنَّهَا الْوَسَائِلُ الَّتِي فَرَضَهَا اللَّهُ، إِنَّهَا الْمَنْزِلَةُ الَّتِي لَا يَزَاحِمُونَ عَلَيْهَا. "هَؤُلَاءِ أَهْلُ بَيْتِي أَذْهَبَ عَنْهُمْ الرَّجْسَ وَطَهَّرَهُمْ تَطْهِيرًا" قَالَ ذَلِكَ عِنْدَ نَزْوْلِ الْآيَةِ ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾، فَوَضَعَ تَحْتَ الْكِسَاءِ عَلِيًّا وَفَاطِمَةَ وَالْحَسَنِينَ. وَكَذَلِكَ فِي الْمَبَاهِلَةِ تَشِيرُ كُلُّ التَّفَاسِيرِ عَنِ قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ﴿وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ﴾ أَنَّ الْمَعْنَى بِنَفْسِ النَّبِيِّ الْإِمَامِ عَلِيٍّ.

بيان حق لأهل الحق

إننا في هذه الحضرة المباركة والساعة الطيبة المباركة نريد أن ننطق ببيان حق يسمعه أهل الحق لا نخشى في ذلك لومة لائم، وإنما نتقرب إلى الله بهذا ونقول من باب الإنتساب إلى هذا الدين والإيمان بنبي الهدى واليقين، من باب التصديق ومن باب الإيقان ومن باب محبة رسول الله وطاعة أمره ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾، ومن باب الذب عن الذين أمر رسول الله أن نحبهم "أذركم الله في أهل بيتي"، "الله في أهل بيتي"، وكان إلى آخر أيامه الشريفة يُذَكِّرُ بِذَلِكَ، وَمِنْ بَابِ انْتِسَابِنَا لِمَدْرَسَتِهِمْ وَمَحَبَّتِهِمْ، وَمِنْ بَابِ نَسْبِنَا إِلَيْهِمْ دَمًا وَمَحَبَّةً وَسِرًّا وَوَصْلًا وَأَصْلًا وَفَصْلًا، مِنْ جَمِيعِ هَذِهِ الْأَبْوَابِ وَمِنْ غَيْرِهَا لَا يُمْكِنُ بِأَيِّ حَالٍ مِنَ الْأَحْوَالِ أَنْ نُحَاطِلَ أَوْ نُدَاهِنَ فِي إِيْمَانِنَا أَوْ فِي دِينِنَا، أَوْ أَنْ نُدَاهِنَ فِيمَا اكْتَشَفْنَاهُ مِنَ حَقَائِقِ التَّارِيخِ وَفِيمَا أَوْقَفْنَا تَحْتَ الْمَحْمُودِيَّةِ الْبَيْضَاءِ الَّتِي جَاوَزْنَا بِهَا الْإِتْمَاءَ الْمَذْهَبِيَّ، نَحَاوِرُ بِذَلِكَ كُلَّ عَقْلِ فَطْنٍ وَكُلِّ قَلْبٍ مَحَبٍّ، وَنَخَاطِبُ بِذَلِكَ كُلَّ ذِي لُبٍّ وَكُلِّ مَنْ يَفْهَمُ فِي الْمَنْطِقِ وَمَنْ يَفْهَمُ لِسَانَ الْعَرَبِ، لَا نُرِيدُ مِنْ وَرَاءِ ذَلِكَ شَرْذِمَةَ مَذْهَبِيَّةٍ، وَلَا تَفْتِيئًا وَلَا تَقْسِيمًا، وَلَا نُرِيدُ مِنْ وَرَاءِ ذَلِكَ أَنْ نَزْرِعَ فِتْنَةً أَوْ نُؤَجِّجَ حَرْبًا كَمَا سَيِّدَعِي الْمَدَّعُونَ، إِنَّمَا هُوَ الْحَقُّ وَالْإِحْقَاقُ وَالتَّحْقِيقُ وَالتَّحَقُّقُ، وَكَلَامُ حَقِّ حَقِيقٍ عَلَيْنَا أَنْ نَقُولَهُ، وَيَحِقُّ لَنَا وَيَجِبُ عَلَيْنَا وَهُوَ حَقٌّ لِلْإِمَامِ عَلِيٍّ وَلِرَسُولِ اللَّهِ قَبْلَ ذَلِكَ عَلَيْنَا.

ولن يكون البيان مفصلاً حيث أنّ هنالك قضايا في تلك المرحلة وما كان بعد وفاة رسول الله لا يمكن أن يفصل فيها الفصل الكامل إلا الله سبحانه وتعالى في يومين:

1. يوم يُظهر قائم آل البيت حتى يأخذ حقهم ويفصل في كل قضية ومسألة، ونرجو من الله أن يكون ذلك قريباً.
2. ويوم يبعث الناس إليه، والله يحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون

ولكن ثمة أمور وجب فهمها وإدراكها.

حب الإمام علي عليه السلام فوق المذاهب

أولاً إذا قلنا أننا نحب ونوالي الإمام علي فلا يشترط هذا انتماءً مذهبياً، لا يعني حب الإمام علي أنّ الذي ينطق بذلك ويلفظ به إن كان سنياً خرج من مذهب أهل السنة، أو يلزمه أن يترك المدرسة التي نشأ عليها سواء المذاهب السنية المعروفة أو المذاهب الشيعية التي ظهرت عبر تاريخ من المحن ومن الآلام ومن الاضطهادات الكثيرة. هذه التواريخ التي لا يتحمل السني العايم مثلاً وزرها، والتي من الظلم والحيث بل من الحُقم والغباء أن يحاول بعض أدعياء التشيع للإمام علي أن يزجوا عامة المسلمين في معارك التاريخ وأن يجبروهم على أخذ مواقف لا يقدرّون عليها وعلى الفصل في أمور ليس لهم أن يفصلوا فيها، أو أن يدّعوا أنّ كل ناطق بحب الإمام علي ما لم يتمذهب بمذهبهم إنما هو مُدّع للمحبة. وهذا ظلم وجور وغرور كبير، لأنّ من محبي الإمام علي مسيحيون كتبوا عنه ما لم يكتب المسلمون، اقرأوا عن هؤلاء الذين كتبوا روائع القصائد في حب الإمام علي وكانوا من أتباع السيد المسيح أو من أبناء الديانة المسيحية، خاصة مسيحي المشرق، فهل نردّهم؟ أم نصدّهم؟ أم أننا ننشر المحبة ونريد من يحب. وهل هنالك من هو مُفوّض من الإمام علي لينطق مكانه؟

إنه من الظلم ومن الحيف بمكان أن يظن ظان أنّ محبة الإمام علي هي التزام مذهبي فقط، أو أن يظن أنّ أهل السنة قاموا على بُغض الإمام علي، لأنّ المدقق المحقق في كلام الإمام الشافعي على سبيل المثال وكذلك غيره من أقطاب هذه الأمة سيجد محبة كبيرة عظيمة، خاصة أقطاب التصوف الذين كانوا في معظمهم (إن لم يكونوا أجمعين) من ذرية الإمام علي، فإن لم يكونوا فهم موالون له: معروف الكرخي تربي عند الإمام الكاظم، والحسن البصري هو تلميذ الإمام علي، والشيخ عبد القادر حسني حسيني، وكذلك أعلامنا في بلاد أفريقيا خاصة سيدي إبراهيم الرياحي الذي قال فيما قاله:

و فرع الطهر بالحسن الولي
قتيلاً من يد الشمر الشقي

إلهي قد سألتك بالنبى
بمولانا الحسين ومن قد أضحي

ويعدّد الأئمة إلى الإمام المهدي ثم يقول في آخر قصيدته التي توجد في كتاب <<تعطير النواحي بمنابح إبراهيم الرياحي>> وكتاب <<سيدي إبراهيم الرياحي>> للكاتب أحمد الشريف، يقول في ختامها:

أموت عليه بالعهد الوفيّ

أدم لي حب أهل البيت حتى

إنّ في أبناء هذه الأمة أجمعين عشاق للإمام عليّ على اختلاف مذاهبهم، وإننا بالدعوة المحمدية البيضاء نقول أنّ مجمع العشاق هذا عليه أن يتجلى أكثر، لأنّ الزمن اليوم زمن انكشاف الحقائق، زمن ظهور النور المحمدي، زمن الحجّة وظهور الحجّة، وهذه الأمور جليّة لكل ذي لبّ. إنّ أعداء الإمام علي عبر التاريخ من النواصب وممن شاكلهم وأعداءه اليوم في حال مختلف، فأعداؤه من قبل كانوا يقتلون من يحبه وكانوا يمنعون ذكر فضائله وكانوا يحجّبون الكتب. أما اليوم رغم كل ما فعلت الوهابية ودواعشها فإنّ عشاق الإمام عليّ في ازدياد، لأنّ المعلومة صارت ممكنة، وصار بإمكان أي واحد منا أن يقرأ الكتب على اختلاف المدارس، أن يقرأ لكُتّاب ومؤرخين من مدرسة السُّنة ممن أنصفوا ونطقوا بالحق، ويقرأ لآخرين من مدرسة التشيع أيضاً ومن غيرها من المدارس. وهو بذلك عندما يقرأ ويستقرئ يستجلي الحقائق التي شوّهت وحُرّفت كما فعل سيف ابن عمر التميمي الذي خرج بكذبة عبد الله ابن سبأ وبعدد كبير ممن عدّهم من الصحابة والرّواة لم يكن لهم وجود في الحقيقة، وهذا أثبتته عدد من المستشرقين وعدد من الكُتّاب المسلمين والمحققين والمؤرخين.

آل البيت ليسوا فقط قضية مظلمة

وإننا إذ نقف في باب المحبة هذا، وإذ تستوقفنا مشاهد عديدة تُبيّن قيمة الإمام عليّ ومقامه الذي لا يُزاحم فيه، وأنه الأقرب إلى رسول الله وأنه أعظم الفرسان بأمر الله وأشجع الشجعان بفضل الله وأكرم الكرماء بعد رسول الله، أنه قد ظلّ حقيقةً، وظلم سيرةً ومسيرةً. ولكنّ ذلك لا يمنع من إشراقات الأنوار ولا يمنع من نظر فيه أمل، لأننا إذا حصرنا أهل البيت في المظلومية وحصرناهم في ركن من الحزن، وأضفنا إلى ذلك مشاهد مثل أنّ الإمام عليّ "كان يضرب على فخذه وبتول رسول الله تُضرب" وهذا لا يمكن أن يكون على وجه الحقيقة أبداً رغم كثرة من ينشره، فإنّ هذه المسائل كلها إذا صُفّيت وإذا نُظر إليها من باب المحبة والإعتدال والفكر الثاقب الصحيح، نجد مجالات للفرح والإبتهاج، مجالات للإعتزاز والإقتداء، مجالات تدفعنا إلى دعوة، إلى ذكر خصال الإمام عليّ خارج إطار المظلمة، وإلى ذكر خصال الإمام الحسن خارج إطار استشهاده فقط، وإلى ذكر مكارم الإمام الحسين طيلة حياته وعلومه وجهاده خارج إطار المشهد الكربلائي حصراً، دون إغفال المشاهد الأخرى ودون إغفال ذلك الصبر وذلك الإباء وذلك البلاء العظيم. ولكنّ النظر لحكمة ذلك وما خلفه أيضاً أمر مهم لأنّ هذه المعاني هي المعاني التي ستطرح في دولة الحجّة، ستطرح في دولة العشاق التي ستقوم بعون الله، أعني بذلك ما سيكون بأمر رب العالمين وبقدرة ربّ العالمين دون قدرة أحد من البشر الضعاف المساكين.

إنّ الإمام عليّ عليه السلام مدرسة عظمى، وإننا عندما نقف لنحدّثكم عن الإمام عليّ نشعر بضآلة أحجامنا وقلة فهمنا وعجزنا وتقصيرنا، ونرى هذا الجبل الأشمّ العظيم، ونرى أننا أقل حجماً من الحصى. ولذلك لا يكون الكلام عنه إلاّ منه، ولا يكون وصفه إلاّ من تجلّي مراهي سرّه ومدده ونوره، ولا يكون هذا إلاّ من عميق المحبة التي تُجيز لناقص أن يتكلم عن كامل، ولضعيف أن يتكلم عن قوي، ولشقي أن يتكلم عن

نقي، وهذه من عجائب المحبة وما تصنعه بالبشر !! إننا لولا هذه المحبة ما كان لنا قدرة ولا حق ولا جرأة على مثل هذا المجلس.

إنّ الكلام عن سيدنا الإمام عليّ كلام يفوح منه المسك، كلام يمتلئ بالجلال والجمال، كلام يعانق الكمال ويروم الوصال ويصدق مع الله في كل حال. إنّ الكلام عن سيد الرجال بعد سيد الرجال، عن الذي قدس سرّه ربّنا ذو الإكرام والجلال، الكبير المتعال، **لكلام يُدخلنا في حضرة الحال، وفي خمرة من خمور الأنس ومجلس من مجالس القدس،** لأنّ الإمام عليّ وُلد في جوف الكعبة من أبي طالب وفاطمة، وكان أبوه سيد البطحاء، كريماً شريفاً عزيزاً ألبياً، وكانت أمه هاشمية، فاطمة بنت أسد، وكانت نقية وليّة صالحة. وبين هذين الصديقين أبي طالب وفاطمة كان سرّ ولادة هذا الإمام مع أشقاء له ظلّمهم أقلام المؤرخين وظلمتهم قريش بحسدها، فلا نجد ذكراً لطالب الذي له قصائد في مدح رسول الله والدفاع عنه، وظلم عقيل ونُسب إليه ما نُسب من جُبن وغير ذلك من أمور هو بريء منها، وكذلك الإمام جعفر الطيار وما كان له من شأن وما كانت له من منزلة.

في هذه الدائرة النورانية يولد الإمام عليّ عليه السلام

وإنّ ظلم أبي طالب ظلم لرسول الله وظلم للإمام عليّ، لأنّ الإمام عليّ تجلّى لنور سيدنا أبي طالب، فسيدنا أبو طالب ربّي رسول الله وكان عليه وصياً وهو من الأوصياء، مؤمن آمن قبل أن يُبعث رسول الله بل قبل أن يولد، لأنّ أباه عبد المطلب مؤمن موحد، وكذلك هاشم كان موحداً، وكانوا جميعاً من سلالة طيبة إلى سيدنا إسماعيل ليس فيهم كافر ولا متعبّد لصنم، حتى أنّ عبد المطلب كان يقول "لم يبق على الحنيفية الإبراهيمية غيري وأولادي".

وكان عبد المطلب يعلم أنّ رسول الله سيولد في أجل قريب، ويعلم عن قصة أوردتها سيدنا إسماعيل وأورثها عن فيل سياقي قبل أن يولد النبي المنتظر، فلما جاء الفيل نظر فيه نظرة علم ففرج فقال، بعد أن قال لأبرهة "أنا ربّ الإبل والنُّوق وللبيت ربّ يحميه"، قال "اللهم إنّ المرء يحمي رحاله فاحم رحالك". أهذا كلام عابد لصنم، أهذا كلام كافر بالله؟! وقد عرف في ابنه عبد الله الذبيح الثاني، وعرف في رؤيا التي رأى فيها زمزم وأعاد حفره ووجد غزالتين من ذهب، وعرف فيما رآه من آيات أنّ النبي قد حلّ وقته، بل رأى في آمنة سرّ ذلك وعرف أنّ أبرهة قادم لقتل النبي ولم يكن فقط يريد هدم الكعبة، فقد هدمها الحجاج ولم يأت طير أبابيل.

ولما رأى تلك الآية رافقه أبو طالب وشهد مع فاطمة بنت أسد ومع السيدة آمنة معجزة عظيمة لرسول الله قبل أن يولد بخمسين يوم، معجزة كتلك التي تجلّت على السيدة العذراء عندما وُلد المسيح فكلمها، وكلمتها الملائكة قبل ذلك، فمن أدري أنّ الملائكة لم تُبشّر السيدة آمنة؟! وآمنة أعظم مقاماً لأنّ ابنها أعظم مقاماً، ومقام الأم من مقام مولودها. وهذه أمور يعرفها العارفون بالله ويجهلها الجاهلون بالله وينكرها المبغضون لرسول الله. عند ذلك ظهرت الآية ومحق الله سبحانه وتعالى بقهره، وخصّهم بعد أن ابتعدت قريش خلف حجاب ووقفت في الجبل بأمر عبد المطلب، رأى أبو طالب الآية واستيقن. ولما

وُلد رسول الله قال جده "هذا هو النبي المنتظر" وأنشد أبو طالب "وأبيض يُستسقى الغمام بوجهه". فكيف يعقل أن يكفر بنبوته وقد صدّق بها قبل ذلك؟ ثم إنه حماه من يهود، وسمع من رهبان الشام ما سمع، وأخبروه أنّ هذا هو النبي المنتظر.

في هذه الدائرة النورانية يُولد الإمام عليّ، فيريد الله أن يجعله في جوف الكعبة لأنه جوف الإيمان، لأنه لا يثبت إيمان مؤمن ما لم يحب الإمام عليّ، لأنّ امتحان المشركين كان في رسول الله وامتحان المسلمين كان في الإمام عليّ.

الإمتحان الحقيقي في حب علي وآل بيت النبي

إنّ المعنيين بكلام رسول الله عندما قال "لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق" ليس أولئك المشركون، إنما من أسلموا، سيظهر الله منه خلال محبة الإمام عليّ هل أسلموا أم آمنوا، فهم بين مقام الأعراب الذين أسلمت ألسنتهم ولم تؤمن قلوبهم، وبين مقام المؤمنين حقاً، وما المنافقون إلا الذين ادّعوا الإسلام أي نطقوا بذلك (بنص سورة المنافقين).

وعليه، فكما امتحن أبو جهل وامتحن الذين رفضوا الدين برسول الله فحسدوه ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾، كذلك امتحن الذين بايعوا رسول الله وجاءوا عند رسول الله وقالوا نؤمن أنك رسول الله وكذبهم الله في كتابه العظيم، كان امتحانهم في الإمام عليّ. وما دعاء رسول الله عندما قال "اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله" إلا بيان وجود نوعين: نوع يواليه ونوع يعاديه، نوع ينصره ونوع يخذله.

وإنّ هذا استمر حتى قال رسول الله "علي قسيم الجنة والنار"، أي أنه في هذه المرحلة التي تنطلق من وفاة رسول الله إلى ظهور المهدي سيكون الإمتحان ليس فقط في الإيمان برسول الله بل الإمتحان الحقيقي في حب علي وآل بيت النبي. وأنتم ترون عبر التاريخ كم من عشاق عليّ قُتلوا، دعبل الخزاعي ومالك الأشتر وقُتل من قُتل بعد ذلك، الحجاج والسهروردي وغيرهم والطبري والجاحظ وابن المقفع، وكذلك النسائي الذي كتب كتاباً في فضائل عليّ فقتل لأجل ذلك. وها أنتم ترون أيضاً أنّ الإمتحان الحقيقي فعلاً في محبة عليّ وآل البيت، فإنّ هنالك أقوام يكرهون ذكره ويشتمّون، وكأنما قلوبهم وُصلت بهند وهي تلوك كبد حمزة وبالمبغضين للإمام علي والحاسدين له.

وكأنّ بسورة يوسف تتكلم عن يوسف الثاني ﴿آيَاتٍ لِّلسَّائِلِينَ﴾، عن الذي حفر الآبار ليوجي بقصة بئر يوسف، حسداً لجمالته ومقامه لرسول الله، وحسداً لأنه "الأعطين الراية غداً رجلاً يحبه الله ورسوله ويحب الله ورسوله" ولم يستطعها إلا الإمام عليّ، لرجل برز لابن وُد ولم يبرز غيره وقتله وما كان لغيره أن يقتله، حتى قال "ضربة عليّ يوم الخندق بعمل الثقلين"، "ضربة عليّ يوم الخندق بعمل أمي إلى يوم القيامة"، لرجل أمره رسول الله أن يصعد على كتفيه ليهدم الأصنام وما كان ذلك لغير علي، لرجل لم يبرز له فارس يحاربه إلا غلبه ولم يفرّ قط وما كان ذلك إلا لعليّ، لرجل زوجه الله بالبتول الزهراء وما كانت

لُزَّوجَ لغير عليٍّ، لرجل آتاه الله الحسنين السبطين وما كانا ليكونا لغير الإمام عليٍّ، لرجل رفع رسول الله يده وقال "الله مولاي وأنا مولى كل مؤمن ومؤمنة، ألا من كُنْتُ مولاه فهذا عليٌّ مولاه" وما كان ذلك ليكون لغير الإمام عليٍّ، لرجل تَرَبَّى في حضن رسول الله وما كان ذلك لسواه، لرجل تركه رسول الله في فراشه فافتداه بنفسه شاباً وما استطاع ذلك غير الإمام عليٍّ، لرجل عندما ذهبته عنه الدنيا لم يبكها وقال "يا صفراء يا بيضاء غرِّي غيري"، وعندما أخذ الخلافة ركب حماره بثوبه المرقع وقال "أنا الذي أذلَّ الدنيا"، لرجل كان فصيح اللسان ثابت الجنان قوي البيان عظيم البرهان، لرجل قال عن نفسه "محمد النبي أخي وصهري، وحمزة سيد الشهداء عمي، وجعفر الذي يُمسي ويُضحى يصلي مع الملائكة ابن أُمِّي، وبنْتُ محمد سَكْنِي وَعُرْسِي مَشُوبَ لحمها بدمي ولحمي، وسبطا أحمد ولدائي منها، فأَيْكم له سهم كسهمي".

هذه نقولها حقيقةً واعتزازاً وافتخاراً بهذا الإمام العظيم. اسمع حُطْبَه لتعرف أقرب اللفظ لكلام الله وكلام رسول الله، وانظر قصائده لترى الفصاحة والبلاغة التي يذهل بها امرؤ القيس ويعجز عنها البُحْثري وأبو تمام والمتنبي، وانظر في قصائد أبيه لتعرف الأصل، حتى أنّ ابن سلام الجمحي قال في كتابه جمهرة أشعار العرب عن قول أبي طالب عَلَيْهِ السَّلَامُ في قصيدته الطويلة:

هو خير أديان البرية دينا

ولقد علمت بأنّ دين محمد

قال أنها أفضل من المعلّقات وسماها المعلقة الحادية عشر.

لذلك إننا نتكلم عن إمام بأنّ ما تعني الكلمة، عن فارس مغوار، عن ساموراي السماء، عن مقاتل لا يُشَقُّ له غبار، عن عاشق معشوق، عن واثق موثوق، عن صادق صدوق، عن الذي قال "والذي برأ النَّسْمَةَ أنه لعهد رسول الله إليّ ألاّ يحبّني إلّا مؤمن ولا يبغضني إلّا منافق"، وله من الكلام عجيب الحكّم وله من المواقف عجيب ما يفعل الواصلون إلى الله بالله.

ظلم الإمام لأنه جسّد الجلال المحمدي

إنّ ظلم الإمام علي وحربه لأنه جسّد الجلال المحمدي، فما من بيت من قريش إلا وقد قتل الإمام علي أشدّ فرسانهم فتكا، وإنّ الإمام علي عندما قام بذلك كان يؤدي واجبه تجاه ربه وتجاه نبيه، وإنّ رسول الله الرحمة المهداة ما كان له أن يحمل سيفاً ويقاتل، ولو قاتل لكان أشدّ ضراوة. بين علي وحمزة في بدر، وعند علي وهو في مشاهد الجمل وصقّين وغيرها والنهروان، هنالك كلام كثير.

بين علي ورسول الله تُرفع روحه الشريفة وينتقل إلى جوار ربه على صدر الإمام علي، وارجعوا إلى حديث الإمام ابن عباس حتى تفهموا ذلك، فما كان لرسول الله أن يحتمل مغادرته للدنيا أحد إلا الإمام علي، قال "ففاضت نفسه فمسحت بها وجهي".

وبين الإمام علي وهو يضم قبر السيدة فاطمة ويقول:

أرى علل الدنيا علي كثيرة
لكل لقاء بين خلين فرقة
وإن فراق فاطم بعد أحمد
وصاحبها طول الزمان عليل
وكل الذي دون الفراق قليل
دليل علي ألا يدوم خليل

إلى قوله، وقد بلغه ثم رأى ابن ملجم وقد حمل السيف وامتشقه، وقيل هذا يريد بك شراً، فقال: "أأقتلي قاتلي؟ إن رسول الله قال لي: أتعلم يا علي من أشقاها؟ أحيمر عاد، والذي يخضب هذه من هذه"، وأنشد الإمام: حيازيمك للموت فإن الموت آتيك *** ولا تجزع من الموت إذا حلّ بواديك، إلى مشهد أم كلثوم ابنته وهي تقول له قبل أن تفيض روحه: "واحزني عليك يا أباي"، فقال: "لا حزن على أبيك بعد اليوم".

الإمام علي أخفى قبر السيدة فاطمة ثم خرج يحمل سيفه يتوكل عليه من شديد حزنه عندما أراد البعض نبش هنا أو هناك بحثاً عنها. والإمام علي أمر بإخفاء قبره وطلب من الحسنين أن يخفيا ذلك، وخرجت جنازة غير حقيقية وأخرى كانت سرية، حتى دلّ على مكانه الإمام جعفر الصادق.

إنّ هذا الألم أنّ القبور نفسها تُخفي لأنه يعلم بغض المبغضين له، هذا الحقد كان على رسول الله ولكنهم تقمّصوا الإيمان وادّعوه ادّعاءً فكان الإمتحان بعلي، لم يحبه إلا مؤمن ولم يكرهه ويزاحمه إلا منافق أو ذو مرض نفاق. هذا بيان دون أن نفصل فيه ودون أن نغوص فيه ودون أن ندخل في إشكالياته، يكفي أن نقول لكم جميعاً: من كان يريد لقاء الله ويريد أن يكون تحت راية رسول الله، فعليه بقول رسول الله "من كنت مولاه فهذا علي مولاه".

المحمدية البيضاء

هذه المحمدية البيضاء، كن سنياً أو شيعياً أو كن ما تريد، ولكن إن قلت "لا إله إلا الله محمد رسول الله"، فاعلم أنّ رسول الله وضع في عنقك ولاءً للإمام علي، وأنّ الله فرض عليك مودة للقربي، وأنّ رسول الله أمرك وأمر الصحابة قبلك وقال لك ولهم "أحبوا الله لما يغذوكم به من النعم، وأحبوني بحب الله، وأحبوا آل بيتي لحبي"، ولم يكن ذلك مزحاً ولم يكن ذلك لافتقار آل البيت للمحبة، الله يحبهم ورسوله والملائكة وصالح الإنس والجن والخلق من قبل ذلك، إنما لافتقار أنت إليهم. إنّ رسول الله دلّ الأمة على طريق النجاة، ودلّهم على سفينة نوح، ودلّهم على باب حطة، وكما أنّ سفينة نوح لم يركبها إلا قلة وباب حطة لم يدخله إلا قلة، فإنّ باب حطة آل البيت لا يدخله إلا قليل وسفينتهم لم يركبها إلا قليل. ﴿وَإِنْ تُطِغْ أَكْثَرُ مَنْ فِي الْأَرْضِ يَضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ﴾ ﴿لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَىٰ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ هذه محنة أرادها الله سبحانه وتعالى ما لنا في ذلك يد ولا لنا في ذلك فهم كامل، حكمة مرة شبيهة بقتل الخضر للغلام. ولكننا نرجو من الله سبحانه وتعالى أن ينشر راية محبة محمد وآل بيته، أن تغمر كل قلب مسلم مؤمن موحد أيّاً كان مذهبه، سواءً كان سلفياً أم صوفياً، سنياً أم شيعياً، أم كان زيدياً أم إباضياً أم كان على أي مدرسة من هذه المدارس.

والله إننا لنعجب من جورج شدياق أو غيره عندما ينشد عن الإمام علي من أبناء المسيحية الذين لم يدخلوا في الصراعات التي دخلت فيها الأمة، إنما نظروا بأعين منصفة. فكيف يُعقل أو يُقبل أن مجرد الكلام عن الإمام علي يُصبح تهمة، وأن حب الإمام علي يُصبح سبّة، وأن من قال أحب علياً وأواليه قيل له نظردك من نادي السنة الذي نملكه. إن مدرسة السنة قامت على محبة آل البيت، إن أقطابها في الحديث وفي الفقه وفي التصوف كانوا مواليين لآل بيت النبي، إذ أن الفقه من جعفر الصادق إلى الإمام مالك وإلى أبي حنيفة وإلى الشافعي وكثير من الحنابلة الذين كانوا من تلاميذ الشيخ عبد القادر الجيلاني. إن التصوف من آل البيت ومدرستهم، إن الحديث منهم ولهم، وإن السنة سنة جدّهم وإن الذين قد جعله الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مَوْصُولاً بهم حتى قال رسول الله "كتاب الله وعترتي" "آل بيتي والقرآن لا يفترقان حتى يرده علي الحوض".

وإن بياني هذا وكلامي هذا وموقفي هذا ومشهدي هذا لإثبات نسبٍ وِصْلَةٍ وكرامة لهم وليس ذلك كرامة لي. إن هذا البيان وما كان من بيان وما سيكون إنما برهان عليهم حتى يُعرف إن كان هذا الشعاع الضئيل فكيف بتلك الشمس العظيمة، وإن كانت هذه الشمعة الخافتة فكيف بتلك الأقمار العظيمة المنيرة الكبيرة، وإن كان هذا الضئيل فكيف بأولئك العظماء الكرماء؟ إن الذين يبارزون علياً في ميادين التاريخ وميادين الفضل والذين ما زالوا يتباهون بمن هم دونه إنما هم قوم في قلوبهم مرض. إن الذين يكرهون ذرية النبي ويحسدونهم ويؤذون لو أن الأرض تنشق وتبتلعهم ولا يسمعون كلمة عن علي وفاطمة والحسنين إنما يبغضون رسول الله في الحقيقة. إن الذين يقولون أن أبا النبي عبد الله الطاهر المطهر الذي لو كان قبل رسول الله وبينه وبين إسماعيل أنبياء في ذرية إسماعيل لكان أبوه وكان جدّه. إن الذين يكرهون آمنة ويقولون أنها في النار وهي زهرة قريش وأم خير خلق الله. أو الذين يصدّقون أن أقلّ الناس عذاباً أبو طالب "جمرتان يغلي منهما الرأس". إن هؤلاء لمرضى، وسيحلّ بالذين يبقون في هذه الدنيا زمن المهدي عذاب أليم، ويحلّ بالذين انتقلوا عن هذه الدنيا عندما يلقون الله عذاب أليم ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ- إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾.

نستذكر الإمام في مولده

إننا في مولد الإمام علي نستذكر شجاعته وكرمه وكرامته وطيبته، ونذكر أبا تراب "قم يا أبا تراب"، نذكر محبة رسول الله له، نذكر عناية الله به، نذكر حب الزهراء له وحب الحسنين وزينب، نذكر حب الملائكة ونذكر محبة كل طيب للإمام علي، نذكر أمجاده وأيامه، نذكر خير ونذكر قتله لمرحب، ونذكر الأحزاب وقتله لعمر ابن ود، ونذكر بدراناً ونذكر عمه حمزة وأخاه جعفر، ونذكر له طفولته التي كانت في خدمة رسول الله. نذكر له أمجاد والده الذي أحب رسول الله وآواه وجعل لحمه على لحمه وكان يأمر ابنه طالب أن ينام مكانه، نذكر فداءه وفدائيته، نذكر طيبته، نذكر قدمين فيهما زُرقة السفر انتفختا لأنه بعد أن أدى أمانات رسول الله مضى على قدميه إلى المدينة، نذكر رسول الله يضمّه، نذكر هجرة الفواطم. نذكر للإمام علي أنه لم يتأخر عن تلبية نداء رسول الله أبداً، ولم يهرب ويفرّ أبداً، نذكر أنه كان يصدّ السهام عن رسول الله بجسده، نذكر له مواقفه العظيمة الكريمة عندما انتقل رسول الله وقال له

"لتجدن أثره من بعدي، فقال: أفي ديني يا رسول الله؟ قال لا، قال: إذأ لا أبالي". نذكر قوله "لولا العهد الذي أخذه الله على المؤمنين ألا يصمتوا على بطش ظالم أو سَعَبَ مظلوم لألقيت أولها على آخرها ولألفيتم دنياكم هذه عندي أهون علي من عطفة عنز". نذكر هذا الإمام الذي كان يبكي طول الليل متهجداً وهو يقول "يا صفراء يا بيضاء غري غيري"، نذكر توسله لله وكأنه أتى بذنوب الأولين والآخرين وهو الذي لم يقترف ذنباً، نذكر أنّ الله زوجه بكاملة وما كان ليكون زوجة الكاملة إلا كاملاً، نذكر قربه من عصمة رسول الله ومن نور رسول الله ومن سر رسول الله حتى قال عنه "الحق مع علي يدور حيث دار".

نذكر كل ذلك بمحبة، نعم لم نجتمع به في دار الدنيا لم نجتمع به على هيئة التجسيد، ولكن كم اجتمعنا به على لقاء الأرواح في غفلة الأشباح، وكما كان بيننا في زمن ألسنت من اتصال سرّ بسرّ، لكأنّ الأمر من نفس الشجرة "الناس من أشجار مختلفة وأنا وأنت يا علي من نفس الشجرة"، هذه شجرة محمد وآل بيته. كان بيننا وبينه ما كان، وسيكون بيننا وبينه بعد شهقة الموت ما يكون، في برزخ عليين برحمة الله وشفاعة رسول الله وحبنا لعلي وفاطمة والحسين وذرياتهم وحبنا للأنبياء قبل ذلك والصالحين. وسيكون لنا بعون الله في جنة رب العالمين معهم مقام، وسيكون لنا بعون الله فيما هو قادم قريب مع قائمهم مقام. إنها أيام لله ستظهر وستنجلي وإنه الحق الذي نقوله، وإنا ما ننطق زوراً وما نأتي بهتان، ولا نقول كلاماً فيه تقية نستخفي فيه خوف أحد، إنما ننطق عن حكمة، فإنّ اختفاء رسول الله في الغار لم يكن لمخافة بل لحكمة، وما نُخفي في غار المعنى وغار التاريخ والصمت ليس لخوف بل لحكمة، ونعلم الكثير ونقول القليل.

خاتمة

وإننا عندما نتكلم عن الإمام علي ندعو لحبه لأنّ الله ورسوله دعا إلى ذلك، ونأسف ونألم لما كان ولا نُحمّل عوام المسلمين شيئاً من ذلك. ولا ندعو لتمزق المذهبية وانقسام الطائفية، بل إننا نقول إننا في هذه المدرسة التونسية الزيتونية المباركة وجدنا مجتمعاً رحمانياً بين التسنن والولاء لآل البيت، وشواهد ذلك كثيرة حتى قال ابن أبي الضياف في كتاب <الإتحاف>: "وحب علي وآله دارج في عموم أهل إفريقية، يشترك في ذلك عالمهم وجاهلهم، وصغيرهم وكبيرهم، ونساءهم ورجالهم، حتى أنّ نساءهم عند الولادة ينادين: يا محمد يا علي". وهو من كان وزيراً وكان تلميذ إبراهيم الرياحي العلامة الكبير عميد هذه المدرسة الزيتونية وأحد أركانها وله مدائح في آل البيت كما ذكرنا.

إننا ندعو إلى المحمدية البيضاء، إلى وضوح الرؤيا وإلى شجاعة الفكر والموقف. إنّ وقوفنا مع الإمام علي وقوف واحد، حتى لو كان من غير هذا الدين، حتى لو كان من غير البشر، إنما هو وقوف للحق، فكيف وهو إمام المسلمين بعد رسول الله؟ وكيف وهو الذي بسيفه ذبّ عن رسول الله، وهو الذي أقام الله به لرسول الله دولة الإسلام؟ دون أن نقزّم دور أحد من أصحاب رسول الله ولا مقام أحد من خلص أصحاب رسول الله، ولكنّ الإمام علي لا يُضاهى ولا يُبارى ولا يبلغ شأوه أحد لأنّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى خَصَّهُ بهذه الخصوصية، ففيمّ المزاحمة؟

إننا نحب الإمام علي، وأذكر لي مشهداً في مقامه بالنجف عندما أنشدتُ أمام ضريحه الشريف:

إني الغني بكم لا لست أفترقُ
يا من هم كنفُ إن جئتُ أقصدهم
إن كنتُ مفتخرًا بكم سأفتخرُ
يا من هم بشرٌ لكن ولا البشرُ

أسأل الله جل في علاه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَنْ يزيدنا ويزيدكم محبة لرسول الله ولآل بيت رسول الله، وأن يشملنا ويشملكم بنظرة من سيدنا الإمام علي صاحب الذكرى والبشرى، أن يجعلنا ممن يواليه لا ممن يعاديه، أن يجعلنا ممن ينصره لا ممن يخذله، أن يجعلنا من راكبي السفينة وأن يشقّعهم فينا، وأن يجعلنا من جند الإمام عَلَيْهِ السَّلَامُ ومن خاصة خاصته يوم يُكشف القناع ويكشف عن ساق وتظهر الحقائق التي تصدم الكثيرين.

إنّ الراية المحمدية خفاقة في عالم المعنى وستخفق في عوالم المبنى وسوف يُتمّ الله لآل بيت النبي ما وعدهم: مُلك الدنيا ومُلك الآخرة. ولذلك كان وصل الإمام علي بالمهدي وصلًا عظيمًا حتى قال عنه يصفه "إنه في كهف الزمان، وإنّ اسمه سر مطلسم، وإنّ أمرنا هذا مستصعب لا يقدر عليه إلا ملك منزل أو نبي مرسل أو رجل شرح الله صدره للإيمان" نسأل الله لنا ولكم من ذلك. اللهم صلّ على محمد وعلى آل محمد حتى يرضى محمد وآل محمد، وببّغ الإمام علي منا السلام،

والحمد لله رب العالمين .

المحاضرة بتاريخ: 14-02-2022



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

التأمل الرابع والثلاثون: التوحيد والنبوة والإمامة

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله الذي رفع السماء ومثّن البناء وأحيا الموتى وأمات الأحياء، وصلى الله على إمام الأنبياء وصفي الأصفياء وسيد الأقطاب والأولياء وعلى آله آل الكساء شفاء كل داء الذين روجي لهم الفداء.

السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته في هذا الدرس الجديد من التأملات العرفانية والذي يتعلق بموضوع مهم فيه مزج بين علوم العقيدة والشريعة وجوانب من مقام الإحسان ويتعلق بمعاني التوحيد والنبوة والإمامة. ولهذا الدرس دواعي كثيرة، من بينها أنّ لدى البعض خلطاً ومزجاً بين مختلف المقامات، حتى أنه ظهر من قبل ويظهر اليوم من يتكلمون بوحدة الوجود والحلول والاتحاد وأنّ الله يتحد بخلقه، وأنّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى إِذَا مَا اقْتَرَبَ مِنْ عَبْدٍ وَدَخَلَ الْعَبْدَ فِي أَبْوَابِ الْحَقِيقَةِ فَلَا يَكُونُ إِلَّا اللَّهُ بِمَعْنَى أَنْ يَصْبِحَ ذَلِكَ الْعَبْدُ هُوَ اللَّهُ، "أدخل يا أنا" كما تجدون في بعض القصائد التي سكر أهلها، **ومن باب المعاني الذوقية لعل ذلك يُستساغ ولكن من باب العقيدة الحقّة فإنّ ذلك لا أساس له.**

وضمن هذا الدرس نحاول أن نبسط شيئاً من معاني التوحيد والكلام عن الألوهية، من معاني النبوة والكلام عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وعلى الأنبياء، ومن معاني الإمامة وما استشكل منها. ولكنّ هذا المبحث مبحث طويل وهو أولى بأن تُكتب عنه كتب، لذلك سنقوم بمجمل مختصر عن هذه المعالم.

باب التوحيد

ونبدأ بدرس التوحيد، وقد بيّنا في كتابنا <<الياقوت في أسرار الملكوت>> ضمن المجلس الأول (وهو كتاب في مجالس إن شاء الله ننشره بينكم قريباً) في معنى الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، معنى هذه الذات العظيمة أو المعاني التي يُنظر بها إلى هذه الذات العظيمة.

الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** خالق كل شيء، تعالى أن يحلّ في شيء، وتعالى أن يكون في شيء، وتعالى أن يُشابهه شيء، تعالى الله جل في علاه أن يكون في السماء وقد خلق السماء، وللسماء بداية خلق وليس لله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** بداية، وإذا حلّ الله في السماء فإنّ الذي يحلّ في شيء يكون أصغر من الذي حلّ فيه، والذي يحلّ في شيء يكون له حجم وحيث وجهته، وهذا مستحيل في حق الله تعالى، فالله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** لا جهة له ولا حدّ له ولا شكل له، ولا يمكن لخيال أن يتخيّله على مثال، ولا يُشابه شيئاً مما خلق، ولا يجوز أن نقول "الله يدّ كما للإنسان يد غير أنه ليس كمثلته شيء" أي أنّ تلك اليد هي يدّ على وجه الحقيقة غير أنها غير مشابهة، وهذا أيضاً من هرطقات مدرسة القراء التلمودية التي أثرت في ابن تيمية وأثرت في المجسّمة بعدها، لأنّ الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** عندما تكلم عن اليد فلها معاني التأييد والنصرة ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ أو ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ﴾ وهنا بقوة، وغير ذلك، إنك بعيني ﴿فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾. فلذلك لو جسّمنا ذلك لتخيّلنا حاشا لله أن يكون هذا الخالق بأعين العنكبوت بأعين كثيرة أو كما صوّروه شاب أمرد يجلس على الكرسي. بل لو أنّ العرش يُظنّ أنه مجلس لله فيعني ذلك أنّ الله قد احتوي في شيء من خلقه، وما العرش إلا مجلّي لتجلّيه، لتجلّي أنواره. ولا يعني الإسراء والمعراج أنّ رسول الله صعد إلى جهة الله أو إلى أقرب نقطة من الله، فليس لذلك من معنى، بل هي سُمّوات في مراتب الوجودات وارتفاع إلى أعلى المراتب إلى أقرب المجالي من باب ما قرّب الله به ذاته لخلقه على ما يعلم لا على ما نعلم، لأنّ الإحاطة والجهة والحدّ والنظر فكل ذلك (الحدّ المنظور والحدّ المخفي والحدّ الظني) كل هذه (اللانهايي والنهائي وما سواها) كل هذا من عوالم الخلق، أما الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** فهو الذي له بداية ليست كالبدايات وهو الأول الآخر الظاهر الباطن المتعالي **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** الذي لا يُشابه شيئاً.

ولذلك فإنّ الكلام عن الحلول والاتحاد من هرطقات هندوسية ومن هرطقات أتى بها بعض الذين دخلوا في هذا الدين على غير حقيقته وأمور أخرى أخذوها في جوانب من الفلسفة، وهذا لا يجب أن نُخدع به.

المعنى الشرعي لاسم الله عزَّجَلَّ

أما المعاني التي طرفتها بدايةً من كتابنا <<الياقوت في أسرار الملكوت>> فقد كان سؤال المعلم لتلميذه: حدثني عن المعنى الشرعي والمعنى الذوقي والمعنى الفعلي لاسم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ثم يُجيبه أن:

1. **المعنى الشرعي** أن يكون الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى هو **المعبود الأوحد**. فالله جل في علاه لا معبود سواه ولا يُعبد غيره، وإن عُبِدَ غيره فبخطأ من المخلوق وظنّية غلبت عليه ﴿اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ﴾. وهو أوحد إذ أنه لا شريك ولا نظير ولا والد ولا ولد ولا زوج له، ولم يجعل له شركاء في ملكه، ولم يجعل له شركاء ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ ولكن هذا لا يعني زيارة الأولياء والتوسل بالأولياء والأنبياء فذلك باب آخر والذين رَوَّجوا لذلك كانوا يجهلون الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، لأنَّ **التوسل قمة في التوحيد** إذ أنه إيقان أن الله سبحانه وتعالى جعل أبواباً إليه وفرض تلك الأبواب على أهل الرغبة في ودّه وليس على أهل ودّه إلا أن يدخلوا الأبواب التي عرّفها فعرفوا فدخلوا، أما الراغبون في الودّ عليهم أن يتعلّموا علم التوسل أن يدخلوا على الله بأبوابه: أعظم باب وأول باب وأكبر باب باب سيدنا محمد ثم باب أهل البيت وباب الصالحين كما بسطنا في الدرس الأخير من دروس الفتح المحمدي.

2. وأما **المعنى الذوقي** لاسم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فهو **المحبوب المرغوب المطلوب** بمعنى أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يجب أن يكون المحبوب الأعظم والمرغوب الأكبر والمطلوب الأهم، لأنه إن كان المحبوب الأعظم الدنيا على وجه الحقيقة (ويكون الله محبوباً على وجه المجاز) ولو امتحن في الدنيا لأحب الدنيا أكثر، أو إن كان المرغوب حتى الجنة أكثر من محبة الله في ذاته، أو إن كان المطلوب درجة قرب ومرتبة يعلو بها الإنسان فتكون صلواته لأجل أن يتحقق بالكرامات وأن يتحوّل إلى كائن خارق، فهذا كله حُجب.

أن يكون محبوبك الله ومرغوبك الله ومطلوبك الله، ولما يسري ذلك النور فيك حينها يُحبّبك الله إلى الأقرب إليه فالأقرب إليه، فتجد نقشاً في قلبك أن المحبوب بالألوهية هو الله والمرغوب بالألوهية هو الله والمطلوب بالألوهية هو الله، ثم يكون المحبوب الأحب بالخلقية رسول الله والمرغوب الأكبر بالخلقية رسول الله والمطلوب الأعظم بالخلقية رسول الله، لأنّ بعضهم يظنون أن المطلوب المحبوب المرغوب الأكبر بالخلقية هو الحور العين والجنة والنعيم، ولكنَّ **الحقيقة أن الجنة خادمة لرسول وأنّ رسول الله أجمل من الجنة وأنّ لقاءه وحضنه وضمّه والقرب منه والأنس به أعظم من كل نعيم الجنة**. فليس أعظم من نعيم قرب الله وليس أعظم من نعيم الأنس بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فذلك هو الأعظم، ثم يكون بعد ذلك وتحت ذلك الأنس والقرب من حبيبنا محمد ثم من فاطمته وعليّه وآل بيته والأنبياء والملائكة وهذه الآية العظيمة ﴿النَّبِيِّنَ وَالصّٰدِقِيْنَ وَالشّٰهَدَاءِ وَالصّٰلِحِيْنَ وَحَسَنَ أَوْلٰدِكَ رَفِيْقًا﴾.

3. وأما **المعنى الفعلي** لهذا الاسم العظيم ولهذه الذات العظيمة من باب تجلّيها الفعلي على ما خلق الله ومن باب حقيقة هذه الذات في باب المعتقد: فهو **الفاعل والمفعّل لكل فعل وفاعل ومفعول**

به ومفعول فيه. وهذه المعاني المُجملة من جوامع الكلم إنما تعني أنّ الفاعل على وجه الحقيقة هو الله ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ﴾. الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى هو المتحكّم في ملكه، والذي لا يتحرّك شيء في ملكوته إلا من بعد أمره أو إذنه.

فأما الأمر فهو ما كان من أمر الشريعة ومن عوالم الأمر ﴿مَنْ كُلَّ أَمْرٍ﴾ كما تجدون في سورة القدر. وأما الإذن فيشمل كذلك العوالم التي عصت والتي طغت والتي بغت وشاهد ذلك قوله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى ﴿وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾. وهذا الإذن فيه امتحان ومحنة، لذلك الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى أذن لإبليس أن يبقى النظرة التي أنظره لها وأن يقوم بالدور الذي أراده الله له سُبحَانَهُ وَتَعَالَى من حكمة خلقه حتى يجعل فتنة حتى يجعل امتحاناً ﴿أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تُوْزِرُهُمْ أَرَا﴾ ﴿وَقَدْ مَكَرُوا مَكَرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكَرُهُمْ﴾ ﴿وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ ﴿وَأُمْلِي لَهُمْ إِنْ كَيْدِي مَتِينٌ﴾ ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا وَأَكِيدُ كَيْدًا﴾ ﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِّ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا﴾.

هذه الفعلية: ﴿اللَّهُ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ﴾، الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى آلف بين قلوبهم ﴿لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلْفَتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلْفَ بَيْنَهُمْ﴾، والله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى جعل ﴿لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ﴾، والله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى حجب أقواماً عن النور وهم في قرب منه ومتع أقواماً بالنور وهم بعيدون عنه، فحجب أبا جهل على صلة النسب والقرب المكاني والعشرة الطويلة مع رسول الله، وفتح الباب لأويس القرني الذي لم يلتقي رسول الله في الدنيا أبداً من باب عالم الشهادة وإن كانت هنالك لقاءات أخرى من باب الأسرار "إني أرى نوراً من جهة اليمن" أو قال "إني أرى نور أخى أويس" وأوصى الصحابة بأن يدعو لهم، إلى غير ذلك من مقامات هذا الأمر وهذا الكلام.

فهو الفاعل على وجه الحقيقة، الفاعل إما بأمره أو بإذنه، أي أنه هو الذي خلف كل فعل، ﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ﴾ بمعنى أنّ الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى يُعطي الخير ويُلهم فعل الخير هذا بأمره، أما من يقتل ومن يظلم فقد أذن الله ضمن حكمة خلقه وضمن حكمة لا ندرکہا في الدنيا، فهو لم يفعل الشر سُبحَانَهُ وَتَعَالَى ولم يظلم ولكنه أذن بذلك من باب الامتحان. فقد أذن بما أراد لمن أراد على ما أراد، أجرى الخير على أقوام وأجرى الشر على أقوام، كما قال "طوبى لمن أجرى الخير على يديه وويل لمن أجرى الشر على يديه".

فهو الفاعل على وجه الحقيقة المتحكّم على وجه الحقيقة، والمفعّل: أي أنه الذي يمنح قدرة الفعل. هو المفعّل، أنّ الله لو لم يخلق ما كان خلق، لو لم يُحرّك هذه العوالم ما تحرّكت، لو لم يمنح الإنسان قدرة ما كان له قدرة، لو لم يمنح أهل الخير وأهل الشر أموالاً وقدرات وغير ذلك حتى كلُّ يُنفق ماله وقدرته في ما سخره الله له كما قال الحبيب المصطفى "كلُّ مُيسر لما خُلق له" لما كان من ذلك شيء. هو المفعّل لكل فعل وفاعل ومفعول به ومفعول فيه: الجانب المكاني الزماني أي أنّ الله سطر الأقدار لكل فترة أمر. والجانب أيضاً الفعلي في حدّ ذاته، لكل فاعل وفعل ومفعول به: التفاعلية بين الأشياء، الحركات المدارية في الكواكب، حركات الذرات والإلكترونات، التفاعلات في جميع أنواعها، ما يكون منه حيوية هذا الوجود وحركية التاريخ وتدافع الأحداث ﴿دَفَعُ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ﴾، حتى يكون حكمة لهذا الوجود، وهذا أمر مستمر في الجنة وفي النار وفي عوالم الملائكة والجن والشياطين وما كان قبل ذلك وما بعده.

فهذه المعاني وهذه الذوقانيات التي نتكلم عنها يجب على الإنسان أن يعرف أقلها وأن يعرف الحد الأدنى منها حتى يقي نفسه ويعصم نفسه، لأنّ هنالك من يتكلمون أنّ الله في السماء وأنّ الله له يد وله رجل، وأنّ الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** -وحاشاه من ذلك- أنه يشابه من خلقه من خلق. هنالك روايات موضوعة أنّ الله "خلق آدم على شكله" و "خلق آدم على شاكلته" وهذا أيضاً كلام مردود على أصحابه. وبعضهم يدخل حتى في أبواب التصوف ويتكلمون أنّ الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** يحلّ في خلقه وأنّ الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** متحد بهذا الوجود اتّحاد ذات بذات، وهذا أيضاً لا يجوز، هم لا يفرّقون بين السمع والبصر والقدرة والقرب بمعنى القرب الإلهي ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ وبين الأمور الذاتية.

الذات متعالية الذات محجوبة الذات مجهولة بالكلية، الذات لا يحاط بها من جانب العقل، ولا يحاط بها من جانب التصوّر، ولا يحاط بها من جانب التوهّم، ولا يحاط بها من جانب الظنّ، ولا يحاط بها من جانب الخيال، ولا يحاط بها من جانب التجسيم أو محاولة الملاءمة بين التجسيم والتزييه أن قالوا "الله رجل كما للبعير رجل غير إنه ليس كمثله شيء". هنالك فيديوهات تتكلم بها وهذا شيء مضحك في الحقيقة ويرجعون لحديث الجارية قالت "الله في السماء"، ﴿أَمْ أَمِنْتُمْ مَّن فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا﴾ ظنوا ذلك أنّ الله جالس في السماء. الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** لا يحاط به، خلق السماء وابتدأها وكان قبلها وأحاط بها ولم تُحط به، و "أحاط بها" لا يعني أنه موجود يُحيط كهالة من الضوء حول الكون، أنه بعد نهاية الكون ستجد الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** الله يستطيع أن يخلق بليار كون:

"كل عدد مهما كان فهو عدد ويُحاط به

وكل مكان مهما اتسع فهو مكان ويُحاط به"

وكل الخلق مهما كثر عددهم كأنهم واحد ﴿مَا خَلَقْتُمْ وَلَا بَعُنْتُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾. الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** كما يرزق فرداً ويُراقب فرداً، يرزق أعداداً لا يتخيّلها العقل، خلق ما لا نتصوّر ﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ وما مسّه من لغوب، ولا يشغله شيء عن شيء، ولا يحجبه شيء عن شيء، ولا يُركّز على هذا من باب أنه يراه ويسمعه (إن جازت عبارة التركيز هنا حسبما يظنون) فيسهو عن الآخر.

إذا خيّلوا الله شكلاً فهذا الشكل محدود بشكله، فإنه إذا جاز أنّ الله له شكل شاب أمرد (كما يُروّجون) جالس، فإنّ الجالس لا يرى خلفه، هنالك أماكن عمياء عند الإنسان لا يستطيع أن يراها: هل أنّ الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** لا يرى إلا أمامه ولا يرى خلفه؟! وأنه يُجلس رسول الله على جانبه الأيمن ويُجلسه على العرش، وقال ابن تيمية "إذا جلس الله على الكرسي ومدّ رجله سمع له أطيّط كأطيّط الرجل الجديد" وذكر ابن بطوطة أنه حضر درساً لابن تيمية فقال "ينزل الله من السماء كنزولي هذا" ونزل من المنبر، فضُرب بالقباقب والأحذية في المسجد، وسُجن أكثر من مرة.. ثم يسمّونه شيخ الإسلام، وهذا لا يكون حتى صبي من صبيان الإسلام!! لذلك يجب أن ننتبه جيداً.

الألوهية والربوبية

إن النبوة وهب من الربوبية. إن الربوبية والألوهية والخلق مقامات، فالله **سُبْحَانَهُ وَعَالَى هُوَ إِلَهَ الَّذِي**:

- ❖ يألوه الخلق أي يعبدونه
- ❖ ويتألّهم أي أنه هو الذي خلقهم وبرأهم وذراهم وأزهمم أن يعبدوه طوعاً وكرهية ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالًا لَهُمْ بِالْعُدُوِّ وَالْأَصَالِ﴾ حتى ظلك يسجد، حتى ذراتك تسجد، حتى أكبر الكفار كل ما فيه يسجد لله وينطق يوم القيامة ﴿أَنْطَقْنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾، تشهد عليهم أعينهم وأرجلهم وأيديهم وجلودهم، ولما يقولون لها: لم شهدت علينا؟! تقول ﴿أَنْطَقْنَا اللَّهُ﴾. حتى الشيطان العاصي: كل ما فيه ملك لله وساجد لله، لذلك هذه معاني عظيمة عندما نتأمل فيها.

أما الربوبية فهي **كفالة الخلق**، لذلك قال سيدنا يوسف ﴿إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ﴾ أي كفيلي أي الذي ربّاني، رب البيت أي كفيله وضامنه وحارسه. وتعني أيضاً **المرّبي**، عندما يكلم سيدنا رسول الله ﴿إِنَّ رَبَّكَ﴾ ﴿وَقُلْ رَبِّ﴾ أي مرّبيك الذي ربّك وعلمك وأدّبك حتى قال **"أدّبني ربي فأحسن تأديبي"** هذه معاني.

أما "توحيد الربوبية والألوهية" الذي خرجوا به على الناس والذي قتلوا من أجله الناس والذي ذبحوا في سبيله الناس فهذه المعاني ابتدعوها، أخذوها كما قلت من مدرسة القراء في بلاد الشام التي هي مدرسة تلمودية يهودية لها أغصان من بينها الماسونية والصهيونية ومن بينها الوهابية وفروعها.

ولذلك يجب أن نفهم وأن نركز على هذه المعاني، وإن كنت هنا أتكلّم بمنهج خضري في العقيدة، بمنهج ورثناه عن آبائنا آل البيت وتلقيناه صدرّاً لصدر، وهو فيه ما يلائم المدرسة الأشعرية والمائريدية والعقيدة الطحاوية والنسفية، ولكن فيه أيضاً ما فيه مما يفوق ذلك لأننا بحمد الله عندما ورّثنا هذا العلم فقد ورّثناه على معاني أرقى ومباني أعظم وفهم أكبر، وهكذا قال جدنا المصطفى **"لا تعلموهم فإنهم أعلم منكم"**، وسيكون لهذا العبد الفقير إلى ربه الغني به في مجال الأيام القادمة ما نثبت ذلك بالبرهنة كما أثبت فيما كان. وعليه، يجب أن نفهم هذه المعاني.

لقد قيل أنّ الإستواء "قهر"، **والقهر لا يكون إلا بعد افتكك من سابق ومنع لللاحق**. لما استوى: قهر العرش؛ من الذي أخذه من عنده؟! ومن الذي يخشى أن يأخذه من عنده؟! إنما **الإستواء تجلي**، أي تجلّى تجلياً لا يتحمّله إلا العرش، ثم جعل ستاراً فنبتت الأنوار من خلف الستار على الفرش (أي ملك الله كله)، والكرسي وعاء يحمل السماوات السبع، وغير ذلك من التفاصيل والأسرار والمعاني الكثيرة التي لو تكلمنا فيها لطال الكلام ولتحيّرت الأفهام، وما خالط ذلك شيئاً من الأوهام، هكذا ورّث محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ذريته هذا العلم يتلقونه تلقياً، آل محمد لا يُقاسون "كبيرهم لا يُقاس وصغيرهم جمره لا تُداس، زُقوا العلم زُقاً".

فهذه كلمات مبسّطة في معانٍ عقائدية يجب أن نفهمها وندرکها، وأن نعلم أنّ الله ليس في السماء ولا يُشبهه شيء، وأنّ هنالك معاني... طبعاً موضوع الصفات وقدم الصفات وهل هي الذات أو غير الذات هل هي عين الذات.. هذا موضوع يطول، ولكن نتركه لوقته إن شاء الله.

باب النبوة

أما الباب الموالي فهو باب النبوات، والنبوة ما آتى الله أنبياءه الذين اختارهم الله في فترة آدم وقبل ذلك، وهؤلاء جميعاً ألزموا بالعهد لرسول الله واستمدوا منه روحاً قبل أن يأتي إلى الدنيا. وختم الله الأنبياء بسيدنا محمد، وختم الرسائل بسيدنا محمد، وليس هنالك في الخلق أعلى رتبة من سيدنا محمد. **وسيدنا محمد عبدٌ لله محبوبٌ لله مُرادٌ من الله مخلوقٌ من الله مرزوقٌ من الله محفوظٌ من الله**، كان تجلياً من تجليات رحمة الله بل هو أعظم تجليات رحمة الله.

لما ابتدأه فخلقه فكان أول من خلق ﴿وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾، ثم تجلى الله جل في علاه عليه فقربه وأدناه إليه، وألهمه وفهمه وأعطاه، وأكرمه وكرمه وفضله وسلّمه وكلمه وناجاه، ورفعته إلى موضع لا يرفع إليه سواه، ولقاه ولقنه ورقاه، وفي حضرة القدس أبقاه، وعنده مما عنده وخير ما عنده أعطاه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وكان مولاه. فذلك هو محمد رسول الله في مقام الأحمديّة قبل أن ينزل إلى المحمدية، كان روحاً عظيمةً **"كنت نبياً وآدم منجدلٌ بين الماء والطين" فجعل النفخة الروحانية الآدمية أحمديّة وجعل الطينة المحمدية آدمية**، وفي هذا علم طويل وكلام يطول.

ثم إنَّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى انتخب له من الأصلاب والأرحام أطهرها، فضلت هذه الأصلاب والأرحام. وليس صحيحاً أنّ رسول الله خُلِقَ من نطفة الأبوين ولم يكن له وجود قبل ذلك، وإلا لما جاز أن يقول المسيح وقد وُلِدَ للتو ﴿آتَانِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾، ولن يجوز حينها أنّ الله خاطب الخلق ذرية آدم ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ ولم يكن ذلك في جبل أحد أو في كف آدم، بالله عليك كيف يكون سبعمائة مليار أو سبعين ألف مليار أو سبعمائة ألف مليار آدمي في كف آدم؟! ثم رأى طفل يُزهق قال: من هذا؟ قال: داوود، فأعطاه من عمره مائة سنة، يعني في مسابقات، هذا ليس صحيحاً!! كان المقام أعظم وكان بعد خلق آدم وبعد أن قال له ﴿أَنْبِئُهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ﴾، كيف يُبئى بأسماء من لم يكن لهم وجود؟ وكيف يكون معنى ﴿أَمْتَنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْنَا اثْنَتَيْنِ﴾؟ وكيف يكون معنى ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾؟ بل كيف يكون معنى أن يقول إبليس ﴿لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا﴾ و ﴿لَأَفْعَدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ﴾ كيف عرف أنّ هنالك مخلصين؟ وكيف كان يتكلم عمّن يُعاني؟ كيف تكلم عن ذلك ولم تُخلق الأم بعد؟ لأنّ هذا الكلام كان في الأمر بالسجدة لآدم ولم تُخلق حواء إلا بعد ذلك، فكيف عرف الذرية ولم تُخلق الأم ولم تُنجب الذرية؟ وكيف أنّ الله يُخاطبهم ويقول لهم أنكم تأتون وتقولون قد جئنا بعد أجيال معيّنة ونسينا، ﴿وَأَشْهَدُهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ ومعنى "ألسنت" يعني سابق المعرفة، فإذا جاء شخص إلى شخص وقد تعارفا يقول له: ألسنت فلان؟ ألا تشهد أي فلان؟ فيقول نعم أنت فلان. أما إذا كان التعارف لأول مرة: إني أنا فلان. لذلك لما كان التعارف الأول بين موسى البشري وربّه ليذكّره قال ﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ﴾ ﴿إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ﴾ "إني أنا ربك" فقد عرفه عليه على ذاته البشرية، أما ذات موسى الروحانية فهي عارفة من قبل هذا. كان لقاءً أولاً بين موسى البشري الذي فرّ من عصاه وبين ربّه، ثم بعد ذلك رجعت الذاكرة ورجع موسى النبوي وتذكّر.

وعليه، إنّ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ذو مقام عظيم، وكان كما كنا في عالم الأرواح ذاتاً كاملة وأوصاه الله وعلمه، لو أنّ محمداً نطق في المهد ماذا كان ليقول؟ أما كان ليقول قول عيسى وأكثر؟ إذاً: آتاه الكتاب

وجعله نبياً وجعله مباركاً وأوصاه بالصلاة وبراً بوالدته وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يُبعث حياً. وفي ذلك احتفال بالمولد لأنّ السلام احتفال لأنّ السلام أمان، ومن يحتفل بالمولد يُطبّق ذلك السلام ويحتفي به.

هذا بعضهم يقول أنه **خُلِقَ فقط من نطفة الأبوين** هذا أيضاً غير صحيح، ولكن جسمه خُلِقَ من نطفة الأبوين نعم. أما كون رسول الله في ذاته كان في صلب آدم وظلّ ينتقل، كيف كان ينتقل؟ وقال: **سَبَّحَ رسول الله في صلب إبراهيم**، كيف سَبَّحَ؟ يعني حيوان منوي يُسَبَّحُ؟! ما هي النطفة؟ ماء مهين. يجب أن نفتح عقولنا جيداً. النطفة المحمدية نطفة نورانية كانت تنتقل نعم، لكن ليست ذات رسول الله، بل نطفة المضغة التي سيتشكّل منها جسم رسول الله في حالته البشرية. ولا يمنع ذلك أن كان له **تجسّم روحاني** يليق بمقامه الروحاني كما لجبريل تجسّم روحاني، ثم يدخل في **عالم الشكل** هذا عالم القالب فيتمثّل بشراً سوياً ﴿فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾، أما في **عالم المثال** فيتشكّلون على غير هذا العالم، يجب أن نفهم هذا الأمر.

أنّ رسول الله بالروح بالذات الحقيقية روح عظيمة قديمة وجمع له الأنبياء وأخذ لهم الميثاق لينصروه بأن يدعوا إليه جميعاً، وهذا في بيان سيدنا عيسى كما ذكرنا وله شواهد كثيرة ذكرناها في دروس الحياة الأولى. ولكن النطفة المحمدية انتقلت في الأصلاب المطهّرة والأرحام المطهّرة، فهو لما يقول: **"ما زلت أتقلّب"** أي نطفتي المادية تتقلّب، حتى جاء الأوان لهذه النطفة النورانية أن كانت في صلب سيدنا عبد الله وأن كانت في رحم سيدتنا آمنة، ولا يختار الله هذين العظيمين عبثاً، فحاشا أن يكونا في النار وقد اختارهما الغفار الجبار القهار الواحد المتعال أن يكونا أبوين لنبّيّه صاحب الجمال والكمال. **فهذا عظيم مقدرة وذاك عظيم منزلة**، فمن عظيم قدرة الله أن جعل ذلك الكوكب العظيم في بشريين في صلب، ومن عظيم منزلة أبويه أن كانا والداه وهو البرّ بوالديه. يطمع من أمة محمد الأشقياء والعصاة ويطمع الذين أفسدوا وظلموا أنفسهم (ولهم أن يطعموا) في شفاعة النبي، ولا يُطمع فيها لوالديه وعمّه الذي ربّاه؟! فعّمّه كان من كبار المؤمنين!!

ما يلزم مقام النبوة

مقام النبوة يلتزم احترام النبي ومعرفة النبي، نبينا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أعظم الخلق قدراً، وأشرفهم أمماً وأباً، وأعزّهم نسباً، وأعزّهم ذريّةً وأزواجاً. وهو صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ الذي تجلّى عليه ربه، ثم تجلّى سيدنا رسول الله بنور ما أعطاه الله (بذلك النور المحمدي) على أقرب الأقرين إليه الذي لا يجوز في حقه أن يكون رابعاً ولا خامساً ورسول الله يقول **"من كنت مولاه فهذا علي مولاه"** ويقول **"أنت مني بمنزلة هارون من موسى"**، فكان التجلّي على علي وكان التجلّي على فاطمة، فكان التجلّي على الحسنين، ثم كان التجلّي على حمزة والعباس وأبي طالب وعلي خديجة وعلي جعفر، ثم كان التجلّي على خُلص الأصحاب كلِّ حسب مقامه، لا يُزاحم أحد منهم مهما بلغ شيئاً من مقام آل البيت، بل لو عجنوا جميعاً ما كانوا في مقام سيدنا علي لأنّ النبي قال **"ضربة علي يوم الخندق بعمل أمي إلى يوم القيامة"** **"ضربة علي يوم الخندق بعمل"**

الثقلين، إذا كانت الضربة بالعمل فكيف بالضارب؟! ضربة استغرقت معشار ثانية هي خير من عمل الثقلين، فكيف بعمل حياة علي كلها؟ وكيف بعظيم مقامه إذ افتدى النبي؟ وكيف بعظيم سرّه عند ربه؟! إذا كنت محمدياً فيجب أن تعرف هذه المسائل، إذا كنت مذهبياً فقل عني ما تريد إنك لن تضرنني شيئاً. وهذه المقامات تحفظ مقام الأصحاب لأنّ نبينا قال **"من كنت مولاه فهذا علي مولاه"**، هل يجوز أن يكون الإمام علي مولى كل مؤمن ومؤمنة بعد الرسول، ثم يكون بينه وبين رسول الله أحد؟ وهل يجوز أن يجعل رسول الله كل الصحابة خلف أسامة بن زيد في بعثته العسكرية ثم يكون أحد منهم خير من علي؟ هذا لا يُمكن ولا يستقيم! وهذه النعرات المذهبية آن أن تنسحق.

إنّ أكبر البلاءات مزاحمة آل البيت في مقامهم، وإنّ أكبر الحمق أن يُظنّ أنّ هذا الكلام عن آل بيت النبي يعني انتماءً مذهبياً، وأن تكون الموالاتة لعلي سبّة، وأن يكون التشييع لعلي باباً لإنكار عدالة الشخص، فتجدهم يقولون "وكان فلان عالماً محدثاً ولكن لم يؤخذ منه لأنه كان يتشييع لعلي"، ثم يذكرون عمر ابن سعد قاتل عبد الله وقاتل الحسين ثم يقولون "إنّ ما فعله لا يمسّ من عدالته" فهو عدل في الحديث وفاسق في الدنيا، هل يستوي ذلك؟! سيدنا حجر ابن عدي راهب الصحابة ابن عدي ابن حاتم الطائي (رهبان الصحابة): ((سيدنا حجر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قتلته سيدنا معاوية رضي الله عنه لأنه لم يقبل أن يلعن سيدنا علياً رَضِيَ اللهُ عَنْهُ)). يقولون لا تسبوا الأصحاب، لماذا يُسبّ علي سبعين عام على آلاف المنابر؟! لولا أن أوقف ذلك عمر بن عبد العزيز لمضى ذلك إلى اليوم. أيّ إله رضي عن معاوية إذ يقتل حجراً لأنه لم يلعن علي؟! هل الله مريض نفسي؟! هل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى خاضع لأهواء هؤلاء؟! **النواصب مرض الأمة**، ولم يجعل الله أقبح منهم قلوباً ولا أوفر منهم ذنوباً ولا أعظم منهم خطوباً، يوم يلقون قائم آل محمد أو يوم يلقون رب محمد، فمن مضى منهم سيجد ما تركه، وكما قال الإمام علي **"من أحبني وجدني يوم القيامة حيث يحب، ومن كرهني وجدني يوم القيامة حيث يكره"**.

منهج البلاد التونسية التسنن مع حب آل البيت

ونحن في إفريقية المباركة في هذه البلاد التي ورد في كتاب <<المؤنس من تاريخ تونس>> للمؤرخ القروي ابن أبي الدينار أنه قال أنّ "البيزنطيين عندما هاجموا إفريقية ذهب أنس بن مالك مع جمع من الصحابة إلى عبد الملك بن مروان وقالوا له: عليك أن تستنقذ تونس فإنها من الأرض المباركة". هذه البلاد التي يطول الكلام حول سرّها وما فيها وما يخبئها سرّها في قادم الأيام بلاد الزيتونة لا شرقية ولا غربية، هذه البلاد مدرستها ومنهجها منهج التسنن مع حب آل البيت، لا التسنن مع النصب. ونحن ننتمي لهذه المدرسة بكل اعتزاز، وإن كنا عندما نتكلم بالنسب إلى رسول الله بالمحمدية البيضاء نفوق ذلك إلى ما هو أعلى منه إلى راية سيدنا محمد وإلى آل سيدنا محمد وإلى نور سيدنا محمد وإلى الوراثة عن سيدنا محمد، فهذه من هذه.

وسيدنا إبراهيم الرياحي هذا العلامة العظيم وهذا الشريف الحسيب وهذا الإمام الزيتوني الكبير والذي آلت إليه مشيخة الجامع الأعظم والقضاء والفتوى بدار إفريقية ولم يكن أحد قبله ولا بعده بلغ ذلك، والذي أدخل الطريقة التيجانية إلى تونس، والذي كان مرسل الباي حمودة باشا إلى السلطان مولاي سليمان في المغرب في مسبغة أصابت البلاد، وإلى الباب العالي عندما أرادوا أن ينقصوا ما كانت تدفع تونس إلى الباب العالي في الآستانة في تركيا، هذا الرجل الذي كان بفترة ما ثاني رجل في الدولة بعد حمودة باشا الحاكم العظيم الذي كان له جيش وأسطول مهاب وكانت أوروبا تدفع له الجزية، هذا الرجل عندما زار جدّه المصطفى قال:

ركبت سواد عيني أمتطيه
إلى قبر رسول الله فيه

أتيك ماشياً وودت أني
وما لي لا أسعي على المآقي

يقول في حق الأئمة الإثني عشر:

وفرع الطهر بالحسن الولي
قتيلاً من يد الشمر الشقي

إلهي قد سألتك بالنبوي
بمولانا الحسين ومن قد أضحي

(وتجدون أني قد نشرت ذلك في موقعي) حتى يقول:

أموت عليه بالعهد الوفيّ

أدم لي حب أهل البيت حتى

وأقول قوله.

فالذين يظنون أننا بكلامنا هذا إنما ندعو دعوة مذهبية، وقد كُثر ادعاء المذاهب في بلادنا يريدون فرقةً وشتاتاً، فنحن نقول له: صه إنك لا تفهم وإنك لا تعرف. نحن أشدّ غيراً على هذه البلاد، قد وقفنا عندما جاءها الإرهاب، تكلمنا حين خاف كثيرون وصمدنا حين هرب كثيرون، ولم نأخذ عليه أجراً وقد أجز كثيرون، لا مناصب ولا مكاسب، وتركناها لهم كما أردنا علماً وفناً وغنائاً وشعراً وأدباً ونحمد الله على ذلك ومستمرّون. من أراد أن يكسر لنا راية كسر الله أضلاعه ودفنه بباطن الأرض وأتته لعنات السماء والأرض، لأننا لا ننوب عنا في هذه النوبة بل نحن ننطق عن سوانا، كما قال سيدي عبد القادر لابنه عبد الرزاق "أنت المتحدث عنك وأنا المتحدث عن غيري". نحن في هذا المقام ندافع وندفع عن أولياء بلادنا كما دافعنا عنهم عندما أحرقتهم اليد الوهابية الحمقاء، وقفنا ولدينا مشاهد في الإعلام في ذلك، ووقفنا ضدّ حرق هذه المقامات وضدّ هدمها وضدّ هدم هذا المنهج وضدّ الغزوات، ونقف اليوم أيضاً مواقف أخرى سنقول بعضها.

رسول الله ختم الله به النبوات

لأنّ كلامنا عن مقام النبوة مستلزم ليقين أنّ رسول الله ختم الله به النبوات وأنّ رجوع سيدنا عيسى إنما لمهمة تحت اللواء المحمدي، وهذا الرجوع حتمي ليكون الاتحاد بين المسيحية والإسلام، ثم تتحد

جميع الديانات في الإسلام (بمعنى السلام بالمعنى الحقيقي للإسلام المحمدي). ولكن أن يخرج "الباب" وسمّى نفسه الباب في العراق وأن يقول أنه المهدي، ثم يخرج تلميذ له كان عميلاً لمخابرات عالمية وكان يداً للصهيونية كما تجدون بالوثائق، وادّعى أنّ جبريل نزل عليه بكتاب الأقدس وادّعى أنه مبعوث من الله وادّعى أنّ روح المسيح حلّت فيه وأنّ روح سيدنا محمد حلّت فيه وأنه المهدي المنتظر، وأخذ الصهاينة عندما مات ودفنوه في حيفا، وكان له ديانة سماها البهائية (يقول الله أبهى) ومنتشرون في تونس وهم الآن بلغوا حتى أنهم اشتكوا بالشيخ محمد علي في كتابه <<دور البهائية في الفرق الهدامة>>.

نعم هي فرق هدامة، ونعم من خلفها مشاريع. تونس دينها الإسلام وهي على مدرسة تونسية زيتونية عميقة وعريقة وإن وُجد فيها التشييع من قبل والإسماعيلية ووجدت فيها الإباضية، فإنّ المذهب الرسمي هو المذهب المالكي ثم الحنفي والمعتقد الأشعري والتصوف الجنيدي كما قال ابن عاشر في متنه:

وفي طريقة الجنيد السالك

في عقد الأشعري وفقه مالك

وأقول وأيضاً:

الذين نوقى بهم المهالك

في محبة آل البيت

هذا بابها.

والقاديانية لما ثار المسلمون وثار الهندوس على المستعمر البريطاني اتاهم بشخص كان يتعاطى مخدرات وكان صاحب هلوسات وكان يعشق بريطانيا وقال لهم "لا تُحاربوا العدو" ثم تبنتهم الدولة الصهيونية. وكنت ناظرت زعيمهم الحالي وهو مقيم عند الصهاينة وقلت له: هل تخرجون على الصهاينة لأنهم يحكمون؟ لأنّ نظريتهم "من حكمك فكن عبداً له". ميرزا القادياني، غلام أحمد القادياني، هذه أيضاً تنتشر في تونس وتركز على الجزائر لتفتيت مجتمعاتنا، مع الملاحدة ومع أذعيا الشذوذ كحرية ومع غيرهم، ومع الهادمين للأخلاق والأسرة، حتى ابتدعوا إغتصاب الزوجة وحتى ابتدعوا أموراً عجيبة، وما زالوا يحاربوننا، ولكن للبلاد رجالها وصالحوها وللبلاد علماءها وللبلاد سرّها، ولهذه الأمة شفاعة نبيّها ولهذه الأمة وصية إمامها ولهذه الأمة ظهور قائمها بعون الله.

باب الإمامة

ومقام الإمامة علم كبير لأنّ الإمامة اجتبائية في الما-قبلية وتفعيلية في الما-بعديّة، بمعنى أنّ الإمام يُجتبي من قبل هذه الدنيا، يكون نبياً أو وصياً أو يكون قائماً أو وارثاً، ثم يُفعل ذلك فيما بعد، حتى نفهم مسألة الإمام المهدي عَلَيْهِ السَّلَام. هل عندي شاهد من القرآن؟ أجل.

﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۗ قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ ما معنى ذلك؟ أنّ إبراهيم كان بالاجتبائية الما-قبلية إماماً من قبل أن يأتي الدنيا فهو النبي وخليل الله في عالم الروح كما قال رسول الله، ثم لما جاء الدنيا وأوتي النبوة، فُعلت له الإمامة بعد امتحانات امتحنها الله بها ﴿بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ﴾ مثل أن أمره أن يذبح ابنه، مثل أن ألقى في النار، مثل أن

ناظر النمروذ وغلبه - ولم يُعطه زوجته ولم يأخذ منه هاجر هذه كلها فرية- ناظره وغلبه، ولما أُلقي في النار قال له جبريل: هل لك حاجة؟ قال: أما لك فلا. ومثل أن أراه الله الملكوت وأراه الكواكب على حجمها الحقيقي ﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾ ﴿فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ﴾، وجعلوا له تلك الكذبات الثلاث في الشفاعة وكلها قصة أيضاً لا حقيقة لها. أتم هذه الكلمات كما قال لموسى ﴿وَفَتَّنَاكَ فُتُونًا﴾، فلما أتمهن جميعاً (أي أتم المراحل كلها)، أعطاه الله الإمامة بعد النبوة، فعنى ذلك أن الإمامة شيء وأن النبوة شيء.

فالإمامة قيادية والنبوة تشريعية والرسالة تبليغية، فالنبي مشرّع والرسول مبلّغ والإمام قائد، ورسول الله نبي رسول إمام. ولما أورش علي الإمامة لم يكن للإمام علي ليغدو نبياً أو رسولاً لأنّ الله ختم ذلك، ولو أراد لكان علي نبياً أيضاً، لذلك قال رسول الله "لو عاش إبراهيم (ابنه) لكان صديقاً نبياً"، وقال لعلي "أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي". لو جازت فيمن كان قبله من بين إسماعيل وبينه لكانت في أبيه وفي أجداده وآبائه، كلهم كانوا أوصياء أتقياء وأصحاب كرامات عظمى. كرامة عبد المطلب في قصة أبرهة شاهدة على ذلك، وولادة سيدنا الإمام علي في داخل جوف الكعبة شاهد على أن أمه صديقة.

وتورث هذه الإمامة لشاهد قول سيدنا إبراهيم ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِي﴾ يعني أنه يعرف أنها تورث، وتُمنع: فالظالمون لم ينالوا منها شيء. ولما تورث تعدّد بتعدّد المورثين، بمعنى: كل الذين لم يظلموا ورثوا من إمامة إبراهيم فكانوا على مراتب: هنالك الإمامة الكاملة والإمامة المتفرّعة والإمامة في الدين والإمامة في التصوف والإمامة في الفقه والإمامة في الطريقة وغيرها من أنواع الإمامات، ولي كتاب جميل اسمه كتاب <<الإمامة>> فرّعت فيه وفصلت فيه ذلك بشكل معمّق.

فالإمامة هنا إذا كانت إمامة سيدنا علي فهي إمامة كاملة ولما كان رسول الله في هذه الدنيا كانت إمامة متفرّعة، فلما انتقل صارت الإمامة الكاملة عنده وكانت إمامة الحسن متفرّعة، ولما انتقل صارت الإمامة عند الحسن وصارت إمامة الحسين متفرّعة، ثم انتقل الحسن فصارت عند الحسين وهكذا... لما يكون الإمام المهدي عَلَيْهِ السَّلَامُ، إذا جاز أنه ابن الإمام الحسن العسكري (وهو الذي لا أراه) فإنه سوف يرث ذلك مباشرة، وإذا جاز أن يكون مولوداً يولد في وقته وفق الرواية السننية وهو ما أوافق (وإن كنت لا أدحض أمر ابن الإمام الحسن العسكري الإمام محمد لا أدحض ذلك من باب الإنكار، أي أنه ظهر وقال أنا ابن الحسن العسكري فيطيب لي أن أكون تراب قدميه)، ولكنها رؤى ويحق لي أن أرى ما أراه. فلو جاز أنه يولد، فيكون عليه أن يترقى ويتليه الله بكلمات، فلما يُتمهن يكون إماماً، فتلتصق كلمة "المهدي" بإمامته، فيكون الإمام المهدي مستوى يبلغه ذلك العبد باسمه القبلي، فيكون مجتبي في الما-قبلية مُفعلاً في الإمامة في الما-بعديّة، وبينهما مرحلة امتحانات عسيرة.

ادّعاء المهديّة

لذلك كل من يقول أنا المهدي اليوم وأنا بُعثت البعثة الأولى وأنتظر حتى أبعث البعثة الأخرى: رجل في اليمن مدّعي وآخر في العراق مدّعي وآخرون ادّعاء في أكثر من مكان، هؤلاء جميعاً: إنّ المبلّغ عن ذلك

جبريل، فنوقف هذه المهزلة **ونركز في القضية:** في قضية العدالة، في قضية إحقاق الحق، في قضية نصره سيدنا رسول الله وآل بيته بعد مظلمة طويلة، في قضية نصره الإسلام الحق ونصرة السنة الصحيحة أمام كثرة الزيف والدس، في قضية الانتصار لحقيقة الدين، في قضية الانتصار لعلم القرآن وتفسيره على عظمته مع ترك التفاهات والإسرائيليات التي ملأت التفاسير، في قضية الانتصار لإسلام رباني محمدي سوي هادٍ مهتدٍ به كثير من الناس، في قضية أن نُبين للناس جمال هذا الدين وكمال هذا الدين وما فيه من رحمة ومن سلام، في قضية الدفاع عن الحقيقة وعن أهل الحقيقة والطريقة والدفاع عن رجال الله والصالحين أحباب الله والدفاع عن المستضعفين من خلق الله، في قضية حرث أرض أنفسنا حتى ينبجس منها الماء ونزغ أشواك ذنوبها وما فيها من فساد، في قضية الإرتفاع بهمنا وتطویر مستوياتنا كلها، في قضية السمو نحو الله، في قضية اليقينية أنّ القدس راجعة وأنّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مَتَمَّ وَعَدَهُ وَأَنَّ مَا فِي الْكِتَابِ سَيُحَقِّقُ وَأَنَّ ذَلِكَ بِإِعْجَازِ رَبَانِي لَا يَدُ لَنَا فِيهِ، في قضية بناء السفينة المحمدية بناء المنارة المهدوية بناء المطارات حتى تنزل الطائرة التي تنزل حتماً، باليقين أنّ الله سيحيي الموتى وأنّ الله سوف يأتي على هذه الحضارة فتنقض وأنّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى سيُتَبَّرُ مَا عَلَوْا تَتَبِيراً، في أمر لا يكون من ورائه دعوة لتنظيم ولا يكون من ورائه ادّعاء أننا نملك راية سيدنا محمد من باب أننا نفرضها على الناس ولكننا **نملك هذه الراية من باب أننا نحبها للناس.**

راية المنارة

لا إله إلا الله محمد رسول الله، محمد علي فاطمة الحسن والحسين، عبد القادر الجيلاني وعبد السلام الأسمر أقطاب الولاية، والمهدي سيدهم وخاتمهم (سيد الأولياء أعني)، وما بين ذلك أقطابنا وأسيادنا الرفاعي والدسوقي والبدوي والجشتي والشاذلي والتيجاني وسواهم كثير. هذه خضراء بحب آل البيت، وهذه راية منارتنا بعون الله، وهكذا رأتها الروح فكتبتها.

ولا يعني هذا أبداً ومطلقاً أننا لا نؤمن بوجود هذه الدول وقوانينها وأننا نريد أن نتخذ الأمر مكيدةً ونصباً، نحن من واجهنا الإرهاب مع شرفاء أمننا وجيشنا ونحن من واجهناهم بالمقال ونحن من وقفنا للوهابية مع رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه، وقفنا للتكفير والتعهير والتزوير والتفجير والتدمير ومستمرّون في ذلك.

النصر من عند الله والتأييد من عند الله ومعنا من الصالحين ما معنا بحمد الله وحسن الظن في الله، لا ندعو لأنفسنا في شيء، ندعو لمن نتكلم نيابة عنهم. أياً ما كنت أياً ما كان مذهبك بل أياً ما كان دينك ندعوك إلى دار السلام إلى المحبة والعلم. ولا يستهينن أحدٌ بسلامتينا، **إِنَّ الْمَاءَ الَّذِي أَنْبَتِ الْأَرْضَ هُوَ الَّذِي أَغْرَقَ قَوْمَ نُوحٍ، إِنَّ الْمَاءَ الَّذِي جَعَلَهُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى حَيَاةً وَقَالَ ﴿وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ رَوْحٍ بِهِيجٍ﴾** هذه المياه هي التي فار بها التنور وأغرقت من أغرقت، وستغرق مجدداً ولن ينجو إلا أهل السفينة.

خاتمة

نسأل الله لنا ولكم الخير، نرجو منكم أن تركزوا في العلم وأنّ الذي يتكلم نيابةً عنا أو الذي يدرس نيابةً عنا أن يلتزم هذه المناهج:

- ❖ التوحيد الخالص النقي الذي لا يشوبه تجسيم ولا حلول
- ❖ اليقين أنّ سيدنا محمد سيد الخلق وأنه هو هو لم يحلّ في غيره
- ❖ وأنّ الإمامة حق وأنّ الولاية حق وأنّ المهدي حق وأنّ الإيمان بذلك من صُلب إيماننا
- ❖ وأنّ أهل الزيغ أهل زيغ وأنّ أهل الخير أهل خير

وأنّ الأمور ليست نسبية بل هي حقيقية، النسبية في أمور منطقية جدلية نتناقش فيها: هل هذه الزهرة يغلب عليها اللون الأحمر أم الأصفر، لأننا عاجزون، أما العارفون بالله يقولون لك: لا، يغلب عليها اللون كذا. فهذه **المعرفة بالله ليست نسبية**، ليس نسبياً أنّ الله يمكن أن يكون في السماء أو فوق السماء أو تحتها، ليس نسبياً. العقائد ثابتة وزرع الله في أرضه نابت وغروسه نابته.

الحمد لله على هذا، نرجو الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** أن يوفقنا ويوفقكم، بثنا لكم درس اليوم من الحاضرة تونس من هذه العاصمة الجميلة العامرة، ومن حولي المغرة الشاذلية ومقام سيدي أبو سعيد الباجي ومقام سيدي عبد العزيز المهدي ومقام مولاتنا السيدة المنوبية ومقام سيدي محرز بن خلف الذي نبرّته من قتل الشيعة ونبرّته مما كتب الكاتبون عنه وهذا موضوع آخر طرحه بعضهم، لم يكن محرز قتالاً كان شريفاً وكان رجلاً عفيفاً ونظيفاً وكان رجلاً رحيماً وكان رجلاً أوهاً منبياً، وكذلك سيدي أحمد بن عروس صاحب الطريقة والحقيقة وسيدي إبراهيم الرياحي وسيدي الأولياء الصالحين سيدي علي الطرابلسي وغيرهم الذين نحبهم والذين نجلّهم.

من هذه البلاد التي كان فيها أقطاب العلم خاطبناكم بخطاب محبة، وإن كان فيه من مقام الجلال قليلاً، ولكن المهم غايتنا تحفيز الهمم وغايتنا رسالة محبة ورسالة إخاء، نحن نبي لذلك. نحن طفنا العالم وجالسنا أبناء الديانات كلها، وحضرت في مولد غورو ناناك مؤسس السيخية الذي كان بالإشارة مسلماً موحداً وأقام 6 سنوات بين الإمام الكاظم وسيدي عبد القادر واعتمر وأقام بمكة والمدينة عاماً ونصف، ولكنه أخذ الهندوسية إلى التوحيد، هذا أيضاً موضوع آخر.. والتقينا غيرهم من أبناء الديانات، هذا منهجنا، من أراد أن يراقبنا يراقب تحركاتنا وما نفعله عليه فقط أن يشاهد بثنا وأن يعرف أننا واضحون جليون لا نخشى في الله لومة لائم ولا نخاف أحداً، نحن أصل هذه البلاد نبتها وزرعها وصحراؤها وجبالها ورجالها ونحن من أهل الدالة ونحن من الذين نصدق الله ونصدق مع الله، لا ننو إلا الخير بعون الله، لا علاقة لنا لا بسياسة ولا بنجاسة ولا بتعاسة ولا بلعب ولا بعمالة لهذا أو لذلك، نحن نعم نزور ونلتقي، منهجنا واضح مدرستنا واضحة، ندافع وندفع، نحن ضدّ كل حركة تريد أن تمرّق المجتمع التونسي، أن تزرع فيه ما تزرع فيه، إمكانياتنا المادية ضعيفة، إمكانياتنا الروحانية عظيمة، تتسع إمكانياتنا المادية بعون الله، سنوصل إليكم صور ميثاق المنارة كما جاء من كندا وكما جاء من بيت المقدس ومن الكعبة ومن المدينة وأيضاً من روسيا من فرنسا من غيرها، سيكون لنا طلبة في جميع أرجاء العالم وستسطع

هذه الأنوار بعون الله لوراثتنا لجدنا رسول الله، لحقيقة نسبتنا ونسبنا لهذا النبي العظيم، يُظهر الله منا ما أراد، نحن من يحبنا، نترك من يعاديننا، نُعرض عن الجاهلين، ولكننا بحول الله ليوث غيب:

لأحمد ثم فاطمة يا هنائي
أقبّل عند دوسي للحداء
هزبرُّ أصهب ذو كبرياء

وضعت الخدّ مبتسماً فخوراً
وللكرار ذا وجهي مداسُ
ولكني إذا ما جار باغٍ

اعرفوا ساموراي السماء الثاني إن شاء الله، السلام عليكم.

المحاضرة بتاريخ: 21-02-2022



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

التأمل الخامس والثلاثون: بين الإسراء والإسراء

صفحة من كتاب الملاحم -

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله الذي علّمنا علماً رفيعاً ودفّعنا به ودفّعنا به إلى مزيد ذكره ومزيد شكره ومزيد من الحمد له، فالحمد والشكر لله على كل نعمة من الله وعلى كل علمٍ علّمنا إياه الله، فإنّ الفضل بيد الله يؤتية من يشاء، وإنّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يُلْقِي عَلَى قُلُوبِ عِبَادِهِ مَا أَرَادَ، يَعْلَمُ مَنْ يَرِيدُ وَيَجْتَبِي مَنْ يَرِيدُ وَيَتَمُّ الأَمْرَ كَمَا يَرِيدُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى. فالحمد لله الذي شرفنا بنعمة معرفته ونعمة العبودية له بالطوع لا بالكراهة، لأنّ كل ما خلق مستعبد منه، عبدٌ له، إما في مقام العباد ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾، أو في مقام العبيد ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلْمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾، وبين المقامين علماً واسعاً وبوناً شاسعاً.

وصلّى الله على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد الذي شرفنا الله به وشرفنا الله بالإنسحاب إلى دمه وإلى دينه وإلى نوره وإلى سره وإلى مدده وإلى محبته وإلى الولاء له ولآل بيته سفينة النجاة الذين حبهم فرض على كل قلب مؤمن، ولا ينال ذلك من داخل قلبه نفاق. والحمد لله على محبة رسول الله وعلى حب آل بيت رسول الله، والحمد لله على محبة الصالحين، على ما بين قلوبنا وقلوبهم من عظيم مودة ومن عظيم نفع. الحمد لله على هذه الإشراقات والبوارق والحمد لله على هذه الأذواق والحقائق، والحمد لله الذي أنعم علينا بكل هذه النعم ما علّمنا منها وما لم نعلم.

أحبابنا الكرام السلام عليكم ورحمة الله وبركاته لهذا الموعد الجديد من التأملات العرفانية، ونحن الآن بين بُعدٍ ذوقٍ وبُعدٍ مادّي نعيش أحوالاً نراها من حولنا، الإسراء والمعراج جعله الله مباركاً علينا وعليكم وعلى أحبّابكم وعلى أهليكم، وجعل الله فيه من أسرار وأنوار هذا اليوم العظيم وهذا المشهد العظيم مشهد الإسراء والمعراج، ومن نفعاته وبركاته جعل الله لنا ولكم نصيباً من ذلك وهو الكريم.

الإسراء بين تحليل إستراتيجي وتحليل عرفاني

وما بين هذا الإسراء والمعراج وذكره هذا العام، والعالم من حولنا يَمور وَيَفرور وَيَغلي في تطورات، كان لا بدّ وكان القصد مني اليوم وكنت أعزِم أن أحلّل ذلك إستراتيجياً ضمن صفحة المفكر وضمن عملي وتخصصي في مجالات العلوم العسكرية والأمنية والإستشرافية والإستراتيجية، وإن كنت من قبل منذ سنوات كنت تحدثت عن الحرب العالمية الثالثة كحتمية إستراتيجية، ثم ذكرت في التأملات العرفانية سابقاً أيضاً وفي بعض المقالات عن الحرب العالمية الثالثة كحتمية عرفانية، وأنّ البُعد الإستراتيجي والبُعد العرفاني سيلتقيان وهو ما سمّيته بـ "الإستراتيجيات العرفانية" أو "العرفان الإستراتيجي"، وهما مصطلحان يعنيان أنّ **التصالح بين العلوم المادية والروحانية حتمي**، وأنّ ما يجري على الأرض إنما هو شيءٌ مما أذن الله به ومما سَطّر. وأنّ الناظر الإستراتيجي الذي ينظر وفق علوم الإستشراف والمستقبلات ويقراً للمفكرين الكبار الغربيين الذين كتبوا عن ذلك أو حتى الروس الذين استشفروا واقع العالم الحالي ومآلاته مثل *المهدي المنجرة* أو *كيسنجر* الذي ظل يردّد: "من لا يسمع طبول الحرب العالمية الثالثة فهو أصم"، وبين الجوانب العرفانية وما تكلم به العارفون سواءً في هذه الأمة الإسلامية أو هنالك أصحاب علوم عرفانية كبيرة من الديانة المسيحية على سبيل المثال *الأب شربل* تكلم عن 2023، ليس فقط *الشيخ بسام جرار* الذي تكلم عن ذلك بل هنالك مسيحيين ويهود وحتى من أبناء ديانات أخرى، وهنالك كتابات قديمة دُكرت فيها أمور كثيرة تتعلق بهذا العصر وهذه الفترة وهذه الحِقبة، تتعلق أيضاً بالحرب العالمية الأولى والثانية.

لعلي في درس آخر إن شاء الله في الجانب الإستراتيجي، وإن كنت قد غلب عليّ الجانب العرفاني في المرحلة الماضية لضرورة ذلك، ولكن لعلنا نُحلل ذلك، أو في مقال علمي مُفصّل. وإن كنت أيضاً منذ فترة قريبة كتبتُ ودوّنتُ مقالاً علمياً عن هذه الأمور وعن مآلاتها وظنّ البعض أنني متشائم، ولكني كنت أتكلم بواقعية إستراتيجية قد تبدو مرّة قد تبدو صادمة، ولكنها حقيقية.

بين البابين هنالك علمٌ كبير، وبين الإسرائيلين هنالك علمٌ كبيرٌ أيضاً. وسيكون هذا الوقت المختزل الذي نقدّمه في هذه السويعة أو أقل إن شاء الله، وسيكون هذا السفر مختصراً كالعادة نحاول أن نبين نقاط، أن ننّبّه وأن نلمّح. ومنهجيتي لمن لا يعرفني بعد هي منهجية تعتمد التصريح في أمور والتلميح في أمور أخرى، **ليس كل ما يُعرف يُقال، ولا نقول الأمر إلا في أوانه**، كما قال ابن عطاء الله السكندري: "لم يذر من الجهل شيئاً من أراد أن يُظهر في الوقت ما لم يُظهره الله فيه". لذلك ثمة أمور يؤذن قلبياً بالكلام فيها، وثمة أمور أخرى لا يمكن إلا أن تكون تلميحاً دون التصريح ودون الشرح الفصيح، إنما ذلك مجرد تلميحٍ فقط.

الإسراء الأول إعلان النهاية

الإسراء وهذا العنوان الذي قد يبدو غريباً: "بين الإسراء والإسراء، صفحة من كتاب الملاحم"، نبدأ بالإسراء الأول.

﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا﴾ وكنت قد ذكرت من قبل أن كلمة *عَبْدِهِ* ولم يقل *نَبِيِّهِ* تتضمن معاني منطوية، وأنه مباشرة بعد آية الإسراء لم يشرح شيئاً عن الإسراء إنما مضى مباشرة إلى الكتاب الذي كتبه على بني إسرائيل وأنهم يُفسدون في الأرض مرتين ويعلون علواً كبيراً، وذكر الوعد الأول الذي تحقق مع نبوخذ نصر أو بختنصر البابلي ثم ذكر وعد الآخرة وذكر أنهم يُتَّبَرُونَ ما علّوا تَتَّبِيراً، وذكر قبل ذلك أنه يمدّهم بأموال وبنين ويجعلهم أكثر نفيراً، وأنهم إن أحسنوا لأنفسهم وإن أساءوا فعليها.

وهذا البيان وهذا الربط ليس عبثياً، لأنّ مقام بني إسرائيل بين الإسراء الأول والإسراء الثاني، بين النخلة والزيتونة كما كنت ألمح دائماً. بمعنى أن الإسراء الأول بالعبد الأول الذي يُسري الله به ثم يكون له معراج من القدس الشريف إلى ما أراد الله مما يُريه إلى ما فوق السدرة، سيكون فيه إعلان نهاية مفسدي بني إسرائيل وأنهم سيرجعون إلى تلك الأرض، وأن انطلاقة شرهم وقوة شرهم سيكون باجتماعهم الأخير هنالك. ﴿وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْكُنُوا الْأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا﴾ أي اسكنوا الكوكب في كل مكان، كل مكان كان فيه يهود، ثم إذا جاء وعد الآخرة يأتي الله بهم لفيفاً. ومعلوم عند أهل التحقيق والتأريخ والتوثيق أنّ هرتزل عندما أراد أن يمضي إلى فلسطين عارضه العلماء التوراتيون الذين وجدوا في التوراة: "يمكث بنو إسرائيل في فلسطين ستة وسبعين عاماً ثم يصيبهم الهلاك" وأدى ذلك إلى غضبهم وإلى بكاء امرأة من يهود العراق (على ما ذكر أحد المؤرخين أيضاً). فقال لهم: أين تريدون؟ قالوا: نريد أثيوبيا، وأخذوا سفينة ومضوا وفجّرها بهم في البحر، ثم قال: الرب لا يريد ذلك، وأخذهم في تعاون بين الماسونية والصهيونية وبين فرسان المعبد وتنظيم فرسان مالطا وبعض الإنجيليين المتطرفين والمورمون وغيرهم، كان ثمة تنسيق كبير جداً، وطبقوا ونفذوا ما قدّر الله عليهم.

وترون اليوم أنّ الله أمدّهم بأموال وبنين، وأنهم قبل ذلك صنعوا الحرب العالمية الأولى، وصنعوا الحرب العالمية الثانية، وصنعوا أزمة 29 وأفرغوا البنوك من الذهب وقاموا بالأزمة الكبيرة في وول ستريت، ويمكن للمدققين في التاريخ أن يدركوا الأدوار الخفية لهؤلاء في صناعة هذا النظام العالمي وما كان هتلر يتكلم عنه حول بروتوكولات حكماء صهيون وما بحث عنه في منظمة أنينيري للغيبيات، هذا كله مبحث طويل كشف الروس بعضه مؤخراً في السنوات الماضية بأمر من الرئيس الروسي، وأُخرجت ملفات "الكي جي بي" وغيرها من الأمور وبعضها كان بالعربية خاصة في برنامج رحلة الذاكرة.

هذا كله يمكن النظر إليه وفهمه والإحاطة به أو بشيء منه، هنالك شساعة ورحابة كبيرة في المعلومات تحتاج إلى روية، أعد متابعة هذا الأمر وارجع إلى بعض المصادر أو بعض الأمور التي أشير لك بها لأني أجمل خلاصة سنين طويلة من المتابعة وأيضاً أمور أخرى يفتح الله بها على قلوب عباده لحكمة أرادها لتفضّل منه وليس لفضل للعبد نفسه.

الإسراء الأول هو إعلان نهاية وقد فهموا ذلك جيداً، تفاصيل بعض مشاهد الإسراء العظيمة أودعت في سورة النجم وكان فيها تلميحات عن أمور عظيمة (من آياته الكبرى)، وهذه الأمور العظيمة مثل أنه يرى

تشكل مخلوق عظيم عند سدرة المنتهى، هذا الـ * ذو مِرَّة * جبريل أو ذو القرنين أو غير ذلك من الأمور، وهذا اللقاء سيكون مع روح ستأتي فيما بعد، بحكم أنّ الأرواح كما قلنا في دروس كثيرة هي من زمن *ألست* أرواح موجودة، أرواح لها كيانات، سيكون **لقاء العبدین**: العبد الذي سيولد لاحقاً، مثلما التقى بالذين انتقلوا، التقى بسيدنا إبراهيم وسيدنا آدم وسيدنا موسى، والتقى بالمرفوع عيسى والمرفوع إدريس والمرفوع إلياس وغيرهم من المنظرين والمرفوعين، هنا كان ثمة تفسير.

وعكف بنو إسرائيل على تشويه صورة الإسراء والمعراج عبر عملائهم وعبر الخونة والمندسين والوضّاعين والكذّابين حتى حوّلوها إلى أبشع وأسخف فيلم رعب، وكأنّ الله أخذ رسول الله ليريه مشاهد بشعة جداً، لو قمنا بتحويل المشاهد المكتوبة إلى شيء ثلاثي الأبعاد إلى تصوير منظور سيكون شيء مقزز وبشع ولا يليق لا بمقام الربوبية مقام الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، ولا بمقام الحبيب المصطفى، ولا بمقام هذا المهرجان الذي أراد الله من خلاله أن يواسي نبيه. المهم أنهم شوّهوا ذلك لعلمهم بحقيقة هذا الإسراء والمعراج وأنه كان فيه إعلان نهايتهم. هذا الإعلان وإن كان قد سبق على لسان موسى ولسان عيسى وأشعيا وداود وسليمان وأنبياء بني إسرائيل كلهم نَبّهوهم أنّ هنالك في الكتاب، الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** يتكلم هنا عن التوراة أنه سبحانه قضى عليهم وأنهم لم يقبلوا بذلك، **وهذا سبب عدم أخذهم بالتوراة**، حتى جاء ذو القرنين ورفع الجبل فوقهم كأنه طُلّة وأمرهم بأخذها بالقوة وأخذوها ثم عاندوا وأرادوا لقاء الله وصُعبوا، والقصة كما تعلمون في القرآن الكريم ولها أسرار ولها تفاصيل كثيرة.

إذن هؤلاء بنو إسرائيل، الذين زاغوا وفُتِنوا منهم كانوا يعرفون جيداً، والذين صلحوا منهم كانوا يعرفون أيضاً ذلك جيداً، وما زال فيهم الصالحون إلى اليوم، وما زال فيهم الأعداء الصهيون إلى هذه الساعة وسيبقون. وسيكون كثير أو أقول كل هؤلاء الطيبين سيكونون مع الإمام المهدي وهو المشية الذي ينتظرونه وينتظرون أن يُخلّصهم أيضاً، يُخلّص المسلمين من النواصب من الدجالين، ويُخلّص المسيحيين من الإنجيلية المتطرفة، ويُخلّص اليهودية من الصهيونية، ويُخلّص الهندوسية من تعدد الديانات، والبوذية أيضاً من توهم أنّ بوذا إله، يُخلّص الإنسانية كلها، يُخلّص البدائيين من تلك اللعنة القديمة التي حلّت بابائهم وفقدوا الذاكرة، ويُخلّص الكثير من الذين وقعوا في حبال الشيطان من تلك الحبال.

إذن الإسراء الأول إسراء النبي محمد **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ**، هذا الإسراء ورد في السورة مباشرة إعلان عن نهاية بني إسرائيل وإعلان عن شيء سبق وشيء لاحق: الأول تمّ عندما دخل نبوخذ نصر إليهم وسبى من سبى منهم وقتل من قتل منهم، وهم عباداً لله مؤمنون موحدون نسبهم الله إليه وقال أنهم ذوو بأس شديد، ولا ينسب الله إليه الكافرين ولا يقول عن الكافرين "ذوو بأس شديد"، إنما يمدح المؤمنين حصراً. ثم بعد ذلك ستكون لهم كَرَّة جديدة وفرصة أكبر، ويبين الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** إشارياً في هذه الآيات هذا المدد الإلهي الذي هو **مدد استدرج**، سيكون مدداً كبيراً من المال، ولم يتحقق لهم ذلك إلا بعد القضاء على هتلر وبعد السطو على معظم ما دَوَّن علماءه خاصة أنينيري وكالة الغيبيات، وأخفوا العلوم وبدأوا في إعلان الثورات الجنسية والشذوذية والإلحادية وتدمير هذا العالم وتقويضه للوصول إلى ما وصل إليه اليوم.

الإسراء الأول إسراء جمال

هذا الإسراء الأول إسراء جمال، وقلت فيه أبيات شعرية لعلها تصف شيئاً من ذلك:

نورٌ إلى نورٍ سرى في الحضرة
فتحت ملائكة السماء سماءها
الروح والروحان في أرجائها
من تُرب أرضٍ قد سما للسدرية
والكون هلل من عظيم القدرة
والحورُ قد ولّعت بتلك النظرة

هو مسرى النور إلى النور ومعراج القدس إلى القدس كما قلنا في الحفل الذي نظمناه.

إذن الإسراء الأول وهو إسراء جمال، وعليك أن تلقى بعيداً عنك كل تلك الترهات التي ستقرأها في الكتب أنه كان مشهد ليريه الله عذابات وهذا معلق من شدقه وذاك معلق من رجله ويقول له: من هؤلاء يا جبريل؟ يقول: هذا تارك الصلاة، ذاك الذي يأخذ مال اليتيم... كله كذب وغير صحيح!! ما كان الله جل في علاه أن يرفعه ليريه تلك المشاهد البشعة القبيحة وهو رب الجمال! وآيات النجم عابقة بالجمال وعابقة بالآيات الكبرى، أية آية كبرى في هذا الذي ذكر وأين الذي رآه حقيقة؟! هذا مطويّ طوي في صدر علي. ولم يحدث كل أصحابه - كي نعلم- لم يحدث جميع الناس من كانوا معه بذلك، بحكم أنه فقط قصّ شيئاً من الخبر، ولكن يبقى هنالك أسرار، أمين سرّه هو الإمام علي عليه السلام، والجميع ليسوا على نفس القدر والقدرة والتحمل للأمور التي سيرونها ولا يطيقونها، وهنالك أشياء لمّح لها تلميحاً. وليس صحيحاً أنه ناقشه موسى في الصلاة هذا أيضاً من الإسرائيليات، فيها نوع من اللعب والعبث بالعقول، ولكن صلى الله على نبينا وعلى سيدنا موسى هم أنبياء كرام ولكن ليس الأمر كذلك.

كتاب الملاحم

الإسراء الأول إعلان نهاية بني إسرائيل وانفتاح كتاب الملاحم مجدداً في صفحاته الأخيرة، ﴿وَدَكَّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ﴾ كما قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لسيدنا نوح، هي أيام الله هنالك ملاحم. كتاب الملاحم أيضاً فيه دسّ كثير، يأجوج ومأجوج جعلوهم مجرد بشر عاديين ويحفرون وكل مرة لا يقولون [غداً إن شاء الله نُكْمَل] فيرجع كما كان، ثم يخرجون، والمسلمون لهم مدن ولهم أغنام ولهم خيام... والعالم يُثبت اليوم أنّ ذلك كذب، ولو كانوا في كوكب الأرض لو جَدَّتْهُمُ الأقمار الصناعية، ولكن هذا ليس في كوكب الأرض، أعدادهم الكبيرة لا يتحملها هذا الكوكب، هم يُنهون حتى مياه البحار، هذا حتى نفهم الأمر، وسيأتي يوم نتكلم فيه بالتفصيل عن خبر يأجوج ومأجوج، كانوا قبل آدم وقبل نهاية الديناصورات في مرحلة أخيرة من مراحل الوجود الذي سبق آدم وكانت فيها الكواكب عامرة، وكان إبليس (أمون حينها) وزيراً لذي القرنين وُرفِع بعد ذلك بعد نجاحه في تلك العمليات الكثيرة، وكوكب يكون فيه نحاس ثقيل يثقل يصبح كوكب مارق، وهم حَفِيّون فيه، وفيه نحاس وفيه مواد مُشعّة، وغير ذلك من الأمور التي يطول شرحها ويطول سياقها.

الملاحم فيها الكثير من الدسّ وفيها الكثير من الأمور التي بُنِيَتْ عليها داعش، بمعنى أنّ التنظيمات الإرهابية عمّلت على ملاحم الشام وأنهم ينفذون تلك الملاحم. وحتى جورج بوش عندهم في التلمود والتوراة عندهم أيضاً ملاحم، الهرمجدون هي ملحمة وهذه الملحمة حُرِّفَتْ (يوم الدينونة أو يوم الحساب الكبير)، هذا اليوم حُرِّفَ حتى أنّ جورج بوش قال "أمرني الرب أن أدمر العراق"، لأنّ عندهم إبن الشيطان رمزه (666) حسب ما يقولون وروّجوا لأفلام كثيرة وقالوا هو يولد في العراق وقالوا أنّ الرئيس العراقي حينها يمثّل تلك القوة التي ستدمر العالم، وأرادوا التمهيد لأنّ عندهم أيضاً يمهّد الطريق من العراق إلى مجدو إلى مرج بني عامر في فلسطين، ولذلك كان حتمياً كما بيّنت في دراسة استشرافية سنة 2008 أن يدخلوا على بلاد الشام.

الإسراء الأول إعلان نهاية، الملاحم كتاب غامض فيه الكثير، كربلاء جزء من الملاحم، الحرب العالمية الأولى والثانية جزء من الملاحم، ناكازاكي وهيروشيما جزء من الملاحم، ولكن تُدار بشكل يتمّ التلاعب فيه بالمعلومات وبالمعطيات، والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى سَمِحٌ لَهُمْ بِذَلِكَ وَلَوْ شَاءَ سَبِحَانَهُ مَا فَعَلُوهُ، لحكمة عنده.

اليهود وسعيهم لتغيير القدر

ينطلق العالم بعد الإسراء، ينطلق بنو إسرائيل في مشروعهم الكبير مشروع حكمائهم، مشروع بناء الدولة العظمى. وهناك فكرة مجنونة كانت لديهم، وهذه الفكرة تقوم على مُعْطَى على غاية السذاجة والبساطة وهو مُعْطَى "تغيير القدر"، روجّ الشيطان لهم وروجّ بعضهم أنه يمكن تغيير القدر. وهذه الفكرة كانت عند فرعون عندما قَتَلَ بني إسرائيل الرُّضْعَ الجدد حتى يمنع ولادة ذلك الإسرائيلي الذي سوف يقتله ويقضي على حكمه، هم يُطَبِّقون نفس النظرية.

وإعانتهم على طُغَاة حكموا هذه الأمة مثل مساهمتهم المباشرة فيما حدث للإمام الحسين في كربلاء، ومساهماتهم المباشرة في تسميم الإمام الحسن، مساهمتهم المباشرة في اختراق الخوارج وفي قتل الإمام علي عبر عشيقه إبن ملجم وغير ذلك من الأمور، مساهماتهم المباشرة وتنسيقهم المباشر مع معاوية ويزيد ومع كل الذين خانوا النبي وخانوا الإمام علي وخانوا هذا الدين الحقيقي وقتلوا آل البيت مساهمة واضحة. ويمكن أن نعرف بنظرة تاريخية عدد الكُتَّاب الذين هم من الديانة اليهودية ودخلوا الإسلام والذين اخترقوا، وهناك إبن الراوندي وكعب الأحماد ووهب ابن مُنَبَّه وغيرهم كثير جداً يطول فيهم السياق، حتى أنهم كان لهم تأثير على سيف إبن عمر التميمي الوضّاع الكذاب وعلى حمّاد الراوية الوضّاع للشعر، وكذلك كان لهم تأثير كبير على إبن تيمية عبر مدرسة الفُزَاء. لهم دور وبدأ دورهم يزداد، لهم دور في الثورة الصناعية، لهم دور كبير في مأساة المسلمين في الأندلس، واخترقوا السلطان سليمان القانوني بزوجته حُرْم أو السلطانة هُيام كما سُمِّيت (روكسالينا) وهي يهودية روسية وأدخل اليهود إلى الدول التي كانت تابعة للخلافة العثمانية.

لا يعني ذلك أننا نتكلم عن كل اليهود في ضفةٍ واحدة، نتكلم عن الذين كانوا يتحكّمون في الذهب ويتحكّمون في السحر الأسود ويخططون لمشروع وعقدوا اجتماعات كثيرة، وقاموا بتدوين بروتوكولات

حكماء صهيون وسُرقت من هيرتزل وظهرت عام 1905 عندما ترجمها مترجم ومفكر وشاعر روسي وأصبحت عند هتلر وبني عليها أموراً وأراد أن يوقف ذلك.

❖ هم يريدون أن يُغيروا التاريخ.

ووصل الأمر اليوم إلى السينما عبر أفلام كثيرة من بينها تغيير التاريخ من خلال السفر في الزمن وتوظيف فيزياء الكم، أو من خلال **إبادة البشرية إن أراد الله أن يبيدها**، وهذا مشروع يتم العمل عليه حالياً بقوة!! أرادوه من خلال الحرب العالمية الأولى، أرادوه من خلال الحرب العالمية الثانية، أرادوه من خلال العمليات النووية وضربة ناكازاكي وهيروشيما، يريدونه اليوم خاصةً وهم يستثمرون في الحرب وسعوا إلى أن يدخلوا روسيا في حرب في أوكرانيا في حرب مع الحلف الأطلسي. وهناك صراعات ثروات وصراعات جيواستراتيجية وجيوسياسية كثيرة جداً تتصل بهذه العقائد التي لديهم، وهي عقائد تقوم على "الرغبة في تغيير القدر".

وكذلك لعبة *جيزيكياهو* هذا الذي ادّعوا أنه المنتظر وكلامهم عن المَشِيّة، وعلاقتهم بدول بعينها أتوا إليها مثل الدولة التونسية، هذا كله يطول شرحه ويطول سياقه.

❖ إذن *الإسراء الأول* هو الموعد الذي مضى فيه الحبيب المصطفى وأطلع الله على أمور من زوال هؤلاء، وأكد أن **الذات المحمدية التقت الروح المهدوية**.

الأنبياء وانهايار الحضارات

يمضي الزمن ويأخذ التاريخ مساره، ضمن قاعدة بسيطة وهي أن الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** عندما يبعث الأنبياء عادةً يبعثهم لطغاة قد بلغوا قمة القوة والحضارة: قوم صالح كانوا في قمة قوتهم، قوم شعيب كانوا في قمة قوتهم، قوم عاد كانوا في قمة قوتهم، قوم هود (عاد) وقوم صالح (ثمود) كانوا في قمة القوة، عتوا واستكبروا وقالوا من أشدّ منا قوة. ونعني بقمة القوة وجود أسلحة، أطلانتيكوس كانت قد بلغت صناعة سفن وطائرات وغيرها من الأمور، استعملوا حتى الأسلحة النووية، وهذا ثابت تاريخياً ولكن يكتُمونه، ويمكن أن تقرأوا كتاب <التاريخ المُحرّم> فيه بعض الهذيان ولكن فيه أيضاً معطيات صحيحة. وكذلك حضارة نوح كانت حضارة عظيمة القوة عظيمة المعمار، **وكل شيء كان أكثر من المضاعفة العشرية**، يعني طولهم أكثر عشر مرات من طولنا الحالي، أعمارهم أكثر من عشر مرات لوضاعفنا أعمارنا الحالية، والدليل أن نوح كان قد قضى 950 سنة يجادلهم وهم نفس الأشخاص، كان يطوف الكوكب كله، كانت حضارة مليارية ولم ينجُ منهم إلا قلة، ثم بُنيت بعدها حضارات جديدة، وهذه الحضارات من بينها أعلاها "أطلانتيكوس" التي ذكرها أفلاطون وتكلم عنها وأن الكهنة المصريين حدّثوه عنها وعن تطورها المذهل. ثم نسيّت البشرية وبقيت عندها بعض العلوم الروحانية والمعمارية، وجاء الجفاف الكبير منذ أربعة آلاف سنة وبعدها فقدت الإنسانية الكثير من تلك العلوم.

وهنا يأتي دور فرعون الذي كان له حضارة لم تكن فعلاً كأطلانتيكوس كقوتها العسكرية والسفن واستخدام الكهرباء واستخدام الطاقة النووية وغيرها، لم تكن كقوى حضارة نوح ولا كقوى القبل آدمية والتي كانت أيضاً قوى رهيبه جداً وحضارات عظيمة للغاية سواءً في الأرض أو في الكواكب الأخرى، ولكن كانت على مستوى معيّن كان قد بلغ قمة قدرته. فقام النبي موسى بدور عظيم في إظهار الحُجة عليه، ولما أخذه الله سبحانه أخذه في قمة قوته.

من هنا يبدأ فصل يدوم تقريباً 5000 سنة وهو فصل **الضمور الحضاري**، ويأتي سيدنا عيسى يبيّن أمور ويرحل من هذا العالم بعد أن قام بإحياء الموتى ويخلق من الطين، وتأتي المرحلة الإبراهيمية قبل ذلك بين سيدنا إبراهيم وسيدنا عمران، بين آل إبراهيم وآل عمران، ثم المسيح يُظهر تلك القدرات العظيمة، يمضي بعد أن أتم مهمته الأولى ليأتي في مهمة ثانية أخيرة.

ويأتي النبي محمد عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ للعرب وهم مشتتون ويأتون قبائح التصرفات، وهناك فواحش كبيرة وسفاح وفساد، وكان لديهم أخلاق جميلة أيضاً موروثه من سيدنا إسماعيل، فيأتي ليزي الأخلاق الجيدة ويُلغي الأخلاق الفاسدة. المنظومة التي كانت تستعد إنتظاراً لهذا النبي (وهي منظومة بني إسرائيل) أرادت أيضاً تغيير التاريخ وكذبت وقالوا سيأتي نبيّ منا، وقالوا ذلك للأوس والخزرج "سوف نجتمع عليه ونُحاربكم". وعبدالله بن سلام كّم بني إسرائيل قبل أن يعلن إسلامه عن أمور في كتبهم، ثم لما أعلن إسلامه تبرأوا منه، قبل ذلك قالوا: "هذا كبيرنا وابن كبيرنا". يكون لهم دور في البحث عن المنتظر، ويعرف عبدالمطلب عن أبيه ويعرف أبو طالب ويعرفون أنه هو النبي المنتظر، ويحدّث بذلك رهبان الشام من المسيحيين ويطلبون من أبي طالب أن يحميه، وكان يأمر ابنه طالب أن ينام مكان النبي وهو شاب. ثم يحفظه الله، ولما يعرفون من هو يتحالفون مع الذين كانوا يتاجرون في الأصنام وكانوا يتلاعبون وخاصةً من أبناء عُمومته من بني أمية، وبعد ذلك تتم هذه المعارك.

التدخل الملائكي وسلاح الجو الإلهي

السلاح الجوي الإلهي الرباني هذا التدخل المباشر يكون له تدخل يتيم، تمظهر القدرات يكون تمظهراً عظيماً عند السيد المسيح، وهي إشارة لزمن آخر سيكون فيه تمظهرات أخرى أكبر بشكل أكبر. والمعجزات النبوية لم يكن فيها أمر للقوات العسكرية الربانية بالتدخل كما تدخلت في قوم لوط على سبيل المثال، عندما تدخلت في قوم لوط ولم يكونوا في حال حضاري كبير لأنه يشمل الفترة الإبراهيمية، تدخلوا وقاموا بإبادة جماعية لكل هؤلاء الفاسقين.

***التدخل الملائكي* المباشر لا نعني التدخل المددي**، التدخل المددي (الدعم المعنوي) هذا تمّ في بدر، أمدهم الله سبحانه وتعالى بالملائكة لكن الملائكة حينها لم تضرب رقاب الكفار، إنما لعلها قامت بمهاجمة الجن والشياطين، إبليس فرّ وقال أرى ما لا ترون.

لكن التدخل المباشر لسلاح الجو الإلهي كان عندما جاء أبرهة الحبشي بجيش كبير لم تقدر عليه مكة وفرّوا منه، ووقف عبدالمطلب وأبو طالب وفاطمة بنت أسد والسيدة آمنة قبل خمسين يوم من ولادة النبي، وقام الجيش هذا أمام أعينهم بإبادتهم. لم تكن طيراً كما نفهم "هي طير تحمل في مناقيرها حجارة"، إنما كانت طائرات، **نوع من السفن الملائكية المطوّرة جداً** تدخلت، لم يستطع أهل قريش أن يروها بحكم أنّ ملائكة الرياح حركت عاصفة فرأوا الانكسار الضوئي، وهذا يُثبت إيمان أبو طالب وأنه كان يعلم يقيناً، ولما وُلد النبي قال: **وأبيض يُستسقى الغمام بوجهه**، وقال عبدالمطلب **"إنّ ابني هذا هو النبي المنتظر"**. وكان قد حدّثه أبوه عن جده عن إسماعيل أنه **"عندما يأتي الفيل الأشرم الذي له جرح كبير في خُرطومه وكسر في نابيه الأيمن وضربة على عينه حينها سيولد النبي المنتظر"**، لذلك مضى عبدالمطلب سعيّاً ونظر في الفيل، ثم لما كلمه أبرهة قد خشي منه قال **"فقط أريد الإبل"** خدعه في ذلك والحرب خُدعة، فقال **"قد استعظمتك لما رأيتك والآن تكلمي في الإبل؟!"**، قال **"أنا رب الإبل والنوق وللبيت ربّ يحميه"** **"اللهم احم رحالك، إن كنت تاركهم وكعبتنا فأمر ما بدا لك"**. هنا يظهر ثمة فيلم إيراني جميل الحقيقة عن هذا المشهد بالطير، ولكن للأسف لم يكن طيراً لأنّ كلمة طير هو اشتقاق لغوي فيه مشتركات، وهذا من عظيم اللغة العربية.

﴿وَالنَّجْمِ وَالشَّجَرِ يَسْجُدَانِ﴾ النجم قد تعود إلى الشمس والقمر فيكون نجم من النجوم، وقد يرجع إلى الشجر فيكون نجم نوع من العشب، وكذلك ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَفَائِتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمَسِّكُهُنَّ إِلَّا الرِّحْمَنُ﴾ تعني الطير بمعنى الطيور وتعني أيضاً السفن الفضائية (نوع من الطير) تطير أيضاً. وكذلك سليمان لما علّم منطق الطير تعني أنه تعلّم كيف يتواصل مع الطيور وتعلّم كيف يستخدم شيئاً من تلك السفن، لأنه كان يستخدمها في الذهاب إلى القطب الجنوبي إلى شوابيا والدخول في عالم الجن مباشرة، وهو الطريق الذي عثرت عليه بمكر إلهي الغواصات النازية وتركت تلك الخريطة وأرسلها رئيس الحزب الشيوعي إلى ستالين في رسالة خاصة كما كشف الجنرال إيفاشوف وكما كشف غيره من القيادات في "الكي جي بي" الروسية (راجعوا برنامج رحلة في الذاكرة عن هذه المعلومات، المعطيات قد تبدو صادمة). ورحل الأمريكيان يبحثون عن ذلك وأرسلوا عملية الوثب العالي «ريتشارد بيرد» وخرجت لهم سفن وحطمت سفنهم وكان فيها 4000 جندي، وأرسل الروس أيضاً مجموعة وخرجت لهم سفن، ولذلك قال تشيرنافل حينها وهو كان أمر البحرية السوفيتية أنها سفن مذهلة وخرجت وأنا رأيتها بأمر عيني كما ذكر حينها في البرنامج، وهذا كله ضمن قوله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنِ اسْتَعْظَمْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ﴾ ﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِنْ نَارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنْتَصِرَانِ﴾** هذا شيء من الشواظ والطير الصافات ويقبضن. أيضاً معروف اليوم أنّ السفن الفضائية تظهر في كل مكان ولكن لا تقوم بأي هجوم، **لأنها ممنوع عليها ذلك تنتظر قائدها**، هكذا أربط لكم الأمور، وكنت قد توقفت عن نشر كتابي عن السفن لحكمة في صدري.

المهم تدخّل هذا الجيش الرباني كان قبل خمسين يوم من ولادة النبي المصطفى، لأنّ أبرهة أتى ليقتل محمد ولم يأت ليهدم الكعبة، فقط كان يريد هدمها لقتله. وشاهد ذلك أنّ:

- ❖ الحجاج قام بهدم الكعبة بالمنجنيق وصلب من صلب فيها، ولم تهاجمه الملائكة.
 - ❖ القرامطة خربوا الكعبة وسرقوا الحجر الأسود 23 سنة زمن الدولة الفاطمية ولم تهاجمهم الملائكة.
 - ❖ جهيمان العتيبي هاجم وادّعى أنّ معه المهدي المنتظر في عام 1979 ولم تأته الملائكة.
 - ❖ محمد ابن عبد الوهاب قتل من قتل في الحرم ولم تظهر تلك الجيوش.
- إذن لم يكن الأمر يتعلق بالكعبة بل كان يتعلق بالنبي محمد، ولولا ذلك لكان وضع صنم واحد فوق الكعبة يؤدي إلى هجوم وتدخل.

هذا التدخل هو **معجزة ما قبلية** لرسول الله قبل أن يولد. وهذا الجيش يؤمر بأن لا يتدخل أبداً لأمر فظيعة حدثت، قتل ابن فاطمة كان مشهداً رهيباً كانت مأساة، أو مأساة فخ، ولم يتدخل في الحروب والغزوات حتى لما أصيب رسول الله.

المعادنة رغم اليقين

وقد كانت قريش تعاند رغم معرفتها بوجود هذه القوى العظيمة، كما تعاند اليوم الولايات المتحدة رغم رؤيتهم للسفن يقولون طالما لم يتدخلوا فنحن سوف نقوم بما نقوم به ولنغي وجودهم، حتى لما يخرج عالم الآن يقول: "اكتشفنا وجود ميكروب أو بكتيريا في كوكب المريخ، لعله ثمة حياة في الكوكب الآخر"، ويتركون يقينهم جانباً. حتى لما نشر الكونغرس واعترف بتصوير مشاهد لسفن وأجسام مجهولة وأخرج وخرج رئيس هذه اللجنة في الكونغرس (غونزاليس اسمه) وطيّار اسمه تايلور، وأخرج ترامب، أخرجوا عراب الإلحاد نيل ديغراس تايسون وتكلم في CNN وقال "لعلها ليست من فضائين" وأراد أن يبين ولم ينطق بذلك أنه من المستقبل، ويروجون الآن في الأفلام أنّ تلك السفن لبشر من المستقبل سافروا في الزمان، **والسفر في الزمان محال لأنّ الله يمنع عليهم ذلك**. وحتى كل أفلام أفنجرز ما هي إلا للترويج لهذه الأفكار، وثانوس الذي قضى على البشرية بـ «طرطقة أصابعه»، وهذا اللفظ موجود في التوراة بالحرف: "أنّ قائم آل محمد المحمدي يزيل البشر بطرطقة أصابعه لعظيم قدرته"، أخذوها إلى ثانوس. ولكن أتوا بـ "Ant - Man" الذي يسافر في عوالم الكم واستخدموا ذلك في السفر في الزمن وغيروا الزمان والإحداثيات والأحداث، هذا كله عقيدة تُروّج الآن!! **يروجون أنه بالإمكان السفر وتغيير القدر، إما أننا نقضي على البشرية كلها بالأسلحة النووية، أو أننا نغيّر القدر، أو نجد المنتظر الثاني ...**

بحثوا عن المنتظر الأول، ولما ظهر النبي محمد حاربوه وكفروا به، دسّوا السم لابنه ودسّوا له السم، وتحالفوا مع المنافقين والخونة، دسّوا السم لعلّيه، أحزنوا فاطمته، سمّموا حسنه، قتلوا حسينه وذريته، قتلوا أبناءه في فخ، سجنوهم في سجون العباسيين، قتلوا كآظمهم وعلي زين العابدين أيضاً بالسم وجعفر الصادق بالسم الباقر بالسم كذلك، الكاظم سُجن طويلاً، الرضا أيضاً بالسم، وهكذا انطلقوا وانطلقوا وانطلقوا حتى بلغوا هذه التطورات والقدرات التي انتظروها، وأخذوا من هتلر الكثير وأخذوا من بحوث قديمة...

ثابت أنه تم استخدام الكهرباء قبل هذه الحضارة، ثابت أنه تم استخدام الطائرات، وجدوا مطار في البيرو عمره آلاف السنين، وجدوا طائرة من حضارة المايا هي مجسم من الذهب قالوا أنها طائرة عالية القدرة، وجدوا في دندرة في قنا لوحاً فيه رسم للطائرة ولطائرة هليكوبتر ولدبابة، قالوا أنها خطوط تماست، وهذه الخطوط *نحت ليزري* وليست نحت نقري، ولا يمكن أن يأتيها الماء ويتسرب إليها ويسقط الخط، لا يمكن لخط منحوت ليزرياً، وحتى صقل الصخور كان ليزري. ولما قاموا بدراسة قناع توت عنخ آمون وهو من الذهب وجدوا أنه لا يوجد لحام، لكن لما حللوا وصوّروا وجدوا لحاماً ليزرياً، وجدوا عمليات جراحية على المخ بالليزر ووجدوا أمور كثيرة جداً وتيقنوا أنّ ثمة حضارات.

حتى نيكولا تيسلا عندما استخدم الكهرباء دون استخدام أسلاك وأضاء قرية بأكملها عن طريق برج تيسلا قال أنّ الهرم نفسه كان مكان لتوليد الطاقة، وأثبت الكثير من النظريات، واستخدم سلاح *الشعاع الأزرق* الذي قام به بعملية *تونغوسكا* وكانت عملية عجيبة جداً وتم قطع 80 مليون شجرة في سيبيريا.

تقسيم الدور بين النبي والولي

قبل ولادة النبي بخمسين يوم يتدخل الجيش الإلهي ولا يتدخل بعد ذلك أبداً، رغم كل تلك المآسي يبقى ينتظر حتى يأتي الموعد.

أرجع إلى نقطة أنّ كل نبي يُبعث لحضارة وهي في قمة قوتها إلا ما بعد موسى، كان هنالك قتل لفرعون إبادة عن طريق البحر، ثم تمضي الحضارة ويمضي بنو إسرائيل الممتحنين ما قبل القيامة في فسادهم، يظهر لهم أنبياء يقتلون هذا ويسممون ذاك ويخادعون ذاك يكفرون بعد عهد... حتى يصلوا إلى النبي محمد الذي يظهر والقبائل العربية كانت ممزّقة، العرب كانوا في حال من الحضيض الحضاري مشتتين، تقريباً مع بداية بعثته تكون معركة *ذي قار* ويجتمع المناذرة والغساسنة لأول مرة ضد كسرى بعد أن قتل النعمان ابن منذر.

وتبدأ الأمة في الصعود ثم العالم في الصعود من خلال علماء المسلمين «ابن رشد، الخوارزمي وجابر ابن حيان (علم الجبر)، ابن سينا، ابن النديم، ابن الهيثم» ويبدأ العالم في استعمال ذلك. ومن حضارة الأندلس تخرج أوروبا من قرون الظلمات والعصور الوسطى، تهاجم هذه الأمة ويكون هنالك مقتلة شديدة جداً، يساهم الصالحون مثل الشيخ عبدالقادر الجيلاني مع نور الدين زنكي في المعارك وفي تحرير القدس ولكن لم يكن ذلك اليوم الموعد.

وفي لحظة من لحظات الزمن، في قرنين فقط تندلع هذه الثورات الصناعية ويصل العالم إلى ما وصل إليه اليوم. تسارع الأحداث يبيّن قرب ذلك الموعد لأنه قُسم الدور بين "النبي" الذي يظهر في الإسراء الأول، وبين "الولي" الذي يظهر في الإسراء الثاني والذي سيتحدّى تلك الحضارة في قمة قوتها ويُزيلها بقوة الله.

الأنبياء عادةً يكون في زمنهم إزالة أقوامهم، ولكن بعد أن أزال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فرعون لم يكن هنالك تدخل ملائكي مباشر إلا مع أبرهة الحبشي ومع إبادته بشكل كُلي، لأنّ القوة التي جاء بها لا يقدرّون عليها، ولكن لا تتدخل تلك القوة بشكل مباشر أبداً، تتدخل بشكل مدد روحي أو بعض المسائل التقنية فقط مثل تخدير الذين كانوا يريدون أن يدخلوا على رسول الله في حجرته ليقتلوه وحلّ محلّه سيدنا عليّ، ولكن تدخل مباشر يؤجّل وتبقى تلك السفن وتلك القدرات تطوف وتنطلق. تتمظهر بعض الكرامات عند الأولياء، ولكن لا يتمّ التمثّل الكبير إلا في الإسراء الثاني أو بعد الإسراء الثاني.

التمكين لبني إسرائيل في هذا العالم

الإسراء الثاني يتطلّب أموراً كثيرة:

- ❖ أولاً أن تصل الحضارة إلى قمته وذروتها.
- ❖ وأن يأمر الله مترفيها فيفسقوا فيها ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاَهَا تَدْمِيرًا﴾.
- ❖ وأن يُؤتَى أفسدهم هذه القوى.
- ❖ وأن يكون في شأن بني إسرائيل ما أَرَادَهُ اللهُ ﴿أَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا﴾ النفيير أي الذي يواليههم ويدعمهم وليس منهم، وكل خونة العالم مع هؤلاء.
- ❖ ويكون قبله أن يُجمعوا في مكان واحد ليتحقق وعد الآخرة ﴿وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْكُنُوا الْأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا﴾.
- ❖ وبعد ذلك لا بدّ أن يُمكنّ لهم في العالم.

وهذا التمكين تمّ بالحرب العالمية الأولى التي اشتغلوا عليها جيداً، وإن كانوا قد عمّلوا من قبل ذلك مع راهب اسمه بطرس هو الذي جمّع الناس للحروب الصليبية، كانوا من وراء ذلك، إسقاط الدولة العثمانية كانوا وراء ذلك، مجازر الأرمن (في الحرب العالمية الثانية أو بعدها بنّيّف) كانوا أيضاً وراء ذلك، ثم وول ستريت 29 الأزمة الاقتصادية العالمية كانوا خلفها سحبوا الأموال والأسر الكبرى تدخلت... ثم الحرب العالمية الثانية وكانوا يخشون من هتلر والذي كان يستطيع أن يصنع السلاح النووي بمعلومات وأمور وأسرار من التيتبت أتاها بها *بلومبكن* وهو من المخابرات الروسية ولكن خان وأعدم بعد ذلك من السوفيت، وأرسل وأقام شوابيا الجديدة، وأرسل بعثات عبر أنينيربي التي أسسها همملر وكان قائد القوات الخاصة ووصل هؤلاء إلى القطب الجنوبي، واليوم نتكلم أنّ أستراليا تريد أن تستثمر في القطب الجنوبي رغم وجود اتفاقية كبيرة منذ الخمسينات عن عدم دخول القطب الجنوبي بعد عملية الوثب العالي الأمريكية وبعد العملية السوفييتية. ويقوم هتلر باكتشاف أسرار كثيرة واكتشاف بُعد آخر يؤدي إلى عالم آخر، ولكن قالوا أنها الأرض المجوفة وأنّ هناك سكان الجوف والرماديين والأرض المسطحة وكلها أساطير وخزعبلات. ووصل الأمر إلى إعداد ترسانة نووية كبرى وإلى الإعداد لهذه الأمور، ويمكن أن تراجع قتل كينيدي واكتشاف أنّ الأمريكان لم يصعدوا للقمر وكيف اكتشف الروس ذلك، ثم كيف أنهم اشتروا

الحكام الروس، وجاء الرئيس نيكسون إليهم وأزمة صدمة نيكسون وكيف خرجوا على الناس بفكرة أنّ الدولار يمثل مئة أوقية ذهبية، ثم قال نيكسون أنّ الدولار يمثل القوة العسكرية الأمريكية، ثم الأوبك والبترودولار وأمرهم أن يتمّ التعامل حصرياً بالدولار وهذا ما تريد الصين وروسيا نزعته سنة 2023؛ والأزمة الاقتصادية العالمية سنة 2008؛ دور جورج بوش الابن، لماذا دمروا العراق، لماذا الحرب على سوريا، لماذا الربيع العربي... ونصل إلى هذه اللحظة اللحظية التاريخية، وبوتين طبعاً لديه خبراء كبار في المخابرات ولديه من يقرأون، ولما تتابعون البرامج التي تقوم بها روسيا حتى إعلامياً بعضها بالعربية تعرفون أنّ هنالك حقائق، ويوتين صرح مرةً وقال: "إنّ الذي يوجد في الحقيبة السرية للرئيس: السلاح النووي وملف السفن الفضائية"، قال أنهم يصنعون أسلحة لحرب أخرى حرب كبرى، وبدأ يُعيد أمجاد القياصرة وبدأوا يُزاحمون.

والمعركة الحقيقية ايدولوجية بالأساس، هذا محفل عالمي، تنظيم سري، تنظيم الزوايا التسعة، تنظيمات سرية جداً، بدأوا يعلمون أنّ الإحتباس الحراري وتدمير المناخ وهو تدمير متعمّد والحرائق كما ذكرنا متعمّدة، يريدون إهلاك خلق الله قبل أن يُهلكهم. بدأوا يتكلمون عن كوكب نيبيرو وعن وجوده وعن قربته، بدأوا يتكلمون عن سفن بدأت تظهر بشكل أكبر وأسرع، عن أمور كثيرة تُبين اقتراب الوعد. وهم عندهم مُعطى في التوراة "76 سنة" وهم بلغوا الآن 71 سنة تقريباً، يعرفون جيداً أنّ الأمور اقتربت ويريدون أن يُشعلوا الحرب العالمية الثالثة بأي شكل ويريدون من خلال ذلك إبادة البشرية أو تغيير القدر..

روسيا تعلم أنهم يسعون لتدميرها لنهب ثرواتها، أخذوا جانب من أوكرانيا وبعض الدول الأخرى المحيطة، ويريد الحلف الأطلسي رغم وجود معاهدة سابقة بعدم ضم دول شمال شرق أوروبا إلى حلف الأطلسي ولكنهم بدأوا يعملون على ذلك.

والآن نتكلم ونسمع عن الحرب العالمية الثالثة بشكل واضح، قوات الإحتياط النووية الروسية تحركت، بريطانيا وضعت قواتها النووية في جاهزية قصوى، ألمانيا على سبيل المثال يتكلمون عن خوف من القصف وأنهم على استعداد، الأمريكان يريدون بأي طريقة أن يدخلوا في هذه الحرب بشكلٍ أو بآخر وهم مصدومون، الصين طائراتها تعبر المجال الجوي التايواني والناطقة باسم الدولة الصينية تتكلم عن إعادة واستعادة تايوان لأنها قطعة من الصين، وأيضاً الملف النووي الإيراني وما يريده العدو الصهيوني منه، والأزمة الاقتصادية العالمية 2023، أزمة الجفاف التي تشابه الجفاف الكبير الذي حدث منذ 4000 سنة والذي حوّل مدناً كبيرة كانت تقع في الربع الخالي وفي الصحراء الجزائرية والليبية إلى مجرد صحراء مجرد رمال تحتها مدن عديدة. هذا كله يضاف إليه كثرة ظهور السفن الفضائية وكثرة الظواهر الكونية الغريبة، كله يُشير إلى اقتراب الوقت.

وعليه، وكما كنت قد بيّنت من قبل سوف ترون في الأيام القادمة ما يؤكد لكم أنّ الحرب العالمية الثالثة حتمية وأنها بين السنوات 2023 و 2025 ، والعالم لن يصمد أكثر ..

لذلك سأقول كمفكر إستراتيجي ومستشرف: إن لم تتدخل قوة السماء فإنّ مآل العالم الآن كمال قريش عندما داهمها أبرهة بجيشه، والأمر غير مقدور عليه من قبل البشر ...

الإسراء الثاني

الإسراء الثاني سيتم ل *عبد ثان* نفس الأمر سيكون له علاقة بالقدس والكعبة والمدينة، وهذا العبد الثاني سيلتقي بالروح الأحمديّة كما التقت الذات المحمدية بالروح المهدوية، يُصلحه الله في ليلة، الإمام جعفر الصادق يقول "يُسرَى بالمهدي ويُعرج به ويرجع وقد نُقِص في عمره"، "وإنّ من عظيم البلاء أن يرجع إليهم شاباً وقد ظنوه شيخاً كبيراً"، وأنه "ينزل على سبعة أطباق"، وأن "سيف أحد رجاله لو أشار به إلى جبل لَشَقَّه نصفين"، وأنه "يضع يده على أحد رجاله فينهض وقد تناهى في العلوم"، إلى غير ذلك من الكلام الكثير... يُصلحه الله في ليلة هي ليلة **إسراء الإصلاح** وهي ليلة عظيمة، ليلة معجزة، ويكون بعدها ومعها ثلج يغمر الكوكب مما يعني وجود كوكب آخر يقترب فيُسبب ذلك.

- ❖ ﴿فَازْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُحَانٍ مُّبِينٍ﴾
- ❖ ﴿فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُنُوبًا﴾ وهذا الذنوب هو المذنب
- ❖ وكذلك ﴿وَلِلْكَافِرِينَ أَمَثَالُهَا﴾
- ❖ ﴿أَكْفَارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أَوْلِيائِكُمْ أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ﴾
- ❖ ﴿أَوْ تُسْقِطُ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمَتْ عَلَيْنَا كِسْفًا﴾
- ❖ تدخل الطير الصافات اللاتي أمسكهنّ الرحمن تتدخل
- ❖ سيكون يوم عجيب ﴿يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَى لَّهُمْ يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا﴾

سيكون هذا المخلوق العجيب الذي تمتاز فيه ذوات وأسرار كثيرة ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبَسُونَ﴾، هذا المختار هذا الذي ظهرت صورته في أفلام كثيرة: نيو وغيرها من الأفلام، سوبرمان وسواها، ساكني كريبتون، القادمين للأرض، هذا كله مؤشرات.

وأنا أُشير إلى أنّ الأفلام السينمائية من بين رسائل بني صهيون فيها: إعجاز الله، يُعجزون الله، يريدون أن يقولوا لله نحن نُنشئ عن طريق "الجرافيك" وال "D3" ما لم تخلق أنت. والله سوف يريهم أنّ ما خلقه أعظم وأنّ ما أودع في عباده أكبر، ستكون قوى كبرى لا يمكن تصوّرها ولا يمكن تحمّلها، وسترى البشرية حينها ضالة ما عندها من قدرة. ولكن هذا سيكون مع ميقات مُعيّن وهو ميقات أن يُحاط بالمؤمنين ويكون الكوكب في خطر شديد.

كلام إستراتيجي محض

إذا تقمّصت الآن كلام مفكر إستراتيجي ملحد مادي، أتكلم فقط الاستراتيجية ولا وجود لشيء آخر، لو تكلمنا من هذا الباب سنقول: أنّ زوال البشرية سيكون سنة 2030 أو قبلها بقليل، بعوامل:

- ❖ الأعاصير التي ضربت أمريكا هذا العام غير مسبوقة، وقالوا نحن في حالة ذهول، لأنهم عبثوا بالمناخ عن طريق مشروع اسمه مشروع هارب HAARP.

- ❖ وقتلوا نيكولا تيسلا وسرقوا مكتشفاته، ويحاولون الآن الوصول إلى إعادة تشغيل الشعاع الأزرق أو شعاع الموت الذي قام بعملية تونغوسكا عام 1908، وهذا الشعاع الكبير والخطير شعاعٌ يمكنه أن يُبيد البشرية، يستخدم طاقات الأثير والكمونات الكمية والكمومية وخصائص في الذرة، وهو أقوى آلاف المرات من السلاح النووي، استُخدم من قبل من قبل بعض الحضارات البشرية القديمة، عندما يوجّه تُضيء أنوار شديدة وقام بمحق ثمانين مليون شجرة في ثواني قليلة، أقوى مئات آلاف المرات من قنبلة ناكازاكي وهيروشيما ومن الأسلحة الهيدروجينية والانشطارية.
 - ❖ ثمة أسلحة أخرى سمّيتها الأسلحة الهيكزونية وهي أسلحة تقوم على القفز الهيكزوني تسبب زلازل، وعلى مستوى عميق تسبب أمواج تسونامي، أسلحة أخرى تسبب عواصف وأمطار.
 - ❖ عبثوا بالمناخ وعبثوا بخلق الله لحكمة أرادها الله، والعالم الآن مهدد بالزوال بسبب ذلك، الجفاف وهو كبير جداً وخطير وثمة تصحر.
 - ❖ أيضاً الذوبان الجليدي القطب الجنوبي فيه جبال جليدية عمرها 80 مليون سنة و 160 مليون سنة وهي الآن تذوب.
 - ❖ ثمة انقراضات كبيرة.
 - ❖ والحرّاق لتسخين الكوكب من كل مكان، حرّاق أستراليا والجزائر وتونس حرّاق مدبرة.
 - ❖ إيلون ماسك ودوره في ذلك عبر أقماره الصناعية بعضها سلّط الله عليها ما أحرقها وله دور أيضاً كبير.
 - ❖ بيل جيتس وصناعة النانو تكنولوجي وصناعة فيروس كورونا وصناعة اللقاح والتغيير الجيني وتغيير الحمض النووي وهذا كله لعبة أيضاً.
 - ❖ الأسلحة النووية الجديدة والأسلحة المغناطيسية وسوى ذلك من أسلحة الموجات، هذه الأسلحة الصوتية الذبذبية التي عمل عليها هتلر أيضاً.
 - ❖ ويريدون أن يقاتلوا وهم يعلمون: طالما السفن الفضائية التي من فوقهم لا يقدرّون عليها، فهذه القوة القادمة لا يقدرّون عليها.
- إذن بالمُعطى الإستراتيجي المحض (Pure Strategy): هنالك خطر زوال البشرية قبل 2030 بالمناخ أو بالحرب.

الحرب الحالية لن تتوقف لأنها صراع قوى:

- ❖ أمريكا تعلم أنها ستزول حضارياً، تضحّم الآن، عندها تضحّم اقتصادي غير مسبوق.
- ❖ قاموا بمحاولة كبرى عن طريق كورونا لم تنجح في تحقيق أهدافهم، كشف نادي روما على سبيل المثال أحد النوادي الكبرى للماسونية يريدون 500 مليون شخص أن يموتوا، بيل جيتس وغيره كشفوا عن المليار الذهبي، أرادوا أن يقتلوا من قتلوا ولكن لم يستطيعوا، هم الذين أنجزوا أيضاً أنفلونزا الخنازير وأنفلونزا الطيور والسارس، كل هذا لم ينجح.
- ❖ اللقاح أيضاً يريدون من خلاله زرع الغام في داخل أجساد البشر، ليست طبعاً كل أنواع اللقاح ولكن بعضها، يزرعون ألغاماً وأول شيء يصيب بالتخثر الدموي، يصيب بأزمات في القلب وفي الأوردة، تشوش في الذهن.

❖ كورونا نفسه مبرمج أن يصيب بفقدان الذاكرة وتشوش في الذهن، وثمة كورونا مزمن كمرض مستوطن وليس جائحة، وبعدها بعد خمس سنوات يقومون بتفعيل إشعاعات معيّنة ليُبيدوا بها البشرية.

❖ ثمة أسلحة بالأقمار الصناعية، ثمة أسلحة تستخدم حتى الفيسبوك والشعاع الضوئي فيها، وألاعيب ذهنية مثل الحوت الأزرق وما هو أقوى حتى يصلوا إلى الإبادة.

❖ صناعة داعش والإرهاب، الإرهاب يُعدّ الآن أيضاً في الصف المسيحي والهندوسي وغيره، يخترقون جميع الطوائف الدينية، يخترقون الشيعة بشيعة بريطانية، يخترقون السنة يخترقون الصوفية يخترقون المسيحية، الهندوسية، البوذية، يخترقون كل الناس ويريدون هذا الأمر.

وهو حقيقة ومُعطى إستراتيجي وأتكلّم عن معرفة وعن علم وعن سفر وعن لقاءات وعن بحوث وعن كتب وعن دراسات كثيرة جداً، ولي قصص حتى مع رؤساء كثيرين، ولي خبر حتى في ليبيا من قبل من عام 2008 وفي سوريا وفي غيرها، تركته ولم أتكلّم عنه ولا أريد الكلام عنه، ولكن أصحابي وأحبائي يعرفون أي صادق في ذلك، وهنالك من عايشني في تلك المراحل.

المهم ما نريد قوله أنه إذا تكلمنا من مُعطى الإلحاد المادي الإستراتيجي، نيل ديغراس تايسون يتكلّم في العلوم الإستراتيجية أو ريتشارد دوكنز، فالبشرية نحو الإبادة والحرب العالمية الثالثة حتمية.

- بوتين الآن عندما يتحرك يعلم أنهم قادمون إليه وأنهم يطوّقونه، وهنالك أزمات أخرى كثيرة، وهنالك تحريك لمناطق ولعمليات إرهابية جديدة.
- الصين تريد أن يكون لها مكان، وروسيا مكان، وهذا نتكلّم فيه في تأمل إستراتيجي ويكون أكثر تفصيلاً.

الجانب العرفاني

لنرجع الآن إلى الجانب العرفاني وأتكلّم عرفانياً بحكم أنه تأمل عرفاني، أقول أنّ الذي سوف يأتي والذي سيحدث هو وجود تدخل رباني هذا لا شك فيه، الذي يقرأ القرآن ويدرسه والذي يركّز على ما فيه من معاني ومن مباني ومن أسرار ومن حقائق يتيقّن من ذلك.

إذن إذا أردت أن تأخذ الأمر بالشكل المادي: فالعالم يتجه إلى خطر حقيقي، الحرب العالمية دخلت الآن المستوى الثاني، لها ثلاثة مستويات:

1. الأول حرب الوكالة تمّ عن طريق داعش والقاعدة وغير ذلك
2. الثاني الحرب القريبة وهو ما يأتي الآن في أوكرانيا وسيكون في تايوان وفي غيرها من النطاقات
3. الثالث الحرب المباشرة التي تعبر بأزمة اقتصادية كبرى وتدمّر وتدمر لاقتصاد العالم

إن لم تتدخل هذه القدرة أو قوى كبرى فإنّ العالم مهدد بالإنقراض!!

أما *البُعد العرفاني* إذا أردت أن تأخذه إيمانياً فاعلم أنه آن الآوان لما أَرادَه اللهُ للإسراء الثاني، سيكون قريباً بعون الله، لا أقول 2023 أو 2024 لكن قبل 2030، حتى لا نوقّت. هنالك ميقات أكيد لكن سيكون مذهلاً سيكون فيه إعجاز إلهي، هذا يدعوننا إلى التدبر القلبي.

وأعيد وأكرر: "نؤمن بالغيب ونعمل بالواقع"، يعني ليس علينا أن نجلس وننتظر ولا علينا أن نجلس ونبكي ونلطم وجوهنا ونقول سيزول العالم، العالم سيزول بيوم القيامة وهذا لا شك فيه وإزالة هؤلاء على الله هيّن، إنما نُظهِر الحُجّة حتى يَظْهَر الحُجّة، إنما نؤمن بالغيب ونعمل بالواقع، نصدّق ما قال الله ورسوله وصدق الله ورسوله، نصدّق أنّ شخصية المهدي الحقيقية ولا نضل نتخاصم هل هو ابن الإمام الحسن العسكري أو سيولد في وقته هذا سيُظهِره اللهُ في وقته ليست لعبة فيسبوكية أو ادّعائية، لن يظهر الإمام أيضاً في مرحلة ما قبلية ويقول للناس في الإعلام أنا فلان ولكن لم أبايع بعد كما يفعل اليميني الأحمق وآخر في العراق، هذا كله حُقم.

ويضحكني كثيراً الحقيقة حتى له فيديو جميل يقوم بالرياضة يستعدّ وهو لا يعلم أنّ المهدي الحقيقي هو أعظم محارب في تاريخ هذا الكوكب لما يُظهِر اللهُ منه، صحيح أنه توأم عليّ، ولكن الله أذن لعليّ بذي الفقار ليقاتل الكفار بمستوى معيّن، ولكن المهدي سيقا تل أساطيل لذلك يؤذن له بمستوى آخر، ولو أراد اللهُ لأذن لعليّ بأعظم من ذلك، لقاتل الأساطيل، لهَدَمَ الجبال بمجرد تحريك يده. ولكن اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَرَادَ للحسين أن يُقتل وللحسن أن يُقتل ولعلي أن يُقتل، هذا أَرادَه اللهُ، وكان عليّ أعظم الفرسان قدراً، ولكن سيُظهِر على المهدي قدرات أخرى.

نعم السيد المسيح خلق من الطين طيراً وأحيا الموتى وسيدنا محمد أفضل منه كما يعلم كل مُعتقد في نبوة سيدنا رسول الله ولكن الله لم يُظهِر إحياء الموتى على يد سيدنا رسول الله. **فالأمر هي بفضل الله وليست بالأفضلية**، قال الجنيد: "مشى على الماء أقوامٌ ... ومات بالعطش من هم أفضل منهم" مشى على الماء أولياء صالحون ... ومات الإمام الحسين ظمأناً، هذا حتى نفهم.

سيكون تجلي كبير وعظيم، من أراد أن يُؤمن به فله ذلك، من أراد أن يُكذّب به فله ذلك هذا لن يُغيّر من الحقيقة شيئاً.

وأيضاً نحن لا ندعو إلى طائفة ولا إلى تنظيم ولا إلى شيء من ذلك، نحن ندعو إلى التأمل في القرآن والإيمان بما نَزَّل اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ونترك الأمر حتى يظهِره اللهُ. الواقع الذي أمامنا يحتاج منا إلى أن نتدبره، إلى أن نقوّي إيماننا ونقوّي ذكرنا لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، الصلاة على النبي، معرفة الإسلام المحمدي الحقيقي، التخلص من أحابيل الوضع والدس والوهم، إعداد جسدي، إعداد إقتصادي، تأمين غذائي، لو كنت أنا أتكلّم مع رؤساء دول سأقول لهم: أمّنوا تغذية شعوبكم. سيأتي الجوع ويأتي الفقر وتأتي أزمات وتنهار مؤسسات كبرى، **سوف تأتي راجفات ربانية، ستبدأ قوارع إلهية تحدث قليلاً قليلاً**، لذلك ندعو ونرجو أن يكون الأمر على مراد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وعلى ما أَراد.

خاتمة

ونرجو لكم الخير والسداد والسلامة، وأن تكونوا استمتعتم جيداً وأنكم سمعتم بانتباه سواء ما صرّحنا أو ما لمّحنا به، فبعض التصريح جيد وبعض التلميح جيد، وما يصرّح به قبل وقته سيكون ضرره أشدّ من نفعه، ونرجو أن تفهموا كلامنا وأن تدركوا أنّ موضوع الإمام المهدي سرّ إلهي ولكن حتمية حقيقية ومُنقذ للبشرية وأنّ هنالك أمور ستظهر جلية لكم تبعاً سوف تتسارع مثلما صُدم العالم، وأنا قد قلت من قبل أنه مع الأصفار: 2000 تمّ عملية أحداث سبتمبر، ثم 2003 إسقاط العراق، ثم 2020 إنقسام الصفرين وانقسام الرقمين بتوازن {20 - 20} بدأت كورونا، ثم الآن عدّ تصاعدي: 2022 أوكرانيا روسيا، 2023 سيكون أشدّ، هكذا حتى يُظهر الله أمره.

اعلموا أننا نصمت على كثير مما نعلم، وأنّ هنالك تدوينات كثيرة وكتب قديمة كتبناها، والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى صَدَقْنَا وَعَدَهُ وَأَلْقَى فِي قلوبنا ما ألقاه، ليست نبوءة ولا ولاية إنما عناية ربانية، لسنا بأنبياء ولا بأولياء ولكننا جنودٌ مخلصون لهذه الراية المحمدية المهدوية، محمدية في أصولها مهدوية في وصولها.

وندعو دائماً للترقيّ بجميع معانيه وجميع أبوابه، وأن نأخذ الحيطة والحذر، وأن نكون على وعي لا على وهم، لأنّ هنالك صيادين كثيرين في موضوع المهدي بحكم العالم الآن في حالة رَجّة يصطادون عن طريق اليوتيوب وغيرها، اعرفوا واعلموا ممن تأخذون العلم، جزاكم الله خيراً،

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

الحاضرة بتاريخ: 28-02-2022



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

التأمل السادس والثلاثون: كربلاء والفصل في عاشوراء

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله الذي سيّر الأمور على ما أَرادَه، وبلغ في كل أمر مُرادَه، وهدى بسيدنا محمد ﷺ عبادَه، الحمد لله الذي له مُطلق الخير والفضل والفعل والإرادة، جل في علاه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد الطيبين الطاهرين الغر الميامين.

متابعينا وأحبائنا الكرام السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته في هذا الموعد الجديد من التأملات العرفانية. إن شاء الله سنتكلم اليوم عن موضوع مهم جداً وأعتقد أن له قيمة كبيرة، وإن كان أغلب خطباء المدرسة السنية وشيوخها يتجنبون هذا الأمر. يعني يندر أن نرى خطبة جمعة مثلاً عن موضوع كربلاء، أو يندر أن نرى نقاشاً في المجتمع السني عموماً في هذا الموضوع، رغم أننا إذا تتبعنا مثلاً القيروان قديماً كان لديها عاشورية، كان لديهم طقوس معينة وطعام يُطبخ دلالة على الحزن، وكان ثمة مجلس عاشوراء وفيه تُقرأ قصة سيدنا الحسين. كذلك لمست هذا في الهند في بعض أناشيدهم وفي تلك الأيام، هُنالك كلام كبير جداً عن هذا الموضوع.

الموضوع ببساطة عنونته "كربلاء مجدداً والفصل في عاشوراء". ومعلوم أني دَوّنت تدوينة على صفحتي الأخرى "صفحة المفكر" وهذه التدوينة كان عنوانها الأساسي *لن أحتفل بعاشوراء*، وذكرت فيها أن الإحتفال بعاشوراء ليس حقيقياً وأن الأمر فيه ما فيه، ولكن ألمحت تلميحات معينة. والحقيقة هالني عدد الشتائم من بعض العوام ومن بعض الخواص، من بعض الناس الذين يدعون أنهم دكاترة وأنهم مشائخ إلى غير ذلك، شتموا وسبوا دون نقاش ببينة، وهذا يبيّن ضعف الآخر. الذي يتعمد الشتم، الذي يتعمد الهجوم، هو إنسان ضعيف الحجة، هو إنسان يتكلم من باب التعصب، من باب الطائفية المريضة المقبحة لا من باب العلم.

نُظَر الموضوع ليكون مرجعاً

سوف نُظَر هذا التأمل حتى يصبح بعون الله مَرَجِعاً وَمَرَجِعاً لكل المحمديين. أنا أتكلم هنا مع المحمديين الذين ليس لديهم عقد مذهبية سواء كانوا سنة أو شيعة، صوفية أو على أي مدرسة من مدارس المسلمين كانوا، أهل العدل والإنصاف الذين لديهم قدرة على مناقشة الأفكار وعلى الغوص فيها، وهم تحت الراية المحمدية لا تحت الراية المذهبية. المذهب هذا لون، نوع، مدارس درج عليها أبناء هذه الأمة ودرجت عليها أمصارها: درج أهل المغرب على المذهب المالكي، وكانت فيه مناقشات ومراجعات وكانت فيه ما كانت فيه، ودرج كل أهل مصر على مذهب معين ويستأنسون ربما بغيره، كما يستأنس أهل تونس بالمذهب الحنفي لأنَّ أسد ابن الفرات قرأ على الشيخين وأخذ من الشيخين وسُميت مدرسته بالمدرسة الأسدية.

نُظَر هذا الموضوع إماماً ويكون كما قلت مرجعاً، حتى إذا جاءت ذكرى كربلاء في العام القادم أو حتى في سائر الأيام عندما تجلس وتناقش شخصاً ما في هذه المسألة تكون عندك أسس منطقية علمية، وهذه الأسس انبنت على ثلاث أعمدة:

•• أما العمود الأول ••

فهو عمود تحقيقي .. وأنا رجل محقق مدقق بحمد الله، عمود من القراءة والبحث الطويل لأكثر من عشرين عام في مواضيع من بينها هذا الموضوع، بحثت فيه بعمق وناقشت فيه بعمق ودرسته بعمق.

•• العمود الثاني ••

هو باب زيارتي لتلك البلاد .. زيارتي لكربلاء وما استشعرته روعي وما استشعره قلبي من هذه المسألة.

•• العمود الثالث ••

هو ما يفتح الله به على قلب عبد من عباده .. نَمَّة نُور من الله يَأْتِيكَ وَأَنْتَ تَأْتَهُ وَأَنْتَ ضَائِعٌ بَيْنَ زَحْمَةِ الْكُتُبِ وَالْأَخْبَارِ وَيُرِيكَ الطَّرِيقَ. وهذا للسامع أن يتبين كنهه، وأن يَشْتَكِنَهُ ما فيه، وأن يميّز ما فيه، وأن يُناقشه بهدوء وروية وراحة بال.. وأن يعلم أنّ الغاية عندنا هي خدمة هذا الدين وخدمة اليقين وخدمة الحقيقة، وهي خدمة لا تنم عن درجة في مقامنا إنما عن فضل من عند ربنا ومن تَفَضَّلَ من إمامنا سيدنا محمد ﷺ ومن أنوار هؤلاء السادة الثلة الكريمة أسياد هذا الملكوت.

هل محبة أهل البيت من خارج الدين؟

لنبدأ أولاً بالحسين ابن عليّ ابن أبي طالب.

- ❖ لماذا الحسين، لماذا علينا أن نتكلم عن هذا الرجل، لماذا علينا أن نذكره؟
- ❖ لماذا علينا أن نذكر أخاه الحسن ابن عليّ أيضاً؟
- ❖ لماذا علينا أن نذكر زينب وفاطمة وعليّ؟

هل هذا من الدين أم أنه من خارج الدين؟

وعندما نتكلم عن هذه المسألة، لأنّ الذين يتكلمون عنها عادةً يُنسبون إلى الرفض والتشيّع، وهذا عانى منه كثيرون من بينهم الإمام الشافعي:

فرض من الله في القرآن نزله
من لم يصلي عليكم لا صلاة له

يا آل بيت رسول الله حبكم
يكفيكم من عظيم الفضل أنكم

حتى بلغ به أن يقول:

فليشهد الثقلان أنّي رافضي

إن كان رفضاً حبّ آل محمّد

هذا موقف إمام من أئمة الأمة وصاحب مذهب، الإمام الشافعي رضي الله تعالى عنه، وفي قوله "من لم يصلّ عليكم لا صلاة له"، وأيضاً "فرض من الله في القرآن أنزله"، فيه تبيان علمي فيه تبيان فقهي.

هل محبة أهل البيت أمر من الترف الفكري ومن الترف الروحي ومن الترف القلبي، أمر يمكن أن نقوم به أو لا نقوم به ونحن مخيرون فيه، كما يمكن أن تذهب في نزهة أو لا تذهب؟ هل محبة أهل البيت خارج الدين أم في صلب الدين؟!

عندما نرى البعض يتكلم عن الصحابة "لا تسبوا أصحابي" و "أصحابي كالنجوم" ويمجّد الصحابة، طيب هذا أمر محمود، ولكن إذا جئنا لآل البيت كأنّ آل البيت ليسوا صحابة ولا هم مُقدّمون على الصحابة!! بم تقدّموا على الصحابة؟ بنسبتهم إلى رسول الله ﷺ.

الأحاديث أنا ذكرتها أكثر من مرة، وهي أحاديث موجّهة أولاً لأصحاب النبي ﷺ، ثم بعدها لمن تبع ذلك ثم بعدها للمؤمنين كافة. وهذه الأحاديث تشريع لأنّ رسول الله ﷺ مُشرّع، فمن بين هذه الأحاديث:

"أهل بيتي سفينة النجاة من تعلّق بها نجا ومن تخلف عنها هلك" هذا مُجمّع عليه

"إني تارك فيكم الثقلين ما إن تمسّكتم بهما لن تضلوا بعدي أبداً كتاب الله وعترتي آل بيتي" ألزم الأمة محبة العترة.

من هم أهل البيت؟

هذه العترة الشريفة وقع لغط فيها: من هم؟ جوهرهم وأساسهم، لأن القرآن أيضاً نزل مُنَجَّم، فأية ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ نزلت في إطار الحديث عن زوجات النبي، حتى حُسب الأمر أنّ الأمر يتعلق بزوجات النبي. فيما ثبت من الأثر أنّ النبي ﷺ عندما نزلت هذه الآية تحديداً (كما قلت القرآن نزل مقطّطاً منجّماً)، هذه الآية عندما نزلت، نزلت منفصلة والنبي ﷺ كان بوحى من الله يُلحِقها بما سبق من الآيات ويبيّن السور ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾. نزلت وكان عند أم سلمة، فطلب الحسن والحسين وأمهما وأباهما، فجاء علي وفاطمة والحسن والحسين، فوضعهما في كساء له، ثم قال ﷺ: "اللَّهُمَّ هَؤُلَاءِ أَهْلُ بَيْتِي فَأَذْهِبْ عَنْهُمْ الرِّجْسَ وَطَهِّرْهُمْ تَطْهِيرًا". السيدة أم سلمة وهي زوجة النبي قالت: وأنا يا رسول الله؟ قال: "أنت على خير"، لم يسمح لها بالدخول. عندما جاءت المباهلة أيضاً خرج النبي ﷺ ومعه علي وفاطمة والحسن والحسين وكانت السيدة الزهراء حاملاً بزَيْنَب في تلك اللحظة.

إذن جوهر آل البيت، لبّ هذا المجمع الرباني، أهل بيته هم: علي وفاطمة والحسن والحسين وزَيْنَب وأبناء علي من فاطمة. وطبعاً يشمل السيدة خديجة، يشمل أبو طالب، يشمل حمزة، يشمل جعفر، هذه اللبّة الأولى، بعدها تتوسّع إلى بيوتات النبي ﷺ وصلاته.

أهل النبي أحب إليك من أهلك

النبي ﷺ ذكر ونوّه لحب آل البيت، قال مثلاً "أَحِبُّوا اللَّهَ لِمَا يَعْذُوكُمْ بِهِ مِنْ نِعَمِهِ، وَأَحِبُّونِي لِحُبِّ اللَّهِ، وَأَحِبُّوا أَهْلَ بَيْتِي لِحُبِّي" إذاً ربط المسألة. لكن ثمة بيان مهم ثمة حديث أعتقد يجب الوقوف عليه، ألا وهو قوله لأحد أصحابه كما هو في الأثر أيضاً: "لن يستقيم إيمانك حتى أكون أحب إليك من نفسك ويكون أهلي أحب إليك من أهلك".

إذن هذا الميزان وُضع لكل مسلم لكل من قال *أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمد رسول الله* أياً كان مذهبه، أياً كانت طائفته، أياً كان اعتقاده، هو مُلزم في رقبته بهذا الميثاق بهذا العهد بهذا الإلزام النبوي، الذي ألحق بالزمام قرآني رباني ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ أمر الله بهذه المودة. ورسول الله ﷺ لا يتكلم من باب عصبية وهوى إنما يأتمر بأمر ربه، حتى قال عن الحسنين "إِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي بِحُبِّهِمَا".

فعندما يكون النبي ﷺ أحب إليك من نفسك وأهله أحب إليك من أهلك، هذا له استلزمات واقعية تطبيقات، يعني تقوله باللسان، طيب تعال الآن نأتي للتطبيق، عندنا نماذج كثيرة.

•• نبدأ من سيدنا عليّ "من كنت مولاه فهذا علي مولاه"

هل علي مولاك على وجه الحقيقة أم لا؟ ما تقول في هذه الولاية ما تظن فيها؟ ما تقول في ابن أبي طالب وفي أبيه؟ لأنك إن كنت تحبه فتحب أباه، هل تقبل أنّ والديّ النبي في النار؟ هل تقبل أنّ عم النبي الذي رباه في النار؟ هل يقبل قلبك ذلك هل يستسيغه؟

هذا اختبار نفسي ستخوضه، وإن سقطت فيه فهذا ثمة بذرة النصب هذه بذرة خبيثة ما زالت مستمرة في الأمة، وهؤلاء لا نوجه لهم الخطاب.

•• نأتي إلى السيدة فاطمة..

هذه فاطمة بنت محمد "إِنَّ اللَّهَ عَزَّجَلَّ يَغْضَبُ لِعُضْبِكَ وَيَرْضَى لِرِضَاكَ"

"الحسن مني وأنا من حسن أحب الله من أحب حسنا" "من كان يحبني فليحبه"

"إن ابني هذا سيد"

"الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا"

وفي الحسن تفصيلات رهيبة وعظيمة إن شاء الله سنأتي إلى درس عنه مفصلاً، هذا الإمام المظلوم أيضاً والذي يُحجب كثيراً في ذكره وفي ما كان من شرفه ومن فضله، إن شاء الله سنخصص له درساً.

•• ونصل إلى الحسين

"الحسين مني وأنا من حسين أحب الله من أحب حسينا"

عندما يكون النبي ﷺ أحب إليك من نفسك وأهله أحب إليك من أهلك، أنت تشغل لهؤلاء الأهل، أنت عليك أن تفكر فيهم. لا يخدعتك من يقول لك ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ﴾، أمة قد خلت نزلت في قوم عاد في قوم لوط في قوم نوح، أما هذه ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾ هذه أمة واحدة، من رسول الله إلى نفخة الصور هي أمة واحدة.

فهذه خُدع، إذا تكلمنا في كربلاء يقول لك والله أمة خلت وقد حفظنا الله أن لا نشارك فيها بسيوفنا فلن نشارك فيها بالسننتنا، هذا نفاق هذا كذب هذا تزييف هذا تهريب، هذا غطاء للنصب والكره.

كن واضحاً، إن كنت محمدي رباني تفضّل هذا الميدان، إذا كان أهل النبي أحب إليك من أهلك:

- ❖ كيف ترضى بما حدث لهم من تشريد ومن تقتيل، هل ترضى في ولدك ذلك؟!
- ❖ كيف ترضى في أولاد النبي أن تخلو منهم الديار وأن يُقتلوا تلك القتلّة الشنيعة التي حدثت في كربلاء؟
- ❖ كيف تقبل وكيف يقبل قلبك ذلك وأنت تدّعي أنّ النبي أحب إليك من نفسك وأنّ أهل بيته أحب إليك من أهلك؟

هذا نفاق هذا مرض قلب.

"الحسين مني وأنا من حسين"

نمضي أعمق من هذا... "الحسين مني وأنا من حسين أحب الله من أحب حسيناً"

عندما يقول *الحسين مني* جَلِيٌّ أَنْ الحسين من رسول الله ﷺ وولده، كان دائماً يقول "إبني هذا" أو "ولدي هذا"، وقال ﷺ: "إِنَّ اللَّهَ جَعَلَ نَسْلَ كُلِّ رَجُلٍ مِنْ صَلْبِهِ وَجَعَلَ نَسْلِي مِنْ صَلْبِ عَلِيٍّ" هذا تشریف لسيدنا الإمام علي ابن أبي طالب.

ولكن عندما يقول *وأنا من حسين* هذه الزاوية الثانية التي أراد رسول الله ﷺ أن ننظر منها تبين أنّ الحسين ممثّل بالذات والشخص والدم واللحم والعظم لرسول الله ﷺ، أي أي من الحسين، أي أي عندما يُضرب الحسين عندما يُقتل عندما يُشجّ عندما يُجرح عندما يُعادى عندما يُحارب عندما يُشتمت بقتله فأنا المقصود، المقصود أساساً هو النبي محمد ﷺ، المقصود بالقتل هو رسول الله ﷺ، ثم علي بعده لما فتك به وما فعله في قريش.

ولذلك أنشد يزيد أبياته المعروفة: **ليت أشياخي بدر شهدوا**

وقال:

لعبت هاشم بالملك فلا خبر جاء ولا وحي نزل

، هذا معروف، اقرأوا كتب التاريخ.

فلذلك هذا بيان محمدي، لأنّ النبي عارف عالم بما سيأتي، أطلعه الله على كثير من غيوبات قادمة، أطلعه من الغيب على كثير منه. فالنبي ﷺ يريد أن يبين للأمة أنّ هذا الإمام هذا الرجل هذا الإنسان هذا الولد هو من النبي والنبي منه، إذا رُمي بسهم فالنبي قد رُمي بذلك السهم.

لماذا لا نتكلم عن الصحابة؟

أنت كمؤمن الآن تقول أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمد رسول الله، ستقول لي: أنا والله أو من بالنبي وأتبعه، لكن ما شأنني بآل بيته؟ ثم لماذا لا تتكلم عن الصحابة؟

الصحابة أنفسهم أمروا أن يكون علي مولاهم، أمروا أن يركبوا سفينة آل البيت، قال لهم ﷺ:

"مثل أهل بيتي فيكم كسفينة نوح"، "مثل آل بيتي فيكم كباب حطة" الذي أمر بنو إسرائيل أن يدخلوه.

النبي لَعَنَ مَنْ عَادَى عَلِيًّا، قَالَ ﷺ "اللهم انصر من نصره واخذل من خذله ووال من والاه وعاد من عاداه".

النبي ﷺ أبان أن فاطمة "يرضى لرضاها الله ويغضب لغضبها" لأنه يعلم أنها ستغضب وسترضى.

النبي ﷺ قال لعلي "لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق" بين أن مجرد البغض يُخرج من الإيمان يُخرج من الإسلام.

النبي ﷺ في جمعه للناس في *غدير خم* وجمعه لجميع أصحابه بعد حجة الوداع أبان بياناً واضحاً جلياً في مقام علي ومقام أهل البيت، هذا لا يتطلب مراجعات ومناقشات ومشاحنات.

الحسين ابن علي عَلَيْهِ السَّلَامُ وعلى آبائه خرج بذريته، خرج بأولاد أخيه، خرج بصفوة صحبه، بنسائه بنات النبي بأولاد النبي، وقُتل قَتْلَةً شَنِيعَةً لم يسبق أن رأت الأرض مثلها، غير مسبوقه، وأظهر بسالته وأظهر شجاعته وأظهر فدائيه وأظهر حباً لله منقطع النظر. لأنه كان يمثل الحضرة الربانية المحمدية، كان يُمثل ذات النبي، وكان يُقتل فيه ذات النبي، يُرمى النبي ويُرمى علي ويُرمى فاطمة ويُرمى الحسن شقيقه في رميه. هذا القتل الذي بلغ أن أحدهم -جعله الله في جهنم حيثما هو جاعله- قطع إصبعه ليسرق خاتمه، وداسته أربعون من الخيل حتى صار شلواً ممزقاً، ولُعب برأسه وأخذ على رمح إلى يزيد ورؤوس أبنائه علي الأكبر عندما قال "اللهم إنهم قتلوا أشبه الناس بنبيك" وأعطشوه، ورموا عبد الله الرضيع بسهم في رقبتة.

هذا كله إن كنت تقول أنك تحب رسول الله وأن رسول الله ﷺ أحب إليك من نفسك، يا سني يا شيخ يا صاحب العلم يا من سبني وقال أي رويضة، إن كنت تقول أنك تؤمن بالله وتؤمن برسول الله ﷺ ولا تتألم لهذا المشهد فأنت كذاب دجال !!! إذا جاءت عاشوراء وأنت تحتفل وأنت تبتهج وتتبع سنة بني أمية الذين وضعوا لك الأحاديث: أنت مريض قلب، أنت منافق، أنت مسكين، أنت مُحاسَب، سيوقفك الله يوم القيامة وينزع عنك أعمالك كلها ويقول لك:

ما تقول في ابن فاطمة عندما قُتل؟

- ما تقول في أبناء النبي؟
- ما تقول في قتلهم؟
- ما تقول في علي وفاطمة؟
- ما تقول في الحسن؟
- ما تقول فيهم؟

لن يثبت لك إيمان ما لم تتألم لما تألم له النبي، لما بكى له النبي.

أنت إن كنت تدعي أنك إمام وأنك شيخ وأنك سني، فالإمام الشافعي إمام السنة وهو إمام من أئمة السنة الكبار قال:

ولو كرهتها أنفس وقلوب
ويغزى بنوه إن ذا لعجيب

فمن مبلغ عني الحسين رسالة
يُصلى على المختار من آل هاشم

هذا الكلام واضح.

لماذا إذا ذكرنا آل البيت نظن أننا نسب الصحابة؟ لماذا تقول "لا تسبوا أصحابي" ثم ترضى أن يلعن علي ابن أبي طالب من قبل معاوية على سبعين ألف منبر سبعين عام، ولولا أنّ العادل عمر ابن عبد العزيز ألغى ذلك لبقيت إلى اليوم ولوجد فقهاء البلاط والسلاطين لذلك تبريراً.

العاشر من محرّم

أما موضوع عاشوراء المتعلقة بالعاشر من محرّم، فإنّ علماء الأديان يعلمون أنّ الأشهر ليست واحدة بين المسيح وبين اليهود وبين المسلمين. ويعلم المؤرخون جيداً أنّ تسميات الشهور وترتيبها وأيامها لم تكن واحدة عند البشر من قبل، فلم يكن التقويم الزمني عند سيدنا نوح أو عند سيدنا إبراهيم أو عند سيدنا شعيب أو سيدنا يونس أو سيدنا يوسف، لم يكن ذات التقويم. للحضارة الفرعونية تقويمها، للحضارة النوحية تقويمها.. وهذه التقويمات ماثلاً بعضها أماننا، اثتوا بكتب اليهود وانظروا: هل يعرفون العاشر من محرّم (الذي هو شهر عربي)؟ هل يصومون ذلك اليوم؟ ارجع وانظر، **لن تجد له أثراً، لا يعرفونه لا يسمعون به، ليس شهراً من شهورهم.**

الأشهر العربية بناها إسماعيل مع جُرهم العربية عندما جاءوا وسكنوا معه في أرض مكة، عندما تركهم إبراهيم في وادٍ غير ذي زرع عند البيت المحرّم وقد أقفر بعد أن كانت فيه أقوام أخرى قبل ذلك. وعندما بنوا هذه الأشهر بُنيت على أن تكون أشهراً فيها علاقة بالكعبة وفيها علاقة بالحج، ولها ما يشابهها في التقويم الإبراهيمي عندما أدن في الناس بالحج. وكان إسماعيل آرامياً بابلياً، وكان عراقي الأصل أيضاً (معنى هذا البابلي). وسيدنا إسماعيل لم يكن عربياً، عرب مستعربة، و*جُرهم* عرب عاربة، عرب أصلية. المهم ثمة هذا الأمر بينهم. والأصول الأولى لإسماعيل وإبراهيم هي العربية الآدمية، لأنّ آدم لسانه كان عربياً. فالمهم هذه مسألة تاريخية يطول شرحها.

هذه الأشهر بُنيت على هذا الأساس، محرّم شهر حُرّم فيه الحرب وحُرّم فيه القتال، وفي العاشر من محرّم يُقتل ابن فاطمة الزهراء. ثم يأتونك بحديث مُزيّف موضوع المتن موضوع السند أنّ النبي ﷺ دخل على المدينة فوجد اليهود يصومون قال: ما يفعلون؟ قالوا والله يصومونه لأنه يوم نجّى الله فيه موسى، قال: نحن أولى بموسى. وتعلّم النبي الذي ينزل عليه وحى السماء، الذي رفيقه جبرائيل، الذي قلبه مسدّد مؤيد، والذي كان يفضح بني إسرائيل.. تعلّم منهم هذا اليوم من الصوم!! ثم في الحديث قال "إن عشت لِقادم لأصومنّ تاسوعاء" ثم مات، وكأنّ النبي عاش عاماً أو أقل من عام في المدينة المنورة.

هذا الحديث الباطل المزيّف الموضوع، والله لو جاءوا بأسانيد الدنيا ورواه كل المشائخ فهو حديث باطل، باطل لأنّ متنه فاسد، لأنّ متنه غير حقيقي، لأنه فيه تقزيم للنبي ﷺ.

النبي ﷺ لم يكن يتعلّم من بني إسرائيل شيئاً، بل جاء مصححاً، وكان أعلم بالتوراة منهم، وكان أعلم بالإنجيل من بني مسيح، وكان أعلم بالكتب الأولى، علّمه الله ما علّمه الله. إذا كان الإمام الرضا يناظر أهل الأديان جميعاً بحضور

المأمون ويقرأ لهم من كتبهم، إذا كان الإمام علي يُناظر الناس أيضاً، فكيف برسول الله ﷺ هذا الملقن الرباني المُرقي المُزكي العظيم القدر الجليل، هذا رسول الله ﷺ كان أعلم منهم وكان أركى منهم ولم يكن يتعلم منهم ولم يصم تأثراً بهم. لذلك هذه فِزِيَّة أُريد من خلالها أن تُنسج أسطورة.

وخذ عندك، نفس اليوم: نجى فيه الله نوح، ونجى فيه الله يونس من بطن الحوت، ونجى فيه آدم عندما تاب عليه، وأخرج فيه يوسف من السجن، وأخرج فيه أيوب من بلواه، ونجى فيه موسى ونجى بني إسرائيل.. والنبي ﷺ يحتفل بنجاة قوم لم ينجوا على وجه الحقيقة، لذلك قال الله فيهم ﴿وَأَشْرِيُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ﴾ وقال موسى عنهم في آخر أيامه معهم ﴿رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرِقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾. هؤلاء الفاسقون لم ينجوا على وجه الحقيقة، نجت أجسادهم وهلكت قلوبهم، غرقت قلوبهم في وحل الدنيا ووحل الشبهات كما غرق فرعون في الماء وفي اليم.

لا وجه للاحتفال، لم يحتفل موسى بذلك، لأنّ موسى عندما نجا رأى منهم عجباً واتخذوا من بعده العجل وأذاقوه عذابات، حتى أدخلهم الله في التيه وتركهم أربعين عاماً وتركهم موسى ومضى مع هارون ومع يوشع ومع أهله، وفرّق الله بينه وبينهم للأبد.

آلة أموية عملت عملها

إذن هذه الادّعاءات الكاذبة، كيف يُعقل أن يكون نفس اليوم العاشر من محرّم عاشوراء يعرفه نوح وينجو فيه، ويعرفه يونس.. هذا كله من أجل التعمية على شيء حقيقي تمّ في ذلك اليوم وهو نحر ابن فاطمة وقتله وسبي نسائه وسلبه وذبحه، نحر ذبح ضرب في صدره قتل أطفاله قتل أبناء النبي ﷺ.

يا من تدّعي أنك مسلم: ألم يقل لك رسول الله "الن يستقيم إيمانك حتى يكون أهلي أحب إليك من أهلك"؟ أترضى أن يُقتل ولدك، أترضى أن يُسبى نساؤك، أترضى أن يُذبح أقرب الناس إليك ذبحاً ونحراً وتقتيلاً؟! أنت تخاف على ابنك من الزكام، تخاف عليه من شوكة تشوكه، ولو نزعته وخرج منه دم تبكي وتبيت الليل لا تنام، وترضى أن يكون ذلك في بيت آل النبي ﷺ ثم تدّعي أنك مسلم وأنت سني !!!

هل السنة أن نكره آل بيت النبي ﷺ، هل التسنن أن نتركهم جانبا؟ هل الصحابة أعظم قدراً منهم؟

ثم يخرجون لك "والله علي ابن أبي طالب رقمه أربعة"، والله ما من أحد بعد رسول الله ﷺ أعظم قدراً ولا أفضل جاهاً ولا أرسخ مكانةً ولا أعلم ولا أجلى ولا أعزّ ولا أكرم على الله وعلى رسوله من علي ابن أبي طالب أبداً، وما من إيمان يزن إيمان علي ويزن إيمان أبيه أبي طالب عَلَيْهِ السَّلَامُ الذي نافح عن النبي ﷺ، جعلوه "جمرتين يغلي منهما الرأس"، هذا مصير من ناصر النبي؟

❖ أيرجى سفهاء هذه الأمة أنفسهم بالشفاعة النبوية ولا يرجوها عمّه وهو الذي دافع ودفع حياته؟

- ❖ ألم يشهد مع أبيه آية الطير الأبابيل؟ ألم يكن معه وهو يقول "اللهم إنَّ المرء يحمي رحاله فاحمِ رحالك"؟
- ❖ كيف يقال إنه عندما أتاه الموت قال "على دين الأشياخ على دين الأجداد"، ماذا كان دين أجداده؟
- ❖ ألم يقل عبد المطلب "لم يبقَ على الحنيفية الإسماعيلية إلا أنا وأهلي"، ألم يكن أبوه موحداً مؤمناً، ألم يقل أبو طالب:

ولقد علمت بأنَّ دين محمد هو خير أديان البرية دينا

هذا كله آلة أموية عملت عملها..

إنَّ الذين لم يتورعوا عن قتل ابن فاطمة، ودوس جسده الشريف بالخيال، وقتل الرضيع بين يديه، وسبي نسائه، حتى أنَّ أحدهم دخل خيمة زينب باكياً، قالت: ما يُبكيك؟ قال: بنات محمد يُسبين، قالت: دعه، قال: يأخذونه.

هذا النفاق الذي سرى في الأمة، أننا نحب رسول الله ولكن والله نغضب إذا ذكرنا علي ابن أبي طالب، تتمرر الوجوه إذا قلنا فاطمة، يغضبون إذا قلنا الحسن والحسين، ويقولون: هذا شيعة.. وما بال الشيعة؟ طيب لنفرض أنها شيعة، هل التسنن بُغض آل البيت؟

إظهار الفرح في عاشوراء

ثم اعلّموا أنّ أول من أمر بإظهار الفرح في يوم عاشوراء بخلاف احتفال يزيد وكان ينكت بالقضيب على وجه الحسين وعلى فمه وكان يقول "ليت أشياخي ببدن شهدوا"، كان يناديهم وينادي أصحاب القلب لأنهم قُتلوا تلك القتلة.

الحجاج ابن يوسف الظالم المجرم الذي قال عنه عمر ابن عبد العزيز "لو جاءت كل أمة بأفسقها وجئنا بالحجاج لغلب عليهم"، الحجاج الذي كوى رقاب الصحابة وكتب عليهم (من بينهم جابر ابن عبد الله) "عتقى الحجاج"، الذي رمى الكعبة بالمنجنيق وصلب ابن الزبير وتركه مصلوباً مدةً طويلة، كسّر الكعبة، وذبح سعيد ابن جبير وقتل من الصالحين وقتل من الصحابة. يزيد الذي فعل فعلته في الحرة حتى ولد في المدينة ألف طفل لا يُعرف لهم أب..

هذا الحجاج الذي ورث عن يزيد هذا الحقد أمر بإظهار الفرح، وضعت الآلة الأموية حديث أنّ الله أنجى فيه وفضل يوم عاشوراء.

والله لو تصومه احتساباً وأن تقول أنا اليوم أعطش كما عطش ابن فاطمة وأجوع كما جاع آل بيت النبي في كربلاء في حرّ الطّف تلك الهاجرة ذلك اليوم العظيم، والله جاز لك. أما تصومه توهماً أنّ النبي ﷺ صامه احتفالاً بنجاة موسى فهذا ضرب من الوهم وضرب من التدليس والتزييف !!

ثم لنأخذ جانب آخر من الصورة، هب أنه هذا اليوم نجا فيه موسى، أنا قرأت لأحد الشيوخ الوهابية المشهورين: "في مثل هذا اليوم كان موسى يخطّ بعصاه في البحر عاشوراء" و 40 قلب، هذا المنافق الدعيّ الدجال.. هب أنّ موسى نجا في ذلك اليوم، أنت تفرح بنجاة نبي بني إسرائيل ليس نبيك (وإن كنا نؤمن بجميع الأنبياء)، تفرح بنجاة نبي إسرائيل المجرمين المتخاذلين الكذابين الذين تبرأ منهم موسى ولعنهم داوود ولعنهم سليمان ولعنهم الأنبياء كما في القرآن الكريم، تفرح بهم ولا تحزن لابن بنت نبيك؟! تجد أنّ الفرح بنجاة نوح أفضل وأهم من أن يوجعك قلبك على ما فعل بابن بنت النبي ﷺ الذي تدعي أنك تتبعه؟؟ هذا والله ضرب من المرض.

السنة موالون لآل البيت

لذلك هذا بياننا من نفس المدرسة، من مدرسة آل بيت النبي ﷺ، محمديّة بيضاء، محمديّة لا يغلب عليها مذهب ولا تغلب عليها طائفة. من أراد أن تكون السنة نادياً لأبيه وجدّه يطرد منها كل من تكلم عن آل البيت فهو المطرود، لأنّ مؤسسي هذه المدرسة كانوا موالين لآل البيت.

خذ عندك: كان مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عنه تلميذ *الإمام جعفر* وكان إذا جاء جعفر إلى مسجد أبيه كان يقف له تعظيماً ويجلسه مكانه، وكان يتكلم ما بينه وبينه بأمر من جعفر، حتى كان يقول "حدّثني الصدوق" أو "حدّثني من أثق به"، وكان يقول "صحبت جعفرأ فلم أر أقوم لليل منه". ولكن بعض التعصب المذهبي حتى قيل:

لا يُستفتى ومالك في المدينة

لا ...

لا يُستفتى وجعفر في المدينة !!

جعفر هو الأساس لهذه المدرسة، ولكن لأنه كان محاصراً ترك الأمر لمالك حتى يُدرّس. وأبو حنيفة النعمان قال "لولا السنّتان لهلك النعمان" كان تلميذ جعفر الصادق. وجابر ابن حيان مؤسس الكيمياء والكيمياء ومجدد الكيمياء ومؤسس الجبر، له ألف وخمسمائة كتاب من علوم جعفر الصادق. وجعفر أبوه محمد الباقر، باقر العلوم الذي بقر لُبّها وتكلم في أسسها وأصولها، تكلم في المعقول والمنقول وفي الأكوان وفي الألوان وفي العجائب، وكان له علم عجيب كبير جداً. والإمام جعفر عندما علّم سيدنا أبا حنيفة النعمان هذا الشيخ العظيم، أبو حنيفة كان موالياً لآل البيت، أبو حنيفة النعمان قُتِلَ لأنه وإلى

زيد ابن علي في ثورته ووقف معه، ووالى *محمد النفس الزكية* في ثورته ووقف معه، وهرب من الخليفة حتى سُجِنَ وسُمِّمَ في سجنه وقُتِلَ ومات شهيداً في حب آل البيت.

معروف الكرخي تربي عند مدارس آل البيت عند *الإمام موسى الكاظم* . وُلِدَ الحسن البصري تربي عند الإمام علي. أبناء النبي وذريته ورثهم أحفادهم، الشيخ عبد القادر الجيلاني الحسني الحسيني، الشيخ أحمد الرفاعي الحسني الحسيني، الإمام الرفاعي الحسيني العظيم، معين الدين الجشتي أيضاً حسيني، وهؤلاء جميعاً من أبناء النبي ﷺ وذريته. قام هذا الدين على هؤلاء السادة وعلى هؤلاء الثلة وعلى هذا الحب.

كذلك الشافعي كان موالياً، والحلاج قُتِلَ لولائه لآل بيت النبي ﷺ وافتُعلَ به وادُعي عليه أنه يقول "ربُّ في الأرض وربُّ في السماء" وكانت محاكمة كيدية كما تجدون في أطروحة الدكتوراه التي دوّنتها. وكذلك عبد الواحد نسيمي الذي سُلخ حياً لأنه كان شريفاً، والسهورودي قُتِلَ لحبه لأهل بيت النبي، وقُتِلَ الطبري لكلمة حق قالها، وقُتِلَ النسائي لكلمة حق قالها في حق علي ورفض أن يكتب عن معاوية، وقُتِلَ الجاحظ في ذلك، وابن المقفّع نُزِعَ لحمه ووُضِعَ وطُبخ وأطعموه منه لكلمة قالها في آل البيت.

النواصب مرض الأمة، النواصب مستمرون وما يزالون، وسيأتيهم يوم قريب بعون الله يُظهر الله قائم آل البيت فيأخذ الحق منهم. هذه الأمراض القلبية نريد المحمديين أن يكونوا في يقظة منها، لا يخدعك المخادعون.

صلاح الدين الأيوبي مما يُذكر في التاريخ أنه أمر بتوسعة البيوت في عاشوراء لأنه أمر بقتل كل الفاطميين وهم أشرف، أمر بعزل النساء عن الرجال حتى ماتوا جميعاً، وأحرق مكتبة القاهرة، وسلط على القاهرة قراقوش الذي منه ابتكر الأراجوز. ونور الدين زنكي تسمّم بعد أن أمر بعزله وكادت تقوم حرب بينهما، راجعوا التاريخ.. وإن كنا نقول أيضاً أنه كان صوفياً وأنه راعي التصوف فهذا جانب نعم مُشرق، ولكن هناك ثمة جوانب أخرى مُظلمة.

المزاحمات دمّرت الأمة

ونحن المنصفون المحمديون لا نخشى أحداً، أنت تخشى في الله وفي رسول الله ﷺ الناس، أنت تأتي للنبي تُخطئه الكتب، أنه أخطأ في أمر التمر والنخل وأنه أخطأ في كذا وكذا مسألة، حتى يُبَرَّرَ من ثاروا عليه !! ولكن إذا خطّأنا بعض الصحابة في السقيفة أو غيرها يثورون علينا !!

- ❖ هل الصحابة كُمل والنبي ﷺ ناقص؟
- ❖ هل علي الذي قال النبي عن زوجته "كُمل من الرجال كثير وكُمل من النساء" وعدّ فاطمة، هل علي يتزوج كاملة وهو ناقص؟
- ❖ يركب كتفي النبي ليتزع الأصبان، ويمسك ذي الفقار فيقول رسول الله ﷺ "لا فتى إلا علي ولا سيف إلا ذو الفقار" وهو ناقص؟

- ❖ وهل الكمال هنا إلا عصمة تكون متصلة بالعصمة النبوية؟
- ❖ ألم يقل النبي ﷺ "الْحَقُّ مَعَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ حَيْثُ دَارَ"؟
- ❖ ألم يقل النبي ﷺ "الحسن والحسين سيدا شباب الجنة"؟ وابتكر النواصب: "والشيخان سيدا كهول الجنة"، الجنة ليس فيها كهول!!

لماذا تُزاحمون آل البيت؟ هذا أمر ينم عن مرض.

رغم أننا نقول أنّ الصحابة على خير وفضل عظيم، زوجات النبي ﷺ على خير وفضل عظيم. يكفي الصحابي أنه صحابي، **يكفي شرفاً أن تكون صاحباً لرسول الله ﷺ**، يكفي زوجة النبي أن تكون زوجة النبي، يكفي ناقة النبي أن تكون ناقته، يكفي أرض النبي أن تكون أرضه، كل ما يأتي من النبي ﷺ فهو كافٍ، تكفي الأمة المحمدية أنها منسوبة إلى رسول الله ﷺ..

ولكن لا نزاحم، لا نأتي نقول مثلاً هذا التابعي والله إنّ له فضل أكبر من فضل الصحابة، ولا نقول أيضاً لأحد الصحابة والله إنه أفضل من علي ابن أبي طالب، لا، لأنّ النبي ﷺ قال: **"أَنْتَ مَيِّ بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى"**، لا وجود لأحد بين هارون وموسى، وما قاله النبي في علي **لن يقوله في أحد سواه أبداً**، وما كان ينبغي لأحد أن يكون في ذلك المقام. قال جعفر الصادق **"لو لم يخلق الله علياً لما كان للزهراء من عدل"**، طبعاً لا يمكن أن يكون لها إلا علي ابن أبي طالب، لا يمكن، أمر محال مستحيل.

ولذلك المزاحمات دمّرت الأمة، دمّرت عقائد الناس. كن سنياً كن شيعياً كن ما تريد، المهم إعلم أنّ من الواجب عليك حباً في نبيك أن تأسى لما حدث لآل بيته في كربلاء، أن تجلس لحظة حزن.

راجعوا التاريخ

الذي يقول لي: والله أنتم تستذكرون أموراً من 1400 تجاوزها الزمان، وما لنا وما للحسين، وهل الحسين في الدين...

أقول له: أنت لم تؤمن بعد، لأنّ المؤمن إذا كان النبي أحب إليه من نفسه فإنّ عليه أن ينشغل برسول الله ﷺ، أن يبكي لأنه رُعي بالحجارة في الطائف، أن يتألم لأنّ النبي وقع في حفرة في أحد وجرح، أن يتألم لأنّ النبي كان جالساً في ركن من أركان منزله وهو يبكي وينظر لحمزة وقد جُدع أنفه ولوكت كبده ووضع رمح في شذقيه وبين ساقيه من قبل أبي سفيان ولاكت كبده هند، وهو يقول **"أما حمزة فلا بواكي له"**. وأن يعلم أنّ الله ما كان يسمح لإنسان كتب له السعادة الأزلية أن يفعل ذلك، **ما كان الله ليُجري ذلك العمل إلا على أشقياء**، إلا على من كتب عليهم أن لن يؤمنوا أبداً.

ثم هذه الشجرة الملعونة ماذا أنجبت وماذا أنتجت؟ "معاوية" الذي حارب علياً والذي قتله وتآمر عليه، الذي حفر قبر حمزة وجرحه، الذي مضى ليحفر قبر آمنة، الذي أمر بلعن علي ابن أبي طالب، الذي دفن جُجر ابن عدي حياً، الذي قتل محمد ابن أبي بكر. إن كنتم تغارون على الصحابة هذا ابن أبي بكر قتله

في حمار ميّت لأنه كان من علي بمنزلة عظيمة حتى قال "محمد إِبني من صلب أبي بكر"، الذي قتل عبد الرحمن ابن أبي بكر بالسم، الذي قتل السيدة عائشة حفر لها حفرة فوقعت فيها مع حمارها... ارجعوا للتاريخ وراجعوا افهموا.

ما بال الناس تحب هؤلاء القوم الذين قَتَلوا هذه الأمة وذَبَّحوها؟ تدافعون عن يزيد الذي كان لوطياً، وكان يقول عنه عبد الملك ابن مروان: "لست بالخليفة الضعيف (يقصد عثمان)، ولست بالخليفة المُداهن (يقصد معاوية)، ولست بالخليفة المأبون (يقصد يزيد)"، وراجعوا هذه الكلمات في العربية ماذا تعني. ارجعوا للتاريخ وراجعوا واقرأوا عن حُبّة المدنية العاهرة البغية التي كانت تمارس السحاق وكانت تفعل الأفاعيل زمن معاوية، والتي كان من نُدماها يزيد الذي كان يفعل فعلته تلك في مدينة رسول الله ﷺ.

لذلك قال له الحسين "مثلي لا يبايع مثلك".

ارجعوا للتاريخ وانظروا كيف اغتصبوا بنات الصحابة، تغارون على الصحابة؟ طيب يزيد أرسل جيشه يغتصبون بنات الصحابة، قَتَلوا من الصحابة وذرياتهم مقتلة في الحرة واغتصبوا البنات حتى اغتصبوا بعضهنّ في الحجرة النبوية الشريفة ومسحوا الدم بالقرآن بآيات القرآن بورق القرآن، ارجعوا للتاريخ وانظروا ماذا حدث.

ارجعوا لوقعة فخ وماذا حدث فيها، وكيف قُتِل النفس الزكية وقتل آل بيت النبي ﷺ، ماذا حدث لموسى الكاظم في سجنه...

إرجعوا وراجعوا التاريخ، هذه المدرسة العقيمة الحقيرة الناصبية التي خنقت أمة السنة وقَتَلت كل عالم، ولو كنت في زمن غير هذا الزمن لَقُتِلت بعد هذا الدرس مباشرة ولتسلطوا عليّ وأتوا من كل جانب.

❖ كما حاصروا بيت الطبري ثلاثة أيام لقولة قالها في مسألة من مسائل التاريخ وأحرقوا عليه البيت وقتلوه.

❖ النسائي كتب كتاباً في فضائل علي في بلاد مصر، وأخذ نسخة إلى بلاد الشام فقالوا: وأين فضائل معاوية؟ قال: والله ما علمت له فضيلة إلا أن رسول الله ﷺ قال عنه "لا أشبع الله لك بطناً"، فقاموا بنحره أخرجوا لسانه من رقبته.

❖ والجهم ابن صفوان فعلوا به الأفاعيل ونُسبت إليه الجهمية
❖ وغيرها والله ألوف مؤلفة، ليس فقط دعبل الخزاعي وليس فقط هؤلاء الذين قُتِلوا مع الإمام علي أصحابه ميثم التمار وسواهم، ميثم التمار هذا صُلب صلباً

وحتى في سند الحديث مثلاً أحد الرواة إذا كان عالماً وفيه شيء من التشيع يعني شيء من حب علي ابن أبي طالب قال "قد كنت أراه وأتركه كالكلب لأنه كان شيعياً". يعني التشيع لعلي الذي قال فيه النبي ﷺ "إنَّ الله أمرني بحب أربعة عمار والمقداد وأبو ذر وسلمان، هؤلاء شيعة علي"، يُصبح سبباً لعدم مصداقية الحديث من هؤلاء. أما عمر ابن سعد الذي رمى الحسين بأكثر من مئة سهم ورمى أولاده، والذي قتل عبد الله الرضيع وقد رفعه الحسين ظمناً وقال "هذا رضيع لا ذنب له اسقوه" فرماه بسهم فقال: هاك اسقه، واخترق السهم رقبتة وقتله رضيعاً عمره شهران، هذا في سند الحديث يقال لك ((وهو عدل في الحديث وما فعله في كربلاء لا يمسّ بعدالته)).

أي إسلام هذا؟؟؟ لعنة الله عليكم وعلى إسلامكم الذي تدعون، هذا ليس الإسلام الذي جاء به رسول الله ﷺ، هذا إسلام مُزَيَّف، نسخة مزيفة غير حقيقية ماثلة جائزة على صدور أبناء الأمة لليوم، تُزيّف ما تُزيّف وتكذب ما تكذب.

كربلاء يوم فداء عظيم

إذن بخلاصة، كربلاء يوم عظيم يوم فداء ورجولة وإباء هاشمي محمدي رباني، يوم قُتل فيه النبي محمد وقُتل فيه علي وقُتل فيه فاطمة وقُتل فيه الحسن ابن علي في جسد الحسين، يوم قُتل فيه الأنبياء جميعاً في جسد الحسين. يوم سبق للنبي أن تكلم عنه وأن أتى بشيء من دم الحسين أو شيء من تراب تلك الأرض، وهذه رواية حتى إن لم تصدق فنصدق أنّ رسول الله مطلع حتى قال ﷺ: "يليقين آل بيتي من أمتي تنكياً وتشريداً كبيراً" هذا حديث.

الحديث الذي يعجبهم يتركونه ويقولون هذا حديث صحيح، والذي فيه شيء من آل البيت: لا والله موضوع وضعيف وغريب وفي سنده... يعني يرضيكم أن تجدوا في البخاري القردة التي زنت وُميت بالحجر، وأنّ موسى هرب الحجر بثوبه وفقاً عين ملك الموت، وأنّ سليمان أتى مائة من نسائه وقال "ستنجب لي كل واحدة شهيداً" فلم تنجب إلا واحدة نصف رجل.. هذه الترهات ترضيكم. أما أن نقول "ضربة علي يوم الخندق بعمل الثقلين" و "بعمل أمتي إلى يوم القيامة" هذا لا يُعجبكم.

الذي حدث في كربلاء كان يوم فداء عظيم، ليتني كنت فيه وليتني قُتلت أنا وأهلي جميعاً دون ابن فاطمة، وهو أبي في الحقيقة وأخي في سماء الله وفي جنة الله وفيما كان قبل هذه الدنيا، وأنا سيف عظيم إلا أنّ الله حرمني من ذلك، ليتنا كنا فداء، ونحن فداء لذلك الإمام العظيم.

كان يُرمى صابراً وكان يُقاتل محتسباً، ولم ينقطع ما بينه وما بين ربه لحظة، كان إماماً شهماً كريماً عظيماً يمثل النبي ﷺ في ذاته وصفاته:

❖ في وقفته وهو يقول "من لنا في هذا اليوم، من يزود عن حُرّمات رسول الله؟"

- ❖ في مشهده وقد رُمي بالسهام حتى شَجَّ سهم وجهه الشريفة، فأمسك الدم ورماه إلى السماء وقال "إن كان دين محمد لا يستقيم إلا بقتلي فيا سيوف حُذيني".
- ❖ وهو يقول "إنَّ الدعيَّ ابنَ الدعيِّ قد ركز بين اثنتين، بين السِّلَّة والسِّلَّة وهيهات منا الذلَّة، يأبي الله ذلك ورسوله والمؤمنون وأنوف حَمِيَّة"
- ❖ هذا الذي كان يقول "أنا الحسين ابن علي ابن أبي، قاهر الكفر بأرض العرب"
- ❖ هذا الإمام الذي وقف وحده ويقول لهم "أيها الناس ما أعلم لكم ابن بنت نبي غيري فبِم تقتلونني؟ إني ما خرجت بطراً إنما خرجت أنوي الإصلاح في أمة جدي".

خلاصة

لِمَ يُقتل الحسين، لِمَ يُذبح هذا الرجل العظيم، لِمَ يُقتل؟ لأنَّ النبي كان فيه، لأنه كان يُمثِّل رسول الله ﷺ، لأنَّ قاتليه كانوا كفاراً. والله ما آمنوا ولا قالوا كلمة الإيمان إلا ليكون لهم ذلك مغنماً، يغنموا الجواري والذهب والفضة ويغزوا الأرض، والله ما لأجل كلمة توحيد إنما لأجل الدنيا.

ينكت على وجهه الشريف بالقضيب وينشد الشعر، وتقف زينب، ولولا زينب ووقفها وشجاعتها لما كان للحسين أن يتكلم بعد قتله. وها أنتم ترون اليوم عشاق الحسين بالملايين من أبناء الإسلام ومن غير هذه الأمة، إنهم سوف سيكثرون وسيجتمعون. وسياأتي يوم قريب يخرج فيه رجل كان أولى الناس بأن يجيب النداء عندما قال الحسين *من لنا في هذا اليوم*، رجل ادَّخره الله لنبيِّه، صاحب قوة عظمى وقدرة كبرى، يعيد الحق إلى أهله ويكشف الحقائق، ونحن إنما نمهد لذلك تمهيداً على علم وعلى بيِّنة.

لم يكن في عاشوراء حدثٌ جليل إلا قتل الحسين

لم ينج موسى في ذلك اليوم، ولا نجا نوح فيه ولا يونس ولا يوسف ولا أيوب ولا آدم... كلها تعميات.

إظهار الفرح في عاشوراء **شماتة في رسول الله**، إن كنت تجرؤ أن تشمت في النبي فاشمت، إن كنت تريد أن تقف أمام الله ورسوله ﷺ وأن تُسأل عن حبك لأهله الذي فرضه الله عليك وفرضه رسول الله عليك فافعل. أما أنا وكل من سمع ندائي واتبعه ووعاه وشهد أنه الحق من مولاه، فإننا نتألم ونأسف لذلك اليوم.

نعم لسنا نلطم كما يلطم الحمقى الذين تسربلوا في الشيعة، ولا نُظبّر كما يظبّر الأغبياء الذين غلبتهم حَمِيَّة مازوشية، هذا غباء هذا تشويه، ما أمرك الحسين أن تضرب رأسك بسيف. ومراجع الشيعة المعروفين أصحاب المدارس يتبرأون من هذا الأمر، العقلاء يتبرأون من هذا الأمر.

ولكن نحزن نتألم، قد نبكي، قد نهتر حزناً وقرقاً، ونأخذ المشعل من يد الحسين ونعمل كما عمل.

المدرسة الحسينية المدرسة الكربلائية مدرسة إباء، مدرسة فداء، مدرسة عزة وكرامة، مدرسة ينتصر فيها الجرح على الخنجر، ينتصر فيها الوليد المذبوح على السيف وعلى القاتل، **مدرسة في ظاهرها العسكري هزيمة وفي باطنها النوراني انتصار عظيم.**

لو لم يُقتل الحسين لمات الإسلام وصار يزيدياً وغلبت تلك الشقوة، ولتَشَوَّه الدين تشويها

الحسين قدّم روحه وأبناءه لإعلاء كلمة الحق، ليكون قرباناً عظيماً، ليكون فداءً حقيقياً لإسماعيل، وقالت زينب في هذا المشهد "ما رأيت إلا جميلاً، اللهم تقبل منا هذا الذبح العظيم" ما كان الله ليفتدي نبياً بكبش، إنما نبي بابن نبي، بصاحب مقام نبي، بل بسيد شباب الجنة، أي بسيد أهل الجنة.

خاتمة

هذا سيدنا الحسين، فعلية وعلى الشهداء معه من أبنائه وأبناء أخيه ومن أشقائه سيّما أبي الفضل العباس، وعلى أصحابه الصادقين كالحرّ الرياحي، وعلى من كان معه كوهب المسيحي، وعلى زينب الصابرة وعلى آل بيته، وعلى شقيقه الحسن، وعلى أمه وأبيه وجده وآبائه وأبنائه وأحفاده السلام... سلامٌ عليه إماماً وسلامٌ عليه شهيداً.

ومن أراد أن يعرف مقام الحسين فعليه بخبرين أختم بهما، لينظر فيهما من كان ذا لبّ ويرى بقلب النبي وعين النبي ويستشعر بروح النبي، إن كان ينبض فيه شيء من رسول الله ﷺ فسيفهم.

أما النبي ﷺ فقد قال لأحد أصحابه وهو سيدنا حذيفة: "ما حُبّب لي مخلوقان كما حُبّب لي هذان" يعني الحسن والحسين، قال حذيفة: سبحان الله يا رسول الله، قال ﷺ بل وأعجب: "إنّ الله أمرني بحبهما، إنّ الله أمرني بحبهما".

ولمّا عرف الحبيب المصطفى ﷺ أنه سيلاقى ربه في أواخر أيامه قبل أن يغلب عليه السّمّ وقبل أن يغلب عليه المرض وأحوال الموت، جاء بيت علي وفاطمة فنادى على الحسنين، وكان الحسن عمره سبعة أعوام والحسين ستة أعوام، فأتيا إليه باكيين وبكى علي وبكت فاطمة وبكى النبي ﷺ وهو يضمّهما ضمّاً شديداً لعلمه بما سيكون من أمرهما، ولعلمه ويقينه أنّ الأمر فيه مقتلة، وأنّ الأمر كما وصل إلى علي زين العابدين وهو يقول لابنه زيد مودّعاً: "إعلم يا بني أنه لن يخرج أحدٌ من آل محمد قبل المهدي إلا وقُتل". ضمّهما إليه وقال لعلي وفاطمة "دعاني أشمّهما ويشمّاني، وأتزوّد منهما ويتزوّدان مني". الله الله كان يتزوّد منهما للآخرة ويتزوّدان منه للدنيا والآخرة، وكان يشمّهما لأنه يحبهما حباً ما أحب مثلهما، ما أحب مثل أمهما وأبيهما، هذا رسول الله ﷺ وهذا قلبه، فانظروا إذاً..

إذا كان رسول الله ﷺ يجيب علي من يصلي عليه، وإذا كان يقول "تُعْرَضُ عَلَيَّ أَعْمَالُكُمْ"، هل من ريب أنه شهد كربلاء وأنه رأى قثلة ابنه وأنه رأى ما أصابهم فيها؟ فكيف يكون قلب رسول الله ﷺ حينها!

هذا وجع آخر، وجع يتلوه عندما يسلم الحسين للمهدي ما يسلمه، ويقول أحدهما للآخر: ما أفعل بمُلك كان ثمنه دمك؟ والله إنّ ما في الثقلين وما في البرزخين وما تحت العرش والفرش لا يساوي قطرة من عرقك فكيف بدمك!! فيجيبه: والله لقد قدّمته لك راضياً معترّاً فخوراً مبهتجاً. ما أعظم هذين القلبين، قلب المهدي وقلب الحسين ابن علي،

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

المحاضرة بتاريخ: 22-02-2022



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

التأمل السابع والثلاثون: أهل الله - من هم وكيف وصلوا -

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله الذي عَزَفَ الصالحين عليه وأوصل العارفين إليه، وجعل كل فضل لديه وكل خير بين يديه، سبحانه من عظيم لا يذلّ ومن كريم لا يبخل ومن قادر لا يعجز جلّ الله في علاه. وصلى الله على سيدنا محمد نبي الهدى ونور المدى، الذي حَقَّقَ الله به كلمة الحق والهداية، وجعله باب العناية ومفتاح الولاية، وأظهر به أعظم آية، ورفع به أعظم راية، سيدنا محمد، وعلى آله تمام تحقيق الغاية، الذين هم مجلى الصفات المحمّدية وتجلي الأنوار الأحمديّة، أسرارهم سرمدية ومقامات عزّهم أبدية، أسيادنا أهل بيت النبي، وسلام على عباد الله الصالحين المُصلحين في كل مِصر وعصر وحين.

أحبابنا الكرام السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، مولد نبوي مبارك لكم جميعاً وعليكم وفيكم، ﴿فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ﴾ هذا النبي الذي ما يزال فينا سرّاً ونوراً وهدايةً وخيراً عظيماً سيدنا محمد. هذا المولد الذي أتانا بالبشائر ككل عام والذي فيه ما فيه من خير ومن نور ومن بركة وسرّ، أحببت أن يكون احتفائي به في هذا الدرس اليوم كلاً عن أهل الله، كلاً عن أحبّاب الله وعن عشّاق الله وعن أحبّاب رسول الله. لعلّي أربط بين المولد وبين أهل الله، ولعلّ في ذلك خلاصة علم وفهم وبركة وتيسير، لأنّ هذه النفحات والتأملات إن هي إلا أبواب لفهم أوسع وغوص أعمق وتحقّق وتحقيق ومصاديق لهذا الإيمان الذي في قلوبنا، على ما فينا من اعوجاج، وسلك سبل تبتعد بنا عن المنهاج، ولكننا على ذلك نربط عزائمنا وقلوبنا بمحبة الله ورسوله وآل بيته والصالحين، ونجد في ذلك شفاءً لما في صدورنا وتيسيراً لما تعسّر من أمورنا.

هذه النفحة التي نورمها تدبّرتها طويلاً في الأيام الماضية، فكان وقوفي في نظر عميق بأهل الله، وقوفي بأبوابهم مجدداً، ليست هي الوقفة الأولى، ولكن كل مرة نزداد فيهم حيرةً *زدني بفرط الحب فيك تحيراً*.

"أهل الله" تعبير مجازي، بعضهم كتب لنا: أيكون لله أهل؟ وأنّ ذلك من باب الكفر وأنه من باب المبالغة والمغالاة، ولكن الحقيقة أنه لا كفر ولا مبالغة ولا مغالاة، المعنى بالمعنى أنّ لله عبداً صالحين يحبهم ويحبونه، وأنّ هذه المحبة سابقة لهذا الزمان سابقة لهذا الوقت سابقة لهذا الكون، وأنها محبة سرمدية أبدية أبدية قديمة كانت منه لهم قبل خلقهم ثم كانت بينه وبينهم وهم في مقام الأرواح قبل الأشباح، وهذه المحبة وهذه الدرجة من القرب جعلتهم أهل قرب الله أهل ودّ الله أهل محبة الله أهل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى "الخلق عيال الله" هذا أيضاً تعبير مجازي، لا يعني أنّ لله زوجة أنجبت له أولاداً، إنما أنّ لله محبة عظيمة شملت بعض خلقه فكانوا على ذلك القرب وتلك المنزلة.

أهل الله فنوا في حب الله

أهل الله قوم عرفوا الله بالله، ووصلوا إلى الله بالله، ودلّهم الله عليه به، ثم دلّ الناس على ذاته بهم. أهل الله مجمع عظيم ومحفل كريم، أهل الله قوم فنوا في الله، ماتوا في الله، ساروا بالله، كان عيشهم الله، وكلامهم الله وندائهم يا الله، وكان الله في خاصة قلوبهم وفي عميق ذواتهم، وفي كل ما يقومون به يراعون وجه الله، يعبدون الله كأنهم يرونه فإن لم يكونوا يرونه فهو يراهم، على مقام إحسان وتزكية وطيبة وخير وانكسار، كانوا يخدمون الخلق حباً في الخالق، وينظرون للخلق بنور الخالق، ويخترقون كل مشقة بالتوكل على الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، عرفوا أنّ الدنيا ليست بدار بقاء فسكنوا في دار البقاء، سكنوا وهم في الدنيا في الآخرة، كانت أجسادهم في هذه الفانية وكانت قلوبهم في الآخرة، ماتوا قبل الموت، وسبقوا الفوت، وسمعوا النداء من دون صوت، تنادوا فيما بينهم وقالوا هلمّوا عزائم وشدّوا ركائب إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

الأولياء لهم جاءً ومنزلةً	ووجههم عند مولى الفضل مقبول
قومٌ إلى الله قد رُمّت عزائمهم	وحبلهم بحبال الله موصول
قومٌ على الملة قد فطروا	وشأنهم عن كتاب الله منقول
أعطاهم الله ما شاءوا وأكرمهم	كذلك قال الذي وافاه جبريل

هؤلاء السادة كما ذكرهم السيّد الرواس بهذه الصفات بهذه المعاني، كانوا ينشدون في حب الله

والله ما طلعت شمسٌ ولا غربت	إلا وحبك ممزوجٌ بأنفاسي
ولا شربت شراب الماء من ظمأ	إلا رأيت خيالاً منك في الكأس

كما ذكر الحلاج أيضاً.

هؤلاء القوم فنوا في المحبة وعاشوا بالمحبة وكانوا يبايع حبّ ومحبة، كانوا عباد الرحمن ﴿الَّذِينَ يَمْسُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾.

أهل الله هم المعيار

أهل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مَبْنُوثُونَ منشورون في خلق الله في كل زمان ومكان، لا يخلو منهم زمان ولا يخلو منهم مكان، براهين الله في خلقه، أيدي الله في عطائه، قال الحبيب المصطفى "أبدال الشام بهم تُمطرون وبهم تُغاثون" وهذا يُعمّم على أبدال كل مِصرٍ وعَصْرٍ وبلدٍ ومكانٍ وركنٍ. أهل الله هم الذين عَرَفُوا الخلق بربهم بالأخلاق الحسنة بالرحمة بالطيبة بعلم واسع وفهم شاسع وإدراك عميق ووعي مُتحفّزٍ وعقول ذرية وقلوب لاهجة بذكر الله، حتى إذا ما غضبوا كانت غضبتهم في الله بالله على الله، فغضب الله لغضبهم وضرب من أراد ضربهم وسلب من أراد سلبهم وكان الله معهم وكان الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى حافظهم، حتى كان مقامهم كالمقام الولي القطب الكبير إبراهيم الدسوقي عندما آذاه أحدهم وكان قاضياً وكان يسجن تلاميذه، حتى أرسل إليه مرة:

إذا وُتِرت بأوتار الخشوع
يُطيلون السجود مع الركوع
وأجفانٍ تفيض من الدموع
فما يُغني التحصّن بالدرع

سهام الليل نافذة المرامي
يصوّبها إلى المرعى رجالٌ
بالسنة تهمهم في دعاءٍ
إذا أوترنا ثم رمينا سهماً

وهكذا قرأها فخر صريعاً، هذا الذي كان يكره أهل الله.

أهل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى معيار محبة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى للناس ومعيار محبة الناس لربهم، لأنه في كل زمان يُظهر الله من أهله جماعة، رجالاً ونساءً، قلةً أو كثرةً، على حسب ما أراد، وهم في الأغلب قلة وثلة. فإذا أظهرهم جَرَّبَ بهم الخلق، من كان يحبّه الله دلّه على أهل الله، ومن كان يحبه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ألقى فيه محبة أهل الله وألقى محبة أهل الله في قلبه وألقى محبتهم عليه، ومن كان يبغضه الله ببغضه في أهل الله وحجبه عن أهل الله، بل كان أشقاهم من جعله محارباً لأهل الله "من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب".

أهل الله يتحرّرون بالموت

أهل الله إذا ما انتقلوا من هذه الدنيا تحرّروا، حياتهم في الأجسام سجن، حتى إذا ما رام أحدهم أن يطرق أبواب الآخرة قال: "آن لفلان أن يتحرّر من سجنه، آن لي أن أخرج من هذا السجن، من هذه الصدفة الدنيوية". أهل الله يستغفرون دون ذنوب، أهل الله يتوكلون على الله المحبوب، حققوا به المرغوب

فكان عين المرغوب، فنوا عن الدنيا وهم في الدنيا وجاوزوها وفارقوها وتركوها وما بقيت فيها إلا أجسامهم. فإذا ما خرجوا من هذه الدنيا خروجاً تاماً نافذاً عاجلاً صارت كراماتهم أكبر، وصارت تدليّياتهم أعظم، وصارت تجليّياتهم أشدّ، واقتربت نفحاتهم من محبيهم ومحبوبيهم وراغبيهم ومرغوبيهم وطالبيهم ومطلوبيهم على ما يريد الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**. وهذا أمر جربناه وعرفناه، فإننا بهم عرفنا الله، وإننا بهم بلغنا عند الله ما بلغنا، وما كنا لنبلغ ذلك لولاهم، من فضل مولاهم **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** أهل الله أهل الكرامة وأهل الإستقامة الذين هم معارج إلى الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، والذين هم سبل إلى الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، والذين هم أبواب إلى الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**.

أهل الله أهل الجمال

أهل الله أهل الجمال والوصال والدلال وصدق الحال وهم الفحول الرجال. أهل الله ألقى الله عليهم الجلال، وألقى الله عليهم الكمال، وجعل فيهم مجالي الجمال. نظروا بعين الجمال للجمال فرأوا الجمال، ونطقوا بالجمال وهاموا في عشق الجمال، ورأوا في الجمال الذي جمّل الله جماله وأظهر ما فيه من جمالات، وأوا جمال الجميل المجلّم الأول سبحانه الأجلّم الأبهى الأجلّى في كل عين تراه، في كل عين قلب تراه، في كل عين روح تراه. **فإنّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى جميل عظيم كريم له جمال لا يمكن لأي مخلوق من مخلوقاته إلا أن يفنى في ذلك الجمال إلا المحجوبين عن ذلك.** الله الذي خلق كل جمال تراه عين، وكل جمال تراه روح، وكل جمال يراه قلب، وكل جمال يتأمّله عقل، الذي خلق الجمالات في الموجودات وما فوق الموجودات، الذي خلق الجنة وحورها ونعيمها وسرورها، والذي خلق ما فيها من جمالات، والذي جمّل قلوب الملائكة والأنبياء، والذي جمّل أرواح الأتقياء والشهداء، والذي جمّل مقامات السعداء، والذي جمّل صفات الأولياء.

الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** منبع هذا الجمال وهذا الدلال، هو الذي يعطي هذا الجمال، وهو الذي يكسو بهذا الجمال، فإذا كان الذي يُكسى على هذا الحال فكيف بالكاسي؟ وإذا كان المحبول على هذا الجمال فكيف بالجابل؟ وإذا كان المفطور هكذا فكيف بالفاطر؟ وإذا كان المبروء هذا حاله فكيف بالبارئ جلّ جلاله؟ فالله جلّ في علاه -على هذه الجمالات- **أرسل النفحات إلى أهل الله، أرسلها إليهم تترأّبا توقفاً، لا يستقرّ لها مقرّ إلا في قلوبهم، تسعى فيهم وبهم ولهم وعليهم وتطوف من حولهم.** هؤلاء الثلّة القلّة كانوا وما يزالون ينابيع جمال، فاضوا بالجمال معنى وفاضوا بالجمال مبنى وفاضوا بالجمال حكمةً وعلماً وخُلُقاً ورفعةً وسمواً ورحمةً وشجاعةً ومهابةً، فاضوا بالجمالات كلها والكمالات كلها، فهم أهل الله أهل وصاله ودلاله وعين جماله، فلذلك لا غرابة أن يكون ذلك حالهم ومقالهم وأن تكون الجنة مآلهم، فأكرم بمآلهم وحُقّ لهم مآلهم.

هذا بيان عن هؤلاء الثلّة القلّة السادة الذين أحبّوا الله وفنوا فيه.

السيدة رابعة العدوية وهي تناجيه وتناديه :

وحبّاً لأنك أهل لذاك
انشغالي بذكرك عمّن سواك
فكشفك لي الحُجب حتى أراك
ولكن لك الفضل في ذا وذاك

أحبّك حبين حبّ الهوى
فأما الذي هو حبّ الهوى
وأما الذي أنت أهل له
ولا فضل في ذا ولا ذاك لي

أهل الله طلب الأنبياء مقامهم

أهل الله بالمحسوب قد سُغِلوا، سُغِلوا وفنت أوقاتهم، لا ترى ألسنتهم لاهيةً إلا بالله، وإذا نظرت إلى وجوههم تذكّرت الله، وإذا سمعت عن ذكرهم تذكّرت الله، وإذا سعيت إلى ربك بهم بلغت عند الله قرب الله، ولا يُبلّغ إلا بهم لأنهم أبواب الله إليه.

الذين شَقُوا وما اتقوا والذين سقطوا فما ارتقوا قالوا: إنَّ أهل الله بدعة، إنَّ أهل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى شِرْكَ، إنَّ التوسّل بهم لا يُبلّغ المرام ويُخرجك من مقام الهدى والنور والخير والسلام، ويدرج بك في مشاف ومشاق الظلام. هؤلاء قوم ليس لهم في هذا مقام ولا يصدق لهم كلام، لأنهم ناقضوا الحبيب عليه الصلاة والسلام إذ يقول **"اللهم بممشاي إليك وبالسائلين عليك"**، هؤلاء السائلون على الله هم أهل دلال الله، قوم يحبّهم ويحبّونه، بيّن في قرآنه بعض قصصهم وبعض حكاياتهم، بعض ما كان من أمرهم ﴿نَخْنُ نَقْصُ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾.

أهل الله الذين هم الصالحون، **طلب الأنبياء مقامهم** وراموا أن يشربوا مُدامهم، قال قائلهم ﴿أَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾، ألحقني بالصالحين أدخلني في الصالحين، دعا بذلك سليمان ويوسف وإبراهيم في نصّ بيان القرآن، ودعا بذلك كل نبي في ما كان بينه وبين ربه. وهؤلاء الأنبياء هم صفوة أهل الله، وهؤلاء الرسل هم خاصة أهل الله، وأهل الله الذين كانوا قبل والذين جاءوا بعد (أي قبل الحبيب المصطفى وبعده) كلهم على نفس الراهية كلهم على نفس العناية كلهم على نفس المنهج وعلى نفس المنهاج، على اختلاف تجليات الكمالات والأقوال والأحوال، فإنّ ذلك ليس سوى شساعة جميلة عظيمة من سعة ما أودع الله في خلقه.

سيدنا محمد سيد أهل الله وإمامهم

ونحن إذ نتكلم عن أهل الله ونحن حين نذكرهم ونتحدّث عنهم، إنما من غايات هذا الكلام أن نبين أنّ الكلام عن أهل الله في أفراد ما أعطاهم ربهم وفي حالهم بينهم وبين الله كلام عظيم جميل، ولكن إن توقّف المتكلم دونه (كما نجد في خطب وفي دروس وفي مقالات عديدة تخص هذا الباب)، فإنه لم يستوفِ هذا الباب حقه، لأنّ بعضهم يسهل عليه أن يتكلم عن أهل الله في علاقتهم بربهم، وأنهم أهل دلال الله وأهل الجمال والكمال وصدق الحال، وهذا صدق مقال وليس في هذا جدال ولا مجال لأيّ

شك أو تشكيك أو ريب أو ارتياب، ولكن لا يكمل المقال والمقام إلا بذكر من به كان المقال والمقام، بذكر من هو مجلى الجمالات كلها، بذكر من كان باب أهل الله لله، بذكر من كانوا أبواب أهل الله لله، بذكر سيد أهل الله وإمام أهل الله الذي هو كان بالله لله قبل أن يخلق الله غيره وسواه، الذي هو باب الله إلى الله، مُفَزِّدًا أَحْمَدًا مُحَمَّدًا كَانَ مَحْمُودًا مَمْدُوحًا عِنْدَ اللَّهِ قَبْلَ خَلْقِهِ وَحِينَ خَلَقَهُ رُوحًا ثُمَّ جَسَدًا، ثُمَّ عِنْدَمَا مَضَى إِلَيْهِ رُوحًا وَأَبْقَى الْجَسَدَ، ثُمَّ عِنْدَمَا يُجْمَعُ بِاللَّهِ فِي اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ رُوحًا وَجَسَدًا، ثُمَّ عِنْدَمَا يَخْلُدُ فِي جَنَاتِ الْخُلْدِ أَبَدًا، سَيِّدِنَا مُحَمَّدَ بَابِ أَهْلِ اللَّهِ وَإِمَامِهِمْ، وَآلِ بَيْتِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ خُلُصَ أَهْلِ اللَّهِ وَأَتَمَّتْهُمْ.

فلا يكمل المقال عن أهل الله أبداً قطعاً إطلاقاً ختماً لزاماً وحتماً ختاماً إلا بالكلام عن الحبيب المصطفى وبالكلام عن آل بيت الحبيب المصطفى، وهذا يجاوزه كثيرون خوفاً أو تخوفاً، خاصة في مجال آل بيت النبي، تخوفات مذهبية طائفية حمقاء جبانة. إنما لا بد أن نتكلم عن هذا الحبيب ولا بد أن نذكر هذا الحبيب وأن نتكلم عن آل بيت الحبيب، لأنه لا بلوغ لله في الله بالله إطلاقاً إلا بهذا الحبيب، كيف جمل الله قلبه، وكيف نور الله لُبَّه، وكيف يسر الله دربه، وكيف متن الله حبه، وكيف نجاه وكيف أحبه وكيف كان ربّه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

الحبيب محمد إمام أهل الله أجمعين فيما خلق الله في الأولين والآخريين والعلويين وسكان هذا الكون الفاني. سيدنا النبي محمد أحمد صلى الله عليه في مقام القرب وصلّى الله عليه في مقام الحبّ وصلّى الله عليه في مقام الجمال، حتى إذا ما أقامه روحاً لديه جلّ في علاه قبل الأزمان والأمكنة، أقامه محبوباً مرغوباً مطلوباً، كنزاً لكنوزه وإماماً لخلقته وسيداً لأنبيائه ورسله وقائداً لأوليائه والصالحين الذين سلكوا نهجه، فكان كلُّ قد أسجد الله له قلبه قبل سجود الملائكة لآدم. ما من قلب نبي ولا ولي ولا تقي ولا صالح إلا وقد سجد بقلبه سجود التوقير والاحترام لسيدنا النبي محمد قبل أن يكون في هذه الدنيا، وأخذ الله منهم الميثاق تأييداً لهذا الحبيب: قبل بعثته بالتبشير بظهوره، وعند بعثته بالثبات معه، وبعد بعثته بالإحتفاء به ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا﴾ بالإبتهاج بمولده بالسعادة بوجوده بحمد الله على أن وهب الله للمخلوقين الأرضيين الآدميين البشر الفانيين هذا السيد العظيم سيد خلق الله.

إنّ أعظم سعادة لآدم أن كان الحبيب المصطفى من سلالة طينته في جانبه الجسدي، إنّ سعادات الأنبياء والصالحين أن يدخلوا على الله في كل حين من باب الملائكة والرواحين باب الأنبياء والصالحين سيدنا محمد. سيدنا محمد مفتاح أهل الله لله، باب أهل الله لله، مفتاح البركات والرحمات، غيّم من الله جلّ في علاه مطيرٌ كثيرٌ خيره، جمٌّ ودُّقُّه، كريمٌ مُزْنه.

ظهور سيد الأَطْهَارِ من سلالة الأَطْهَارِ

هذا الحبيب محمد، هذا النبي محمد، هذا الحبيب الذي أحبه ربه والذي لما انطوى في الصدفّة الطاهرة لسيدتنا آمنة، ولما كان في طهر صُلب سيدنا عبد الله جسداً في مضغة الأجساد، وكان شرفاً في عالم الأرواح، فاجتمع النهران ومُرج البحرين ونُزع البرزخان، فكان أن كان سيدنا النبي الذي كان ملكاً على

الروحان أن يكون ذلك الإنسان، ذلك الإنسان رضيعاً ذلك الإنسان طفلاً ساعياً يكبر وينمو ويظهر نوره ويُبهر نوره يوماً عن يوم.

عندما انطوت هذه الأنوار الأحمديّة في المُضغّة المحمّديّة، عندما التقت الأنوار بالأنوار، وتلاقحت الأسرار بالأسرار، وظهر سيد الأَطهار من سلالة الأَطهار، من سيدنا عبد الله وسيدتنا آمنة الطاهرين النقيّين، من أهل الله وخُلص أهل الله، عن سلالة للأصول الذين هم كلهم أجمعهم مُجمعهم جميعهم أقطاب وأبدال في زمن الفترة بين إسماعيل وبين أبيه، هذه السلالة الطاهرة وهذه المُضغّة الطاهرة، هذا الأب الطاهر وهذه الأم الطاهرة، كبار أهل الله أسياد المشارق والمغرب، شرف الله أجسادهم بأن شرفوا بهذا النبي العظيم. مضى أبوه سريعاً بعد أن مضى هذا الصلب لأنه نور استنزف روحه وجهده، وأنجبت الأم وقد رأت الأعاجيب، **وناجتها الملائكة** مناجاتها لمريم لأنها بالمناجاة أحق، لأنّ سيدنا النبي أعظم الخلق وأمه أعظم الأمهات، **فَمَقَامُ الأم من مقام مولودها**. هذه السيدة العظيمة الكريمة أنجبت بعد أن حملت هذا النور وبعد أن فارقت محبوبها سريعاً ولم يجتمعا إلا ليالي معدودات، هذه الأم الرؤوم رأت الأنوار.

وكان جد عظيم اسمه عبد المطلب كان يردّد **"لقد اقترب موعد النبي المنتظر"** وكانوا ينتظرونه. وقد علم عبد شمس أنّ السرّ في هاشم، لذلك عاداه، ولذلك كانت الخصومة واستمرّت في أمية بعد ذلك من سلالاته. وكان عبد المطلب يعلم بأمر الفيل، فلما جاء نظر في علامات (خرطومه ونابه) فاستيقن أنّ النبي المنتظر قد حلّ وأنه ابن ابنه الذي في بطن تلك الزهراء، فولد بعد خمسين يوم من حادثة الفيل. وما تنزلت الملائكة يومها وأذن لها أن ترمي بسلاح جوّها على هذا الفاسق وجماعته فيجعلهم الله بهم كعصف مأكول، إلا دفاعاً عن هذا الحبيب الرسول، فإنّ الكعبة حطّمتها الشقيّ الحجاج بالمنجنيق ولم تتحرك الملائكة، ما كان دفاعاً فقط عن الحرم والكعبة إنما دفاعاً عن هذه الأم ووليدها. فلما رأى عبد المطلب ذلك قال **"أنا رب الإبل وللبيت ربّ يحميه"** واستيقن أنّ الله سيحميه. وشهدت فاطمة بنت أسد وشهد بعلمها أبو طالب وكانا أول زوجين هاشميين، تلك التي سنّجبت في جوف الكعبة عليّاً شهدت الطير الأبابيل. فأئى أن تكون آمنة كفرت؟ وأئى أن يكون عبد المطلب كافراً؟ وأئى أن يكون أبو طالب كافراً؟ فتلك كذبة وفرية أمية ما زالت تُلعب بها إلى يوم القيامة.

سيدنا النبي يوم مولده يوم لأهل الله، فرح لأهل الله، بهجة لقلوب أهل الله السابقين والقادمين، اجتمعت أرواحهم في محفل ذلك المولد، تنزلت ملائكة السماء في نور ذلك المولد، حقّت الملائكة بقدسيات روحانيات الطاهرات ممن خلق الله من النساء، من حواء ومن كان قبلها إلى السيدة مريم مع هذه الأم التي ستنجب سيد الأولين والآخرين. **هذه كانت كشف عين لآمنة وكشف قلب وروح وسرّ، وظهرت الأنوار وتبدّت الأسرار، وكأنك ترى حفلاً بهيجاً بمولد المختار.**

وانظر إليه عندما يأتي لهذه الدنيا سيد الآخرة والدنيا، وانظر إليه رضيعاً بديعاً جميلاً كلما ناغى القمر حيث أشار إليه وقف كما قال عمه العباس له **"أتعلم كيف آمنت بك؟ كنت صغيراً تناغى القمر حيثما أشرت إليه وقف"**، لأنه سيد الملكوت والأكوان. وا عجباً كيف ذلك البحر السماوي اللّجّي المتجلّي من عوالم الأفق الأعلى يُحتوى في جسد رضيع وبطن أمّ، فإنّ ذلك من عظيم مقام أمه ومن عظيم سرّها

ونورها. فاستنزف النور جسمها وصحّتتها، فتركته صغيراً ومضت إلى بارئها. ثم تركه عمّه، قبل ذلك جدّه، ثم زوجه وحبّه، ومضى بعد ذلك إلى موعد الإسراء والمعراج تخفيفاً على قلبه الشريف.

أهل الله جميعاً في تلك السفينة

هذا النبي العظيم الكريم لم يكن مقطوعاً ولم يكن أبترًا، كان طاهراً عظيماً في أصوله وفي فروعه، فإنّ الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** جعل له الحُبابة زوجة، هذه الحُبابة الطاهرة النيرة الكريمة مع عمّه الطيب الكريم سيدنا أبي طالب كانا جناحين له، وجائين له، وحماية له. لم تنل منه قريش أمراً يكرهه حتى انتقل أبو طالب، وجاهدت السيدة خديجة بمالها ونفسها الشريفة، فحقّ لها مقام لا تبلغه من زوجاته امرأة ولا يبلغه من النساء أحد، لأنه **مقام حبّ رسول الله**. كما لا يبلغ مقام أمه في الأمهات أحد لأنه **مقام أم رسول الله**، ولا يبلغ مقام زهرائه أحد لأنها **كوثر رسول الله**، فكانت تلك الابنة في بناته وارثة سرّه، وجعل الله نسل هذا النبي العظيم من صلب علي فقال **"إنّ الله جعل نسل كل رجل من صلبه وجعل نسلي من صلب علي"**.

فكان علي الإمام والوصي والخليفة وكان اليد والذراع والسيف الذي يُنَافح عن رسول الله، كان سيفه وكان درعه وكانت يده التي يضرب بها أعداء الله، كانت يد الله التي أيد بها رسوله، فنال مقاماً لا يناله سواه. وكان الحسنان قرّة عين النبي قال **"ما حُبّب إليّ مخلوق كما حُبّب إليّ، إنّ الله أمرني بحبّهما"**، وكانت زينبه دوحه لنوره وسرّه وإبائه، وكان يعلم ما سيكون فتركها فينا إلى يوم القيامة **"آل بيتي سفينة النجاة من تعلق بها نجا ومن تخلف عنها هلك"**، فكان أهل الله جميعاً في تلك السفينة، هم الذين تنادوا **"يا محمد"** وهم الذين تنادوا **"يا عليّ يا فاطمة يا حسن يا حسين"**، هم الذين تنادوا بحبّ خديجة وآمنة وعبد الله وأبي طالب، ولم تنطلي عليهم حيلة، ولم يقم مقام آل البيت لديهم أحد أبداً بعد النبي الحبيب الكريم، هاموا في حبّ الأنبياء ولكنّ بابهم كان النبي محمداً وآل بيته.

وهذا الباب وهذه السفينة **كانت للأولين والآخرين**، يركب سفينة آل بيت النبي من هم آباء آل بيت النبي، إبراهيم وإسماعيل يركبون في هذه السفينة، وهم أئمتها وقادتها وأصحاب ريادتها وسادتها، ويركب فيها الجيلاني والرفاعي والدسوقي والجشّي والبدوي والشاذلي وابن مشيش والأسمر والتيجاني، **وما من ولي لله إلا كان من أبناء رسول الله وذريته، أو من المنتسبين للمحبّة لهم موالياً**، كان على طاعة وعلى سرّ وسرور وحبور بتلك المحبّة، راكباً تلك السفينة، ناظراً إلى سيّد المدينة، مطمئناً في سكينه، هذه هي ترياقات الأنفس الحزينة.

الإحتفال بمولد رسول الله من سمات أهل الله

سيدنا النبي وآل بيته هم صفوة أهل الله وحُصّص أهل الله، والإحتفال بمولد رسول الله سمّت من سمات أهل الله، ولا يغضب ولا يزمجر ولا يشمتر عن هذا من هذا إلا من لم يكن من أهل الله، من كان من أهل

الحجاب عن الله، من المحجوبين عن أهل الله، من المُبعدين عن رسول الله، من الذين نَقِمَ الله عليهم من قبل طينة الآدمية. هؤلاء الذين إذا جاء المولد اشمئزت نفوسهم واكفهرت وجوههم، ورددت ألسنتهم: بدعة بدعة بدعة، وطافوا في الناس يرتجفون رُجاف قوم عاد وقوم لوط، وهم على حال من السواد. حالهم حال إبليس الذي حزن في ذلك اليوم واشمئز قلبه واهتز جسمه واكفهرت ملامحه واُزِيدت ذاته عندما رأى سيد الخلق يأتي إلى الخلق.

سيدنا محمد باب أهل الله إلى الله

هكذا لمن شرح الله صدره، وهكذا لمن نور الله قلبه، وهكذا لمن فتح الله له بصيرته، وهكذا لمن أراد أن يعرف الحق بالحق. إنّ الله جلّ في علاه له أهل قرب، أهل الله حق، وأهل الله هم الذين بهم نبلي الله، بانكسار قلوبنا لمحبوينا، بتحقيق مطلوبنا ومرغوبنا بهذا المحبوب، لا لجنة ولا نار. ولكن أهل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي "مقام الأفراد بالتوحيد"، نتكلم عنهم أنّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى جعلهم أبوابه وجعلهم أحبابه ولقنهم كتابه وعلمهم وأناهم وأثابهم وأعطاهم وأجابهم واستجاب لهم، هذا حق يقيني.

ولكن يجب أن نُنصِّص وأن نُخصِّص وأن نتكلم أنّ هؤلاء السادة هؤلاء الثلثة والقلة من أحبّاب الله ما بلغوا إلا برسول الله ولا وصلوا إلا برسول الله ولا عرفوا الله إلا من رسول الله، بباب رسول الله، قبل أن يولد وبعد أن وُلد، لأنّ رسول الله هو رسول الله قبل الدنيا وفي الدنيا وبعد الدنيا، رسول الله هو سيد الخلق في الأولين والآخرين، هو مفتاح إبراهيم ليعرف ربه، هو مفتاح نوح، مفتاح آدم بل بابهم، بل هو الذي كان معهم وكان فيهم وكانت روحه تناجيهم.

سيدنا النبي محمّد أحمد شريف الذات والصفات الذي تعشّقناه بأرواحنا قبل أن يأتي الدنيا، كنا ننظر إليه كوكباً دُرِيّاً عظيماً يقترب إلينا قرب حبيب لحبيبه، ويرتفع عنا ارتفاع عظيم على من هم دونه منزلة. سيدنا النبي تريق لسّم الدنيا، زوال لحزن كل قلب حزين مبتئس، تحفيز للهمم، رفع للطاقة.

سيدنا النبي محمّد إذا تكلمنا عنه تغيّرت اللغة وتغيّر البيان وأبدع اللسان وثبت الجَنان وكان في ذات الإنسان ما كان، من نور الله الرحمن، من أسرار القرآن، من تجلّيات المصطفى العدنان، عظيم الشأن صاحب السلطان إمام الديوان، الذي جعله الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى باباً لكل خير ولكل رضوان، إمام أئمة أهل الإحسان.

سيدنا النبي خير من مشى على الأرض، خير من مشى تحت السماء، خير درج ومن لهج ومن سجد ومن عبد ومن ركع ومن خضع ومن خشع، سيدنا محمّد هو النبي الإمام، هو المتجلّي علينا الناظر إلينا، الذي ننطق بلسانه ونتكلم ببيانه، إذ لولاه ما عرفنا الله، ولا عرفنا قرآناً ولا سنّة، ولا نطقنا العربية ولا فهمنا لُبّها ولا علمنا مكنون جوهرها. وإنّ دمه الساري فينا على حقيقة السريان وعلى حقيقة النَسب وعلى تحقّق النسبة هو الذي يحفّز هذه الهمة، هو الذي ننجز به المهمة.

أبواب أهل الله كُلُّهَا وَكُلُّهَا، أبواب أهل الله جميعاً ليست سوى أبواباً إلى رسول الله وبابه وحضرة جنابه. أيّاً ما كان بابك إلى الله من أهل الله: كنت قادرياً أو رفاعياً أو شاذلياً أو بدوياً أو جشتياً أو رحمانياً أو تيجانياً أو عروسياً أو كنت ما كنت، فإنك محمّدي بالأساس، كنت شيعياً أو سنياً كنت مالكياً أو شافعيّاً، أشعريّاً أو ماتريديّاً، صوفياً، أو كنت على غير ذلك.. فإنّ باب الله الذي فتحه الله عليك بالصالحين بالأئمة بالفقهاء هو باب رسول الله، أدخُل من هذا الباب وكن محمّديّاً، **كُن على المحمّدية البيضاء تكن من أهل الله وتُفز برضوان الله.**

لن تدخل من باب رسول الله وقلبك مزاحمٌ لآل بيته

وإذا أتيت باب رسول الله تأدّب، واعلم أنك لن تدخله وقلبك مزاحمٌ لآل بيت النبي، وعقلك مزاحمٌ، وقد ملئت بالمزاحمات والأكاذيب والأباطيل. كيف تدخل وأنت تظن أنّ أحداً يبلغ مقامه أعظم من مقام علي عند النبي؟ كيف تدخل وأنت تظن أنّ امرأةً تبلغ من رسول الله فيمن كان من نساء من حوله أعظم من فاطمة ومن خديجة وأمنة؟ كيف تدخل وليس في قلبك غيرةٌ ولا محبةً، ولا في عينك دمعة على الحسن والحسين، حزنًا لمصابهم ووقوفاً معهم وتأييداً لهم؟ **"ولا يوم كيومك يا أبا عبد الله"**. كيف تدخل وأنت ليس في قلبك نقشٌ كربلائي، كربلاء، كُرّ وبلاء؟ كيف تدخل وليس في قلبك وقفة مع ابن فاطمة وهو ينادي **"من لنا في هذا اليوم؟ من يزود عن حرّات رسول الله؟"** كيف تدخل وليس فيك إباءٌ زيني؟

كيف تدخل ولم ينكسر قلبك بالمحبة ولم تنكسر روحك لها؟ كيف تدخل على الله وأنت مغرور بعبادتك؟ ويقول قائلهم: **"صلّ كما صلّى الحسين تكون أحسن منه"**، **"محمّد مضى إلى حال سبيله قدّم رسالة وانتهى"**، **"لا تدخل إلا بالله ولا تسبح إلا الله ولا تنادي إلا الله وإذا ناديت حتى رسول الله فقد أشركت بالله"**. يا هؤلاء الحمقى والحمقى كيف تدخلون على ربّ ما عرفتموه ولا عرفتموه إلا برسول الله؟ إنّ الله أبي أن يدخل عليه أحد دون النبي، وإنّ الله أبي أن يأتي إليه أحد دون باب سيدنا محمّد، وإنّ الله أبي أن يأتي أحد إلى سيدنا محمّد وبابه دون أن يدخل تحت جناح علي وفاطمة والحسن والحسين وزينب وأبي طالب والسيدة آمنة والسيدة خديجة وسيدنا عبد الله، وأصول النبي وفروعه، باب حمزة وباب جعفر، هذه الأبواب العظيمة... وأخصّ **باب الصفوة أهل الكساء**: فاطمة وعلي والحسن والحسين، هؤلاء صفوة هذا البيت المحمّدي.

أبي الله لأبي سفينة أن تصل إليه في لُجِّي بحره **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** إلا سفينة آل محمّد. كل نبي تسمع عنه أو لم تسمع عنه، كل ملك كل ملاك كل جنّ مؤمن كل خلق ممن خلق الله قبل آدم، كل مخلوق خلقه الله من الصالحين في ذرية آدم... سيكون في تلك السفينة. ما سفينة نوح إلا قطعة صغيرة من تلك السفينة، سفينة محمّد وآل بيت محمّد. كل إمام من أهل الله، كل رجل وامرأة من أهل الله، كل ولي وولية وتقي وتقية وصدّيقة نفية وصدّيق أبي نقي تقي مُرتقي في سرّ الله لا يكون له مقام إلا في ذلك المقام، لا تجده إلا وهو في السفينة خادماً حانياً رأسه. ستجد في تلك السفينة عبد القادر الجيلاني صاحب الإباء صاحب

العزّ صاحب السرّ صاحب الديوان تجده يحيي رأسه أمام أبيه الحسين وأبيه الحسن وأمه فاطمة، كالولد الصغير أمام آبائه، على عظيم قدره وانشراح صدره ووقايته من الزمان وغدره، وجماله وكماله وصدق حاله وعظيم وصاله، ولكنه تحت نعل النبي خادم، تحت قدم فاطمة خادماً أمه، وهو سعيد مُغتبط بذلك. **ما من نبي إلا ويحيي هامه ويسجد قلبه للحبيب محمّد.**

خاتمة

هذا المولد موعد لانبثاق الأنوار مجدداً، لتجديد عهد محمّدي مهدي أبيض نقي، هذا العهد الذي ننظر إليه تحفيزاً لما سيأتي واستدراكاً لما كان وتثبيتاً لما هو كائن وتيقناً مما سيكون، ليس فيه تلوّن وليس فيه تراجع وليس فيه تغيير.

هذا بياننا عن أهل الله جلّ في علاه وعن مقام الحبيب محمّد سيدنا النبي وعن مقام آل بيته الكرام، بيان نضعه بين يدي الله ونضعه بين يدي حبيبه محمد وفي أيدي أبنائه وآل بيته، في يدي سيدنا علي وأمنا فاطمة ووالدانا الحسن والحسين ومحبوبتنا زينب، في يدي الحُبابة خديجة والسيدة آمنة وسيدنا عبد الله وسيدنا أبي طالب وسيدنا جعفر وسيدنا حمزة وسيدنا العباس، وفي يد سيدنا عبد المطلب إلى سيدنا هاشم إلى أسيادنا أجمعين، وفي أيدي الصالحين أجمعين، تعريفاً وتشريفاً وتكليفاً وتصريفاً، نضعه بياناً شاهداً علينا في دار الفناء أننا نطقنا بهذه الكلمات، وأنتم علينا في ذلك شاهدون.

دعاء الختام

ما قلنا إلا يقيناً وما نطقنا إلا حقاً، نستمطر رحمات الرحمن بهذا السيد النبي، نقول لله جلّ في علاه: إنا نحبك ونحب نبيك، فاقبلنا في أهل الله واجمعنا بأهل الله ويسر لنا ما يسر لأهل الله واحفظنا بما حفظت به أهل الله، واجعلنا منهم واجعلنا فيهم واجعلنا معهم ودلنا عليهم بك يا رب العالمين، وأدخلنا على حضرة الحبيب المصطفى على حال تطهير لقلوبنا ونفوسنا ومحو لذنوبنا وعيوبنا وتيسير لدروبنا، ورضوان منك علينا وإلقاء جمال منك علينا، حتى ندخل على الحبيب طيبين مُطَيِّبين بك لك، هانئين في دار الدنيا وهانئين في دار السعادة في دار القيامة.

اللهم أدخلنا على الحبيب محمد يوم نغدو أرواحاً وأدخلنا عليه أجساداً أشباحاً، أدخلنا إليه عليه به وبك يا رب العالمين، وأدخلنا على أسيادنا آل بيت النبي شاهدين بالحق واقفين معهم في كل مشهد، ثابتين على ما ثبتوا، محاربين لمن حاربوا، مسالمين لمن سالموا، محبّين لمن أحبّوا، مبغضين لمن أبغضوا، واقفين معهم على راية محمدية مهدوية ليلها كنهارها.

وأدخلنا على حضرات الصالحين أهل النظرات والخطرات، وصلّ على أنبيائك أجمعين وملائكتك المقربين وعلى سيدنا محمّد سيد المرسلين وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين، وصلّ اللهم على الصالحين

أجمعين ممن صحبه وممن كان معه وممن كان بعده، ألحقنا اللهم بهم واجعلنا اللهم منهم وأعطنا راية وعناية تكون دلالاً منك لنا على غير ما يكون من غيرنا، إفراداً من لدنك إسعاداً إمداداً، واجعل ذلك قرّة عين لنا به، كما جعلت هذا الكلام قرّة عين له في زمن الإفك والكذب والخسّة والدناءة والتلون. إنّنا ثابتون، كربلائي القلب لا يمكن إلا أن يبقى ثابتاً.

وصلّ اللهم وبارك على سيدنا محمّد وآل بيته الكرام، جزاكم الله على الاستماع لهذه النفحة ونحن على هذا الحال من السكر الحلال والخمر الزلال وصدق المقال،

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

المحاضرة بتاريخ: 3-10-2022



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

التأمل الثامن والثلاثون: التصوف والحضرة - بين التحقيق والتلفيق -

مقدمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك وأنعم وعزّز وأكرم على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد كما ينبغي لعظيم مقامه وعظيم مقامهم. الحمد لله الذي علّم العلم، وأرانا سُبُل الهدى بهدي سيدنا رسول الله، وترك لنا قرآناً يُتلى فيه ما فيه من الخير والعلم والبركات، وجعل سيدنا رسول ناطقاً بالحق، هادياً إلى الحق، مرشداً إلى سُبُل الصلاح والفلاح. وكذا آل بيته الكرام الذين علّموا الأمة، وكشفوا الغمة، وأتمّوا المهمة، ورفعوا بما ضحّوا به وما قدّموه كل همّة، رفعوا همم الصالحين الذين نهلوا من سرّهم وعلمهم، فأقاموا الليل، وركبوا الخيل، وصبروا على ما لقوا من عنت الطريق وعناء السفر ووعثائه. فكان الخلفاء الذين ورثوا هذا النور المحمدي هم الصالحون خلفاء أهل البيت، والصالحون يخلف بعضهم بعضاً جيلاً بعد جيل، وظهر منهم رجال فكر وعمل وعلم ودعوة وجهاد وأدب وفن وثقافة واجتماع، وظهر منهم من أبهروا العالم في أزمّنتهم وعصورهم. ولا ننسى أن نترضى عن صحابة رسول الله أبناء هذه المدرسة المحمدية العظيمة، والذين تجلّت منهم أيضاً مدارس فكرية، وكلٌّ له ذوقه، وكلٌّ له أمره، وكلٌّ له حاله. وهذه المدارس أيضاً لها روابط بما سبقها من مدارس الأنبياء الكرام، من مدارس الصالحين الذين كانوا قبل أن تظهر الدعوة المحمدية في الشخص المحمدي، وإن كانوا جميعاً من قبل دعاة لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، ممهّدين له، مبشّرين بظهوره.

السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته، هذا موعد في توقيت شتوي للدروس التأملية أو التأملات العرفانية والفكرية، ونحن اليوم سنتكلم في موضوع مهم جداً، خاصة أن بعض مقاطع الفيديو التي تنتشر كل مرة حول ما يُسمّى **العمارة والحضرة والاسم الصديري** ("آه" و "إه"، كلٌّ حسب طريقة نُطقه)، والاهتزاز والشطح والدخول في أحوال أخرى، وأيضاً فيديوهات كثيرة حول رؤية النور، وهذا جلس عند الشيخ أعطاه مفتاح فرأى النور، وترى أذعياء مشيخة عندما تسمعهم تضحك من كثرة الجهل، أسلوب بعضهم حتى مختّث في كلامه وحاله، وبعضهم قريب جداً لأن يكون تكفيرياً، وآخر يهيم في عوالم لا يفهم عنها ولا يفقه عنها شيئاً..

لذلك نحن سنتكلم اليوم عن هذه المسألة ونرجو أن يصلكم فكري لأني سأتكلم من باب التدقيق والتحقيق وأكشف بعض وجوه التلفيق. ولست أتكلم عن أمر أجهله، كما هي العادة دائماً في تأملاتنا ودروسنا، **النقد لا يكون إلا بمعرفة ووعي الناقد بموضوع النقد**، كما حدّدنا فيما أَلّفنا من علم النقد في موسوعة **<<البرهان>>** وفي كتبنا عن هذا الموضوع: موضوع النقد وعلمه، والنقد البنيوي والنقد البناء وأوهام الانتقاد والإنقاص..

كلامنا اليوم كلام علمي من باب **نقد بنيوي تفصيلي أصولي**، وهذا النقد أيضاً فيه تبيان عن تحقيق وتدقيق، لمسألة التصوف عموماً والذي يُعتبر موضوعاً شائكاً جداً، بل لعلّه في تاريخ الأمة الإسلامية هو أكثر المواضيع إثارةً للكلام والنقد والنقد المضادّ والتبيان والاستعمال والإستغلال والتدليس والتدنيس أو التقديس.

نتكلم عما نعرفه جيداً

وهذا المشغل البحثي المعرفي اشتغلْتُ عليه أكثر من 25 سنة من البحث والقراءة والسفر، فمعلوم أي زُرْتُ على سبيل المثال مقام الشيخ عبد القادر الجيلاني في بغداد، وكذلك مضيت إلى الهند وإلى باكستان واندونيسيا وماليزيا، مدن كثيرة ومقامات عديدة، في العالم العربي أيضاً في مصر والشام وفي أرض ليبيا والمغرب والجزائر وتونس وغير ذلك كثير جداً، وبلاد السودان وبلاد أفريقيا السنغال على سبيل المثال زرنا توبا حيث مقام الشيخ أحمد بمبا وغيرها كثير مما يجد من تابع القسم المنشور من رحلاتي، والقسم المنشور يرجع إلى سنة 2013 إلى الآونة الأخيرة، أما ما كان قبله فلم يكن منشوراً ومصوراً.

وكذلك أعددت كتباً عديدة عن التصوف، ككتاب **<<التصوف معراج الذوق وترياق التطرف>>** والذي نُشر في مجلّة العرب الدولية، وكذلك نشرت عدد آخر من الكتب المتعلقة بالروح الصوفية والمقالات العديدة، ولي عمل في الإعلام كثير جداً خاصة عندما انتشر واستشرى الفكر الوهابي التكفيري، ولي ردود معروفة معلومة عند أهل العلم في هذا الموضوع. وأفتخر بأني أنتمي إلى التصوف السنيّ كما يحلو لي أن أسمّيه، التصوف النقي، التصوف المنبني على الكتاب والسنة وعلى علم وبيّنة.

كذلك المؤتمرات العالمية والتي أنجزناها أيضاً هنا في تونس، مؤتمرات كثيرة شاركنا فيها عبر العالم ككل، مثل مؤتمر في اندونيسيا كان مؤتمراً مهماً عن تصوف الإمام الغزالي، وكنت قد أعددت بحثاً شيقاً عن كتابه <<مشكاة الأنوار>>، وكذلك في بلدان أخرى ضمن نشاطات مع عدد كبير من العلماء الذين التقيناهم. والتقينا عدد كبير من أشياخ الطرق الصوفية كلها، من القادرية والرفاعية والشاذلية والجشتية وكذلك الأحمدية البدوية وكذلك الرحمانية وطريقة سيدي إبراهيم الدسوقي والعروسية والعلوية والمدنية، وحضرت عدداً كبيراً من ما يُسمى "الحضرة"، وقمت بالخلوة مراراً، وأتكلّم عن مسائل أعرفها كراحة يدي، وحضرت أنواع مختلفة من الحضرة عند شعوب كثيرة، عند الهند كيف يقومون بالقوالي، أو عند الأكراد كيف يقومون بالأذكار على الطريقة القادرية أو الكسنزانية، وكذلك عند الطريقة الرفاعية وعند العروسية، والعلوية والمدنية، وسوى ذلك كثير..

التصوف بين العارفين والدجالين

والمشهد الذي نريد أن نتكلّم فيه هو تبيان لحقيقة التصوف، لكثرة من يدّعي أنّ التصوف شرك بالله. وكنت أعترم تقديم دورة عن التصوف وعلمه ولكن هذه لعلّها مقدّمة لتلك الدورة ولذلك الدرس. أيضاً من المهم أن أبيّن أنّ هذه الكلمات هي رسالة لكل من يريد أن يسمع، أما الذي سيركب عناده فليس معنياً بما أقول، ولستُ معنياً بأن يسمع أو لا يسمع، إنما لمن أراد أن يفهم بعض هذه النقاط سوف نُجمل ونختصر ونختزل ونبيّن ونبوّب باختصار باختزال بسرعة بدقّة بإيجاز بإيضاح، حتى يكون الإنسان على بصيرة، وحتى يستبين طريقه وسط هذه المتاهات من الطرق التي يسلكها الإنسان، لا أتكلّم عن الطرق الصوفية بل طرق الحياة.

وأيضاً هذا التشابك الطريقي في التصوف وكثرة الدجالين والمحتالين، رغم وجود صادقين وعارفين وعلماء وأولياء وصالحين، هذا لا يلغي ذلك. لا يمكن لمسألة إلا أن تُستخدم على أوجه، هذه الأوجه هي ملامح للذات البشرية، الدين استُخدم كطريق تنوير للإنسان، واستُخدم على قول كارل ماركس كأفيون للشعوب من قبل المخادعين الذين خادعوا بالدين واستعملوه لأجل الثراء ولأجل مكاسب الدنيا، لأجل دعم السلاطين الظالمين. كذلك التصوف لم يخلُ من رجال صدق، ومن رجال كذب وإفك، ولم يخلُ ممن كان يقدّم حياته لأجل خدمة الطريق نحو الله، وممن كان يستثمر ذلك ويتاجر بدماء الصالحين ويفتري عليهم، ولم يخلُ من تزوير وتزييف، شأن السنة المطهّرة وشأن التفاسير النبوية وشأن تدوين التاريخ الذي لم يخلُ أيضاً من دسّ وتزييف وتزوير حسب أهواء حاكم ما أو مجموعة تنتمي لفكر متعصّب يُلغي محاسن الذي يكرهه ويضفي لمن يواليه أمور ليست صحيحة.

تعريف التصوف

وأشير كذلك إلى أطروحة الدكتوراه التي أعدتها مع الأكاديمية العالمية لعلماء الصوفية وكان جهداً قوياً بحمد الله وجهداً كبيراً لخص عملي العلمي والمعرفي لسنوات، فأدمجته وأدرجته في أطروحة تمزج بين تخصصي في المعارف والعلوم الاستراتيجية وبين تخصصي في العلوم الصوفية والعرفانية، فكانت أطروحة وكتاب بعنوان <<التصوف الاستراتيجي: بنية الأصل وهيكلية الفروع>>.

وفي هذا الكتاب سيجد القارئ تعريفاً للتصوف من حيث اللغة والاشتقاق والاصطلاح. فمعلوم أنّ لفظ التصوف لم يكن له وجود زمن الحبيب عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وزمن أصحابه الكرام، كان هنالك فئة تُسمّى الصوفية نسبة إلى رجل يُسمّى صوفاً كانت نذرته أمه للعبادة حول الكعبة، وهذا ينبني على رواية، ولكن لم يكن له أثره في نشأة الدولة الإسلامية الأولى زمن الحبيب المصطفى وفي نشأة الدعوة الإسلامية كلفظ.

أما جوهر ذلك فله أثر منذ الآدمية الأولى إلى زمن الحبيب بمعنى **التزكية**، لأنّ لفظ التصوف هو تعبير عن غيره.

وعده البعض منسوباً إلى الصوف
صافي فصوفي حتى سمي الصوفي

تحير الناس في الصوفي واختلفوا
ولست أمنح هذا اللفظ غير فتى

كما قال أبو الفتح البستي.

اللفظ لم يكن له جلاء ولكن ناب عن معنى التزكية ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ﴾ أو ﴿وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾، عن التزكية بمعانيها الشاملة الكبيرة، وكذلك بمعناها الآدمي - كما بينت في كتابي - عندما نتكلم عن توبة الله على آدم وعن هذا المسار وهذه الكلمات التي تلقاها عن ربه فتاب عليه. هذا المسار هو مسار تزكية وتنقيه وصقل، مسار للتصفية والصفاء، لما يُسمّى بالتخلي والتجلي والتجلي والتجلي حسب المصطلحات الصوفية.

أيضاً يتصل التصوف كمشغل أخلاقي ديني عقائدي بموضوع **الإحسان** ومقام الإحسان، لأنّ الإحسان جوهر في الدين يمثل المستوى الثالث الذي يرتقي إليه المتدرج في مصاف الإيمان، عقيدة وشريعة. وهذا يمكن أن يُربط وأن يوصل بتزكيتهم وتعليمهم الكتاب والحكمة، لأنّ تعلم الكتاب والحكمة لا يكون له أثر نفعي على الذات ولا على الآخرين ما لم تُهدّب النفس ولم تُزكّى ولم يُطهر القلب. والإشتغال على هذه الجوارح الباطنية هو شغل رجال الصوفية، وهو العمل الذي قام به سيدنا رسول الله في تأسيسه لدولة الصحابة، لهذه الدولة الإسلامية التي لها قادة ولها رجال، وفي تعليمه وتهذيبه لأصحابه، وخاصة لخص أصحابه ولآل بيته الكرام، فإنّ التنقية والتزكية والتثبيت وتطهير القلب الذي تمّ في أيام العُسرة في أيام الحصار في شعب أبي طالب كانت أياماً صعبة ثبت فيها من ثبت. مشهد تعذيب بلال الحبشي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عندما كان يقول "أحد أحد" هي تجلية لتلك التحلية والتخليية المحمدية، ذلك النقش المحمدي الذي

سرى في قلب سيدنا بلال فوصل إلى تلك الدرجة من التحمل. وهذا سيكون له استتبعات على طريق القوم في مجاهداتهم النفسية وفي مضيهم للجبال تأسياً بشعب أبي طالب.

كذلك البعض أراد أن يلصق التصوف بأهل الصفة الذين كانوا من فقراء الصحابة وكان لهم مكان في المسجد النبوي الشريف، وهذا أخذ مظهراً من التصوف وهو مظهر التقشف والزهد ولباس الصوف *عده البعض منسوباً إلى الصوف*. هنالك من عدّ التصوف لبس الصوف واللباس الخشن، وهذا أيضاً مظهر من مظاهر التقشف والزهد الذي ظهر على الجيل الأول ربما والثاني والثالث من أجيال التصوف لوفود أفكار جديدة ولانهمار الدنيا على الأمة الإسلامية، فاتخذ هؤلاء مواقف للزهد والتقشف وترك الدنيا، ومن هؤلاء الحسن البصري ومعروف الكرخي والحارث المحاسبي والجنيدي البغدادي الذي إليه نُسب التصوف السني كما قال ابن عاشر: **في عقد الأشعري وفقه مالك *** وفي طريقة الجنيد السالك**، فصار الجنيد مرجعاً لما بلغ من العلم وبما بلغ من الفهم. وكذلك البسطامي الذي كان له أحوال، وكذلك الشبلي الذي كان صاحباً للحلاج، والحلاج كشخصية جدلية كذلك مظلومة في التاريخ الصوفي، وظهر بعده أجيال (النفري وسواه).. وكنت في هذه الأطروحة بينت أجيال التصوف إلى القرن الماضي، الطبقات الصوفية، وكتاب <<طبقات التصوف>> وغيرها من الكتب، هنالك كتب كثيرة مدونة كبيرة في تاريخ التصوف وطرقه وطبقات رجاله، وابن الملقن له في ذلك والشيخ الشعراي له في ذلك، وهنالك <<الرسالة القشيرية>> التي تبين أصول التصوف و <<قواعد التصوف>> للشيخ زروق، وهنالك <<الحكم العطائية>> التي تبين جوانب الحكمة، هنالك تجربة جلال الدين الرومي وشمس التبريزي كتجربة فلسفية..

ظهرت مدارس كثيرة للتصوف لكنها جميعاً ترجع إلى الأصل الذي هو مقام الإحسان والذي درج في سؤال سيدنا جبريل لسيدنا رسول الله: ما الإسلام؟ ما الإيمان؟ ما الإحسان؟ الإحسان هو المرتبة التي يرتقي إليها هذا المتدرج في الدين حتى يصل إلى مستوى أن يعبد الله كأنه يراه، فإن لم يكن يراه فهو يراه.

- ❖ وهذا المستوى يتجاوز به الإسلام اللساني الذي قالت به الأعراب، والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى قَالَ لَهُمْ ﴿لَمْ نُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا﴾.
- ❖ ويصل بعد ذلك إلى الإيمان ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾، إلى الإيمان على حقيقته بالتحقق القلبي بعد أن كان لفظاً لسانياً خارجياً قشرياً.
- ❖ ثم يتصل بمطلق الإدراك الروحي ببوابات في الروح، بالنفحات، بالكشف، بالفيض، بالتجلي، بأبواب يفتحها الله على صدر من يشاء.

وهنا نجد آيات تتكلم عن كشف البصيرة وعن الهدى القلبي وعن النور والنور الموهوب، وهذا يتصل أساساً بالتصوف وعلمه ويتصل أساساً بمقام الإحسان. فبين الإحسان وبين التركيبة مدارات التصوف، وفيها عوالم الأخلاق والأدب والإشتغال على الذات الإنسانية لتنقيتها وإعادتها لأصلها النوراني الرباني السماوي وتهذيب طينتها والغلبة على شهواتها، وذلك يكون له أثره على الناس في الإصلاح والصلاح، فالتصوف ليس فقط خلوة بل هو جلوة، ولي كتاب اسمه <<التصوف من خلوة إصلاح النفس إلى جلوة إصلاح الناس>>.

هذه الملامح العامة كانت مدارات تعبيرات لفظية عبّر بها رجال التصوف اصطلاحاً عن طرقهم وعن سبلهم. قيل أنّ أبا القاسم الصوفي أول من لُقّب بهذا اللقب، وأعتقد أنّ الأمر يرجع إلى الحسن البصري تلميذ الإمام علي ويرجع إلى تلك الفترة من التابعين الذين تمظهر فيهم هذا اللفظ من باب الصفاء، من باب أنهم صاروا مجموعة متميّزة في الأمة، رداً على أقوام آخرين مضوا في مسألة الجوّاري ومسألة الذهب والمال والفتن الكثيرة التي حدثت. قد تكون للتصوف علاقات أخرى بمدرسه أهل البيت، هذا موضوع بحث مهم وهنالك كتب مهمة تكلمت عن ذلك، لأنّ التصوف نشأ في بيوتات آل البيت: الحسن البصري تلميذ الإمام علي، ومعروف الكرخي كان مع الإمام الكاظم، وهؤلاء جميعاً أخذوا ونهلوا من هذه المعارف، ثم يأخذ الراية بعد ذلك في القرن الخامس والسادس رجال آل بيت النبي ذرية آل بيت النبي، وينطلق التصوف في مرحلة ثانية.

في الأطروحة عندما تكلمت عن بنية الأصل وهيكلية الفروع، تكلمت عن الأصل الذي انبني على هذه التزكية ومقام الإحسان، ولم تكن طرقات واضحة معلومة، كان الأمر في أفراد، في مجموعات قليلة، كانت تمثل هذا المنطق وهذه الرؤية وتروم مقام الإحسان، تدخل في خلوات، لها زهد كبير في الدنيا، لا تخاف من الحكام، تقول كلمة الحق، تقف مع الحق.. وهذا لمسناه في أخلاقيات أئمة الفقه، إذ كان **الامتزاج كبيراً** بين علماء الفقه والعقيدة والحديث والقرآن الكريم وبين رجال التصوف، فلا تخلو هذه الشجرة المباركة في السند المتصل سواء حديثاً أو فقهاً أو من باب علم التلاوات أو من باب علوم العقيدة من رجال التصوف الذين كانوا يمزجون بين هذه التخصصات. زُيّم ابن أحمد وهو من فقهاء القرن الرابع تكلم في التصوف وكان من رجاله، وقال **"التصوف هو الوقوف مع كل شيء حسن"**. ابن أبي زيد القيرواني كان ابن خالة محرز ابن خلف، ابن أبي زيد كان صوفياً ولكن غلب عليه علم الفقه، والشيخ سيدي محرز ابن خلف كان صوفياً ولكن لم يكن خالياً من فقهه، وهو الذي اقترح على ابن أبي زيد أن يؤلّف الرسالة القيروانية أو رسالة ابن أبي زيد القيرواني الذي سُمّي بمالك الصغير، وكان ابن خالتهم الثالث هو أبو إسحاق الجبنياني الذي كان أيضاً عارفاً كبيراً وأسس عدداً كبيراً من الزوايا.

إذن التصوف يتمازج فيه هذه الأبعاد المختلفة وله أكثر من 1500 تعريف اصطلاحى، عدد كبير، كلُّ يقول: **"التصوف أتباع طريقة المصطفى ومن ألقى الدنيا في القفا"** كما كان يردّد سيدي محرز ابن خلف، وغير ذلك كثير وعديد عدّدت بعضه في هذا البحث، وتجدون في كتب التصوف الكثير والكثير من هذه المسائل. وهنالك شبّهات تعلّقت بالتصوف، إما أنها من سوء فهم لبعض التعبيرات، أو أنها من دسّ الداسين، على سبيل المثال عندما قال البسطامي **"سبحاني ما أعظم شاني"**، أوّل ذلك إلى أنه كفر، ولكن الجنيد قال أنّ هذا الأمر يرجع لكثرة عشقه حتى أن قيساً عندما سُئل: من أنت؟! قال: أنا ليلي. وقد عبّر الإمام الغزالي في كتابه **<مشكاة الأنوار>** أنّ هذا الكلام في ظاهره وحدة وفي باطنه توحيد (يعني بها وحدة الوجود).

ظهرت مصطلحات قادمة من الحضارات الأخرى مثل الزرادشتية وكذلك الهندوسية، وظهرت هذه المصطلحات وأرادت أن تلتحم بالتصوف الإسلامي، ظهر تيار اسمه الملامتية قادم من بلاد فارس وما خلفها وكانوا يبالغون في لوم أنفسهم، وظهرت تيارات أخرى.. ولكن الجوهرى أنّ التصوف هو إلترام

بالكتاب والسنة، الجنيد يقول "طُرِّ إلى الحق بجناحي الكتاب والسنة" وهذا قول كان يردده أيضاً الشيخ أحمد الرفاعي أبو العلمين الذي كان له جاه كبير ومنزلة عظيمة في التاريخ الصوفي.

المراحل التاريخية للتصوف

يمكن أن نقسم تاريخ التصوف على هذا الباب إلى أربعة مراحل:

I- المرحلة الأولى

هي المرحلة التأسيسية، نتكلم هنا عن التصوف الإسلامي المحمدي ولا نتكلم عن التصوف الآدمي أو الإبراهيمي أو ما كان عليه الأولون من حالات التزكية وتهذيب النفس، إنما نتحدث عن تقسيمنا للتصوف منذ البعثة المحمدية إلى هذه الساعة.

المرحلة الأولى هي المرحلة التأسيسية ضمن مُصطلحي التزكية والإحسان، وهو نبع من الهدي المحمدي والنور القرآني وما أعطى الله سبحانه وتعالى وما علّم عبده ونبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ. ونجد أنّ الزهد عند الإمام علي لم يكن تطبّعاً بل طبعاً فيه، وكان له مناجاة وكانت له أحوال، ونجد في كلام الإمام الحسن والإمام الحسين وكلام الإمام زين العابدين والإمام الباقر والإمام الصادق نجد معرفةً وعلماً بهذه النفس. وأثر ذلك في الإمام مالك فقال: "من تصوّف ولم يتفقّه فقد تزندق، ومن تفقّه ولم يتصوّف فقد تفسّق، وإن جمع بينهما فقد تحقّق"، ووُجد هذا في إحدى الحواشي التفسيرية، البعض رفض أن يكون الإمام مالك قد قالها، وآخرون يثبتون أنه قد قالها، وليس الإمام مالك بغريب عن هذه المسألة.

نجد أنّ بعضهم أورد لدى المدرسة الشيعية أنّ الإمام جعفر الصادق سبّ الصوفية، وهذا يدع من القول وغير صحيح مطلقاً، لعله نقد بعض أذعيائه، أما أن يكون قد نقد أمراً وُلِد في بيوتاتهم وظهر عندهم وكان ينبع من معرفتهم بل ينبع من الولاء لهم ومن حبههم، إذ أنّ الطريق الصوفي كله وكل الطرق في الحقيقة ترجع إلى الإمام علي وتعتبره الغوث والقطب الأعظم وتوالي أئمة آل البيت وتوالي الإمام الحسن والإمام الحسين، وهذا ثابت. عندما تكون في أجمير في بلاد الهند وتسمع القوالي باللغة الهندية يتكلمون عن الإمام الحسين، ترى محبة وترى أنهم يذكرون كربلاء. ولذلك عادةً ما يُسمّى الصوفية بشيعة أهل السنة لمولاتهم لآل بيت النبي، وليس هذا فيه من سبّة أو عار، نعم الصوفية يوالون آل بيت الحبيب لأنّ تلك الموالاة هي جوهر الدين لأنهم ركبوا السفينة، وناشروا التصوّف ورجاله الكبار هم من ذرية النبي ومن أحفاد آل بيت النبي عليه وعلى آله السلام.

المرحلة التأسيسية هذه لها تمظهرات كما بيّنتُ في البداية: مظهر مع أهل الصُفّة، مظهر في الكرامة، في الإعجاز، في قدرات عظيمة تتجلى على الذين نبعوا من السّر المحمدي، كالصبر عند سيدنا بلال، وكذلك النور والسّر الذي كان عند أويس القرني، والقوة العظيمة التي كانت عند سيدنا علي فرفع بها باب خيبر،

هذا كله من مشمولات علم التصوف، التزكية، التنقية، تهذيب النفس، تطهير القلب، نزع العناد، نزع الجحود، لأنّ إبليس لو تصوف لو صفا إلى ربه لما عصا ربه، ولكن إبليس م يكن صافياً ولا مصافياً، لذلك كفر وعاند وجحد، وكان كفره كفر اعتراض وامتناع ولم يكن كفر إنكار لوجود الإله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**. نفس الأمر عند الذين فُتِنُوا فيما بعد، كان الأمر عندهم جحوداً وحسداً لعدم تزكية قلوبهم ونفوسهم. وَصَفُ الله للكافرين هو وصف ضد وصف أهل التصوف، عندما يتكلم عن الغشاوات في القلوب ويتكلم عن أنّ في أسماعهم وقرأ وأنّ الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** يجعل بينه وبين الذين كفروا حجاباً وغير ذلك، المحجوبون هم أعداء هذا النور. أما أهل الصفاء الحقيقي فهم أتباع ومحيي هذا النور، يبتغونه ويريدونه، ويلقي الله عليهم من أنواره وأسرارها ما يفيض في كلامهم ما يفيض في أحوالهم ما يؤثر في الناس من حولهم.

المرحلة الأولى التأسيسية مرحلة التزكية والإحسان، وهو باب نزل به جبرائيل في سؤاله للمصطفى بتجلي عيني **رَأَى الصَّحَابَةَ لِعَظِيمٍ مَا فِي الْأَمْرِ**، الكلام حينها عن الإسلام وعن الإيمان وعن الإحسان وعن أشرار الساعة وعن علم آخر الزمان، وهي كأنّ سيدنا جبريل أعطى الأمة معالم وعلوم يجب أن تبحث فيها.

2- المرحلة الثانية

المرحلة الموالية هي مرحلة البنية الثانية التي **ظهر فيها المصطلح**، البنية الأولى كانت دون وجود مصطلح تصوف.

الثانية، بداية من القرن الثاني، تتكلم حينها عن لفظ التصوف كلفظ، وكأنّاس يوصفون بأنّ هؤلاء صوفيون (هؤلاء من رجال الصوفية)، وعلى رأسهم الحسن البصري تلميذ الإمام علي والذي كان عالماً وكان محدثاً وكان فقيهاً، وكان له سند في الحديث وأخذ عنه غير واحد من محدثي الأمة، وكانت الأمور حينها ممتزجة امتزاجاً كبيراً، فكلّ صوفي كان بالضرورة من أهل الفقه وأهل الحديث وأهل العلم.

وينطلق التصوف حينها مع تبلور الرؤى ومع الأفكار الوافدة وينقسم إلى شعبتين: شعبة تمسكت بالكتاب والسنة، وفرع صغير دخل في بعض الهرطقات وبعض المسائل، وهذا لا يُعدّ من التصوف في شيء. ولكن ستكون له كرات ورجعات ويكون باباً من أبواب الحرب على الصوفية، كأنّ أعداء هذا الطريق زرعوا هؤلاء أو كأنّ هؤلاء وجدوا في هذا الطريق انخداع الناس بهم واتباعهم ظناً أنّهم أولياء كرماء فيأخذون ذلك، كما فعل الحشاشون وغيرهم في ادّعاء الانتساب إلى مدرسة آل البيت، وفعل بنو العباس أول ظهور دولتهم، هذا كان طريقاً من طرق الكُدية والحيلة ومن طرق الاستغلال والاستثمار في مسائل توصل مرتكبيها إلى نار جهنم، والله بريء من ذلك.

ولما بدأ رجال التصوف في التمازج **ظهر أعلام** من أهل الفقه والفكر، وتشربوا حب آل بيت النبي وعاشوا في بيوتاتهم، من أمثال معروف الكرخي، من أمثال الحارث المحاسبي صاحب كتاب <<الوهم>>، من أمثال سري السقطي الذي كان أيضاً عارفاً، وكانت لهم حكم، من أمثال الجُنيد البغدادي شيخ الطائفة الصوفية، وأبو يزيد البسطامي، وكذلك ظهر رجال آخرون من أهل هذا الطريق كانت لديهم مناهج، كانت

لديهم أفكار، وبدأوا يطوّرونها.. وظهر الحلاج وقام الحكام حينها بإعدامه بطريقة شنيعة لسبب أساسي وهو أنه كان يدعو لأئمة آل البيت، وكان أيضاً رجل كرامة من الله، مظهر الله عليه بعض الأمور فاتهموه بالسحر وقتلوه كما قتلوا السهروردي والنسيمي وغيرهم من رجال هذا الطريق.

ولما قُتل الحلاج سنة 303 هجري، حينها دخل التصوف في الصمت و**صار يعبر بالإشارة** وغلبت عليه المعاني الفلسفية، وهنا ظهر النَّفري صاحب <<المواقف والمخاطبات>> **"إذا اتسعت الرؤية ضاقت العبارة"**، وظهر الشبلي ادّعى الجنون، وظهر تحت الضغط السياسي بهلول كنموذج للرجل الصوفي، الرجل الذي يمتلك المعارف ولكن يدّعي الجنون، وتفطّنوا في آخر حياته أنه كان من تلاميذ الإمام الكاظم وأنه كان أمره بأن يُخفي أمره ويدّعي الجنون، وله مواقف ومشاهد مع هارون الرشيد "يا هارون يا مجنون هذه قصورهم وهذه قبورهم" وغيرها من المسائل، وظهر الزُّهاد من أمثال الفضيل ابن عياض وغيرهم..

والتاريخ هنا فيه الكثير من المعطيات، ظهر محرز ابن خلف كما قلتُ في بلاد إفريقية، وظهرت السيدة رابعة العدوية وما لها من مدرسة العشق الإلهي كمؤسسة لهذه المدرسة ولم تكن في الحقيقة مؤسسة لها، المؤسسة الحقيقية لمدرسة العشق والفناء في حب الله هي السيدة فاطمة والسيدة خديجة والسيدة فاطمة الزهراء والسيدة زينب، ولكن ظهرت رابعة أكثر بقصائدها ومناجاتها وما كان عليها من حال، وظهرت مدارس تصوف فلسفي إشراقي بدأت تأخذ أيضاً طريقها متأثرة بالفلسفات الأفلاطونية ومتأثرة بفلسفات الشرق القديم كالطاوية وغيرها.

3- المرحلة الثالثة

في القرن الخامس للهجرة يدخل التصوف المستوى الثالث وهو مستوى **بداية التشكل** والرجوع إلى المجتمع، بداية الكلام مجدداً. وهذا الدور سيقوم به علامة كبير من أعلام هذا السبيل وهو مظلوم في الحقيقة، وإن كان يُعنى به في بلاد اندونيسيا. فالتصوف في اندونيسيا ليس جُنيدياً كالتصوف في بلاد الشرق والمغرب، إنما يرجع إلى الإمام الغزالي. أبو حامد الغزالي أو الغزالي كان عالماً كبيراً ومزّ بمراحل فكرية عديدة أوصلته في نهايتها بعد مرحلة الفلسفة والفقه والحديث والعلم إلى مرحلة التصوف، وكتب حينها <<إحياء علوم الدين>> في ركن من أركان الجامع الأموي في دمشق، وكتب في أواخر حياته كتاب <<مشكاة الأنوار>>، وكان له دور أساسي في بلورة الفكر الصوفي، إذ أنه استثمر تجربته الثرية جداً في المدارس النظامية التي أسسها نظام الملك السلجوقي، والذي أسس مدارس منظمة لتعليم الدين وتعليم الفكر. فكان المستوى الذي بلغه الإمام الغزالي من الشهرة ومن التمكن داخل السلطة ومن المنعة ومن المال جعلته يصل التصوف بالمجتمع ثانية وينطق باللسان الصوفي غير هيّاب، وكان لديه هذه المكانة التي مكنت له من أن يوصل رسالته. واشتهر هذا الكتاب <<إحياء علوم الدين>> اشتهاراً كبيراً، وبقي بين من كفره مثل دولة الموحّدين أرادت أن تمنعه وأن تحرمه، لأنّ المرابطين قبلهم كانوا يتخذون يوسف بن تاشفين منهجاً، ولكن غلب كتاب الإحياء وما فيه من حكم وما فيه من تربية وظهر وبهر واشتهر.

4- المرحلة الرابعة

الإمام الغزالي سيؤثر فيما بعد في المستوى الموالي للتصوف وهو **مستوى الهيكلية**، التهيكل. لأن الإمام الغزالي - كما تروي المصادر التاريخية - التقى بالشيخ عبد القادر الجيلاني وأثر في بناء الزاوية القادرية المدرسة القادرية، لأنه نقل الخبرات من المدرسة النظامية إلى الشيخ عبد القادر حيث ينظم مدرسته لتنظيم علمي كأنها جامعة. طبعاً جامع الزيتونة المعمور كان له دور، ومدرسة القيروان كان فيها الكثير من أهل التصوف، وجامع الزيتونة كان عامراً برجال التصوف، ثم بعد ذلك الأزهر وجامع القرويين، ولكن **الهيكلية الأساسية لمرحلة التصوف الطُرُقِي** كطُرُق صوفية انطلقت في القرن السادس مع الشيخ عبد القادر الجيلاني الذي أسس مدرسته في بغداد وظهرت واشتهرت، وكان من تلاميذها السلطان نور الدين زنكي وصلاح الدين الأيوبي وكذلك وزراء ومسؤولون كبار، وكان لها دور في تجميع الأمة وتوحيد صفها بعد الحروب الصليبية التي انطلقت في 1099 للميلاد، وكان لها دور أساسي في استعادة القدس. وكان للشيخ عبد القادر الجيلاني تركيز على تعليم الشباب والنساء، كان لهم أكثر من 400 حافظة قرآن في التعاون مع الشيخ أحمد الرفاعي، وتأسست هيكلية منظمة عبر العالم الإسلامي.

هذه الهيكلية التي أسسها الشيخ عبد القادر لم يكن فيها وحده، كان معه في مدرسة البطائح في البصرة الشيخ أحمد الرفاعي. المدرسة البطائحية كان فيها سلالة من رجال علم مثل خال الشيخ أحمد الرفاعي، ولكن سيدي أحمد الرفاعي أسس لهذه المدرسة الدينية العلمية بالتعاون مع الشيخ عبد القادر، وظهرت حينها الطريقة الرفاعية. وكان معهم في نفس الفترة مجموعة من رجال الله، مجموعة من الصالحين يتعاونون تعاون مباشر وينسّقون على المستوى الاجتماعي والدعوي وكذلك المستوى العسكري، نعم المستوى العسكري.

في تلك الفترة يظهر قبلها بقليل عالم كبير اسمه عُقيل المِنْبِجِي، زُرت مقامه في مدينة مَنبِج وداعش دمرت ذلك المقام، مَنبِج تتبع حلب في بلاد الشام. وكان له تلميذان بارزان أساسيان هما عُدي بن مسافر ورسالان الدمشقي. الشيخ رسلان الذي يُسمّى حامي البر والشام (وأيضاً زرنا مقامه، مدفون بجانبه الشيخ الشاغوري)، وهذا الشيخ له منعة كبيرة له مكانة كبيرة عند أهل الشام لأنّ الشيخ رسلان الدمشقي بنى مدرسة عسكرية في دمشق، وكان يزوره باطراد نور الدين زنكي، كانوا يتدربون ويؤسسون لفتح القدس لتحرير بيت المقدس. وعدي ابن مسافر يرحل إلى العراق إلى جبال هُكَّار حيث أكراد هُكَّار ويؤثر فيهم، وكان له مكانة كبيرة، إلى اليوم الأيزيديون (وهم مسيحيون) وكذلك الأكراد يقَدِّسون هذا الرجل كثيراً لما له من منزلة وما له من مكانة. عُدي بن مسافر تقول المصادر التاريخية أنّ معظم قادة نور الدين زنكي والذين بعد ذلك كانوا مع صلاح الدين الأيوبي في فتح القدس كانوا من تلاميذ عُدي بن مسافر.

وفي بلاد المغرب يظهر أبو مدين شعيب، أبو مدين شعيب يدرّس في جامع الشواشين في تونس. طبعاً خرج من الأندلس وأخذ على أبي يعزى في بلاد فارس، ثم جاء إلى تونس فدرّس، ومن تلاميذه عبد العزيز المهدي وأبو علي النفطي الذي صار قائد جيش أيضاً هو الآخر. والمهدي هو مؤسس مدارس العرفان ومجالس العرفان في تونس، قبل قرنين من المِلا صدرا في الدولة الصفوية في العرفان الشيعي. لذلك لما تقرأون التأمّلات العرفانية إنما هي مصطلح العرفان أقدم من ظهوره ضمن المدرسة الشيعية، وإن كنا نتكلم ضمن المدرسة المحمدية. الشيخ عبد العزيز المهدي يتلمذ على يده الشيخ أبو سعيد الباجي

التونسي، وأبو سعيد هو الذي سوف يعرّف أبا الحسن الشاذلي ويلقبه، وأبو الحسن تلميذ عبد السلام بن مشيش، وابن مشيش ملحق بالقادرية من خلال أبي مدين شعيب، وإن كان خضري الطريقة، ولكنه التقى بأبي مدين أكثر من مرة وكانا منسقين مع بعضهما البعض. أبو مدين شعيب يكون إذاً شيخاً للمهدوي، المهدوي يكون شيخاً لأبي سعيد الباجي، والمهدوي أيضاً تُهدى إليه أكبر رسالة عرفانية في تاريخ هذه الأمة وهي <<الفتوحات المكية>>، فابن عربي تتلمذ على يد المهدوي وتأثر به وأهدى إليه <<الفتوحات المكية>> وكتب عنه قصيدة:

إنّ الذي ما زلت أطلب ذكره ألفيته في الروضة الخضراء

الروضة الخضراء روضة تونس، وتكلم عنه بكلام جميل وكتب عنه كلاماً جميلاً.

سيدي عبد القادر الجيلاني يجمع أكثر من خمسين شيخ في بغداد وكان شعارهم "القدس تنادىكم"، ثم يجمعهم في الحج، ثم يجمعهم ثانية في بغداد. وممن ذكروا في هذا الاجتماع: طبعاً الشيخ أحمد الرفاعي، عُدي بن مسافر، حياة ابن عيسى الحرّاني، بقاء بن بطو (وهذا كان في بلاد تركيا)، وكذلك رسلان الدمشقي، وأبو مدين شعيب وغيرهم..

وفي نفس الفترة يظهر الشيخ معين الدين الجشتي الحسيني (أمه كانت عمّة الشيخ عبد القادر). معين الدين الجشتي ينطلق -وكان حينها أيضاً السهروردي الطريقة السهروردية، السهروردي الأول ليس السهروردي الذي قتله الأيوبي- المهم يظهر حينها معين الدين جشتي مع خليفته قطب الدين بختيار الكعكي البغدادي ويمضيان إلى العراق وشيخه اسمه عثمان الهاروني الطريقة الجشتية، ويمضيان بعدها إلى الهند. وفي الهند يفتح الله على يديه، يُسمّى سلطان الهند، ويمرّ بـلاهور (حيث زُرت أبو الحسن الهجويري صاحب كتاب <<كشف المحجوب>> الذي يعتبر أول كتاب في علم التصوف، وهذا كان سابقاً للشيخ عبد القادر وكان له مكانة كبيرة).

رجال التصوف ليسوا أهل خمول بل أهل علم وجهاد ومواقف

إذن هكذا انطلق أهل التصوف في نشر الإسلام وانطلقوا في حماية بيضة الأمة، وانتشر الإسلام في اندونيسيا بالأولياء التسعة القادمين من اليمن، في بنغلاديش عن طريق جلال الدين اليميني، وصل إلى الصين الطريقة الجهرية في الصين النقشبندية، ظهرت الطريقة النقشبندية كذلك زمن الشيخ عبد القادر قال له "نقش بند" أو نقش في القلب. وظهر في المغرب أيضاً أجيال التصوف، لأنه كان جيشاً فعلياً جيشاً من المقاتلين، انطلق أبو مدين شعيب بثلاثين ألف ذاك بالمساح في أيديهم والسيوف على عواتقهم وساهموا في تحرير القدس، وأعطى إليهم باب باب المغاربة، قُطعت يد أبي مدين شعيب حينها ورجع وتوفي في تلمسان حيث قبره.

إذاً يبيّن أنّ رجال التصوف لم يكونوا رجال خمول، كانوا رجال فقه وعبادة وعلم ودعوة لله، وكانوا رجال جهاد ومواقف. مواقف سيدي عبد القادر مع الخلفاء أو رسائل الشيخ أحمد الرفاعي للخلفاء العباسيين كانت واضحة وجليّة، مواقفهم مع المماليك كانت واضحة وجليّة.

التصوف في مرحلة أخرى ضمن هذه الهيكلية ينتقل من حالة التقشّف إلى الحالة الجمالية مع أبي الحسن الشاذلي. الشيخ أبو الحسن الشاذلي يُجَمَل التصوف ويزيّنه، ويلتقي بالعز ابن عبد السلام بعد خروجه من تونس بعد أن حاربه المفتي ابن البراء، وحينها تولد مرحلة جديدة في الطريقة الشاذلية. هذه المرحلة كما يذكر ابن عطاء الله السكندري يقول: دخلت خيمة الجند في معركة المنصورة، فوجدت مكين الدين الأسمر، ووجدت المرسي أبا العباس (وهو خليفة الشيخ الشاذلي)، ووجدت العز ابن عبد السلام (الذي سُمّي سلطان العلماء وكان فقيهاً عظيماً ولكن كان له مؤاخذات على الصوفية، ثم تصوّف وسلك على يد أبي الحسن الشاذلي)، قال: دخلت خيمة الجند وإذا برسالة القشيري عبد الكريم القشيري الرسالة القشيرية في التصوف تُتلى بينهم، فقال الشيخ العز بن عبد السلام للشيخ الشاذلي: فسّر لنا الرسالة القشيرية، قال الشيخ الشاذلي: فسرها أنت فأنت العالم، قال بل أريد أن أسمعها من عندك، ثم خرج الجندي هاتفاً: تعالوا واسمعوا كلاماً حديث عهد برب العالمين. قال حينها سيدي أبو الحسن الشاذلي "لويس التاسع (قائد الحرب الصليبية التاسعة) لي وأنا صائده"، وفعلاً غُلبت هذه الحملة الصليبية، كُسر كسراً كاملاً في المنصورة، وأسر لويس التاسع والتقى به الشاذلي وأثر فيه لدرجة أنه أسلم وعُزل بعد ذلك عندهم وسُمّي بالإمبراطور المجنون.

هذه الأدوار لرجال التصوف أدوار أعظم وأكبر من كل الترهات التي نسبت إليهم الخمول ونسبت إليهم الأوهام وأنهم غرقوا في وحدة الوجود. نعم ظهر بعض الذين يدّعون أنهم صوفية فتهرطقوا، تكلموا بكلام وتكلموا في أمور، ونفذ الوضع والتزييف في كتب التصوف البكر، نفذ ذلك في ادّعاء الكرامات، في خزعبلات كثيرة، حتى يتوه العاقل وهو يبحث: إذا أخذ به كله فقد تاه، وإذا رفضه كله فقد أغلق عليه باباً من الخير.

ولكن هؤلاء الرجال من تلك المعركة، من سيدي عبد القادر الجيلاني وهو يؤسّس لهذه الحالة من الصحة والتأثير في الناس حتى أسلم على يده مائة ألف إنسان وتاب على يده ألوف من الذين كانوا خارج الطريق واهتدى على يده الكثيرون، بل وأعاد الفقه الحنبلي الذي كاد يندثر. وكان حينها عالماً بالمذاهب الأربعة ولكنه ركز على الفقه الحنبلي، لأنّ الحنابلة كانوا شديدين على الصوفية، فالذين حكموا بالموت على العلاج كانوا من الفقه الحنبلي، فأراد أن يجعل رجال صوفية في الفقه الحنبلي ونجح في ذلك، ووصل أن كان من مريديه من هم في أعلى المراتب السياسية، ليضرب بذلك القول أنّ التصوف لا علاقة له بالسياسة وبالشأن العام، أبداً، كان له علاقة مباشرة بالشأن العام. كذلك كان لهم لباس جميل، كانوا أهل مظهر جميل، ليضربوا وهم الخرقّة وأنّ التصوف لا بدّ أن يكون خرقّة قدرة وأنّ الزهد هو ذلك. الزهد ليس ذلك المظهر المُدّعي، إنما الزهد حال قلبي. نعم الإمام علي كان يلبس المرقّع لأنه يريد أن يذلّ الدنيا وأن يبيّن درساً ولم يكن ذلك تكلفاً منه، ولكن الشيخ الشاذلي كان مرة يلبس ثوباً جميلاً ودخل عليه رجل يلبس المرقّع ويدّعي الحال والجذب، فقال له: أنت تدّعي أنك شيخ، تدّعي أنك معلّم وتلبس هذا الثوب الجميل؟! فقال الشيخ الشاذلي: "ثوبك يقول للناس أنا فقير إليكم، وثوبي يقول للناس أنا غني عنكم".

ينطلق التصوف في مراحل، من هذه المراحل في المواجهات، وفي التعليم، وفي الحفاظ على اللغة العربية، وبت الدين الإسلامي، وله تاريخ يمضي إلى الأندلس منه إلى أوروبا، ويمضي الشك من عند الغزالي إلى ديكرت، ويؤثر في الفلسفة، يؤثر في العلوم. كان هنالك علماء كبار من أهل التصوف في الفيزياء، في الطب، في الرياضيات، في الجغرافيا، في التاريخ، في الحديث، في الفقه، في الأدب، في الشعر، في الفن، في الثقافة، وتكون له مظاهر ومجالي مختلفة، التجربة عند الرومي (الرقصة المولوية) كانت تجربة فريدة في الشعر وفي الحال الروحاني، وظهرت أمور.. ولكن بقي الخط الصوفي الحقيقي الراسخ الثابت **متصلاً بالكتاب والسنة**، متصلاً بالعلم، متصلاً بالشريعة. **لا عداوة بين الحقيقة والطريقة، والعقيدة والشريعة، إنما تكامل وإنما أمر مبنيّ بناءً ريانياً.**

وعندما استمرت الهجمات الصليبية وقف رجال التصوف، مرةً بكرامات مبهرة، ومرةً أخرى بالمواقف القتالية والشجاعة. ومعروف أنّ سيدي الشيخ عبد القادر بن محمد استشهد في مواجهة الإسبان، وهو جدّ أولاد سيدي الشيخ والطريقة الشيخية، أنّ سيدي سليمان الفيتوري جدّنا وجدّ الشيخ عبد السلام الأسمر أيضاً قُتل على يد الإسبان وهو يواجههم. أنّ رجال الرباطات في العالم الإسلامي كانوا كلهم من أهل التصوف، رباط المنستير، رباط سوسة، الرباطات كلها.. رباط قصر الطوب في مدينة سوسة من بين رجاله أبو جعفر القمودي وأبو جعفر الأربصي ومحمد ابن سهلون الأندلسي الذي يُسمّيه الناس هنا سيدي سهلول، وكذلك محمد ابن عمر وغيرهم من أهل العلم ومن أهل الفقه. وهؤلاء كانوا يدافعون، سيدي علي النوري أسس أسطولاً عسكرياً ليدافع عن الشواطئ التونسية، وتركه للباي لأنّ الباي خاف منه، وبعد ذلك استقرّ في تدريس القرآن. ومن تلاميذه أيضاً علي بن خليفة المساكني، وتلميذ المساكني حينها بعد ذلك أبو القاسم المحجوب، وعمر المحجوب ابنه الذي ردّ على الضالّ الوهابي كان مفتي تونس في تلك الفترة، سيدي إبراهيم الرياحي العلامة الكبير أيضاً كان من أهل التصوف، ابن عزّفة وغيرهم من أعلام وأقطاب هذه الأمة... المعروفون مثلاً في مسألة مواجهة الاستعمار، عندما جاء ثوب صليبي جديد عندما جاء الطليان ينشدون "أنا ذاهب لقتل الأمة الملعونة ونزع الإسلام"، ظهر رجال السنوسية: محمد المهدي السنوسي، الشيخ أحمد الشريف، الشيخ عمر المختار، وواجهوا وجابهوا وحاربوا أيضاً. ثورة المجاذيب في الصومال ثورة عظيمة جداً قادها رجال التصوف، دور الشيخ أحمد التيجاني في الدعوة وفي إيصال الإسلام إلى أدغال إفريقيا أيضاً دور كبير، دور الأمير عبد القادر الجزائري باني الدولة الجزائرية الحديثة وكان من رجال الطريقة القادرية، دور في المقاومة الفلسطينية عز الدين القسام وكان تيجاني الطريقة، وغيرهم كثير من نماذج، والشيخ بو عمامة أيضاً.. هذا كله يثبت أنّ رجال التصوف الحقّ رجال جهاد وجلاد ووقفات ومواقف وعلوم ومعارف ونفحات.

الأحوال الروحانية تستوجب العلم بالله

موضوع الكشف والتجلي والمعارف اللدنية ولقاء رجال التصوف بالخضر، والفهوانيات (فاه يفوه)، تكلم الفهوانية قولهم "حدّثني قلبي عن ربي"، كقول الثّفري "إذا اتسعت الرؤية ضاقت العبارة" وغيرها من كلماته عندما كان الحق يكلمه، أو قول الشيخ عبد القادر كأنّ الله قال له في قلبه أو في منامه: "يا غوث الأعظم، قل لأحبّابك وأصحابك إذا أردوا صحبتي فعليهم بالفقر ثم فقر الفقير ثم الفقر عن الفقر، فإن تمّ لهم ذلك فما ثمة إلا أنا"، أو حكم ابن عطاء الله السكندري الحكم الجميلة، أو ما ندوّنه اليوم من الحكم والمواعظ ومن الجماليات والرفائق والأشعار، وقصائد أبو مدين شعيب العظيمة العجيبة

وتركت قلباً في هواك يُعدّب

لو كان لي قلبان عشيت بواحد

أو ابن الفارض الذي كان له أيضاً رقائق.

هذا الحال من الخمرة والتجليّ والسكر وهذه الأحوال، هي أحوال روحانية، ولكنها تستوجب بالضرورة أن يكون الذي يخوضها عارفاً بالله عالماً بالله، وأن يكون عارفاً بالحبیب المصطفى موالياً لآل بيته، عارفاً بالعلم والفقه والقرآن، حافظاً لكتاب الله، عارفاً باللغة العربية. أما أن يكون لدى جاهل لا يعرف شيئاً، وأقول جاهل هنا لا أقول الذين يظن الناس أنهم جاهلون من أمثال علي الخواص شيخ الشعرائي أو من أمثال عبد العزيز الدباغ صاحب <الإبريز>>، هؤلاء لم يقرأوا عند معلّم ولكن علّمهم الله وآتاهم الله وعرفوا الله بالله. هؤلاء جميعاً، حتى قصائد الشيخ عبد السلام الأسمر "يا قمره الليل اضوي عليّ" و "أنا قلبي مشتاق لزيارة خير الأنام"، وأحوال الشيخ أحمد بن عروس، كلها مرتبطة بفقهاء وعلماء. نعم بسّطوا اللفظ كما أسّس معين الدين الجشتي القوالي حتى يكون بالموسيقى، بسّطوا اللفظ، اقتربوا إلى الناس بلغات تفهمها الناس، استخدموا الفن، استخدموا التربية عموماً، والشيخ يكون مربياً، استخدموا علوم ومعارف، ولكن كل هؤلاء كانوا أهل معرفة بالله.

أما الذين ادّعوا الأمر والذين ركبوا عليه فهم تقمّموا كما تقمّم مسيلمة الكذاب دور النبي محمد وأتى قائلًا للناس: نزل عليّ جبريل بسورة فيها "يا ضفدعة ذات ضفدعين، نُقي ما تنقّين، نصفك في الماء ونصفك في الطين"، فقال أحد أتباعه: "والله إني لأعلم أنك كذاب وأنّ محمداً لصادق، ولكنّ كذاب ربيعة خير لي من صادق مُضر". هؤلاء أقوام إلى اليوم، وخاصة اليوم، يطبّقون هذه الكلمة. عندما يقارنون بين كلام العارفين بالله على وجه الحقيقة، بين كلام ذرية النبي الوارثين على وجه الحقيقة، وعلومهم وفهومهم، ورقّيتهم المعرفي وتميّزهم المجتمعي، وإتقانهم لعلوم المعقول والمنقول، وقدراتهم القتالية والثقافية والأدبية، وبين هؤلاء الدجالين الذين لا علم لهم ولا حال لهم ولا لغة لهم ولا ملامح نورانية لهم، ولكن "كذاب ربيعة خير لي من صادق مُضر"، التعصّب الأعمى. لذلك يُتبع الجهلة، وتُستخدم وسائل عديدة (كاستخدام موضوع المهدي المنتظر اليوم)، استخدامات تجد من يتكلم، يقول الحبيب المصطفى "رُبّ قارئ للقرآن، والقرآن يلعنه"، رُبّ منادٍ يا حسين والحسين يلعنه، رب منادٍ يا شيخ عبد القادر والشيخ عبد القادر يلعنه، وهكذا، رب قائل عن التصوف والتصوف يلعنه، رب متكلم عن الصالحين والصالحين يلعونهم. يستخدمون ذلك للحيلة، يستخدمون ذلك للكذب، يستخدمون ذلك للجهل، ولكنّ الجهل مفضوح مكشوف مهما عُفّ.

كيف يُغَلّف التصوف والروحانيات؟ تُغَلّف بأنّ المنطوق عنه مجهول، أي عوض أن يكلمك عن علوم التصوف كما حدّثتك الآن يحدّثك عن أصوله عن علمه عن رجاله عن تاريخه، يقول لك: "لا، التصوف لا يحتاج إلى علم ولا يحتاج إلى قراءة كتب، علم صدور". طيب، أين علم الصدور عندك؟ "لا، هذا علم لا يعرفه غيرنا، ولو نطق به شيخنا لأحرق الكون، وهو يعرف أمور لا يمكن أن يقولها". أكان أعلم من رسول الله الذي تكلم؟ أكان أعلم من الله الذي كلّمنا في القرآن؟ أكان أعلم من سيدنا علي الذي قال "تكلم كي نعرفك" و "المرء مخبوء تحت لسانه"، وقال الحبيب المصطفى "المرء بأصغريه، قلبه ولسانه". هؤلاء كذابون دجالون. تقرأ للحسن ابن علي وهو ينصح ويعظ، أو تقرأ للحسين وهو ينصح ويعظ، وتقرأ للأئمة وهم يدعون، وتقرأ للشيخ عبد القادر، هؤلاء أسوة، هؤلاء القادة والسادة. لم يكونوا يمضون في الروحانيات الوهمية أو يستخدمون السحر لادّعاء أنها كرامات، لم يكونوا يُباهون بالكرامات بل تأتيهم من الله وكانوا يغضّون أبصارهم عنها.

وليس صحيحاً أنّ الاستقامة أعظم من ألف كرامة، هذه كذبة أيضاً، الكرامة من الله والاستقامة منك، وما هو من الله أعظم مما يكون منك، قد تظن أنك مستقيم كما ظن إبليس أنه مستقيم، ولكنّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَلِكُ عَلَىٰ مَا أَرَادَ. ولكن كما ذكرت في كتاب <<الوصايا>>: "ابن آدم، إنّ تشريفك في تكليفك، فاخرج من فرج التشریف إلى همّ التكليف". ثمة همة ومهمة، فالكرامات مؤيدات ربانية، ليست صحيحة الاستقامة خير من ألف كرامة، هذه قالوها الناس الذين ليس لهم كرامة، إنما الكرامة من الله. ولكن للسحرة أن يدعوا ويستحدثوا أمور تشابه الكرامات، يتلاعبون على الناس، كالأنبياء الدجالين الذين قدّموا لنا من عمق إفريقيا ويعيئون فساداً في تونس اليوم يصرعون الناس، كأدعياء المسيحية المتطرفون الإنجيليون الذين يستخدمون السحر الأسود والاكزورسيزم وغير ذلك من الأمور والاستحضار، أو دجاجلة الهندوس ودجاجلة البوذيين ودجاجلة الرقية الشرعية من أتباع الوهابية، ودجاجلة في التصوف ودجاجلة في التشييع.. هؤلاء الدجالون في كل مكان يدعون ويؤثرون بالتنويم المغناطيسي باستخدام الجن باستخدام الإيحاء بادّعاء أمور، وبخلوات وهمية.. عندما تأتي بشاب تقول له: اقرأ يس ليل ونهار واذكر كذا كذا، تحرق له عقله. الذكر مراوحة، سيدنا رسول الله يقول لأصحابه "ساعة فساعة"، فكيف تأتي بشخص تدخله هكذا؟ ومن أذن لك أن تدخله الخلوة أصلاً؟ وكيف تعرف عن أسرار هذه الخلوة؟

الخلوة الحقيقية

الخلوة بعد أن تتجهّز بالعلم، بعد أن تحفظ القرآن، بعد أن تتدرّب جيداً، بعد أن يكون جسمك قادراً على تحمّل المشاهدات والمكاشفات والتجلّيات، وستخرج من الخلوة إلى الجلوة لتنفع الناس. أخبروني، هؤلاء الدجالين إذا خرج من الخلوة ماذا أتى؟! يقول لك: والله رأيت النور، وخرجت وجلست على العرش، ونزلت ورأيت الشيخ يلبس لباساً أبيض ويركب على حصان مجتّح، أي علم أوتيته؟! فسّر لنا الفاتحة تفسيرات لا نعرفها، اثنتا بمعنى أقطار السماوات والأرض، اثنتا باسم النملة التي كلمت سليمان وبأبيّ لسان كلمته وماذا كان اسم الهدهد الذي كلّم سيدنا سليمان، وما هو الجسد الذي ألقى على سليمان وظن

أَنَّ الله فتنه، وما قصة النعاج عند سيدنا داوود ما التفسير الحقيقي العرفاني، حدّثنا !! حدّثنا عن سيدنا علي، حدّثنا عن رسول الله.

لا يحدثك إلا عن شيخه وعن نفسه، ويقول لك رأيت الأنوار، ما هو النور؟! هل النور يُعَيْن عيناً بالبصيرة؟ ما البصيرة؟ ما القلب؟ ما الفرق بين الكشف والتجلي والمشاهدة؟ ما الفرق بين الكشف والفيض؟ ما أنواع الفيض؟ وما أنواع التجليات؟ كيف يكون التجلي الخصري والتجلي اللدني؟ كيف تكون المعارف المحمدية والأحمدية؟ ما الفرق بين سند أحمدى وسند محمدي؟ ما علاقة اسمه الأحد باسم سيدنا أحمد ثم محمد؟ لماذا قال عيسى ﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدٌ﴾؟ لماذا زهد الذين وجدوا يوسف على جماله فيه وظنّوه مخبولاً؟ ولماذا اشتراه الرجل وقال ﴿أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا﴾؟ ما الذي جرى مع الخضر وأين أقام الجدار في أي مكان أقام الجدار؟ أين كسر السفينة؟ أين قتل الغلام لماذا قتله لشيء قديم أم لشيء جديد؟ من هم هؤلاء الذين قال الله سُبْحَانَ وَتَعَالَى لِمَا لَكَ مِنْ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَائِهِمْ؟ ما كانت تلك الأسماء ما حقيقتها؟ كيف كوّرت الشمس؟ ما معنى دحى الأرض؟ هل الدحي ظاهري أم باطني أم هي... إلى غير ذلك من العلوم الكونية، والمعارف الذرية، والمعارف التاريخية. أما تدّعي أنه أتاك النور هكذا وبقيت حماراً، فيمكن للحمير أن تدّعي أنها جاءها النور وصارت نسوراً، لو أخذناها إلى ربوة وألقينا بها ستموت.

أما الخلوة الحقيقية فهي كالشرنقة التي تدخلها الدودة لتخرج فراشة، هي حال من الانصهار، هو كالفرن الذي تودع فيه المعادن لتكون سيفاً، ستكون مطرقة وسندان، وسيكون ألم وسهر، وسيكون بكاء. ما موقفك أيها الشيخ صاحب التجليات أو أيها المرید الأحمق الذي يدّعي أنه صاحب تجليات وأنّ شيخه الأحمق كذلك صاحب تجليات من كربلاء؟ ما موقفك من غدير خم؟ ما موقفك من السقيفة؟ ما موقفك من التاريخ؟ ما سندك في الحديث؟ كيف تبيّن لنا الحديث الموضوع والحديث الحقيقي بالكشف والفيض والتجلي أو بالعلم والتحقيق والجرح والتعديل؟ كيف تمزج بينهما؟

هذا هو الحق الذي أقوله لكم، الدجالون يعملون على **المُبهمات**، كما يعمل الفكر الوهابي التكفيري على **التنميّطات**: أردت أن تكون مسلم اللحية طويلة كذا، الثوب مقصر كذا، طيب هذا سهل جداً، اللحية يمكن أن تُرْكَب وتتمو في شهرين وتُقتلع في ثواني، ولكن أين القلب، أين تركية القلب، أين اليقين، أين المحبة، أين الرأفة بالناس، أين الرفق بالجار، أين النظر إلى العالم بمنظر جمالي، أين **"قم زين الدنيا بنور محمد"**، أين علاقتك بأم النبي وأبيه وأنت تظن أنهما في جهنم؟! كذا نفس الشيء: أين أنت أيها المدّعي التصوف من الشيخ عبد القادر وعلمه وفقهه وكرامته والسرّ الذي فيه؟ أيها الذي يتحرك ويدور ويقول أنا على مولوية جلال الدين الرومي، أين أنت من فقهاء أين أنت من شعره أين أنت من أدبه؟ أين أنتم من رجال التصوف ووقفهم؟ أين أنتم من مواقفهم في القضايا كلها؟ أين أنت اليوم من فلسطين، مما يجري في الشام، مما يجري في اليمن، مما يجري في العراق، أين مواقفك أين ظهورك؟! إن كنت صوفياً حقيقياً تكلم.

أنا كنت في قصر قرطاج في وقت كانت الوهابية تسيطر ودخلت مع قسم من الفكر الإخواني وتغلغلت في الدولة، وقلت كلمة الحق ولم أخش في الله لومة لائم. وتكلمنا في الإعلام، وحاولوا قتلنا مراراً، ولم ولن

نخشى إلا الله، هذا هو الطريق الحقيقي. ونقول كلمة الحق في آل البيت ولا نخشى إلا الله، ونقول كلمة الحق في كل موضوع ولا نصمت إلا على أمور نرى الحكمة في الصمت عنها، ونستشرف في أمور نرى أنّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى سَيَفْتَحُ فِيهَا، ولكن نصمت عن كثير، وكل ما تكلمناه في هذه الدروس ما هي إلا قطرة من بحار كثيرة. فهذا الفرق بين الأمرين، ولا أقدم نفسي في هذا الباب إنما فرض علي الموقف أن أقول هذا. قوم لا علم لهم ولا فهم ولا بركة لهم ولا أصل لهم ولا نسب لهم ولا نسبة لهم، إنما أذعياء، تجار يريدون المال، يريدون أمور أخرى أبعد ما تكون عن طريق التصوف.

التصوف أيها المأ الكريم علم، وليس الأمر أنه والله هذا ورث السرّ، ما هو السرّ حجر الإكسير؟ ما معنى ورث السرّ؟ ما هو السرّ، كيف لنا السرّ، أعطنا تفسيراً لما تقوله. أو هذا عنده الاسم الأعظم، ما هو الاسم الأعظم؟ كيف نُصَرِّفُ فيه؟ ما تأثيرك على الناس؟ هل الاسم الأعظم هكذا ينقله هذا إلى ذاك هكذا؟

الحضرة علم

ثم نصل إلى موضوع الحضرة، **الحضرة علم**، وأنا كتبت في <<البرهان>> علم الحضرة، يعني حضور ﴿شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾، هذا الحضور ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ﴾. الحضرة: حضور الله ورسوله والملائكة والأنوار والأسرار والصالحين مع هذا الإنسان وشهوده لهم، بمعنى ﴿لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾، إما أن يكشف للبصر والبصيرة، إما أن يكون هذا التجلي والتدلي قاب قوسين أو أدنى. وهذه المشاهد كلها عاشها الحبيب المصطفى، إما أنّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يناديه إليه في الإسراء والمعراج، إما أنّ سيدنا جبريل يأتيه عياناً وعاشها الصحابة رأوا جبريل عياناً لكن على غير شكله الحقيقي، في شكل أعراي أو في شكل دحية الكلبي، مراراً. وهذا الأمر يورث قدرات وعلوم ومعارف، أفاض الله على سيدنا علي من علم سيدنا محمد، وأفاض عليه من علم سيدنا الخضر، فلقنه أدعية من بينها الدعاء الذي لقنه سيدنا علي لكُميل ابن زياد، وعلم الله رسوله علوماً وفهوماً، ولقي الخضر مراراً، ولكن هذا لا يكون معلناً. وهذه العلوم الدنية والخضرية والمحمدية، رسول الله سيد الخلق جميعاً، ولكن لكل دور: لسيدنا جبريل دور، لسيدنا إسماعيل دور، لسيدنا الخضر الذي أصرّ أنه ليس بشياً دور كذلك، علم سيدنا موسى ما علمه، علم الذين قبله والذين بعده، وما زال مستمراً في المسألة حتى يكون في دولة المهدي عَلَيْهِ السَّلَامُ.

المهم أنّ هذه المسائل وهذه المعارف أورثت أمور مادية تراها العين، أورثت عند سيدنا علي هذه الأنوار وهذه الحضرات، أنه أمسك بباب خبير الذي لا يرفعه أربعون شخصاً وحمله واستعمله درعاً وقاتل وفتح خبير، وغلب الحارث وغلب مرحب، هذان المقاتلان العملاقان من بني إسرائيل. تظاهر ذلك عند أويس القرني الذي كان بعيداً بعيداً كبيراً جسدياً عن رسول الله، والنبى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يقول "إني أرى نور أخي أويس"، وقال لأصحابه "إذا أتاكم أويس فاسألوه الدعاء"، هؤلاء أصحابه، وقال أويس عندما جاء "والله ما غزا رسول الله غزوة ولا شهد مشهداً إلا وكنت معه". هذه المعية هذا السر نجده في جذب عرش بلقيس، نجده في طعام العزيز الذي لم يتسنه، ثمة أسرار وألغاز لا تكشفها الحضرة الإلهية. الحضرة

الإلهية رمز للذات الإلهية العظيمة للصفات الإلهية العظيمة لمشاهد تجليات الأنوار، لمشاهد تجليات ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، لمشاهد تجليات الجبروت والرحموت والسرّ والنور والمدد والإمداد، لمشهد سيدنا موسى وهو يرى النار التي ليست ناراً والله يكلمه، لمشهد تجلي الله على الجبل فجعله دكاً، لمشهد سيدنا يوسف في سجنه يُلقى علوم فيقول ﴿لَا يَأْتِيَكُمَا طَعَامٌ تُزْرَقَانِهِ إِلَّا نَبَأُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا﴾، لمشهد سيدنا عيسى يبلغ الأمر أن ينفخ في الطين فتكون طيراً وأن ينبئهم بما يخزنون في بيوتهم وأن يبرئ الأبرص والأكمه والأعمى وأن يحيي الموتى. هذا كله من أنوار الحضرة الإلهية ﴿وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدْسِ﴾، يتمظهر في حسان ابن ثابت عندما يقول عنه رسول الله "إِنَّ اللَّهَ لِيُؤَيِّدَنَّهُ بِرُوحِ الْقُدْسِ مَا نَافِعٌ عَنِ نَبِيِّهِ"، في أنوار وأسرار الشيخ عبد القادر وكراماته العظيمة والتي بقيت موصولة بالواقع ضاربة جذورها.

فالحضرة إذاً فيها سرّ، فيها مجاهدات ومكابدات ومعاناة ودموع كثيرة، وتكون الصلاة غير الصلاة، والحال غير الحال، وينتقل هذا المخلوق من مقام إلى مقام، ثم يرجع ليبث العلم ويصلح بين الناس ويكون أثره طيباً، ويُعرف ذلك ويفوح مسكه حتى لو أبى ذلك، حتى لو رفض وكنتم يُظهره الله.

أما أن تكون الحضرة مجرد أوهام وأن يأتي شاب غرّ ليس له سابقة في خير ولا سابقة في دين ولا في معرفة: أدخل الحضرة خمسين يوماً يطلع عارف بالله، نفس الشيء الوهابية يصنعون شيخ في أسبوعين.. ويقول رأيت النور، كيف رأيت النور يا هذا؟ لم تر شيئاً. أو أن يكون اسم الجلالة "الله" جل في علاه في الحضرات التي كانت تقام عند الصالحين يقفون، ورد أن الحبيب عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ دخل على أصحابه، قال: أفيكم غريب؟ قالوا لا، قال: أطفئوا القناديل وارفعوا أيديكم وقولوا الله الله.. ساعة، ثم قال "أنزلوا أيديكم أبشروا لقد غُفر لكم". هذا الحديث يبيّن حالاً، الصالحون كانوا يذكرون الله ﴿وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ﴾، والله أمرنا بأن نذكره ذكراً كثيراً وأن نسبحه بكرة وأصيلاً.

التسبيح والذكر يحتاج إلى الاختلاء في مكان، الانزواء، هنا معنى الزاوية. يجلس هذا الإنسان في فرد أو في مجموعة ويذكر الله، يذكر الله صامتاً، يذكر الله باللسان، يذكر الله جهره مع المجموعة كما نرتل سورة يس ونقرأ صلاة الفاتح، اللهم صلّ على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق والخاتم لما سبق للشيخ أحمد التيجاني، وهكذا كانت فيها مؤانسة وكان لها أثر عظيم جداً. وعندما يكون هذا الذكر، عندما يكون هذا الحال، بهذا الحضور يستشعر الإنسان قرب ربه إليه، وتسمو روحه وتهدّب نفسه، هذا هو السرّ في الموضوع، ويخرج على غير الحال الذي دخل به، فيذكر اسم "الله".

حقيقة الاهتزاز

وأحياناً يكون هنالك وجد،

إذا اهتزت الأرواح شوقاً إلى اللقاء نعم ترقص الأشباح يا جاهل المعنى

هكذا قال ابن الفارض، أولوها تأويلات خاطئة. المعنى الحقيقي أنّ هذه الروح عندما تهتزّ يتمظهر ذلك، مثل اهتزاز النخلة مثل اهتزاز الشجرة، وهذا الاهتزاز فيه جمالية وفيه إباء وفيه شموخ. وكانت الجيوش الانكشارية عند العثمانيين كانت أيضاً قبل الحروب تقوم بهذه الأذكار وهذه المسائل ويضربون الدروع بالسيوف لتحفيز الهمم. فعندما يدخل هؤلاء في الذكر ويدخلون في أحوال الحضرة يبدأون في ذكر الله، كما ترون الشيخ عبد الباسط يتمايل عندما يقرأ القرآن، الروح عندما تنتشي تهتزّ ﴿تَهْتَرُ كَأَنَّهَا جَانٌّ﴾، عندما صارت الحياة في العضا اهتزّت، عندما تسري الأنوار في حالة الروح تهتزّ. ولكن هذا الاهتزاز اهتزاز عاقل لا اهتزاز مجنون، ثمة فرق بين تهتزّ وبين الذي ﴿يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ﴾، الذي يتخبطه الشيطان من المسّ تكون حركات عشوائية معها صياح، معها حالات الخبل، معها حال فقدان العقل، انظروا إلى بعض مشاهد الفيديو بعض أدعياء التصوف مع أدعياء المشيخة كيف يأتي يهتزّ أمام شيخه ثم يُصرع ويصرخ، وتجد الآخر قد كحل عينيه ومنظره مربع مقرف، وهذا يكون حجة للوهابية ليقولوا: انظروا هذا التصوف شرك، يعطيهم مصداقية ومبرّر، يكون حجة للذين يسخرون من أهل التصوف ليسخروا منهم.

فهذه العمارة وهذه الحضرات أولاً هي للخصوص وليست للعامة، ليست لعموم الناس، لا بدّ للخاصة الذين درجوا في الفقه وفي العلم وفي الدين حتى يشربوا هذا الشراب "اشرب شراب أهل الصفا ترى العجايب *** مع رجال المصطفى والخمر طايب". فهذا الشراب الذي وصفه الشيخ أحمد العلاوي والشيخ محمد المداني، ووصفه ابن الفارض، ووصفته رابعة العداوية، ووصفه أبو مدين شعيب، أنكم عن الجانب الشعري الذوقي، والذي تكلم عنه سيدي عبد القادر الجيلاني:

بحاني وادخلوا أنتم رجالي
لدكّت واختفت بين الرمال

وقلت لسائر الأقطاب لّموا
ولو ألقيت سرّي في جبال

هذا كلام قطب غوث.

أما أن يكون الأمر لأدعياء الدين وأدعياء العلم ويكون الأمر مصيدة، بمعنى أنّ البعض مفلس علمياً، مفلس روحياً، ليس له إلا أن يأتي بالناس فيخمرهم، يصبح فلکور. والذي زاد الطين بلّة أنّ الأمر يكون فيه فقدان للعقل ويكون فيه مسّ ومرض ويظن الذي عاشه أنه بلغ النشوة الكبرى، بلغ القرب من الله، بلغ مقامات وكشفت له حجب. لو سألته: ما الذي كُشف لك؟ لا تجد شيئاً، إنما توهم الأمر. ويضحك عليهم الشيطان ويسخر منهم والجن، وهكذا أضحوكة في أفواه الناس. اهتزاز وحركات فيها إحياءات فاسدة فاسقة، وفي زمن اليوم يمكن تصوير ذلك، يبتّ هذا المشهد ويقال هؤلاء الصوفية، هذا ليس تصوفاً!!

حقيقة الاسم الصدري

أما اسم الله، اسم الجلالة "الله"، فأهل الله عندما كانوا يذكرون كانوا يقولون "الله" بنغمة معيّنة، بترديدها وتكرارها، كما تفعل الملائكة. وقد يقومون بدائرة يمسون أيدي بعضهم ويطفئون الأضواء ويقولون "الله الله" وينشد أحدهم إنشاداً جميلاً. ولكن لا يغادرون كلمة "الله" ولا يسكرون فيغيبون، تغيب قلوبهم ولا تغيب عقولهم، عقولهم ثابتة، أما القلوب فتهميم في حب المحبوب، تتجلى لهم أنوار الله. أما أن يتحوّل اسم الله إلى "آه" أو "أه" أو "إه" ويُسمّى الاسم الصدري، حتى لو أنّ الشيخ محمد المداني ذكره في <<برهان الذاكرين>> والشيخ أحمد مصطفى العلاوي ذكره، وحاولوا أن يؤوّلوه إلى أنّ إبراهيم أوّاه وأنّ ال "آه" اسم من أسماء الله علّمه حديث الأئنين..

هذا، نحن عندما نتكلم عن التصوف كعلم، هم رجال ونحن رجال، لا نَقَلّ عنهم لا قيمة ولا علماً ولا نسباً، نحن جدنا رسول الله وجدنا علي وأما فاطمة وجدنا الحسن وجدنا الحسين، وشيخنا عبد القادر الجيلاني وشيخنا الرفاعي وأشياخنا وأساتذتنا ومعلّمونا والخضر وهذه المسائل كلها مُبرهن عليها فيما قدّمنا من علم، لسنا ندعي في الأمر شيئاً. إنما هذه المسألة: هم رجال ونحن رجال، ننقد ما دمنا عندنا الكتاب والسنة نحتكم إليه، ما دمنا لا نتكلم عن أنبياء ولا نتكلم عن أئمة آل البيت المعصومين ولا نتكلم عن الأقطاب الكُمل الكاملين، إنما نتكلم عن أمور قد تكون دُست وانطلت على هؤلاء السادة، على كرامتهم وعلى حبنا لهم وعلى توقيرنا لهم وعلى عظيم شأنهم عند الله وعلى ما خدموا به الأمة وما خدموا به الدين، الشيخ محمد المدني مجدّد التصوف، والشيخ أحمد مصطفى العلاوي هو الذي أسّس أول مطبعة وواجه الاستعمار وخطب خطبة عظيمة في الجامع الكبير في باريس حيث خطبت أيضاً بحمد الله، قبل الجمعة ليست في الجمعة، وكان درساً مهماً عن الرحمة المحمدية، وله مواقف ومشاهد. والشيخ محمد المداني طاف البلاد التونسية وأسّس للتصوف.

لكن هذه الثغرات لها ما لها -مثل الشيخ محمد بن يّس الذي مضى أيضاً ونشر الشاذلية في الشام وسواهم، رجال الله هؤلاء لهم انتشارهم ولهم علمهم ولهم ذوقهم- ولكن بعض النقاط يجب أن تُنصّص وأن تُنقد نقداً بئاً. والأمر على باين:

1. إما أنّ هذه النغمة هذا الاسم هذا الصوت ال "آه"، إما أن تكون موسيقى (موسقة)، خمّر بالخمار، عندما تسمعون تجدون هذا الصوت الذي يأتي ويتردد، وهذا شبيهه بالمانترا في اليوغا على سبيل المثال، هو ترديد صوتي يؤدي إلى حال من الانتشاء النفسي، لا أقول الروحي، الروح لها مقامات أخرى، هذا يمكن أن يُبرّر.

2. أما أن يقال هذا اسم الله الصدري، لا ورد في القرآن ولا عن سيدنا رسول الله محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، ولا عن سيدنا الإمام علي وسيدنا الحسن وسيدنا الحسين، والمعلوم أنّ الإمام الحسن قال "علّم الله رسوله الحلال والحرام والتنزيل والتأويل، فعلمه رسول الله لعليّ

كله، وعلمه أمير المؤمنين كله"، مما يعني أنّ الحسين تعلّمه كله أيضاً، ولا الوارثون الربانيون المحمديون الخضريون اللدنيون الذين امتزجوا بالأنوار والأسرار والسنة والحديث والفقه من أمثال سيدي عبد القادر الجيلاني القطب العظيم وسيدي أحمد الرفاعي وسيدي أحمد البدوي وسيدي إبراهيم الدسوقي وسيدي أبو الحسن الشاذلي، لم يكن أحد منهم ولم يُقل أحد منهم، ولا وَرَدَ في الحكم العطائية ولا في الرسالة القشيرية ولا في كتب التأسيس الصوفي ولا في كلام الإمام مالك ولا الإمام أبي حنيفة ولا كلام جعفر الصادق ولا أحد من هؤلاء ولا الحسن البصري ولا معروف الكرخي ولا الحارث المحاسبي ولا الجُنيد أنّ "أه" اسم من أسماء الله، إطلاقاً. لا وجود لهذا الاسم الصدري أبداً، وحديث الأئمة حديث موضوع، وإبراهيم أوّاه من التأوّه من كثرة رحمته ومن كثرة أئمنه، كما سيدنا علي يبكي في الليل ويقول "يا صفراء يا بيضاء غري غيري"، كان الحبيب المصطفى يبكي حتى يكون دمعه أنهاراً، هكذا أحوالهم، كان السجاد إذا سجد تحطّ الطير عليه يحطّ عليه الحمام من كثرة خشوعه، هذا أوّاه. أوّاه بمعنى أنه يتأوّه من فرط الحب، أنّ له حنان كبير وله رحمة بالناس هذا الأوّاه. أما أنّ أوّاه يعني اسم الله الصدري هذا غير صحيح، وأما أنّ حديث الأئمة الـ "أه" من أسماء الله هذا غير صحيح، الذي يئنّ هو لا يقول أه تعني الله، إنما الله هو الله، اسم الجلالة لا يُبدّل ولا يُعدّل، الله هو الله. إذا أردت الذكر قل الله، إذا أردت الفكر قل الله، إذا أردت السير إلى الله قل يا الله، ثم ادخل برسول الله وآل بيت رسول الله وبالصالحين أحباب الله وأهل الله. أما تدخل هكذا بنفسك تظن أنك تعرف، أنت لا تعرف.

ويؤثر ذلك - في هذا الظن أنّ هذا اسم الله - أن يكون اللبس، والأمر بين أيديكم شاهدوا هذه المقاطع الفيديو: هؤلاء ملبوسون أم لا؟ انظروا في آلاف الفيديوهات، هذا يُصرع وهذا يُغمى عليه، هذا يقوم بحركات لها مدلولات جنسية ومدلولات قذرة، هذا هو جمال التصوف؟ هل هذا هو علم التصوف؟ هل هكذا كان يقوم سيدي عبد القادر الجيلاني؟ عندما تسمعون هذه الأصوات مجتمعة تشبه العواء لا تشبه شيئاً آخر!! هل هذا هو طريق أهل الله؟ هذا ولو قام به كل أهل الأرض فهو خاطئ.

ونحن عندما ننوب هذه النوبة عندما نتكلم بهذا العلم، لا نخشى في الله لومة لائم، لم نخش أحداً. والذين يحتفلون اليوم في المولد وهم ناعمون في الزوايا عليهم أن يشكروا هذا العبد الفقير إلى ربه، أتكم عن البلاد التونسية، إذ لولا الجهد الذي قمت به والذي قام به الشيخ فريد الباجي والشيخ بدري المداني لما استطاع أحد منهم أن يحتفل. وقفنا عندما فرّ الجميع وخافوا ولم يكن أحد يجرؤ أن يذهب إلى زاوية، كنا نقف ومنعنا حرق الزوايا، ووقفنا وتكلمنا في الداخلية والدفاع والإعلام وفي قصر قرطاج (قصر الرئاسة) وفي غيره وناظرنا واشتغلنا ومقالات. الشيخ فريد الباجي تعرّض لمحاولات قتل، الشيخ بدري المداني له آلاف المقالات في هذا الباب، والشيخ محمد الكامل سعادة والشيخ محمد جبير رحمهما الله، هؤلاء، الشيخ محمد علي كيوي، علماء الزيتونة الثابتون الراسخون في العلم.

أما أن يكون الأمر مهما طالته وراثته مهما طال الكلام فيه، إلا بحال واحد أن يكون مصيدة: ألا تجد هذه المسائل من الإفلاس ومن عدم وجود علم إلا هذا الحال، أن يظن الناس أنّ هذه الخمرة وهذا هو سرّ الله بهذا اليسر. نفس الفخ الوهابي، الوهابي ماذا؟ إذا أردت أن تكون ولياً صالحاً، إذا أردت أن تكون صحابياً: أطل اللحية شمّر الثوب إلبس النقاب وأنت الآن صرت صحابي، واقتل الناس وأنت داخل

الجنة، نفس التوهّمات. نفس الذي تقوم به مدرسة الإلحاد: إذا أردت أن تكون عالماً أنكرو وجود الله، أردت أن تكون حراً كن شاذاً، هذه التنميطات الألاعيب التنميطية نفسها، ولكن تُطبّق بطرائق مختلفة. هذه الصور والمشاهد مخزية ومخجلة، ومن يعاد فيها جاهل بلا ريب. وأما أقوال أشياخنا وأحبابنا الذين نحبهم ونجلّهم فقد أخطأوا وهم ليسوا معصومين ولا أنبياء، ليسوا أنبياء ولا معصومين، ذلك مبلغهم من العلم، لم يفهموا الدسيسة التي وقعت ومضت ومضى الزمان، ولكن آن اليوم أن نكشف ذلك.

لماذا الإصرار على النشر؟

ويضاف إليه أن هذه الحضرة لا تكون إلا لخاصة الخاصة، لا تكون عامة أبداً. إذا أردنا أن نعّمها، طيب فليكن ذكراً جميلاً وتمايلاً جميلاً، تمايلاً له مهابة حتى نحافظ على مهابة الطريق، تمايلاً يبيّن أنّ هؤلاء القوم أهل علم وفهم، لا مخابيل ومجانين ومزاطيل، ويصرخون ويعوون وتجد أحياناً يصدر منهم صوت كأصوات الحيوانات، ما هذا؟ وأنا أتكلّم عن أمور رأيتها بعيني، هذا مريض بالسُّكري فَعَل فِعَلته على نفسه أمام الناس، وهذا أغمي عليه، وهذا سمين جداً ويقفز ويقفز حتى يكاد يموت، وذاك وذاك، ما هذا؟! هذا ليس التصوف الحقيقي. ولو جالست هذا الذي يدّعي المشيخة وهو يقفز لما وجدت أيّ علم،

وكم راكب بغلاً له عقل بغله **تأمل ترى بغلاً يركبه البغل**

وهذا الكلام أقوله شفقة ومحبة وليس فيه مسألة شخصية، إنما هكذا الأمر عليه أن يُبيّن.

التصوف أدب وعلم ووقار وإرث محمدي، أهل الله كانوا أهل جهاد وجلاد، وكانوا أهل خلوة وحضرة وحبور. أما أن يكون الأمر بهذا الاسم الصدري المزيّف وبهذه الأحوال الشيطانية اللبسية التي تجعل الناس يتألّبون على أهل الطريق ويسخرون منه.. يا أخي على الأقل أقلّ الشّرّين ما دمت مصرّاً عليها أخفها، قم بها في خاصتك وحدك حال من السُّكر، ولا تصوّره ولا تسمح بتصويره ولا تسمح بنقله، أما أن ينشر هكذا..

وستبقى رغم قيامك بها جاهلاً بأنّ هذا الأمر ليس حقيقياً، آه ليس اسم الله ولا اسم صدري ولا شيء، الله هو الله. إذا أردت أن تقوم بحضرة قل الله، يمكن أن تُنعمها، تغني قصائد جميلة، يعني **(أحبّ لقا الأحاب في كل ساعة)** إلى غير ذلك من المعاني الجميلة الرقيقة، وأيضاً "صحبة الفقراء"، وقصائد أبو مدين شعيب الجميلة العظيمة، تقرأ ما أردت أن تقرأه، ولكن مع ذكر "الله"، لا أه ولا إه ولا إيه ولا أه، أبداً، فقط اسم الله. ولا تُدخل في هذا الأمر، يا أخي راقب الناس، من لديه مثلاً مرض في الأوردة، من لديه سكري، من لديه لبس مريض ملبوس مسحور، تُدخل الجميع هكذا عاري ولا بس في أمور لا تفهمها أنت أصلاً؟! لا تعرف الأنوار المنزلة ولا الظلمات التي قد تسيطر، لأنك **إذا جئت باسم مزيّف وتدّعي أنه اسم الله ستسبّب في مشاكل كبرى أنت لا تعي خطورتها**. اقرأ، ارجع اقرأ كتب الصوفية، اقرأ العلوم، ونقي ونقح، نعم في تاريخ التصوف الكثير من الدسّ والوضع، وابتع عارفاً ينبئك، تعال واسأل وتعلّم...

أما أن تعاند فهذا ما نراه اليوم من مشهد مضحك مُبكي، أقطاب يظهرون على الإنترنت، تجد والله ذكارة وأساتذة جامعيين وأطباء وغيرهم يمضون لجاهل يظنونه قطب، ويعادي والديه، ويعادي.. يقول ما دمت لست مع الشيخ فأنا والله أعاديك، والديه، وأنا أتكلم عن معينات. يصبح هذا الشيخ بعبع، يضع صورته هذا غوث الأغواث قطب الأقطاب، وهذا الشيخ نفسه لم يقل عن نفسه ذلك. طيب لماذا تفعل هذا الأمر؟ لماذا تورّطه؟ وكل مرة يخرج واحد أنا القطب الختم، أنا الولي الختم، وجلست مع الشيخ المنور ورأيت الأنوار، والله بعضهم هذا الذي يدعي بعضهم أنه يريهم النور في أسبوعين، يتكلم كالمختث، شاهدوا كلامه، مختث، وأسلوب ركيك وآلات الجرّ لا تجرّ، ولا لغة ولا لهجة ولا شكل ولا ذات ولا صفات، ومظهره وهابي.. هذه كلها مدسوسة من مخبرات ولعبة عالمية، وبعضهم مدسوس من جهله وجهل نفسه.

هذا بياني عن التصوف والحضرة

هذا ما أردت قوله عن التصوف وعن الحضرة، هذا بياني، وهذا شاهد بيبي وبين الذين أخطبهم في هذا الأمر، يغضب من ذلك من يغضب أو يرضى من يرضى، هذا الحق الذي نُدين به وهذا إرثنا من جدنا رسول الله. وكما قال جدي الحسين "خرجتُ أريد الإصلاح في أمة جدي"، أنا أيضاً أتكلم إصلاحاً لأمة جدي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وعلى سلالة من الصالحين أخذنا منهم ونهلنا من أيديهم وشرينا من أيديهم مباشرة، ولا يأتي أحد من أهل الأرض يقول أنا شيخ هذا العبد الفقير إلى ربه، لم يأت أحد من البشر في هذا الكوكب وأعطاني شيئاً ليكون شيخاً لي، إنما أنا مُراد (كما ذكر ابن عطاء الله)، والمُراد غير المرید، والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى جَعَلَ هَذَا مَخزُوناً لآل بيت النبي، مُدْخِراً من عنده، فيضاً من فيضه، بلاغَةً وأدباً وشعراً وسراً ونوراً وعلماً وبركةً وقوةً وشجاعةً وثباتاً وظهور راية وعلو همة وغاية وتحقق ولاية وعناية، هذا لمن أراد الله بما أراد الله.

قم بالحضرة، ولكن اعلم أنّ آه ليس اسم الله، الله هو الله، صلّ على الحبيب المصطفى، اذكر الله كثيراً.. وكان **أولى وأنفع أن تقوم بهذه الخلوة وحدك**، وأن تبكي ذنبك، وأن تجالس نفسك، وأن تدعو ربك، وأن تستمطر الرحمات، وأن تصلي على حبيبك المصطفى وتجدد العهد والبيعة له، وأن يكون سبيلك إلى رسول الله سبيل علي وفاطمة. لأنني أرى اليوم بعض أدياء التصوف يحبون أعداء آل البيت ويسبون من يتكلم عن آل البيت، ويدعون التصوف. وأعرف بعضهم هكذا وكان يسبني ويؤشتمني، ويسبني كلام الوهابية بالضبط تماماً، لأنّ هذا يفعل ذلك. بعضهم أعرف أيضاً من يستخدمون السحر من يستخدمون الطلسمات ويستجلبون الناس من أوروبا ومن غيرها لأخذ الأموال، من يستخدمون الكذب والإفك والتزوير والتشويه والغدر، بعضهم لا يستطيع أن يفكّ جملة لا يستطيع أن يُلقي كلمة، ليس لديه بيان ولا فصاحة، وهكذا فقط نختزل التصوف كله في: تعالوا معاً نقوم بعمارة، أه هو اسم الله الأعظم، ويُغمي عليكم، ويقول بعد ذلك أنوار الحمد لله، ويُدمن عليها!!! لا يا حبيبي، ليس هذا الأمر هكذا، هذه أوهاام!!

وعوض أن نركز على الحضرات والعمارات، نَعْمَر، نَعْمَر القلوب والبيوت. أين أنت أيها الصوفي اليوم من أزمة الواقع؟ أين كنتم وأنتم تختفون عندما أُحرق مقام أبي سعيد الباجي وظهرت في نشرة الأخبار وتكلمت حينها واستقلت من عملي بعد ذلك، تكلمت عن هذا الولي وواجهنا.. أين كنتم عندما وقفنا أمام الهجمة الوهابية وكان حينها القتل على مجرد كلمة؟ أين كنتم أين علمكم أين كتبكم أين معارفكم أين أذواقكم؟ حرّكوا هممكم واستيقظوا، لأنه أنا الآن أتكلم كلاماً قد يسمعي بعض، وقد يرفض البعض، ويتهجم البعض، أتكلم كلاماً في مقام رحماني.

قريباً جداً سيظهر من آل بيت النبي وارث محمدي رباني مؤيد معزز منصور، سوف يحق ويمعس بإصبعيه كل جاهل مغرور وكل كذاب غرور. سوف يكون مقامكم حينها أمام جبروت، وسوف يُضرب الذين يدعون على صدورهم لأن لم يسمعوا، وسوف يبين العلم حينها، وسيكون بين مظهر جبروتي ورحموتي، حينها سوف يظهر الحق من الباطل. فلذلك من الآن استيقظ أفضل لك من أن: إما أن يموت ويجد نفسه محاسباً على أمور كان يظنها حقيقة ﴿وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾، أو يواجه قائم آل البيت، فحينها سيكون أمراً يفضحه الله حينها بين الناس جميعاً.

اتركوا سبيل أهل الله لأهل الله، اتركوا العلم لأهله، تعلّموا، اقرأوا، املاؤا الزوايا بالعلم، كانت منارات علوم، املاؤها بالفقه وبالحديث. يعني بعض الطرق تجد فيها آلاف، لا تجد واحداً قادر أن يفهم، أن يتكلم في الأصول، أن يتكلم في أصول الدين، أن يتكلم في الفرق بين فقه مالك وفقه الشافعي، أن يتكلم في الفرق بين مدرسة الرأي ومدرسة الأثر، أن يتكلم في الفرق بين مدرسة أبي حنيفة والشافعي، الفرق بين الشافعي في العراق والشافعي في مصر، أن يتكلم عن التاريخ، أن يعرف من هو الشيخ عمر المختار وما دوره، أن يتكلم عن الشيخ عبد القادر ودوره، لا يعرف أي شيء أبداً، لا في الذوقيات لا في الشوقيات لا في شيء، فلذلك هذا هو البيان.

خاتمة

التصوف علم، يمكنكم أن تقرأوا الأطروحة التي هي في موقعي، لدي محاضرات كثيرة. أيضاً تابعوا أهل العلم والمعرفة، ذوقيات مثلاً جابر البغدادي هذا المنور هذا المنعم له مجلى صوفي حقيقي، عندما تسمعون لهذا الرجل، عندما تسمعون إنشاده، عندما تسمعون كلماته، عندما تسمعون حاله، ينوب عن حضرة سيدي عبد القادر الجيلاني، وتجدون للرجل ما له من نور وما له من سرّ ومن نسبة إلى رسول الله ثابتة نابذة ظاهرة جليلة، هذا الرجل يُسمع له. الحبيب عمر بن حفيظ حفظه الله أيضاً عندما تسمعون كلامه وترونه كيف يخاطب الناس وهذا الحال الذي هو فيه من السرّ والنور أيضاً يُسمع له، السيد أبو صالح الألويسي عندما ترون هذه المواقف في مواجهة داعش، وهذه الفصاحة والشجاعة الأدبية والهمة، كنت بينهم هؤلاء الرجال الصادقون والعلماء من حوله والشباب، وهم مقاتلون بالسلاح ومقاتلون باللغة والفكر، هذا أيضاً يُسمع منه، وكثير غير هؤلاء ولكن هؤلاء على الأقل لهم ظهور معين أردنا أن نشكرهم،

وكذلك أردت أن أبين موقفى العلمى المعرفى، ولىس فى قلبى عداة لشخص بعینه، إنما هى مسائل مبدئىة علمىة.

جزى الله خيراً من ىسمع الكلام فاتّبع أحسنه ومن فهم عنا ومن أخبر عنا أيضاً ومن تقبّل منا وأخذ منا وبارك فىكم. ومن لم ىرد ذلك ولم ىرمه وفى قلبه شىء من مرض أو فى نفسه شىء، فذلك شأنه لا ىغىّر من الحق شىئاً. نحن مستمرون فى هذا الطرىق بحمد الله حتى نلقى الله على هذا الباب على هذا المنهج، حتى نلقى الحبىب محمد وآل بىته غىر مبدّلین، على العهد ثابتین، فى أرض الله نابتین، بسرّ الله متكلمین، فى سبىل الله سالکین سائرین، مصلحین صالحین بحمد الله رب العالمین، نواجه ما فى أنفسنا من شرور، ونمضى فى حبور وسرور، من نور إلى نور، بجاه سىدنا محمد صاحب الجاه المبرور، وبجاه ربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الجى العلام الغفور.

السلام علىکم ورحمة الله تعالى وبرکاته، جزى الله خيراً من ىنشر هذه المحاضرة، شارکوها بىنکم وانشروها، وكذلك أبناؤنا فى قناة المنارة التى أرجو أن تزورها أيضاً، أرجو أن تؤخذ مقتطفات من هذا بإخراجکم وأن تُنشر بىن الناس حتى تعم الفائدة،

والسلام علىکم ورحمة الله وبرکاته.

المحاضرة بتاريخ: 17-10-2022



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

التأمل التاسع والثلاثون: صحبة العارفين

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم، الإخوة والأخوات الأعزّاء السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته، أهلاً وسهلاً بكم إلى هذا اللقاء الجديد مع التأملات العرفانية، وإن كنت تأخرت عن بثّه أربعين دقيقة من الموعد الذي كنت قدّمته وذلك لغرقي في التأليف، فأنا لم أتفطن للزمن، عندما نكون في حالة الكتابة فإنّ الزمان ينتفي وإن المكان يتغيّر، ولعلّ في ذلك شيء من الدرس الذي سأقوله اليوم عن صحبة العرفاء أو "صحبة العارفين".

وصحبة العارفين فيها ما فيها، سنتكلّم بإيجاز عن بعض ملامح هذه المسألة، لذلك شاركوا معنا بالتعليقات وشاركوا هذا الدرس لاحقاً ليستفيد منه سالكو طريق أهل الله، السالكون إلى ربّ العالمين الذين يرغبون في الوصول وربط الفروع بالأصول. وسنقدّم بعض التعريفات العلمية من بعض كتبي مثل كتابي <<وصايا المعلم>> وكتاب <<إشراقات>> وبعض الكتب الأخرى في المسائل العرفانية. نرجو أيضاً أن تتحقق الفائدة وأن تستفيدوا من هذا التأمل العرفاني الجديد بعد سلسلة متتالية من التأملات الفكرية التي مضينا فيها في مسائل استراتيجية تخصّ العالم وتخصّ المستقبل وتخصّ بعض المسائل التاريخية، ونحن الآن نردّ درساً هو موصول بالدرس الماضي من الدروس البرهانية حيث أننا دخلنا في علم الباطن في الدروس البرهانية بعد أن أنهينا دروس علم الطب، وبعد أكثر من أربعين درساً في مجالات عديدة. ونبشّر إن شاء الله بكتاب الدروس البرهانية ما بلغناه إلى الدرس الأربعين، سيكون هذا الكتاب متوفراً على موقعي قريباً، وكذلك مجلة المنارة مجلة علمية أيضاً سوف نظهرها قريباً بعون الله تعالى.

فننطلق في هذا الدرس الذي له صلة كما ذكرت مباشرة بدرس علم الذات والصفات، الدرس الثاني من علوم الباطن، بل هو أيضاً درس في المعارف الباطنية، بحكم أننا نتكلّم عن علم مهم هو علم العرفان، وإن كنت إن شاء الله سأدرّس هذا العلم في دروس علم الباطن، وإن كانت هذه التأملات تحمل اسم التأملات العرفانية فإننا سنتكلّم اليوم عن العارفين، تعريف العارفين وصحبتهم وأدب تلك الصحبة.

تعريف العارفين

العارفون بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى هُمْ قوم اختصهم الله بعناية ورعاية وتأيد حتى جعل لهم نصيباً من معرفة ذاته وصفاته، أي أنّ هؤلاء القوم قوم عرفوا الله بالله وعرفوا الله بسادة الخلق، وعرفوا العالم المنظور والمحسوس واستلهموا وألهموا عن العوالم التي فوق الحسن من خلال معرفة ربّانية. أنا في كتابي <<إشراقات>> ذكرت الآتي:

العارفون بالله عرفوا الله بالأشياء فهم لا يرون إلا الله حيث ما نظروا
والعارفون عن الله عرفوا الأشياء بالله فهم لا يرون إلا بالله حيث ما نظروا
وقد يجمع الله لعبد من عباده العرفانين فذلك العرفان

العارفون بالله

أولاً العارفون بالله هؤلاء عرفوا الله بالأشياء استجابة لقوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ﴾ ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ﴾ إلى الإيل كيف خلقت﴾، إلى السماء، إلى الأرض، إلى غير ذلك، ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾. هؤلاء الذين نظروا في العالم نظرة علم ونظرة قلب ونظرة روح ردّوا ما قلته في بيتين:

فانظر بقلبك تبصر كيف جلاه
صوت يقول أنا قد صاغني الله

لله في الخلق سر جلّ معناه
في كل شيء براه الله مقتدراً

هذا الصوت الذي ينادي أنا قد صاغني الله أنا خالقي الله، هذا صوت موجود في كلّ شيء، صوت معنوي. أي أنّ نظرك إلى الكون، إلى الذرة، إلى المجرة إلى الانفجار العظيم، إلى ذاتك البشرية إلى تكوينك الجيني إلى الحمض النووي، إلى كلّ شيء سيوصلك إلى أنّ كلّ شيء له خالقٌ مشيءٌ له ليس كمثله شيء، خلق الأشياء وليس كالأشياء، واحتاجت إليه الأشياء ولم يحتج إلى الأشياء، وظهرت له الأشياء وانحجب غاب عن الأشياء، لا تراه الأشياء ويراه، لا تدركه ويدركها، لا يعزب عنه شيء ولا يشغله شيء عن شيء، أحاط بكل شيء أحصى كلّ شيء علم كلّ شيء، قدر على كلّ شيء قهر كلّ شيء، أبدى ما أبدى من الشيء وأخفى ما أخفى من الشيء، وخلق كلّ شيء من لا شيء على غير شيء سابق أو على غير نموذج من شيء.

هذا الخالق البارئ، الصانع، الفاطر، المبدئ، المظهر، المعيد، المحيي، القدير، القادر، المحيط، العليم، لما يُنظر في ملكوته يُنبئ الملكوت عن صاحبه، لما يُنظر في خلقه يُنبئ الخلق ويخبر ويحدّث عن خالقه. وبهذا هؤلاء القوم نظروا إلى هذا الملكوت نظرة شهود ونظرة تعقل تحت بند ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ فبلغوا مقام علم "لا إله إلا الله"، فعرفوا الله بآثاره في الأشياء وبتجلّي صفاته وعظيم ذاته على ما خلق، فبلغوا مرتبة العارفين بالله.

العارفون عن الله

العارفون عن الله هذا المقام هو مقام قوم حدّث الله قلوبهم وأنبا عقولهم وهداهم وكان لسانهم الذي ينطقون به وأعينهم التي يبصرون بها. فلما أن بلغوا ذلك المقام صار نظرهم إلى الأشياء **نظراً ربّانياً**، فهم إذا نظروا إلى شيء **غاصوا في عمقه وفهموا كنهه بنور أودعه الله فيهم**، فهم عرفوا الأشياء كلّها بخالق الأشياء كلّها، لأنّ خالق الأشياء يعرفها ويعرّف بها من أراد ﴿عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾. فلما كانوا في ذلك المقام صاروا عارفين عن الله، تتكلم الحضرة على ألسنتهم، ويجعل الله لهم نوراً ولسان صدق، ويؤتيهم الحكمة وفصل الخطاب، ويجعل لهم نيابةً ونوبةً من لدنه وخلافةً روحيةً علميةً عرفانيةً يعلمون بها الناس.

هذان بابان كبيران للعرفان: **باب المعرفة بالله** و**باب المعرفة عن الله**. وهذا تفصيل جميل لا تجدونه في كتاب، إنّما **هذا عين نموذج ممّا تكلمنا عنه** أي عين تجلّ من عرفان ربّاني، من شيء يُلقيه الله في صدر من أراد من خلقه حتى يعبر به عن مقاصد الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**. فإنك لو بحثت في الكتب جميعها لن تجد شيئاً ممّا ذكرت لك ولن تجد هذه التعريفات، وهذا يدلّ على أنّ أزمان السرّ الإلهي هظالة، وعلى أنّ الفيوضات الربّانية مستمرة، وعلى أنّ فواتح وشوارق القلوب وبوارق الحقائق وتجليها وتدليها من عند ربّ العالمين أمر دائم موصول لمن وُصل بالموصولين قبله، **"فالموصول بالموصول موصول والداخل بالمقبول مقبول ومعرفة المفتوح عليه فتح ويحتاج السرّ سرّاً لفهمه"** كما بيّنا من قبل أيضاً في كتاب **<<إشراقات>>**.

فلما عُرف وجود عارفين عرّفوا عن الله وعرفوا بالله وعرفوا عن الله، كان لزاماً أن يكون لهم خلص وتلاميذ يأخذون عنهم، فإذا كثر الطلب على هؤلاء وإذا احتاج الناس إليهم فإنّ ذلك دالّ على عزيز مكانهم ومكانتهم وعلى صعوبة العثور عليهم والوصول إليهم، فلا يُبلّغون إلا بالله لأنّهم من عند الله، من فيض الله وجود الله وكرم الله.

شروط العارف

أولاً كي نحدّد من هو العارف بالله علينا أن نمضي في معاني أخرى غير ما استبدرنا به وما ذكرناه، وهي شروط يجب أن تتوفر في أيّ شيخ يدعي أو يُظنّ به أو هو على وجه الحقيقة ربّاني عارف بالله. فكثيرون يدعون أنّهم عارفون بالله وعارفون عن الله وأنّهم يُظهرون للناس الأنوار ويعطونهم الأسرار، وأنّهم من أهل العلم بالاسم الأعظم والسرّ الأقدم، وأنّ لهم مكانة عظيمة وأنّهم مشرّفون مصرّفون، وأنّهم ينوبون عن أهل التّوبات جميعاً، وأنّهم خلفاء للنبي، وغير ذلك ممّا يدعيه كلّ دعيّ. وإنّ بين الادّعاء وبين الحقيقة فواصل، وثمة مصاديق يصدق بها المرء أو يكذب.

1- الباب الرباني

فأول دليل على أنّ الذي يُرى أنّه عارف بالله أو يُظنّ أنّه عارف بالله هو عارف فعلاً: **العلم بالله**. فإنّك إذا وجدت عارفاً بالله على وجه الحقيقة وسألته عن الله أخبرك خبر من عرف ربّه برّبّه، وكلمك كلام من كان بينه وبين الله مودّة وأنس ومحبة، فتجده متكلماً عن علم الدّات وعن صفات الله، وتجده منزهاً لله، فلا يمكن أن يكون عارفاً بالله من جسم الله ومن شبه الله بالحوادث ومن نسب إلى الله الجسميّة والحيثيّة والمكانيّة والأينيّة ومن جعله في السّماء ومن ظنّ أنّ الاستواء على العرش جلوس ومن حسب أموراً لا تليق بمقام الربوبيّة.

2- الباب المحمدي الأحمدي

وأما الشرط الثاني **معرفة الأدي فالأدي**، أي أنّ العارف بالله على وجه الحقيقة مؤدّب عارف بالمقامات، فلن تجد عارفاً بالله لا يعرف سيّدنا محمّد، فكلّ عارف لم يدخل من باب سيّدنا محمّد إنّما هو واهم كذاب، وكلّ عارف لم يكن له وصل بسيّدنا محمّد فهو دعيّ ذلك، أي كلّ من قال "أنا عارف" وليس له وصل بالحبيب محمّد ولا عنده علم به من باب العلوم الأحمديّة والمحمديّة فهو دجال دعيّ.

إنّ العارف بالله حقّاً عارف برسول الله في المقامين:

1. فأما المعرفة الأولى فهي **معرفة بالمقام المحمدي**، أي أنّ له علماً في القرآن لأنّ القرآن نبع من صدر النبيّ، وله علم بالسنة المطهّرة يعرف حقيقتها من مدسوسها، وله علم بالسيرة ينقيها ويفهم ما كان فيها من صحيح خبر عن رسول الله ومن مزيف مدسوس مكذوب عليه، ويعرف كذلك سيرة النبي في خواصها وفي أحوالها، ويعرف ما اتّصل بذلك، وله سند محمدي يتّصل بالنبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** في حال القرار الدنيوي، في حال الظهور الدنيوي، وله وصل بالمولد، وله وصل كذلك بأحوال النبي في سعادته وحزنه، يتأثر ويتفاعل ويبيكي لما بكى عليه ويفرح لما فرح له، وله شغف بهذه الشخصية الربانيّة العظيمة ويحبّ أن يزور المدينة ويحبّ لو كان زمن الحبيب محمّد، هذا هو المقام المحمدي.

2. أما **معرفة في المقام الأحمدي** فهي معرفة روحانية بالسرّ الأحمدي، أي سرّ سيّدنا محمد بعد انتقاله من هذه الدنيا وقبل أن يأتي الدنيا، وهذا السرّ موصول مستمرّ، إنه تجلّيات النور النبوي المحمدي على قلوب عشاق النبيّ، وهذه التجلّيات من صدر رسول الله في مقامه الروحاني الأحمدي، إذ أنّ اسمه قبل الدنيا أحمد واسمه في الدنيا محمّد، فلمّا أن سمّاه الله في القرآن قبل الدنيا على لسان عيسى سمّاه أحمداً ولمّا أن سمّاه في الدنيا على ألسنة من نادوه بذلك الاسم نزل القرآن فقال: ﴿مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ﴾.

المقام المحمدي سند للرجال، سند موصول في العلوم، أما **المقام الأحمدي فهو سند مباشر إلى رسول الله** في السر والمعنى والبركة والمدد والفيض والإشراق والكشف والتجلّي والمشاهدة وفي غير ذلك من الأذواق والأشواق والمقامات والأحوال. وهذا نور ربّاني لا يعرفه إلا من لامسه، ولا يذوقه إلا من عرفه، ولا يمكن أن يذوقه إلا عاشق مشتاق وامق، امتحن شديداً وفتنه الله فتوناً وابتلاه بكلمات فأتّمهنّ، فجعل له في قلبه إماماً وهداه إلى نور سيّدنا محمّد، وهذا لرجال الله فيه أسرار وأحوال: بعضهم يرى النبي مناماً، وبعضهم يرى النبي قياماً، وبعضهم يرى النبي جهرةً، وبعضهم يصعد إلى الحضرة، وبعضهم

تنزل الحضرة إليه، هؤلاء المحمديون، لذلك قال العارف بالله الكبير الشيخ عبد السلام الأسمر: **"بعين رأسي رأيت الرسول"**.

وهذا إن أنكره عليه من أنكره فهو لا يُعجز الله، ولا يكون من مقام رسول الله في أحواله الروحانية إلا ما يعظم، وليس الموت بحجاب مانع، ويتمثل للناس بشراً لأن الله أعطاه تلك القوة. وكذلك الصالحون ورثوا عن النبي ذلك فيظهرون ويتجلّون ولهم مقامات في هذا، وللصالحين العارفين بالله أنوار وأسرار، فهم يأخذون القبسات من صدر الحبيب المصطفى لأن الحبيب المصطفى قال **"من صلّى عليّ رددت عليه الصلاة ومن سلّم عليّ سلّمت عليه"**، فكيف بالذين تعشقتهم الحضرة وشملتهم النظرة، لهم مقامات أعظم من ذلك. وإذا كان هذا العارف قد حقّ فيه قول الله **"صرت عينه التي ينظر بها"** أي أعطاه الله سلامة في البصر وكشف عنه غطاءه فبصره اليوم حديد، فذلك البصر المنور بالنور الإلهي غير معزول ولا محجوب ولا ممنوع ولا محروم من رؤية السناء الأحمدى والنور المحمّدي، وهذا فيه فيوضات، وضمنه **علم محمّد وعلم أحمد** وهما علمان عظيمان.

- ❖ ففي علم محمّد ندرس أصول النبي وندرس أجداده وآبائه وندرس سرّ أمّه وأبيه، النور الذي كان معهما، ونور سيّدنا أبو طالب وهذه الأنوار المصطفوية.
- ❖ وفي العلم الأحمدى علم التلقّيات والأسرار الروحانية والكشوفات والفيوضات، وهذا من باب العرفان.

3- باب الإمام علي

أما الشرط الثالث للعارف بالله على وجه الحقيقة أنّه لا وجود لوليّ لا يوالي عليّ، هذه قاعدة أساسية: **من لا يوالي عليّاً فلن يكون وليّاً.**

كلّ من في قلبه النصب لآل بيت النبيّ، كلّ من في قلبه الاستنقاص لقدر الإمام عليّ والبغض له، لا يكون عارفاً بالله أبداً ولا عارفاً برسول الله أبداً، لأنّ من عرف الله فعرفه الله برسول الله سيُعرف حتماً وجوباً بسيّدنا الإمام عليّ، لأنّ سيّدنا الإمام علي **باب الله ورسوله**. فهو باب مدينة العلم وهو باب الرّسول **عليّه الصّلاة والسّلام** الأقرب لذاته والمجلى الأعظم لصفاته. فلم يكن لذات الحبيب محمّد أقرب من ذات سيّدنا علي **"أنت مّي بمنزلة هارون من موسى"** مقاماً وسراً ونوراً ومحبة، ولم يكن في ما خلق الله أقرب من هذا الإمام سيف رسول الله وحجّته والذي كان ينافح عن دينه وابنه في التربية وأخوه في السرّ والنور **"أنا يا عليّ وأنت خلقتنا من شجرة واحدة وخلق الناس من أشجار شتى"**، وهو حامل سيف ذي الفقار **"لا فتى إلاّ عليّ ولا سيف إلاّ ذو الفقار"**، وهو المنافح المدافع عن رسول الله، هو سيف النبيّ محمّد، سيف الله الذي سلّه على أعدائه، فاروق بين الحقّ والباطل، صديق أعظم، ذو نورين الحسن والحسين، هذه الصفات التي ذكرها رسول الله في سيّدنا عليّ في حديث مشهور. والإمام علي يدور مع الحق حيث دار، والإمام علي وارث رسول الله وخليفة رسول الله واليد العليا بعد رسول الله، وهو الذي قال فيه **"من كنت مولاه فهذا عليّ مولاه"**، فهو مولى كلّ مؤمن ومؤمنة وكلّ صحابي وصحابيّة على إطلاق ولاية رسول الله عليهم، نفسها طبّقها، نسخة مكتملة. فالولاية السياسية والإدارية والعسكريّة جزء صغير من تلك الولاية العلوية، وكان في الأمة ما كان منذ أن خالفت ذلك.

فمن لا يعرف قدر هذا الإمام العظيم ومن لا يعرف هذا الوصل، بل من لم يوصل بسيّدنا عليّ وبنور سيّدنا عليّ وبسرّ سيّدنا علي وبنوار وبركات وأمداد ونفحات روح سيّدنا علي، ومن لم يكن في قلبه عشق

محمّدي ربّاني لسيدنا علي، ومن لم يحبّ سيدنا علي الذي أحبّه النبي بنور قلب النبي، ومن لم يحبّ النبي بنور قلب علي، لا يصل إلى الولاية ولا إلى العناية ولا يحقق أيّ غاية ولا تُرفع له راية ولا يكون منه إلا جناية تعقبها جناية، لأنّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى جَعَلَ حُبَّ مُحَمَّدٍ بَدَايَةَ حُبِّ عَلِيِّ نَهَايَةَ، فإلى سيدنا محمّد تكون **القسمة "إنّ الله مُعْطٍ وَأَنَا قَاسِمٌ"**، وإلى سيدنا علي يكون **القسيم "علي قسيم الجنة والنار محبّوه في الجنة وأعداؤه في النار"** كما ورد في الحديث النبوي، فهذا من الشروط العرفانيّة.

فإذا وجدت دعيّ معرفة بالله يحدثك عن التور ويحدثك عن الأسرار، ولا يعرف علم الذات والصفات، ولا يعرف الفرق بين الأسماء والصفات، ولا يعرف أسماء الذات وأسماء الصفات، ولا يعرف تنزيه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وليس في قلبه رحمة ولا رأفة ولا محبة، فهو ليس عارفاً بالله. ومن لم يعرف قدر الحبيب المصطفى، ومن قال أنّه بشر يخطئ أحياناً وأحياناً يصيب فإذا غاب عنه الوحي أخطأ في المسائل، ويجعل له من يسبق الوحي دونه، ومن كان يظنّ أنّ أب النبي وأمّه في النار، ومن كان يظنّ أنّ عمّه أبا طالب الذي ربّاه في جهنّم، ومن كان يعتقد أنّ النبي حاول الانتحار، وأنّه كان يظنّ أنّه يأتي الأمر ولا يأتيه، وأنّه أفسد نخل أهل المدينة، وأنّه كان جاهلاً في الحرب فلم يعرف مكان موضع جيشه أين يقف في غزوة بدر.. فليعلم أنّه لم يعرف النبي محمّداً الذي كان أكمل النّاس وأشجع النّاس وأفضل النّاس وأسخى النّاس، وكان أكثر الحكماء وأمين الأمناء وقويّ الأقوياء، وكان أشدّ قوّة من غيره إلا أنّ الله لم يأذن له بقتال، فناب عنه سيدنا علي عَلَيْهِ السَّلَامُ حامل لواء باب خير، قاتل عبّة وقاتل عمرو بن ودّ وقاتل الذين حاربوه من اليهود خاصّة مرحب والحارث، وهذا القتل كان قتلاً بيد الله بسرّ الله بنور الله حتّى قال لهم **"لم أتركم ولكنّ الحقّ وتركم"**.

4- باب أهل البيت

وأما الباب الرابع في هذا بعد الباب الربّاني والباب المحمّدي والباب العلوي فهو: باب فاطمة والحسين ودُريّاتهما، أي باب أهل البيت باب السفينة. الذي لم يركب سفينة آل البيت، الذي لم يوقرّ السيدة فاطمة والسيدة آمنه والسيدة خديجة، والذي لم يعرف مقام الزهراء ولم يعرف مقام الحسين ولم يقف معهما ولم يكن معهما عداوة لمن عادوا وحبّاً لمن أحبّوا، ولم تبك عينه لما أصابهم ولم يتمنّى أن يكون فدائاً لهم.. فهو ليس محبّاً حقيقياً لرسول الله، لأنّ شرط محبة النبي أن يكون رسول الله أحبّ إليك من نفسك وأن يكون آل بيته أحبّ إليك من أهلك.

ومن من النّاس يحبّ أهل بيت النبي، ويرتضي لهم ما حدث لهم؟ ومن يرضى في ابنه أن يُقتل (وهو يخشى عليه أن يُشاك بشوكة)، ثم يرتضي أن يُقتل ابن فاطمة الزهراء تلك القتلة الشنيعة في كربلاء وأن تقطع أوصاله وأن يُحمل رأسه على الرّماح؟ بل يرتضى على قاتله ويجعل له مقاماً، ويواليه النّصب والعداء ويقول "قتل بسيف جدّه!!" فهذا الذي لا يعرف قدر هؤلاء، بل ويؤاخذهم بالصحابة ويجعل الصحابة خيراً منهم، على رفيع قدر أصحاب رسول الله وعلى ما يجب من تقدير ومحبة لأصحاب النبي، وعلى ما يجب من حبّ ومن نظر ذوقيّ جمالي إلى مشاهد جلى فيها الأصحاب الصادقون المخلصون هذه الأنوار والأسرار، كمشهد بلال تحت الصخرة أو مشهد مصعب ابن عمير وهو يفتح المدينة لرسول الله ويهدي القلوب في لقاءه مع سعد ابن معاذ وأسعد ابن زرارة أو مشهد استشهاد مصعب، أو مشهد العارفين كأويس القرني ونوره وسرّه، أو مشاهد بقيّة أصحاب النبي الخلص الكمل الذين والوا عليّاً ونصروه. ومن لم يعرف هذه المسائل فهو محجوب أيضاً، ولكن عليك أن تعرف كيف تفرّق بين هذا وذاك، وهذا موضوع مذهبي لا أريد الخوض فيه، فأنا عندما أتكلّم الآن أكلّم المسلمين، أكلّم المؤمنين، أكلّم أهل الرّاية

المحمّدية أيًا كانت مذاهبهم، فلست داعيةً مذهبياً، إنما أنا أدعو للمحبّة والرّاية المحمّدية البيضاء التي على حبّ النبي فيها نجتمع، وتحتها نجتمع، وتحتها نصطف في خدمة هذا الدّين العظيم.

فمن لم يعرف قدر آل البيت وظنّهم كغيرهم، ومن لم يعرف نورهم وسرّهم ولم يذق من حبّهم، والله ما عرف الله لحظة ولا أعطاه الله نفحة من نوره. وهذا يجلو في الكلام، فتجد أدعياء التّصوّف والكذّابين والدجالين يكلمون النّاس في التّرهات والأوهام والأحلام، ولا يتكلّم أحد منهم في كربلاء عن ذكرى شهيد كربلاء، بل يحتفلون بعاشوراء ويظنّونها يوم نجاة موسى ونوح وغيرهم ممّا كان من وضع وتزييف. ولا يتكلّمون عن الحسن ابن عليّ، ولا يتكلّمون عن أنوار علي زين العابدين، ولا يعرفون الكاظم ولا يعرفون الرّضا ولا يعرفون الباقر والصّادق قبل ذلك، ولا يعرفون ذرية النبي، لا يعرفون عبد الله الكامل والحسن المثنّى وأبناء الحسن لا يعرفون شيئاً من ذلك، هؤلاء ليسوا بعارفين هؤلاء دجالين كذّابين.

5- معرفة العارف للعارفين

وأما ما يلي ذلك من الشّروط فمعرفة العارف للعارفين، أي أنّ العارف بالله على وجه الحقيقة جزء من ديوان ذكره الخضر في قصّته مع موسى إذ قال ﴿فَأَرَدْنَا﴾ (خشينا وأردنا)، قال في الأولى ﴿أَرَدْتُ﴾ وفي الأخيرة قال ﴿أَرَادَ رَبِّي﴾، أردنا أي نحن كمجمع الصّالحين، كمجمع أهل المقام، أهل الحضرة. فالعارف بالله حقاً موصول بمن كان قبله، لذلك تجد العارف بالله عبد السلام الأسمر يتوسّل بالصّالحين قبله ويذكرهم ويناديهم، والنبي قال "إذا أضاع أحدكم طريقه فليقل: يا أهل الله أغيثوا" وقال "أبدال الشام بهم تُمطرون وبهم تُغاثون" وقال "اللهم بممشاي إليك وبالسنّالين عليك".

فمعرفة العارف لمن سبقه بالعرفان أمر واجب لأنّه ينتمي إلى مدرسة، هذه المدرسة صاحبها رسول الله محمّد، وصاحب لوائها سيّدنا علي، ونورها وسرّها وترجمانها السيّدة الزّهراء والسيدان الحسن والحسين والسيدة زينب، وفيها الأنبياء وفيها الكمل والصّديقون، ولكن مُدرّسها هو الخضر عليه السّلام، وعميد الصّالحين فيها هو الشيخ عبد القادر الجيلاني ومعه الإمام الرفاعي والبدوي والدسوقي والشاذلي وابن مشيش والجشتي والأسمر والتيجاني والسهروردي ومجموعة من الصّالحين، محفل من أهل الله.

فكيف بدعيّ عرفان أو تصوّف أو تشيّع أن يجلس فلا يذكر لهؤلاء السّادة فضلاً ولا يعرفهم؟! ويقول قائلهم "الشيخ الحيّ أولى من الميّت" وكأنّهم يقولون نحن أولى من رسول الله، والموتى هم. إنّ رجلاً لم يشرب من كفّ سيدي عبد القادر الجيلاني في الرّؤيا أو في اليقظة، ولم ير من سرّ الرفاعي، ولم يأت من نور البدوي، ولم يذق من أحوال الدّسوقي، ولم يكن له حال نفحوي فتيّ جشتي، ولم يترقّ في جمالات الشاذلي، ولم يكن له وصل بأولياء الله الصّالحين أجمعين في مشارق الأرض ومغاربها، لا يكون عارفاً بالله. فأولى الأولويات لهذا العارف أن يلتقي الخضر نفسه وأن يأخذ عنه وأن يعاهد وأن يواعد، وأولى الأولويات أن يلتقي الأولياء إمّا مناماً أو كشافاً هذا حسب ما يعطيه الله. وهذه حقائق وليست بأوهام، والقائلون بعدمها كمن يقول بعدم وجود الضّوء لأنّه أعمى، وكمن يقول بعدم وجود حلاوة الماء لأنّ لسانه مقطوع

يَجِدُ مَرّاً بِهِ الْمَاءَ الرُّلَاءَ

وَمَنْ يَكُ ذَا فَمِ مَرٌّ مَرِيضٍ

أما العارفون بالله حقاً فهؤلاء عرفوا أهل الله وعرفوا قدرهم وعرفوا سرهم وشربوا من أكفهم وهاموا في حبتهم، بل أصابتهم من محبتهم أحوال جعلتهم في حالة الخمرة التي أنبأ عنها حال جلال الدين الرومي وشمس التبريزي ونطقت بها ألسنة المفوهين منهم من الشعراء، كما قال ابن الفارض والرواس وأبو مدين وهاموا في عشق الله هيام رابعة العدوية وكانت لهم حكم ومعارف.

فثمة فرق بين الصالحين والأولياء الصالحين:

- ❖ فالصالحون هم مجمع واسع من عباد أصلحهم الله، من عباد محبين محبوبين، من أمثال الجنيد البغدادي وسري السقطي والحسن البصري وسعيد بن جبير وسعيد ابن المسيب وغيرهم أبو يزيد البسطامي والشبلي والحلاج والسهورودي الشهيد وسواهم.
- ❖ أما الولاية فهي حكرية على آل بيت النبي وذرياتهم، كما كانت النبوة حكراً على ذرية آدم إلى الخط الذي منه هابيل القتل ومنه شيث النبي وإدريس وإلياس إلى أن تبلغ إبراهيم فتنشق شقين عظيمين: قسم يمضي إلى إسحاق فيعقوب فيوسف إلى عيسى (عيسى طبعاً من أمه وهو من عند الله)، وقسم يمضي بالأوصياء من إسماعيل إلى حضرة المصطفى ثم يمضي بعد ذلك في أحفاد الحسنين "إن الله جعل نسل كل رجل من صلبه وجعل نسلي من صلب علي" كما قال سيدنا المصطفى.

من هذا، فالذي يحب أئمة آل البيت ويتشيع لهم ثم يسب أولياء الله، هذا جاهل بالله وجاهل بالنبي وبآل البيت، ولم يعرف قدر الصالحين، لم يعرف قدر الجيلاني قطب زمانه والرفاعي صاحب الأسرار وغيرهم من الأولياء الصالحين الكبار. والذي يدعي حب الصالحين ولكنه محجوب عن آل بيت النبي فهو أيضاً محجوب، والذي يظن أن شيخه الحي أمامه أعظم قدراً ممن سبقه فهذا أيضاً جاهل بهذه المسائل. فما من ولي يعلو على قدر عبد القادر الجيلاني، ليس فقط من البعثة المحمدية بل من الأدمية وقبلها فهو قطب الأولياء كافة

بحاني وادخلوا أنتم رجالي
وجدني صاحب النور الكمال
لُدِّت واختفت بين الرمال

وقلت لسائر الأقطاب لُموا
أنا الجيلي محيي الدين اسمي
ولو ألقيت سري في جبال

هذا الباز الأشهب سيدي عبد القادر. وكثير ممن يدعي طريقته أو طرقة أخرى ولا يكون بهذه الوصلة ولا يكون له هذا السر، سيحجب وسيسقط في الترهات ويسقط في الغرور ويسقط في أمور وقول الزور، ولنا من ذلك سند القلب والقلب أعظم الأسناد وأقوى أبواب الإمداد.

الصفات التي يجب أن يتحلّى بها العارف

وأما الباب الموالي لهذا فهو باب الصفات التي يجب أن يتحلّى بها هذا العارف، فلا عارف ليس في قلبه رفق ورحمة، ويحتاج إلى قوة في جسمه، ويحتاج إلى تهذيب لنفسه وغوص في عوالم الشر، ومدرستنا الخضرية مدرسة تفهم الشر جيداً. وليست مدرسة طوبوية حاملة إنما مدرسة الواقع، فما من نبي إلا وعرف أمراض عصره ليعالجها، وما من ولي إلا وعرف أمراض عصره ليعالجها، ولذلك فإن علم الواقع علم مهم. وكان الصالحون أهل فكر وأهل استراتيجيا وأهل نظر وأهل استشراق وشفافية روحانية كبيرة وأهل نفع اجتماعي وذب عن الناس وعن الدين، وأهل ثغور وأهل زوايا، ولم تكن زواياهم انزواءً بل كانت

منابر للعلم ومطاعم للفقراء ومستشفيات للمرضى ومنارات للهدى والهداية، بل صار بعضها مدارس عسكرية كما كان من حال الشيخ رسلان الدمشقي أو أبي مدين شعيب زمن الحروب الصليبية زمن الشيخ عبد القادر، والذي يدرس أطروحتنا في هذا الموضوع يجد خبراً من ذلك. وكذلك انكسار القلب والرأفة بالخلق والبذل والمسارة في الخيرات والصفات الربانية المحمدية العلوية التي يجدها الإنسان في القرآن والتي جلاها رسول الله فقد قيل أنّ رسول الله قرآن يمشي وقال "أدبني ربي فأحسن تأديبي"، والتي جلاها عليّ حتى قال رسول الله "النظر في وجه عليّ إيمان" لعظيم ما جلى الله فيه من سرّ.

وهذه الشروط الكبيرة في العارف هي مهمة جداً. إذا جالست رجلاً لا يتواضع، إذا كان رجل ليس في قلبه رأفة ولا رحمة ولا عنده شفقة على المؤمنين، ليس في قلبه ألم لأهل اليمن وأهل الشام وأهل العراق، ليس في قلبه ألم لأهل فلسطين، وليس عنده قضية، لا يؤمن بقضية، لا يؤمن بالقضية الفلسطينية العادلة، لا يؤمن بقضايا العدل، لا يتكلم فيها، يكلمك في الرؤى والمنامات ويمجد لك نفسه، ليس له اتصال وثيق بالواقع، ليس له إصلاح اجتماعي، لا يقف في مواجهة الباطل، لا يجرؤ على أن يتكلم وأن يواجه وأن يتحدّى..

فمن صفات العارفين بالله حقاً أنّهم إذا رأوا الأمراض ذهبوا لمعالجتها، وإذا تكلم الدجالون ردّوا عليهم، وإذا نطق الأفاقون والكاذبون والفسقة تكلموا ضدّهم، وكانوا سيوفاً لله سبحانه وتعالى، أبواقاً للحضرة تنطق من خلالها، أيّد لله في أحوال الجلال والجمال، يُعطون سخاءً ويقاثلون قوّة وإباءً، كربلائيو القلوب، ثابتون صامدون، حمزيون جعفريون، فيهم من إباء حمزة ومن فداء جعفر، فيهم من أسرار ونفحات أهل الله، خضريو المشرب والمعين والمنبع، يتكلمون في العلوم والفهوم، إذا سُئلوا عن علم لا يعرفونه عَرَفُوا به، وإذا استشكل أمر على الناس وجدوا عندهم حلّه، وإذا جاءت قضايا الحق وقفوا لها بها، وإذا جاءت مسائل الباطل تصدّوا لها، كانوا مدداً من أمداد رب العالمين ومجلى من مجالي سرّ سيدنا محمد سيّد الأوّلين والآخريين، كانوا مدافعين عن آل بيت النبي، كانوا ضمن ديوان أولياء الله موصولين في السلسلة، وكانوا أهل برّ وتقوى وأهل إباء وأهل فضل وشيّم..

هذا يُؤخذ كما ذكر، يُدوّن ويُفهم ويُنظر فيه، هذه شروط العارف بالله، لا يجاوزها إلا تفصيلاً ولا ينقص منها شرط أبداً، ولو نقص شرط واحد من هذا بطل الادّعاء وبان مصداق كذبه. والآن خذ الذين تظنّ أنّهم عارفين بالله وانظر في هذه الشروط وتحققها فيهم ثم احكم بنفسك.

شروط صحبة العارفين

بعد هذا نصل إلى صحبة العارفين، وكنت تأخرت عليكم قليلاً حتى أدوّن شيئاً ممّا فاض على القلب. صحبة العارفين أوّل شروطها ما قدّمته لكم في البداية.

1- الشرط الأوّل: المعرفة

أوّل شرط للصحبة: المعرفة. فكيف تصاحب عارفاً وأنت لا تعرف من هو العارف وما هو العارف؟ وكيف تعرف من إن لم تعرف ما: ما العارف حتى تعرف من العارف؟ فإنّ كنهية أي مسألة باب لتحديد باب لمنطقتها ومنطقتها (المنطقة التي هي فيها، والمنطق الذي يحيط بها والذي يجليها). فإن معرفة ما

العارف عموماً تحدّد لك من العارف خصوصاً على وجه التخصيص والتنصيب. ولا تحقيق بلا تصديق، فعليك أن تصدّق لتتحقّق ثمّ تُحقّق، وتُحقّق من باب التحقيق المعرفي وتحقّق من باب الإنجاز الميداني.

إنّ صحبة العارفين تحتاج معرفة العارفين، وقد أضع خلق كثير من أعمارهم في صحبة أدعياء المعرفة والولاية لعدم معرفتهم بكنهية العارف والمعرفة والولاية، كما يُضيع إنسان عمره وهو يمسك بشيء من الوحل ظناً أنّه ماء لأنّه لم يعرف الماء من قبل ولأنّ الوحل ادّعى له أنّه ماء زلال فخدعه، لأنّ الماء لا يخدع ولا يحتاج فقد احتيج إليه، أما الوحل فيخادع لأنّ الناس تستغني عنه بمجرد معرفته. وكذا العارف بالله الحق لا يحتاج صحبة الناس، ولكنّ دعيّ الولاية والعرفان يتحيّل حتى يصاحبه الناس، فالعارف بالله الحق أغناه الله عن الناس، وأغنى نفسه عن الاغترار فلا يبالي عدد من صدّقه وعدد من كذّبه وعدد من تبعه أو حاربه، أما الدجال فيحتاج إلى أن يزيّن نفسه ويزيّن بأثواب الحق مخفياً جوف الباطل، لابساً التقديس على التدنيس، جاعلاً في ذلك مصيدة لأجل الدنيا، يريد المال ويريد الافتخار ويريد ما يريد أصحاب الشهوات. لذلك ستجد الناس أمام العارفين الحق يفزون ويهربون ﴿وَإِنْ نَطَعُ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ ﴿وَإِنْ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ﴾ وتجدهم يتبعون كلّ دعيّ ناعق دجال.

وعلى هذا هُجر عليّ ابن أبي طالب يحفر الآبار وحيداً، وتُركت فاطمة تبكي حتى انتقلت، وتُرك الحسن قتيلاً وخانه جيشه أو شيء من جيشه في المدائن فاستلبوا ماله وطعنوه بخنجر مسموم حتى اضطّر أن يسلم لعدوّه وعدوّ أبيه وجده، لأنّه قال لصاحب جُهينة إذ سأله في المدائن "إما أن أعطي الأمر وأنا في عزّ، أو يسلموني له أو أسلم إليّ فيقتلني، أو يطلقني فيكون عاراً على آل بيت النبي إلى يوم القيامة". وهذا الموضوع الذي فيه الأدعياء كثر لأنّ الذي يُزرع في قلوب الناس من وهم -وفي نفوسهم- يُثمر بسرعة، أما زرع الحق فبطيء. احتاجت النبوة بنورها إلى 13 عاماً من البلاءات حتى يتأهل الصحابة للهجرة ولبناء دولتهم، أما مسيلمة الكذاب فاحتاج إلى شهرين ليجمع جيشاً كبيراً يتبعه فيخرج على أتباعه صارخاً: لقد جاءني جبريل فألقى عليّ وحياً (وهو وحل في الحقيقة) فقال: "يا ضفدع ذات ضفدعين، نقي ما تنقن، نصفك في الماء ونصفك في الطين"، فاشمأز الناس فهتف أحد أنصاره قائلاً: والله إنّي لأعلم أنّك كذاب وأنّ محمداً لصادق ولكنّ كذاب ربيعة خير لي من صادق مضر!! مجرد تعصّب أعمى أوصل صاحبه إلى نار جهنم. وكذا إلى اليوم، يقول النواصب أنّ الحسين قُتل بسيف جده وأنّ أمّه وأباه وعمّه أبا طالب في جهنم، ويفاخرون بقوم ليس فيهم مفخرة ويزاحمون بهم أشرف خلق الله وأفضلهم وأكرمهم وأشجعهم، وهكذا الأمر حتى يبعث الله من أراد أن يبعثه.

2- الشرط الثاني: التمييز والفهم

أما الشرط الثاني في صحبة العارفين هو أن تُميّز وتُميز وتفهم، أي أنّك إذا جئت إلى أمر فمحصّه، فإن كان باطلاً فقد فطنت له، وإن كان حقاً فإنّ الحق لا يضره التمحيص. وعلى هذا المعنى فإنّك:

- ❖ إذا ابتليت بعارف بالله فاعلم أنّ الله سبحانه وتعالى أراد أن يمتحنك
- ❖ وإذا ابتليت بدعيّ عرفان بالله فاعلم أنّ الله سبحانه وتعالى أراد أن يختبرك

فهذا الاختبار وهذه المحنة تحتاج إلى تمحيص إلى نظر، فإذا محصت الأمر وإذا ما نظرت في الشكل والنقل، وإذا ما نظرت في الكلام وإذا ما نظرت في اللغة وفي العلم، وإذا ما أتيت بتلك الشروط التي ذكرتها لك فنظرت فيها فوجدت تحقّقها، أعمل قلبك وأعد التمحيص جيّداً، لأنّه قد تجد أناساً تتوقّر فيهم

هذه الشروط كلها ظاهر الأمر، وهذا آفة التَّفَاق. تجد أقواماً يقولون أنّ النبي أحب إليهم من أنفسهم وأنهم آمنوا بالله، والقرآن ذكر ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنُوا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ﴾، هؤلاء موجودون حتى في زمن النبوة، عاهدوا النبي وبايعوه، وبعضهم بايع علي وقالوا له "بخ بخ لك"، ثم ينقض ثم ينقض ثم ينقض.

وتجد من يدعي حب آل البيت يلبس العمامة الشيعية ويضرب صدره عن العقيلة زينب ويتغنى عن كربلاء ولكته شيطان مريد، وتجد من يلبس العمامة الصوفية ويتكلم عن سيدي عبد القادر وعن الأولياء والصالحين وهو شيطان مريد، وتجد من يلبس العمامة السنّية ويتكلم عن التسنن والفقه والعلم بل يحفظ الكتب والمتون وهو شيطان لأن قلبه ليس فيه إخبارات حق، يتخذ ذلك مغنماً. فلذلك **فليكن في قلبك عين ترى بها وليكن لروحك أذن تسمع بها وليكن صاحب بصيرة ولتكن صاحب تمييز عقلي**، وقرأ ما يكتب هذا دعوى المعرفة واسأله في العلوم وجربه في الفهوم وانظر أحواله وانظر هل يطابق قوله فعله، لأن بعضهم يقول ما لا يفعل ويفعل ما لا يقول، وانظر هل ينظر إلى جيبك أم إلى قلبك، لأن الصالحين يسرقون القلوب ولا يسرقون الجيوب، وغيرها كثير مما يُعرف ومما يُنظر فيه.

3- الشرط الثالث: الأدب

وأما الشرط الثالث في صحبة العارف بعد التيقن أنه عارف: **الأدب**. إن هذا الأدب شرط أساسي، **إن التأدب مع العارفين بالله تأدب مع الله**، وهذا التأدب يستوجب عهداً ويستوجب وعداً ويستوجب مشقة الوصول، ويستوجب الصبر حتى الوصول والصبر عند الوصول والصبر على الطريق الذي ستسلكه مع هذا العارف. فإن المريد يسلك مع شيخه إلى ربه **مسلماً لله سبحانه وتعالى واثقاً في شيخه**، ولا أقول مسلماً لشيخه، إنما لما يكون ذلك الشيخ ربانياً سيجد المريد أن له تسليماً للشيخ لأنه بتسليمه لشيخه سلم لرسول الله نياحة عن رسول الله، فكان الشيخ نائباً عن ذلك النبي العظيم وسلم لرب العالمين، ومن هذا ﴿وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾. وهذه الآداب وشروطها ستكون مع نوعين من العارفين:

1. النوع الذي يكون على طريق تصوّف شرعي تزكوي ظاهر.
2. ونوع آخر وهو الأصعب والأعسر وهو النوع الخصري الذي يغيّر الأشكال والأحوال.

وهذا نوع تصعب صحبته جداً ولم يتحمّلها حتى كليم الله وإن كان قد اشترط على نفسه أن يتبعه وقال له أتي سأصبر ولا أعصي لك أمراً، وجعل له شروطاً تبدو بسيطة أنك لا تسألني عن شيء حتى أنبتك عن خبره وسره، وبدأت الرحلة وبدأ النبي موسى يرى ما يخالف ظاهر شرعه.

وهذا باب يدعيه كثيرون، أي يدعون أنهم لديهم هذا السر الخصري ولكنهم في الحقيقة يتكلمون في أمور لا يفهمونها. أي أنك تجد في بعض الكتب المدسوسة عن التصوّف أو حتى في هذا الوقت قوم يقولون لك مثلاً: إن تبعنا شهراً سترى النور، سنعطيك الاسم الأعظم، طيب ما هو هذا التور؟ كيف رأيت؟ ثم ما الذي جنيت من وراء ذلك؟ فإن الذي يرى النور بقلبه لا يراه بعينه أولاً، وإذا رآه بعينه فذلك مقام أعظم. ثم إن تلك المراني لها ثمرات، لها آثار ﴿وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ رَوْحٍ بِهِيج﴾، يعني أنّ هذه المراني الربانية النورانية ستورث علماً وستورث فهماً وستورث نوراً وستورث حالاً ومقالاً وجلالاً وجمالاً وقوة في الأعضاء والبدن، وستورث سلاسة في البيان وثباتاً في الجنان وفصاحة في اللسان، وستنبت نوراً من أنوار الرّحمان وورثة عن المصطفى من بني عدنان،

وستورث حباً وانتماءً للصالحين أهل الديوان، وستورث الإيمان والعرفان والإحسان، هذا ما تورثه هذه الأنوار.

أما أن يأتي الناس بالموهومين والمضللين والمخدوعين، ويقولون رأينا النور، ماذا رأيت؟ جلست على العرش، أين جلست؟ هذا عرش الشيطان جلست عليه، لم تجلس على عرش الرحمن!! هؤلاء صيادون ويدعون أنهم يقولون كلاماً لا يفهمه غيرهم، وهؤلاء كذابون لأن الله تكلم في القرآن كلاماً نفقهه ونفهمه ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ ليس فيه طلاس، وتكلم سيد الخلق ومن بعده الإمام عليّ وتكلم آل البيت والأصحاب والأقطاب بعربية بيانية ربانية معجزة ملغزة مرمزة فيها ما فيها من آيات الله، فيجب الانتباه لهذه المسائل. اليوم صار ادعاء العرفان وادعاء الولاية مصيدة وصار الجميع يدعي ما ليس عنده ويدعي وصلاً بليلى وليلى لا تعرفه...

4- الشرط الرابع: الإيمان بالغيب والعمل بالواقع

وأما الشرط الأخير الذي أقرحه ضمن هذا الدرس من شروط الصّحبة، من شروط صحبة العارفين بالله، الشرط الأخير في هذا الدرس (وإن كانت الشروط أطول وكلامي في هذا الدرس من صحبة العارفين هو من كتاب لي اسمه بهذا المعنى <<في صحبة العارفين>> ومن رواية سأنشرها أيضاً اسمها <<وليّ الله>> وفيها ما فيها من أسرار صحبة أهل الله)، صحبة العارفين ختاماً تستوجب من صاحبها أن يؤمن بالغيب ويعمل بالواقع. أي أن الذي يصاحب عارفاً بالله قد تتبدى له كرامات من يد ذلك العارف، وقد يكشف الله على بصره وعلى بصيرته فيريه أموراً تفوق الفهوم. ولكنّه إذا رأى ذلك لم ينشغل به ولم يقع في وهم السّجن في الإشارة دون فتح باب العبارة، فإنّ تلك الكرامات إشارات ربّانية وأنوار رحمانية، ولكنّ الله أعطاك وأهداك ذلك على طريق ذلك العارف بالله ليزيدك ثباتاً، ولتنبئك الحضرة أنّ هذا الرجل هو من عند الله، وأنّ نوبته عن حضرة الربوبية نوبة حقيقية، وأنّ إرثه المحمّدي الأحمدي إرث حق، وأنّ إرثه من آل بيت النبي إرث حق، ويكثر هذا ويجمّل ويعذب عند ذرية رسول الله وأحفادهم بل وكأنّه حكّر عليهم. فإذا أنبأتك الحضرة بذلك لا يجب أن تخلع وتزع عروقتك من أرض الواقع وتمضي إلى آفاق ما خلف الخلف وما وراء وراء، وتبقى منتظراً لإشارات وكرامات أخرى، إنما يزيدك ذلك رسوخاً.

ومن هذا المنطلق أدخل باب الإمام المهدي لأعود أولاً إلى شروط العارف بالله، لشرط صمّت عليه عمداً وأبقيته إلى هنا.

5 - الشرط الختامي للعارف بالله أن يكون مهدياً

إنّ الشرط الختامي للعارف بالله أن يكون مهدياً، لأنّ الاعتقاد في الإمام عليه السّلام وأنّ الله سيظهره وسينصره وسيؤيّد به كلماته وآياته وملائكته، وسيجليّ عليه الأسماء والصفات، وسيمكن له من حكم الدنيا كلّها والأرض قاطبة، وسيكسر به وله كلّ الجبابرة على ما يكون من تبدّي أوهام قوتهم كما تبدّت أوهام عاد وفرعون ذي الأوتاد ﴿قَدَمَدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذُنُوبِهِمْ فَحَسَّوْهَا وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا﴾، سيدمدم الله على الذين أذنبوا بسرّ هذا الإمام.

وهذه عقيدة وليست مسألة نظرية ضمنية، إنما هذا من منطوق سر القرآن، ومن منطوق لفظ المصطفى العبدان، ومما جزم به الإمام علي والحسان، ومما تكلم عليه الصالحون أهل الذوق والعرفان. إن الإيمان بهذه القضية المهدوية إيمان بانتصار الحق على الباطل، وإيمان بعودة الأرض إلى أهلها، وإيمان بقيامة قائم ينوب عن آل محمد في مظلمتهم، وإيمان بنصرة ناصر من الله لدين الله الذي افنك والذي فعلت به الأفاعيل تدليساً وتزييفاً، وإيمان بنصر النبي محمد الذي ظلم كثيراً وأخفي كثير من سنته وتقول عليه ودس عليه الكثير، وإيمان بولاية علي ابن أبي طالب وانتصار له وانتصار للحسنين وأخذ بالحق الفاطمي الحسيني الحسيني الكربلائي، إيمان بالقدس وفلسطين، إيمان بقرب الساعة، إيمان بآيات الله في كتابه العزيز يعد نبئيه ﴿وَلْيَتَّبِعُوا مَا عَلَّمُوا تَتَّبِعُوا﴾.

وهذه القضية المهدوية إذا اتصلت بعارف بالله ينوب عنها ويمهد لها حتى يكون محمدي الأصول مهدي الوصول، يجب أن تُكَيَّفَ على الكيف الواقعي، بمعنى أن تكييفها يجب أن يكون ثابتاً نابتاً في أرض الواقع، مع فقه واقع وفهم واقع ودربة جسم وعقل وتهذيب نفس وسعي في الخيرات ومسارة في الصالحات وبذل الجهودات وفعل ما يتوجب فعله لنصرة سيد الكائنات وتحقيق النبوءات العظيمة القادمة لا محالة في يوم قريب آت. وهذا الأمر يجب أن يتجلى من مجالي سر الذات والصفات ومن نور تلك المشكاة، فلات ملات وهبهات هيئات أن يُنال هذا ما لم يُشرف القلب بهذا النور الرباني العظيم، النور المحمدي، النور المهدي، النور الرباني، السناء النوراني، السر القرآني.

خاتمة

إن العارف بالله حقاً عارف بكتاب الله وعارف بسر كتاب الله، قارئ لكتاب الله مفسر لكتاب الله، لا على التفاسير التي تجدها في الكتب ففيها ما فيها من دس كعب ووهب وغير ذلك من الإسرائيليات، بل على مجالي ومعاني تتفق مع الواقع. إن المحمدية المهدوية التابعة للعارفين بالله منارة تنير لغيره، وإن هذا الانتظار بدار وليس مجرد انتظار، أي مبادرة لكل خير، فعل وعمل ونفع للذات والآخرين. لا تجلس سلبياً وتقول "أنا أتبع العارفين"، لا ترضى وتقبل بأن تكون مرمياً في حفرة من حفر اليأس والعدمية وال فشل والتوهم أنك مسحور وأنت مقبور وأن الشرّ فيك غالب وتدعي حبّ عليّ ابن أبي طالب. يجب أن تكون ثورة على كل معنى سلبي، أن تكون مليئاً بالمحبة لتشرق منك شمس الربوبية وتنطق بألسنة نبوية ويجلي عليك الله سرّاً محمدياً أحمدياً يراه الناس عياناً ويسمعونه بياناً. وهذا مع عمل كثير كثيف على النفس، فإن النفس وشيطانها لا يتوبان مهما رأيا من نور روحك، فإن هذا العمل يجب أن يكون صادقاً. أيّاً كان الشر الذي فيك، أيّاً كان المرض الذي في باطنك، أيّاً كانت الذنوب التي قمت بها، انهض مجدداً وقاتل، جابه هذه الشياطين، انزل في آبارها، امض إليها حيث تنبت واجتث أشجارها، وقاتلها بالخير والنور والصلاح، واصبر على ما أصابك، وتجاوز ما كان من سيئات، وسامح نفسك لتنعم بنور صفح ربك عليك، لأنّ ذنوبك لا تضرّ الله بل تضرّك أنت، فإن الله يعفو عنك ب"كن"، ولكن يصعب عليك أحياناً أن تعفو عن نفسك لعظيم ما قد تقترف من حماقات وأخطاء، وأنت بشري خطاء محدود.

الذي يتأهب ويريد أن يكون في هذه الحضرة المهدوية وفي هذه المنارة المحمدية عليه أن يلتزم بهذه الشّروط، بأن يقيم الحجّة حتى يظهر الحجّة، بأن يؤمن بالغيب ويعمل بالواقع، بأن لا تكون في قلبه ضغينة ولا حسد لمخلوق، بأن لا يكون فيه كبر ولا عجب ولا غرور ولا يكون من أهل الزور ولا يكون جباناً ولا هيباً ولا خائفاً ولا طمّاعاً، وأن يقاوم ويقاوم ويقاوم ما في نفسه من ألم، وأن يقول قولة

الشاعر: **جُرحت وجرحي بسيط، وحلمي بسيط، وإي أقسم أقسم أيّ أقاتل، وسوف أظلّ أقاتل، وسوف أقاتل، وسوف أظلّ ليولد حقّ ويزهق باطل، هكذا ستمضي هذه السفينة بعون الله.**

جزاكم الله خيراً على المتابعة، نرجو أن تشاركوا هذا الدرس القيم على من ترون من أحبّابكم، أعلم يقيناً أنّ هذه السلعة الربانيّة التي أعرضها قليل من يشتريها، لأنّ طبع الكلاب تأكل الجيف، وطبع الثّمر تصطاد الغزلان بصبر وتؤدة وبقلّة في العدد ووفرة في المدد. فهذا خطاب للثّمر، خطاب لصائدي المعاني الرّاقية، خطاب للمحبّين، أمّا الآخرون فلهم في جيف الكلام كثير، ولهم في اتّباع الأفاقين كثير، ولهم ما أرادوا من اتّباع من أظلمت قلوبهم، وليس لنا في ما عندهم من حال مصيدة، وليس لنا في ذلك مرغبة ولا طلب ولا مطلبة، إنّما نروم أن نصطاد القلوب المحبّة بمصائد الثّور، حتّى نأتي بها إلى حبّ الله ورسوله وآل بيته والصّالحين، للإسعاد والإمداد، ولا إمداد بلا استعداد، وعلى قدر التّصديق يكون التّحقيق، والموصول بالموصول موصول، والدّاخِل بالمقبول مقبول.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الحاضرة بتاريخ: 14-11-2022



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

التأمل الأربعون: هذا فصل الكلام عن الإمام الحسين عليه السلام

مقدمة

الحمد لله الذي هدانا بسيد خلقه وإمام رسله وخاتم أنبيائه والذي دلنا عليه به ودلنا عليه برسوله ودلنا على الحق في قلوبنا وعلم وفهم في عقولنا وجعل على ذلك حبةً في أرواحنا، والحمد لله على نعم الله وعلى نعمة رسول الله رحمته للعالمين شفيعنا وإمامنا وسيدنا ومولانا محمد. وصلى الله على الهادي الأمين سيد المرسلين إمام أهل اليقين معراج العاشقين وقبلة القلوب المحبة الموقنة المطمئنة التي غمرتها السكينة بعشق ساكن المدينة، وعلى آله مرايا ذاته ومجالي صفاته الذين جاهدوا في الله حق جهاده وآمنوا وصبروا وكانوا هداة للناس وكانوا أهل خير وفضل عظيم عميم لأنهم لم يقفوا موقف العاجز الصامت على كل ما كان في أمة جدّهم من فتن وأهوال ومن مصائب سبّها الحاقدون والفاسدون والناكثون بل إنهم نصحوا الله ونصحوا في سبيل الله وأخلصوا لله وتوكلوا على الله وجاهدوا في الله وساروا بالله وأتاهم المدد من الله.

مكانة آل البيت

والناظر في مسيرة هؤلاء الأعلام والأقطاب والآل الطيبين الطاهرين يجد أنه كلما جاء للأمة ظلام أظهرهم الله كالشمس، ويجد أنهم كانوا على نهج جدّهم وطبّقوا وصاياه والتزموا دينه ونهجه وشرعه، وكانوا قرآناً يسعى بين الناس كانوا أئمة في خلقه. والأحاديث الواردة من رسول الله وعنه صلى الله عليه وعلى آله وسلّم في محبتهم كثيرة، أوصى بها أصحابه رضوان الله عليهم وأوصى بها أمته كلها ودعى الأمة إلى حبهم فقال "أحبوا الله لما يغذوكم به من النعم وأحبوني لحب الله وأحبوا آل بيتي لحبي"، وقال "مثل آل بيتي فيكم

كسفينة نوح من تمسك بها نجي ومن تخلف عنها هلك"، "مثل آل بيتي فيكم كباب حطة" وباب حطة معلوم أنّ بني إسرائيل أمروا بدخوله ﴿وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةً نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ﴾.

وتكلم عن آل بيته تفصيلاً في كلام كثير "فاطمة بضعة مني يربيني ما يربينا" "من عرفها فقد عرفها هذه فاطمة بنت محمد" "فاطمة حوراء إنسية" وغير ذلك من الكلام. وقال عن الإمام علي "أنت مني بمنزلة هارون من موسى غير أنه لا نبي بعدي" أو "لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله" "ضربة علي يوم الخندق بعمل الثقلين أو بعمل أمتي إلى يوم القيامة". وعن الحسن قال أيضاً "إنّ ابني هذا إمام" "الحسن والحسين سيّد شباب أهل الجنة" "الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا". وصلى مرة العصر كما روى لنا ابن عباس حبر الأمة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وعن أبيه، ثم إنه خرج يحمل الحسن والحسين وقال "أيها الناس ألا أخبركم بخير الناس جداً وجدة، ألا أخبركم بخير الناس أمماً وأباً، ألا أخبركم بخير الناس عمماً وعمّة، ألا أخبركم بخير الناس خالاً وخالة؟! الحسن والحسين جدّهما رسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وجدتهما خديجة بنت خويلد وأبوهما علي ابن أبي طالب وأمهما فاطمة بنت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وعمهما جعفر ابن أبي طالب وعمتهما أم هانئ بنت أبي طالب وخالهما القاسم ابن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وخالاتهما زينب ورقية وأم كئثوم بنات رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، جدّهما في الجنة وجدتهما في الجنة وأبوهما في الجنة وأمهما في الجنة وعمتهما في الجنة وخالهما في الجنة وخالاتهما في الجنة وهما في الجنة ومن أحبهما في الجنة".

فهذه الأحاديث الواضحة الجليلة تُبين ما لآل البيت من مكانة "تركت فيكم الثقلين ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي أبداً: كتاب الله وعترتي آل بيتي" "أوصيكم الله في آل بيتي" "الله الله في آل بيتي". وظل يُذكر وفي غدیر خم ظل يُنادي وفي غيرها وهو يعلم أنه ملاقي ربه، كان يوصي بالبيت ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾. وعليه، لا يستقيم إيمان مؤمن وإسلام مسلم شهد لله بالألوهية ولرسوله بالرسالة إن لم يُحب هؤلاء السادة "أحبوا الله لما يغذوكم به من النعم -يحبهم ويحبونه- وأحبوني لحب الله (هل يستقيم إيمان المؤمن لا يحب الله أو لا يحب رسول الله؟! ولكنه جعلها سلسلة متصلة!) وأحبوا آل بيتي لحبي" هذا أمر صادر للصحابة ومن كان بعدهم.

وليست هذه القضية قضية أمة قد خلت كما يقول البعض ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ﴾ ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾ هي أمة واحدة، ﴿كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا أُمَمٌ﴾ هي أمة واحدة من رسول الله إلى يوم القيامة قال "أمة أنا أولها والمهدي أوسطها وعيسى آخرها". فلا يقولنّ أحدٌ تلك أمةٌ قد خلت، هذا كلام مزيف كلام يقوله الذين في قلوبهم شيء وفي أنفسهم شيء، هي أمة واحدة.

محبة آل البيت واجبة على كل مسلم شهد أن لا إله إلا الله وأنّ محمداً رسول الله بنص أمر رسول الله ﴿وَاطِيعُوا اللَّهَ وَاطِيعُوا الرَّسُولَ﴾، التسليم الكلي، راجعوا آيات القرآن في التعاليم المحمدية، إنّ رسول الله إذا أمرك بأمر فليس لك أن تجادل فيه بل أن تطيعه لأنه ما ينطق عن الهوى. لم يكن كلام رسول الله عن آل بيته من باب الهوى والنفوس من باب الإيثار لآل بيته لأنهم آل بيته، بل كان يعلم أنّ آل بيته سيلقون من بعده تشريداً وتقتيلاً وبكى على الحسين قبل أن يُقتل.

الحسين مني وأنا من حسين

كل آل البيت إذآ في وصايا الحبيب جليّ الأمر بحبهم، ولكنه خص الحسين عليه السلام بخاصيةٍ لم يختصّ بها غيره، فقال "الحسين مني وأنا من حسين، أحب الله من أحب حسيناً"

1. الحسين مني: جليةً واضحة، هو ولده "إنّ ولدي هذا سيدٌ" كما قال.
2. وأنا من حسين: أليس لذلك دلالة وخاصية؟! رسول الله ثبت أنه بكى مقتل ولده، وقال "إنّ أمّتي هذه تقتل ولدي". ولكن لما قال "أنا من حسين"؟ لأنه أراد أن يُقرّر للأمة وأن يُبين لها أنه من حسين إذ يُطعن ومن حسين إذ يُجرح، أنه إذا جرح ابنه فقد جرح هو، أنه إذا حورب ولده فهو الذي قد حورب، وأنه منه ومعه في تلك الملحمة وأنه منه أي يقفُ معه مقاتلاً معه مدافعاً عنه وإن بالروح وليس بالجسد.

"الحسين مني وأنا من حسين، أحب الله من أحب حسيناً" ألا يستجيب الله لدعاء نبيه؟ فالله سيحب من أحب هذا الإمام. فما لكم يا قوم إذا قلنا وحاضرنا ألف ألف ساعة عن الصحابة -ونحن نوَقّر الصحابة- يستبشر الناس، وإذا زدنا في الكلام عن الذين ناصبوهم العداة وقتلوهم فقلنا: يزيد رجل صالح، ابتليّ بأمر من بينها خروج الحسين ابن علي عليه، وقد أخطأ الحسين وأصاب يزيد والحسين قُتِلَ بسيف جده، ومن خرج عليكم وأمركم جميع فافتلوه كائناً من كان. إذا تكلمنا في مناقب يزيد وأهله فرح الكثيرون، وإذا ذكرنا علياً وذكرنا مناقبه وحب النبي له ومكانته ومنزلته ترى وجوهاً كثيرة تكفهرّ وقلوباً تشمئزّ وأنفساً مريضةً لا تقبل بهذا الكلام، أو يُقال لك إذا ذكرت آل البيت "أنت شيوعي" وهي يافطة تُرفع في وجه كل محب وعاشق لآل البيت، يُقتل من يُقتل ويُهجر من يُهجر ويترك من يُترك. وتجد بعض علماء السنة وحتى الصوفية يخشون ذكر هذه المسألة يخافون ذكر كربلاء، يتزحلّقون حول المعاني والمباني والتواريخ، يريدون أن يحتفظوا برميم الدنيا يخشون بطش يزيد وهو رميم في قبره (إن كان له قبر).

مشهد كربلاء

إنّ محبة الحسين لا تتعلق بمذهب، تجاوزوا الخط الديني إلى الخط الإنساني، كل حر مؤمن صابرٍ سيحب هذا الإمام الذي وقف مع الله مشهداً وموقفاً لم يقفه غيره، إنه الذبح العظيم الذي افتُدي به إسماعيل، إنه المشهد الذي جسّد عشق الله في الإطلاق، يرى أولاده يُقتلون واحداً واحداً، يحاصره الظمأ، يعلم أنّ بناته وأخواته سيُسبين، يرى رضيعه يُقتل بين يديه يرى جسمه يُمزق مزقاً يكبو وينهض، تخترقه السهام وإذا صُرب قومه ومن معه في السهام قال "قوموا يرحمكم الله هذه مراسيل القوم إليكم"، يُقيم قوسه في الليل ويُنشد *يا دهر أفٍ لك من خليل* ويعلم أنه مقتول، يرى زينب ويرى الخيم تُحرق، يرى ولده علي الأكبر يقول له "قد أخذ مني العطش مأخذاً يا أبي" ثم يقول "إنّ رسول الله يقرئك السلام ويدعوك" فيقول "يا رب إنهم قتلوا أشبه الناس خُلُقاً وخلقةً برسولك".

يُصلي بهم قبل قتله، يُصلي فيقول أحد الأشقياء "إنّ صلاتك لا تُقبل" أي إسلام هذا؟! أكان هؤلاء مسلمين؟! أكان هؤلاء مؤمنين يعتقدون في القيامة والساعة وأنّ الله بهم محيط؟! يسمع صرخة العباس وهو تُقطع يده، يُحاصر، لماذا لا تقرؤون هذا التاريخ؟! لماذا تفرّ المدرسة السننية منه؟! وأعني المدرسة التي أرادوا أن تكون هي المدرسة السننية وهي في الحقيقة النواصب، إنما أهل السنة الحق والصوفية الحق عشاق لآل البيت ذائدون عن الحسين وأهله، يذّبون عنهم بالشعر والكلام وأرواحهم فداء، ولسنا في خلاف حول هذا مع إخوتنا الشيعة إنما الخلاف في مسائل أخرى وعلى الجميع أن يحترم رموز الجميع، ولكن متى كان يزيد رمزاً للسنة؟ متى كان هؤلاء القتلة والسفاكين رموزاً؟! متى وجب حبهم؟! وكأنّ رسول الله قال "أحبوا الله لما يغذوكم به من النعم وأحبوني لحب الله وأحبوا يزيداً لحبي" وكأنه قال "من كنت مولاه فهذا يزيد أو أبوه مولاه".

وهذا العبت قميء وأن أن ينتهي وسينتهي شاء أم أبي، كما رأيتم أنّ جندياً صغيراً اسمه كورونا أوقف العالم، فكيف بإمام عظيم من نسل نبي عظيم يخرج بأمر العظيم ومدد عظيم وقوة العظيم، أمراً وفرماناً قهرياً سلطانياً كخروج جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ على قوم لوط مع اختلاف المثال، وكلاهما جنديان لله عظيمان، سيخرج بأمر الله في أجل قريب.

فما يقول المرء لرسوله يوم يلقي رسوله؟! إن لم تبك يوماً على ابن بنت رسول الله وعلى ما بكى عليه رسول الله في قلبك شيء، حبك للنبي أن تُسرّ بما سرّ به وأن تحزن لما حزن له. البعض في هذه الأمة يكفهّر وجهه عند المولد اكفهرار إبليس ويطرب في عاشوراء طرب يزيد ويجعلون لذلك قصصاً: يوم نجا نوح من الطوفان، يوم نجا موسى من فرعون، وإذا ذكرنا الحسين وكربلاء قالوا تلك أمة قد خلت، تكلمنا عن نفس الأمة، أما هم يذكرون الأمة التي قد خلت ذلك جيد، افرح في عاشوراء وارقص وأنت تسترجع تقتيلاً شنيعاً ما رأت الأرض مثله وصبراً ما رأت الأرض مثله وجهاداً وكفاحاً وإباءً وشجاعةً أذهلت الملائكة، أذهلت جبال الأرض الشّم، كما قلت في قصيدة:

أَنْ الشجاعة قد عراها ذهول
أَنْ الثبات إلى الحسين يؤول
وبكت عليه بيادرٌ وحقول
هي حيرةٌ للشعرِ ماذا يقول

الموت يشهدُ للحسين إذا أتى
والأرض تُقسمُ إذ رآته جبالها
حتى الترابُ بكاهُ حين عناقه
يا فلذة الزهراءِ يا علم الورى

محبة الحسين لا تتعلق بمذهب

إنه أمرٌ مغضب، إما أن تكون سنياً ناصبياً أو أن تكون شيعياً رافضياً في زعمهم. وإن كنت أرى التشيع للإمام علي شرف لكل من راعي حرمة ذلك الانتماء. لا تقل "أنا شيعي" وتكتفي بـ"صلّ على محمد وآل محمد" وتضع العمامة على رأسك وتقول الإمام الحسين وتبكي وأنت لا تطبق أخلاقه، تكتفي باللعن والشتم، كما فعل بعض الحمقى في مقال كتبته ساخراً ويظهر في الكلمات أنها سخرية ((يزيد عليه السلام

ورحمة الله وبركاته)) كما أضفت. ما لك أنت تدعي التشيع ولا تطبق أخلاق الأئمة؟! ألم يقل الإمام جعفر الصادق: **"ذكروا الناس بأخلاقنا" "حبوهم فينا"**. كم مرة أئمة أهل البيت تبرأوا من كثير من أتباعهم لأن بعضهم تاجر بأسمائهم افتري عليهم، ليس كل من يقول "لبيك يا حسين" يحبه الحسين، رب منادٍ بذلك والحسين يلعنه!! أما المتشيع الذي يفقه ويفهم ويلتزم وينضبط ويُطبّق أخلاق هؤلاء السادة فأهلاً وسهلاً بأخي الإيمان والإسلام. وخلافنا الفقهي أو خلافنا التاريخي له سياقاته وأطره (ما كان في السقيفة وما بعدها).

وكذلك المدرسة السنية العظيمة والتي خرج أئمتها من مدارس آل البيت، من أين خرج أبو حنيفة النعمان؟ تتلمذ على يد الإمام جعفر الصادق، تتلمذ الإمام مالك على يد الإمام جعفر الصادق، والإمام الشافعي الذي قال:

إن كان رفضاً حبّ آل محمّد فليشهد الثّقان أنّي رافضي

وكذلك أئمة التصوف: ألم يكن الشيخ عبد القادر الجيلاني شريفاً حسيباً حسنياً حسينياً وكان الإمام الرفاعي أيضاً حسينياً شريفاً؟ والشاذلي والأسمر وغيرهم الإمام التيجاني، كل أشياخ التصوف الكبار، سيدي أحمد البدوي إبراهيم الدسوقي معين الدين الجشتي كلهم من سلالة آل البيت ويهيمون عشقاً لآل البيت. فكيف نرى اليوم صوفهائية (صوفية وهابية)؟ قلوبهم قلوب نواصب! ليس كل من قال "مدد يا شيخ عبد القادر" يحبه الشيخ عبد القادر، كم كاذب متخذ للسحر والدجل والشعوذة يسلب به أموال الناس ونساء الناس، مدّع بالخزعبلات والمنامات وقلة العلم أنه خليفة رسول الله ووارثه وأنّ الخضر نجيته ولا يعلم من العلم شيئاً. أي سرّ تكتُمونه وأنتم لا سرّ لكم؟! والسر في محمد وآل محمد إلى يوم القيامة، هي سلسلة بيد رسول الله أعلاها ونحن أدناها وإذا تحرك أدناها تحرك أعلاها، وهذا مدد ونور لا ينقطع وسر لا يمتنع من أحبه به ينتفع ومن لم يرد فهو مسلوب محجوب غير موهوب.

لذلك أردنا هذه الكلمة، أردناها تحية من القلب لكل عشاق الحسين، ولإيّ له، وددنا لو أننا طُعنا مكانه، ولو كانت لنا ألف روح ولو كان لي ألف ولدٍ لقتلوا مكانه. ويشهد الله أنني كنت أحضن ولدي يوماً وأنا في نزلٍ مقابل للقبّة عند الإمام الحسين وقلت **"هذا ولدي أحب إليّ من روحي وددت لو أنني وضعتّه تحت قدميك"**، وإن كنت أضع تحت قدميه ما هو له، فهو ولده قبل أن يكون ولدي، والنبي أولى بالناس من أنفسهم، وهو ابن النبي وهو أولى بالناس من أنفسهم، وإن كان كذلك من نسله ودمه حسنياً حسينياً يقينياً، كذلك نحن.

والله ليظهرنّ الحق ولو كره الكارهون

فلذلك، كل من يرتاب في هذه المسألة كل من يخاف: لقد جاءك من كورونا نذير أول، جندي صغير، قارن حجم كورونا إلى حجم كوكب نيبورو ستفهم، وقد اقترب الوعد الحق، ولم يبق إلا ما يُعدّ على أصابع اليد أو اليدين. وبالله وتالله ووالله ليظهرنّ الحق ولو كره الكارهون ومهما فجروا وفخخوا، ولتعلونّ راية آل البيت راية محمد ابن عبد الله على الأرض كلها برجل من آل بيت رسول الله، إمام قدّر الله أن يكون في آخر الزمان ولإن كانت روحه من نفس شجرة الإمام علي ورسول الله وآل البيت والأنبياء والصالحين.

كل مسلم واجب عليه أن يحب آل البيت، أن يغضب لما أغضبهم أن يحزن لما أحزنهم أن يبكي لما أبكاهم أن يتألم قلبه أن يتلقى طعنات معنوية كما تلقوا هم طعنات حقيقية في سبيل إعلاء كلمة الحق. لم يُقتل الإمام الحسين لأنه هرب من يزيد بمالٍ أو نافسه في ملكٍ أو نازعه في حكمٍ أو رفضه حسداً منه وإبغاضاً، بل لأنه الحسين ابن علي وفاطمة بنت النبي عليهم السلام، كجريمة يوسف أنه جميل أُلقي في البئر وفي السجن. حورب أبوه لعظمة سره حورب جده لعظمة سره وأبغضت أمه لعظمة سرها وقُتل أخوه بالسلم لعظمة سره وقُتل هو وأولاده وأولاد أخيه وأصحابه لسر عظيم فيهم، ولكنّ الله نشر نسلهم ﴿إِنَّا أَعْظَمْنَاكَ الْكُوْتَر﴾ ومحق نسل أعدائهم، وسوف يلقون ريباً غاضباً. وكذلك من كانوا مثلهم بقلوبهم، في نص من أحاديث النبي أنّ "المرء يكون غنياً فيفعل بذلك الباطل وفقير يقول لو كان عندي مال لفعلت مثله فيُكتب له ذنبه، وآخر يرى غنياً يفعل الكرم ويأتي الجود فيقول وهو فقير لو كان عندي مال لفعلت مثله فيُكتب له مثل أجره" "الأعمال بالنيات ولكل امرئ ما نوى"، كثيرون إلى اليوم يتمنون أنهم لو حضروا مع جند يزيد لقتلوا الحسين وأنها كانت بيعة شرعية، والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَرَادَ أَنْ يُخْرِيزَهُمْ فَأَظْهَرَ ذَلِكَ فِي قُلُوبِهِمْ ﴿تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ﴾.

خاتمة

فنسأل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَنْ يثبتنا على محبة آل البيت وعلى محبة صاحب البيت وسيد البيت سيدنا وإمامنا ونبينا محمد وعلى محبة الأنبياء والصالحين وعلى محبة المرسلين والملائكة وأهل عليين وعلى محبة خلق الله الطيبين المؤمنين الموقنين وعلى محبة اليقين وأهل اليقين وعلى محبة لقيا الله والثبات على دين الله والسير على نهج رسول الله والسير على نهج من قال "من كنت مولاه فهذا علي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله" ولن نخذله إن شاء الله، وعلى نهج الزهراء وبنيتها وسبطيها الحسن والحسين الإمامين الريحانتين السبطين وزينب الشريفة الطيبة النقية الأبية وعلى نهج أحفادهم وأولادهم وعلى نهج ذرياتهم الصادقين المؤمنين. ومن أراد أن ينسبنا إلى أي مذهب شاء فليفعل بذلك ما شاء وليأت البحر فيشربه وليأت الصخر فينطحه بقرنه وليأت بمكره بما أراد، نحن والحمد لله على نهج علمائنا وأشياخنا من مدرسة الزيتونة الطيبة الكريمة التي خرج منها أقطاب

وعلماء في بلاد إفريقية ومن بينهم سيدي إبراهيم الرياحي علامة في وقته والذي قال في قصيدة شهيرة من قصائده:

وفرع الطهر بالحسن الولي
قتيلاً من يد الشمر الشقي

إلهي قد سألتك بالنبي
بمولانا الحسين ومن قد أضحي

ويذكر الأئمة إلى الإمام المهدي ثم يقول:

أموت عليه بالعهد الوفيّ

أدم لي حب أهل البيت حتى

وهذا عهدنا الوفي والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.



كلمة عن كربلاء



بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله على سيدنا محمد النبي الكريم وعلى آله الطيبين الطاهرين العرّ الميامين مصابيح الهدى واليقين.

في كل عام للأحرار والمؤمنين والصادقين موعداً، من محرم الحرام فيه ذكرى عظيمة ولئن كانت كذلك ذكرى أليمة، في أيام خرج فيها إمام ابن إمام حفيد خير الأنام وابن بنت رسول الله ﷺ سيدنا الإمام الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى الطفّ، وقال أنه ما خرج بطراً، إنما خرج يريد الإصلاح في أمة جده. وهذا الخروج له معانٍ كثيرة ومجال عديدة، لأنه لم يقبل أن يُترك الإسلام رهيناً لدى طغمة فاسدة وزمرة حاقدة وجماعة جاحدة، لم تؤمن بالله حقاً ولم تصدّق برسوله ولا صدّقت بكلمات الله، إنما أرادوا الملك مغنماً، وأرادوا الدين قناعاً، واتخذوا الدنيا متاعاً، وكانت رؤياهم رؤياً حقدٍ وشرٍ ومكر، إذ أنّ الأمر ليس فقط قتالاً ضد الإمام الحسين بل ضد جده وأبيه، وهو مقصدٌ فيه حقد يرجع إلى بدر وما قبلها وما بعدها. والذي يُدقق في التاريخ ويحقق جيداً يجد تفاصيل هذه المسائل، ولئن تمّت تعمياتٌ كثيرة وكم تمّت مواريات عديدة من أجل تغطية هذه الحقائق.

خروج الإمام الحسين خروج للحق، طلوع للشمس، ظهورٌ للبينة، خروج الأنبياء على كُفر أقوامهم. موقفٌ كان عليه أن يتّخذهُ وأن يقفه، رُغم أنه يعلم أنه سيقتل، ويعلم أنه خرج في فئة قليلة من آل بيته وبعض من خُلص أصحابه وأتباعه، ويعلم جيداً اختلاف موازين القوى، ولكنّ الحق المُستضعف المحاصر أقوى من الباطل المُدجج بالأسلحة والأكاذيب والأحقاد.

مشهد كربلاء مشهد من أيام الله، من أيام الإباء والصبر والفداء والتضحية، جسّد فيها الإمام الحسين كل المعاني التي قاتل وجاهد من أجلها الأنبياء، وكل المعاني التي جاهد من أجلها جده ثم أبوه، كل المعاني التي على آل البيت خاصة من دون الناس أن يحملوها بين الناس، لأنهم معاريج كل أهل الحق، لأنهم قمم في الأخلاق والتضحية والإيمان واليقين، لأنهم أقطاب الورى وأسياد الورى.

ولذلك لم يكن خروج الإمام الحسين كما يدّعي بعضهم خروجاً عن إمام زمانه، وهل كان يزيد إماماً؟! ولم يكن تفرقة للمسلمين بل كان انتصاراً لكل مسلم حر، ولم يكن أيضاً تشتيماً للدين وتمزيقاً لأواصره بل انتصاراً للدين. والدليل على ذلك أنّ تلك الحركة الحسينية استمرت في قلوب المؤمنين والصامدين على اختلاف المذاهب والتوجهات والرؤى، بل استمرت في مسارات إنسانية كبيرة، فهو إمام التضحية ورائد الأحرار جميعاً من أبناء آدم.

وعليه، فكل عام والأحرار صامدون، كل عام ويرتفع صوت الأحرار هيهات منا الذلة، وكل عام وأهل الخزي والعار والجحود يخفون حقدهم، ويحاولون أن يُزيّفوا الحقائق، ويتهموا رجلاً كان أعظم من تصوراتهم، كان أكرم من ظنونهم، ويكفيه أنه ابن بنت النبي صلى الله عليه وآله وأنه الزكي أخلاقاً والإمام في كل ما فعل.

إنه سيد شباب الجنة، ويكفيه فيه قول جده صلى الله عليه وآله: "الحُسَيْنُ مِنِّي وَأَنَا مِنْ حُسَيْنٍ، أَحَبَّ اللَّهُ مَنْ أَحَبَّ حُسَيْنًا".





لماذا نذكر كربلاء



بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأسعد الكريم وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين، ورضي الله عن أصحابه أجمعين، وسلاماً على أولياء الله الصالحين أهل الصبر والعزم واليقين. ما أردنا الكلام عنه في هذا الموضوع الزماني وهذا الوقت الذي ترجع فيه الذكرى كل عام، ذكرى تؤلم في الحقيقة وتُغضب، ولكن الله أرادها لتكون بيّنة على الناس وبيّنة بين الناس، حتى يظهر المحب الصادق من الذي في قلبه مرض.

كربلاء بجميع المعاني ليست محدودة في زمان وقوعها ومكان وقوعها، وليس شخص الإمام الحسين محدداً في ذاته فقط، بل المسألة رمزيات كبرى تستحق الدراسة والبحث والتحليل بتجرّد دون تعصّب ودون وجود أي ضغينة أو هوى.

وعليه، فإنّ الكلام عن هذه الملحمة العظيمة لا يعني انتماءً لمذهب دون آخر، أي أنّ الكلام عن الإمام الحسين ليس حكراً على من هم في مذهب آل البيت أو مذهب التشيع، وليس مقصوراً ومحصوراً عن أهل السنة والجماعة. إذ أنّ الدارس لتاريخ هذا المذهب العظيم يجد أنّ أقطابه وكبار علماء كانت لديهم قصائد وخطب وكتب حول كربلاء وحول الإمام الحسين، ولقارئ يقرأ ما قاله الإمام الشافعي وما قاله سواه، وحتى في بلاد إفريقية كان هذا الأمر كل عام في ذكرى كربلاء كان هنالك مجالس تقام في القيروان وفي الزيتونة أيضاً، وأكابر علماء الزيتونة كان لديهم كلام كثير حول آل البيت وحول الإمام الحسين، بل وإنّ معظمهم وكثير منهم منسوبون إلى الإمام الحسين والإمام الحسن بحكم أنّ المغرب العربي دوحة لآل إدريس بن عبدالله الكامل ابن الحسن المثنى ابن الإمام الحسن، وكذلك عديد وكثير من الأسر الشريفة الحسينية.

هل أننا إذا تكلمنا عن كربلاء أردنا بذلك التفرقة والفتنة، وأردنا بذلك إيقاظ نار الثأر والدعوة إلى الثأر؟! هذا يردده البعض. والحقيقة إننا خارج هذا الإطار. أولاً الفتنة لم تنم يوماً حتى نوقظها، الفتنة موجودة وكائنة في الأمة منذ الأيام الأولى إلى اليوم إلى أن يظهر الله من أراد إظهاره ليوقف تلك الفتنة. الفتنة لها وجوه كثيرة، حروب بين أبناء الأمة، حروب بين دول، مآسٍ كثيرة في هذا التاريخ تثبت أن الفتنة لم تتوقف يوماً، حتى نوقظها نحن بالكلام، فهذا باب يجب أن يُفعل. وحتى إن افترضنا أن الفتنة نائمة فليس الكلام عن هذا الحق الحسيني هذا الحق النبوي هذا الحق الرباني، مما يستجلب الفتنة، بل مما **يحلل هذه المأساة لماذا وكيف، ويبين موقف مبدئي منها.**

وأما مسألة الثأر فمن مثل الإمام الحسين حتى نأخذه بدمه؟! هذا إن كنا نفكر بهذا الشكل، ولكن الحقيقة أن هذه أراجيف. نحن نريد أن نتبين الحق وأن نكشفه للناس.

وأعود فأقول في مسألة الإمام الحسين أن المسلم في علاقته بربه محكوم بواجبات، لعل من أعظمها أن يعبد وأن لا يشرك به وأن يُطيعه، وكذلك مع نبيه ﷺ أن يحبه وأن يصلي عليه وأن يُطيعه **﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾** فلا يمكن لمؤمن صادق الإيمان أن يعبد مع الله إلهاً آخر أو أن لا يطيع الله، هذا من باب المبدأ، ولا يستقيم إيمان مؤمن برسول الله ﷺ الذي بعثه الله نبياً واختاره واجتباه دون أن تكون في هذا القلب المؤمن محبة عظيمة برسول الله ﷺ، بل أن يكون رسول الله أحب إليه من نفسه، وأن يكون أهل رسول الله ﷺ أحب إليه من أهله، وهذا الحب مرتبط بطاعة، ألم يأمر رسول الله ﷺ من بعد أمر ربه بمحبة أهل بيته **﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾** "أحبوا الله لما يغذوكم به من نعمه، وأحبوني لحب الله، وأحبوا أهل بيتي لحي". ولذلك فمن أحب النبي ﷺ فواجب عليه أن يحب آل بيت النبي كائناً من كان، مهما كان مذهبه، إن كنت سنياً فليست المدرسة السنية مدرسة نواصب يكرهون آل البيت، وليس الحسين ملكاً لمذهب دون آخر، هو إمام الناس وإمام المؤمنين، إمام من أئمة الهدى ابن بنت رسول الله ﷺ.

وأما في مسألة هذه المحبة فلها بابان أيضاً:

1. أول أبوابها أن تنشغل بمن تحب وأن تقرأ أخباره وأن تحاول أن تكون في التأسي الجميل بأخلاقه، وهذه مسألة مهمة لجميع أتباع آل البيت وجميع محبيه، أن نتعلم من أخلاقهم، أن نقرأ سيرهم، أن نعرف عن هؤلاء السادة النجباء كيف كانوا وكيف عبدوا الله، وكيف كانت مواقفهم من الناس، وكيف كانت أفعالهم وأعمالهم وقيامهم الليل والصالحات وصبرهم وإباهم.
2. والباب الثاني أن تتألم لما آلمهم: أنت أيها المؤمن إن لم تتألم يوماً لأجل رسول الله وقد أدمي في الطائف أو قد بكت عيناه على عمه حمزة في أحد أو غير ذلك من المسائل، فإن في قلبك شيء، ورسول الله ﷺ بكى ابنه الحسين، والبكاء على الإمام الحسين أسفاً وأسىً ليس لطميات ولا فلكلور فارغ إنما هو موقف، وهذا الموقف ينبني على قناعة.

وكذلك أن تحبهم يعني أن لا تحب من قتلهم وشردهم، لا يستوي أن تحب الله وأن تحب إبليس، لا يستوي أن تحب رسول الله ﷺ وأن تحب أبا جهل، لا يستوي أن تحب الحسين وأن تحب يزيد الذي قتله وأن تترضى عليه فهذا برهان المرض.

ولذلك كل من يقول لنا إذا تكلمنا عن الإمام الحسين هذا شيعي متخفي، نقول له نحن أبناء النبي وأحفاده لا نُخفي شيئاً ولا نتخفي، ولا نحتاج إلى تقية، وفينا من العزم بقية، إنما نحن على هذه المدرسة السنية الزيتونية التي اتبعنا فيها أجدادنا وأسيادنا في ذلك، ولا يعني ذلك موقفاً عدائياً من جميع المذاهب الأخرى ومن جميع إخواننا المؤمنين المسلمين أبداً، إنما موقفنا من كل دجال ودعيّ وأفكّ وكذّاب ومن كل من يتلاعب بالمعاني، من كل من يستغل المسائل، من كل من يُتاجر بدماء آل البيت ودماء الصالحين، من كل من يُخفي في قلبه ضغينة لآل محمد ويتخذ الذرائع، إذا تكلمنا عنه قال "فتنة نائمة، لا نريد هذا الكلام، نحن لدينا ديننا واضح، نتبع السنن ونتبع الكتاب..." أنت دينك من أساسياته حب آل البيت، لأنّ النبي صلى الله عليه وآله أمرك بذلك، ولأنّ الله أمرك بذلك.

وعليه، عليك إن كنت مؤمناً أن تُحب الحسين وأن تُحب أخاه وأن تُحب أمه وأباه، وأن تحب أخته وتحب ذريته محبة مؤمنٍ معتقدٍ مسلمٍ يغار في تلك المحبة.

فهذه بيّنة لمن أراد سماعها وانتفع بها، الحمد لله الذي أنعم على قلوبنا بهذه المحبة، نُشهد الله على حب محمد وآل محمد صلى الله عليه وآله وعلى ذلك نلقى ربنا، ونُشهد الله على حب الحسين وعلى الأسي لما أصابه، فإنّ جرح الحسين لا يتسنّه كما أنّ طعام العُزير لم يتسنّه، هذا جرح لا تنقضي عليه الأيام ولا تمضي به الأعوام، إنما هو جرح رطيب وكأنه أُصيب منذ قليل، ومن قرأ التاريخ فكل ما يقرأه أمام ما حدث قليل، فكيف بالإمام ابن الإمام وهو مجندل مذبوح قتيل ولم يبق من آل بيته إلا القليل، عليل في فراشه لم يشأ الله أن يُقتل مع أهله حتى تستمر السلالة وتُؤدّي الرسالة، فالحمد لله على ذلك والحمد لله على صدق المقالة.



زيارة الأربعين



بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله على سيدنا محمد بالمؤمنين رؤوف رحيم، وعلى آل بيته الكرام خير آل للنبي الكريم، وسلامٌ على الشهيد الذبيح القتيل الأبي، من أمه فاطمة ووالده علي وجده رسول الله صلى الله عليه وآله، فهو ابن بنت النبي وهو ولد النبي، وعلى أخيه الإمام السيد الهمام وعلى ذريتهما من كل تقى وولي وكل صالح وزكى، عترةً مطهرةً نقيّةً طيبة، نشرها الله في أصقاع الأرض حتى يُظهر سر الكوثر ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكُوثَرَ﴾.

في أربعينية الإمام الحسين معاني كثيرة، إذ أنه يوم له معنى، يوم يجتمع فيه عشاق الإمام ليتألموا لمُصابه، ويبكوا لما بكى له رسول الله صلى الله عليه وآله قبل أن يكون ذلك الجُرم وقبل أن تقع تلك الملحمة. جُرم قوم كفروا بربهم وكذبوا نبيهم وقتلوا خير أهل الأرض في وقتهم وشتموا في ذلك، ثم سبوا بنات رسول الله صلى الله عليه وآله وهو أمر اهتزت له السماء واهتزت له الأرض ولكن رب السموات والأرض أراد أن يرى ابن بنت نبيه قتيلاً لأنه ذبح عظيم، فقد قالت السيدة زينب "اللهم تقبل منا هذا الذبح العظيم".

إن في خبر سيدنا إسماعيل أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى قد استنقذه بعد أن أسلم وتله للجبين، بعد أن كاد الأب سيدنا إبراهيم أن يذبح ابنه سيدنا إسماعيل فقال ﴿وَفَدَيْنَهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ﴾. إنما يفتدي الأنبياء أنبياء أو بنو أنبياء لأن الإفتداء أمرٌ عظيم وليس بالأمر الهين، ولعل الكباش له رمزية أخرى، ولكن هنالك علاقة بين عيد الأضحى عيد النحر وبين الذبح العظيم وبين الحج وبين هذه الجموع العظيمة التي تأتي بقلوبها وأرواحها، قلوبٌ عاشقة وأرواحٌ وابقة وأنفس واثقة تأتي لمجمع تشهد عليه الأرض يزداد كل عام في

كربلاء في الطف وكأنّ الدم الحسيني يغلي وكأنه يؤذّن في الناس أن تعالوا هنا إلى هذا المكان المبارك المقدّس الزكيّ بالدماء الطاهرة، بأنفسٍ أبتية ثائرة، تعالوا لنضمّد الجرح معاً، تعالوا لنجدّد العهد معاً، لنمشي خطوة أخرى مع الإمام الحسين في ظمئه وجوعه ووجعه ولكن بصورة معكوسة: سوف يسير السائر من البصرة إلى كربلاء وسيجد على طول الطريق الطعام، أهلاً بضيوف أبي عبدالله، وسيمضي إلى كربلاء معزّزاً مكرّماً لن يظماً فيها ولن يجوع، سيجد كل المطاعم تقدّم الطعام مجاناً، سيجد حيث ينام. هذا العكس للحال الأول الذي عاشه الإمام الحسين يعني أنّ ذلك الجرح أينع وأورق وأثمر وأنبت نماءً ورخاءً ومحبةً ووصلاً، وأنه كريم ابن كرام وأنه لا يُهان ضيفه ولا يجوع.

ولكن في معنى ذلك اجتماع القلوب على محبة ابن بنت النبي، يأتي إلى ذلك من أتباع مذهب آل البيت ومن أهل السنة خاصة أهل التصوف النقيّ الحقيقيّ الأغرّ، ويأتي كذلك من أتباع سيدنا المسيح أهل المحبة وأهل الوفاء وأهل الخصال الذين رأوا في شهادة الإمام الحسين افتداءً عظيماً ذكّرههم بشخصية السيد المسيح وبكرامته عند ربه.

ولذلك فإنّ هذا اليوم العظيم، فيه تجتمع أرواح المحبين وأجسادهم رغم كل العوائق، ونحن معهم بقلوبنا، وإن كنا شرفنا الله من قبل بأن كنا معهم بأجسادنا وسرنا بعض مسافة من البصرة أيضاً ورأينا ونظرنا وشممنا عبق تلك المحبة ورأيناها كيف تأتي بالناس تجرّهم جرّاً إلى إمام الناس بعد أخيه وأبيه وجده، هو الذي كان خليفةً بعدهم وكذلك كان من ذريتهم خلفاء ﴿ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ﴾، ولعلّ الله يُظهر من ذريتهم من يُصلح به شأن هذه الأرض ومن يجعل الدنيا مشهداً من مشاهد الجنة "يملأ الأرض عدلاً بعد أن ملئت ظلماً وجوراً".

ولعلّ في الأربعين قصصاً أخرى ومعاني أخرى ربما ينظر فيها الناظر لو أنه زار هنالك أو نظر من هنا ورأى سراً من أسرار آل بيت النبي، نوراً لا يخبو، شعلة لا تنطفئ، خطوة لا تتوقف، نهراً لا ينضب أبداً، والحمد لله رب العالمين.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.





ترحمہ اللہ وفضلہ

